

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتبة خلیل الماریف عسکری
فی السیاسة و الفکر و الفنون
و العلوم و الحرف

تألیف و تخریص و تصحیح و تدوین
مکتبہ خلیل الماریف عسکری

الطبعة الاولى

طبعة ١٩٥٥



اهداءات ١٩٩٨

السيدة/ نادية خورشيد

الإسكندرية

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

General Organization of the
Alexandria Library (G.O.A.L.)
Alexandria, Egypt



المكتبة العامة



General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
Alexandria, Egypt

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]
وصحبتها نخبة من العلماء

المطبعة	الطبعة
رقم الكتاب	رقم المجلد
رقم الترخيص	رقم الترخيص

دار الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قال الشيخ الإمام الأوحى ، البارع الحافظ للثق ، عماد الدين أبو الفداء : إسماعيل بن الخطيب أنى حصص عمر بن كثير ، الشافعى ، رحمه الله تعالى ورضى عنه)

الحمد لله الذى افتتح كتابه بالحمد فقال (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وقال تعالى : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قبحا لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ما كثين فيه أبدا * وينذر الذين قالوا اتخذنا الله ولدا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا يبرههم يعدلون) واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار (وتترى للآئكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) ولما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) كما قال تعالى (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) فله الحمد فى الأولى والآخرة أى فى جميع ما خلق وما هو خالق ، هو الممود فى ذلك كله كما يقول الصلى « اللهم ربنا لك الحمد ، بلاء السموات وبلاء الأرض وبلاء ما شئت من شئ بعد » ولما يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس أى يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم ، لما يرون من عظيم نعمه عليهم ، وكما قدرته وعظيم سلطانه وتوالت منه ودوام إحسانه اليهم كما قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم لبرهانهم فجري من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

والحمد لله الذى أرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وختمهم بالنبي الأمى العربى الذى المسمى لأوضح السبل ، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن يشته إلى قيام الساعة كما قال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وقال تعالى (لأتذكركم به ومن بلغ) فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم وأسود وأحمر وإنس وجان فهو تنذير له ، ولما قال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) فمن كفر بالقرآن عن ذكرنا فالنار موعده بنص الله تعالى كما قال تعالى (ففترى ومن يكذب بهذا الحديث بنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بشت إلى الأحمر والأسود » قال مجاهد بنى الإنس والجن ، فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن مبلغا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليهم من هذا الكتاب العزيز الذى (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه نذيرهم إلى فهمه فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وقال تعالى (كتاب آتيناك مبارك ليذكروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

(فالواجب) على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى : (وإذا أخذ الله مشاقق الذين أوتوا الكتاب لثبنته للناس ولا تسكوه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبش ما يشترون) وقال تعالى (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم) فقدم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله للتلز عليهم وإقبالهم على الدنيا وجمعها واشتغالهم بشئ ما أمروا به من اتباع كتاب الله فليتنا أيها المسلمون أن تنتهي عما ذمهم الله تعالى به ، وأن تأتبع بما أمرنا به من تعلم كتاب الله للتلز الله إلينا وتعليمه ، وتفهمه وتفهمه ، قال الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ففاز عليهم الأمد قصست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون * اعلفوا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد ينسأ لكم الآيات لعلكم تعقلون) ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يبين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والعماسي ، والله المؤمل للشئ أن يشغل بنا هذا إنه جواد كريم .

فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟ (فالجواب) أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن لما أجمل في مكان فانه قد يسطر في موضع آخر فان أعياك ذلك فليكن بالنسبة طائفا شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن . قال الله تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصما) وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتسكرون) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إني أوتيت القرآن ومثله منه » يعني السنة . والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لاتصل كما ينزل القرآن وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك . والترض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجد في السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذين بهته إلى العين « فم تحكم ؟ قال بكتاب الله . قال فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم لرضا رسول الله » وهذا الحديث في السند والساق يسنده جيد كما هو مقرر في موضعه . وحيث إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فاتهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماءهم وكبراهم كالأئمة الأربعة الحنفية والراشدين ، والأئمة المهتدين للمهديين ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم . قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح حدثنا الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله بن مسعود : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت . وأين نزلت . ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تناله للطائياتيته وقال الأعمش أيضا عن أبي وأائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يسألوا بما فيها من العمل فقلنا القرآن والعمل جميعا .

ومنه الخبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن يركب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال « اللهم تقه في الدين وعلمه التأويل » وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم - كذا قال - قال عبد الله بن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس بن رواه عن يحيى بن داود عن إسحق الأزرق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم بن يسيع عن أبي الضحى عن مسروق عن

ابن مسعود أنه قال : فم الترجمان للقرآن ابن عباس . ثم رواه عن بندار عن جعفر بن عون عن الأعمش به كذلك . فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة . وقد مات ابن مسعود رضى الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح وعمر بعده عبد الله بن عباس ستا وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود وقال الأعمش عن أبي وائل استخلف عليّ عبد الله بن عباس على اللوسم فخطب الناس ققرأ في خطبته سورة البقرة وفي رواية سورة النور فقصرها قصيرا لوصعته الروم والترك والدبلم لأسلوا .

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي ألبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك .

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاعتضاد فانها على ثلاثة أقسام (أحدها) ما علمنا صحته مما يؤيدنا بما يشهد له بالصدق فذلك صحيح (والثاني) ما علمنا كذبه مما عدنا بما يخالفه (والثالث) ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا تؤمن به ولا تكذبه ويجوز حكاية لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا . وأتى عن التفسيرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكر في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف . ولون كلهم ، وعددم . وعصا موسى من أي الشجر كانت . وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم ، وتعين البعض الذي ضرب به القتل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى ، إلى غير ذلك مما أجمعه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود إلى اللكتلين في دينهم ولادنيام . ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى (يقولون ثلاثة رابعهم كلهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجما بالتيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلهم ، قل رب أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) فلا تمار فيهم إلا مرآه ظاهرا ولا تستب فيهم منهم أحدا) فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث ، فدل على صحته إذ لو كان باطلا لرداه كما ردّها ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال في مثل هذا (قل رب أعلم بعدتهم) فانه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس من أطلعه الله عليه فلهذا قال (فلا تمار فيهم إلا مرآه ظاهرا) أي لا تجهد نفسك فيها لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم التيب . فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وعمرته فلا يطول النزاع والخلاف فيها لا فائدة تحته ، فتشغل به عن الأهم فالأهم . فأما من حكى خلافا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكى الخلاف ويطهه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً ، فإن صح غير الصحيح عامدا فقد تعدد الكذب ، أو جاهلا فقد أخطأ ، وكذلك من نصب الخلاف فيها لا فائدة تحته أو حكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكرر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوب زور ، والله اللوفق للصواب

(فصل) إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدتة عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه كان آية في التفسير كما قال محمد بن إسحق : ثنا أبو أن بن صالح عن مجاهد قال : عرضت للمصنف عليّ ابن عباس ثلاث عرضات من فاتجته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . وقال ابن جرير : أنبأنا أبو كريب أنبأنا طلق بن غنم عن عثمان اللحي عن ابن أبي مليكة : قال رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن وسمه أخواحه قال : فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله ولهذا كان سفيان الثوري يقول : إذا

جاءه التفسير عن مجاهد فسبك به ، وكسيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أذرياع والحسن البصري
ومسروق بن الأجدع وسعيد بن السيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقنادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين
وتابعيه ومن يدمم فتذكر أقوالهم في الآية في عبارتهم تبين في الألفاظ بعضها من لاعم عنده اختلافا
فيحكيها أقوالا ، وليس كذلك فإن منهم من يبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره ، ومنهم من ينس على الشيء بعينه ،
والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن فليفتن السلب لذلك والله الهادي . وقال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال
التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم خالفهم وهذا
صحيح . أما إذا أجمعوا على الشيء فلا رتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض
ولا على من يدمم ويرجح في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك . فأما تفسير
القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد بن جرير رحمه الله تعالى حيث قال : ثنا محمد بن بشر ثنا يحيى بن سعيد ثنا
سفيان حدثني عبد الأمل هو ابن عامر التلميذ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال
في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ عقابه من النار » وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري
به ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأمل به مرفوعا وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهكذا
رواه ابن جرير أيضا عن يحيى بن طلحة اليربوعي عن شريك عن عبد الأمل به مرفوعا ولكن رواه عن محمد بن حميد
عن الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس اللاتني عن عبد الأمل عن سعيد عن ابن عباس فوقفه ، وعن محمد بن حميد عن
جرير عن ليث عن بكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من قوله فأنه أعلم ، وقال ابن جرير : أنبأنا العباس بن عبدالمطلب
المنبري ثنا حبان بن هلال ثنا سهل أخو حزم ثنا أبو عمران الجوني عن جندب أن رسول الله ﷺ قال « من
قال في القرآن برأيه فقد أخطأ » وقدرى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهل بن أبي حزم القطيبي
وقال الترمذي : غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهل . وفي لفظ لهم « من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد
أخطأ » أي لأنه قد تكلف مالا علم له به وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب الشيء في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه
لم يأت الأمر من بابه كمن حكى الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه السواب في نفس الأمر لكن يكون
أخف جرما ممن أخطأ والله أعلم وهكذا سمى الله القذفة كاذبين فقال (فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم
الكلذوبون) فالقذف كاذب ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر لأنه أخير بما لا يحل له الإخبار به ولو كان
أخبر بما يعلم لأنه تكلف مالا علم له به والله أعلم ولهذا تخرج جماعة من السلف عن ضمير مالا علم لهم به كأروى شعبة
عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أي أرض تظني ، وأي سماء
تظني ، إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن
إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال أي سماء تظني وأي أرض تظني إذا أنا
قلت في كتاب الله مالا أعلم . منقطع . وقال أبو عبيد أيضا ثنا يزيد عن حميد عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على النبي
(وفاكهة وأبا) فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا هو التكلف يا عمر وقال
محمد بن سعد ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي
ظهر قيمه أربع رقائق قرأ (وفاكهة وأبا) فقال فما الأب ثم قال هو التكلف فما عليك أن لا تدري ؟ وهذا كله
عمول على أنها رضى الله عنها إنما أراد استكشاف علم كيفية الأب ولا فكهوته نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل
كقوله تعالى (فأنبتنا فيها حياوعينا) الآية وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن أيوب عن
ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لوسئل عنها بضمك فقال فيها فأن أن يقول فيها ، إسناده صحيح : وقال
أبو عبيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أيوب عن ابن أبي مليكة قال : سألت رجلا من بني عباس عن يوم كان مقداره ألف
سنة ؟ فقال له ابن عباس : لما (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ؟ فقال له الرجل إنما سألتك لتحديثي فقال

ابن عباس : ها يومان ذكرها الله في كتابه الله أعلم بهما ، فكره أن يقول في كتاب الله المألوم . وقال ابن جرير أيضا : حدثني يعقوب بنى ابن إبراهيم حدثنا ابن عليه عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال : جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن ؟ فقال : أخرج عليك إن كنت مسلما لما قتت عني - أو قال : أن تجانسي وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن السيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنا لا نقول في القرآن شيئا . وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن السيب أنه كان لا يتكلم إلا في العلوم من القرآن وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال سألت رجل سعيد بن السيب عن آية من القرآن فقال : لا تسألني عن القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء يعني عكرمة . وقال ابن شاذب حدثني يزيد بن أبي يزيد قال : كنا نسأل سعيد بن السيب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فإذا سأله عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع . وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبد الله الضبي حدثنا حماد بن زرد حدثنا عبيد الله بن عمر قال : لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن السيب ونافع . وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث عن هشام بن عروة قال ما سمعت أبا يقول آية من كتاب الله قط . وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائي عن محمد بن سيرين سألت عبيدة بنى السلمي عن آية من القرآن فقال : ذهب الذين كانوا يملكون فيه أنزل القرآن . فأتى الله عليك بالسداد وقال أبو عبيد : حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال : إذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنتظر ما قبله وما بعده . حدثنا هشيم عن مغيرة عن إبراهيم قال : كان أصحابنا يتقون التفسير ويهايونه . وقال شعبة عن عبد الله بن أبي السفر قال قال الشعبي والله مامن آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عز وجل . وقال أبو عبيد حدثنا هشيم حدثنا عمرو بن أبي زائدة عن الشعبي عن مسروق قال اتقوا التفسير فإما هو الرواية عن الله فلهذا الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه . فاما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا يعلم به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه بما يفهمه لقوله تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ولما جاء في الحديث الذي روى من طرق « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وأما الحديث الذي رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا محمد بن خالد بن شعبة حدثنا أبو جعفر بن محمد الزبيري حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن إلا أتيا يسدد عليهن إليه جبريل عليه السلام ، ثم رواه عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي عن معمر بن عيسى عن جعفر بن خالد عن هشام به - فإنه حديث منكر غريب وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري قال البخاري : لا يتابع في حديثه وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى : منكر الحديث ، وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها جبرائيل ، وهذا تأويل صحيح لوضع الحديث فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بفسله ، ومنه ما يعلفه العلماء ومنه ما تعلفه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالة كما صرح بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير حدثنا محمد بن يشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي الزناد قال : قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه . وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالة ، وتفسير يفهم العلماء ، وتفسير لا يفهم أحد إلا الله . قال ابن جرير : وقد روى نحوه في حديث في إسناده نظر ، حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدقي أنبأ ابن وهب سمعت عمر بن الحرث يحدث عن الكلبي عن أبي صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام - لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير يفهم العرب وتفسير يفهمه العلماء ، ومتشابه لا يفهم إلا الله عز وجل ، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب » والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي فإنه متروك الحديث لكن قد يكون إنما وفي رفعه ، ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم

(مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل القافية)

قال أبو بكر بن الأباري حدثنا إسماعيل بن إسحق القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا همام عن قتادة قال نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والبراءة والرد والرحمة والحج والنور والأحزاب وعهد والفتح والمجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والناقصون والثاني والطلاق (بأنها التي لم تحرم) إلى رأس المشر وإذا زلزلتو (إذا جاء نصر الله) هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال ومائتي آية وأربع مائتي ، وقيل وأربع عشرة آية . وقيل ومائتان وتسع عشرة آية وقيل ومائتان وخمس وعشرون آية ، أو ست وعشرون آية ، وقيل ومائتان وست وثلاثون ، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان . وأما كتابه فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة . وأما جوفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصيناه من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف وأخذ وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفاً ، وقال الفضل بن عطاء بن يسار ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً . وقال سلام أبو محمد الحامى . إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو ؟ قال : فحسبنا فجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعمائة وسبعائة وأربعون حرفاً قال : فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى القاء من قوله في الكهف (وليتلفظ) وثلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء ، والثالث إلى آخره ، وسبعة الأول إلى الدال من قوله تعالى (فمنهم من آمن ومنهم من صد) والربع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الأعراف (أولئك حببط) والثالث إلى الألف الثانية من قوله تعالى في الرد (أكلها) والرابع إلى الألف في الحج من قوله (جئنا منك) والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) والسادس إلى الواو من قوله تعالى في الفتح (الظانين بالله غلن السوء) والسابع إلى آخر القرآن . قال سلام أبو محمد علنا ذلك في أربعة أشهر ، قالوا وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن ، فالأول إلى آخر الأنعام والثاني إلى (وليتلفظ) من سورة الكهف ، والثالث إلى آخر الزمر ، والرابع إلى آخر القرآن وقد حكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافاً في هذا كله فإله أعلم

وأما (التحزيب والتجزئة) فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن والجديث في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلث عشرة (١) وحزب للفصل حتى تحتم

(فصل) واختلف في معنى السورة بما هي مشقة تقيل من الإبانة والارتفاع قال النابغة

لم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتندبذ

فكان القارئ ينقل بها من منزلة إلى منزلة . وقيل لشرعها وارتفاعها كسور البلدان وقيل سميت سورة لسكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه مأخوذاً من أسرار الإناء وهو البقية . وعلى هذا فيكون أصلها مهموزاً . وإنما خففت الهزمة فأبدلت الهزمة واواً لانفصال ما قبلها وقيل لقامها وكلاماً لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة (قلت) ويحتمل أن يكون من الجع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنزله ودوره . وجمع السورة سور ففتح الواو وقد يجمع على سوريات وسورات . وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها أي هي بابتداء عن أخيها ومنفردة قال الله تعالى (إن آية ملكه) وقال النابغة

توهمت آيات لها فمرقتها لسته أعوام وذال الصيام شابع

وقيل لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال خرج القوم بآياتهم أي بجماعتهم قال الشاعر :

(١) كنا والقافية في الذكر أحد عشر وثلاثة عشر وفي اللؤث إحدى عشرة وثلاث عشرة

خرجنا من التيقن لآحي مثلاً بآيتنا نزجى القلق للطفلا
وقيل سميت آية لأنها عجب بمجز البشر عن التكلم بثلاثا قال سيدي وأصلها آية مثل كة وشجرة تحركت الياء واقتح
مقابلها فقلت ألفا فصار آية بهززة بدها مديت وقال الكسائي أصلها آية على وزن آتة فقلت ألفا ثم حلفت لا لتبسا وقال
القراء أصلها آية بتشديد الياء الأولى فقلت ألفا كراهية التشديد فصار آية وجمعا آي وآيات وآياي . وأما الكلمة فهي
اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما ولا ونحو ذلك . وقد تكون أكثر ، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل
(ليستغفونهم) و (أنزلكموها) (فأسقينا كوه) . وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل والفجر والضحي والصبر وكذلك
الم وطه ويس وح في قول الكوفيين وح عسق عديم كلمتان وغيرهم لا يسمى هذه آيات بل يقول هذه فوائغ السور
وقال أبو عمرو الداني لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى (مدهامتان) بسورة الرحمن

(فصل) قال القرطبي أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية ، وأجمعوا أن فيه أعلاما من
الأعجمية كابراهيم ونوح ولوط واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالوا
ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما وافقت فيه اللغات

سورة الفاتحة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

يقال لها الفاتحة أي فاتحة الكتاب خطأ لأنها تفتح القراءة في الصلوات ، ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور ذكره
أنس ، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين إنما ذلك اللوح المحفوظ وقال الحسن الآيات
المحسنة من أم الكتاب ولذا كرها أيضا أن يقال لها أم القرآن وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم »
ويقال لها (الحمد) ويقال لها (الصلاة) لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين
فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي » الحديث . فسُميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ويقال لها
(الشفاء) لما رواه البخاري عن أبي سعيد مرفوعا « فاتحة الكتاب شفاء من كل سم » ويقال لها (الرقية) لحديث أبي سعيد
في الصحيح حين رقي بها الرجل السليم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنها رقية » ؟ وروى الشعبي
عن ابن عباس أنه سمعها (أساس القرآن) قال وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم وسموها سفیان بن عيينة (بالواقية) وسموها
يحيى بن أبي كثير (الكافية) لأنها تكفي عما عداها ولا يكفي ما سواها عنها كما جاء في بعض الأحاديث للرسالة « أم القرآن
عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها » ويقال لها سورة الصلاة والكثرة ذكرها الزمخشري في كشافه

وهي بكية قاله ابن عباس وقادة وأبو العالية ، وقيل مدنية قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري ويقال
نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة . والأول أشبه لقوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) والله تعالى أعلم
وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة وهو غريب جدا فله القرطبي عنه وهي
سبع آيات بلا خلاف وقال عمرو بن عبد ثمان وقال حسين الجعفي ستة وهذا القولان شاذان وإنما اختلفوا في
البسمة هل هي آية مستقلة من أولها كما هو عند جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين ونقل من
الحنابلة أو بعض آية أو لاتمد من أولها بالكيفية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء على ثلاثة أقوال كما
سأني في تحريرها في موضعه إن شاء الله تعالى وبه التمة .

قالوا وكلما تسبى عشرون كلمة وحرولها مائة وثلاثة عشر حرفا . قال البخاري في أول كتاب التفسير وميمت
أم الكب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة وقيل إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله

إلى ما تضمنته . قال ابن جرير . والعرب تسمى كل جامع أمراً ومقدم لأمر إذا كانت له نواحي تتبعه هو لها إمام جامع - أما ، فتقول للجلدة التي تجتمع السباع أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما واستشهد بقول ذي الرمة على رأسه أم لنا تفتدي بها * جماع أمور ليس تسمى لها أمراً

- يعني الرمح - قال وعيت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجميعها ما سواها وقيل لأن الأرض دحيت منها . ويقال لها أيضا القاعة لأنها ختعت بها القراءة وانفتحت الصلابة بها كتابة للصف الامام وسع تسميتها بالسبع الثاني قالوا لأنها تنفي في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وإن كان للثاني معنى آخر غير هذا كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا ابن أبي ذئب وهشام بن هاشم عن ابن أبي ذئب عن القبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن « هي أم القرآن وهي السبع الثاني وهي القرآن العظيم » ثم رواه عن إسحاق بن عمر عن ابن أبي ذئب به وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هي أم القرآن وهي فاعلة الكتاب وهي السبع الثاني » وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدثنا محمد بن غالب بن حارث ، حدثنا إسحاق بن عبد الواحد اللؤلؤي ، حدثنا الملقاب ابن عمران عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبي بلال عن القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رب العالمين سبع آيات : اسم الله الرحمن الرحيم إحسانه ، وهي السبع الثاني والقرآن العظيم ، وهي أم الكتاب ، وفاعلة الكتاب » وقد رواه البخاري أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه أو مثله وقال كلهم هجات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي هريرة أنهم فسروا قوله تعالى (سبحنا من الثاني) بالفاعلة وأن البسملة هي الآية السابعة منها وسيأتي تمام هذا عند البسملة . وقد روى الأعمشي عن إبراهيم قال : قيل لابن مسعود : لم لم تكتب القاعة في مصحفك ؟ قال : لو كتبتها لكتبتها في أول كل سورة ، قال أبو بكر بن أبي وادع عن جث يقرأ في الصلاة ، قال : واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها وقد قيل : إن القاعة أول شيء أنزل من القرآن كما ورد في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة وشبهه الباقلاني أحد أقوال ثلاثة وقيل (يا أيها اللدثر) كما في حديث جابر في الصحيح وقيل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وهذا هو الصحيح كما سيأتي تخريره في موضعه والله المستعان

(ذكر ماورد في فضل القاعة)

قال الامام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حصن بن عاصم عن أبي سعيد بن اللؤلؤ رضي الله عنه قال : كنت أسألي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت قال : فأنيته فقال « ما منك أن تأتي ؟ » قال قلت : يا رسول الله إني كنت أسألي قال : ألم يقل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكيكم) ثم قال « لأعطينك أعظم سورة في القرآن قبل أن يخرج من المسجد » قال : فأخذ يدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت : يا رسول الله إنك قلت لأعطينك أعظم سورة في القرآن قال « نعم ، (الحمد لله رب العالمين) هي السبع الثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهكذا رواه البخاري عن مسدد وطى بن للدين كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ، ورواه في موضع آخر من التفسير ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن شعبة به ، ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الأنصاري عن خبيب بن عبد الرحمن عن حصن بن عاصم عن أبي سعيد بن اللؤلؤ عن أبي بن كعب فذكر نحوه . وقد وقع في اللؤلؤ للامام مالك بن أنس رحمه الله ما ينفي التنبيه عليه فانه رواه مالك عن الولاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرق أن أبا سعيد مولى ابن عامر بن كرز أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أي بن كعب وهو يصلي في المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم

« إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها » قال
 أي رضي الله عنه فجلست أبطي في لثي رجا ذلك ثم قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟ قال « كيف تقر إذا
 انتسحت الصلاة ؟ قال فقرأت عليه (الحمد لله رب العالمين) حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي
 هذه السورة وهي السبع الثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت » فأبوسعيد هذا ليس بأي سعيد بن للملك كما اعتقده ابن الأثير
 في جامع الأصول ومن تبعه فان ابن العلى صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالى خزاعة وذلك الحديث متصل صحيح وهذا
 ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبوسعيد هذا من أبي بن كعب فان كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم . على
 أنه قد روى عن أبي بن كعب من غير وجه كما قال الامام أحمد . حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا العلاء
 ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب
 وهو يصلي فقال يا أبي فالتفت ثم لم يجبه ثم قال أي خفف أي ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 السلام عليك أي رسول الله فقال عليك السلام مامنك أي أي إذ دعوتك أن تعجيني فقال أي رسول الله إني كنت
 في الصلاة قال أولست بمجد فبا أوحى الله تعالى إلي (استجبوا لله وللرسول إذا دعا كما يجبكم) قال بلى يا رسول الله
 لا أعوذ قال أعجب أن أمكك سورة لم تنزل لافي التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟ قلت
 نعم أي رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن لا أخرج من هذا الباب حتى تلعها قال فأخذ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي يدي يدي وأنا أتبطأ خلفه أن يبلغ قبل أن يقضى الحديث فلما دنونا من الباب قلت
 أي رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟ قال فقرأت في الصلاة ؟ قال فقرأت عليه أم القرآن قال والذي نفسي بيده
 ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنها السبع الثاني ورواه الترمذي عن قتبية
 عن الله ورودي عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره وعنده إنها من السبع الثاني والقرآن العظيم
 الذي أعطيت ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أنس بن مالك ورواه عبد الله ابن الامام أحمد عن اسماعيل
 ابن أبي معمر عن أبي أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب فذكره مطولا
 بنحوه أو قريب منه وقد رواه الترمذي والنسائي جميعا عن أبي عمار حسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عبد الحميد
 ابن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة
 ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع الثاني وهي مقسومة بيني وبين عبيد نفسيق هذا لفظ النسائي وقال الترمذي
 حديث حسن غريب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا هاشم يعني ابن البرد حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل
 عن جابر قال أتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أهرق للماء فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على
 قال : فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على قال : فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على قال فاطلق رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كشيئا حزينا فخرج على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقد تطهر فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته عليك السلام ورحمة الله وبركاته عليك السلام
 ورحمة الله ثم قال « ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن ؟ قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله رب
 العالمين حتى نغمها » هذا الإسناد جيد وابن عقيل هذا محتج به الأئمة الكبار وعبد الله بن جابر هذا الصحابي ذكر ابن الجوزي
 أنه هو البدي والله أعلم ويقال إنه عبد الله بن جابر الأنصاري البياضي فيما ذكره الحافظ ابن عساكر واستدلوا بهذا
 الحديث وأمثاله على فاضل بعض الآيات والسور على بعض كما هو المحكى عن كثير من العلماء منهم إسحق بن راهويه
 وأبو بكر بن البرق وابن الحنف من المالكية وذهب طائفة أخرى إلى أنه لا فاضل في ذلك لأن الجميع كلام الله
 ولئلا يوم التفضيل تفسد الفضل عليه وإن كان الجميع فاضلا فله القرطبي عن الأشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي حاتم
 ابن حبان البستي وأبي حبان ويحيى بن يحيى ورواية عن الامام مالك أيضا حديث آخر قال البخاري في فضائل القرآن
 حدثنا محمد بن لثي حدثنا وهب حدثنا هشام بن محمد بن معبد عن أبي سعيد الخدري قال كنا في مسير لنا فقرأنا

فجاءت جارية فقالت إن سيد الحى سليم وإن قرنا غيب فهل منك راق ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبى به برقية فراقه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى ؟ قال لا مارقت إلا بأم الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتى نأتى ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قلنا للدينه ذكرنا لابي صلى الله عليه وسلم فقال « وما كان يدريه انهارقيا اتسموا واضربوا لى بسهم » وقال أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد بن سيرين حدثني معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري بهذا وهكذا رواه مسلم وأبو داود من رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به وفى بعض روايات مسلم لهذا الحديث أن أبا سعيد الخدري هو الذى رقى ذلك السليم يسمى اللدين يسمونه بذلك فهاؤلا حديث آخر : روى مسلم فى صحيحه والنسائي فى سننه من حديث أبي الأحوس سلام بن سليم عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل إذ سمع هيفاً فوقع جبريل بصره إلى السماء فقال : هذا باب قد فتح من السماء فانتح قط قال فزل منه ملك فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيسر بنورين قد أوتيتهما ما يؤتاهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تحرقا منها إلا أوتيته ، وهذا لفظ النسائي

ولمسلم نحوه : حديث آخر قال مسلم حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي هو ابن راهويه حدثنا سفيان بن عيينة عن العلاء بن ربيعة عن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ففى خداج ثلاثا غير عام » قيل لأبي هريرة إنا نكون خلف الامام فقال اقرأ بها فى نفسك فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدى عبدى ، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أثنى على عبدى ، فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله حمدى عبدى ، وقال مرة فوض إلى عبدى ، فاذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال (إهدنا الصراط للستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين) قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » وهكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه وقد رواه أيضا عن قتيبة بن مالك عن العلاء عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة وفى هذا السياق « فنصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل » وهكذا رواه ابن إسحاق عن العلاء وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن أبي السائب هكذا ورواه أيضا من حديث ابن أبي أويس عن العلاء عن أبيه وأبى السائب كلاهما عن أبي هريرة وقال الترمذى هذا حديث حسن وسألت أبازرعة عنه فقال كلا الحديثين صحيح من قال عن العلاء عن أبيه وعن العلاء عن أبي السائب وقد روى هذا الحديث عبد الله ابن الامام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب مطولا وقال ابن جرير حدثنا صالح بن دينار المزوى حدثنا زيد بن الجباب حدثنا عتبة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعيد بن إسحاق عن كعب بن حمزة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين وله ما سأل فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال حمدى عبدى وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى على عبدى . ثم قال هذا لى وله ما بقى » وهذا غريب من هذا الوجه

(الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالقائمة من وجوه)

(أحدها) أنه قد اطلق فيه لفظ الصلاة ، وللرأد القراءة كقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) ويتبين ذلك سبيلا أى بقرائك كجاء مصرح به فى الصحيح عن ابن عباس ، وهكذا قال فى هذا الحديث « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل » ثم بين تفصيل هذه القصة فى قراءة القائمة فدل على عظمة القراءة فى الصلاة وأنها من أكبر أركانها إذ انطلقت العبادة وأربد بها جزء واحد منها وهو القراءة كما أطلق لفظ القراءة والرداء الصلاة فى قوله (وقرآن الفجر) ، إن قرآن الفجر كان مشهودا (والرأد صلاة الفجر كما جاء مصرح به فى الصحيحين) أنه يشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار » فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة فى الصلاة وهو اتفاق من العلماء ،

ولكن اختلفوا في مسألة تذكرها في الوجه الثاني ، وذلك أنه هل يتعين للقراءة في الصلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزئ من أو غيرها ؟ على قولين مشهورين فندأي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم ؛ أنها لا تتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزاء في الصلاة واحتجوا بموم قوله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة للسبي في صلته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « إذا قلت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر منك من القرآن » قالوا فأمره بقراءة ما تيسر ولم يسن له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا

(والقول الثاني) أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزئ الصلاة بدونها ؛ وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء ، واحتجوا على ذلك بهذا الحديث للذكر حيث قال صلوات الله وسلامه عليه « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج » والخداج هو الناقص كما فسره في الحديث « غير تمام » واحتجوا أيضا بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن مجاهد بن ربيع عن عباد بن عباد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن » والأحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة هنا يطول ذكره وقد أشرنا إلى ما أخذم في ذلك رحمه الله

ثم إن مذهب الشافعي وجماعته من أهل العلم أنه يجب قراءتها في كل ركعة . وقال آخرون : إنما يجب قراءتها في معظم الركعات وقال الحسن وأكثر البصريين : إنما يجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذنا بمطلق الحديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي : لا تتعين قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزاء لقوله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) والله أعلم . وقد روى ابن ماجه من حديث أبي سفيان السدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعا « لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها » وفي صحة هذا نظر وموضع تحمير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير والله أعلم

(والوجه الثالث) هل يجب قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء (أحدها) أنه يجب عليه قراءتها كما يجب على إمامه لمصوم الأحاديث للثقة (والثاني) لا يجب على المأموم قراءة بالكلية لفاتحة ولا غيرها لافي صلاتها الجهرية ولا في صلاتها السرية لما رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان له إمام فقرأه الامام له قراءة » ولكن في إسناده ضعف . ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه ؛ وقد روى هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم (والقول الثالث) أنه يجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ، ولا يجب ذلك في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما جعل الامام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ؛ وإذا قرأ فأنصتوا » وذكر بقية الحديث ، وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « وإذا قرأ فأنصتوا » وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضا ، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول وهو قول قديم للشافعي رحمه الله ؛ والله أعلم . ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى - والقرن من ذكر هذه المسائل هنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور . وقال الحافظ أبو بكر البراء حدثنا إبراهيم بن سيد الجوهري حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وضعت جنبك على القرائن وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت »

(تفسير الاستماعة وأحكامها)

قل الله تعالى (خذ النور وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإما يترغك من الشيطان نزع فاستمد بالله إنه سمع عليم) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يسنون) وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين

وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وما يلحقها إلا الذين سبوا وما يلحقها إلا ذو حظ عظيم * وإما يزغتك من الشيطان نزع فاستبدلته بأنه هو المسيح الطيب) فبذره ثلاث آيات ليس لمن رابسة في معناها وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عنه طيبة الطيب الأمس إلى اللوالة والمصافة ، ويأمر بالاستعانة به من العدو الشيطاني لاعتادة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يئتي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى (يا أيها آدم لا تفتنك الشيطان كما أخرج أبوك من الجنة) وقال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال (اتخذوه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقد أقم اللوالة آدم عليه السلام أنه لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال (فبعتك لأغويهم أجسمين * لإعابك منهم الخلفين) وقال تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

قال طائفة من القراء وغيرهم يتعذ بعد القراءة واعتدوا على ظاهر سياق الآية ودفنوا العجائب بعد فراغ العبادة ، ومن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله عنه ابن قلوبا وأبو حاتم السجستاني حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جنادة الهذلي للثري في كتاب العبادة الكامل : وروى عن أبي هريرة أيضا وهو غريب ، وقوله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال . وهو قول إبراهيم النخعي وداود بن علي الأصماني الطاهري ، وحكي القرطبي عن أبي بكر بن العربي عن المجموعة عن مالك رحمه الله . أن القاري يتعذ بمناقاة ، واستخيره ابن العري . وحكي قولاً ثالثاً وهو الاستعانة أولاً وآخرها جماً بين المجلدين ، فله الرازي . والشهور التي عليه الجمهور أن الاستعانة إنما تكون قبل التلاوة لمنع اللوسوس عنها - ومعنى الآية عندهم (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي إذا أردت القراءة فكنهه تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) الآية أي إذا أردتم القيام ، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا محمد بن الحسن بن أبي أسد حدثنا جعفر بن سليمان عن علي بن علي الرافعي يشكره عن أبي التوكل التاجي عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك ، ولا إله غيرك » ثم يقول - لا إله إلا الله - ثلاثاً ثم يقول - أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه » وقدره أهل السنن الأربعة من رواة جعفر بن سليمان عن علي بن علي وهو الرافعي ، وقال الترمذي . هو أشهر شيء في هذا الباب ، وقد نثر الهمز بالوثة وهي الحق ، والنفس والكبر والنفس بالشعر . كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم القرظي عن نافع بن جبير الطلمي عن أبيه قال . رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في الصلاة قال « الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، الحمد لله كثيراً ثلاثاً ، سبحان الله بكرة وأصيل ثلاثاً ، - اللهم اني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه » قال عمر : وهزمه الوثة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال ابن ماجه . حدثنا علي بن النضر ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهزمه ونفخه ونفثه الكبر ونفخه الشعر وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ، حدثنا شريك عن يحيى بن عطاء عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثاً ثم قال « لا إله إلا الله ثلاث مرات ، وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات » ثم قال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقال الحافظ أبو يحيى أحمد بن علي بن أبي ليلى الواسطي في مسنده ، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبيان الكوفي ، حدثنا علي بن هشام بن البراء بن يزيد بن زياد عن عبد الملك ابن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : تلاحي رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فتمزع

أنف أحدهما غضباً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنى لأعلم شيئاً لو قاله لذهب عنه ما يجده: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وكذا رواه النسائي في اليوم واللييلة عن يوسف بن عيسى للروزي عن الفضل بن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعدية ، وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبي سعيد عن زائدة وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد والترمذي والنسائي في اليوم واللييلة عن بندار عن ابن مهدي عن الثوري والنسائي أيضاً من حديث زائدة ابن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضباً شديداً حتى نحيل إلى أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب » فقال : ماهى يا رسول الله ، قال يقول « اللهم أنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم » قال : فنجعل معاذياً أمره فأبى وجعل يزداد غضباً وهذا لفظ أبي داود، وقال الترمذي : مرسل يعنى أن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل فإنه مات قبل سنة عشرين (قلت) وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب كما تقدم ويلفنه عن معاذ بن جبل فإنه هذه القصة شهد بها غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم . قال البخارى . حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن الأعمش عن عدى بن ثابت قال: قال سلمان بن صرد رضى الله عنه . استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انى لست بمجنون ، وقد رواه أيضاً مع مسلم وأبو داود والنسائي من طرق متعددة عن الأعمش به

وقد جاء في الاستماعة أحاديث كثيرة يطول ذكرها ههنا وموطنها كتاب الأذكار فضائل الأعمال والله أعلم وقد روى أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستماعة كما قال الامام أبو جعفر بن جرير ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عماره حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال . أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال « يا محمد استمع » قال « أستعين بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال « قل بسم الله الرحمن الرحيم » ثم قال « اقرأ باسم ربك الذى خلق » قال عبد الله : وهى أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل . وهذا الأثر غريب وإنما ذكرناه ليعرف فان في اسناده ضعفاً واهطلاعاً والله أعلم .

(مسألة) وجهور العلماء على أن الاستماعة مستحبة ليست بمنتهية يأثم تاركها وحكى الرازى عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قال . وقال ابن سيرين . اذا تموز مرة واحدة في عمره فقد كفى في أسقاط الوجوب واحتج الرازى لمطاع بظاهر الآية (فاستمع) وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولأنها تدبر أمر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولأن الاستماعة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم . كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكى عن مالك أنه لا يتعدى في المكتوبة ويتموز لقيام رمضان في أول ليلة منه .

(مسألة) وقال الشافعى في الإملاء يجهر بالتعوذ وإن أسر فلا يضر وقال في الأيم بالتخفيف لانه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة واختلف قول الشافعى فيها عدا الرخصة الأولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجح عدم الاستحباب والله أعلم فإذا قال المستمع . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعى وأبى حنيفة وزاد بعضهم . أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم قاله الثوري والأوزاعى وحكى عن بعضهم أنه يقول أستعين بالله من الشيطان الرجيم لمطابقة أمر الآية ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور والاحاديث الضعيفة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم

(مسألة) ثم الاستماعة في الصلاة إنما هى للتلاوة وهو قول أبى حنيفة ومحمد . وقال أبو يوسف بل للصلاة فلى

هذا يتعوذ للمؤمن وان كان لا يقرأ ويتعوذ في العيد بعد الاحرام وقبل تكبيرات العيد والجمهور بعده قبل القراءة ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للقم مما كان يتصاها من اللغو والرفث وتطيب له وهو ثلاثة كلام الله وهي استعاذة بالله واعتراف بالقدرة والبلد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو اللين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه ولا يقبل مصادمة ولا يندارى بالأحسان بخلاف العدو من نوع الانسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من الثاني وقال تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري فمن قتل العدو الظاهر البشري كان شهيدا ، ومن قتل العدو الباطني كان طريدا . ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورا ، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونا أو موزورا ، ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان .

﴿ فصل ﴾ والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والاتصاف بجنابه من شر كل ذي شر والبانة تكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال النبي :

يا من أئذ به قيا أؤمسه * ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يهبر الناس عظا أنت كسره * ولا يهشون عظا أنت جابه

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي استجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضربني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به ، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكره عن الانسان إلا الله ولهذا أمر تعالى بمصادمة شيطان الانس ومداراة بفساده الجليل اليه يردده طبعه عما هو فيه من الأذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جبل لأنه شرير بالطبع ولا يكره عنك إلا الذي خلقه وهذا للمني في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم من رابطة قوله في الأعراف (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر ثم قال (ولما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه مسمع علم) وقال تعالى في سورة قدا فلعن المؤمنون (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) * وقال رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى في سورة حم السجدة (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم * ولما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم)

الشيطان في لغة العرب مشتق من شطن إذا بد فهو يبد ببطمه عن طابع البشر ويبد بحقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاما صحيح في المنى ولكن الأول أصح وعليه يدل كلام العرب قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام

أيما شاطن عصاه عكاه * ثم يلقى في السجن والأغلال

فقال أيما شاطن ولم يقل أيما شاطئ وقال النابغة الذبياني وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان

نأت بفساد عنك نوى شطون * فباتت والقؤاد بها رهين

يقول يبدت بها طريق بعيدة وقال سيويه : العرب تقول تشيطان فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيط فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمون كل من ترد من جنى وإنسى وحيا شيطانا قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وفي مسند الامام أحمد عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر «تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن» قلت أوللائس شياطين؟ قال «نعم» وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضا قال : قال رسول الله ﷺ «قطع الصلاة للمرأة والحمار والكلب الأسود» قلت يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر والأسفر؟ فقال الكلب الأسود

شيطان وقال ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذوناً فجعل يشبته به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبسُّراً فزل عنه وقال ما محتوي إلا على شيطان ما زلت عنه حتى أنكرت نفسي إنسانه صحيح . والرجيم قيل بمعنى مفعول أي أنه مروج مطرود عن الخير كما قال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بصايع وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى لألأ الألى ويقذفون من كل جانب * دحورا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الحظفة فأقبه شهاب ثاقب) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء رجوماً للفاظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأقبه شهاب مبيح) إلى غير ذلك من الآيات وقيل رجيم بمعنى راجم لأن رجيم الناس بالوساوس والربايات والأول أشهر وأصح

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ افتتح بها الصلاة كتاب الله واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت في أولها أو أنها بعض آية من كل سورة أو أنها كذلك في القاعة دون غيرها أو أنها إنما كتبت للفصل لأنها آية على أقوال العلماء سلفاً وخلفاً وذلك مبسوط في غير هذا الموضع وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يرف فصل السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في مستدركه أيضاً وروى مرسل عن سعيد بن جبير وفي صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول القاعة في الصلاة وعدها آية لكنه من رواية عمر بن حارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عنها وروى الهارظي متابعا عن أبي هريرة مرفوعاً وروى مثله عن علي بن وابن عباس وغيرهما وعن حكى عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وطى ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم ابن سلام رحمهم الله وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما ليست آية من القاعة ولأن غيرها من السور وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه هي آية من القاعة وليست من غيرها وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريان وقال داود هي آية مستقلة في أول كل سورة لأنها رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وحكاة أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي وهما من أكبر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله . هذا ما يتعلق بكونها آية من القاعة أم لا

فأما الجهر بها فمرفوع على هذا فمن رأى أنها ليست من القاعة فلا يجهر بها وكذا من قال إنها آية في أولها وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلقوا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجهر بها مع القاعة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفاً وخلفاً فجهر بهما من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية وحكاة ابن عبد البر والبيهقي عن عمر وطى وشهاب الخطيب عن خلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وطى وهو غريب من التابعين عن سعيد بن جبير وعكرمة وأبي قلابة والزهري وطى بن الحسن وابن محمد وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وسالم ومحمد بن كعب القرظي وعبيد وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبي وايل وابن سيرين ومحمد بن السكندر وطى بن عبد الله بن عباس وابنه محمد وثاقع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبد العزيز والأزرق بن قيس وجبيب بن أبي ثابت وأبي الشعثاء ومكحول وعبد الله بن معقل بن مقرن زاد البيهقي وعبد الله بن صفوان ومحمد ابن الحنفية زاد ابن عبد البر وعمرو بن دينار والحجة في ذلك أنها بعض القاعة فيجهر بها كسائر أجزائها وأيضاً فقد روى النسائي في مسنده وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بدهان فرغ إلى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذي وليس إنسانه بذلك وقد رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر

بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال كانت قراءته مداماً قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بعد بسم الله وبعد الرحمن وبعد الرحيم . وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرک الحاكم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الله ارقطي إسناده صحيح وروى الامام أبو عبدالله الشافعي والحاكم في مستدرکه عن أنس أن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأشكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسم . وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقتضى الاحتجاج لهذا القول مما عداها . فأما للمعارضات والروايات القريبة وتطرقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر وذهب آخرون أنه لا يجرى بالبسملة في الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة وعبد الله بن مغفل وموافقة من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل . وعند الامام مالك أنه لا يقرأ بالبسملة بالكلية لا جبراً ولا سراً واحتجوا بما في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها ونحوه في السنن عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه فهذه مأخذ الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة وهي قرية لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر وثقل الحمد ولغة .

فصل في فضله

قال الامام العالم الحبيب المأيد أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره حدثنا أبي حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا زيد بن المبارك الضعافي حدثنا سلام بن وهب الجندي حدثنا أبي عن طاوس عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال « هو اسم من أسماء الله وبما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين ويضاهيا من القرب » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن سليمان بن أحمد عن علي بن المبارك عن زيد بن المبارك به وقد روى الحافظ بن مردويه من طريقين عن إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن عيسى بن مريم عليه السلام أرسلته إلى الكتاب ليطلبه فقال له الملم : اكتب فقال : ما أكتب ؟ قال بسم الله قال له عيسى : وما باسم الله ؟ قال للملم : ما أدرى قال له عيسى . الباء بهاء الله والسين سناؤه ، واليم يملكته ، وإله إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة » وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء الملقب بابن ربريق عن إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عن حماد بن عمار عن ابن مسعود ومسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ فذكره وهذا غريب جداً ، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ ، وقد يكون من الاسرار البليات لا من الرفوعات والله أعلم وقد روى جوير عن الضحاك نحوه من قبله ، وقد روى ابن مردويه من حديث يزيد بن ثابت عن سليمان بن بريدة وفي رواية عن عبدالكريم بن أبي عيسى عن أبي بريد عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « أنزلت على آدم نزل على نبي غير سليمان بن داود وغيره وهي بسم الله الرحمن الرحيم ، وروى بسنده عن عبد الكريم الكبير عن العوفي بن عمران عن أبيه عن عمر بن زاذ عن عطية بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال . لما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم) هرب الصبي إلى الشرق وسكنت الرياح ، وهاج البحر ، وأصفت الهائم بأذانها ، ورجعت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بزمته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء إلا يبارك فيه . وقال وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال من أراد أن ينجيح الله من الزبانية التهمة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فيحصل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد ، ذكره ابن عطية والقرطبي ووجه ابن عطية ونصه بحديث

لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يتدرونها لقول الرجل ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفا وغير ذلك وقال الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال : سمعت أبا جهم يحدث عن رديف النبي ﷺ قال : عثر بالنبي ﷺ . فقلت تسس الشيطان فقال النبي ﷺ : لا تقل تسس الشيطان ، فانك إذا قلت تسس الشيطان تعاملت وقال بقوتي صرعته ، وإذا قلت باسم الله تصلفرت حتى يصير مثل الدباب » هكذا وقع في رواية الامام أحمد ، وقد روى النسائي في اليوم واليلة وابن مردويه في تفسيره من حديث علي بن الحلاء عن أبي نعيم وهو المجيمي عن أبي الليث بن أسامة بن عمير عن أبيه قال . كنت رديف النبي ﷺ فذكره وقال « لا تقل هكذا فانه يتعامل حتى يكون كاليت ، ولكن قل باسم الله فانه يصغر حتى يكون كالإبابة » فهذا من تأثير بركة باسم الله ، ولما تستجب في أول كل عمل وقول . فتستجب في أول الخطبة لما جاء « كل أمر لا يدانيه يسبب الله الرحمن الرحيم فهو أجزم » وتستجب البسملة عند دخول الخلائط ورد من الحديث في ذلك وتستجب في أول الوضوء لما جاء في مسند الامام أحمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرثوما « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » وهو حديث حسن . ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقا وكذا تستجب عند الدخيلة في مذهب الشافعي وجماعة وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقا في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث منها عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا أتيت أهلك فسم الله فانه إن وجد لك وله كتب لك بسدد أفضله وأغنى فديته حسنت » وهذا لا أصل له ولا رأيه في شيء من الكتب القديمة عليها ولا غيرها . وهكذا تستجب عند الأكل لما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لربي عمر بن أبي سلمة « قل باسم الله وكل يمينك وكل مما يليك » ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستجب عند الاجتماع لما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فانه إن يقرأ بينهما وله لم يضره الشيطان أبدا »

ومن ههنا يتكشف لك ان القولين عند النجاة في تقدير التعلق بالياء في قوله باسم الله هل هو اسم أو فعل مختار ، وكل قد ورد به القرآن ، إما من قدره باسم تقديره باسم الله ابتدائي فلقوله تعالى (وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسها ان ربي لغفور رحيم) ومن قدره بالفعل أمرا أو خبرا نحو أبدأ باسم الله أو ابتدأت باسم الله فلقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وكلاهما صحيح فان الفعل لا بد له من مصدر فلك ان تقرر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله إن كان قياما أو قصودا أو أكلا أو شربا أو قرآءة أو وضوءا أو صلاة فالتشروع ذكر اسم الله في التشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والله اعلم . ولما روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن بن عباس قال إن أول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قال « يا محمد قل اسمع بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال : قل (بسم الله الرحمن الرحيم) قال : قال جبريل باسم الله يا محمد يقول اقرأ بذكر الله ربك وقم واقصد بذكر الله تعالى » لفظ ابن جرير

وأما مسألة الاسم هل هو للسمي أو غيره فحقها لناس ثلاثة أقوال ، أحدها أن الاسم هو للسمي ، وهو قول أبي عبيدة وسيبويه ، واختاره الباقان وابن فورك وقال الرازي وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الرى في مقدمات تفسيره . قالت الحشوية والكرامية والأشعرية الاسم نفس للسمي وغير نفس التسمية ، وقالت للتمزية الاسم غير للسمي ونفس التسمية ، واختار عندنا ان الاسم غير للسمي وغير التسمية ، ثم قول إن كان المراد بالاسم ههنا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة ، فالعلم الضروري حاصل أنه غير للسمي وإن كان المراد بالاسم ذات السمي ، فهنا يكون من باب إضاح الواضحات وهو عيب ، فثبت ان الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العيب . ثم شرع يستدل على مفاصلة الاسم للسمي ، بأنه قد يكون الاسم موجودا وللسمي مفقودا كلفظة

المدوم وبأنه قد يكون لشيء أسماء متعددة كالترادفة وقد يكون الاسم واحدا وللسميات متعددة كالشترك وذلك دال على تمايز الاسم والسمي وأيضا فالاسم لفظ وهو عرض والسمي قد يكون ذاتا ممكنة أو واجبة بلبانها وأيضا فلفظ النار والتلج لو كان هو للسمي لوجد اللفظ بذلك حر النار أو برد التلج ونحو ذلك ولا يقوله عاقل وأيضا فقد قال الله تعالى (وفي الأسماء الحسنی فادعوه بها) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسما » فهذه أسماء كثيرة والسمي واحد وهو الله تعالى وأيضا فقوله (وفي الأسماء) أشافها إليه كما قال (فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك فالإضافة تنفي للتأثير وقوله تعالى (فادعوه بها) أي فادعوا الله بأسمائه وذلك دليل على أنها غيره واحتج من قال الاسم هو السمي بقوله تعالى (تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام) ولتبارك هو الله تعالى والجواب أن الاسم معظم لتنظيم الذات للقدسة وأيضا فإذا قال الرجل زئب طالق بين امرأته طلقت ولو كان الاسم غير السمي لما وقع الطلاق والجواب أن المراد أن الذات للهاء بهذا الاسم طالق . قال الرازي : وأما التسمية فانها جعل الاسم معنا لهذه الذات فهي غير الاسم أيضا والله أعلم

(الله) علم على الرب تبارك وتعالى يقال إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنی يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى (وفي الأسماء الحسنی فادعوه بها) وقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أنا مائدعوا فله الأسماء الحسنی) وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » وجاء تردادها في رواية الترمذي وابن ماجه وبين الروايتين اختلاف زيادة وقصا وقد ذكر الرازي في تخميره عن بعضهم أن له خمسة آلاف اسم ألف في الكتاب والسنة الصحيحة وألف في التوراة وألف في الأنجيل وألف في الزبور وألف في الأوج المحفوظ وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل يشغل فذهب من ذهب من النحلة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له وقد هله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والحطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم وروى عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة قال الخطابي ألا ترى أنك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلو لا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام وقيل إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤية بن الصلاح .

له در التنايات المسند . سبحن واسترجعن من تألمى
قد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التآله من آله يآله الإلهة وتآله كما روى عن ابن عباس أنه قرأ (ويترك والإهتك) قال عبادتك أي أنه كان يبد ولا يبد وكذا قال مجاهد وغيره وقد استدل بعضهم على كونه مشتقا بقوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الأرض) كما قال تعالى (وهو الذي في السماء وفي الأرض إله) وتله سيبويه عن الخليل ابنه إله مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلا من المجرى قال سيبويه مثل الناس اسمها ناس وقيل أصل الكلمة لا فدخلت الألف واللام للتنظيم وهذا اختيار سيبويه . قال الشاعر :

لا إله غيرك لا تفضلت في حسب • عني ولا أنت داني فتخزوني

قال القرطبي بإلغاء للجمعة أي تقسوسني وقال الكسائي والقراء اسم الله حذفوا المجرى وأدغموا اللام الأولى في الثانية كما قال (لكنا هو الله ربى) أي لكن أنا وقد قرأها كذلك الحسن ، قال القرطبي ثم قيل هو مشتق من وله إذا تبحر والوله ذهب العقل يقال رجل وآله وامرأة وآلى ومولوه إذا أرسل في الصحراء فآله تعالى يحذر أولئك والفكر في تخالف صفاته فعلى هذا يكون ولاه فأبدلت الواو همزة كما قالوا في وخلق أشاع ووسادة أسدة وقال الرازي وقيل أنه مشتق من ألئت أي فلان أي سكنت إليه فالمقول لا تسكن إلا إلى ذكره ، والأرواح لا تضرح إلا بمرعته لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره قال الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا) قال وقيل من لا يلوه إذا احتجب

وقيل اشتقاقه من آله الفصيل أولع بأمه واللعن أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال قال وقيل مشتق من آله الرجل ياله إذا فرغ من أمر نزل به فأله أي أجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل النصار هو الله سبحانه لقوله تعالى (وهو يجير ولا يجار عليه) وهو اللهم لقوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وهو للعلم لقوله تعالى (وهو يعلم ولا يعلم) وهو للوجد لقوله تعالى (قل كل من عند الله) وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتق البتة قال وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوده منها أنه لو كان مشتقا لاشتراك في معناه كثيرون ومنها أن بقية الأسماء تذكر صفات له فتقول الله الرحمن الرحيم للكم القدوس فنقل أنه ليس بمشتق قال فأما قوله تعالى (المزيم الجيد الله) على قراءة الجبر فبطل ذلك من باب عطف البيان ومنها قوله تعالى (هل تعلم لهميا) وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدا غير مشتق نظر والله أعلم.

وحكى الرازي عن بعضهم أن اسم الله تعالى عبراني لا عربي ثم ضمه وهو حقيق بالتضعيف كما قال وقد حكى الرازي هذا القول ثم قال وأعلم أن الخلائق تسميان واسمون إلى ساحل بحر المعرفة ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجبال فكأنهم قد فقدوا قوتهم وأرواحهم وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجلال تاهوا في ميادين الصمدية وبادوا في عرصة القردانية ثبت أن الخلائق كلهم والمؤمن في معرفته، وروى عن الخليل بن أحمد أنه قال لأن الخلق يألوهن إليه بفتح اللام وكسرهما لثلاثين، وقيل إنه مشتق من الارتفاع فكأن العرب تقول لكل شيء مرتفع لاهوا وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس لاهت وقيل إنه مشتق من آله الرجل إذا تعبد وتأله إذ تلتك وقرأ ابن عباس (وبلدك وإلا تلتك) وأصل ذلك الإله فحدثت الهمزة التي هي فاء الكلمة فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أولها لتتصرف فأدغمت إحداها في الأخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة وفخمت تنظيما قيل الله (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه البالغة ورحمن أشد بالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك كما تقدم في الأثر عن عيسى عليه السلام أنه قال والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وزعم بعضهم أنه غير مشتق إذ لو كان كذلك لكانت له أصول يذكر للرحيم وقد قال (وكان بالمؤمنين رحيما) وحكى ابن الأنباري في الزاهر عن البرد أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي وقال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن: وقال أحمد بن يحيى الرحيم عربي والرحمن عبراني فلماذا جمع بينهما قال أبو إسحاق وهذا القول مرغوب عنه وقال القرطبي والدليل على أنه مشتق ما أخرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «قال الله تعالى إنا الرحمن خلقنا الرحم وشققنا لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» قال وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للخالفة والشقاق، قال وانكار العرب لاسم الرحمن لهم بل هو لله وبما وجب له قال القرطبي ثم قيل ما معنى واحد كندمان ونديم لله أبو عبيد وقيل ليس يشاء فلان كنعيل فان فلان لا يقع إلا على مبالغة القتل نحو قولك رجل غضبان للرجل المقتل غضبا وقيل قد يكون بمعنى الفاعل والقول قال أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر رحمة ثم حكى عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا لعله أرفق كما في الحديث «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله وأنه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف» وقال ابن المبارك الرحمن إذا سئل أعطى والرحيم إذا لم يسأل يغضب وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صالح الفارسي الحوزي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من لم يسأل الله يغضب عليه» وقال بعض الشعراء

الله يغضب إن تركت سؤاله
ويؤي آدم حين يسأل يغضب

وقال ابن جرير حدثنا السري بن يحيى التميمي حدثنا عثمان بن زفر سمعت العزمي يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن لجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين قالوا ولهذا قال (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال (الرحمن على العرش

استوى) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليم جميع خلقه برحمته وقال (وكان بالمؤمنين رحمة) فخصهم باسمه الرحمن قالوا
فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لموسى في العارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين لكن جاء في الدعاء
للتأثير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما واسمه تعالى الرحمن خاص به ليس به غيره كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أئجلنا من دون الرحمن آتة
يعيدون) ولا تجهروا مسلمة الكذاب وتسمى برحمن الجامعة كساه الله جلاب الكذب وشعر به فلا يقال إلا مسلمة
الكذاب فصار يضرب به الكل في الكذب بين أهل الحضر من أهل للدر وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب

وقد زعم بعضهم أن الرحمن أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكد به وللكوك لا يكون إلا أقوى من التوك والجواب
أن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب التثنية ولا يلزم فيه ما ذكره وطى هذا فيكون تقدير اسم الله
الذى لم يسم به أحد غيره ووصفه أولا بالرحمن الذى منع من التسمية به غيره كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وإنما تجهروا مسلمة الجامعة في التسمية به ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه
في الضلالة . وأما الرحمن فانه تعالى وصف به غيره حيث قال (قد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) كما وصف غيره بذلك من أسمائه كما قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج
نبتليه فجعلناه سميماً بصيراً) والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن
والخالق والرازق ونحو ذلك فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم لأن التسمية أولا
إنما تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص . فان قيل فلماذا كان الرحمن أشد مبالغة فلهذا اكتفى
به عن الرحمن فقد روى عن عطاء الخراساني ما معناه أنه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن جرى بلفظ الرحمن ليقطع الهم
بذلك فانه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى ، كذا رواه ابن جرير عن عطاء . ووجهه بذلك والله أعلم وقد زعم
بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى رداؤه عليهم ذلك بقوله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء
الحسنى) ولهذا قال كفاقر قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعل اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)
فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم رواه البخاري وفي بعض الروايات لا تعرف الرحمن إلا الرحمن الجامعة وقال تعالى
(وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) والظاهر أن إنكسار هذا إنما
هو وجود وعناد وتمسك في كفرهم فانه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن قال ابن جرير

وقد أنشد بعض الجاهلية الجهال :
ألا ضربت تلك الفتاة هجينا • ألا تضرب الرحمن ربينا

وقال سلامة بن جندب الطهوى :
عجلتم علينا إذ عجلنا عليكم • وما يشاء الرحمن بقدره

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله
ابن عباس قال قال الرحمن القلان من الرحمة هومن كلام العرب وقال (الرحمن الرحيم) الرقيق الرقيق لمن أحب أن يرحمه
والبعيد الشديد على من أحب أن ينف عليه ، وكذلك أمثاله كلها . وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد بن بشير حدثنا
حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن قال الرحمن اسم ممنوع . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان
حدثنا زيد بن الجأني حدثني أبو الأشهب عن الحسن قال الرحمن اسم لا يستطيع الناس أن يتجاوزوه تسمى به
تبارك وتعالى . وقد جاء في حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته حرا حرا (بسم الله الرحمن
الرحيم • الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين) فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة ومنهم من وصلها
بقوله (الحمد لله رب العالمين) وكسرت اللام لانتفاء الساكنين وهم الجمهور وعكس الكسائي من الكوفيين عن بعض
العرب أنها تقرأ بفتح اللام وصلة الحمزة فيقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فنقلوا حركة الحمزة
إلى اللام بعد تسكينها كما قرئ قوله تعالى (ألم الله لا إله إلا هو) قال ابن عطية ولم ترد هذه قراءة عن أحد فبما علمت

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

القرء السبعة على ضم الـال في قوله الحمد لله هو مبتدأ وخبر وروى عن سفيان بن عيينة ورواية بن السراج أنها قالوا (الحمد لله) بالنصب وهو على إظهار ضل وقرأ ابن أبي عمير الحمد لله بضم الـال واللام إتياناً للثنائي الأول ولهواحد لكنه شاذ وعن الحسن وزيد بن علي (الحمد لله) بكسر الـال إتياناً للأول الثاني .

قال أبو جعفر بن جرير معنى (الحمد لله) الشكر لله خالصاً دون سائر ما يبدى من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصها الصمد ، ولا يحيط بمدى غيره أحد ، في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جولج أجسام السالكين لأداء فرائضه مع ما يسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما ينهم عليه وعظام اليه ، من الأسباب للزودية إلى دوام الخلود في دار القام في النعيم القيم ، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً . وقال ابن جرير رحمه الله : الحمد لله ثناء أنثى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يشوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله . قال وقد قيل إن قول القائل الحمد لله ثناء عليه بأبهااته الحسنی وصفاته الطی وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه ثم عرغ في رد ذلك بما حاصه أن جميع أهل اللرفة بلسان العرب يوقون كلاماً من الحمد والشكر مكان الآخر وقد هل السلى هذا للذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية وقال ابن عباس الحمد لله كلمة كل عاكر وقد استبدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل الحمد لله شكراً وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على الحمود بصفاته اللازمة والتعدي والشكر لا يكون إلا على التعدي ويكون بالجان واللسان والأركان كما قال الشاعر

أفادتكم النماء من ثلاثة • يدي ولساني والضمير المجيبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين والتحقيق أن بينهما محوماً وخصوصاً فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقان عليه لأنه يكون على الصفات اللازمة والتعدي ، تقول حمدته لقروسيته وحيدته لكرمه وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقان عليه لأنه يكون بالقول والفضل والنية كما تقدم وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات للتعدي لا يقال لشكرته لقروسيته وتقول شكرته على كرمه وإخسانه إلى . هذا حاصل ما حوهره بعض المتأخرين والله أعلم .

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : الحمد هيشنم تقول حمدت الرجل أحمده حمداً وعمدة فهو حميد وعمود والتحميد أبلغ من الحمد ، والحمد أعم من الشكر ، وقال في الشكر هو الثناء على الحسن بما أولاه من المروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أتصح . وأما اللدح فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحي والحيث والجماد أيضاً كما يبح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبه وعلى الصفات للتعدي واللازمة أيضاً فهو أعم .

ذكر أقوال السلف في الحمد

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو معمر القطيبي حدثنا أبي حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال عمر رضي الله عنه قد علمنا سبحان الله ولا إله إلا الله لما الحمد لله ؟ فقال علي : كلمة رضيها الله لنفسه ، ورواه غير أبي معمر عن خص فقال قال عمر لئى - وأصحابه عنده - لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها لما الحمد لله ؟ قال علي : كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن يقال ، وقال علي بن زيد بن جدعان عن يوسف ابن مهران قال ابن عباس الحمد لله كلمة الشكر وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي . رواه ابن أبي حاتم ، وروى أيضاً هو وابن جرير من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الحمد لله هو الشكر فهو الاستخذاء له والاقترار له بتعته وهدايته وإبدائه وغير ذلك وقال كعب الأحبار الحمد لله ثناء الله وقال الضحاك الحمد لله رداء الرحمن وقد ورد الحديث بنحو ذلك .

قال ابن جرير حدثنا سعيد بن عمرو السكوني حدثنا جبة بن الوليد حدثني عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صبية قال: قال رسول الله ﷺ إذا قلت الحمد لله رب العالمين قد شكرت الله فزدك وقد روى الإمام أحمد بن حنبل حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن بن الأسود بن سريع قال قلت لرسول الله ﷺ ألا أشدك علم حدثت بها ربي تبارك وتعالى فقال «أما إن ربك يحب الحمد» ورواه النسائي عن علي بن حجر عن ابن عليه عن يونس بن عبد العزيز عن الحسن بن الأسود بن سريع به. وروى أبو عيسى الحافظ الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «أفضل الله كرك لا إله إلا الله» وأفضل الدعاء الحمد لله «وقال الترمذي حسن غريب وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما أنتم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ» وقال القرطبي في تفسيره وفي نوادر الأصول عن أنس عن النبي ﷺ قال «لو أن الدنيا عذاق فيرها في يد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك» قال القرطبي وغيره أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا ينفي ونعيم الدنيا لا يبق قال الله تعالى (للذين آمنوا وبالحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبدا من عباد الله قال يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فضلت للملكين فلم يدركا كيف يكتبها فصعدا إلى الله فقالا ياربنا إن عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله وهو أعلم بما قال عبده ماذا قال عبدي؟ قال يارب إنه قال لك الحمد يارب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لها «أكتبها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها» وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا قول العبد الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله لا إله إلا الله لأشغال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد وقال آخرون لا إله إلا الله أفضل لأنها تصل بين الإيمان والكفر وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله كما ثبت في الحديث التثني عليه وفي الحديث الآخر «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له» وقد تقدم عن جابر مرفوعا «أفضل الله كرك لا إله إلا الله» وأفضل الدعاء الحمد لله «وحسنه الترمذي. والألف واللام في الحمد لاستتراق جميع أجناس الحمد وصنوفه ثم تالمى كاجاء في الحديث «الهم لك الحمد كله ولك الملك كله ويندك الخبر كله وإليك يرجع الأمر كله» الحديث

والرب هو الملك للتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى التصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة لقول رب الدار رب كذا وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل إنه الاسم الأعظم. والعالمين جمع عالم وكل قرن منها وجيل يسمى علما أيضا قال بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاک عن ابن عباس (الحمد لله رب العالمين) الحمد لله الذي له الخلق كله السموات والأرض وما بينهما وما فيهن من الجن والانس. وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس: رب الجن والانس وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن جرير وروى عن علي نحوه قال ابن أبي حاتم بإسناده لا يعتمد عليه واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى (ليكون للعالمين نذيرا) وهم الجن والانس قال القراء وأبو عبيد العالم عبارة عما يقبل وهم الانس والجن واللائكة والسايطان ولا يقال لهم عالم. وعن زيد بن أسلم وأبي عبيد العالم كل ماله روح ترفرف. وقال قتادة رب العالمين كل صنف عالم وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن الحكم وهو أحد خلفاء بني أمية وهو يعرف بالجد ويقب بالجار أنه قال خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السموات وأهل الأرض عالم واحد وسائرهم لا يسلمهم إلا الله عز وجل وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالقة في قوله تعالى (رب العالمين) قال الانس عالم والجن عالم وملسوى ذلك ثمانية عشر ألف أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشك - اللائكة على الأرض وللأرض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسة عشر ألف عالم خلقهم الله لعبادته ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وهذا كلام غريب

يحتاج مثله إلى دليل صحيح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الفرات بن الوليد بن - عتب بن ميم عن سبيع بن الحيمري في قوله تعالى (رب العالمين) قال العالمين ألف أمة فسدت في البحر وأربعائة في البر وحكى مثله عن سعيد بن السيب وقد روى نحو هذا مرفوعاً كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد ابن حنبل في الثني في مسنده : حدثنا محمد بن لثمي حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عبيد حدثني محمد بن عيسى بن بكيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال الجراد في سنة من سن عمر النبي صلى الله عليه وآله في فساد عنه فلم يغير شيء فاضتم لذلك فأرسل ركباً يضرب إلى اليمن وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل روى من الجراد شيء أم لا قال فأجاب الركب الذي من قبل اليمن بقية من جراد فالتقاهم بين يديه فلما رأها كبر ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « خلق الله ألف أمة ستمائة في البحر وأربعائة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك تابعت مثل النظام إذا قطع سلكه » محمد بن عيسى هذا وهو المألى ضيف وحكى الباقون عن سعيد بن السيب أنه قال قال الله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعائة في البر وقال وهب بن منبه الله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وقال مقاتل المومنان مائة ألف وقال كعب الأحبار لا يعلم عدد المومنين إلا الله عز وجل لله كله الباقون . وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال إن الله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد منها . وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة قال القرطبي وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله (قال فرعون وما رب العالمين ؟) قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) والعالم مشتق من العلامة (قلت) لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز :

فيا عبداً كيف يصح إلا الله أم كيف يصحده الجاحد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وقوله تعالى (الرحمن الرحيم) تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الاعداد قال القرطبي إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد التهذيب كما قال تعالى (نبأ عبدي آتينا الغفور الرحيم) وأن عبادي هو العذاب الأليم) وقوله تعالى (إن ربك سريع العقاب وإنه لنفور رحيم) قال فالرب فيه تهذيب والرحمن الرحيم ترغيب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قطعت من رحمته أحد)

﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾

قرأ بعض القراء (ملك يوم الدين) وقرأ آخرون (ملك) وكلاهما صحيح متواتر في السبع ويقال ملك بكسر اللام وباسكانها ويقال ملك أيضاً وأشيع نافع كسرة الكاف تقرأ (ملكيوم يوم الدين) وقد رجح كلام القراءتين مرجحون من حيث المعنى وكلتاها صحيحة حسنة ورجح الرخسرى ملك لأنها قراءة أهل الحرمين وقلوه (لمن الملك اليوم) قوله الحق وله الملك) وحكى عن أبي حنيفة أنه قرأ (ملك يوم الدين) على أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جداً وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئاً غريباً حيث قال حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدى حدثنا عبد الوهاب بن عدى بن الفضل عن أبي اللطيف عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرءون (ملك يوم الدين) قال ابن شهاب وأول من أحدث « ملك » مروان (قلت) مروان عنده علم بصحة ما قرأه لم يطلع عليه ابن شهاب والله أعلم . وقد روى من طرق متعددة أوردتها ابن مردويه أن رسول الله ﷺ كان يقرأها (ملك يوم الدين) ومالك مأخوذ من الملك كما قال تعالى (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) وقال (قل اعوذ برب الناس ملك الناس) وملك مأخوذ من الملك كما قال تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وقال (قوله الحق وله الملك) وقال (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً) وتخصيص الملك بيوم الدين لا يفييه مما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك علم

في الدنيا والآخرة وإنما أنشئ إلى يوم الدين لأنه لا يدعى أحد هناك شيئاً ولا يتكلم أحد إلا بأذنه كما قال تعالى (يوم يقوم الروح ولللائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) وقال تعالى (وخشعت الأصوات لرحمن فلا تسمع إلا همساً) وقال تعالى (يوم يأتي لا تكلم ضئ إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد) وقال الضحاك عن ابن عباس (مالك يوم الدين) يقول لاملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكمهم في الدنيا قال ويوم الدين يوم الحساب للخالق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر إلا من عفا عنه وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر وحكى ابن جرير عن بعضهم أنهم ذهبوا إلى أن خير مالك يوم الدين أنه القادر على إقامته ثم شرع ضمنه والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدم وأن كلامنا من القائلين بهذا القول وما قبله يترفع بصحة القول الآخر ولا ينكره ولكن السياق أدل على الثاني من هذا كما قال تعالى (للذي يومئذ الحق للرحمن وكان يومنا على الكافرين عسيراً) والقول الثاني يشبه قوله تعالى (ويوم يقول كن فيكون) والله أعلم . ولللك في الحقيقة هو الله عز وجل قال الله تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو للذي القادوس السلام) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً « أُنشئ اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك والاملاك إلا الله » وفيما عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقبض الله الأرض ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا لللك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين الشكبرون ؟ » وفي القرآن العظيم (لمن لللك اليوم ؟ له الواحد القهار) فلما تسمية غيره في الدنيا علك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى (إن الله قد بث لكم طلوت ملكاً) (وكان وراءهم ملك) (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً) وفي الصحيحين « مثل الملوك على الأسرة » .

والدين الجزاء والحساب كما قال تعالى (يومئذ يوفىهم الله دينهم الحق) وقال (إنما للمدينون) أى جزيون محاسبون وفي الحديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » أى حاسب نفسه كما قال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا ونظروا أنفسكم قبل أن تموتوا وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) .

﴿ إِنَّا كُنَّا نَبِيُّكَ وَإِنَّكَ لَنَسْتَعِينُ ﴾

قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من إليك وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مردودة لأن لياضه الشمس وقرأ بعضهم بإيالك ففتح الحمزة وتشديد الياء وقرأ بعضهم هياك بالهاء بدل الحمزة كما قال الشاعر :

فهيالك والأمر اللهى إن تراحت موأرده ضاقت عليك مصادره

ونستعين بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب والأعمش فإنهما كسراها وهي لغة بني أسد وريمية وبني تميم ، والعبادة في اللغة من الله يقال طريق معبد وبير معبد أى مذل وفي الترح عبادة عما يجمع كمال المحبة والخشوع والخوف . وقدم للقول وهو إليك وكرر للاهتمام والحرص أى لانصبة إلا إليك ولا تتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة . والدين كله يرجع إلى هذين اللتين ، وهذا كما قال بعض السلف التابعة سر القرآن وسرها هذه الكلمة (إليك نريد وإليك نستعين) فالأول تبرؤ من الشرك والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى (فاعبه وتوكل عليه وبارك بما نازل مما تعملون) (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) (رب للشرق والغرب لإله إلا هو فاتخذه وكيلاً) وكذلك هذه الآية الكريمة (إليك نريد وإليك نستعين) ونحو الكلام من التوبة إلى الواجبة بكاف الخطأ وهو مناسبة لأنه لما أتى على الله فكأنه اقترب وحضرين يدى الله تعالى فلذلك قال (إليك نريد وإليك نستعين) وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالتاء على شفه الكريمة يمجيد صفاته الحسنى وإرشاد لعباده بأن يتوكلوا عليه بذلك ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »

وفي صحيح مسلم من حديث الملا بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ
 « يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولبيدي ما سأل إذا قال العبد
 (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي ، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أتى على عبدي ، فإذا قال (مالك يوم
 الدين) قال الله حمدني عبدي ، وإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدي ولبيدي ما سأل ، فإذا قال
 (اهدنا الصراط المستقيم) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال هذا لعبدي ولبيدي ما سأل »
 وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (إياك نعبد) يعني إياك نوحده ونخاف ونرجو لك ياربنا لا غيرك (وإياك
 نستعين) على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة (إياك نعبد وإياك نستعين) بأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن
 تستعينوه على أموركم وإنما قلتم (إياك نعبد) على (وإياك نستعين) لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها
 والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم والله أعلم . فان قيل : فما معنى التوكل في قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)
 فان كانت للجمع فالله واحد وإن كانت للتعظيم فلا ينسب هذا للقاء ؟ وقد أجيب بأن المراد من ذلك الاخبار
 عن جنس العباد والمسلم فرد منهم ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة
 التي خلقوا لأجلها وتوسط لهم غير ومنهم من قال يجوز أن تكون التعظيم كأن العبد قيل له إذا كنت داخل العبادة
 فأنت شريف وجهلك عرض قل (إياك نعبد وإياك نستعين) وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا
 ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لا تحتاج الجميع إلى الله عز وجل وقهرهم إليه . ومنهم من قال إياك نعبد ألفت
 في التواضع من إياك عبدا لما في الثاني من تعظيم نفسه من جله نفسه وحده أملا لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع
 أحد أن يعبده حق عبادته ولا يلقى عليه كما يليق به والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لا تنساب إلى جناب الله تعالى
 كما قال بعضهم :
 لا تمنعني إلا يعابها فانه أشرف أسامي

وقد سمى الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)
 (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) (سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا) فسماه عبداً عند أنزاله عليه وعند قيامه في الدعوة وإسراؤه
 به وأرسله إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك
 بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) وعبديك حتى يأتيك اليقين) وقد حكى الرازي في تفسيره
 عن بعضهم أن مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحق والرسالة من الحق إلى
 الخلق ؛ قال ولأن الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمته ، وهذا القول خطأ والنوحيه أيضا ضعيف
 لاحاصل له ولم تعرض له الرازي بضعيف ولارد . وقال بعض الصوفية العبادة إما لتحصيل ثواب أو درء عقاب
 قالوا وهذا ليس بباطل إذ مقصوده تحصيل مقصوده ، وإما للتشريف بتكاليف الله تعالى وهذا أيضا عندهم ضعيف
 بل المألى أن يعبد الله لذاته القدسة الموصوفة بالكمال قالوا ولهذا يقول المصلي : أسئلكم لهذا ولأنك تحصيل الثواب
 ودرء العقاب لبطلت الصلاة وقد رد ذلك عليهم آخرون وقالوا : كون العبادة لله عز وجل لا ينافي أن يطلب معها
 ثوابا ولا أن يدفع عذابا كما قال ذلك الأعرجي : أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ إنما أسأل الله الجنة
 وأعوذ به من النار فقال النبي ﷺ « حولها تدندن »

(اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

قراءة الجمهور بالصاد وقرئ الصراط وقرئ بالزاي قال الفراء وهي لغة بني عدوة وفي كل ما تقدم التمام على
 المسؤل تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال « نصفها لي ونصفها لعبدي ولبيدي ما سأل » وهذا أكمل
 أحوال المسأل أن يمدح مشو له ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله (اهدنا الصراط المستقيم) لأنه أجمع
 للحاجة وأجمع للإجابة ولهذا أرشد الله إليه لأنه الأكمل وقد يكون السؤال بالأخبار عن حال السائل واحتياجه كما

قال موسى عليه السلام (رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير) وقد تقدم مع ذلك وصف مشلول كقول نبي النون (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) وقد يكون مجرد التثناء على المشلول كقول الشاعر :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء إذا أثني عليك المرء يوما كفه من تعرضه التناء

والهداية ههنا الإرشاد والتوفيق وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا (اهدنا الصراط للستيم) فتضمن معنى الهدى أو وقتنا أو أرفقنا أو أعطنا (وهديناه التجدين) أى بينا له الخير والشر وقد تعدى إلى كقوله تعالى (اجتنبوا هذاه إلى صراط مستقيم) (فاهدوم إلى صراط الجحيم) وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة وكذلك قوله (وإنك تهدي إلى صراط مستقيم) وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة (الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى وقتنا لهذا وجعلنا له أهلا .

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير أجمت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذى لأعوجاج فيه وذلك فى لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطمى :

أمر المؤمنين على صراط إذا أعوج للورد مستقيم

قال والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر قال ثم تستير العرب الصراط فتستعمله فى كل قول وعمل ووصف باستقامة أو أعوجاج فتصف للستيم باستقامة والمعوج بأعوجاجه .

ثم اختلفت عبارات التفسيرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصلها إلى معنى واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروى أنه كتاب الله قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني يحيى بن يمان عن حمزة الزيات عن سعيد وهو ابن المختار الطائى عن ابن أخى الحارث الأعور عن الحارث الأعور عن طى بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الصراط للستيم كتاب الله » وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة ابن حبيب الزيات وقد تقدم فى فضائل القرآن فيها رواه أحمد والترمذى من رواية الحارث الأعور عن طى مرفوعاً « وهو جبل الله للئين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط للستيم » وقد روى موقوفاً على على رضى الله عنه وهو أخيه والله أعلم وقال الثورى عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله قال الصراط للستيم كتاب الله : وقيل هو الاسلام قال الضحاك عن ابن عباس قال : قال جبريل لمحمد عليهما السلام « قل يا محمد اهدنا الصراط للستيم » يقول الهنا الطريق المادى وهو دين الله الذى لأعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس فى قوله تعالى (اهدنا الصراط للستيم) قال ذلك الاسلام وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الحمداى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ اهدنا الصراط للستيم قالوا هو الاسلام وقال عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر اهدنا الصراط للستيم قال هو الاسلام أوسع مما بين السماء والأرض وقال ابن الحنفية فى قوله تعالى اهدنا الصراط للستيم قال هو دين الله الذى لا يقبل من العبادة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط للستيم قال هو الاسلام وفى هذا الحديث الذى رواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث بن عيسى بن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً على جنيت الصراط سوران فهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تنفروا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه - فأنك إن تفتحه تلج - فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والأبواب الفتحة عارم الله وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله والى الله من فوق الصراط واعطى الله فى قلب كل مسلم » وهكذا رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد ورواه الترمذى والنسائى جميعاً عن على بن حجر عن قية عن مجير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به . وهو إسناده حسن صحيح والله أعلم . وقال مجاهد اهدنا الصراط للستيم قال الحق وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم وروى ابن أبى حاتم وابن جرير من حديث أبى النضر هاشم بن القاسم أنا حمزة بن اليسيرة عن عاصم

الأحول عن أبي العالية (اهدنا الصراط المستقيم) قال هو النبي ﷺ . وصاحبه من يمهده قال عاصم فذكرنا ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح . وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة فإن من اتبع النبي ﷺ واتقى بالذين من يمهده أي بكر وعمر قد اتبع الحق ومن اتبع الحق قد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وجهه التبين وصراطه المستقيم فكلها صحيحة يسدق بعضها بعضا وفي الحمد وقال الطبراني حدثنا محمد بن الفضل السقطي حدثنا إبراهيم بن مهدي السعدي حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم الذي تركناه عليه رسول الله ﷺ . ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أغنى - اهدنا الصراط المستقيم - أن يكون معناه به وفقنا للثبات على ما ارتضيناه ووقفت له من أنتمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق للموفق له من أنتم الله عليهم من التبيين والصدقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام وتصدق الرسل والتسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع مناج النبي ﷺ ومناج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم .

(فان قيل) فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك ؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟

فالجواب أن لا ، ولولا احتياجه ليلا ونهارا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبته على الهداية ورسوخه فيها وبصره وازدياده منها واستمراره عليها فإن العبد لا يملك لنفسه شئ ولا ضرا إلا ما شاء الله فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمهده بالمعونة والثبات والتوفيق فالسيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فانه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ولا سيما للضرر المحتاج للتفكير إليه أثناء الليل وأطراف النهار وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) الآية فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن للراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال الصالحة على ذلك والله أعلم . وقال تعالى أمرا لعباده المؤمنين أن يقولوا (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرا فمضى قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) استمر بنا عليه ولا تميل بنا إلى غيره

(صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

قد تقدم الحديث في إذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها أن الله يقول « هذا لمبدي ولمبدي ماسأل » وقوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) مفسر لاصراط المستقيم وهو يدل منه عند النجاة ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم . والذين أنعم الله عليهم هم للذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما) وقال الضحاك عن ابن عباس صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصدقيين والشهداء والصالحين وذلك نظير ما قال ربنا تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (صراط الذين أنعمت عليهم) قال هم النبيون وقال ابن جريج عن ابن عباس هم المؤمنون ، وكذا قال مجاهد وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم النبي ﷺ ومن معه والتفسير للتعلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أعم وأشمل والله أعلم .

وقوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قرأ الجمهور غير بالجر على التثنية قال الخضرى وقرأ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في

عليهم والمائل أنعمت واللى اهدنا الصراط للستقم صراط الدين أنعمت عليهم من شتمهم وصنهم ونهتهم وم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسه واستمال أوامره وترك نواهيه وزواجه غير صراط للتضوب عليهم وم الدين فعدت إرادتهم فملوا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وم الدين تقدا العلم فهم هائون في الضلالة لا يبتدون إلى الحق . وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين وما طريقة اليهود والنصارى وقد زعم بعض النجاة أن غير ههنا استثنائية فيكون على هذا منقطعا لاستقائهم من اللتم عليهم وليسوا منهم وما أوردناه أولى بقول الشاعر :

كانك من جمال بن آقيش • يقطع عند رجليه بفن

أى كأنك حمل من جمال بن آقيش فحلف الموصوف واكتفى بالصفة وهكذا غير التضوب عليهم أى غير صراط للتضوب عليهم اكتفى بالمضاف اليه عن ذكر المضاف وقد دل على سياق الكلام وهو قوله تعالى (اهدنا الصراط للستقم صراط الدين أنعمت عليهم) ثم قال تعالى (غير للتضوب عليهم) ومنهم من زعم أن لا فى قوله تعالى ولا الضالين زائدة وأن تقدير الكلام عنده غير للتضوب عليهم والضالين واستشهد بيت الصباغ

فى يش لا حور • سعى وما شمر

أى فى شر حور والصحيح ما قنعناه ولمننا روى أبو عبد الله القاسم بن سلام فى كتاب فضائل القرآن عن أنبياء معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقرأ غير للتضوب عليهم وغير الضالين وهذا إسناد صحيح وكذلك حكى عن أبى بن كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على أنه صدر منها على وجه التفسير . فيدل على ما قلناه من أنه إنما جرى بلاماً كيلاً فى ثلاثيتهم أنه مطوف على الدين أنعمت عليهم وللفرق بين الطريقتين ليجنب كل واحد منهما أن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود تقدا العلم والنصارى تقدا العلم ولمننا كان الضوب اليهود والضلال للنصارى لأن من علم وترك استحق الضوب بخلاف من لم يعلم والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يبتدون إلى طريقه لانهم لم يأثروا الأمر من بابيه وهو اتباع الحق ضلوا وكل من اليهود والنصارى ضال مضوب عليه لكن أضس أوصاف اليهود الضوب كما قال تعالى عنهم (من لعنه الله وفضب عليه) وأضس أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين فبا قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت ساءك بن حرب يقول سمعت عباد بن حيش يحدث عن عدى بن حاتم قال جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا عمتى وناساً فلما أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صفوا له فقال يارسول الله : نأى الوافد واقطع الولد وأنا عجزو كبيرة ما فى من خدمة فمن على من الله عليك قال « من وافدك ؟ » قالت عدى بن حاتم قال « الذى فرمن الله ورسوله » قالت فمن على فلما رجع ورجل إلى جنبه رى أنه على قال سلبه حملانا فسأته فأمر لها قال فأتيتى فقال قد فملت فلة ما كان أبوك يفعلها فأنه قد أتته فلان فأصاب منه وأناة فلان فأصاب منه فأبته فأنه فأنه امرأة وصبيان وذكر قريهم من النبي ﷺ قال فرغت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر فقال يا عدى ما أفرك ؟ أن قال لا إله إلا الله ؟ فهل من إله إلا الله ما أفرك ؟ أن قال الله أكبر فهل شىء أكبر من الله عز وجل قال فأسألت فرأيت وجهه استبشر وقال إن للتضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى وذكر الحديث ورواه الترمذى من حديث ساءك بن حرب وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه (قلت) وقد رواء حماد بن سلمة عن ساءك عن مري بن قطرى عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (غير للتضوب عليهم) قال هم اليهود (ولا الضالين) قال النصارى هم الضالون وهكذا رواء سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبى خاله عن الشعبي عن عدى بن حاتم به وقد روى حديث عدى هذا من طرق وله الفاظ كثيرة يطول ذكرها وقال عبد الرزاق أنا معمر بن بديل القيلي الخبزي عبد الله بن شقيق أنه أخبره من مبع رسول الله ﷺ وهو بوادى القرى على فرسه وسأله رجل من بنى القين فقال يارسول الله من هؤلاء قال للتضوب عليهم وأشار إلى اليهود والضالون هم النصارى وقد رواء الجبرى

وعروة وخالد الحنفاء عن عبد الله بن شقيق فأرسلوه ولم يذكروا من سمع النبي ﷺ ووقع في رواية عروة
تسمية عبد الله بن عمرو **عروة** أعلم وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله
ابن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن المنسوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قال النصارى
وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الحمداي عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب
النبي ﷺ غير المنسوب عليهم اليهود ولا الضالين هم النصارى وقال الضحاك وابن جرير عن ابن عباس
غير المنسوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وكذلك قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير
واحد وقال ابن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافا وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود منسوب عليهم
والنصارى ضالون الحديث للتقدم وقوله تعالى في خطاب مع بني إسرائيل في سورة البقرة (بئس ما تشركوا به أنفسهم أن
يكفروا بما أنزل الله بيا أن يزل الله من فضله على من يشاء من عباده فإبادي غضبوا بغضب الله لئلا يفتنهم الله
وقال في الثالثة (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد
الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) وقال تعالى (لن الدين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود
وعيسى بن حرم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفي السيرة
عن زيد بن عمرو بن قنيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود إنك لن
تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بصيكت من غضب الله فقال أنا من غضب الله أفر وقالت له النصارى إنك لن تستطيع
الدخول معنا حتى تأخذ بصيكت من سخط الله فقال لا أستطيع فاستمر على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين
الشركيين ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى وأما أصحابه فتصصروا ودخلوا في دين النصارى لأنهم وجدوه
أقرب من دين اليهود إذ ذاك وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما يشتهى بما وجد من الوحي رضى الله عنه
(مسئلة) والصحيح من ملهذه العلماء أنه ينشأ الاختلاف بتحرير ما بين الضاد والظاء والقرب عجزهما وذلك
أن الضاد خرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأخراس وخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الشيا العليا
ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف الطيبة فلهذا كله اغترس استعمال
أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد فلا أصل له والله أعلم

(فصل) اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيد الله والثناء عليه بذكر أسماؤه الحسنى
للتسليم لصفاته العليا وعلى ذكر للمعاد وهو يوم الدين وعلى إرشاده عبده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرؤ من
حولم وقوتهم وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو عائل
وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وتبئيتهم عليه حتى يقضى لهم بذلك إلى جواز الصراط
الحسية يوم القيامة المقضى بهم إلى جنات النعيم في جوار التبيين والصدقين والشهداء والصالحين ، واشتملت على
الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مساك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم
القيامة وهم المنسوب عليهم والضالون وما أحسن مجاء إسناد الانتماء إليه في قوله تعالى (صراط الدين أنست عليهم
غير المنسوب عليهم) وحذف الفاعل في الضب في قوله تعالى (غير المنسوب عليهم) وإن كان هو الفاعل لذلك في
الحقيقة كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) الآية وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإرت
كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى (فمن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن نجده وليا مرشدا) وقال (من يضلل الله
فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والضلال
لا كما تقول الفرقة القدسية ومن هذا جنوم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويضلونه ويحشرون على بدعتهم بمشابهة
من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم : وهذا حال أهل الضلال والتي وقد ورد في الحديث الصحيح
«لما رأيت الدين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» يعني في قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) فليس ، محمد الله ، لِمَتَّبِعِ فِي الْقِرَاءَةِ حِجَابَ صَحِيحَةٍ لِأَنَّ الْقِرَاءَانَ جَاءَ لِفَصْلِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ مَفْرَقًا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

(فصل) يستحب لمن قرأ فاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس ويقال آمين بالقصر أيضا ومعناه اللهم استجب والدليل على استحباب التأمين ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال سمعت النبي ﷺ قرأ (غير للتضروب عليهم ولا الضالين) فقال آمين مد بها سوته ، ولأبي داود رفع بها سوته ، وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى عن علي وابن مسعود وغيرهم . وعن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ إذا تلا (غير للتضروب عليهم ولا الضالين) قال « آمين » حتى يسمع من يليه من الصف الأول رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه فيرتج بها للسجد . والدارقطني وقال . هذا إسناد حسن . وعن بلال أنه قال : يا رسول الله لا تسبقني بآمين رواه أبو داود وشغل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق أنهما شجدا الميم من آمين مثل (آمين البيت الحرام) قال أصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد في حق المصلّي ، وسواء كان منفردا أو إماما أو مأموما وفي جميع الأحوال لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » ولمسلم أن رسول الله ﷺ قال « إذا قال أحدكم في الصلاة آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه » قيل يعني من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان وقيل في الإجابة وقيل في صفة الاخلاص وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا « إذا قال - يعني الإمام - ولا الضالين يقولوا آمين بحمك الله » وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قلت يا رسول الله ما معنى آمين ؟ قال « رب اقبل » وقال الجوهري معنى آمين كذلك فليكن . وقال الترمذي معناه لا تخبر رجاءنا . وقال الأكثرون معناه اللهم استجب لنا . وحكي القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف أن آمين اسم من أسماء الله تعالى وروى عن ابن عباس مرفوعا ولا يصح فأجاب بكر ابن العربي للملكي . وقال أصحاب مالك لا يؤمن الإمام ويؤمن للأموم لما رواه مالك عن سبي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « وإذا قال - يعني الإمام - ولا الضالين يقولوا آمين » الحديث واستأنسوا أيضا بحديث أبي موسى عند مسلم « وإذا قرأ ولا الضالين يقولوا آمين » وقدمنا في التلخيص عليه « إذا أمن الإمام فأمنوا » وأنه عليه الصلاة والسلام كان يؤمن إذا قرأ (غير للتضروب عليهم ولا الضالين) وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للأموم في الجهرية وحاصل الخلاف أن الإمام إن نسي التأمين جهر للأموم به قولا واحدا وإن أمن الإمام جهر فالجديد أنه لا يجهر للأموم وهو منذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك لأنه ذكر من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة . والقديم أنه يجهر به وهو منذهب الإمام أحمد بن حنبل والرواية الأخرى عن مالك لما تقدم « حتى يرتج للسجد » ولما قول آخر ثالث أنه إن كان السجد صفيرا لم يجهر للأموم لأنهم يسمعون قراءة الإمام وإن كان كبيرا جهر ليبلغ التأمين من في أرجاء المسجد والله أعلم . وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال « إني لم يمسدونا على شيء كما يمسدوننا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين » ورواه ابن ماجه ولفظه « ما حدثك اليهود على شيء ما حدثك على السلام والتأمين » وله عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما حدثك اليهود على شيء ما حدثك على قول آمين فأكثروا من قول آمين » وفي إسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف وروى ابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « آمين خام رب العالمين على عباده المؤمنين » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يسل أحد قبلي إلا أن يكون موسى كان موسى يدعو وهرون يؤمن فآختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيب لكم » (قلت) ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا

الغضب الأليم » قال قد أجبت دعوتكما فاستقبيا ولا تفتنان سبل الذين لا يملكون) فذكر البهاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هرون آمن فنزل منزلة من دعا قوله تعالى (قد أجبت دعوتكما) فدل ذلك على أن من آمن على دعاء فكأنما قاله فلماذا قال من قال إن المأموم لا يقرأ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ولهذا جاء في الحديث « من كان له إمام فقرأه الإمام له قراءة » رواه أحمد في مسنده وكان بلال يقول لاستبقي بآمين يارسول الله . فدل هذا النزاع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية والله أعلم ولهذا قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن ليث عن ابن أبي سليم عن كعب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قال الإمام غير للتصويب عليهم ولا الضالين ، فقال آمين ، فوافق آمين أهل الأرض آمين أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه ومثل من لا يقول آمين يقتل رجل غزاع قوم فاقترعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم أخرج سهمي ؟ قيل إنك لم تقل آمين »

(بسم الله الرحمن الرحيم) * رب يسر وأعن يا كريم *

تفسير سورة البقرة

(ذكر ما ورد في ضلها) قال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا متمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن مقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال « البقرة سننام القرآن ونذوته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت (الله لا إله إلا هو الخ القيوم) من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريده الله والدار الآخرة لا غفر له وأقرؤها على موتاكم » انقرد به أحمد وقد رواه أحمد أيضا عن عارم عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان - وليس بالثقة - عن أبيه عن مقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ « أقرءوها على موتاكم » يعني يس . فقد تبينا بهذا الاسناد معرفة للهم في الرواية الأولى . وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة في الرواية الثانية أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وقد روى الترمذي من حديث حكيم بن جبير وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لكل شيء سننام وإن سننام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي » وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تجعلوا بيوتكم قبورا فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان » وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه » سنان بن سعد ويقال بالعكس وقعه ابن معين واستنكر حديثه أحمد بن حنبل وغيره . وقال أبو عبيد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا أبو إسحاق الترمذي حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « لا آفة من آفة آدمك يضع إحدى رجله على الأخرى يعني ويدع سورة البقرة يقرؤها فإن الشيطان يفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة وإن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله » وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن نصر عن أيوب بن سليمان به وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان وله ضراط وقال إن لكل شيء سنناما وإن سننام القرآن سورة البقرة وإن لكل شيء بابا وإن باب القرآن للفصل . وروى أيضا من طريق الشعبي قال : قال عبد الله بن مسعود من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان

تلك الآية ، أربع من أولها وآية الكرسي ، وآيتين بعدها ، وثلاث آيات من آخرها ، وفي رواية لم يقره ولا أهله يومئذ
 شيطان . ولا شيء يكرهه ولا يقرآن على جنون إلا أفاق . وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ
 « إن لكل شيء ستاما وإن ستام القرآن البقرة وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليل من قرأها في بيته
 نهرا لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام » رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم وابن حبان في صحاحه وابن مردويه عن حديث
 الأزرقي بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا خالد بن سعيد اللدني عن أبي حازم عن سهل بن جعفر عن سعيد اللدني عن عطاء مولى
 أبي أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « يث رسول الله ﷺ بثنا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد
 منهم مائة من القرآن تأتي على رجل من أحدتهم ستا فقال مامك يا فلان فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال
 أمك سورة البقرة ؟ قال نعم قال : انذهب فأنت أميرهم » قال رجل من أشرافهم والله ما منعتني أن أتم سورة البقرة
 إلا أني خشيت أن لا أقوم بها . قال رسول الله ﷺ « تملوا القرآن واقرووه فإن مثل القرآن لمن تملسه
 قرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يروح ريحه في كل مكان ومثل من تملسه فيقوده وهو في جوفه كمثل جراب أوكى
 على مسك » هذا لفظ رواية الترمذي ثم قال هذا حديث حسن ثم رواه من حديث الألبان عن سعيد بن عطاء مولى أبي أحمد
 مرسلنا والله أعلم قال البخاري وقال الألبان حديثي يزيد بن الحارث عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال بينا
 هو يقرأ من الليل سورة البقرة - وفروسه مربوطة عنده - إذ جالت الفرس ، فكفت فكفت ، فقرأ فجالت الفرس ،
 فكفت فكفت ثم قرأ فجالت الفرس ، فأنصرف ، وكان ابنه يحيى قريبا منها . فأشفق أن تصيبه فلما أخذ يرفع رأسه إلى
 السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال « اقرأ يا ابن حنظل » قال قد اشتقت يا رسول الله ﷺ على يحيى وكان منها
 قريبا فرفعت رأسي وانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فلما مثل الطلقة فيها أمثال المصاييح فخرجت حتى لا أراها قال
 « وتندري ماذا ؟ » قال لا قال « تلك لللائكة دنت لسموك ولوقرات لاصبحت ينظر الناس إليها اتوا ربيهم » وهكذا
 رواه الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عبيد الله بن صالح ويحيى بن بكير عن الألبان .
 وقد روى من وجه آخر عن أسيد بن حضير كما تقدم والله اعلم . وقد وقع نحو من هذا ثابت بن قيس بن همام رضي الله
 عنه وذلك فيما رواه أبو عبيد حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن زيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه
 « أن رسول الله ﷺ قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن همام لم تزل تداره البارحة تزهو مصاييح قال « فلمه قرأ
 سورة البقرة » قال فسألت ثابتا فقال قرأت سورة البقرة » وهذا إسناد جيد إلا أن فيه إلهاما ثم هو مرسل والله أعلم

(ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران)

قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي
 ﷺ فسمعت يقول « تملوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » قال ثم
 سكنت ساعة ثم قال « تملوا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان يظلمان صاحبهما يوم القيامة كاتهما غمامتان
 أو غيابتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول
 له هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أعطاك في الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر
 من وراء تجارتك وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى للآل يمينا والحد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوفاء ويكسى
 والهاء حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسبنا هذا فيقال بأخذوك كما أقرآن ثم يقال اقرأ واسعد في درج
 الجنة وغرفناهم في سود مدام يقرأ هذا آكان أو ترتيلا » وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بشه وهذا
 إسناد حسن على شرط مسلم فإن بشرًا هذا خرج له مسلم ووجه ابن معين وقال النسائي ما به بأس إلا أن الإمام أحمد
 قال فيه هو منكرو الحديث قد اعتبرت أحاديثه فلذا هي تأتي بالمعجب وقال البخاري يخالف في بعض حديثه وقال أبو حاتم

الرازي يكتب حديثه ولا يهتج به وقال ابن عدى روى مالا يتابع عليه وقال الدار قطنى ليس بالقوى (قلت) ولكن لبعضه شواهد فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا هشام عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «اقرأوا القرآن فانه شافع لأهله يوم القيامة اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غياضتان أو كأنهما لفرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما يوم القيامة ثم قال اقرأوا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة وقد رواه مسلم في الصلاة من حديث معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام مطور الحبشي عن أبي أمامة سدى بن عجلان الباهلي به . الزهراوان : للتيرتان ، والقيامة : ما أظلك من فوقك ، والفرق : القطع من الشيء ، والصواف : الصطفة للتضامة ؛ والبطلة السحرة ؛ ومعنى لاستطيعها أى لا يمكنكم حفظها وقيل لاستطيع النفوذ في قلوبها والله أعلم . ومن ذلك حديث النواس بن سمعان قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاب عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن شير قال سمعت النواس بن سمعان الكلبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران» وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال منسيين بعد قال «كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما» ورواه مسلم عن إسحاق بن منصور عن يزيد بن عبد ربه به ، والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشي به وقال حسن غرب ، وقال أبو عبيد حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير قال : قال حماد أحسب عن أبي منيب عن حمه أن رجلا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب أقرأت البقرة وآل عمران ؟ قال نعم قال فوالذي نفسى بيده إن فيها اسم الله الذي إذا نسي به استجاب . قال فأخبرني به قال لا والله لا أخبرك به ولو أخبرتك به لأوفكت أن تدعوه بدعوة أهلك فيها أنا وأنت ، وحدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن سلم بن عامر انه سمع ابا امامة يقول إن أنأا لكم ارى في المنام ان الناس يسلكون في صندج جبل وعمر طويل وعلى راس الجبل شجرتان خضراوان يهتفان هل فيكم قارىء يقرأ سورة البقرة ؟ وهل فيكم قارىء يقرأ سورة آل عمران ؟ قال فاذا قال الرجل نعم دنا منه بأعناقهما حتى يتلقى بهما فيخطران به الجبل : وحدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن ابي عمران انسمع ام الدرداء تقول إن رجلا ممن قرأ القرآن اغار على جاره فقتله وإنه اقيد به قتل فزال القرآن ينزل منه سورة سورة حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة ثم إن آل عمران انسلت منه وأقامت البقرة جمعة فقبل لها (مايدل القول لدى وما أنا بظلام للميد) قال فخرجت كأنها السحابة العظيمة قال أبو عبيد أراه يعنى أنهما كانتا معه في قبره يدفنان عنه ويؤسانه فكاتا من آخر مايقى معه من القرآن . وقال أيضاً حدثنا أبو مسهر القسائي عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي أن يزيد بن الأسود الجرشي كان يحدث أنه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برى من النفاق حتى يمسي ومن قرأهما في ليلة برى من النفاق حتى يصبح قال فكان يقرأهما كل يوم وليلة سوى جمعه . وحدثنا يزيد بن ورقاء ابن لياس عن سعيد بن جبير قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان أو كتب من القاتنين . فيه اشطاع ولكن ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعة واحدة

﴿ ذكر ماورد في فضل السبع الطول ﴾

قال أبو عبيد حدثنا هشام بن اسماعيل المشقي عن محمد بن شعيب عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن وائلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال «أعطيت السبع الطول مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الانجيل وأعطيت المئتان مكان الزبور وفضلت بالفصل» هذا حديث غريب وسعيد بن أبي بشير فيه لين وقد رواه أبو عبيد عن عبد الله بن صالح عن الليث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا أن رسول الله ﷺ قال فذكره والله

أعلم ثم قال حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى للطلب بن عبد الله بن حبيب بن هند الأسدي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال « من أخذ السبع فهو حبر » وهذا أيضا غريب وحبيب بن هذين إسماعيل بن هند بن حارثة الأسدي وروى عنه عمرو بن عمرو^(١) وعبد الله بن أبي بكرة وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحا فافقنا أعلم. وقدرناه الأمام أحمد عن سليمان بن داود وحسين كلاهما عن إسماعيل بن جعفر بهوراه أيضا عن أبي سعيد عن سليمان بن بلال عن حبيب بن هند عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر » قال أحمد وحدثنا حسين حدثنا ابن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله قال عبد الله بن أحمد وهذا أرى فيه عن أبيه عن الأعرج ولكن كذا كان في الكتاب فلا أدري أغفله أبي أو^(٢) كذا هو مرسل وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ بث بينا وهم ذوو عدد وقم عليهم أحذثهم سنا حفظه سورة البقرة وقال له « اذهب فأنث أميرهم » وصححه الترمذي ثم قال أبو عبيد حدثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) قال هي السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء واللائدة والأأنام والأعراف ويونس قال : وقال مجاهد هي السبع الطول وهكذا قال مكحول وعطية بن قيس وأبو محمد الفارسي وشداد بن أوس ويحيى بن الحارث النعماني في تفسير الآية بذلك وفي تعداده وأن يونس هي السابعة .

• (فصل) والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف وهي من أوائل ما نزل بها لكن قوله تعالى فيه (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) الآية يقال إنها آخر ما نزل من القرآن وعتمل أن تكون منها وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل وكان خالد بن معدان يسمى البقرة فسطاط القرآن قال بسى السماء وهي مشتملة على ألف خبر وألف أمر وألف نهى وقال المادون آياتها مائتان ومائون وسبع آيات وكلها ستة آلاف كلمة ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وحروفها خمسة وعشرون ألفا وخمسة آلاف حرف فافقنا أعلم . قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وقال خفيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير قال نزلت بالمدينة سورة البقرة وقال الواقدي حدثني الضحاك بن عثمان عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال نزلت البقرة بالمدينة وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه . وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا الحسن بن علي بن الوليد الفارسي حدثنا خلف بن هشام وحدثنا عيسى بن ميمون عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تتولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله » هذا حديث غريب لا يصح رفعه وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص وهو ضعيف الرواية لا ينجح به وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه روى البقرة من بطن لؤدي فحصل البيت عن يساره ومضى عن يمينه ثم قال هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة أخرجه ، وروى ابن مردويه من حديث شعبة عن عقيل بن طلحة عن حنيفة بن مرثد قال رأى النبي ﷺ في أصحابه تأخراً فقال « يا أصحاب سورة البقرة » وأظن هذا كان يوم حنين يوم ولوا مدبرين أمر العباس فتادهم « يا أصحاب الشجرة » يعني أهل يمة الرضوان وفي رواية « يا أصحاب سورة البقرة » لينشطهم بذلك فحصلوا يقبلون من كل وجه وكذلك يوم الجلاء مع أصحاب مسيلة جبل الصعابة يفرّون لكافة جيش بني حنيفة فحصل للهاجرون والأنصار يتنادون يا أصحاب سورة البقرة حتى فتح الله عليهم رضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

قد اختلف المفسرون في الحروف اللطمة التي في أوائل السور ففهم من قال هي مما استأثر الله بعله فردوا عليها

(١) كذا والذي تقدم عمرو بن أبي عمرو (٢) هكذا في جميع النسخ والصواب أم .

إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وحظي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ؛ وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان . ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنها هي أسماء السور . قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزعزعي في تفسيره وعليه إطلاق الأكثر وثقه عن سيويه أنه نص عليه ويستفاد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة وهل آلى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : الم ، وح ، ولس ، وص ، فواتح اقتض الله بها القرآن ، وكذا قال غيره عن مجاهد وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا قال قتادة وزيد بن أسلم ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فانه يمدان يكون المراد اسم القرآن كله لأن التبادر إلى فهم سابع من قول قرأت للس إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف للجموع القرآن والله أعلم .

وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال الشعبي فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي يلقب أن ابن عباس قال الم اسم من أسماء الله الأعظم (١) هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس والم فقال: قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثننا محمد بن لثقي حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الحمداني قال : قال عبد الله فذكر نحوه ، وسكى مثله عن علي وابن عباس وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن عليه عن خاله الحمداني عن عكرمة أنه قال الم قسم . وروى أيضا من حديث شريك بن عبد الله عن عطاء ابن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس : الم قال أنا الله أعلم . وكذا قال سعيد بن جبير وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الحمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ الم قال الم الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألس كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه ، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم قال عيسى بن مريم عليه السلام وعجب : فقال أعجب أنهم ينطقون بأسمائه ويمشون في رزقه فكيف يكفرون به ، فالألف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجده ، والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة .

هذا لفظ ابن أبي حاتم . ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء السور ومن أسماء الله تعالى يفتح بها السور فكل حرف متبادل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سور كثيرة بتسميته وتسميته وتنظيمه ، قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة كلفظة الأمة فانها تطلق ويراد به الدين كقوله تعالى (إنا وجدنا آباءنا على أمة) وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى (وجد عليه أمة من الناس يستقون) وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى (وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة) أي بعد حين على أمس القولين قال فكذاك هذا

هذا حاصل كلامه موجها ولكن هذا ليس كما ذكره أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى

هذا وعلى هذا مما ولقطة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حله على مجموع عماله إذا أمكن فستلخصه في بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث فيها والله أعلم . ثم إن لقطة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الأظهار بوضع ولا غيره فهذا مما لا يفهم إلا بالتوقيف ، وللمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم به وما أشهدوه من التواحد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حلف بخلاف هذا كما قال الشاعر :

قلنا قفى لنا فقالت قاف • لا تخشى بنا نسينا إلا عياف

تعنى وقتت ، وقال الآخر : ما فظلم مال كيف لا يا • ينشد عنه جلده إذا يا
فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا فعل كذا وكذا فأكفى بالياء من يفعل وقال الآخر :

بالحجر خيرات وإن شراً • ولا أريد الشر إلا أن تا

يقول وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء فأكفى بالقاء والتاء من الكلمتين عن قبيهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم .

قال القرطبي وفي الحديث « من أمان على قتل مسلم بشر كلمة » الحديث قال سفيان هو أن يقول في قتل « ائ » وقال خفيف عن مجاهد إنه قال فوائع السور كلها (ق وس وحم وطسم وال) وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل السرية هي حروف من حروف اللجم استخفى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر يوافيها التي هي تمة النجاة والشرين حرفاً كما يقول القائل ابنى يكتب في - اب ت ث - أي في حروف اللجم النجاة والشرين فيستغنى بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير .

قلت مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بخلاف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي - الهم ص يركه ع ي ع طس ح ق ن - يجمعا قولك : نص حكيم قاطع له سر . وهي نصف الحروف عدداً والمذكور منها أشرف من التروك (١) ويان ذلك من صناعة التشریف . قال الزعفراني وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف ينمى من المهموسة والمجهورة ، ومن الرخوة والشديدة ، ومن الطبقة والفتوحة ومن للتسوية وللتنخضة ومن حروف القلقة . وقد سردتها مفصلة ثم قال . فبجان الذي دقت في كل شيء حكمته . وهذه الأجناس للعدودة مكتوبة بالذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجه ينزل منزلة كله ومن ههناخص بعضهم في هذا اللقاع كلاماً فقال : لاشك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سدى ؛ ومن قال من الجهة أن في التراكب ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأ كبيراً ، فتبين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صرح لنا فيها عن المصوم شيء قلنا به ولا وقتنا حيث وقتنا وقلنا (آتنا به كل من عند ربنا) ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعلياً اتباعه ولا فالوقف حتى يتبين . هذا مقام .

اللقاع الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ملهى مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها ، فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير وهذا ضيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة ثلاثة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستعاب أسباع التشرين إذ تواسوا بالاعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضاً وهو ضيف أيضاً لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها بل غالباً ليس كذلك ولو كان كذلك أيضاً لابتغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة والتي طلبها أعنى البقرة

(١) (قوله أشرف إلخ) فيه نظر لأن الجميع كلام الله إلا أن يقال أشرف بمعنى أعظم .

وآل عمران مدينتين ليستا خطبا للمشركين فانقض ما ذكره بهنما الوجه . وقال آخرون بل إنقاذ كرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها يانا لا يجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضة بثته هنا مع أنه مركب من هذه الحروف القطعة التي يتخاطبون بها ، وقد حكى هذا للنهب الرازي في تفسيره عن البرد وجمع من المحدثين ، وحكى القرطبي عن القراء وقطرب نحو هذا : وقرره الزخري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الامام العلامة أبو الباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج اللزى وحكامه عن ابن تيمية .

قال الزخري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله - ص ن ق - وحرفين مثل (حم) وثلاثة مثل (الم) وأربعة مثل (الر واليس) وخمسة مثل (كهيعص) وجميع (لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك (قلت) ولهذا كل سورة انتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن ويان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في سبع وعشرين سورة . ولهذا يقول تعالى (الم ؛ ذلك الكتاب لأرب فيه) (الم ؛ الله لا إله إلا هو إلى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) (اليس ؛ كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه) (الر ؛ كتاب أنزل إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بلذيقهم) (الم ؛ تنزيل الكتاب لأرب فيهم من رب العالمين) (حم ؛ تنزيل من الرحمن الرحيم) (حمص ؛ كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن آمن النظر والله أعلم .

وأما من زعم أنهم آله الله على معرفة للدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفنن واللامم فقد ادعى ما ليس له ؛ وطار في غير مظاره ، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا السلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار صاحب التمازي حديثي الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر ابن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود يرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (الم ؛ ذلك الكتاب لأرب فيه) فأتى أخاه حي بن أخطب في رجال من اليهود فقال تملكون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيها أنزل الله تعالى عليه (الم ؛ ذلك الكتاب لأرب فيه) فقال أنت سمعته قال نعم قال فشي حي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلو فيها أنزل الله عليك (الم ؛ ذلك الكتاب) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى » فقالوا جاك بهذا جبريل من عند الله ؟ فقال « نعم » قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم مائة ملكة وما أجل أمته غيرك . فقال حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون والهم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أتخذون في دين نبي إنما مدة ملكة وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم ، قال ماذا ؟ قال « اللى » قال هذا أهمل وأطول ، الألف واحد واللام ثلاثون والهم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم ، قال ماذا ؟ قال الـ . قال هذا أهمل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة . فهل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال « نعم » قال ماذا قال « اللر » قال هذا أهمل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والهم أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أهمل أعطيت أم كثيرا . ثم قال قوموا عنه ، ثم قال أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولبي معه من الأجبار ما يدرك لله قد دمج هذا المحدث كله إحدى وسبعون واحداً وثلاثون ومائة واحداً وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعة وأربع سنين ؛ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات تنكية هن أم الكتاب وأخر متباهيات) فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو بمن لا يفتح بما انفرد به ثم

كان مقتضى هذا السلك إن كان صحيحاً أن بحسب مالمثل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فألم وأعظم والله أعلم

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)

قال ابن جريج قال ابن عباس ذلك الكتاب أى هذا الكتاب وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدى ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم وابن جريج أن ذلك معنى هذا والعرب تعارض بين اسمى الإشارة فيستعملون كلامهما مكان الآخر وهذا معروف في كلامهم وقد حكاه البخارى عن معمر بن لثقي عن أبى عبيدة وقال الزمخشري ذلك إشارة إلى (الم) كما قال تعالى (لا تاراض ولا بكر عوان بين ذلك) وقال تعالى (ذلكم حكم الله بحكم بينكم) وقال (ذلكم الله) وأما ذلك مما أشبه به إلى ما تقدم ذكره والله أعلم . وقد ذهب بعض المفسرين فيا حكمه القرطبي وغيره أن ذلك إشارة إلى القرآن الذى وعد الرسول ﷺ بانزاله عليه أو التوراة أو الانجيل أو نحو ذلك في أقوال عشرة وقد ضف هذا للذهب كثيرون والله أعلم .

والكتاب القرآن ومن قال : إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والانجيل كما حكاه ابن جرير وغيره فقد أبعد النجاة وأغرق في التزع وتكلف مالا علم له به . والرب الشك قال السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ (لا ريب فيه) لاشك فيه وقال أبو البرداء وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك وثافع مولى ابن عمر وعطاء وأبو العالى والريش بن أنس ومقاتل بن حيان والسدى وقتادة وإسماعيل بن أبى خازم . وقال ابن أبى حاتم لا أعلم في هذا خلافا . وقد يستعمل الريب في التهمة قال جميل :

بئسنة قالت بإجميل أربى • قتلنا كلانا بأشين مربى •

واستعمل أيضا في الحاجة كما قال بعضهم :

قشنا من تهامة كل ريب • وخير ثم أجمنا السوفا

ومعنى الكلام هنا أن هذا الكتاب هو القرآن لاشك فيه أنه نزل من عند الله كما قال تعالى في السجدة (ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) وقال بعضهم هذا خير ومعناه التهى أى لا تترتابوا فيه . ومن القراء من وقف على قوله تعالى (لا ريب) ويتبدى بقوله تعالى (فيه هدى للمتقين) والوقف على قوله تعالى (لا ريب فيه) أولى للآية التي ذكرناها ولأنه يسير قوله تعالى (هدى) صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون فيه هدى . وهدى يمحتمل من حيث العربية أن يكون مرفوعا على التثنية ومنصوبا على الحال وخضعت الهداية للمتقين كما قال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) (وتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنعمة بالقرآن لأنه هو في نفسه هدى ولكن لاياله إلا الأبرار كما قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقد قال السدى عن ابن مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ (هدى للمتقين) . يبنى نوراً للمتقين وقال أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال هدى للمتقين قال هم المؤمنون الذين يتقون الشر بكى ويسلمون بطاعة وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (المتقين) قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن البصري قوله تعالى للمتقين قال : اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم وقال أبو بكر بن عياش سألنى الأعمش عن المتقين قال فجأته فقال لى سل عنها الكلبي فسأته فقال الدين يجنبون كبار الاثم قال فرجعت إلى الأعمش فقال يرى أنه كذلك ولم ينكره . وقال قتادة للمتقين هم الذين نعمهم الله بقوله (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)

الآية والى بعدها واختار ابن جرير أن الآية تم ذلك كله وهو كما قال . وقد روى الترمذى وابن ماجه من رواية أبى عقيل عبد الله بن عقيل عن عبد الله بن يزيد عن ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السمدى قال : قال رسول الله ﷺ « لا يبلغ العبد أن يكون من اللتين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس » ثم قال الترمذى حسن غريب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن عمران عن إسحق بن سلمان بنى الرازى عن الثوري عن مسلم عن ميمون بن حمزة قال : كنت جالسا عند أبى وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحابنا فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحبس الناس يوم القيامة في جميع واحد فينادى مناد أين الثقوف ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر . قلت من للثقوف قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله العبادة فيمرون إلى الجنة . ويطلق الهدى ويراد به ما يقرب في القلب من الإيمان وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله عز وجل قال الله تعالى (إنك لاتهدى من أحيت) وقال (ليس عليك هدام) وقال (من يضل الله فلا هادى له) وقال (من يهد الله فهو للمتد . ومن يضل فلا تجد له وليا مرشدا) إلى غير ذلك من الآيات ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والارشاد إليه قال الله تعالى (وإنك لاتهدى إلى صراط مستقيم) وقال (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) وقال تعالى (وأما بعد فهديناكم فلستنجوا المسمى على الهدى) وقال (وهديناه النجدين) على تفسير من قال الراديهما الخير والشر وهو الأرجح والله أعلم وأصل التنوى التوقى بما يكره لأن أصلها وقوى من الوقاية قال النابغة :

سقط التصيف ولم ترد إسقاطه • فتناولته واقتنا باليد

وقال الآخر :

فأقلت فتناوذا وتناولت • بأحسن موصولين كصوم

وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبى بن كعب عن التنوى فقال له أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟ قال

بلى قال فاصطفت قال شمرت واجتهدت قال فذلك التنوى . وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال

خل الذنوب صغيرها • وكبرها ذلك التنى • واسع ككاش فوق أر • ض النوك يجر ما يرى

لا تخف من ضغيرة • إن الجبال من الحمى

وأشد أبو العرداء يوماً يريد المرء أن يؤتى منه • وبأبى الله إلا ما أراما

يقول المرء فأتى ومالى • وهوى الله أفضل ما استنادا

وفى سنن ابن ماجه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما استفاد المرء بعد تنوى الله خيراً

من زوجة سالمة إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نقصته في نفسها وماله »

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)

قال أبو جعفر الرازى عن الصادق بن المسيب بن رافع عن أبى إسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : الإيمان

التصديق ، وقال طى بن أبى طلحة وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما يؤمنون يصدقون وقال معمر عن الزهري :

الإيمان العمل ، وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس يؤمنون يخشون

قال ابن جرير : والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالتيب قولاً واعتقاداً وعملاً وقد تدخل الخشية لله في معنى

الإيمان الذى هو تصديق القول بالعمل ، والإيمان كلمة جامعة للإيمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الأقرار بالقول

(قلت) أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كما قال تعالى (يؤمن بالله

ويؤمن للمؤمنين) وكما قال إخوة يوسف لأبيهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) وكذلك إذا استعمل مقروناً

مع الأعمال كقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فأما إذا استعمل مطلقاً فلا إيمان الشرعى للطلوب

لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً . ههنا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعى وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة

وغير واحد إجماعاً : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري لله الحمد والمنة . ومنهم من قسره بالحسنة كقوله تعالى (إن الذين يمشون وهم بالتيب) وقوله (من خشي الرحمن تيباً وجاه قلبه منيب) والحسنة خلاصة الإيمان والطمع قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال بعضهم يؤمنون بالتيب كما يؤمنون بالشهادة وليسوا كما قال تعالى عن الناققين (وإنما أقروا الذين آمنوا قالوا آمنا وإنما خلوا إلى شياطينهم قالوا إنما معكم إنما نحن مستهزؤن) وقال (إنما جاءك للناققين قالوا تشهد إنك رسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهدان للناققين لكاذبون) فلي هذا يكون قوله بالتيب حالاً أي في حال كونهم غيباً عن الناس وأما التيب المراد هنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد ، قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الحمدي عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ أما التيب فإغاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن ، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بالتيب قال بما جاء منه - يعني من الله تعالى - وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر قال التيب القرآن وقال عطاء بن أبي رباح من آمن بالله فقد آمن بالتيب وقال إسماعيل بن أبي خالد يؤمنون بالتيب قال شيب الاسلام وقال زيد بن أسلم الذين يؤمنون بالتيب قال بالقدر فكل هذه متقاربة في معنى واحد لأن جميع هذه للذكورات من التيب التي يجب الإيمان به .

وقال سيدي بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن حمير عن عبد الرحمن بن زيد قال كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ﷺ كان يينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بيب ثم قرأ (ألم ذلك الكتاب لأربب فيه هدى للنتيقين الذين يؤمنون بالتيب - إلى قوله - للفلحون) وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن الأعمش به وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه . وفي معنى هذا الحديث الذي رواه أحمد حدثنا أبو الليث قال أن أنزاعاً حدثني أسد بن عبد الرحمن عن خالد بن دريك عن ابن عمر بن زيد قال قلت لأبي جمعة حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قال نعم أحدثك حديثاً جيداً : تصدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال يا رسول الله هل أحد خير منا ؟ أسلفنا معك واجهنا معك . قال « نعم قوم من يصدقهم يؤمنون بي ولم يروني » / طريق أخرى قال أبو بكر بن مردويه في تحصيله حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا معاوية بن صالح عن صالح بن جبير قال قدم علينا أبو جهمه الأصمري صاحب رسول الله ﷺ بيت المقدس يسئلي فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة رضى الله عنه قلنا انصرف خرجنا نسيه فلما أراد الانصراف قال إن لكم جائزة وحقاً أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ قلنا هات وحسبك الله قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عشر عشرة قلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً ؟ آمنا بالله واتباعك ، قال « ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم بأنبيكم بالوحي من السماء بل قوم يصدقهم بأنبيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويسألون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً » / مرتين ثم رواه من حديث ضمرة بن ربيعة عن مزروق بن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جمعة بنحوه وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوفاة التي اختلف فيها أهل الحديث كما قررته في أول شرح البخاري لأنه مدحهم على ذلك وذكر أنهم اعظم أجراً من هذه الحشية لا مطلقاً وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدى حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي عن الثوري بن قيس القيسى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ « أي الخلق أعجب إليكم إيماناً ؟ » قالوا للملائكة قال « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ » قالوا فالتينون قال « وما لهم لا يؤمنون

والوحي ينزل عليهم ؟ قالوا فتحن قال « وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم » قال فقال رسول الله ﷺ « ألا إن أحب الخلق إلى ربنا قوم يكونون من بدمكم يجدون مصافحها كتاب يؤمنون بما فيها » قال أبو حاتم الرازي : للثيرة بن قيس البصري منكر الحديث (قلت) ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن حميد - وفيه ضعف - عن يزيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن النضر عن النبي صلى الله عليه وسلم بثله أو نحوه وقال إنا لكم صحيح الاستدلال لم يخرجناه وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن محمد السندی حدثنا إسحاق بن إدريس أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري أخبرني جعفر بن محمود عن جدته بديلة بنت أسلم قالت صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد ألباء فصلينا سجدتين ثم جاءنا من غيرنا أن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام قال إبراهيم فحدثني رجال من بني حارثة أن رسول الله ﷺ حين بثله ذلك قال « أولئك قوم آمنوا بالتيب » هذا حديث غريب من هذا الوجه

﴿ وَتَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَرَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾

قال ابن عباس يقيمون الصلاة أي يقيمون الصلاة بفروضها وقال الضحاك عن ابن عباس إقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود، والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها ، وقال قتادة إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وقال مقاتل بن حيان إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فهذا إقامتها .

وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس (وما رزقناهم ينفقون) قال زكاة أموالهم ، وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ (وما رزقناهم ينفقون) قال نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة وقال جرير عن الضحاك كانت النفقات قربانا يتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم حتى زلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن الناسخات للثبات وقال قتادة (وما رزقناهم ينفقون) فأعقوا مما أعطاكم الله ، هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم يوشك أن تضارقها

واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات فإنه قال وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللانهم في أموالهم مؤدين - زكاة كانت ذلك أو نفقة من لزمته نفقة من أهل أو عيال وغيرهم ممن يجب عليهم نفقة بالقرابة والمالك وغير ذلك لأن الله تعالى عم وصفهم ومدحهم بذلك وكل من الاتفاق والزكاة بمدح به محمود عليه (قلت) كثيرا ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والاتفاق من الأموال فإن الصلاة حق الله وعبادته وهي مشتتة على توحيدہ والتناء عليه وتحميده والابتها إلى دعوته والتوكل عليه ، والاتفاق هو من الاحسان إلى المخلوقين بالنفع المتدنى إليهم ، وأولى الناس بذلك القربايات والأهلون وللمالك ، ثم الأجانب فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى (وما رزقناهم ينفقون) ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » والأحاديث في هذا كثيرة وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء . قال الأعشى

لما حارس لا يريح الدهر بيتها • وإن ذبحت صلى عليها وزمما

وقال أيشاء • وقابلها الریح في دنها • وصلى على دنها وارتم

أنشدما ابن جرير مستشهدا على ذلك . وقال الآخر وهو الأعشى أيضا :

قول بقى وقد قربت مرتحلا * يارب جنب أبى الأوساب والوجاب
عليك مثل الذى صليت فاغتشى * توما فان جنب للره مغطجا

يقول عليك من السماء مثل الذى دعيتلى . وهذا ظاهر ثم استعملت الصلاة فى الشرع فى ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة فى الأوقات المخصوصة بشروطها المروقة وصفاتها وأنواعها للشهورة . قال ابن جرير وأرى أن الصلاة ميت صلاة لأن الصلى يترى لاستباح طلبته من ثواب الله بمله مع ما يسأل ربه من حاجته وقيل هى مشتقة من الصلوات إذا تحركا فى الصلاة عند الركوع والسجود وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتفان عجب الذنب ومنه مى الصلى وهو التالى السابق فى حلبة الخيل ، وفيه نظر . وقيل هى مشتقة من الصلى وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى (لا يسلها) أى لا يلزمها ويدوم فيها (إلا الأثقى) وقيل مشتقة من تصليته الحشبة فى النار لتقوم كما أن الصلى يقوم عوجه بالصلاة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والنكر ولله أكبر) واشتقاقها من السماء أصح وأشهر والله أعلم .

وأما الزكاة فسيأتى الكلام عليها فى موضعه إن شاء الله تعالى

(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا أَلْخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ)

قال ابن عباس والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك أى يصدقون بما جئت بهمن الله وما جاء بهمن قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجهدون ما جاءهم به من ربهم وبالأخرة هم يوقنون أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب واليزان وإنما سميت بالأخرة لأنها بعد الدنيا وقد اختلف للمفسرون فى الوصوفين هنا ، هل هم الوصوفون بما تقدم من قوله تعالى (الذين يؤمنون بالنبى وقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) ومن هم : على ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير أحدها أن الوصوفين أولاهم للوصوف ثانيا وهم كل مؤمن مؤمنة من العرب . ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم قاله مجاهد وأبو العالية والربيع بن أنس وقناة ، والثانى ما واحدوم مؤمنو أهل الكتاب وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق نفوسى . والذى قدره نهدى والذى أخرج الرعى ، فجعله غناء أحوى) وكما قال الشاعر :

إلى لى تلك القرم وابن الهمام * وليت الكنية فى الزدحم

فعلقت الصفات بضما على بعض للوصوف واحد والثالث أن الوصوفين أولاهم مؤمنو العرب والوصوفون ثانيا بقوله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون) لمؤ منى أهل الكتاب فله السدى فى تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة واختاره ابن جرير رحمه الله ويستشهد لما قال بقوله تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليه وما أنزل إليهم خاشعين لله) الآية ويقول تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا نزل عليهم قالوا آتانا به إننا لنحن من ربنا إننا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتونا أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة وما رزقناهم ينفقون) وما ثبت فى الصحيحين من حديث الشعي عن أنى برقة عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة يؤتونا أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنية وآمن بى ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل أدبجاريته فأحسن تأديها ثم أعتقها وتزوجها » وأما ابن جرير لما استشهد على صحة ما قال إلا بمنسوبة وهى إن الله وصف فى أول هذه السورة للمؤمنين والكافرين فكما أنه صنف الكافرين إلى شفين كافر ومنافق فكذلك للمؤمنون صنفهم إلى صنفين عربى وكنابى (قلت) والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثورى عن رجل عن مجاهد ورواه غير واحد عن ابن أبي نجيع عن مجاهد أنه قال : أربع آيات من أول سورة البقرة فى ثمت المؤمنين وآتيناه فى ثمت الكافرين وثلاثة عشر فى النافقين فهذه الآيات الأربع علامات فى كل مؤمن الصنف بها من عربى وعجمى وكنابى من إنسى وجنى وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى

بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشروط معها فلا يصح الإيعان بالقيوب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من قبله من الرسل والايقان بالآخرة كما أن ههنا لا يصح إلا هذا وقد أمر الله المؤمنين بذلك كما قال (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) الآية وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلينا وإلهمك واحد) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالكتاب الذي نزلنا مصدقا لما معكم) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله) وقال تعالى (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيعان بالله ورسوله وكتبه ولكن المؤمنين أهل الكتاب خصوصية وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصلا فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك الأجر مرتين وأما غيرهم فإما يحصل له الإيعان بما تقدم جملا كما جاء في الصحيح «إنا حدثكم أهل الكتاب فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم ولكن قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم» ولكن قد يكون إيعان كثير من العرب بالإسلام الذي يثبت به محمد صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيعان من دخل منهم في الإسلام فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحثيثة فغيرهم يحصل له من التصديق ما ينف ثوابه على الأجرين اللذين حصلهم والله أعلم.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

يقول الله تعالى (أولئك) أي المتصفون بما تقدم من الإيعان بالقيوب وإقام الصلاة والايقان من الذي رزقهم الله والإيعان بما أنزل إلى الرسول ومن قبله من الرسل والايقان بالدار الآخرة وهو مستلزم الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المحرمات (على هدى) أي على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى (وأولئك هم المفلحون) أي في الدنيا والآخرة وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أوسيد بن جبر عن ابن عباس (أولئك على هدى من ربهم) أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم به (وأولئك هم المفلحون) أي الذين أدرکوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا وقال ابن جرير وأما معنى قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) فإن معنى ذلك فأنهم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد إلههم وتوفيقه لهم وتأويل قوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) أي للتنجحون للذين ماطلوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسوله من الفوز بالثواب، والخلود في الجنات والنجاة بما أعد الله لأعدائه من العقاب. وقد حكى ابن جرير قولاً عن بعضهم أنه أعاد اسم الإشارة في قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) إلى مؤمن أهل الكتاب الوصفين بقوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) الآية على ما تنقسم من الخلاف؛ وعلى هذا فيجوز أن يكون قوله تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) منقطعا عما قبله وأن يكون مرفوعا على الابتداء وخبره (أولئك هم المفلحون) واختار أنه عائد إلى جميع من تقدم ذكره من مؤمن العرب وأهل الكتاب لما رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة المحدثي عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ. أما الذين يؤمنون بالقيوب فهم المؤمنين من العرب والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هم المؤمنين من أهل الكتاب ثم جمع الفريقين فقال (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وقد تقدم من الترجيح أن ذلك صفة للمؤمنين طامة الإشارة عائدة عليهم والله أعلم.

سوقه شل عن مجاهد وأبي العالية والريبع بن أنس وقادة رحمهم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان ابن صالح المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني صبيد الله بن الليث عن أبي الهيثم وإسماعيل بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له يارسول الله أنا قرأ من القرآن فترجو وتقرأ من القرآن فسكادنا نأس

أو كما قال: قال « أنلا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار قالوا بلى يا رسول الله قال (إن ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للذين - إلى قوله تعالى - للفلحون) هؤلاء أهل الجنة قالوا إنا نرجو أن نكون هؤلاء ثم قال (إن الذين كفروا سواء عليهم - إلى قوله - عظيم) هؤلاء أهل النار قالوا لسانم يا رسول الله . قال : أجل »

(إن الذين كفروا سؤلكم عليهم أن تذرهم أم لم تذرهم لا يؤمنون)

يقول تعالى (إن الذين كفروا) أى غطوا الحق وستره وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك سواء عليهم إنذارك وعدمه فانهم لا يؤمنون بما جئهم به . كما قال تعالى (إن الذين هتفت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولولا أنهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) وقال تعالى في حق للماندين من أهل الكتاب (ولئن أنيت الدين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) الآية أى من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسمعه ومن أسفه فلا هادى له فلا تنهب نفسك عليهم حسرات ولنهم الرسالة فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر ومن تولى فلا تحزن عليهم ولا يهينك ذلك (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) إنا أنت نذير والله على كل شيء وكيل (وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) قال كان رسول الله ﷺ يحرس أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فآخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة فى الذكر الأول ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة فى الذكر الأول ، وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (إن الذين كفروا) أى بما أنزل إليك وإن قالوا إنا قد آمننا بما جاءنا فقلك (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أى إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ما أخذ عليهم من اللياق وقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يسمعون منك إنذارا وتحذيرا وقد كفروا بما عندهم من حلك ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال نزلت هاتان الآيتان فى قادة الأحزاب وهم الذين قال الله فيهم (لم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يسألونها) ولغنى الذى ذكرناه أولا وهو المروى عن ابن عباس فى رواية طى بن أبى طلحة أظهر وأفسر بيقية الآيات التى فى مناسها والله أعلم وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا حديثا فقال حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح للصرمى حدثنا أبى حدثنا ابن لميثم حدثني عبد الله بن القيرة عن أبى الهيثم عن عبد الله بن عمرو قال قيل يا رسول الله إنا نقرأ من القرآن فترجو وهرا فنكاد أن نأس فقال « ألا أخبركم » ثم قال (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) « هؤلاء أهل النار » قالوا لسانهم يا رسول الله قال « أجل » وقوله تعالى (لا يؤمنون) محله من الاعراب انه جملة مؤكدة لثبوتها (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى كفار فى كلا الحالين فلهذا أكد ذلك بقوله تعالى (لا يؤمنون) ويحتمل ان يكون لا يؤمنون خبرا لإن تحذيره إن الذين كفروا لا يؤمنون ويكون قوله تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) جملة معترضة والله أعلم

(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)

قال السدى ختم الله أى طبع الله وقال نخاسة فى هذه الآية استحوز عليهم الشيطان إذ أطلعوه ففتح الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يسمعون ولا يفقهون ولا يسمعون ولا يفقهون وقال ابن جريج قال مجاهد ختم الله على قلوبهم قال الطبع ثبت الذنوب على القلب فحُضت به من كل نواحيه حتى تلتقى عليه فالتفتاها عليه الطبع والطبع الحتم . قال ابن جريج الحتم على القلب والسمع قال ابن جريج وحديث عبد الله بن كثير أن سمع مجاهدا يقول : إن إيسر من الطبع والطبع إيسر من الاتصال ، والاتصال أشد من ذلك كله وقال الأصمى أرانا مجاهد يده فقال كانوا يرون أن القلب فى مثل هذه يمس الكف فاذا أذن البعد ذنبا ضم منه وقال باسبه الحصر هكذا فاذا أذن

ضم وقال باصبع أخرى فإذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى هكذا حتى ضم أساميه كلها ثم قال يطبع عليه بظاير، وقال مجاهد كانوا يرون أن ذلك الرين ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن الأعمش عن مجاهد بنحوه ، قال ابن جرير وقال بعضهم إنما معنى قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) إخبار من الله عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق كما يقال إن فلانا أصم عن هذا الكلام إذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن فهمه تكبرا قال وهذا لا يصح لأن الله تعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم (قلت) وقد أُنْظِرَ الزُّعْمَرَى في تقرير مارد ابن جرير ههنا وتأول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدا وماجراء على ذلك إلا اعتزاله لأن الحتم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها قبيح عنده تعالى الله عنه في اعتقاده ولو فهم قوله تعالى (فلما زانوا أذاع الله قلوبهم) وقوله (وقلوبهم) وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تعاديه في الباطل وتركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس قبيح فلو أحاط علما بهذا لما قال ما قال والله أعلم

قال القرطبي وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل قد وصف نفسه بالحتم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم كما قال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وذكر حديث تغليب القلوب « وإمقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال « تعرض القلوب كالخصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكت في نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت في نكتة بيضاء حتى يصير على قلبي على أيض مثل الصفا فلا يفرضه فتنة مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مر باد كالكلوز مجينا لا يعرف مرفوقا ولا ينكر منكرا » الحديث قال ابن جرير والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ وهو ما حدثنا به محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وزرع واستغفر سقط قلبه وإن زاد زادت حتى تملو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كان يكسبون) هذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة والليث بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن أسباعيل والوليد بن مسلم ثلاثهم عن محمد بن عجلان به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال ابن جرير فأخبر رسول الله ﷺ أن الذنوب إذا تابعت على القلوب اغلقتها وإذا اغلقتها اتانها حينئذ الحتم من قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا فكسر عنها غلص فذلك هو الحتم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) نظير الحتم والطبع على ما تذكره الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفن ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فتن خاتمه وحله رباطه عنها

واعلم أن الوقف التام على قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وقوله (وعلى أبصارهم غشاوة) جملة تامة فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع ، والنشأوة وهي الغطاء يكون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الحمداي عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم يقول فلا يقولون ولا يسمعون يقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يسمرون وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثنا أبي حدثني حمى الحسين بن الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والنشأوة على أبصارهم قال وحدثنا القاسم حدثنا الحسين بن داود وهو سنيد حديثي حجاج وهو ابن عمه الأعور حدثني ابن جريج قال : الحتم على القلب والسمع والنشأوة على البصر قال الله تعالى (فإن يؤذ الله ينجم على قلبك) وقال (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) قال ابن جرير ومن نصب غشاوة من قوله تعالى (وعلى أبصارهم غشاوة) يحتمل أنه نصبها بأبصار فعل تقديره وجعل على أبصارهم غشاوة ويحتمل

أن يكون نصبا على الاتباع على عمل وعلى سمعهم كقوله تعالى (وحوور عين) وقول الشاعر :

علقتما تينا وماء باردًا • حتى شقت هالة عيناها

ورأيت زوجك في الوغى • متقلدا سيفا ورحما

وقال الآخر :

تقديره وسقيتها ماء باردا ومتقلدا رحما • لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات ثم عرّف حال الكافرين بهاتين الآيتين شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبتلون بالكفر ولما كان أمرهم يشبهه على كثير من الناس اطلب في ذكرهم صفات متصلة كل منها فاق كما أنزل سورة براءة فيهم وسورة المنافقين فيهم وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفا لأحوالهم لتجنب وتجنب من تلبس بها أيضا فقال تعالى

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ • يَخُذُونَ اللَّهَ وَآيَاتِهِ هُتُوًا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر وهو أنواع : اعتقادي ، وهو الذي يغلد صاحبه في النار ومحملي وهو من أكبر الذنوب كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وهذا كما قال ابن جرير النافق يخالف قوله فله وسره علانيته ، ومدخله مخزجه ، ومشهده منفيه ، وإنما زلت صفات المنافقين في السور اللدنية لأن مكة لم يكن فيها ففاق بل كان خلافة من الناس من كان يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يبدون الأسماء على طريقة مشركي العرب وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قتيقح حلفاء للخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبلي الأوس والخزرج وقتل من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام رضى الله عنه ولم يكن إنذاك ففاق أيضا لأنه لم يكن للسلمين بعد شوكة تخاف بل قد كان عليه الصلوة والسلام وادع اليهود قبائل كثيرة من أحياء العرب حوالى المدينة فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كنهه وأعز الاسلام وأهله قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأسا في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم فجاهم الحير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقى في قومه من الاسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر قال هذا أمر قد توجه فأظهر الدخول في الاسلام ودخل معه طوائف ممن هو على طرقة وتخلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد هاجر لأنهم لم يكن أحد هاجر مكرا بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيا عند الله في الدار الآخرة قال عبد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم وكذا فرسها بالمناقين من الأوس والخزرج أبو المالية والحسن وتادة والسدي ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يفتروا بظواهر أمرهم للمؤمنين فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر وهذا من المنذورات الكبار أن يظن بأهل النجور خير فقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) أي يقولون ذلك قول لا يبراه شيء آخر كما قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا انتبهد إنك رسول الله والله يعلم انك لرسوله) أي إنما يقولون ذلك إذا جاءوك فقط لاني نفس الأمر ولهذا يؤكدون في الشهادة بأن ولام التأكيدي في خبرها . أكدوا أمرهم قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر وليس الأمر كذلك كما كتبهم الله في شهادتهم وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم بقوله تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) وقوله (وما هم بمؤمنين) وقوله تعالى (يخذعون الله والذين آمنوا) أي باظهارهم ما ظهره من الإيمان مع إسراهم الكفر يستخدون بمجهلهم

أنهم يخدمون الله بذلك وأن ذلك نافعهم عنده وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين كما قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) ولهمنا قائلهم على اعتقادهم ذلك بقوله (وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون) يقول وما يثرون بصنيعهم هنا ولا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالى (إن للنافقين خادعون الله وهو خادعهم) ومن القراء من قرأ (وما يخدعون إلا أنفسهم) وكلا القراءتين ترجيح إلى معنى واحد . قال ابن جرير فإن قال قائل : كيف يكون النافق لله وللمؤمنين خادعاً وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا هية ؟ قيل : لا يمتنع العرب أن تسمى من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره هية لينجو مما هو له خائف خادعاً فكذلك للنافق معنى خادعاً لله وللمؤمنين باظهارة ما يظهره بلسانه هية بما يخلص به من القتل والسبي والمذابح العاجل وهو لغير ما يظهره مستيقظ وذلك من ضله وإن كان خداعاً للمؤمنين في حاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من ضله خادع ، لأنه يظهر لما يشبه ذلك بها أنه يطمئنها أمانيها ، ويسفها كأس سرورها ، وهو مورد حياض عطيا ، ويجرعها به كأس عذابها ، ومزيرها من غضب الله وألم عقابه ما لا قبل لها به ، فذلك خديته نفسه ظناً مع إساءة إليها في أمر معادها أنه إليها عمن كما قال تعالى (وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) إعلاما منه عباده المؤمنين أن للنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسقاطهم عليها ربههم بكفرهم وشكهم ويكذبهم غير شاعرين ولا دارين ، ولكم على عمن من أمرهم مقيمين . وقال ابن أبي حاتم أنبأنا علي بن المبارك أن كتب إلى حدثنا زيد بن المبارك حدثنا محمد بن نور عن ابن جريج في قوله تعالى يخادعون الله قال يظهرهون إلا الله يريدون أن يحرزوا بذلك فسادهم وأموالهم وفي أنفسهم غير ذلك . وقال سعيد عن قتادة (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون) نمت للنافق عند كثير : خنع الأخلاق يصدق بلسانه وينكر قلبه ويخالف بعمله يصبح على حال ويمسي على غيره ويمسي على حال ويصبح على غيره ويتكلم تكلماً السفينة كلما هبت ربح هبت معها .

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)

قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ في هذه الآية (في قلوبهم مرض) قال شك فزادهم الله مرضاً قال شك . وقال ابن إسحق عن محمد ابن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال شك . وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وأبو المالية والربيع بن أنس وقتادة . وعن عكرمة وطائوس في قلوبهم مرض يعني الرياء . وقال الضحاك عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال شاق فزادهم الله مرضاً قال شاقاً وهذا كالأول . وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدين وليس مرضاً في الأجساد وهم للنافقون والمرض الشك الذي دخلهم في الاسلام فزادهم الله مرضاً قال زادهم رجساً ، وقرأ (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم) . قال شرا إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم ، وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه الله حسن وهو الجزاء من جنس العمل وكذلك قاله الأولون وهو نظير قوله تعالى (والذين اعتدوا فزادهم هدى واتاهم شواءهم) وقوله (بما كانوا يكذبون) وقرئ يكذبون وقد كانوا متصفين بهذا وهذا فاتهم كانوا كذبة ويكذبون بالتيب يجمعون بين هذا وهذا . وقد سئل القرطبي وغيره من المفسرين عن حكمة كفه عليه الصلاة والسلام عن قتل النافقين مع علمه بأعيان بعضهم وذكروا أجوبة عن ذلك منها ما ثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال لعمر رضى الله عنه « أكره أن يتحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه » ومعنى هذا خشية أن يقع بسبب ذلك تغيير لكثير من الأعراب عن الدخول في الاسلام ولا يملكون حكمة قتله لهم وأن قتله لإيهاً إما هو على الكفر فاتهم إنما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم فيقولون إن محمداً يقتل أصحابه قال القرطبي وهذا قول علماؤنا وغيرهم كما كان يعطى المؤلف مع علمه

في الأرض) قال إذا ركبوها مصيبة الله قبيلا لهم لاضلوا كذا وكذا قالوا إنما نحن على الهدى مصلحون وقال وكيع وعيسى بن يونس وعثمان بن حلي عن الأعمش عن الثعالبي عن عمرو بن عبد الله الأسدي عن سلمان الفارسي وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون قال سلمان لم يجيء أهل هذه الآية بعد وقال ابن جرير حدثني أحمد بن حنبل بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبي عن الأعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي في هذه الآية قال مجاهد هؤلاء قال ابن جرير يحمل أن سلمان رضى الله عنه أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن النبي ﷺ لأنه عني أنه لم يمش ممن تلك صفته أحد قال ابن جرير فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمصيبتهم فيها وركوبهم فيها ماهاهم عن ركوبهم وقضيتهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به والإيمان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا ، فذلك إفساد للناسقين في الأرض ، وهم يحسبون أنهم يصلحون ذلك مصلحون فيها . وهذا الذي قاله حسن فان من الفساد في الأرض أخذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) لا يفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) فقطع الله الولاية بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى (يأيا الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا عليكم سلطانا مبيناً) ثم قال (إن النافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) فالنفاق لما كان ظاهره الإيمان استبته أمره على المؤمنين فكان الفساد من جهة النفاق حاصل لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو أنه استمر على حاله الأول لكان شره أخف ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأبجح ولهذا قال تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) أي نريد أن ننداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ونسطلح مع هؤلاء وهؤلاء كما قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله (ألا إنهم هم للفساد ولكن لا يشعرون) يقول ألا إن هذا الذي يتمدونه ويزعجون أنه إصلاح هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا أَنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)

يقول تعالى وإذا قيل للمناقضين آمنوا كما آمن الناس أي كما بان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به وعنه ، وأطاعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) يمتنون - لنهم الله - أصحاب رسول الله ﷺ رضى الله عنهم قاله أبو العالية والسدي في تفسيره يستند عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة به يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم يقولون أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء ؟ والسفهاء جمع سفه لأن الحكماء جمع حكيم والحلماء جمع حليم ، والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأى القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ولهذا مسمى الله النساء والصبيان سفهاء في قوله تعالى (ولا تتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) قال طائفة علماء التفسير هم النساء والصبيان وقد تولى الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال (ألا إنهم هم السفهاء) فأكد وحصر السفاهة فيهم (ولكن لا يعلمون) يعني ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بالله في الفضلة والجهل وذلك أرى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى

(وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ * اللَّهُ

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدَحُهُمْ فِي طُلُفَيْنِهِمَا يَسْمَعُونَ

يقول تعالى وإذا لقي هؤلاء المنافقون للمؤمنين قالوا : آتينا وأنظروا لهم الإيمان وللوالدة وللصافات غرورا منهم للمؤمنين ونفاقا ومساناة وتقية وليشركوكم فيما أسأبوا من خير ومعنى (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أى إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم فتمنع خلوا معنى انصرفوا لتعديت إلى ليل على الفعل الضمر والقفل للفظ به ومنهم من قال « إلى » هنا معنى « مع » والأول أحسن وعليه يدور كلام ابن جرير . وقال السدي عن أبي مالك خلوا بمعنى مضوا وشياطينهم سادتهم وكبرائهم ورؤسائهم من أجبار اليهود وروس المشركين وللتاقيين . قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أى هم رؤسائهم في الكفر . وقال الضحاك عن ابن عباس وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم : وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإذا خلوا إلى شياطينهم) من يهود الدين بأمرهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ وقال مجاهد : (وإذا خلوا إلى شياطينهم) إلى أصحابهم من للتاقيين والمشركين . وقال قتادة (وإذا خلوا إلى شياطينهم) قال إلى رؤسهم وقادتهم في الشرك والشر وبمعنى ذلك فسر أبو مالك وأبو المالية والسدي والريبع بن أنس . قال ابن جرير وشياطين كل فئة مردته ويكون الشيطان من الانس والجن كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وفي السند عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من شياطين الإنس والجن » قتلت يارسل الله أو لانس شياطين ؟ قال « نعم » وقوله تعالى (قالوا إنا معكم) قال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أى إنا على مثل ما أتم عليه (إنما نحن مستهزئون) أى إنما نحن نستهزئ بالقوم وتلق بهم . وقال الضحاك عن ابن عباس قالوا إنما نحن مستهزون ساخرون بأصحاب محمد ﷺ ، وكذلك قال الريبع بن أنس وقاتة . وقوله تعالى جواباً لهم ومقالة على صنيعهم (الله يستهزئ بهم) وعندهم في طياتهم يعمهون) وقال ابن جرير أخير تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى (يوم يقول المنافقون وللتاقيات الذين آمنوا انظرونا إلى نبي تنبت من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فاتمسوا نورا فضر بينهم بسور هباب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب) الآية قال فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخرته ومكره وخديته للتاقيين وأهل الشرك به عند قائل هذا القول ومتأول هذا التأويل . قال : وقال آخرون بل استهزؤهم توبيخه إياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه والكفر به . قال : وقال آخرون هذا وأمثاله على سبيل الجواب كقول الرجل لمن يغدمه إذا ظفر به أنا الذى خدمتك . ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه قالوا وكذلك قوله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير للماكرين) و (الله يستهزئ بهم) على الجواب والله لا يكون منه للكر ولا الهزء . والى أن للكر والهزء حاق بهم . وقال آخرون قوله تعالى (إنما نحن مستهزئون * الله يستهزئ بهم) وقوله (يخادعون الله وهو خادعهم) وقوله (فيسخرهم منهم سخر الله منهم) و (نسا الله فنسهم) وما أشبه ذلك إخبار من الله تعالى أنه مجازهم جزاء الاستهزاء ومما يقعون عقوبة الخداع فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذى عليه استحقاق العقاب في اللفظ وإن اختلف اللسان كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) فالأول ظلم والثاني عدل فهما وإن اختلف لفظهما فقد اختلف معناهما قال والى هذا الذى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك . قال : وقال آخرون إن معنى ذلك أن الله أخبر عن للتاقيين أنهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم من

قولنا لم يستهزئوا ، فأخبر تعالى أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا ينشأ من عصمة دعائهم وأموالهم خلاف الذي لم عنده في الآخرة ينشأ من الغلب والنكال . ثم شرع ابن جرير بوجه هذا القول وينصره لأن للكفر والجداع والسرية على وجه اللب واللبث متف عن الله عز وجل بالإجماع وأما على وجه الاتقان والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك . قال وينشأ ما قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب حدثنا أبو عثمان حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) قال يسخرهم للنعمة منهم وقوله تعالى (ويعذبهم في ظنهم يسمهون) قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الحمداي عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ : يمدحهم على لهم وقال مجاهد ، يزيدهم وقال تعالى (المحسبون إنما نعذبهم به من مال وبيننا نأمرهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون) وقال (مستندرجهم من حيث لا يعلمون) قال بعضهم كلما أخذوا ذنبا أحدث لهم نعمة وهي في الحقيقة شمة وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) قطع داير التوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) قال ابن جرير والصواب يزيدهم على وجه الامانة والترك لم في عتوهم وتعذبهم كما قال تعالى (وشلب أنفستهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وتذهبهم في ظنهم يسمهون) والظيان هو المجاوزة في الشيء كما قال تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) وقال الضحاك عن ابن عباس في ظنهم يسمهون في كفرهم يرددون وكذا فسر السدي بسند عن الصحابة وبه يقول أبو العالية قتادة والربيع بن أنس ومجاهد وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد في كفرهم وضلاتهم . قال ابن جرير والعمه الضلال يقال عمه فلان يسه عنها وعموها إذا ضل قال وقوله في ظنهم يسمهون في ضلاتهم . وكفرهم الذي غمهم دنسهم وعلامهم رجسهم يرددون جارى ضلالا لا يجدون الى المخرج منه سبيلا لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها فلا يبصرون رجسا ولا يهتدون سبيلا . وقال بعضهم العمى في العين والعمه في القلب وقد يستعمل العمى في القلب أيضا قال تعالى (فلما لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور) وهول عمه الرجل يسه عموها فهو عمه واطمه وجهه عمه ونهبت إليه المماء إذا لم يدأ أين ذهبت .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) قال أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي الكفر بالإيمان وقال مجاهد أنما ثم كفروا وقال قتادة : استحبوا الضلالة على الهدى . وهذا الذي قاله قتادة يشبه في المعنى قوله تعالى في ثمود (فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وحاصل قول القسرين فيما تقدم أن للتناقض عدلوا عن الهدى الى الضلال واعتاضوا عن الهدى بالضلالة وهو معنى قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي بذلوا الهدى ثمنًا للضلالة وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع عنه الى الكفر كما قال تعالى فيهم (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم) أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق آخر منهم فلهم أنواع وأقسام ولهذا قال تعالى (فما رحمت تجارتهم وما كانوا مهتدين) أي ما رحمت صفقتهم في هذه البيعة وما كانوا مهتدين أي راشرين في صنيعهم ذلك وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة (لما رحمت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قد والله رأيتهم يخرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الأمن الى الخوف ومن السنة الى البدعة وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بثله سواء .

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴾

صَمَّ بِكُمْ عَمَى فَعَمَ لَا يَرِجُونَ ﴿١﴾

يقال مثل ومثل ومثل أيضا والجمع أمثال قال الله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا المؤمنون)
وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شهبهم في إشتغالهم الضلالة الهدى ، وصبروتهم بسد البصيرة إلى الصمى ، بمن
استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانفتح بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينما هو كذلك إذ طفت ناره وصار
في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى و هو مع هذا فهو أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أصمى لو كان ضياء لا أبصر ، فلهذا لا يرجع
إلى ما كان عليه قبل ذلك فكذلك هؤلاء للناقون في استبداء لهم الضلالة عوضا عن الهدى واستجابهم التي على
الرشد وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا اللوح والله أعلم
وقد حكى هذا الذي قلناه الرازى في تفسيره عن السدى ، ثم قال والتشبيه هنا في غاية الصحة لأنهم يلعبونهم
اكتسبوا أولا نوراً ثم بنافهم غائبا أبطلوا ذلك فوقوا في حيرة عظيمة فانه لا حيرة أعظم من حيرة الدين
وزعم ابن جرير أن الضرب لهم المثل هنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات واحتج بقوله تعالى (ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال فساقهم وكفرهم
وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه وطبع على قلوبهم ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية
هنا وهي قوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) فلهذا وجه هذا المثل بأنهم
استضاءوا بما أظهروه من كلمة الإيمان أى في الدنيا ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة قال وصح ضرب مثل الجلالة
بالواحد كما قال (رأيهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يشئ عليه من اللوت) أى كدوران الذى يشئ
عليه من اللوت وقال تعالى (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة) وقال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وقال بعضهم تقدير السلام مثل قصته الذين استوقدوا ناراً ، وقال
بعضهم للستوقد واحد لجلالة مبه وقال آخرون الذى هنا بمعنى الذين كما قال الشاعر

وإن الذى حانت بطلع دماؤهم • هم القوم كل القوم يا أم خاله

قلت وقد التفت في أثناء المثل من الواحد إلى الجمع في قوله تعالى (فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجون) وهذا أنصح في الكلام وأبلغ في النظام وقوله تعالى
(ذهب الله بنورهم) أى ذهب عنهم بما ينفعهم وهو النور وأبقى لهم ما يضرهم وهو الاحراق والسخان (وتركهم في
ظلمات) وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق (لا يبصرون) لا يهتدون إلى سبيل خير ولا يعرفونها وهم مع ذلك (صم)
لا يسمعون خيراً (بكم) لا يتكلمون بما ينفعهم (عمى) في ضلالة وحماية البصيرة كما قال تعالى (فانها لا تسمى الأبصار ولكن
تسمى القلوب التي في الصدور) فلهذا لا يرجون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة

(ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه)

قال السدى في تفسيره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة المحدث عن ابن مسعود وعن ناس من
الصحاب في قوله تعالى (فلما أضاءت ما حوله) زعم أن ناساً دخلوا في الإسلام مقدمين على الله ﷺ المدينة ثم إنهم
ناققوا وكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله من قدى أو أدنى فأبصره حتى عرف
ما بين يديه فبينما هو كذلك إذ طفت ناره فأقبل لا يدري ما بين يديه من أدنى فذلك المشاقق كان في ظلمة الشرك
فأسلم فعرف الحلال والحرام والحير والضير فبينما هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من
الشر وقال السدى عن ابن عباس في هذه الآية قال: أما النور فهو إيمانهم الذى كانوا يتكلمون به وأما الظلمة فهي
ضلالهم وكفرهم الذى كانوا يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم زرع منهم فسقوا بد ذلك . وقال مجاهد : (فلما
أضاءت ما حوله) أما إضاءة النار فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى (مثلهم كمثل

الذي استوقد ناراً (قال هذا مثل المنافق يصير أحياناً ويرسف أحياناً ثم يدركه عى القلب . وقال ابن أبي حاتم . وروى عن عكرمة والحسن والسدى والربيع بن أنس نحو قول عطاء الخراساني وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) قال هذا مثل المنافق يصير أحياناً ويرسف أحياناً ثم يدركه عى القلب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) إلى آخر الآية . قال هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضأت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ناراً ثم كفروا فذهب الله بنورهم فاترعه كما ذهب بنوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون ، وأما قول ابن جرير في شبه مارواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يستزجون بالاسلام فينالكهم للسكون ويوارونهم ويخامونهم الفى فلبسوا ما نوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) فاما ضوء النار ما أوقدتها فاذا خمدت ذهب نورها وكذلك المنافق كما تكلم بكلمة الاخلاص بلا إله إلا الله أضاء له فاذا شك وقع في الظلمة وقال الضحاك (ذهب الله بنورهم) أما نورهم فهو إيمانهم الذي تكلموا به وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضأت ماحوله) فهي لا إله إلا الله أضأت لهم فأكلموا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا وأنكحوا النساء وحققوا دماءهم حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية إلى للى أن المنافق تكلم بلا إله إلا الله فأضأت له في الدنيا فناكهم بها للسلبين وغاهاهم بها ووارثهم بها وحقق بها دمه وماله فلما كان عند الموت سلبها المنافق لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) يقول في عذاب إذا ماتوا ، وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أوسيد بن جبير عن ابن عباس (وتركهم في ظلمات) أي يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفأوه بكفرهم وقهاهم فيه فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق ، وقال السدى في تفسيره بسند (وتركهم في ظلمات) فكانت الظلمة غاهاهم وقال الحسن البصرى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فلذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله حمل السوء فلا يجد له عملاً من خير عمل به يصدق به قول لا إله إلا الله (صم بكم عى) قال السدى بسند صم بكم عى فهم خرس عى ، وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس (صم بكم عى) يقول لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يقولونه وكذا قال أبو العالية وقاتة بن دعام (فهم لا يرجون) قال ابن عباس أى لا يرجون إلى هدى ، وكذا قال الربيع بن أنس : وقال السدى بسند (صم بكم عى فهم لا يرجون) إلى الاسلام . وقال قتادة فهم لا يرجون أى لا يتوبون ولا هم يذكرون

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ أَفْأَانِهِمْ مِّنْ أَلْصَوِّحِ حَذَرٌ مِّلْمُوتِ وَأَلَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلًّا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشْأُوهُ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَالُوا وَرَوْءَ سَاءَ اللَّهُ لَتَهْبِئُ بِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى قلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب للطر قاله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العالية وجاهد وسيد بن جبير وعطاء والحسن البصرى وقاتة وعطية الوفى وعطاء الخراساني والسدى والربيع بن أنس وقال الضحاك هو السحاب والأشهر هو للطر نزل من السماء في حال ظلمات وهى الشكوك والكفر والنفاق ورعد وهو ما يزعج القلوب من الخوف فان من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع كما قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) وقال (ويخفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلوا لولوا إليه

وهم يمحون) (والبرق) هو ما يلعب في قلوب هؤلاء الضرب من اللاتقين في بعض الأحيان من نور الايمان ولهذا قال (يحملون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) أى ولا يحصى عنهم حذرهم شيئاً لأن الله محيط بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته كما قال (هل أتاكم حديث الجنود فرعون وثمود بل الدين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط) بهم ثم قال (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أى لشدة وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للادمان وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) يقول يكاد يحكم القرآن يدل على عورات اللاتقين وقال ابن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أى لشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا أى كلما ظهر لهم من الايمان شيء استأنسوا به واتبعوه وثارة تعرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول كلما أصاب اللاتقين من عز الاسلام لطمأنوا اليه وإذا أصاب الاسلام نكبة قاموا ليرجوا الى الكفر كقوله تعالى (ومن الناس من يبدل الله على حرف فان أصابه خير لطمأن به) وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) أى يفرقون الحق ويشككون به فهم من قلوبهم به على استقامة فإذا ارتكسوا منه الى الكفر قاموا أى متحيرين وهكذا قال أبو العالية والحسن البصري وقادة والريح بن أنس والسدي بسنده عن الصحابة وهو أصح وأظهر والله أعلم ، وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم فبهم من يعطى من النور ما يشاء له ميسرة فراسعوا أكثر من ذلك وأقل من ذلك ، ومنهم من يطفأ نوره تارة وبضء أخرى ، ومنهم من يضى على الصراط تارة ويقف أخرى ، ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخاسرون من اللاتقين الذين قال تعالى فيهم (يوم يقول اللاتقون وللناتقات الذين آمنوا انظرونا نقب من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتفسوا نورا) وقال في حق المؤمنين (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) الآية وقال تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير)

(ذكر الحديث الواردة في ذلك)

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) الآية ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول من المؤمنين من يضى نوره من المدينة الى عدن أين بسطاء ودون ذلك حق إن من المؤمنين من لا يضى نوره إلا موضع قدميه رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن داود القطان عن قتادة بن نوح وهذا كما قال للئال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود قال يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فبهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً على إيمانهم يطفأ مرة ويتقد مرة وهكذا رواه ابن جرير عن ابن مشي عن ابن إدريس عن أبيه عن للئال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن علي بن محمد الطنaffي حدثنا ابن إدريس سمعت أبي يذكر عن للئال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود (نورهم يسعى بين أيديهم) قال على قدر أعمالهم يسرون على الصراط منهم من نورهم مثل الجبل ومنهم من نورهم مثل النخلة وأدناهم نوراً من نورهم في إيمانهم يتقد مرة ويطفأ أخرى ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا محمد بن اسماعيل الأحسى حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا عقب بن القمطان عن عكرمة عن ابن عباس قال ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نوراً يوم القيامة فأما للناقى فيطفأ نوره فالمؤمن مشفق مما يرى من إعطاء نور للاتقين فهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ، وقال الضحاك ابن مزاحم يعطى كل من كان يظهر الايمان في الدنيا يوم القيامة نوراً فإذا انتهى الى الصراط طلع نور اللاتقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا فقالوا ربنا أتمم لنا نورنا

فإذا نشر هذا صلب الناس أجمعاً ، مؤمنون خالص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة وكفار خالص

وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ومناقضون وهم قسبان خلص وهم الضروب لم للتل النارى ومناقضون يترددون تارة يظهر لهم مع الإيمان وتارة ينحو وهم أصحاب اللؤلؤ الثماني وهم أخف حالا من الذين قبلهم وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمسبح في الرجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن الفطور على الإيمان واستمداده من الثمرة الخاصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا غلظت كما سيأتي تفريره في موضعه إن شاء الله ثم ضرب مثل المباد من الكفار الذين يتقنون أنهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل للركب في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) الآية ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط وهم الذين قال تعالى فيهم (أو كظلمات في بحر لجي يشعاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فلا لمن نور) قسم الكفار ههنا إلى قسمين داعية ومقلد كما ذكرها في أول سورة الحج (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) وقال (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) وقد قسم الله للمؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها ، وفي سورة الإنسان إلى قسمين سابقون وهم القربون وأصحاب يمين وهم الأبرار

فتخلص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صفان مقربون وأبرار وأن الكافرين صفان دعاة ومقلدون وأن الناقطين أيضا صفان مناقق خالص ومناقق فيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « ثلاث من مكن فيه كان مناققا خالسا ومن كانت فيه واحدة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعى : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » استدلوها به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق . إما على لهذا الحديث أو اعتقادي كادلت عليه الآية كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض العلماء كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية يعني شيخان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهو وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فبراهه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يدها القيح والدم فأى اللادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » وهذا إسناد جيد حسن وقوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير) قال محمد بن إسحق حدثني محمد ابن أبي عسدة عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) قال لما تركوا من الحق بعد معرفته (إن الله على كل شيء قدير) قال ابن عباس أي إن الله على كل ما أراد إبادة من قسمة أو عفو قدير . وقال ابن جرير : إنما وصف الله تعالى نفسه بالتدرة على كل شيء في هذا اللوح لأنه حجر الناقطين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى إذهاب أسعهم وأبصارهم قدير . ومعنى قدير قادر كما معنى علم عالم وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين التلئين مضموران لصف واحد من الناقطين ويكون أو في قوله تعالى (أو كصيب من السماء) بمعنى الواو كقوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أو تكون للتخيير أي أشرب لهم مثلا بهذا وإن عثت بهذا قال القرطبي : أو لتساوى مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الغرض أي أن كلا منهما مساو للآخر في الإحالة الجلوس إليه ويكون معناه على قوله سواء ضربت لهم مثلا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم (قلت) وهذا يكون باعتبار جنس الناقطين فانهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة - ومنهم - ومنهم - يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يشتمونهم من الأفعال والأقوال فيصل هذين التلئين لصفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم والله أعلم كما ضرب المثلين في سورة النور لصفين الكفار السعاة والمقلدين في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) إلى أن قال (أو كظلمات في

الأمم البارة ولولا البط في الدار لآتى الأمم وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك وفى الحديث أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ماشاء الله وشئت ، قال « أجبني فته ندا » وفى الحديث الآخر « نعم القوم أتم لولا أنكم تندون تقولون ماشاء الله وشاء فلان » قال أبو العالفة فلا تجعلوا لله أندادا أى عدلا شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدى وأبو مالك وإسماعيل بن أبى خالد وقال مجاهد (فلا تجعلوا لله أندادا وأتم تعلمون) قال تعلمون أنه إله واحد فى التوراة والإنجيل .

﴿ ذكر حديث فى معنى هذه الآية الكريمة ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو خلف موسى بن خلف وكان يعد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن جده مطور عن الحارث الأشعري أن نبى الله ﷺ قال « إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كليات أن يعمل بهن وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن وأنه كاد أن يبطىء بها فقال له عيسى عليه السلام أنك قد أمرت بخمس كليات أن تعمل بهن وأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن فاما أن تبلنهن وما أن تبلنهن فقال يا أحنى إن أحنى إن سبقتي أن أعذب أو يحسبني قال فجميع يحيى بن زكريا بنى إسرائيل فى بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فبعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله أمرني بخمس كليات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورك أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته إلى غير سيده فأيكسره أن يكون عبده كذلك وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأمركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم يلتفت فاذا سليت فلا تلتفتوا ، وأمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك فى عصا به كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وأمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه لضربوا عنقه وقال لهم هل لكم أن أقتدى نفسى منكم فجعل يشتد نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وأمركم بذكر الله كثيرا وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبة العدو سراعا فى أثره فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه وإن البعد أحسن ما يكون من الشيطان إنا كان فى ذكر الله » قال : وقال رسول الله ﷺ « وأنا أأمركم بخمس الله أمرني بهن : الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فى سبيل الله فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن دعا بدعى جاهلية فهو من جنى جهنم » قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى وقال « وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين بأسمائهم على ما منامهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله » هذا حديث حسن والشاهد منه فى هذه الآية قوله « وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا » وهذه الآية دالة على توحيدته تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهى دالة على ذلك بطريق الأولى فان من تأمل هذه الوجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها ومناقصها ووضعها فى مواضع النفع بها عكمة على قدرة خالقها وحكته وعلمه وإثانته وعظم سلطانه كما قال بعض الأعراب وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال يستبحان إله البئر ليدل على البئر ، وإن أثر الأقدام لتدل على السير ، فبهاء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج . وبها ذات أمواج ؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

وحكى الرازي عن الامام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف الفئات والأصوات والنفقات وعن أبى حنيفة أن بعض الأنادقة سأله عن وجود البارى تعالى فقال لهم دعوني فاني مفكر فى أمر قد أخبرت عنه ذكروا لى أن سفينة فى البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يجرسها ولا يسوقها وهى مع ذلك تنهب وتجيء وتسير بنفسها وتخرق الأمواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شئت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا هذا شيء لا يقوله خائف فقال وبحكم هذه الوجودات بما فيها من المالم العلوى والسفلى وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع فبنت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه ، وعن الشافعى أنه سئل عن وجود الصانع فقال هذا

ورق التوت طعمه واحد تأكله اليهود فيخرج منه الإبرسم وتأكله النحل فيخرج منه العسل وتأكله الشاة والبقر والأنعام خلقه برا وروحا وتأكله الطباء فيخرج منها السك وهو شيء واحد وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال هنا حسن حسين أملى ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالقضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فينا هو كذلك إذ اصنع جنداره فخرج منه حيوان مبيع يصير ذوقه كل حسن وصوت مبيع يني بذلك اليضة اذاخرج منها الفجاجة وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمل في نبات الأرض وانظر • الى آثار ما صنع للليك • عيون من الجين شاخت
بأحداق هي الذهب السيك • على قصب الزبرجد شاهدات • بأن الله ليس له شريك
وقال ابن المعتز فيأصبا كيف يصي الله أم كيف يصنع الجاحد
وفي كل شيء • آية • تدل على أنه واحد

وقال آخرون من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار الثيرة من السيارة ومن الثوابت وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم ولية ودورة ولها في أنفسها سير مجسما ، ونظر الى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب والجبال الموضوعة في الأرض لتقر وسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود • ومن الناس والديواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك • إنما يغشى الله من عباده العلماء) وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع وما نذرا في الأرض من الحيوانات للتنوعة والنبات المختلف العلوم والأرياح والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والله استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لإله غيره ولا رب سواه عليه توكلت وإليه أئيب ، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدا ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • كَلِنْ لَمْ تَقْعُوا وَلَنْ تَقْعُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي تَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ أَعْبَدُوا لِلْكَافِرِينَ ﴾

ثم شرع تعالى في تحرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو فقال مخاطبا للكافرين (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثله ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله فمارضوه بمثل ما جاء به واستعينوا على ذلك بمن عثتم من دون الله فانكم لا تستطيعون ذلك ، قال ابن عباس شهداءكم أعوانكم ، وقال السدي عن أبي مالك شركاءكم أي قوما آخرين يساعدونكم على ذلك أي استعينوا بالهتكم في ذلك يمدونكم وينصرونكم ، وقال مجاهد وادعوا شهداءكم قال ناس يشهدون به يعني حكم القضاة وقد نكحهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن فقال في سورة القصص (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أم به إن كنتم صادقين) وقال في سورة سبحان (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وقال في سورة هود (أم يقولون افتراه قل فأتوا بشور مثله مقتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وقال في سورة يونس (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لارب فيه من رب السابقين • أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وكل هذه الآيات مكية ثم نكحهم بذلك أيضا في المدينة فقال في هذه الآية (وإن كنتم في ريب - أي شك - مما نزلنا على عبدنا - يعني محمدا صلى الله عليه وسلم - فأتوا بسورة من مثله) يعني من مثل القرآن قاله مجاهد وقناة واختاره ابن جرير الطبري والخضرى والرازى وقوله عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وأكثر المحققين ورجح ذلك بوجوه من أحسنها أنه نكحهم كلهم مقترين

وجتمعين سواء في ذلك أمهم وكتابتهم وذلك أكل في التحدي وأتمل من أن يتحدى آسادهم الأميين عن لا يكتب ولا ياتي شيئا من العلوم ويدليل قوله تعالى (فأتوا بشر سور مثله) وقوله (لا يأتون بمثله) وقال بعضهم من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يني من رجل أمي مثله والصحيح الأول لأن التحدي لم علم كلهم مع أنهم أضح الأم وقد استخدم بهذا في مكة وللدنية مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبضمه لديه ومع هذا عجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) ولن لنفي التأيد في المستقبل أي ولن تفعلوا ذلك أبدا وهذه أيضا معجزة أخرى وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطعا مقدما غير خائف ولا متفقد أن هذا القرآن لا يمرض بمثله أبد الآبدين ودهر الدهارين وكذلك وقع الأمر لم يمرض من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن أن يأتي ذلك لأحد والقرآن حكيم الله خالق كل شيء وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى قال الله تعالى (الر) كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يعانى ولا يدانى فقد أخبر عن منيات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء وأمر بكل خير ونهى عن كل شر كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام فكله حق وصدق وعدل وهدي ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها كاتيل في الشعر إن أعدهب أ كذبوه تجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبا في وصف النساء أو الحيل أو البحر أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كاتنة أو عذبة أو سبع أو شيء من للشاهدات للتعبئة التي لا تضيد شيئا إلا قدرة التكميل للمعنى على الشيء الخفى أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح ثم تعبد له فيه بيتا أو بيتين أو أكثر في بيوت القصيد وسائر ما هنر لا طائل تحته ، وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهایات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا وإجمالا بل فهم كلام العرب وتعاريف التعبير ، فانه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسولة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا وكلا تكرر حلا وعلا ، لا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء ، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تهنش منه الجبال الصم الراسيات فما ظنك بالقلوب الناهات وإن وعد آتى بما يفتح القلوب والأذان ، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترغيب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يماضون) وقال (وفيها ما تشبهه الأنفس وتلد الأعين وأتم فيها خلادون) وقال في التهيب (أنأمتن أن يخسف بكم جانب البر) (أأمتن من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) أم أمتن من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وقال في الزجر : (فكلا أخذنا بذنبه) وقال في الوعظ (أفرأيت إن متناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل يبيح رذيل ذنبه ؛ كما قال ابن مسعود وغيره من السلف إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن يأتيا الذين آمنوا فآرعبا سمك فأتاهخير يأمربه أو شر ينهى عنه ولهذا قال تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) الآية وإن جاءت الآيات في وصف للماد وما فيه من الأحوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيها لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم وللآذ والعداب الألم ، بشرت به وحذرت وأنبذت ؛ ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وزهدت في الدنيا فرغبت في الآخرة ، وثبتت على الطريقة المثلى ، وهدت إلى صراط الله المستقيم ، وشرعه القويم ، ونشت عن القلوب رجس الشيطان ، الرجيم . ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن نبي من الأنبياء إلا قد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة - لفظ مسلم - وقوله صلى الله عليه وسلم وإنما كان الذي أوتيه وحيا إلى الذي اختصت به

من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يارضوه بخلاف غيره من الكتب الالهية فانها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم ، وله عليه الصلاة والسلام من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به مالا يدخل تحت حصر وله الحمد والمنة وقد قرر بعض التكلمين الامحاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول للفرقة في الصفة فقال إن كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الايمان بشئ ولا في قواعده معارضة قد حصل للدعي وهو المطلوب ، وإن كان في إيمانهم معارضة بشئ ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلا على أنه من عند الله لصفه لإعظام عن معارضة مع قدرتهم على ذلك ، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضة كما قررنا إلا أنها تصلح على سبيل التزل والمجادلة وللنافعة عن الحق وهذه الطريقة أجاب الربازي في تفسيره عن سؤاله في السور التصار كالصبر وإننا أعطيناك الكوثر

وقوله تعالى (فاقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) أما الوقود فبفتح الواو فهو ما يلقي في النار لاضرامها كالخشب ونحوه كما قال تعالى (وأما القاططون فكانوا لجهنم حطباً) وقال تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) • وكان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالون (والمراد بالحجارة هنا هي حجارة الكبريت الطيعة السوداء الصلبة للثقة وهي أهد الأجبار حرا إذا سميت أجبارنا الله منها : وقال عبد الملك بن مسيرة الزرادر عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) قال هي حجارة من كبريت خلفها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الله بها يدعها للكافرين . رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركة وقال في شرط الشيخين . وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صلح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ايقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يمديون به مع النار وقال مجاهد حجارة من كبريت أنث من الجنة ، وقال أبو جعفر محمد بن علي حجارة من كبريت وقال ابن جريج حجارة من كبريت أسود في النار وقال ابن عمرو بن دينار أصلب من هذه الحجارة وأعظم . وقيل المراد بها حجارة الأسمان والأندال التي كانت تميد من دون الله كما قال تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الآية حكاه القرطبي والربازي ووجهه على الأول : قال لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستكثر فجعلها هذه الحجارة أولى . وهذا الذي قاله ليس بقوى وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أهد لحرها وأقوى لسميرها ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك ، ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضا مشاهد وهذا الجص يكون أحجارا فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك . وكذلك سائر الأحجار فتمزجها النار وتمزجها وإنما سبق هذا في حر هذه النار التي وعيدوا بها وعنده ضرامها وقوة لها كما قال تعالى (كلما غبت زدتهم سميرا) وهكذا رجع القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تسمر بها النار لتعمر ويشد لها قال ليكون ذلك أهد عذابا لأهلها قال وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال « كل مؤذي النار » وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف ثم قال القرطبي وقد فسر بمعين أحدها أن كل من أذى الناس دخل النار والآخر أن كل ما يؤذي في النار يتأذى به أهلها من السباع والموام وغير ذلك

وقوله تعالى (أعدت للكافرين) الظاهر أن الضمير في أعدت عائدا إلى النار التي وقودها الناس والحجارة فعمل عوده إلى الحجارة كما قال ابن مسعود ولانفاة بين القولين في المعنى لأنهما متلازمان وأعدت أي أرسدت وجعلت للكافرين بالله ورسوله كما قال ابن اسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (أعدت للكافرين) أي إن كان على مثل ما أتم عليه من الكفر وقد استدلل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله تعالى (أعدت) أي أرسدت وهيئت وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها « تحاجت الجنة والنار » ومنها « استأذنت النار بها فقالت رب أكل بعضي مضى فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف » وحديث ابن مسعود مضى وجهه قتلنا ما هذه قال رسول الله ﷺ « هنا جبرائيل » من شفير جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل

إلى قبرها » وهو عند مسلم وحديث صلاة الكسوف وولية الاسراء وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا للنبي وقد خالفت المنزلة بجهلهم في هذا وواقفهم القاضي مندر بن سعيد البوطي قاضي الأندلس

(تنبيه يبنى الوقوف عليه)

قول تعالى (فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) وقوله في سورة يونس (بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ) بمع كل سورة في القرآن طوية كانت أو قصيرة لأنها نكرة في سياق الشرط فتم كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين كما هو مقرر في موضعه فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها وهذا مالا أعلم فيه نزاعا بين الناس سلفا وخلفا وقد قال الرازي في تفسيره فإن قيل قوله تعالى (فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) يتناول سورة الكوثر وسورة العصر وقيل يا أيها الكافرون ونحن نعلم بالضرورة أن الاتيان بمثل أو بما يقرب منه ممكن ، فإن قلتم إن الاتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر كان مكابرة والافتاد على هذه المكابرات مما يطرق بالهمة إلى الدين (قلنا) فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني وقلنا إن بلغت هذه السورة في الفصاحة حد الإعجاز فقد حصل المقصود وإن لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع هذه دواعيهم إلى تهوين أمره مجزا فقل التقديرين يحصل المعجز هذا لفظه بحر وفه والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة لا يستطيع البشر معارضتها طوية كانت أو قصيرة ، قال الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السورة لكفهم (والعصر إن الإنسان لفي خسر) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (وقد روي عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلة الكذاب قبل أن يسلم فقال له مسيلة ماذا أزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين فقال له عمرو لقد أزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي فقال (والعصر إن الإنسان لفي خسر) ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال ولقد أزل على مثلها فقال وما هو فقال ياؤبر ياؤبر إنما أنت أذنان وصدر وسارك حجر فقرر ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله إنك لتعلم آني لأعلم أنك تكذب

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِه مُّتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

لما ذكر تعالى ما أعد له لأعدائه من الأضياف الكافرين به وبرسله من العذاب والنعك عطف يذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله الذين صدقوا بإيمانهم بأعمالهم الصالحة وهذا معنى تسمية القرآن ثمانى على أصح أقوال العلماء كما ينسبته في موضعه وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه أو حال السعداء ثم الأضياف أو عكسه ، وحاصله ذكر الثم والمقابل . وأما ذكر الثم ونظيره فذلك التشابه كما سنوضحه إن شاء الله فلهذا قال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) فوصفها بأنه تجري من تحتها الأنهار أى من تحت أشجارها وغرفتها وقد جاء في الحديث أن أنهارها تجري في غير أشدود وجاء في الكوثر أن حافتيه قباب الأؤلؤ الجوف ولا منافاة بينهما فطينها للسك الأذفر ، وصحابها اللؤلؤ والجوهر ، نسأل الله من فضله إنه هو البر الرحيم وقال ابن أبي حاتم قرأ على حاتم بن الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو نؤبان عن عطاء ابن قره عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو من تحت جبال السك » وقال أيضا حدثنا أبو سعيد حدثنا وكيع عن الأعمش عن عبيد الله بن مرة عن مسروق ، قال : قال عبد الله أنهار الجنة تخرج من جبل مسك

وقوله تعالى (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبل ، قال لهم أتوا بالهجرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبل في الدنيا وهكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم ونصره ابن جرير وقال عكرمة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) قال عنه مثل الذي كان بالأسى وكذا قال الربيع ابن أنس . وقال مجاهد يقولون ما أشبه به قال ابن جرير وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من قبل ثمار الجنة من قبل هذا الشدة متشابهة بشدة قوله تعالى (وأثوا به متشابها) قال سنيد بن داود حدثنا شيخ من أهل المدينة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال يؤتى آدم بالصفة من الشيء فيأكل منها ثم يؤتى بأخري فيقول هذا الذي أثينا به من قبل فنقول لللائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عامر بن يساف عن يحيى بن أبي كثير قال عشب الجنة أزعران وكثبانها للسك يوطوف عليهم الولدان بالقوا كفيها كونها ثم يؤتون بثلاث فيقول لهم أهل الجنة هذا الذي أثيمونا آتاه فيقول لهم الولدان كلوا فاللون واحد والطعم مختلف وهو قول الله تعالى (وأثوا به متشابها) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية (وأثوا به متشابها) قال يشبهه بشدة وبضا ويختلف في الطعم ، قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والربيع بن أنس والبدى نحو ذلك وقال ابن جرير بإسناده عن السدي في قصيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى (وأثوا به متشابها) يعني في اللون وللراي وليس يشبه في الطعم وهذا اختيار ابن جرير وقال عكرمة (وأثوا به متشابها) قال يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب وقال سفيان الثوري عن الأصمعي عن أبي ثبيان عن ابن عباس لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء وفي رواية ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء ورواه ابن جرير من رواية الثوري وابن أبي حاتم من حديث أبي معاوية كلاهما عن الأصمعي به وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (وأثوا به متشابها) قال يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح والتفاح والرمان والرمان قالوا في الجنة هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وأثوا به متشابها يعرفونه وليس هو مثله في الطعم

وقوله تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس مطهرة من القدر والأذى . وقال مجاهد من الحيض والنائط والبول والنخام والبراق والني والول . وقال قتادة مطهرة من الأذى واللائم وفي رواية عنه لا يحض ولا كلف وروى عن عطاء والحسن والضحاك وأبي صالح وعطية والسدي نحو ذلك . وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال للطهرة التي لا تحيض ، قال وكذلك خلقت حواء عليها السلام فلما عصت قال الله تعالى إني خلقتك مطهرة وسأدعيك كما أديت هذه الشجرة - وهذا غريب وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا إبراهيم بن محمد حدثني جعفر بن محمد بن حرب وأحمد بن محمد الحواري (١) قال حدثنا محمد بن عبيد السكندی حدثنا عبد الرزاق بن عمر البرزنجي حدثنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال من الحيض والنائط والنخامة والبراق . هذا حديث غريب - وقد رواه الحاكم في مستدركه عن محمد بن يعقوب عن الحسن بن علي بن عفان عن محمد بن عبيد به وقال صحيح على شرط الشيخين وهذا الذي ادعاه فيه نظر فإن عبد الرزاق بن عمر البرزنجي هذا قال فيه أبو حاتم ابن حبان الباق لا يجوز الاحتجاج به (قلت) والأظهر أن هذا من كلام قتادة كما تقدم والله أعلم

وقوله تعالى (وم فيها خلادون) هذا هو تمام السعادة فانهم مع هذا النعيم في مقام أمين من اللوث والاضطجاع فلا آخر له ولا انقضاء بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام والله للسنون أن يحضرنا في ذمهم إلا عجود كرم بر رحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَضْرِبُ مَثَلًا مَّا بَوْضَةٌ مَّا قَوْفَهَا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَسْأَلُونَكَ عَنْهُمُ الْخُلُقُ مِنْهُمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(١) في لسان اليزان خوري وفي اليزان جوري بالجمع .

أُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١﴾

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة لما ضرب الله هذين اللذين للناقتين يعني قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) وقوله (أو كصيب من السماء) الآيات الثلاث قال للناقتون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله هذه الآية إلى قوله تعالى (هم الخسرون) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة لما ذكر الله تعالى التكبوت والذباب قال للشركون : ما بال التكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) وقال سعيد عن قتادة أي إن الله لا يستحي من الحق أن يذكر شيئا مما قل أو أكثر ، وإن الله حين ذكر في كتابه الذباب والتكبوت قال أهل الضلالة ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) (قلت) : البراءة الأولى عن قتادة فيها إظهار أن هذه الآية مكية وليس كذلك عبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب والله أعلم . وروى ابن جريج عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة وقال ابن أبي حاتم روى عن الحسن وإسماعيل بن أبي خاله نحو قول السدي وقاتدة . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال هذا مثل ضربه الله للدنيا أن البعوضة تحيا ماجعت فإذا مميت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدنيا ربا أخذهم الله عند ذلك ثم لا (قلنا نسوا ما ذكرنا به فتجنا عليهم أيواب كل شيء) هكذا رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية بنحوه فأنه أعلم بهذا اختلافاهم في سبب القول . وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي لأنه أسس بالسورة وهو مناسب ومعنى الآية أنه تعالى أخبر أنه لا يستحي أي لا يستكف وقيل لا يخشى أن يضرب مثلا ما أي شيء مثل كان بأي شيء كان صغيرا كان أو كبيرا وماهنا للتقليل وتكون بعوضة منصوبة على البدل كما تقول لأخسرين ضربا ما ، فيصدق بأدى شيء أو تكون بانسكة موصوفة ببعوضة واختار ابن جرير أن ما موصولة وبعوضة معربة بإعرابها قال وذلك سائق في كلام العرب أنهم يسمون صفة ما ومن بإعرابها لأنهما يكوثان معرفة تارة وتكرة أخرى كما قال

يكنى بأفضال من غيرنا * حب النبي محمد إنا

حسان بن ثابت

قال ويجوز أن تكون بعوضة منصوبة بحذف الجار وتهدير الكلام إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بين بعوضة إلى ما فوقها وهذا الذي اختاره الكسائي والقراء وقرأ الضحاك وإبراهيم بن عتبة بعوضة بالرفع قال ابن جني وتكون صفة لما وحذف المالك كما في قوله (تماما على الذي أحسن) أي على الذي هو أحسن وحكى سيويه : ما أنا بالذي قاتل لك شيئا . أي بالذي هو قاتل لك شيئا . وقوله تعالى (فما فوقها) فيه قولان أحدهما فادونها في الضفر والحجارة كما إذا وصف رجل باللؤم والشح فيقول السامع نعم وهو فوق ذلك - يعني فيها وصفت - وهذا قول الكسائي وأبي عبيد الله الرازي وأكثر المحققين . وفي الحديث «لأن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء» والثاني فما فوقها لما هو أكبر منها لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة وهذا قول قتادة ابن دطمة واختار ابن جرير فإنه يؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «ما من مسلم يشاك شوكه لما فوقها إلا كتب له بها درجة ومحبت عنه بها خطيئة» فأخبر أنه لا يستصفر شيئا يضرب به مثلا ولو كان في الحجارة والصفر كالبعوضة كما لا يستكف عن خلقها كذلك لا يستكف من ضرب المثل بها كما ضرب للمثل بالذباب والتكبوت في قوله (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضيف الطالب والمطلوب) وقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل التكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت التكبوت لو كانوا يعلمون) وقال تعالى (ألم تتركب ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها

من قرار * ثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء (وقال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) الآية ثم قال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أبنا يوجهه لآيات غير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) الآية كما قال (ضرب لكم مثلا من أمسك هل لكم بما مملكت أيما نكس من شركاءه في رزقكم) الآية . وقال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) الآية . وقال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا السالون) وفي القرآن أمثال كثيرة : قال بعض السلف اذا سمعت اللؤلؤ في القرآن فلم أنفحه بكيت على نفسي لأن الله قال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا السالون) وقال مجاهد في قوله تعالى (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنها الحق من ربهم ويهدى الله بها . وقال قتادة (فأما الذين آمنوا فاعلمون أنه الحق من ربهم) أي يعلمون أنه كلام الرحمن وأنه من عند الله ، وروى عن مجاهد والحسن والريبع بن أنس نحو ذلك وقال أبو العالية (فأما الذين آمنوا فاعلمون أنه الحق من ربهم) يعني هذا للؤلؤ (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) كما قال في سورة الدھر (وما جعلنا النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا ثلثة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب وزداد الذين آمنوا إيمانا * ولا يتأرب الذين أوتوا الكتاب وللمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا * كذلك يضلل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) وكذلك قال ههنا (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (يضل به كثيرا يعني به المنافقين ويهدي به كثيرا يعني به المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالة الى ضلالتهم فكذلكهم بما قد علموه حقا يقينا من اللؤلؤ الذي ضربه الله بما ضرب لهم وأنه لما ضرب له موافق ذلك لضلال الله إليهم به ، ويهدي به يعني للؤلؤ كثيرا من أهل الايمان والتصدق فيزيدهم هدى الى هدايتهم وإيمانا الى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا أنه موافق لما ضربه الله له مثلا وإقرارهم به وذلك هداية من الله لهم به) (وما يضل به الا الفاسقين) قال هم المنافقون وقال أبو العالية (وما يضل به الا الفاسقين) قال هم أهل النفاق وكذا قال الربيع ابن أنس وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس (وما يضل به الا الفاسقين) قال يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به ، وقال قتادة (وما يضل به الا الفاسقين) فسقوا فأضلهم الله على فسقهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عن إسحق بن سليمان عن أبي بستان عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن سعد بن سعد (يضل به كثيرا) يعني الخوارج . وقال شعبه عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبي قلت قوله تعالى (الذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه) الى آخر الآية فقال هم المحرورية وهذا الاستناد وإن صرح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فهو تفسير على المعنى لأن الآية أريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب قال أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وإنما هم داخلون بوصفهم فقامع من دخل لأنهم هموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الاسلام والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضا ، وهؤلاء العرب فسقت الرطة اذا خرجت من قصرتها ، ولهذا يقال للفأرة فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد وبنت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحلدة والعرب والفأرة والكلب العقور » فالفسق يشمل الكافر والعاصي ولكن فسق الكافر أشد وأقبح وأقبح من الفاسق الكافر والله أعلم بديل أنه وصفهم بقوله تعالى (الذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه) وقطعون ما أمر الله به أن يوصل وضعدون في الأرض أولئك هم الحاسرون) وهذه الصفات صفات الكفار المبينة لصفات المؤمنين كما قال تعالى في سورة الرعد (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يذكر أولو الأبواب الذين يوفون عهد الله ولا يتقضون للميثاق * والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويغشون ربهم ويخافون سوء الحساب) الآيات الى أن قال (والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه وقطعون ما أمر الله به أن يوصل وضعدون

في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه فقال بعضهم هو وصية الله إلى خلقه وأمره أيام بما أمرهم به من طاعته ونهيه أيام عما نهاهم عنه من معصيته في كتيبه وعلى لسان رسله ، وقضهم ذلك هو تركهم العمل به .

وقال آخرون بل هي في كفار أهل الكتاب والمناقضين منهم ، وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من الصلح بما فيها واتباع محمد ﷺ إذا بئث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم ، وقضهم ذلك هو جودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وانكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم لليثاق ليبينه للناس ولا يكتُمونه فأخبر تعالى أنهم نبؤوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا . وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله وهو قول مقاتل بن حيان

وقال آخرون بل عن هذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق وعهد إلى جميعهم في توحيد ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته وعهد إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من الحجرات التي لا يدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثله الشاهدة لهم على صدقهم قالوا وقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبين لهم صحتهم بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق . وروى عن مقاتل بن حيان أيضا نحو هذا وهو حسن وإليه مال الازمخشري فإنه قال (فإن قلت) فما المراد بعهد الله ؟ قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصامم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) إذ أخذ اليثاق عليهم من الكتب للنزلة عليهم كقوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) - وقال آخرون العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى عهدنا) الآيتين وقضهم ذلك تركهم الوفاء به وهكذا روى عن مقاتل بن حيان أيضا حتى هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي المالية في قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه - إلى قوله - أولئك هم الحاسرون) قال هي ست خصال من المناقضين إذا كانت فيهم النظرة على الناس أظهرها هذه الحاصل : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا أؤتمنوا خانوا ، وقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض وإذا كانت النظرة عليهم أظهرها الحاصل الثلاث إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا أؤتمنوا خانوا . وكذا قال الربيع بن أنس أيضا وقال السدي في تفسيره بإسناده قوله تعالى (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) قال هو ما عهد إليهم في القرآن فأقروا به ثم كفروا فنقضوه

وقوله (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) قيل المراد به صلة الأرحام والقرابات كما فسره قتادة كقوله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) ورجحه ابن جرير وقيل المراد أصحهم ذلك فكل ما أمر الله بوصله ولمعه يقطعوه وتركوه . وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى (أولئك هم الحاسرون) قال في الآخرة وهذا كما قال تعالى (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال الضحاك عن ابن عباس كل شيء نسيه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر فأما يعني به الكفر وما نسيه إلى أهل الإسلام فأما يعني به الغيب . وقال ابن جرير في قوله تعالى (أولئك هم الحاسرون) الحاسرون جمع خاسر وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمة كما يخسر الرجل في تجارتهم بأن يوضع من رأس ماله في يمه وكذلك الناقض والكافر يخسر بجرمان الله إياه رحمة التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمة يقال منه خسر الرجل يخسر خسرًا وخسرًا وخسرًا كما قال جرير بن عطية

إن سليطا في الحسار انه * أولاد قوم خلقوا الله

(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده (كيف تكفرون بالله) أي كيف تجهلون وجوده أو تبدلون منه غيره (وكنتم أمواتا فأحياكم) أي وقد كنتم عندما فأخرجكم إلى الوجود كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون (وقال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) والآيات في هذا كثيرة : وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (قالوا ربنا أمنا اثنتين وأحييتنا فاعترفنا بذنوبنا) قال هي التي في القبرة (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس : كنتم أمواتا فأحياكم : أمواتا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ثم يميتكم مودة الحق ثم يحييكم حين يميتكم ، قال وهي مثل قوله تعالى (أمنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (ربنا أمنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال كنتم ترابا قبل أن تخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يحييكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى : فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وهكذا روى عن السدي بنسبه عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة وعن أبي العلية والحسن ومجاهد وقنادة وأبي صالح والضحاك وعطاء الخراساني نحو ذلك وقال الثوري عن السدي عن أبي صالح (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) قال يحييكم في القبر ثم يميتكم وقال ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال خلقهم في ظهر آدم ثم أخذ عليهم الليثاق ثم أماتهم ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أيام يوم القيامة . وذلك كقوله تعالى (قالوا ربنا أمنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وهذا غريب والذي قبله . والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس وأولئك الجماعة من التابعين وهو كقوله تعالى (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يحييكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) الآية كما قال تعالى في الأنعام (أموات غير أحياء وما يشعرون) الآية (وقال وآية لهم للجنة أحييناها وأخرجنا منها جاثية يا كلون)

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم ذكر دليلا آخر مما يشاهدونه من خلق السموات والأرض فقال (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) أي قصد إلى السماء والاستواء هنا مضمّن معنى القصد والاقبال لأنه حدى بالي فسواهن أي فخلق السماء سبعا ، والسماء هنا اسم جنس فلهاذا قال (فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) أي وعلمه محيط بجميع ما خلق ، كما قال (ألا يعلم من خلق) وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة وهو قوله تعالى (قل أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فتضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وخططنا ذلك تحديق العزيز العليم) فهذا دلالة على أنه تعالى ابتداء خلق الأرض أولا ثم خلق السموات سبعا وهذا شأن البناء إن يبدأ بمارة أسفله ثم أعاليه بعد ذلك وقد صرح للفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا إن شاء الله . فلما قوله تعالى (أأنتم أضع خلقا أم السماء بها) رفع سمكها فسواها * واغطش ليها واخرج منها ما فيها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ما بها ومرعاه * والجال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم) فقد قيل إن ثم هنا إنما هي لطف الخبر على الخبر لا لطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر : قل لمن ساد ثم ساد أبوه * ثم قد ساد قبل ذلك جمه * وقيل إن السحى كان بعد خلق السموات والأرض رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : وقد قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن

مرة عن ابن مسعود وعن ثاس من الصحابة (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) قال إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دحاناً فارتفع فوق الماء فيها عليه سبع سموات ثم أيس الماء فبسطه أرضاً واحدة ثم فلقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين فخلق الأرض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله في القرآن (ن والقلم) والحوت في السماء والسماء على ظهر صفة والصفة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت فاضطرب فترزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فقمرت فالجبال تضخ على الأرض ، فلذلك قوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي أن تعبد بهم) وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبت لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء وذلك حين يقول (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) يقول أنبت شجرها (وقدر فيها أوقاتها) لأهلها (في أربعة أيام سواء للسائلين) يقول من سأله فكذلك الأمر (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض (وأوحى في كل سماء خلقها) قال خلق الله في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ، ثم زين السبل الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً لحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحبه استوى على العرش فذلك حين يقول (خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) ويقول (كاتباً رتماً ففرضاها وجعلنا من الماء كل شيء حي) وقال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن عبد الله بن سلام أنه قال إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين في الأحد والاثنين وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فذلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

وقال مجاهد في قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) قال خلق الله الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض ثار منها دخان فذلك حين يقول (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات) قال بعضهم فوق بعض وسبع أرضين يعني بعضها تحت بعض وهذه الآية دالة على أن الأرض خلقت قبل السماء كما قال في آية السجدة (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سنوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء وهذا مالا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلا ما قلته ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره قوله تعالى (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) رفع سمكها فسواها وأغطش ليها وأخرج ضحاهما * والأرض بعد ذلك دحلاء * أخرج منها ما بها ومصابها والجبال أرساها) قالوا قد ذكر خلق السماء قبل الأرض وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا فبينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديماً وحديثاً وقد حورنا ذلك في سورة النازعات وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحلاء) وأخرج منها ما بها ومصابها والجبال أرساها) ففسر الدحي بالخارج ما كان مودعاً فيها بالقوة إلى القلم لا أكلت سورة المخلوقات الأرضية ثم البادية حتى بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كان مودعاً فيها من لياح فنبت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب والثوابت والسيارة والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسير هذه الآية الحديث الذي رواه مسلم والنسائي في التفسير أيضاً من رواية ابن جريج

قال أخيراً إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وث فيها الأبواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة بين المنصر إلى الليل » وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم عليه على ابن اللذين والبخاري وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب ، وأن أباهريفة إنما سمعه من كلام كعب الأبحار وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً وقد حرر ذلك البيهقي .

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَنْتَجَلُ فِيهَا مِنْ مُبْغِدٍ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

يخبر تعالى بامتنانه على نبي آدم بتوبيه بذكرهم في اللأ الأعلى قبل إيجادهم فقال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ) أي وأذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة وأقصص على قومك ذلك ، وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية وهو أبو عبيدة أنه زعم أن إذ هنا زائدة وأن تحدير الكلام وقال ربك ورده ابن جرير ، قال القرطبي وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج هذا اجترأ من أبي عبيدة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل كما قال تعالى (هو الذي جعلكم خلائف الأرض) وقال (ويخلفكم خلفاء الأرض) وقال (ولولنا شاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) وقال (فخلف من بعدهم خلف) وقرئ في الشاذل (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) حكاهما الحارثي وغيره . وقال القرطبي عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما قوله طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره والظاهر أنه لم يرد آدم حينئذ لو كان ذلك لما حسن قول للملائكة (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فانهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك فلم خاص أوما فهموه من الطيبة البشرية فانه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صملاً مستنوعاً أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من اللظالم ويردعهم عن المآثم ولما سمعوا أنه قال القرطبي أو أنهم قالوا سمعوا من سبق كما سذكر أقوال المفسرين في ذلك ، وقول للملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول أي لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه وههنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقاً قال قتادة وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون ياربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء فان كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك وقصد لك أي نصل لك كما سبأ ، أي ولا جسد مناشيء من ذلك وهلا وقع الاقتصاص علينا ؟ قال الله تعالى عبيدكم عن هذا السؤال (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أي إِنِّي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المقاسد التي ذكرت ما لا تعلمون أنتم فاني سأجمل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء الماملون والخاشعون والهابون له تبارك وتعالى المتبعون رساله صلوات الله وسلامه عليهم ، وقد ثبت في الصحيح أن للملائكة إذا سمعت إلى الرب تعالى بأعمال عباده يسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون آميناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون . وذلك لأنهم يتابعون فينا ويعتصمون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر فيمكث هؤلاء وحدهم بالأعمال كما قال عليه الصلاة والسلام « يرتفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » فتعلمون آميناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تخسير قوله لهم (إِنِّي أَعْلَمُ

ملا تعلمون) وقيل معنى قوله تعالى جوابا لهم (إني أعلم ما تعلمون) إني لى حكمة مفصلة فى خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لاعتلمونها ، وقيل إنه جواب (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فقال (إني أعلم ما تعلمون) أى من وجود إبليس بينكم وليس هو كما وصفت ؟ . كما به . وقيل بل تضمن قولهم (أنجيل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) طلبا منهم أن يسكنوا الأرض بدل بنى آدم فقال الله تعالى لهم (إني أعلم ما تعلمون) من أن بقاءكم فى السماء أصلح لكم وأليق بكم . ذكرها الرازى مع غيرها من الأجوبة والله أعلم .

(ذكر أقوال القسرين ببسط ما ذكرناه)

قال ابن جرير حدثني القاسم بن الحسن حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قالوا : قال الله للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قال لهم إني فاعل هذا ومعناه أنه أخبرهم بذلك ، وقال السدى استشار للملائكة فى خلق آدم رواه ابن أبي حاتم وقال وروى عن قتادة نحوه وهذه البشارة إن لم ترجع إلى معنى الأخبار فيها تساهل وبعبارة الحسن وقتادة فى رواية ابن جرير أحسن والله أعلم (فى الأرض) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أن رسول الله ﷺ قال « دحيت الأرض من مكة وأول من طاف بالبيت للملائكة فقال الله إني جاعل فى الأرض خليفة يعنى مكة » وهذا مرسل وفى سنده ضعف وفيه مدرج وهو أن الراد بالأرض مكة والله أعلم فإن الظاهر أن الراد بالأرض أعم من ذلك (خليفة) قال السدى فى تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أن الله تعالى قال للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة . قالوا ربا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويستاحسون ويقتل بعضهم بعضا . قال ابن جرير فكان تأويل الآية على هذا إني جاعل فى الأرض خليفة منى يختلف فى الحكم بالعدل بين خلقى وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه فى طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه وأما الانقضاء وسفك السماء بغير حقها فمن غير خلقها : قال ابن جرير وإمما معنى الخلافة التى ذكرها الله إنما هى خلافة قرن منهم قرنا قال والخليفة الفيلية من قومك خلف فلان فلانا فى هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بصدده كما قال تعالى (ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة لأنه خلف الذى كان قبله فقام بالأمر فكان منه خلفا . قال وكان محمد بن إسحق يقول فى قوله تعالى (إني جاعل فى الأرض خليفة) يقول سأكسأ وعامرا يعمرها ويسكنها خلقا ليس منكم : قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال إن أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها السماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله إليهم إبليس فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فأسكنه فيها فلذلك قال (إني جاعل فى الأرض خليفة) وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن ابن سابط (إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أنجيل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء ؟) قال يعنون به بنى آدم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الله للملائكة إني أريد أن أخلق فى الأرض خلقا وأنجيل فيها خليفة وليس الله عز وجل خلق إلا للملائكة والأرض وليس فيها خلق قالوا أنجيل فيها من يفسد فيها . وقد تقدم ما رواه السدى عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن الله أعلم للملائكة بما فعله ذرية آدم فقالت للملائكة ذلك وتقدم أنما ما رواه الضحاك عن ابن عباس أن الجن أفسدوا فى الأرض قبل بنى آدم فقالت للملائكة ذلك فقاموا هؤلاء بأولئك : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان الجن بنو الجن فى الأرض قبل أن يخلق آدم بألفى سنة فأفسدوا فى الأرض وسفكوا السماء فبعث الله جنودا من الملائكة ففرضهم حتى ألحقوا بجزائر البحور فقال الله للملائكة : إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أنجيل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء ؟ قال إني أعلم ما تعلمون . وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس

عن أبي العالية في قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة - إلى قوله - أعلم ما تبذلون وما كنتم تكتمون) قال خلق الله لللائكة يوم الأربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فكفر قوم من الجن فكانت لللائكة تهبط إليهم في الأرض فتعاطلهم بينهم وكان الفساد في الأرض فمن ثم قالوا أجهل فيها من يفسد فيها كما أفسدت الجن ويسفك السماء كما يسفكون قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مبارك بن فضالة أخبرنا الحسن قال : قال الله لللائكة إني جاعل في الأرض خليفة قال لهم إني فاعل فآمنوا ببرهم فضلمهم علماً وطوى عنهم علماً ولم يسلوه فقالوا بالسلام الذي علمهم أجهل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون . قال الحسن إن الجن كانوا في الأرض يفسدون ويسفكون السماء ولكن جعل الله في قلوبهم أن ذلك سيكون فقالوا بالقول الذي علمهم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (أجهل فيها من يفسد فيها) كان الله أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خلق أقصدوا فيها وسفكوا السماء فذلك حين قالوا أجهل فيها من يفسد فيها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام الرازي حدثنا ابن المبارك عن معروف يعني ابن خريوذ الشامي عن معمر بن أبي جعفر محمد بن علي يقول السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه وكان له في كل يوم ثلاث لحات في أم الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فأفسد فيها خلق آدم وما كان فيه من الأمور فأفسد ذلك إلى هاروت وماروت وكانا من أعوانه فلما قال تعالى ، إني جاعل في الأرض خليفة — قالوا أجهل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء . قال ذلك استطالة على اللائكة . وهذا أثر غريب وبشديد صحت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة توجب رده والله أعلم : ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط وهو خلاف السياق وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضاً حيث قال : حدثنا أبي حدثنا هشام بن أبي عبيد الله حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال سمعت أبي يقول إن لللائكة الذين قالوا (أجهل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) كانوا عشرة آلاف فخرجت نار من عند الله فأحرقهم وهذا أيضاً إسرائيل منكر كالأدي قبله والله أعلم . قال ابن جريج إنما تكلموا بما علمهم الله أنه كائن من خلق آدم فقالوا أجهل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء : قال ابن جرير وقال بعضهم إنما قالت اللائكة ما قالت أجهل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء لأن الله أذن لهم في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرهم أن ذلك كائن من بني آدم فسأله اللائكة فقالت على التصب منها وكيف يمسوك يارب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم (إني أعلم ما لا تعلمون) يعني أن ذلك كائن منهم وإن لم تعلموه أنهم وعن بعض مآثره على طائفة قال وقال بعضهم ذلك من اللائكة على وجه الاسترشاد مما لم يعلموا من ذلك فكأنهم قالوا يارب خبرنا — مسألة استخبار منهم لا على وجه الانكار — واختاره ابن جرير ، وقال سعيد عن قتادة قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) قال استشار للملائكة في خلق آدم فقالوا أجهل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء — وقد علمت اللائكة أنه لا شيء أكره عند الله من سفك السماء والفساد في الأرض — ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون فكان في علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أشياء ورسول وقوم صالحون وساكنتوا الجنة قال وذكر لنا عن ابن عباس أنه كان يقول : إن الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام قالت اللائكة ما الله خالق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم منا فأتوا خلق آدم وكل خلق مبتلي كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة فقال الله تعالى (ائتبطوا أو كرها قالنا أتيننا طائعين) وقوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) : قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال التيسيع والتيسيع والتعديس الصلاة : وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال يقولون نصل لك وقال مجاهد ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال نمطك ونمكرك . وقال الضحاك التقدس انتظير وقال محمد بن إسحاق ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال لا نصي ولا نأني شيئاً تكرهه . وقال ابن جرير التقدس هو التعظيم والتطهير . ومنه قولهم سبح قدوس يعني قولهم سبح طهره له ، وقولهم قدوس طهارة وتعظيم له : وكذلك قيل للأرض أرض مقدسة يعني بذلك الطهارة

فبنى قوله للملائكة إننا (ونحن نسبح بحمدك) ننزهك ونبرئك عما يشبه إليك اهل الشرك بك (وتقدس لك) ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما اضاف إليك اهل الكفر بك . وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ سئل اى ستم افضل ؟ قال « ما اسطغى الله للملائكة سبحان الله وعمره » وروى البيهقى عن عبد الرحمن بن قريط ان رسول الله ﷺ ليلة اسرى به سمع تسبيحا فى السموات العلى « سبحان العلى الأعلى سبحانه تعالى » (قال لى اعلم ما تملعون) قال قتادة فكان فى علم الله انه سيكون فى تلك الخليفة انباء ورسلا وقوم صالحون وساكوا الجنة وسبأى عن ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من الصحابة والتابعين اقوال فى حكمة قوله تعالى (قال لى اعلم ما تملعون)

وقد استدلل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيها اختلافوا فيه ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم ويقم الحدود ويحجز عن تعاطى الفواحش إلى غير ذلك من الامور المهمة التى لا يمكن إقامتها إلا بالإمام والملائمة الواجب لإياه فهو واجب . والإمامة تنال بالنص كما يقوله طائفة من اهل السنة فى اى بكر أو بالاياء إليه كما يقول آخرون منهم اوباستخلاف الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب أو بتركه شورى فى جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر اوباجتماع اهل الحل والعقد على مبايعته اوبمبايعة واحد منهم له فيجب التزامها عند الجمهور وحكى على ذلك إمام الحرمين الاجماع والله اعلم . او يشهر واحد الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدى ذلك إلى الشقاق والاختلاف وقد نص عليه الشافعى وهل يجب الاشهاد على عقد الإمامة ؟ فيه خلاف فمنهم من قال لا يشترط وقيل بلى ويكنى شاهدان وقال الجبائى يجب أربعة ومما قد ومفقود له كما ترك عمر رضى الله عنه الأمر شورى بين ستة فوقع الامر على عاقد وهو عبد الرحمن بن عوف ومفقود له وهو عثمان ، واستتبط وجوب الاربعة اليهود من الاربعة الباقيين وفى هذا نظر والله اعلم

وجب أن يكون ذكر أحرار بالنا عاقلا مسلما عدلا مجتهدا بصيرا سليم الأعضاء خيرا بالحروب والآراء قرشيا على الصحيح ولا يشترط الهشمى ولا المنصوب من الخطأ خلافا للثلاثة الرافض ، ولو فسق الامام هل ينزل أم لا ؟ فيه خلاف والصحيح أنه لا ينزل لقوله عليه الصلاة والسلام « إلا أن تروا كفرا يرا عتدكم من الله فيه برهان » وهل له أن ينزل نفسه فيه خلاف ، وقد عزل الحسن بن على رضى الله عنه نفسه وسلم الأمر إلى معاوية لكن هذا لم يردد مدح على ذلك : فأما نصب إمامين فى الأرض أو أكثر فلا يجوز لقوله عليه الصلاة والسلام « من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرك بينكم فاقبلوه كاتما من كان » وهذا قول الجمهور ، وقد حكى الاجماع على ذلك غير واحد منهم إمام الحرمين وقالت الكرامية يجوز اثنان فأكثر كما كان على ومعاوية إمامين واجبه الطاعة قالوا وإذا جاز بث نبين فى وقت واحد وأكثر جاز ذلك فى الإمامة لأن الثبوت أعلى رتبة بلا خلاف وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ اى إسحاق أنه يجوز نصب إمامين فأكثر إذا تابعت الاقطار واسمت الاقاليم بينهما وتردد إمام الحرمين فى ذلك قلت وهذا يشبه حال الخلفاء بنى عباس والبراق والفاطميين بمصر والمؤمنين بالمغرب ولتقرر هذا كله فى موضع آخر من كتاب الاحكام إن شاء الله تعالى

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
 قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قُلْنَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له وإنما قدم هذا الفصل على ذلك مناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألو عن ذلك

فأخبرهم تعالى بأنه يعلم مالا يعلمون ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا لبيان لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) قال السدي عن حماد بن عيسى (وعلم آدم الأسماء كلها) قال عليه السلام ولله إنسانا إنسانا ودواب قبيلا هذا الحمار ، هذا الجمل ، هذا القرس ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وعلم آدم الأسماء كلها) قال هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودواب وسباع وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأسماء ذلك من الأنعام وغيرها ، وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث حاتم بن كليب عن سعيد بن مبدع عن ابن عباس (وعلم آدم الأسماء كلها) قال عليه اسم الصفحة والقدر قال نعم حتى القسوة والفسية ، وقال مجاهد (وعلم آدم الأسماء كلها) قال عليه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء ، وكذلك روى عن سعيد بن جبير وقادة وغيرهم من السلف أنه عليه أسماء كل شيء وقال الربيع في رواية عنه أسماء لللائكة . وقال حميد الشامي أسماء النجوم . وقال عبد الرحمن بن زيد عليه أسماء ذريته كلهم . واختار ابن جرير أنه عليه أسماء لللائكة وأسماء الدرية لأنه قال (ثم عرضهم) وهذا عبارة عما يقبل وهذا الذي رجح به ليس بلازم فإنه لا ينبغي أن يدخل معهم غيرهم ويبر عن الجميع بهيمة من يعقل للتخليب كما قال تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يعشى على بطنه ومنهم من يسعى على رجلين ومنهم من يسعى على أربع خلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) وقد قرأ عبد الله بن مسعود ثم عرضهم . وقرأ أبي بن كعب ثم عرضها أي للمسميات . والصحيح أنه عليه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى القسوة والفسية يعني أسماء الدواب والأفعال المكبر والصغر ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية في كتاب التفسير من صحيحه . حدثنا مسلم ابن إبراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال : « يجتمع للؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يرعنا من مكنا هذا ، فيقول لست هنا كم ويدرك ذنبه فيستحي ، اتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض . فيأتونه فيقول لست هنا كم ، ويدكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي . فيقول اتوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هنا كم فيقول اتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتونه فيقول لست هنا كم ويدكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه . فيقول اتوا عيسى عبدا كلمه الله ورسوله وكلمه الله وروحه فيأتونه فيقول لست هنا كم اتوا محمدا عبدا غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتون فيأطلق حتى أستاذن على ربي فيأذن لي فإذا رأيت ربي وقمت ساجدا فيعني ما شاء الله ثم قال ارفع رأسك وسل تسطه وقل يسمع واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحدي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحدي لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة ثم أعود الرابعة فأقول ما بقى في النار إلا من حسبه القرآن ووجب عليه الخلود » هكذا ساق البخاري هذا الحديث ههنا ، وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو ابن أبي عبد الله المستوفى عن قتادة به وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة ، ووجه إيراده ههنا والقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلك أسماء كل شيء . فليهذا على أنه عليه أسماء جميع المخلوقات ولهذا قال (ثم عرضهم على لللائكة) يعني المسميات كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ثم عرض تلك الأسماء على لللائكة (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (وعلم آدم الأسماء كلها) ثم عرض الخلق على لللائكة . وقال ابن جرير عن مجاهد ثم عرض أصحاب الأسماء على لللائكة وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة عن الحسن وابن بكير عن الحسن وقادة قالا : عليه اسم كل شيء وجعل يسمى كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة ، وهذا الاسناد عن الحسن وقادة في قوله تعالى (إن كنتم صادقين) إني لم أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء

هؤلاء إن كنتم صادقين . وقال الضحاک عن ابن عباس (إن كنتم صادقين) إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في الأرض خليفة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض وينفكون السماء وقال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ومعنى ذلك فقال أنبئوني بأسماء من عرشته عليكم أيها للملائكة القائلون : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء ؟ من غيرنا ثم منا فعن نسيح بحمدك وقدس لك . إن كنتم صادقين في قلبك إني إن جعلت خليفي في الأرض من غيركم عصاني وذرته وأفسدوا وسفكوا السماء وإن جعلتكم فيها ألعنتموني وأتبعت أمري بالتعظيم والتقدس فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرشت عليكم وأتمت تشاهدوهم فأتم بما هو غير موجود من الأمور السكينة التي لم توجد أخرى أن تكونوا غير عالين قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم هذا قدس وتزييه من للملائكة لله تعالى أن يحيط احد بشيء من علمه إلا بما شاء وإن علموا شيئاً لإعلامهم الله تعالى ولهذا قالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) أي العلم بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك ما تشاء ومنعك ما تشاء ، لك الحكمة في ذلك والعدل التام . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حص بن غياث عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس : سبحان الله ، قال تنزيه الله نفسه عن السوء ثم قال عمر لمي وأصحابه عنده لإله إلا الله قد عرفناها فما سبحان الله فقال له على كلمة أحبا الله لنفسه ورضيها وأحب أن يقال . قال وحدثنا أبي حدثنا فضيل بن النضر بن عدى قال سألت رجلاً ميموناً بن مهران عن سبحان الله قال اسم يعظم الله به ويحاشي به من السوء

قوله تعالى (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال زيد بن أسلم قال أنت جبرائيل أنت ميكائيل أنت إسرافيل حتى عدد الأسماء كلها حتى بلغ الغراب . وقال مجاهد في قول الله (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) قال اسم الحسامة والغراب واسم كل شيء وروى عن سعيد بن جبير والحسن وقاعة نحو ذلك فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على للملائكة عليهم السلام في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الأشياء ، قال الله تعالى للملائكة (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) أي ألم أقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخبى كما قال تعالى (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) وكما قال إخباراً عن المهدد أنه قال لسليمان (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) وقيل في قوله تعالى (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) غير ما ذكرناه فروى الضحاک عن ابن عباس (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والافتراء . وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء الآية فهذا الذي أبدوا (وما كنتم تكتمون) يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاک والثوري . واختار ذلك ابن جرير وقال أبو العالية والريبع بن أنس والحسن وقاعة هو قولهم لم يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه : وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) فكان الذي أبدوا هو قولهم . أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء وكان الذي كتموا بينهم هو قولهم لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم . فمروا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قصة الملائكة وأدم : فقال الله للملائكة كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، وهذا عندي قد علمته فكذلك أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يصيبي ومن يطعني ، قال وقد سبق من الله (لأنما لن جهنم من الجنة) والناس أجمعين) قال ولم تعلم للملائكة ذلك ولم يدروا قال فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا له بالفضل .

وقال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس وهو أن معنى قوله تعالى : وأعلم ما تبذرون — وأعلم مع غيب السموات والأرض ما تظهره بالأسكتكم وما كنتم تحفون في أسكتكم فلا يخفى على شيء سواء عندى سرائركم وعلايتكم والذي أظهره بالأسكتكم قولهم أجعل فيها من يفسد فيها ، والذي كانوا يكتمون ما كان عليه منطويا إبليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبر عن طاعته : قال وصح ذلك كما تقول العرب قتل الجيش وهزموا ، وإنما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض فيخرج الجبر عن اللزوم منه وللقول مخرج الجبر عن جميعهم كما قال تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) ذكر أن الذي نادى إنما كان واحدا من بنى نعيم ، قال وكذلك قوله (وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون)

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَأَسْكَنَ ۚ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ ﴾

وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم آمن بها على ذريته حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وقد لد على ذلك أحاديث أيضا كثيرة منها حديث الشفاعة للقدم وحديث موسى عليه السلام « رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فلما اجتمع به قال أنت آدم الذي خلقه الله بيده وتنفع فيه من روحه وأسجد له ملائكة » قال وذكر الحديث كما سألني إن شاء الله . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلق الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي قال وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت قال وخلق الإنسان من طين فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقصل بعضهم بعضا ، قال بعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألقاهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل إبليس ذلك اغتر في شقه فقال قد صنعت عيشا لم يصنعه أحد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه فقال الله تعالى للملائكة الذين كانوا معه : إني جاعل في الأرض خليفة . فقالت الملائكة جميعن له : أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وإنما بشتنا عليهم لذلك ؟ فقال الله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون ، يقول إني قد اطعته من قلب إبليس على ما لم تعلموا عليه من كبره واعتباره قال ثم أمر بربة آدم فرقت فخلق الله آدم من طين لازب واللازب اللازج الطيب من حيا مسنون منين وإنما كان حيا مسنونا بعد التراب فخلق منه آدم بيده قال فكثرت أربعين ليلة جسدا ملقى وكان إبليس ياتيه فيضربه برجله فيصلص فيصوت فهو قول الله تعالى (من صلصا كالضخار) يقول كالشعر للنفجر الذي ليس بمصمت قال ثم دخل في فيه وخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيئا للصلصا ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك لأهلكك ولئن سلطت على أعصيتك . قال فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل راسه فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحما ونمما فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهب فلم يجد فهو قول الله تعالى (وخلق الإنسان عجولا) قال ضجرا لأصره على سراة ولاضراء قال فلما تمت النفخة في جسده عطش فقال « الحمد لله رب العالمين » بالهام الله فقال الله له « يرحمك الله يا آدم » قال ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاعتقار فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول إن النار أقوى من الطين قال فلما أبى إبليس أن يسجد إبليس الله أي آتسه من الجبر كله وجعله شيطانا رجلا عقوبة لمصيته ثم علم آدم الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة وأرض وسهل وجزر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ثم عرض هذه الأسماء على أولئك

للملائكة يعنى للملائكة الذين كانوا مع إبليس الذين خلقوا من نار السموم وقال لهم (أنبئوني بأسماء هؤلاء) أى يقول أخبروني بأسماء هؤلاء (إن كنتم صادقين) إن كنتم تعلمون لم أجل في الأرض خليفة ، قال فلا علمت للملائكة موجبة الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب الذى لا يعلمه غيره الذى ليس لهم به علم (قالوا سبحانك) تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره تنبأ إليك (لا علم لنا إلا ما علمتنا) تبرأ منهم من علم الغيب إلا ما علمتنا كما علمت آدم فقال (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) يقول أخبرهم بأسمائهم (فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم) أيها الملائكة خاصة (إلى أعلم غيب السموات والأرض) ولا يعلم غيرى (وأعلم ما تبديرون) يقول ما تظهرون (وما كنتم تكتمون) يقول أعلم السركا أعلم الملائكة يعنى ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز هذا سياق غريب وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها وهذا الاسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور وقال السدى في تفسيره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجلس إبليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما هموا الجن لأنهم خزان الجنة وكان إبليس مع ملكه خازنا فوق في صدره وقال ما أعطاني الله هذا إلا لمزى لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة (إلى جاعل في الأرض خليفة) فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إلى أعلم ما لا تعلمون) يعنى من شأن إبليس . فبعث الله جبريل إلى الأرض ليأنيه بطين منها فقالت الأرض إلى أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشينى فرجع ولم يأخذ وقال يارب إنها عاذت بك فأعنتها ، فبعث ميكائيل فضاقت منه فأعادها ، فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فضاقت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض وخطط ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء بيضاء وسوداء فذلك خرج بنو آدم مختلفين فبعد به قبل التراب حتى عاد طينا لازبا والابز هو الذى يلتزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة (إلى خالق بشر من طين) فلما سوتته وضخت فيه من روى قمعوا له ساجدين) فخلق الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه يقول له تكبر عما عملت يدي ولم أتكبر إلا أناعته بخلقته بشرا ، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه فكان أشد من فرط منه إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لأمر ما خلقت ، ودخل من فيه فخرج من دبره ، وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكه ، فلما بلغ الجن الذى يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا نفخت فيه من روى فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت للملائكة قل الحمد لله قال الحمد لله ، فقال له الله « يرحمك ربك » فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل الروح إلى جوفه اشتته الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى (خلق الإنسان من عجل) فسجد للملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ، أبى واستكبر وكان من الكافرين ، قال الله له ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقت يدي ؟ قال أنا خير منه لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين ، قال الله له (اخرج منها فما يكون لك) يعنى ما ينشئ لك (أن تكبر فيها فأخرجك منك من الصاغرين) والصنار هو الذل قال (وعلم آدم الأسماء كلها) ثم عرض الخلق على الملائكة (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أن بنى آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، فقالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال) الله (يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إلى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبديرون وما كنتم تكتمون) قال و قولهم (أجعل فيها من يفسد فيها) فهذا الذى ابدوا (وأعلم ما تكتمون) يعنى ما أسر إبليس في نفسه من الكبر ، فهذا الاسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدى ويقع فيه إسر依ليات كثيرة قلل بعضها مندرج ليس من كلام الصحابة

أو أنهم أخذوه من بعض الكتب القديمة والله أعلم . والحاكم يروى في مستدرکه هذا الإسناد بعينه أشياء ويقول على شرط البخاري .

والفرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطايمه لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم ، فلهذا دخل في الخطاب لهم وذم في عقابته الأمر ، ويستبسط المسألة إن شاء الله تعالى عند قوله (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) ولهذا قال محمد بن إسحاق عن خالد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب الحصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتباذا ، وأكثرهم علماً ، فذلك دعا إلى الكبر ، وكان من حى يسمون جنا وفي رواية عن خالد عن عطاء عن طاوس أو مجاهد عن ابن عباس أو غيره بنحوه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بنى ابن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل ، وكان من أشرف الملائكة من ذوى الأجنحة الأربعة ، ثم أبس بعد وقال سديد : عن حجاج عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة وأكثرهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض ، وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس سواء . وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس : إن من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن : وكان إبليس منهم ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فصلى ففسده الله شيطاناً رجياً ، رواه ابن جرير . وقال قتادة عن سعيد بن السبيب : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عدى ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفه عين قط . وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس ، وهذا إسناد صحيح عن الحسن ، وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء . وقال شهر بن حوشب : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء ، رواه ابن جرير . وقال سديد بن داود : حدثنا هشيم أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى عن موسى بن نير وعثمان بن سعيد بن كامل عن سعد بن مسعود قال : كانت الملائكة تقاتل الجن فسي إبليس وكان صغيراً فكان مع الملائكة يتبع معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى إبليس فلذلك قال تعالى (إلا إبليس كان من الجن) وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان البزاز حدثنا أبو حاتم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال : إن الله خلق خلقاً فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفلعبث الله عليهم ناراً فأحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقال (إني خالق بشر من طين) اسجدوا لآدم قال فأبوا فبث الله عليهم ناراً فأحرقهم ، ثم خلق هؤلاء فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم - وهذا غريب ولا يكاد يصح إسناده فإن فيه رجالاً مهما ومثله لا يحتج به والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة حدثنا صالح بن حيان حدثنا عبد الله بن بريدة : قوله تعالى (وكان من الكافرين) من الذين أبوا فأحرقهم النار وقال أبو جعفر رضي الله عنه عن الربيع عن أبي العالقة (وكان من الكافرين) يعني من العاصين وقال السدي (وكان من الكافرين) الذين لم يحلقهم الله يومئذ يكونون بعد ، وقال محمد بن كعب القرظي ابتدأ الله خلق إبليس على الكفر والشلالة وحمل بهل للملائكة قصيره الله إلى ما أبدى عليه خلقه من الكفر ، قال الله تعالى (وكان من الكافرين) وقال قتادة في قوله تعالى (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم أن يسجد له ملائكته ، وقال بعض الناس كان هذا سجود غيبة وسلام وإكرام كما قال تعالى (ورفع أبوه على العرش وخروا له سجداً) وأبى هذا تأويل يروى من قبله جعلها ربي حقاً وقد كان هذا مشروفاً في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتقائنا معاذ : قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلماهم فأنت يارسول الله أحق أن يسجد لك فقال (لا لو كنت آمراً بشراً أن يسجد ليشر لأمرت أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها) وروجه الرازي وقال بعضهم بل كانت السجدة لله وآدم قبله فيها كما قال تعالى (أتم الصلاة لولك الشمس) وفي هذا التنظير نظر والأظهر أن القول الأول أولى

والسجدة لآدم إكراما وإعظاما واحتراما وسلاما وهي طاعة لله عز وجل لأنها امتثال لأمره تعالى وقد قواه الرازي في تفسيره وضمف ما عده من القولين الآخرين وهما كونه جعل قبله إذ لا يظهر فيه شرف والآخر أن المراد بالسجود الخضوع لا الاعتناء ووضع الجبهة على الأرض وهو ضعيف كآمال ، وقال قتادة في قوله تعالى (فسجدوا) لإبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين) حسد عدو الله إبليس آدم عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة وقال أنا ناري وهذا طين وكان يده الأثوب الكبر استكبر عدو الله أن يسجد لآدم عليه السلام قلت وقد ثبت في الصحيح « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكبر والناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس قال بعض المربين وكان من الكافرين أي وصار من الكافرين بسبب امتناعه كما قال (فكان من المارقين) وقال (فتكونوا من الظالمين) وقال الشاعر

بتهاء قهر وللطي كآنها * قطا الحزن قد كانت فراخا يوضها

أي قد صارت وقال ابن فورك تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين ورجحه القرطبي وذكرهنا مسألة فقال قال علماؤنا من أظهر الله على يده من ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك دال على ولايته خلافا لبعض الصوفية والرافضة هذا لفظه ثم استدلى على ما قال بأننا لا نقطع بهذا الذي جرى الحارق على يده أنه يوافي الله بالإيمان وهو لا يقطع لنفسه بذلك يعني والولي الذي يقطع له بذلك في نفس الأمر قلت وقد استدلى بعضهم على أن الحارق قد يكون على يدي غير الولي بل قد يكون على أيدي الفاجر والكافر أيضا بما ثبت عن ابن صياد أنه قال هو الله حين خبأ له رسول الله ﷺ (فارتقب يوم تأت النساء بدخان ميين) وما كان يصدر عنه أنه كانت تملأ الطريق إذا غضب حتى ضربه عبد الله بن عمر ، وما ثبت به الأحاديث عن السجال بما يكون على يده من الخوارق الكثيرة من أنه يأمر السماء أن تمطر فتتمطر والأرض أن تثبت فتثبت وتنبه كنوز الأرض مثل العياصير وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه إلى غير ذلك من الأمور الموهلة . وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي قلت للشافعي كان الليث بن سعد يقول : إذا رأيت الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تقتلوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة فقال الشافعي : قصر الليث رحمه الله بل إذا رأيت الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تقتلوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة (١) وقد حكى الرازي وغيره قولين للعلاء هل للأمر بالسجود لآدم خامس بملائكة الأرض أو عام في ملائكة السموات والأرض وقد رجح كلام القولين طائفة وظاهر الآية المكرية الموم (فسجد للملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) فهذه أربعة أوجه مقوية للموم والله أعلم .

« وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَكَرِهْتُمُ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمَتْنًا إِلَى حِينٍ »

يقول الله تعالى إخبارا عما أكرم به آدم : ببلدان أمر للملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس أنه أباحه الجنة يسكن منها حيث يشاء ويأكل منها ما شاء وغدا أي ههنا وإسماعيليا : وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث محمد ابن عيسى النعماني حدثنا سلمة بن الفضل عن ميكايل عن ليث عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن ابن ذر قال قلت يارسول الله أريت آدم أنبيا كان قال « نعم نبيا رسولا يكلمه الله قبيلا » - يعني عيانا - فقال (اسكن) أنت وزوجك الجنة (وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم في السماء أم في الأرض فالأكثر على الأول وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض وسيأتي تهر ذلك في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى وسيأتي الآية

يقتضى أن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة وقد صرح بذلك محمد بن إسحق حيث قال لما فرغ الله من معابة إبليس أتبل على آدم وتعلمه الأسماء كلها فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم إلى قوله (إنك أنت العزيز الحكيم) قال ثم ألقيت السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن ابن عباس وغيره ثم أخذ صلماً من أشلاعه من شقة الأيسر ولأم مكانه لحماً وأدم نائم لم يرب من نومه حتى خلق الله من ضله تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن إليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومه ركباً إلى جنبه فقال فيأبى زعمون والله أعلم «لحي ودي وزوجتي» فسكن إليها فلما تزوجها الله وجعل له سكناً من ضله قال له قبيلا (يا آدم يسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ويقال إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحيثا ليس له زوج يسكن إليه فنام نومة طسفيظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضله فسألها ما أنت ؟ قالت امرأة قال ولم خلقت ؟ قالت لتسكن إلي. قالت له للآنك ينظرون ما بلغ من علمه ما سمحاً يا آدم قال حواء قالوا ولم حواء ؟ قال إنها خلقت من شيء حي . قال الله (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما) .

وأما قوله (ولا تقربا هذه الشجرة) فهو اختبار من الله تعالى وامتحان لآدم وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي فقال السدي عن حدثه عن ابن عباس الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي الكرمة وكذا قال سعيد بن جبير والسدي والشعبي وجعدة بن هيرة ومحمد بن قيس وقال السدي أيضاً في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (ولا تقربا هذه الشجرة) هي الكرمة. وتزعم يهود أنها الخنطة . وقال ابن جرير وابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل بن عميرة الحمصي حدثنا أبو يحيى الخثالي حدثنا أبو النضر أبو عمر الحارزي عن مكرمة عن ابن عباس قال : الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي السنبلة وقال عبد الرزاق أنا أنس بن عيينة وابن المبارك عن الحسن بن عمار عن للنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : هي السنبلة . وقال محمد بن إسحق عن رجل من أهل العلم عن حجاج عن مجاهد عن ابن عباس قال : هي البر وقال ابن جرير وحدثني الثوري عن إبراهيم حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا القاسم حدثني رجل من بني تميم أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم والشجرة التي تاب عندها آدم فكتب إليه أبو الجلد سألتني عن الشجرة التي نهى عنها آدم وهي السنبلة وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتون ، وكذلك فسره الحسن البصري وهب بن منه وعطية العوفي وأبو مالك وعمار بن دينار وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منه أنه كان يقول هي البر ولكن الجنة منها في الجنة ككلى البر واليمن الزبد وأحل من الضل وقال سفيان الثوري عن حصين عن أبي مالك (ولا تقربا هذه الشجرة) قال النخلة . وقال ابن جرير عن مجاهد (ولا تقربا هذه الشجرة) قال التينة . وبه قال قتادة وابن جريج وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كانت الشجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث ، وقال عبد الوزاق : حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن مهران قال : سمعت وهب بن منه يقول : لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة ونهاه عن أكل الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها من بعض وكان لها ثمراً كله اللائكة لحارم وهي الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته .

فهذه أقوال ستة في تسمية هذه الشجرة . قال الامام العلامة أبو جعفر بن جرير رحمه الله : والصواب في ذلك أن يقال إن الله عز وجل تناهوا نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بينهما من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكل منها ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التبيين لأن الله لم يضع لمباهة دليلاً على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة وقد قيل : كانت شجرة البر وقيل كانت شجرة النعنع وقيل كانت شجرة التين وجائز أن تكون واحدة منها وذلك علم اذاعلم لم ينفع العالم به علمه وإن جهله جاهل لم يضره جهله به والله أعلم ، وكذلك رجح الإبهام الرازي في تفسيره وغيره

وهو الصواب وقوله تعالى (فأزلفنا الشيطان عنها) يصح أن يكون التسمير في قوله عنها عائداً إلى الجنة فيكون معنى السلام كما قرأ حاصم فإزلفها أي فجعلها يصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنى السلام كما قال الحسن وثلاثة فإزلفها أي من قبل الإزال فلي هذا يكون تقدير السلام (فأزلفنا الشيطان عنها) أي بسببها كما قال تعالى (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف بسببه من هو مأفوك ولهذا قال تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) أي من اللباس والتزلزل والرحب والرزق الحى والراحة (وقلنا اهبطوا بهضك لبعض عدو) ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (أي قرار وأرزاق وآجال - إلى حين - أي إلى وقت مؤقت ومقدار معين ثم تقوم القيامة ، وقد ذكر القسرون من السلف كالسدي بإسناده وأبي العالقة وهوب بن منه وغيرهم هنا أخباراً إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة ووسوسته وسنيسط ذلك إن شاء الله في سورة الأعراف فهناك القصة أبسط منها وهنا والله اللوفى وقد قال ابن أبي حاتم هنا : حدثنا علي بن الحسن بن إسحاق ، حدثنا علي بن حاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته وجل يشتد إلى الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناده الرحمن يا آدم منى نمر » فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ، ولكن استحياء . قال : وحدثني جعفر بن أحمد بن الحكم القرشي سنة أربع وخمسين ومائتين ، حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثنا علي بن حاصم عن سعيد عن قتادة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « لما ذاق آدم من الشجرة فر هارباً فتعلقت شجرة بشعره فنودى : يا آدم أفرأى منى ؟ قال : بل حياء منك قال : يا آدم أخرج من جوارى فعرى لا يسكنى فيها من عصاى ولو خلقت مثلك ملء الأرض خلقتاً ثم عصى لأستكنهم دار العاصين » هذا حديث غريب وفيه اشطالع بل إعضال بين قتادة وأبي بن كعب رضى الله عنهما . وقال الحاكم حدثنا أبو بكر بن باكوية عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال عبد بن حميد في تفسيره حدثنا روح عن هشام عن الحسن قال : لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا . وقال أبو جعفر الرازى : عن الربيع بن أنس : قال خرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة فأخرج آدم معه غصناً من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة وهو الإكليل من ورق الجنة . وقال السدي : قال الله تعالى (اهبطوا منها جميعاً) فهبطوا ونزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الأسود وقبضة من ورق الجنة فبش بالهند فنبت شجرة الطيب فأما أصل ما يجاء به من الطيب من الهند من قبضة الورد التي هبط بها آدم ، وإنما قبضها آدم أسفاً على الجنة حين أخرج منها . وقال عمران بن عيينة . عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : أهبط آدم بدننا أرض الهند . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال : أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها دننا بين مكة والطائف . وعن الحسن البصري قال : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس بدستيسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية بإسبهان رواه ابن أبي حاتم . وقال محمد بن أبي حاتم . حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا محمد ابن سعيد بن سابق حدثنا محمد بن أبي قيس عن الزبير بن عدى عن ابن عمر قال أهبط آدم بالصفاء وحواء بالبروة . وقال رجاء بن سلمة أهبط آدم عليه السلام يده على ركبته مطاطاً رأسه ، وأهبط إبليس مشبكاً بين أصابعه رافعاً رأسه إلى السماء . وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثابركم هل من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير وقال الزهري عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها » رواه مسلم والنسائي . وقال

الرازي : اعلم ان في هذه الآية تهديدا عظيما عن كل الماصي من وجوه (الأول) أن من تصور ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الجريمة الصغيرة كان على وجل شديد من الماصي قال الشاعر :

يا ناظرا يرئو بجنى راقد * ومشاهدا للامر غير مشاهد * فصل الذنوب إلى الذنوب وترجيح
درج الجنان ونيل فوز العابد * أنسيت ربك حين أخرج آدم * منها إلى الدنيا بذنب واحد

قال ابن القيم ولكننا سيء الصدوق هل ترى * فود إلى أوطاننا ونسلم
قال الرازي عن فتح الواسلي أنه قال كما قوما من أهل الجنة فسيان إبليس إلى الدنيا فليس لنا إلا الهمة والحزن حتى
نرد إلى الدار التي أخرجنا منها . فان قيل فلماذا كانت جنة آدم التي أخرج منها في السماء كما يحوله الجمهور من العلماء فكيف
تمكن إبليس من دخول الجنة وقد طرد من هناك طردا قديرا والقدرى لا يخالف ولا يمانع ؟ فالجواب ان هذا بمنته
استدل به من يقول إن الجنة التي كان فيها آدم في الارض لا في السماء كما قد بسطنا هذا في أول كتابنا البداية والنهاية
وأجاب الجمهور بأجوبة أحدها أنه منع من دخول الجنة مكرا فأما على وجه السرعة والاهانة فلا يمنع ولهذا قال بعضهم
كما جاء في التوراة أنه دخل في قم الحية إلى الجنة . وقد قال بعضهم : يحتمل أنه وسوس لها وهو خارج باب الجنة . وقال
بعضهم : يحتمل أنه وسوس لها وهو في الارض وهما في السماء ذكرها الخضرى وغيره . وقد أورد القرطبي ههنا
أحاديث في الحيات وقتلهن ويان حكم ذلك فأجاب وأفاد

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

قيل إن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى . (قالارينا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنف لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)
وروي هذا عن مجاهد . وسعيد بن جبير وابن العلاء والرياح بن انس والحسن وقادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن
معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال أبو اسحق السبيعي عن رجل من بني تميم قال أتيت
ابن عباس فسألته ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه ؟ قال علم شأن الحج وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع
أخبرني عن معمر بن عبيد بن عمير وفي رواية قال أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال : قال آدم يارب خطيئتي التي أخطأت
شيء كنتبه على قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال « بل شيء كنتبه عليك قبل أن أخلقك » قال فكما
كنتبه على فاغفر لي ، قال فذلك قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وقال السدي عن حماد بن عيسى
فتلقى آدم من ربه كلمات قال : قال آدم عليه السلام يارب ألم تخلقني بيده ؟ قيل له بل وهبته في من روحك ؟ قيل
له بل ، وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل له بل وكنت على أن أعمل ههنا ؟ قيل
له بل قال أرأيت إن ثبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال نعم . وهكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن
معبد عن ابن عباس بنحوه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابن جبير عن ابن عباس وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه
وهكذا فسر السدي وعطية العوفي وقد روي ابن أبي حاتم ههنا حديثا شبيها بهذا فقال حدثنا علي بن الحسين بن اشكاب
حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« قال آدم عليه السلام أرأيت يارب إن ثبت ورجعت أعادني إلى الجنة ؟ قال نعم فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات)
وهذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن أبي العلاء في قوله
تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . قال إن آدم لما أساب الخطيئة قال أرأيت يارب إن ثبت وأسلحت ؟
قال الله « إذا أدخلك الجنة » فهي الكلمات . ومن الكلمات أيضا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنف لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين) وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد أنه كان يقول في قول الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال
الكلمات اللهم لا اله الا أنت سبحانك ومحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين ، اللهم لا اله الا أنت
سبحانك ومحمدك رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين ، اللهم لا اله الا أنت سبحانك ومحمدك رب إني
ظلمت نفسي فتاب علي إنك أنت التواب الرحيم . وقوله تعالى (إنه هو التواب الرحيم) أي أنه يتوب على من تاب

إليه وأتاب كقوله (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) وقوله (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه) الآية وقوله (ومن تاب وعمل صالحا) وغير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى يغفر الذنوب ، ويتوب على من يتوب وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بسيد ، لا إله إلا هو التواب الرحيم

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

يقول تعالى عبرا عما أُنذره آدم وزوجته وإبليس حين أهبطهم من الجنة والراد العودية إنه سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسل كما قال أبو العالية الهدى الأنبياء والرسل والينبأ والبيان ، وقال مقاتل بن حيان الهدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الحسن الهدى القرآن ، وهذان القولان صحيحان وقول أبي العالية أعم (فمن اتبع هداي) أي من أتبع على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل (فلا خوف عليهم) أي فلا يستقبلونه من أمر الآخرة (ولا هم يحزنون) على ما فاتهم من أمور الدنيا كما قال في سورة طه (قال اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدوا فما لما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أجمع) كما قال ههنا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي يحطون فيها لا يعيد لهم فيها ولا يحصى . وقد أورد ابن جرير ههنا حديثا ساقه من طريقين عن أبي سلمة سعيد بن يزيد عن أبي نضرة النضر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد وإسماعيل سعد بن مالك بن سنان الخدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أقوام أصابتهم النار بخطاياهم فماتتهم إمامة حتى إذا صاروا فجا أذن في الشفاعة » وقد رواه مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة به . وذكر هذا الابطال الثاني لما تعلق به ما بعده من لفي المنابر للأول وزعم بعضهم أنه تأكيد وتكرير كما يقال قم قم ، وقال آخرون بل الابطال الأول من الجنة إلى الساء الدنيا والثاني من ساء الدنيا إلى الأرض والصحيح الأول والله أعلم

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَلِيِّ فَاذْكُرُونِ * وَأَيْنُوا بِمَا أُنزِلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَلِيِّ فَاذْكُرُونِ ﴾

يقول تعالى آمرا بني اسرائيل بالدخول في الاسلام ، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ، ومهيبا لهم بذكر أبيهم اسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام ، وتهديره يابني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق كما تقول يا ابن الكريم افضل كذا ؟ يا ابن الشجاع بارز الابطال ؟ يا ابن العالم اطلب العلم ، ونحو ذلك . ومن ذلك أيضا قوله تعالى (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) فاسرائيل هو يعقوب بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الحميد بن هرام عن شهر بن حوشب قال حدثني عبد الله بن عباس قال حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم « هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب ؟ » قالوا اللهم نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم اشهد » وقال الأعمش عن اسماعيل بن رجاء عن عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس أن اسرائيل كقولك عبد الله وقوله تعالى (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) قال مجاهد نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيا سمى وفيما سوي ذلك أن فجرهم الحجر وأنزل عليهم اللبن والسلوى ونجهم من عبودية آل فرعون وقال أبو العالية فاستأنس أن جعل منهم الأنبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب قلت وهذا كقول موسى عليه السلام لهم (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآفأكم ما بين يدي من أحد من الملائكة) يعني في زمانهم وقال محمد ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أوسيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (اذكروا نعمتي التي

أُتِمَّتْ عَلَيْكُمْ) أَي بِلَايِ عِنْدَكُمْ وَعِنْدَ آبَائِكُمْ لَكُنْ نَجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ (وَأَوْفُوا بِهَدْيِ أَوْفٍ بِهَدْيِكُمْ) قَالَ يَهُدَى
الَّتِي أَخَذَتْ فِي أَعْنَاقِكُمْ لَنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَكُمْ أَنْجَزْ لَكُمْ مَا وَعَدْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَصَدِّقِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِوَضْعِ مَا كَانَ
عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَعْنَاقِكُمْ بِدَنُوبِكُمْ الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَحْدَاثِكُمْ . وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ هُوَ قَوْلُهُ
تَعَالَى (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُ بِمِيثَاقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا فَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ
الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الْآيَةُ وَقَالَ آخَرُونَ هُوَ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ أَنَّهُ سَمِعَتْ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا عَظِيمًا يُطِيعُهُ
جَمِيعُ الشُّعُوبِ وَالرَّادُ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَمَنْ اتَّبَعَهُ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبُهُ وَأَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَجِلَّ لَهُ أَجْرُهُ . وَقَدْ أُورِدَ
الرَّايزِيُّ بِشَارَاتٍ كَثِيرَةٍ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ (وَأَوْفُوا بِهَدْيِ)
قَالَ عَهْدُهُ إِلَى عِبَادِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ وَإِنْ يَتَّبِعُوهُ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْفٍ بِهَدْيِكُمْ قَالَ أَرْضُ عَنْكُمْ وَأَدْخِلَكُمْ
الْجَنَّةَ وَكَذَلِكَ قَالَ السُّدِّيُّ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّيِّسُ بْنُ أَنَسٍ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِلَى فَاخْشَوْهُمْ) أَي فَاخْشَوْهُمْ
قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالسُّدِّيُّ وَالرَّيِّسُ بْنُ أَنَسٍ وَقَتَادَةُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِلَى فَاخْشَوْهُمْ) أَي أَنْ أُنْزِلَ
بِكُمْ مَا أُنْزِلَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ مِنَ النَّبَاتِ الَّتِي قَدْ عَرَفْتُمْ مِنَ اللَّسْخِ وَغَيْرِهِ وَهَذَا اسْتِغْنَاءٌ مِنَ التَّرْغِيبِ إِلَى
التَّرْهيبِ فَدَعَاكُمْ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ وَاتَّبَعُوا الرَّسُولَ ﷺ وَالْإِطَاعَةَ بِالْقِرْآنِ
وَزَوَاجِرِهِ وَامْتَنَالُوا أَوَامِرَهُ وَتَصَدَّقُوا بِأَخْبَارِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَلِهَذَا قَالَ (وَأَمَّنُوا بِمَا
أُنْزِلَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) يَعْنِي بِهِ الْقِرْآنَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي الْأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَسِرَاجًا مُنِيرًا
مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَقِّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
(وَأَمَّنُوا بِمَا أُنْزِلَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) يَقُولُ يَامَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ يَقُولُ لَأَتَمُّهُمْ
يُجِدُونَ مُحَمَّدًا ﷺ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ وَالرَّيِّسُ بْنُ أَنَسٍ وَقَتَادَةُ نَحْوَ ذَلِكَ
وَقَوْلُهُ (وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرِيهِ) قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِيِّينَ أُولَ فَرِيقٍ كَافِرِيهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَلَا تَكُونُوا
أُولَ كَافِرِيهِ وَعِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكُمْ ، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ يَقُولُ وَلَا تَكُونُوا أُولَ مَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ
يَعْنِي مَنْ جَنَسَكُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ بِدَسَائِعِهِمْ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ وَالرَّيِّسُ بْنُ أَنَسٍ وَاخْتَارَ ابْنُ جُرَيْرٍ أَنَّ
الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ هُوَ عَائِدٌ عَلَى الْقِرْآنِ الَّذِي تَعَدَّى ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ (بِمَا أُنْزِلَ) وَلَا الْقَوْلَيْنِ صَحِيحٌ لِأَنَّهُمَا مُتَلَاذِمَانِ
لِأَنَّ مَنْ كَفَرَ بِالْقِرْآنِ قَدَّ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَمَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَدَّ كَفَرَ بِالْقِرْآنِ وَأَمَّا قَوْلُهُ (أُولَ
كَافِرِيهِ) فَيَعْنِي بِهِ أُولَ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ قَدْ تَعَدَّى عَنْهُمْ مِنْ كَفَارِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ بِشَرِّ
كَثِيرٍ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أُولَ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَاشَرَةً فَإِنَّ يَهُودَ الدِّينَةَ أُولَ بَنِي إِسْرَائِيلَ خُوطِبُوا بِالْقِرْآنِ
فَكَفَرُوا بِهِ يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُمْ أُولَ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْ جَنْسِهِمْ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) يَقُولُ
لَا تَبْتَاعُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِآيَاتِي وَتَصْدِيقِ رَسُولِي بِالْدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا فَاتَّهَا قَلِيلًا فَاتَّهَا كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْبَرَاءِ أَبْنَا
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَابِرٍ عَنْ هُرَاجِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْبَصْرِيِّ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (ثَمَنًا قَلِيلًا) قَالَ الثَّمَنُ الْقَلِيلُ
الْدُّنْيَا بِحُذَائِرِهَا وَقَالَ ابْنُ لُبَيْدَةَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا)
إِنَّ آيَاتِهِ كِتَابُهُ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَإِنَّ الثَّمَنَ الْقَلِيلَ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا ، وَقَالَ السُّدِّيُّ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا يَقُولُ
لَا تَأْخُذُوا طَمَعًا قَلِيلًا وَلَا تَكْتُمُوا اسْمَ اللَّهِ فَذَلِكَ الطَّمَعُ هُوَ الثَّمَنُ ، وَقَالَ أَبُو جَفَرٍ عَنِ الرَّيِّسِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) يَقُولُ لَا تَأْخُذُوا عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ وَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُمْ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ
يَا إِبْنِ آدَمَ عَلِمَ جَانَاكَما عَلِمْتَ جَانَا ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا تَبْتَاعُوا عَنِ الْيَقِينِ وَالْإِضَاحِ وَتَشَرُّ الصِّلِ النَّافِعِ فِي النَّاسِ
بِالْكِبَانِ وَالْبَلْبَسِ لَتَسْتَمْتَرُوا عَلَى رِيسِكُمْ فِي الدُّنْيَا الْقَلِيلَةِ الْحَقِيرَةِ الزَّائِلَةِ عَنْ قَرِيبٍ ، وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا يَتَّبِعُنِي بِهِ وَجَهَ اللَّهُ لَا يَشْمَلُهُ إِلَّا لِيَصِيبَ بِهِ

عرضا من الدنيا لم يرح راحة الجنة يوم القيامة » فأما تعليم العلم بأجرة فإن كان قد تبين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة فـيجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله فإن لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتبين عليه وإلا لم يتبين عليه فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد في قصة اللدنيغ « إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله » وقوله في قصة الخطوبة « زوجتكم بما معكم من القرآن » فأما حديث عباد بن الصامت أنه علم رجلا من أهل الصفة شيئا من القرآن فأهدى له قوسا قال عنه رسول الله ﷺ فقال « إن أحببت أن تطوق قوس من نار فأقبله » فتركه رواء أبو داود وروى مثله عن أبي ابن كعب مرفوعا فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء منهم أبو عمر بن عبد البر على أنه لما علمه الله لم يجز بعد هذا أن يتناش عن ثواب الله بذلك القوس فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة فإنه يصح كما في حديث اللدنيغ وحديث سهل في الخطوبة والله أعلم وقوله (وإياي فاقهون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عمر الدوري حدثنا أبو إسحاق اللؤب عن صاصم الأحول عن أبي المالية عن طلق بن حبيب قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله وإن ترك ممصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ومعنى قوله (وإياي فاقهون) أنه تعالى يتوعدكم فيما يمتدونه من كتابان الحق وإظهار خلافه ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا

مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿

يقول تعالى ناهيا لليهود عما كانوا يمتدونه من تلبس الحق بالباطل . ومعونه به وكتنائهم الحق وإظهارهم الباطل (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تملكون) فنهام عن الشينين مما وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به ولهذا قال الضحاك عن ابن عباس - ولا تلبسوا الحق بالباطل - لا تخططوا الحق بالباطل والصدق بالكذب ، وقال أبو المالية - ولا تلبسوا الحق بالباطل - يقول ولا تخططوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لبياد الله من أمة محمد ﷺ وروى عن سعيد بن جبير والريبع بن أنس نحوه وقال قتادة (ولا تلبسوا الحق بالباطل) ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تملكون أن دين الله الاسلام وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله . وروى عن الحسن البصري نحوه ذلك وقال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتكتموا الحق وأنتم تملكون) أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم وروى عن أبي المالية نحوه ذلك وقال مجاهد والسدي وقاتدة والريبع بن أنس (وتكتموا الحق) يعني محمدا ﷺ (قلت) وتكتموا يحتمل أن يكون مجزوما ويحتمل أن يكون منصوبا أي لا تجمعوا بين هذا وهذا كما يقال لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، قال الزعزعي وفي مصحف ابن مسعود وتكتمون الحق أي في حال كتنائكم الحق وأنتم تملكون حال أيضا ، ومضاه وأنتم تملكون الحق ويجوز أن يكون المعنى وأنتم تملكون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المضي بهم إلى النار إن سلكوا ما يبدونه لهم من الباطل للشوب ينوع من الحق لتروجه عليهم والبيان الايضاح وعكسه الكتان وخطط الحق بالباطل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) قال مقاتل قوله تعالى لأهل الكتاب (وأقيموا الصلاة) أمرهم أن يصلوا مع النبي ﷺ (وآتوا الزكاة) أمرهم أن يؤتوا الزكاة أي يدفعونها إلى النبي ﷺ (واركعوا مع الراكعين) أمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد ﷺ يقول كونوا معهم ومنهم وقال علي بن طلحة عن ابن عباس يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص ، وقال وكيع عن أبي جناب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وآتوا الزكاة قال ما يوجب الزكاة قال ماتان فصاعدا ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله

تمالى (وآتوا الزكاة) قال فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالصلاة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي هنية حدثنا جرير عن أبي حيان التميمي عن الحارث المكي في قوله تعالى (وآتوا الزكاة) قال صدقة القطر وقوله تعالى (واراكموا مع الراكمين) أى وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخس ذلك وأكله الصلاة . وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجمعة ، وأبسط ذلك في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى ، وقد تكلم القرطبي على مسائل الجمعة والامامة فأجاد .

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى كيف يليق بك يا معشر أهل الكتاب وأتم تأمرون الناس بالبر وتأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير إن نضوا أنفسهم فلا تأمرون بما تأمرون الناس به وأتم مع ذلك تملكون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله ؟ أفلا تعقلون ما أتم صانعون بأنفسكم . فتنبهوا من رقدتكم . وتنبهوا من عمايتكم . وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله ويتوعدوا وبالبر ويخالفون فيهم الله عز وجل وكذلك قال السدي وقال ابن جريج (أتأمرون الناس بالبر) أهل الكتاب والناقلون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون بالناس فيهم الله بذلك فمن أمر غير فليكن أشد الناس فيه مسارعة وقال محمد بن إسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وتنسون أنفسكم) أى تتركون أنفسكم (وأتم تملكون الكتاب أفلا تعقلون) أى تهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والهدى من التوراة وتتركون أنفسكم أى وأتم تكفرون بما فيها من عبادى اليك في تصديق رسولى وتقضون ميثاقى وتجحدون ما تعلمون من كتابى ، وقال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية يقولون تأمرون الناس بالخير فى دين محمد ﷺ وغير ذلك مما أمرهم بهم إقام الصلاة وتسنون أنفسكم ، وقال أبو جعفر بن جرير حدثنى على بن الحسن حدثنا أسلم الحرشى حدثنا محمد بن الحسين عن أيوب السخياى عن أبي قتابة في قول الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال أبو البرداء رضى الله عنه لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقنا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل سالم عن الله ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق فقال الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وأتم تملكون الكتاب أفلا تعقلون) والترض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه وليس للراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهمه فإن الأمر بالمعروف المعروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعب عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أتاكم من إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) فكل من الأمر بالمعروف وقوله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولى العلماء من السلف والخلف وذهب بعضهم إلى أن مرتكب للناسى لأبنى غيرهما وهذا ضيف وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية فانه لا حاجة لهم فيها ، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكب ، قال مالك عن ربيعة سمعت سعيد بن جبير يقول لو كان للرد لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر . قال مالك وصدق من ذا الذى ليس فيه شيء ؟ قلت) لكنه والحالة هذه مأموم على ترك الطاعة وفعله للصية لعلهم بها ومخالفتهم على بصيرة فانه ليس من يعلم كمن لا يعلم ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن المنلى العسقى والحسن بن على الصمرى قالوا حدثنا هشام بن عمار حدثنا على بن سليمان السكلى حدثنا الأعمش عن أبي تيمية المجيشي عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثل العالم الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويمرقت نفسه » هذا حديث غريب من هذا الوجه .

حديث آخر • قال الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا وكيع حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد هو ابن جندب عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت لية أسرى في طي قوم تفرش شفاههم بمقاريض من نار - قال قلت من هؤلاء ؟ قالوا خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » ورواه عبد بن حميد في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة به ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به وكذا رواه يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة به ، ثم قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا موسى ابن هرون حدثنا إسحق بن إبراهيم التستري يبلغ حدثنا مكى بن إبراهيم حدثنا عمر بن قيس عن علي بن زيد عن ثمة عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مرت لية أسرى في طي قوم تفرش شفاههم بالمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم » وأخرجه ابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضا من حديث هشام الدستوائي عن الثبتي عن ابن حبيب عن مالك بن دينار عن مالك بن دينار عن ثمة عن أنس بن مالك قال لما عرج برسول الله ﷺ من بقوم تفرش شفاههم فقال يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون • حديث آخر • قال الامام أحمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا الأعمش عن أبي واثل قال قيل لأسامة وانا رديفه الا تسكر عثان فقال إنكم ترون أني لا أكله الا أمتكم إلى لا أكله فيا بني وبينه دون ان افتتح أمرا أحب أن أكون أول من اقتحمه والله لا أقول لرجل إنك خير الناس وإن كان على أميراً بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول يقول قالوا وما سمعته يقول ؟ قال سمعته يقول « عياذ بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتسلق به أفتابه فينود بها في النار كما ينود الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بال معروف ونهانا عن المنكر ؟ فيقول كنت أركم بال معروف ولا آتبه وأنها كم عن المنكر وآتبه » ورواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن مهران الأعمش به نحوه وقال أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يعاقب الأميين يوم القيامة مالا يعاقب العلماء » وقد ورد في بعض الآثار أنه يغفر للنجاه سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة واحدة ليس من يعلم كمن لا يعلم . وقال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أناساً من أهل الجنة يظلمون على أناس من أهل النار فيقولون هم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما علمنا منكم فيقولون إنما كنا نقول ولا نفعل » ورواه ابن جرير الطبري عن أحمد بن يحيى الحجازي الرمي عن زهير بن عباد الرواسي عن أبي بكر الزاهرى عبد الله بن حكيم عن إسماعيل بن أبي خله عن الشعبي عن الوليد بن عتبة فذكره وقال الضحاك عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال يا ابن عباس إلى أين تريد أن آمر بال معروف وأنها عن المنكر ، قال أبلست ذلك ؟ قال أرجو ، قال إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فاضل ، قال وما هن ؟ قال قوله تعالى (أتأمرون الناس بال معروف وتنسون أنفسكم) أحكمت هذه ؟ قال لا ، قال فالخرف الثاني قال قوله تعالى (لم تقولوا مالا ضلوا ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا ضلوا) أحكمت هذه ؟ قال لا قال فالخرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح) أحكمت هذه الآية ؟ قال لا قال فأبداً بنفسك رواه ابن مردويه في تفسيره وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا زيد بن الحارث حدثنا عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن السيب بن رافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « من دعا الناس إلى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال أو دعا إليه » استأنده فيه ضنف وقال إبراهيم النخعي أنى لا كره القصص لثلاث آيات قوله تعالى (أتأمرون الناس بال معروف وتنسون أنفسكم) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا ضلوا • كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا ضلوا) وقوله اخباراً عن شعيب (وما أريد أن

أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ • الَّذِينَ يَمْنُونُ أَنَّهُم مُّقْرَوْنَ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**)

يقول تعالى أمر أعبده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستمانة بالصبر والصلاة كما قال مقاتل بن حيان في تفسير هذه الآية استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على القرائن والصلاة فأما الصبر فقيل إنه الصيام نص عليه مجاهد قال القرطبي وغيره ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر كما نطق به الحديث وقال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن جري ابن كليب عن رجل من بني سلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الصوم نصف الصبر » وقيل المراد بالصبر السكف عن المصاعى ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلها فعل الصلاة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن حمزة بن إسماعيل حدثنا إسحق بن سليمان عن أبي سنان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الصبر صبران صبر عند المشية حسن وأحسن منه الصبر عن محارم الله . قال وروى عن الحسن البصري نحو قول عمر وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة عن مالك بن دينار عن سعيد بن جبير قال الصبر اعتراف العبد لله بما أصيب فيه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه وقد يجمع الرجل وهو يتجملد لا يرى منه إلا الصبر . وقال أبو الماتية في قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال على مرضاة الله وأعلوا أنها من طاعة الله وأما قوله والصلاة إن الصلاة من أكبر المون على الثبات في الأمر كما قال تعالى (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) الآية وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلى قال قال عبد العزيز أخو حذيفة قال حذيفة يبنى ابن الإيمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى وراوه أبوداود عن محمد بن عيسى عن يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار كسبائي وقد رواه ابن جرير من حديث ابن جريج عن عكرمة بن عمار عن محمد بن أبي عبيد بن أبي قدامة عن عبد العزيز بن الإيمان عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ورواه بعضهم عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة ويقال أخى حذيفة مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن نصر للروزي في كتاب الصلاة حدثنا سهل بن عثمان السكري حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال : قال عكرمة بن عمار قال محمد بن عبد الله الدؤلى قال عبد العزيز قال حذيفة رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وهو مشتمل في فمعة يصلى وكان إذا حزبه أمر صلى . حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي إسحق مع حارثة بن مضرب مع عليا رضى الله عنه يقول لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وينبسط حتى أصبح . قال ابن جرير وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه فقال له « أشكم درد » ومناه أبو جهمك بطنك ؟ قال نعم . قال « ثم فصل فان الصلاة غشاء » قال ابن جرير وقد حدثنا محمد بن الفضل ويقيب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علي حدثنا عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن ابن عباس نعى إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تحنى عن الطريق فأناخ فضلى ركنتين أطال فهما الجلس ثم قام يتشى إلى راحلته وهو يقول (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) وقال سئد عن حجاج عن ابن جريج (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال انها معوتان على رحمة الله . والتفسير في قوله وإنها لكبيرة طائد إلى الصلاة نص عليه مجاهد واختاره ابن جرير ويحتمل أن يكون عائدا على ما يدل عليه الكلام وهو الوصية بذلك كقوله تعالى في قصة قارون (وقال الذين أوتوا العلم ولبكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون) وقال تعالى (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا وما يلقاها

أى يؤتاها ويهلها إلا ذو حظ عظيم . وعلى كل تقدير قوله تعالى وإنها لكيرة أى مشقة هيلة إلا على الحاشعين قال ابن أبى طلحة عز بن عباس بنى الصديقين بما أنزل الله ، وقال مجاهد للؤمنين حقا وقال أبو العالية إلا على الحاشعين وقال مقاتل بن حيان إلا على الحاشعين بنى به التواضعين وقال الشكك وإنها لكيرة قال إنها ثقيلة إلا على الحاضين لطاعة الحاضين سطوته الصديقين بوعده ووعيد . وهذا يشبه مجاء في الحديث « قد سألت عن عظم وإنه ليسير على من يسره الله عليه » وقال ابن جرير معنى الآية واستميتوا أيها الأجر من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وإقامة الصلاة للساعة من القحشاء وللشكر القرية من رضا الله العظيمة لإقامتها إلا على الحاشعين أى التواضعين للتكئين لطاعته للتلايل من عفايته . هكذا قال والظاهر أن الآية وإن كانت خطابا في سياق إنذار بنى إسرائيل فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص وإنما هي عامة لهم ولغيرهم والله أعلم .

وقوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) هذا من تمام الكلام الذى قبله أى أن الصلاة أو الوصاة ثقيلة إلا على الحاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم أى يطمنون أنهم محشورون إليه يوم القيامة معروثون عليه وأنهم إليه راجعون أى أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعده فلهذا لما أيقنوا بالبلاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات فأما قوله (يظنون أنهم ملاقوا ربهم) قال ابن جرير رحمه الله العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والغيث صارخا والمستغيث صارخا وما شبه ذلك من الأسماء التى يسمى بها الله وضدها كما قال دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بأنى منجج • سراتهم فى القاموس للسرد

يعنى بذلك يتقنوا بأنى منجج يا أيكم ، وقال حميد بن طارق

فإن يبروا قومي وأقعد فيكم • وأجل من الظن غيبا مرجا

يعنى وأجل من اليقين غيبا مرجا ، قال والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن فى معنى اليقين أكثر من أن تحسر وفيها ذكرنا لمن وفق قهقهه كفاية ومنه قول الله تعالى (ورأى الجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها) ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان عن جابر بن مجاهد كل ظن فى القرآن بين أى ظننت وظنوا ، وحدثنى المثنى حدثنا إسحق حدثنا أبو داود الجبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كل ظن فى القرآن فهو علم وهذا سند صحيح وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) قال الظن ههنا يقين ، قال بن أبى حاتم وروى عن مجاهد والسدى والربيع بن أنس وقادة نحو قول أبى العالية ، وقال سديد عن حجاج عن ابن جريج (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) علموا أنهم ملاقوا ربهم كقوله (أبى ظننت أبى ملاق حاسبه) يقول علمت وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (قلت) وفى الصحيح أن الله تعالى يقول للبد يوم القيامة « أم أزوجكم أم أكرمكم أم أسخركم الخيل والإبل وأذكر تراس وتربع ؟ » يقول بلى فيقول الله تعالى « أظننت أنك ملاقى ؟ » فيقول لا فيقول الله « اليوم أنساك كما نسيتى » وسياق مبسوطا عند قوله تعالى (نسوا الله فانسهم) إن شاء الله تعالى .

﴿ يٰٓأَيُّهَا إِسْرَءِيلُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ الّٰهِ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

يذكرهم تعالى بالنسب لنعمة على آباؤهم وأسلانهم وما كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم وإزالة الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم كما قال تعالى (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) وقال تعالى (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) قال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى (وأنى فضلتكم على العالمين) قال بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان فى ذلك الزمان فإن لكل زمان عالما ، وروى عن مجاهد والربيع بن أنس وقادة وإسحاق

ابن أبي خالفة نحو ذلك ويجب الحمل على هذا لأن هذه الأمة أفضل منهم لقوله تعالى . خطابا لهذه الأمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) وفي السانيد والسنن عن معاوية بن حيدة التميمي قال : قال رسول الله ﷺ « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقيل للراد تفضيل بنوع ما من الفضل على سائر الناس ولا يلزم تفضيلهم مطلقا حكاه الرازي وفيه نظر ؟ وقيل إنهم فضلاء على سائر الأمم لامتثال أمتهم على الأنبياء منهم حكاه القرطبي في تحصيله وفيه نظر لأن العالمين عام يشمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء فأبراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم وعهد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

ما ذكرهم تعالى بنصه أولا عطف على ذلك التحذير من طول شبههم يوم القيامة فقال (واتقوا يوما) يعني يوم القيامة (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) أي لا ينفع أحدهم أحدًا قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقال (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال (يا أيها الناس اتقوا ربكم واتقوا يوما لا يجزي والد من ولده ولا مولود هوجاز عن والده شيئا) فهذا ما بلغ المقامات أن كلام من الوالد وولده لا ينفع أحدهما عن الآخر شيئا ، وقوله تعالى (ولا يقبل منها شفاعة) يعني من الكافرين كما قال (فاشتغلهم شفاعة الشافعين) وكما قال عن أهل النار (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) أي لا يقبل منها فداء كما قال تعالى (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار قلن يقبل من أحدكم ملة الأرض ذهبوا ولو اتفقنا به) وقال (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليقنطوا بمن عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) وقال تعالى (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وقال (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما مأواكم النار هي مولاكم) الآية فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله واتباعه على ما به به ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهبًا كما قال تعالى (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (لا بيع فيه ولا خلة) قال سفيان حدثني حجاج حدثني إبراهيم بن جريج قال قال مجاهد قال ابن عباس (ولا يؤخذ منها عدل) قال بديل والبديل القدية ، وقال السدي أما عدل فبديلها من العدل يقول لوجاهت بملء الأرض ذهبًا تخدني به ما تقبل منها ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله (ولا يقبل منها عدل) يعني فداء قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي مالك والحسن وسعيد بن جبير وقادة والربيع بن أنس نحو ذلك ، وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن الأعشى عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي بن رضى الله عنه في حديث طويل قال والصرف والعدل التطوع والقرينة وكذا قال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن عمر بن هاني وهذا القول غريب ههنا والقول الأول أظهر في تفسير هذه الآية وقد ورد حديث يقويه وهو ما قال ابن جرير حدثني نعيم بن إبراهيم حدثنا علي بن حكيم حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمرو بن نفيس الملائي عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليهثناء قال قيل يا رسول الله ما العدل ؟ قال « العدل القدية » وقوله تعالى (ولا يم نصرون) أي ولا أحد ينضبط لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله كما تقدم من أنه لا يطفئ عليهم ذوق قرابة ولا ذوق جاه ولا يقبل منهم فداء هذا كله من جانب التلطف والله ناصر من أنفسهم ولا من غيرهم كما قال (فما له من قوة ولا ناصر) أي أنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ أحدًا من عذابه منقذ ولا يخلص منه أحد ولا يغير منه أحد كما قال تعالى (وهو يجير ولا ينجار عليه) وقال (فيؤمئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) وقال (مالك لا تناصرون) أي لم اليوم مستسلمون) وقال (فلا نصيرهم إلى الدين) اتخذوا من دون الله قربانًا لملأه بضلوا عنهم) الآية ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (مالك لا تناصرون)

مالك اليوم لا تمانون منا هيات ليس ذلك لكم اليوم قال ابن جرير وتأويل قوله (ولام ينصرون) يعني أنهم يومئذ لا ينصروهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ولا يقبل منهم عدل ولا فدية بطلت هنالك الهابة واضمحلت الرشا والشفاعات وارضع من القوم التناصر والتعاون وصار الحكم إلى الجبار العدل الذي لا ينفع فيه الشفعا والنصراء فيجزي بالسيرة ملها وبالحنسة أشفاهها وذلك نظير قوله تعالى (وقوم لهم مستولون * مالك لاتنصرون * بل هم اليوم مستولون) ﴿وَإِذْ تَجَاسَّوْا مِنْ عَالِيِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوْنَ نَسَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

يقول تعالى اذكروا يا بني إسرائيل نعمت عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب أي خلصتكم منهم وأهدتكم من أيديهم صحة موسى عليه السلام وقد كانوا يسومونكم أي يوردونكم ويذوقونكم ويولونكم سوء العذاب. وذلك أن فرعون لعنه الله كان قد رأى رؤياهاته رأى نارا خرجت من بيت القدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلى بيوت بني إسرائيل مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل ويقال بعد تحدث ميماره عنده بأن بني إسرائيل يتوقون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة ورفعة وهكذا جاء في حديث الفتون كما سيأتي في موضعه في سورة طه إن شاء الله تعالى فمئذ ذلك أمر فرعون لعنه الله بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل وأن تترك البنات وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأرذلها وهنأ قسر العذاب بذبح الأبناء وفي سورة إبراهيم عطف عليه كما قال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص إن شاء الله تعالى وبه الثقة واللوة والتأييد . ومعنى يسومونكم يولونكم قال أبو عبيدة كما يقال سامه خطه خسف إذا أولاه إياه قال عمرو بن كلثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفا * أينما أن قرا الخسف فينا

وقيل معناه يذبحون عداكم كما يقال سامت النعم من إدامتها الرعى قتله القرطي وإعنا قال ههنا (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ليكون ذلك تفسيرا للنعمة عليهم في قوله (يسومونكم سوء العذاب) ثم فسره بهذا قوله ههنا (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) وأما في سورة إبراهيم فلما قال (وذكركم بإيم الله) أي بإياديه ونعمه عليهم فانسب أن يقول هنالك (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) فعطف عليه الدخيل ليدل على تعدد النعم والأيدى على بني إسرائيل . وفرعون علم على كل من ملك مصر كافرا من العماليق وغيرهم كما أن قيصرا علم على كل من ملك الروم مع الشام كافرا وكسرى لمن ملك الفرس ، وتبع لمن ملك اليمن كافرا ، والنجاحشي لمن ملك الحبشة ، وبليزيموس لمن ملك الهند ويقال كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وقيل مصعب بن الريان فكان من سلالة حمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح وكنيته أبو مرة وأصله فارسي من اسطخر وأيا ما كان فعليه لعنة الله ، وقوله تعالى (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قال ابن جرير وفي الذي قلنا بكم من إيمانكم أباكم كما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم أي نعمة عظيمة عليكم في ذلك ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى (بلاء من ربكم عظيم) قال نعمة ، وقال مجاهد (بلاء من ربكم عظيم) قال نعمة من ربكم عظيمة ، وكذا قال أبو العالية وأبو مالك والسدي وغيرهم وأصل البلاء الاختبار وقد يكون بالخير والشر كما قال تعالى (ونبأكم بالشر والخير فتنة) وقال (ونبأهم بالحنس والبيات لهم يرجعون) قال ابن جرير وأكثر ما يقال في الشر بلوته أبو له بلاء وفي الخير أبي له بلاء ، قال زهير بن أبي سلمى :

جزي الله بالاحسان ما قلنا بكم * وأبلاهما خير البلاء الذي يلو

قد ر. ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠} ^{١٠١} ^{١٠٢} ^{١٠٣} ^{١٠٤} ^{١٠٥} ^{١٠٦} ^{١٠٧} ^{١٠٨} ^{١٠٩} ^{١١٠} ^{١١١} ^{١١٢} ^{١١٣} ^{١١٤} ^{١١٥} ^{١١٦} ^{١١٧} ^{١١٨} ^{١١٩} ^{١٢٠} ^{١٢١} ^{١٢٢} ^{١٢٣} ^{١٢٤} ^{١٢٥} ^{١٢٦} ^{١٢٧} ^{١٢٨} ^{١٢٩} ^{١٣٠} ^{١٣١} ^{١٣٢} ^{١٣٣} ^{١٣٤} ^{١٣٥} ^{١٣٦} ^{١٣٧} ^{١٣٨} ^{١٣٩} ^{١٤٠} ^{١٤١} ^{١٤٢} ^{١٤٣} ^{١٤٤} ^{١٤٥} ^{١٤٦} ^{١٤٧} ^{١٤٨} ^{١٤٩} ^{١٥٠} ^{١٥١} ^{١٥٢} ^{١٥٣} ^{١٥٤} ^{١٥٥} ^{١٥٦} ^{١٥٧} ^{١٥٨} ^{١٥٩} ^{١٦٠} ^{١٦١} ^{١٦٢} ^{١٦٣} ^{١٦٤} ^{١٦٥} ^{١٦٦} ^{١٦٧} ^{١٦٨} ^{١٦٩} ^{١٧٠} ^{١٧١} ^{١٧٢} ^{١٧٣} ^{١٧٤} ^{١٧٥} ^{١٧٦} ^{١٧٧} ^{١٧٨} ^{١٧٩} ^{١٨٠} ^{١٨١} ^{١٨٢} ^{١٨٣} ^{١٨٤} ^{١٨٥} ^{١٨٦} ^{١٨٧} ^{١٨٨} ^{١٨٩} ^{١٩٠} ^{١٩١} ^{١٩٢} ^{١٩٣} ^{١٩٤} ^{١٩٥} ^{١٩٦} ^{١٩٧} ^{١٩٨} ^{١٩٩} ^{٢٠٠} ^{٢٠١} ^{٢٠٢} ^{٢٠٣} ^{٢٠٤} ^{٢٠٥} ^{٢٠٦} ^{٢٠٧} ^{٢٠٨} ^{٢٠٩} ^{٢١٠} ^{٢١١} ^{٢١٢} ^{٢١٣} ^{٢١٤} ^{٢١٥} ^{٢١٦} ^{٢١٧} ^{٢١٨} ^{٢١٩} ^{٢٢٠} ^{٢٢١} ^{٢٢٢} ^{٢٢٣} ^{٢٢٤} ^{٢٢٥} ^{٢٢٦} ^{٢٢٧} ^{٢٢٨} ^{٢٢٩} ^{٢٣٠} ^{٢٣١} ^{٢٣٢} ^{٢٣٣} ^{٢٣٤} ^{٢٣٥} ^{٢٣٦} ^{٢٣٧} ^{٢٣٨} ^{٢٣٩} ^{٢٤٠} ^{٢٤١} ^{٢٤٢} ^{٢٤٣} ^{٢٤٤} ^{٢٤٥} ^{٢٤٦} ^{٢٤٧} ^{٢٤٨} ^{٢٤٩} ^{٢٥٠} ^{٢٥١} ^{٢٥٢} ^{٢٥٣} ^{٢٥٤} ^{٢٥٥} ^{٢٥٦} ^{٢٥٧} ^{٢٥٨} ^{٢٥٩} ^{٢٦٠} ^{٢٦١} ^{٢٦٢} ^{٢٦٣} ^{٢٦٤} ^{٢٦٥} ^{٢٦٦} ^{٢٦٧} ^{٢٦٨} ^{٢٦٩} ^{٢٧٠} ^{٢٧١} ^{٢٧٢} ^{٢٧٣} ^{٢٧٤} ^{٢٧٥} ^{٢٧٦} ^{٢٧٧} ^{٢٧٨} ^{٢٧٩} ^{٢٨٠} ^{٢٨١} ^{٢٨٢} ^{٢٨٣} ^{٢٨٤} ^{٢٨٥} ^{٢٨٦} ^{٢٨٧} ^{٢٨٨} ^{٢٨٩} ^{٢٩٠} ^{٢٩١} ^{٢٩٢} ^{٢٩٣} ^{٢٩٤} ^{٢٩٥} ^{٢٩٦} ^{٢٩٧} ^{٢٩٨} ^{٢٩٩} ^{٣٠٠} ^{٣٠١} ^{٣٠٢} ^{٣٠٣} ^{٣٠٤} ^{٣٠٥} ^{٣٠٦} ^{٣٠٧} ^{٣٠٨} ^{٣٠٩} ^{٣١٠} ^{٣١١} ^{٣١٢} ^{٣١٣} ^{٣١٤} ^{٣١٥} ^{٣١٦} ^{٣١٧} ^{٣١٨} ^{٣١٩} ^{٣٢٠} ^{٣٢١} ^{٣٢٢} ^{٣٢٣} ^{٣٢٤} ^{٣٢٥} ^{٣٢٦} ^{٣٢٧} ^{٣٢٨} ^{٣٢٩} ^{٣٣٠} ^{٣٣١} ^{٣٣٢} ^{٣٣٣} ^{٣٣٤} ^{٣٣٥} ^{٣٣٦} ^{٣٣٧} ^{٣٣٨} ^{٣٣٩} ^{٣٤٠} ^{٣٤١} ^{٣٤٢} ^{٣٤٣} ^{٣٤٤} ^{٣٤٥} ^{٣٤٦} ^{٣٤٧} ^{٣٤٨} ^{٣٤٩} ^{٣٥٠} ^{٣٥١} ^{٣٥٢} ^{٣٥٣} ^{٣٥٤} ^{٣٥٥} ^{٣٥٦} ^{٣٥٧} ^{٣٥٨} ^{٣٥٩} ^{٣٦٠} ^{٣٦١} ^{٣٦٢} ^{٣٦٣} ^{٣٦٤} ^{٣٦٥} ^{٣٦٦} ^{٣٦٧} ^{٣٦٨} ^{٣٦٩} ^{٣٧٠} ^{٣٧١} ^{٣٧٢} ^{٣٧٣} ^{٣٧٤} ^{٣٧٥} ^{٣٧٦} ^{٣٧٧} ^{٣٧٨} ^{٣٧٩} ^{٣٨٠} ^{٣٨١} ^{٣٨٢} ^{٣٨٣} ^{٣٨٤} ^{٣٨٥} ^{٣٨٦} ^{٣٨٧} ^{٣٨٨} ^{٣٨٩} ^{٣٩٠} ^{٣٩١} ^{٣٩٢} ^{٣٩٣} ^{٣٩٤} ^{٣٩٥} ^{٣٩٦} ^{٣٩٧} ^{٣٩٨} ^{٣٩٩} ^{٤٠٠} ^{٤٠١} ^{٤٠٢} ^{٤٠٣} ^{٤٠٤} ^{٤٠٥} ^{٤٠٦} ^{٤٠٧} ^{٤٠٨} ^{٤٠٩} ^{٤١٠} ^{٤١١} ^{٤١٢} ^{٤١٣} ^{٤١٤} ^{٤١٥} ^{٤١٦} ^{٤١٧} ^{٤١٨} ^{٤١٩} ^{٤٢٠} ^{٤٢١} ^{٤٢٢} ^{٤٢٣} ^{٤٢٤} ^{٤٢٥} ^{٤٢٦} ^{٤٢٧} ^{٤٢٨} ^{٤٢٩} ^{٤٣٠} ^{٤٣١} ^{٤٣٢} ^{٤٣٣} ^{٤٣٤} ^{٤٣٥} ^{٤٣٦} ^{٤٣٧} ^{٤٣٨} ^{٤٣٩} ^{٤٤٠} ^{٤٤١} ^{٤٤٢} ^{٤٤٣} ^{٤٤٤} ^{٤٤٥} ^{٤٤٦} ^{٤٤٧} ^{٤٤٨} ^{٤٤٩} ^{٤٥٠} ^{٤٥١} ^{٤٥٢} ^{٤٥٣} ^{٤٥٤} ^{٤٥٥} ^{٤٥٦} ^{٤٥٧} ^{٤٥٨} ^{٤٥٩} ^{٤٦٠} ^{٤٦١} ^{٤٦٢} ^{٤٦٣} ^{٤٦٤} ^{٤٦٥} ^{٤٦٦} ^{٤٦٧} ^{٤٦٨} ^{٤٦٩} ^{٤٧٠} ^{٤٧١} ^{٤٧٢} ^{٤٧٣} ^{٤٧٤} ^{٤٧٥} ^{٤٧٦} ^{٤٧٧} ^{٤٧٨} ^{٤٧٩} ^{٤٨٠} ^{٤٨١} ^{٤٨٢} ^{٤٨٣} ^{٤٨٤} ^{٤٨٥} ^{٤٨٦} ^{٤٨٧} ^{٤٨٨} ^{٤٨٩} ^{٤٩٠} ^{٤٩١} ^{٤٩٢} ^{٤٩٣} ^{٤٩٤} ^{٤٩٥} ^{٤٩٦} ^{٤٩٧} ^{٤٩٨} ^{٤٩٩} ^{٥٠٠} ^{٥٠١} ^{٥٠٢} ^{٥٠٣} ^{٥٠٤} ^{٥٠٥} ^{٥٠٦} ^{٥٠٧} ^{٥٠٨} ^{٥٠٩} ^{٥١٠} ^{٥١١} ^{٥١٢} ^{٥١٣} ^{٥١٤} ^{٥١٥} ^{٥١٦} ^{٥١٧} ^{٥١٨} ^{٥١٩} ^{٥٢٠} ^{٥٢١} ^{٥٢٢} ^{٥٢٣} ^{٥٢٤} ^{٥٢٥} ^{٥٢٦} ^{٥٢٧} ^{٥٢٨} ^{٥٢٩} ^{٥٣٠} ^{٥٣١} ^{٥٣٢} ^{٥٣٣} ^{٥٣٤} ^{٥٣٥} ^{٥٣٦} ^{٥٣٧} ^{٥٣٨} ^{٥٣٩} ^{٥٤٠} ^{٥٤١} ^{٥٤٢} ^{٥٤٣} ^{٥٤٤} ^{٥٤٥} ^{٥٤٦} ^{٥٤٧} ^{٥٤٨} ^{٥٤٩} ^{٥٥٠} ^{٥٥١} ^{٥٥٢} ^{٥٥٣} ^{٥٥٤} ^{٥٥٥} ^{٥٥٦} ^{٥٥٧} ^{٥٥٨} ^{٥٥٩} ^{٥٦٠} ^{٥٦١} ^{٥٦٢} ^{٥٦٣} ^{٥٦٤} ^{٥٦٥} ^{٥٦٦} ^{٥٦٧} ^{٥٦٨} ^{٥٦٩} ^{٥٧٠} ^{٥٧١} ^{٥٧٢} ^{٥٧٣} ^{٥٧٤} ^{٥٧٥} ^{٥٧٦} ^{٥٧٧} ^{٥٧٨} ^{٥٧٩} ^{٥٨٠} ^{٥٨١} ^{٥٨٢} ^{٥٨٣} ^{٥٨٤} ^{٥٨٥} ^{٥٨٦} ^{٥٨٧} ^{٥٨٨} ^{٥٨٩} ^{٥٩٠} ^{٥٩١} ^{٥٩٢} ^{٥٩٣} ^{٥٩٤} ^{٥٩٥} ^{٥٩٦} ^{٥٩٧} ^{٥٩٨} ^{٥٩٩} ^{٦٠٠} ^{٦٠١} ^{٦٠٢} ^{٦٠٣} ^{٦٠٤} ^{٦٠٥} ^{٦٠٦} ^{٦٠٧} ^{٦٠٨} ^{٦٠٩} ^{٦١٠} ^{٦١١} ^{٦١٢} ^{٦١٣} ^{٦١٤} ^{٦١٥} ^{٦١٦} ^{٦١٧} ^{٦١٨} ^{٦١٩} ^{٦٢٠} ^{٦٢١} ^{٦٢٢} ^{٦٢٣} ^{٦٢٤} ^{٦٢٥} ^{٦٢٦} ^{٦٢٧} ^{٦٢٨} ^{٦٢٩} ^{٦٣٠} ^{٦٣١} ^{٦٣٢} ^{٦٣٣} ^{٦٣٤} ^{٦٣٥} ^{٦٣٦} ^{٦٣٧} ^{٦٣٨} ^{٦٣٩} ^{٦٤٠} ^{٦٤١} ^{٦٤٢} ^{٦٤٣} ^{٦٤٤} ^{٦٤٥} ^{٦٤٦} ^{٦٤٧} ^{٦٤٨} ^{٦٤٩} ^{٦٥٠} ^{٦٥١} ^{٦٥٢} ^{٦٥٣} ^{٦٥٤} ^{٦٥٥} ^{٦٥٦} ^{٦٥٧} ^{٦٥٨} ^{٦٥٩} ^{٦٦٠} ^{٦٦١} ^{٦٦٢} ^{٦٦٣} ^{٦٦٤} ^{٦٦٥} ^{٦٦٦} ^{٦٦٧} ^{٦٦٨} ^{٦٦٩} ^{٦٧٠} ^{٦٧١} ^{٦٧٢} ^{٦٧٣} ^{٦٧٤} ^{٦٧٥} ^{٦٧٦} ^{٦٧٧} ^{٦٧٨} ^{٦٧٩} ^{٦٨٠} ^{٦٨١} ^{٦٨٢} ^{٦٨٣} ^{٦٨٤} ^{٦٨٥} ^{٦٨٦} ^{٦٨٧} ^{٦٨٨} ^{٦٨٩} ^{٦٩٠} ^{٦٩١} ^{٦٩٢} ^{٦٩٣} ^{٦٩٤} ^{٦٩٥} ^{٦٩٦} ^{٦٩٧} ^{٦٩٨} ^{٦٩٩} ^{٧٠٠} ^{٧٠١} ^{٧٠٢} ^{٧٠٣} ^{٧٠٤} ^{٧٠٥} ^{٧٠٦} ^{٧٠٧} ^{٧٠٨} ^{٧٠٩} ^{٧١٠} ^{٧١١} ^{٧١٢} ^{٧١٣} ^{٧١٤} ^{٧١٥} ^{٧١٦} ^{٧١٧} ^{٧١٨} ^{٧١٩} ^{٧٢٠} ^{٧٢١} ^{٧٢٢} ^{٧٢٣} ^{٧٢٤} ^{٧٢٥} ^{٧٢٦} ^{٧٢٧} ^{٧٢٨} ^{٧٢٩} ^{٧٣٠} ^{٧٣١} ^{٧٣٢} ^{٧٣٣} ^{٧٣٤} ^{٧٣٥} ^{٧٣٦} ^{٧٣٧} ^{٧٣٨} ^{٧٣٩} ^{٧٤٠} ^{٧٤١} ^{٧٤٢} ^{٧٤٣} ^{٧٤٤} ^{٧٤٥} ^{٧٤٦} ^{٧٤٧} ^{٧٤٨} ^{٧٤٩} ^{٧٥٠} ^{٧٥١} ^{٧٥٢} ^{٧٥٣} ^{٧٥٤} ^{٧٥٥} ^{٧٥٦} ^{٧٥٧} ^{٧٥٨} ^{٧٥٩} ^{٧٦٠} ^{٧٦١} ^{٧٦٢} ^{٧٦٣} ^{٧٦٤} ^{٧٦٥} ^{٧٦٦} ^{٧٦٧} ^{٧٦٨} ^{٧٦٩} ^{٧٧٠} ^{٧٧١} ^{٧٧٢} ^{٧٧٣} ^{٧٧٤} ^{٧٧٥} ^{٧٧٦} ^{٧٧٧} ^{٧٧٨} ^{٧٧٩} ^{٧٨٠} ^{٧٨١} ^{٧٨٢} ^{٧٨٣} ^{٧٨٤} ^{٧٨٥} ^{٧٨٦} ^{٧٨٧} ^{٧٨٨} ^{٧٨٩} ^{٧٩٠} ^{٧٩١} ^{٧٩٢} ^{٧٩٣} ^{٧٩٤} ^{٧٩٥} ^{٧٩٦} ^{٧٩٧} ^{٧٩٨} ^{٧٩٩} ^{٨٠٠} ^{٨٠١} ^{٨٠٢} ^{٨٠٣} ^{٨٠٤} ^{٨٠٥} ^{٨٠٦} ^{٨٠٧} ^{٨٠٨} ^{٨٠٩} ^{٨١٠} ^{٨١١} ^{٨١٢} ^{٨١٣} ^{٨١٤} ^{٨١٥} ^{٨١٦} ^{٨١٧} ^{٨١٨} ^{٨١٩} ^{٨٢٠} ^{٨٢١} ^{٨٢٢} ^{٨٢٣} ^{٨٢٤} ^{٨٢٥} ^{٨٢٦} ^{٨٢٧} ^{٨٢٨} ^{٨٢٩} ^{٨٣٠} ^{٨٣١} ^{٨٣٢} ^{٨٣٣} ^{٨٣٤} ^{٨٣٥} ^{٨٣٦} ^{٨٣٧} ^{٨٣٨} ^{٨٣٩} ^{٨٤٠} ^{٨٤١} ^{٨٤٢} ^{٨٤٣} ^{٨٤٤} ^{٨٤٥} ^{٨٤٦} ^{٨٤٧} ^{٨٤٨} ^{٨٤٩} ^{٨٥٠} ^{٨٥١} ^{٨٥٢} ^{٨٥٣} ^{٨٥٤} ^{٨٥٥} ^{٨٥٦} ^{٨٥٧} ^{٨٥٨} ^{٨٥٩} ^{٨٦٠} ^{٨٦١} ^{٨٦٢} ^{٨٦٣} ^{٨٦٤} ^{٨٦٥} ^{٨٦٦} ^{٨٦٧} ^{٨٦٨} ^{٨٦٩} ^{٨٧٠} ^{٨٧١} ^{٨٧٢} ^{٨٧٣} ^{٨٧٤} ^{٨٧٥} ^{٨٧٦} ^{٨٧٧} ^{٨٧٨} ^{٨٧٩} ^{٨٨٠} ^{٨٨١} ^{٨٨٢} ^{٨٨٣} ^{٨٨٤} ^{٨٨٥} ^{٨٨٦} ^{٨٨٧} ^{٨٨٨} ^{٨٨٩} ^{٨٩٠} ^{٨٩١} ^{٨٩٢} ^{٨٩٣} ^{٨٩٤} ^{٨٩٥} ^{٨٩٦} ^{٨٩٧} ^{٨٩٨} ^{٨٩٩} ^{٩٠٠} ^{٩٠١} ^{٩٠٢} ^{٩٠٣} ^{٩٠٤} ^{٩٠٥} ^{٩٠٦} ^{٩٠٧} ^{٩٠٨} ^{٩٠٩} ^{٩١٠} ^{٩١١} ^{٩١٢} ^{٩١٣} ^{٩١٤} ^{٩١٥} ^{٩١٦} ^{٩١٧} ^{٩١٨} ^{٩١٩} ^{٩٢٠} ^{٩٢١} ^{٩٢٢} ^{٩٢٣} ^{٩٢٤} ^{٩٢٥} ^{٩٢٦} ^{٩٢٧} ^{٩٢٨} ^{٩٢٩} ^{٩٣٠} ^{٩٣١} ^{٩٣٢} ^{٩٣٣} ^{٩٣٤} ^{٩٣٥} ^{٩٣٦} ^{٩٣٧} ^{٩٣٨} ^{٩٣}

إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب اللعين من ذبح الأبناء واستحيا النساء قال القرطبي وهذا قول الجمهور ولفظه بعد ما حكى القول الأول ، ثم قال : وقال الجمهور الإشارة إلى الذبح ونحوه والبلاء ههنا في الشر واللعن وفي الذبح مكروه وامتحان وقوله تعالى (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأتم تنظرون) معناه وبعد أن أقمناكم من آل فرعون وخرجتم مع موسى عليه السلام خرج فرعون في طلبكم ففرقنا بكم البحر كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلا كما سيأتي في مواضعه ومن أبسطها ما في سورة الشعراء إن شاء الله (فأنجيناكم) أي خلصناكم منهم وحجزنا بينكم وبينهم وأغرقناهم وأتم تنظرون ليكون ذلك أشنى لصدوركم وأبلغ في إهانة عدوكم . قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أبي إسحاق الحمداني عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله تعالى (وإذ فرقنا بكم البحر — إلى قوله — وأتم تنظرون) قال لما خرج موسى ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى نصبح الديكة قال فوالله ما صاح للبتد ديك حتى أصبحوا فدعا بشاة فدبحتم ثم قال لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلى سبائة ألف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه سبائة ألف من القبط فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع ابن نون ابن أمر ربك ؟ قال أمامك يشير إلى البحر فأقبح يوشع فرسه في البحر حتى بلغ القمر فذهب به القمر ثم رجع فقال ابن أمر ربك يا موسى ؟ فوالله ما كذبت ولا كذبت ، فعل ذلك ثلاث مرات ثم أوحى الله إلى موسى أن اضرب بصاك البحر فضر به فافتلق فكان كل فرق كالطود العظيم — يقول مثل الجبل — ثم صار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تاموا فيه ألحقه الله عليهم فذلك قال (وأغرقنا آل فرعون وأتم تنظرون) وكذلك قال غير واحد من السلف كما سيأتي بيانه في موضعه وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال « ما هذا اليوم الذي تصومون ؟ » قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله عز وجل فيه بني إسرائيل من عدوم فصامه موسى عليه السلام فقال رسول الله ﷺ « أنا أحق بموسى منكم » فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصومه وروى هذا الحديث البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق عن أيوب السخيتاني به نحو ما تقدم وقال أبو يعلى الوصلي حدثنا أبو الربيع حدثنا سلام يعني ابن سلم عن زيد العمي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ قال « فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء » وهذا ضعيف من هذا الوجه فإن زيدا العمي فيه ضعف وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه

﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۚ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَمَلِكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىَ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَكُمْ تَهْتَدُونَ ۚ ﴾

يقول تعالى وإذا كروا نعتق عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لبقا ربه عند انضمام أمد الواعدة وكانت أربعين يوما وهي المذكورة في الأعراف في قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بشر) قيل إنها ذو القعدة بكمالها وعشر من ذي الحجة وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر وقوله تعالى (وإذا آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) وهو ما يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلالة (لعلكم تهتدون) وكان ذلك أيضا بعد خروجهم من البحر كما دل عليه سياق الكلام في سورة الأعراف ولقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لهم يتذكرون) وقيل الواو زائدة واللفي ولقد آتينا موسى الكتاب الفرقان وهذا غريب وقيل عطف عليه وإن كان المعنى واحدا كما في قول الشاعر :

وقد تمت الأديم لراشيه * فألني قولها كلبا ومينا

وقال الآخر : ألا جئنا هند وأرض بها هند * وهند آتى من دنيا النأى والبعد
فالكذب هو اللين ، والنأى هو البعد . وقال عنترة

حيث من طلل فنادم عهده * أقوى وأقهر بعد أم الميثم

فصلب الإقمار على الإقواء وهو هو

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتَّخَذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا
أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل ، قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى (وإذ قال
موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) فقال ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع
حتى قال الله تعالى (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحننا ربنا بغير لنا) الآية . قال . فذلك
حين يقول موسى (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) وقال أبو العالية وسعيد بن جبير والريبع بن أنس (فتوبوا
إلى باريكم) أى إلى خالقكم قلت وفي قوله ههنا (إلى باريكم) تنبيه على عظم جرمهم أى فتوبوا إلى الذى خلقكم وقد
عبدتم معه غيره . وقد روى النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث يزيد بن هارون عن الأصمغ بن زيد الوراق
عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الله تعالى إن توبتهم أن يقتل كل واحد منهم من
لقى من والده وولده فيقتله بالسيف ولا يبالى من قتل في ذلك للموطن قتال أولئك الذين كانوا يخفى على موسى وهارون
ما اطلع الله على ذنوبهم فاعتزفوا بها وعللوا ما أسروا به ففتر الله للقاتل والمقتول وهذا قطعة من حديث القتون وسألت
في سورة طه بكاهل إن شاء الله . وقال ابن جرير : حدثني عبد الكريم بن الميثم حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفیان
بن عيينة : قال : قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال موسى لقومه توبوا إلى باريكم فاقتلوا أنفسكم ذلکم
خير لكم عند باريكم فتناب عليكم لأنه هو التواب الرحيم * قال أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا
أنفسهم قال : وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الدين لم يكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابهم
ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا فأجملت الظلمة عنهم وقد جلاوا عن سبعين ألف قتل كل من قتل منهم كانت له
توبة وكل من بقى كانت له توبة . وقال ابن جرير : أخبرني القاسم بن أبى برة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدا يقولان
في قوله تعالى (فاقتلوا أنفسكم) قال : قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضا لا يخشون رجلا على قريب
ولا بعيد حتى ألقى موسى ثوبه فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين ألف قتيل وإن الله أوحى إلى موسى أن حسي
قد اكتنيت فلذلك حين ألقى موسى ثوبه وروى عن طبري عن الله عنه نحو ذلك وقال قتادة : أمر القوم بشديد
من الأمر فقاموا يتناحرون بالخناجر يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم ثمته فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك
عنهم القتل فجعل لهم توبوا للمقتول شهادة . وقال الحسن البصري : أصابهم ظلمة حديد فقتل بعضهم بعضا ثم انكشف
عنهم فجعل توبتهم في ذلك وقال السدي : في قوله (فاقتلوا أنفسكم) قال فاجتهد الذين عبدوه والذين لم يبدؤوا بالسيف
فكان من قتل من الفريقين شيئا حتى كثرت القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل منهم سبعون ألفا وحتى دعا موسى
وهارون ربنا أهلكنا بني إسرائيل ربنا البقية البقية فأمرهم أن يلقوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل منهم من
الفريقين شيئا ومن بقى مكفرا عنه فذلك قوله (تناب عليكم إنه هو التواب الرحيم) وقال الزهري : لما أمرت
بنو إسرائيل بقتل أنفسهم برزوا ومعهم موسى فاشطربوا بالسيف وقطاعوا بالخناجر وموسى رافع يديه حتى إذا
فتر بعضهم قالوا يا بني الله ادع الله لنا وأخذوا بضديبه يستندون يديه فلم يزل أمرهم على ذلك حتى إذا قبل الله توبتهم
قبض أيديهم بعضهم عن بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم فأوحى الله جل

عن موسى التمام فأقبل إليهم فقالوا لموسى (لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة) فأخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فأتوا جميعا وقام موسى يشاهد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإلاى) قد سفهوا أفتهلك من ورأى من بنى إسرائيل بما يفضل السفهاء منا ؟ أى إن هذا لهم هلاك واخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع إليهم وليس معى منهم رجلا واحد لما الذى يصدقونى به ويأمنونى عليه بعد هذا ؟ (إناهدنا إليك) فلم يزل موسى يشاهد ربه عز وجل ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم وطلب إليه التوبة لبنى إسرائيل من عبادة العجل فقال لا إلا أن يقتلوا أنفسهم - هذا سياق محمد بن إسحق وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير لما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل وقاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض كما أمرهم الله به أمر الله موسى أن يأتيه فى كل أناس من بنى إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعدهم موسى فاختار سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتدروا وساق البقية وهذا السياق يقتضى أن الخطاب توجه إلى بنى إسرائيل فى قوله (وإذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة) والرد السبعون المختارون منهم ولم يحك كثير من المفسرين سواء ، وقد أغرب الرازى فى تفسيره حين حكى فى قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد إحيائهم قالوا يا موسى إنك لا تطلب من الله شيئا إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء فدعا بذلك فأجاب الله دعوته ، وهذا غريب جدا إذ لا يعرف فى زمان موسى نبى سوى هرون ثم يوشع بن نون وقد غلط أهل الكتاب أيضا فى دعواهم أن هؤلاء رأوا الله عز وجل فإن موسى السليم عليه السلام قد سأل ذلك فنعى منه فكيف يناله هؤلاء السبعون .

القول الثانى فى الآية قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى تفسير هذه الآية قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل ، فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمركم الذى أمركم به ونهيكم الذى نهاكم عنه . فقالوا ومن يأخذه بقلبك أنت ؟ لا والله حتى ترى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول هذا كتابى فخذوه فماله لا يكلمنا كما يكلمكم أنت يا موسى وقرأ قول الله (لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة) قال فجات غضبة من الله فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فأتوا أجمعون ، قال ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قوله (ثم يشاكن من بعد موتكم لعلكم تشكرون) فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا ، فقال أى شئ أصابكم ؟ فقالوا أصابنا أنا متنا ثم أحيينا ، قال خذوا كتاب الله قالوا لا ، فبعت الله ملائكة فتفتت الجبل فوقهم . وهذا السياق يدل على أنهم كفوا بعد ما أحيوا . وقد حكى الماوردى فى ذلك قولين أحدهما أنه سقط التكليف عنهم لمعانتهم الأمر جهرة حتى صاروا مضطرين إلى التصديق والثانى أنهم مكافون لئلا يغلو عاقل من تكليف قال القرطبي وهذا هو الصحيح لأن معانتهم للأموال النطية لا تمنع تكليفهم لأن بنى إسرائيل قد شاهدوا أمورا عظيما من خوارق العادات وهم فى ذلك مكفون وهذا واضح والله أعلم

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كَلُوا مِن طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النعم شرع يذكرهم أيضا بما أسخ عليهم من النعم فقال (وظللنا عليكم الغمام) وهو جمع غمامة معى بذلك لأنه يتم الساء أى يوارىها ويسترها وهو السحاب الأبيض ظللوا به فى التيه ليقبهم حر الشمس كما رواه النسائى وغيره عن ابن عباس فى حديث الفتون قال ثم ظلك عليهم فى التيه بالتمام قال ابن أبى حاتم وروى عن ابن عمر والربيع بن أنس وأبى مجاز والضحاك والسدى نحو قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة (وظللنا عليكم الغمام) كان هذا فى البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وقال ابن جرير قال آخرون وهو غمام أبرد من هذا وأطيب . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد (وظللنا عليكم الغمام) قال ليس

بالسحاب هو التمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ولم يكن إلا لهم . وهكذا رواه ابن جرير عن النبي عن إبراهيم عن أبي حذيفة وكذا رواه التوري وغيره عن ابن أبي نجیح عن مجاهد وكأنه يريد والله أعلم انه ليس من زى هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظر كما قال سفيان في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج قال قال ابن عباس (وظلها عليكم التمام) قال غمام أبرد من هذا وأطيب وهو الذي يأتي الله فيه في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من التمام والملائكة) وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس وكان معهم في التيه : وقوله تعالى (وأنزلا عليكم المن) اختلفت عبارات المفسرين في المن ماهو ؟ فقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس كان المن ينزل على من أشجار فينبدون إليه فيأكلون منه ماشاءوا . وقال مجاهد المن صمعة وقال عكرمة المن شيء أنزله الله عليهم مثل الغلال شبه الرب الغليظ وقال السدي قالوا يا موسى كيف لنا بما هنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجرة الزمخيل وقال قتادة كان المن ينزل عليهم في عليهم سقوط الثلج أشد ياضا من اللبن وأحلى من الصل يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يأخذ الرجل منهم قدر ما يفيقه يومه ذلك فإذا تدى ذلك فسد ولم يبق حق إذا كان يوم سادس يوم جمعة أخذ ما يفيقه ليوم سادس ويوم سابعه لأنه كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشته ولا يطالبه شيء وهذا كله في البرية وقال الربيع بن أنس المن شراب كان ينزل عليهم مثل الصل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه . وقال وهب بن منبه وسئل عن المن فقال خبز رقاق مثل الذرة أو مثل التقي وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن جابر عن عامر وهو الشعبي قال علكم هذا جزء من سبعين جزءا من المن وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه الصل ووقع في شعر أمية بن أبي الصلت حيث قال :

فرأى الله أنهم يمشع * لا بدى مزرع ولا مشورا * فمناها عليهم غاديات
ويرى مهنهم خلايا وخورا * عسلا ناطقا وماء فرائنا * وحليا ذاهجة مزمورا

فالتألف هو السائل والحليب الزمور الصافي منه والترض أن عبارات التفسيرين متقاربة في شرح المن فمنهم من فسرهم بالطعام ومنهم من فسرهم بالشراب والظاهر والله أعلم أنه كل ما آمن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد فالن شهر إن أكل وحده كان طعاما وحلاوة وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا وإن ركب مع غيره صار نوما آخر ولكن ليس هو المراد من الآية وحده والدليل على ذلك قول البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ « الكمأة من اللن وماؤها شفاء للعين » وهذا الحديث رواه الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك وهو ابن عميره وأخرجه الجماعة في كتبهم إلا أبا داود من طرق عن عبد الملك وهو ابن عميره وقال الترمذي حسن صحيح ورواه البخاري ومسلم من رواية الحكم عن الحسن العرفي عن عمرو بن حريث به وقال الترمذي حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ومحمد بن غيلان قالوا حدثنا سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « البجوة من الجنة وفيها شفاء من السم والكمأة من اللن وماؤها شفاء للعين » فمعه بأخرجه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن عمرو بن حريث بن عمرو بن حريث بن عمرو بن حريث بن عمرو بن حريث وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وجابر - كذا قال - وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من طريق آخر عن أبي هريرة فقال حدثنا أحمد بن الحسن بن أحمد البصري حدثنا أسلم بن سهل حدثنا القاسم بن عيسى حدثنا طلحة بن عبد الرحمن عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الكمأة من اللن وماؤها شفاء للعين » وهذا حديث غريب من هذا الوجه وطلحة بن عبد الرحمن هذا السلي الواسطي يكنى بأبي محمد وقيل أبو سليمان اللؤب قال فيه الحافظ أبو أحمد بن غنى : روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها . ثم قال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا الكمأة جدري الأرض فقال نبي الله صلى الله عليه

وسلم « الكساء » من اللين وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم » وهذا الحديث قد رواه النسائي عن محمد بن بشر به وعنه عن غندر عن شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة به وعن محمد بن بشر عن عبد الأعلى عن خالد الحذاء عن شهر بن حوشب بقصة الكساء فقط . وروى النسائي أيضا وابن ماجه من حديث محمد بن بشر عن أبي عبد الصمد بن عبد العزيز بن عبد الصمد عن مطر الوراق عن شهر بقصة العجوة عند النسائي والتستين عند ابن ماجه وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة فإنه لم يسمع منه بدليل ما رواه النسائي في الوليمة من سننه عن طي بن الحسين الدرهمي عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي هريرة . قال خرج رسول الله ﷺ وهم يذكرون الكساء وبعضهم يقول جدرى الأرض فقال « الكساء من اللين وماؤها شفاء للعين » وروى عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد وجابر كما قال الإمام أحمد حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الحنظلي قال : قال رسول الله ﷺ « الكساء من اللين وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم » وقال النسائي في الوليمة أيضا حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد وجابر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « الكساء من اللين وماؤها شفاء للعين » ثم رواه أيضا وابن ماجه من طرق عن الأعمش عن أبي بشر عن شهر عنهما به وقد روى — أعني النسائي من حديث جرير وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي سلمة — كلاهما عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد رواه النسائي وحديث جابر عن النبي ﷺ قال « الكساء من اللين وماؤها شفاء للعين » ورواه ابن مردويه عن أحمد بن عثمان حدثنا عباس الدوري عن لاحق بن صواب عن عمار بن رزيق عن الأعمش كابن ماجه وقال ابن مردويه أيضا حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا عباس الدوري حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن الثعالبي عن عمرو بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي سعيد الحنظلي قال خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كآت فقال « الكساء من اللين وماؤها شفاء للعين » وأخرجه النسائي عن عمرو بن منصور عن الحسن بن الربيع به ثم ابن مردويه رواه أيضا عن عبد الله بن إسحق عن الحسن بن سلام عن عبيد الله بن موسى عن شيخان عن الأعمش به ، وكذا رواه النسائي عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن عبيد الله بن موسى وقد روى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه كما قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا أحمد بن أحمد حدثنا جويرية بن أشرس حدثنا حماد عن شعيب بن الحبابة عن أنس أن أصحاب رسول الله ﷺ تداروا في الشجرة التي اجثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، فقال بعضهم نخسبه الكساء فقال رسول الله ﷺ « الكساء من اللين وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية حماد بن سلمة . وقد روى الترمذي والنسائي من طريقه شيئا من هذا والله أعلم . وروى عن شهر عن ابن عباس كما رواه النسائي أيضا في الوليمة عن أبي بكر أحمد بن طي بن سعيد عن عبد الله بن عون الخراز عن أبي عبيدة الحذاء عن عبد الجليل بن عطية عن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ قال « الكساء من اللين وماؤها شفاء للعين » فقد اختلف كما ترى فيه طي بن حوشب ويحتمل عندى أنه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها وقد مر منه من بعض الصحابة وبلغه عن بعضهم فإن الأسانيد إليه جيدة وهو لا يعتمد الكذب وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله ﷺ كما تقدم من رواية سعيد بن زيد رضى الله عنه .

وأما السوى فقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس السوى طائر يشبه البهائي . كانوا يأكلون منه . وقال السدي في خبره ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة السوى طائر يشبه البهائي ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا قرة ابن خالد عن جهم عن ابن عباس ، قال السوى هو البهائي وكذا قال مجاهد والنسائي والفضالة والحسن وعكرمة

والريح بن أنس رحمهم الله تعالى وعن عكرمة أما السوى فطير كثير يكون بالجنة أكبر من الصفور أو نحو ذلك وقال قتادة : السوى كان من طير الجفرة يحضرها عليهم الرب الجنوب وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك فإذا تعدى فسد ولم يبق عنده حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعة أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابيه لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه شيء ولا يطلبه ، وقال وهب بن منبه : السوى طير ميمثل مثل الحمامة كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت وفي رواية عن وهب قال سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام لما قال الله لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض فأرسل عليهم ريحا فأذرت عند مساكنهم السوى وهو الباني مثلميل فيميل فيميل فيدمر في الباء غلبوا فأخذ فتن اللحم وخز الحبر ، وقال السدى لما دخل بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأرسل الله عليهم للن فكان ينزل على شجر الزئجيل ، والسوى وهو طائر يشبه الباني أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير فان كان مينا ذبحه وإلا أرسله فإذا من أمانه فقالوا لهذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى ف ضرب بصاه الحجر فاضجرت منه اثنتا عشرة عينا ف ضرب كل سبط من عين ، فقالوا هذا الشراب فأين الظل فظلل عليهم الغمام ، فقالوا هذا الظل فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا تخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى (وظللنا عليهم الغمام وأرسلنا عليهم للن السوى) وقوله (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فاضجرت منه اثنتا عشرة عينا فعلم كل أناس مشرهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تنسوا في الأرض مفسدين) وروى عن وهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدى وقال سئيد عن ججاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس خلق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن ، قال ابن جريج : فكان الرجل إذا أخذ من للن والسوى فوق طعام يوم فسد إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا قال ابن عطية السوى طير بإجماع المفسرين وقد غلط الهدلي في قوله أنه الصل وأنشد في ذلك مستشهدا :

وقاصها بالله جهدا لأتم • الله من السوى إذا ما أفوزها

قال فظن أن السوى صلا ، قال القرطبي : دعوى الإجماع لاتصح لأن المؤرخ أحد علماء اللغة والتفسير قال انه السلى واستدل بيت الهدلي هذا وذكر أنه كذلك في لغة كنانة لأنه يسلي به ومنه عين سلوان ، وقال الجوهري : السوى الصل واستشهد بيت الهدلي أيضا والسلوان بالضم خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء للطر فضرها الماشق . سلا قال الشاعر : شربت على سلوانة ماء مزنة • فلا وجديد العيش يأمي ما أسلو واسم ذلك الماء السلوان ، وقال بضم السلوان دواء يشفي الحزين فيسلو والأطباء يسمونه (مفرج) ، قالوا والسوى جمع بلفظ الواحد أيضا كما يقال ساني للمفرد والجمع ويولى^(١) كذلك ، وقال الجليل واحده سلوانة وأنشد :

وإني ثمروني لا كراك هزة • كما انتفض السلوان من بلل القطر

وقال الكسائي : السوى واحدة وجمعه سلاوي : فله كلة القرطبي . وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أمر بإحاطة وإرشاد وامتنان ، وقوله تعالى (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي أمرناهم بالأكل بما رزقناهم وأن يبدوا كإقبال (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) فقالوا وكفروا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات ، وخوارق العادات ، ومن ههنا تتبين فضيلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تنصت مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته منها عام بتوك في ذلك القبط والحر الشديد والجهد لم يسألوا خرق عادة ولا إجماع أمر مع أن ذلك كان سهلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم فجاءه قدر مبركة الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فلاؤا كل وماء معهم وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم سحابة فأمطرتهم فشربوا وسقوا الإبل وملأوا أسقيتهم ثم نظروا فإذا هم في تجاوز السكر ، فهذا هو الأكل في اتباع الشيء مع قدر الله مع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) مكلنا في النسخ وفي شرح التاموس ماله وفي الصحاح لا لا تشق لم أسمعه يواحد بالرواية أنه واحد السوى مثل جاحه كانوا دخل للواحد والجماعة له فليجور

﴿وَلَا تُلْزِمُوا أَهْلَهُ الْقَرْيَةَ فَمَكَلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سُبْحًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفِّرْ لَكُمْ حَسْبُكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ • فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ﴾

يقول تعالى لأنما لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صيحة موسى عليه السلام فأمرؤا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكسوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في آتية عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ، ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس كائن على ذلك السدى والرابع بن أنس وقائدة وأبو مسلم الإصهاني وغير واحد وقد قال الله تعالى بما كيا عن موسى (يقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتبنا لله لكم ولا تردوا) الآيات . وقال آخرون هي أريحا ، وحكى عن ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد وهذا بعيد لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لأريحا ، وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر ، حكاه الرازي في تفسيره والصحيح الأول أنها بيت المقدس ، وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام وفتحها الله عليهم عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلا حتى أمكن الفتح ، ولما فتحوها أمرؤا أن يدخلوا الباب باب البلد (سجدا) أى شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ورد بلدهم عليهم وأنقذهم من التيه والضلال ، قال النووي في تفسيره عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله تعالى (وادخلوا الباب سجدا) أى ركعاً ، وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن الأعمش عن اللهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وادخلوا الباب سجدا) قال ركعاً من باب صغير رواه الحاكم من حديث سفيان به ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان وهو الثوري به وزاد فدخلوا من قبل أسنهم ؟ وقال الحسن البصري أمرؤا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم واستبعد الرازي وحكى عن بعضهم أن المراد ههنا بالسجود الخشوع لتملح حملته على حقيقته ، وقال خفيف : قال عكرمة قال ابن عباس كان الباب قبل القبلة ، وقال ابن عباس ومجاهد والسدى وقائدة والضحاك هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس ، وحكى الرازي عن بعضهم أنه عن باباب جهة من جهات القبلة ، وقال خفيف قال عكرمة قال ابن عباس فدخلوا على حق ، وقال السدى عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقعياً رموسهم أى رافى رموسهم خلاف ما أمرؤا ، وقوله تعالى (وقولوا حطة) قال الثوري عن الأعمش عن اللهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وقولوا حطة) قال مقفرة استغفروا ، وروى عن عطاء والحسن وقائدة والرابع بن أنس نحوه ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وقولوا حطة) قال قولوا هذا الأمر حق كاتيل لكم وقال عكرمة قولوا (لا إله الا الله) وقال الأوزاعي . كتب ابن عباس إلى رجل قد ساء فسأله عن قوله تعالى (وقولوا حطة) فكتب إليه أنه أقروا بالذنب وقال الحسن وقائدة أى احطط عنا خطايانا (نفّر لكم خطاياكم وسيزيد المحسنين) وقال هذا جواب الأمر أى إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضاعفنا لكم الحسنات وحاصل الأمر أنهم أمرؤا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالقول والقول وأن يترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب عند الله تعالى كما قال تعالى (إنجاه نصر الله والفتح ورأت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح محمد ربك واستغفريه إنه كان تواباً) فسره بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر ، وفسره ابن عباس بأنه نعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجله فيها وأقره على ذلك محرر رضى الله عنه ، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك ونهى إليه روحه الكريمة أيضاً ولهذا كان عليه الصلوة والسلام يظهر عليه الخشوع جدا عند النصر كما زوى أنه كان يوم الفتح فتح مكة دخلاً إليها من الثنية العليا وأنه لحاقه لرب حتى

ان عثوته ليس مورك رحه شكرآ لله على ذلك ، ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثمانى ركعات وذلك ضحى فقال بعضهم هذه صلاة الضحى وقال آخرون بل هى صلاة الفتح فاستجبوا للامام وللأمير إذا فتح بلدآ أن يصلى فيه ثمانى ركعات عند أول دخوله كما فعل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لما دخل إربان كسرى صلى فيه ثمانى ركعات والصحيح أنه يفصل بين كل ركعتين بتسليم ؛ وقيل يصلى كلها بتسليم واحد والله أعلم .

وقوله تعالى (فبذل الدين ظلوا قولاً غير الذى قيل لهم) قال البخارى حدثنى محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهندي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قيل لى إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة - فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا حبة في شجرة » ورواه النسائى عن محمد بن اسماعيل بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن موقوفا وعن محمد بن عبيد بن محمد عن ابن المبارك يعضه مسندآ في قوله تعالى (حطة) قال فيدلوا وقالوا حبة وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبي هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله لى إسرائيل (ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة تنفركم خطاياكم) فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم فقالوا حبة في شجرة » وهذا حديث صحيح رواه البخارى عن إسحق بن نصر ومسلم عن محمد بن رافع والترمذى عن عبد الرحمن بن حميد كلهم عن عبد الرزاق به ، وقال الترمذى حسن صحيح ، وقال محمد بن إسحق كان يبدلهم كأحدثى صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة وعنهم لأنهم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « دخلوا الباب لى أمروا أن يدخلوا فيه سجداً يزحفون على أستاههم وهم يقولون حطة في شجرة » وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح وحدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « قال الله لى إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة تنفركم خطاياكم » ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن مسافر حدثنا ابن أبي فديك عن هشام بن عمار عن هشام بن عمار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدرى قال سمرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها ذات الحنظل فقال رسول الله ﷺ « ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كتل الباب الذى قال الله لى إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة تنفركم خطاياكم » وقال سفيان الثورى عن أبي إسحق عن البراء (سيقول السفهاء من الناس) قال اليهود قيل لهم ادخلوا الباب سجداً قالوا كذا وقولوا حطة أى مغفرة فدخلوا على أستاههم وجعلوا يقولون حطة حمراء فيها شجرة فذلك قول الله تعالى (فبذل الدين ظلوا قولاً غير الذى قيل لهم) وقال الثورى عن السدى عن أبي سعد الأزدى عن أبي الكسود عن ابن مسعود وتولوا حطة فقالوا حطة حبة حمراء فيها شجرة فأنزل الله (فبذل الدين ظلوا قولاً غير الذى قيل لهم) وقال أسباط عن السدى عن مرة عن ابن مسعود أنه قال إنهم قالوا خطايانا أذبة مزيا فهى بالبرية حبة حطة حمراء مثقوبة فيها شجرة سوداء فذلك قوله تعالى (فبذل الدين ظلوا قولاً غير الذى قيل لهم) وقال الثورى عن الأصم عن لبلاب عن سعيد عن ابن عباس في قوله تعالى (ادخلوا الباب سجداً) قال ركان من باب شئير فدخلوا من قبل أستاههم وقالوا حطة فذلك قوله تعالى (فبذل الدين ظلوا قولاً غير الذى قيل لهم) وهكذا روى عن عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك والحسن وقائدة والربيع بن أنس وهيب بن رافع . وحاصل ما ذكره للثورى وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والقتل فأمروا أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم رافى رؤوسهم وأمروا أن يقولوا حطة أى احطط عنا ذنوبنا وخطايانا فاستهزؤوا فقالوا حطة في شجرة وهذا في غاية ما يكون من الخفافة والمعاذة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه فبعضهم وهو خروجهم عن طاعته . ولهذا قال (فأنزلنا لى الذين ظلوا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) وقال الضحاك عن ابن عباس كل شئ في كتاب الله من الرجز يضى به المذاب وهكذا روى عن مجاهد وأبي مالك والسدى والحسن وقائدة أنه المذاب وقال أبو المالية الرجز الغضب ، وقال الشعبي الرجز إما الطاعون

وإما البرد وقال سعيد بن جبير هو الطاعون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعيد بن أبي وقاص عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم قالوا : قال رسول الله ﷺ « الطاعون رجز عذاب به من كان قبلكم » وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به وأصل الحديث في الصحيحين من حديث حبيب بن أبي ثابت « إذا مسمم الطاعون بأرض فلا تدخلوها » الحديث قال ابن جرير أخبرني يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس عن الزهري قال أخبرني عاصم بن سعد بن أبي وقاص عن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ قال « إن هذا الوجع والسقم رجز عذاب به بعض الأمم قبلكم » وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ومن حديث مالك عن محمد بن النضر عن عاصم بن سعد بن أبي وقاص عن يونس بن سعد بنحوه .

﴿ وَإِذْ أَسْنَفْتِي بُرْسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَقِيبًا ۚ قَالَ كُلُّ أَتَّاسٍ مِشْرَبُهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقى لكم والماء وإخراجكم من حصر جعل معكم وتصغير الماء لكم منه من ثقب عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها فكلوا من اللبن والسلاوي واشربوا من هذا الماء الذي أنبته لكم بلاسي منكم ولا أكد واعبدوا الذي سخر لكم ذلك (ولا تقوا في الأرض مفسدين) ولا تقابلوا التميم بالصبيان فقتلوهما . وقد بسطه للقرن في كلامهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه وجعل بين ظهرانيهم حصر مربع وأمر موسى عليه السلام فضربه بساها فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية منه ثلاث عيون وأعلم كل سبط عينتهم يشربون منها لا يرحلون من مثقلة إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمثل الأول وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وهو حديث الثور الطويل . وقال عطية العوفي وجعل لهم حجرا مثل رأس الثور يجعل على ثور فاذا نزلوا منزلا وضموه فضربه موسى عليه السلام بساها فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فاذا ساروا سملوه على ثور فاستمسك الماء وقال عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه كان لبني إسرائيل حجر فسكان يضمه هرون ويضربه موسى بالماء وقال قتادة كان حجرا طوريا من الطور يعملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربهم موسى بساها ، وقال ابن جرير في قوله وقال في ذراع في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شيب فذهب إليه مع الماء وقيل الظلة وكان يعمل على حمار قال وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شيب فذهب إليه مع الماء وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل فقال له جبريل ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فيجعله في غلاته ، قال ابن جرير ويحتمل أن تكون الهمزة لا للجنس لا للهدى أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بساها ، قال وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة فكان يضرب الحجر بساها فينفض ثم يشربه فيبسط فقالوا إن قد قد موسى هذا الحجر عطشنا ، فأوحى الله إليه أن يكلم الحجر فتنفض ولا يساها بالماء لهم يقرن والله أعلم ، وقال يحيى بن النضر : قلت لجوير كيف علم كل أناس مشربهم ؟ قال : كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل ويضرب موسى الحجر فينفض منه اثنتا عشرة عينا فينفض من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل بسطه إلى تلك العين ، وقال الشافعي : قال ابن عباس لما كان بنو إسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أنهارا ، وقال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس : قال ذلك في التيه ضرب لهم موسى الحجر فصار منه اثنتا عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون منها ، وقال مجاهد نحو قول ابن عباس وهذه القصة شربة بالذمة التي في سورة الأعراف ولكن تلك مكية ، فذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغالب لأن الله تعالى يقص

على رسوله ﷺ ما فعل بهم . وأما في هذه السورة وهي البقرة فهي مدينة فلها كان الخطاب فيها متوجها إليهم وأخير هناك بقوله (فانيجت منه اثنتا عشرة عينا) وهو أول الاعتبار وأخير هنا بما آتاه الله الخ آخر وهو الاعتبار فناسب ذكر الاعتبار ههنا وذلك هناك والله أعلم . وبين السابقين تبين من عشرة أوجه لفظية ومعنوية قد سأل عنها الرخصي في تفسيره وأجاب عنها بما عنده والأمر في ذلك قريب والله أعلم .

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى إِنَّ تَعَصِيَّ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ قَدْ خَرَجَ لَكَ رَبُّكَ بِخُرُوجِ لَنَا مَا تَبَيَّنَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَقِيَامِهِمْ وَفُؤْمِهِمْ وَعَدَسِيهَا وَبَصَلُهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ)

يقول تعالى وإذا كروا نعمتي عليكم في إنزالى لكم من السماء طماتا طيبا فافهموا هذا سهلا وإذا كروا بديكم وضجركم بما وزعناكم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالطعمة الدينية (١) من القول وهو بما سألت قال الحسن البصري فبطروا ذلك فلم يصبروا على ذلك وكانوا قوما أهل أصداس وصل وقيل وفوم وقيلوا (يا موسى إن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تبث الأرض من قبلها وقهاها وفومها وعدسها وبصلها) وإنما قالوا على طعام واحد وهم يأكلون من السماء والطعمة لانه لا يتبدل ولا يتغير كل يوم فهو ما كل واحد . فالقول والقضاء والمدس والبصل كلها معروفة ، وأما الفوم فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود وفومها بالباء ، وكلنا نسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالفوم . وكذا الريح بن أنس وسعيد بن جبير ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا أبو حمزة يعقوب بن إسحق البصري عن يونس عن الحسن في قوله (وفومها) قال ابن عباس الثوم ، قال وفي الآية القديمة فوموا لما يعني اختبزوا ، قال ابن جرير : فإن كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبدلة كقولهم : وقوا في عاتور شر وفاعور شر وأثاني وأثاني ومغافير ومغافير وإشبه ذلك كما تخلف الفاء فاء والياء فاء لتقارب مخزجها والله أعلم . وقال آخرون الفوم الحنطة وهو البر الذي يعمل منه الخبز قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب قراءة حدثني نافع بن أبي نعم أن ابن عباس سئل عن قول الله (وفومها) فافومها ؟ قال ابن عباس : أصحمت قول أحبة بن الجلاح وهو يقول :

قد كنت اغني الناس شخصا واحدا * ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن جرير حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسلم الجهني حدثنا عيسى بن يونس عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس في قول الله تعالى (وفومها) قال القوم الحنطة بلسان بني هاشم ، وكذا قال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس وعكرمة عن ابن عباس أن القوم الحنطة ، وقال سفيان الثوري : عن ابن جرير عن مجاهد وعطاء (وفومها) فلا أخبزها وقال هشام عن يونس عن الحسين وحسين عن أبي مالك (وفومها) قال الحنطة وهو قول عكرمة والسدي والحسن البصري وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم بالله أعلم . وقال الجوهري : القوم الحنطة وقال ابن دريد : القوم السنبلة . وحكى الطبري عن عطاء وقادة أن القوم كل حب يختبز . قال وقال بعضهم هو الخبز لانه شامية ومنه يقال لبائمه فامى منير عن فومى ، قال البخاري . وقال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم . وقوله تعالى (قال استبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فيه تفرع لهم وتوبيخ على ما سألو من هذه الأطعمة الدينية مع ما هم فيه من البش الرغيد والطمع الطبع السامع . وقوله تعالى (اهبطوا مصر) هكذا هو منون مصروف مكتوب بالألف في المصاحف الأئمة الثمانية وهو قراءة الجمهور بالصرف . قال ابن جرير . ولا استجيز القراءة بغير ذلك لاجتماع المصاحف على ذلك . وقال ابن عباس (اهبطوا مصر) قال مصرا من الأمصار رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد البقال سعيد بن الرزبان عن عكرمة عنه قال . وروى عن السدي وقادة والريح بن أنس نحو ذلك وقال ابن جرير وقع في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود (اهبطوا مصر) من غير إجراء يمين من غير صرف . ثم روى عن أبي المألة والريح

(١) في هذا التركيب ثلاثة لما هو المهود من دخول الاء على المبدل منه كما في الآية وأمثالها وله من غلط الطبع اهـ .

ابن أنس أنهما فسرا ذلك بمصر فرعون وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالى والريبع وعن الأعمش أيضا. قال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون على قراءة الأجراء أيضا . ويكون ذلك من باب الإتيان لكتابة المصحف كما في قوله تعالى (قواريرا قواريرا) ثم توقف في المراد ما هو أمصر فرعون أم مصر من الأمصار وهذا الذي قاله فيه نظر والحق أن المراد مصر من الأمصار كما روى عن ابن عباس وغيره والحق في ذلك لأن موسى عليه السلام يقول لم هذا الذي سألتك ليس بأمر عزيز بل هو كثير في أي بلد دخلتموها ويجد عمه فليس يساوي مع دناؤه وكثرة في الأمصار أن أسأل الله فيه . ولهذا قال (أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) أي ما طلبتم ولما كان حوالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا إليه والله أعلم .

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوا بِنَفْسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ يَا ثَائِتُ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿

يقول تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي وضمت عليهم والزموا بها شرطا وقدراً أي لا يزالون مستبدلين من وجدهم استسلم وأهانهم وضرب عليهم الضمار وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون . قال الضحاك عن ابن عباس (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) قال هم أصحاب القبالات ، يعني الجزية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن وقادة في قوله تعالى (وضربت عليهم الذلة) قال يسطون الجزية عن يدوم صاغرون وقال الضحاك وضربت عليهم الذلة قال الذل . وقال الحسن أنزلهم الله فلامنة لم يجعلهم تحت أقدام المسلمين وقد أدركتهم هذه الأمة وإن الجوس لتجيبهم الجزية ، وقال أبو العالى والريبع بن أنس والسدي للمسكنة القاقة . وقال عطية العوفي الخراج وقال الضحاك الجزية . وقوله تعالى (وبأوا بنضب من الله) قال الضحاك استحقوا الغضب من الله ، وقال الريبع بن أنس فحدثت عليهم غضب من الله وقال سعيد بن جبير (وبأوا بنضب من الله) يقول استوجبوا سخطا ، وقال ابن جرير : يعني بقوله (وبأوا بنضب من الله) انصرفوا ورجعوا ولا يقال بأه إلا موصولا إما بخير وإما بشر يقال منه بأه فلان بذنبه يوءبه بوءاً وبواء ومنه قوله تعالى (إني أريد أن تبوء بأبى وأكبر) يعني تتصرف متحملاً وتراجع بهما قد صار عليك دوى . فعني الكلام إذا رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم من الله سخط ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله وقتلون النبيين بغير الحق ﴾ يقول تعالى هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة وإحلال الغضب بهم من الذلة بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم فانتصومهم إلى أن أفنى بهم الحال إلى أن قتالهم فلا كفر أعظم من هذا ، إنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق ، ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال « الكبر بطل الحق وغمط الناس » وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا إسماعيل عن ابن عوف عن عمرو بن سعيد عن حميد بن عبد الرحمن قال قال ابن مسعود كنت لا أحجب عن التجوى ولا عن كذا ولا عن كذا فأتيت رسول الله ﷺ وعنده مالك بن مرارة الراوى فأدركته من آخر حديثه وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي من الجال ماترى فما أحب أن أحداً من الناس فضلنى بشراكين لما فوقهما ليس ذلك هو البنى ؟ فقال « لا ليس ذلك من البنى ولكن البنى من بطر أوقال سفة الحق وغمط الناس » يعني رد الحق وانتقام الناس والازدراء بهم والتعاضد عليهم ولهذا لما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبه من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد وكسهم ذلاً في الدنيا موصولاً بذلك إلى الآخرة جزاء وفاقا ، قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلثاً نبي ثم يقيمون سوق بقاتهم من آخر النهار وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبان حدثنا عاصم عن أبي وائل عن عبد الله يعني ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم قال « أهد الناس عنذابا يوم القيامة رجل قتل نبياً وإمام ضلالة ومثل من المثلين » وقوله تعالى (فلك بما عسووا وكانوا يتعدون) وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به أنهم كانوا يصون ويتعدون فالصبيان قتل الناهي والاعتداء المجاوزة في حد للأذن فيه وللأمر به والله أعلم.

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَحَمِلُوا صْلَاحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

لما بين تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره وتعدى في فعل ما لا إذن فيه واتهك المحارم وما أحل بهم من النكال فيه تعالى على أن من أحسن من الأمم السالفة وأطاع فإن له جزاء الحسن وكذلك الأمر إلى قيام الساعة كل من اتبع الرسول الذي أهدى فله السعادة الأبدية ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه كما قال تعالى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وكما تقول للامسكة للؤمنين عند الاحتضار في قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَجْرُهُمْ فِي يَدَيْهِمْ أَتَى كُنتُمْ تَوَعَّدُونَ) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي عمر المدوني حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قال سلمان رضي الله عنه سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلواتهم وعباداتهم فنزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) إلى آخر الآية وقال السدي (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَحَمِلُوا صْلَاحًا) الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي بينما هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم فقال كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبياً فأنزع سلمان من شأنه عليهم قال له نبي الله ﷺ « يسلمان من أهل النار » فاشتد ذلك على سلمان فأئزله الله هذه الآية فكان إيمان اليهود (١) أنه من تمسك بالثورة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالثورة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً بقبول ما منه حتى جاء محمد ﷺ فن لم يتبع محمداً ﷺ منهم وبلغ ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكا. قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير نحو هذا (قلت) وهذا لا ينال ما روى على ابن أبي طلحة عن ابن عباس (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) الآية (٢) — قال — فأئزله الله بعد ذلك (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لسنة محمد ﷺ بعد أن نبهته بما يشه به فأمّا قبل ذلك فشكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة فالهؤلاء أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يتبعون إلى التوراة في زمانهم * واليهود من الموادة وهي اللردة أو اليهود وهي التوراة كتقول موسى عليه السلام (إِنَّا هَدَانَا إِلَيْكَ) أي تبنا فكانهم هموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بضمهم لبعض وقيل نسبهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب ، وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة فلما نبش عيسى ﷺ وجب على بني إسرائيل اتباعه والاشياعه فاصحابه وأهل دينه هم النصارى وبنوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم وقد يقال لهم أنصار أيضاً كما قال عيسى عليه السلام (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) وقيل إنهم إنما سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها ناصرة ، قاله قتادة وابن جريج وروى عن ابن عباس أيضاً والله أعلم . والنصارى جمع نصران كمنشأوى جمع نشوان وسكاري جمع سكران ويقال للراءة نصرانة قال الشاعر : — نصرانة لم تحف —

فلما نبش الله محمداً صلى الله عليه وسلم خاتماً للنبيين ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق وجب عليهم تصديقه فيما

أخبر وطاعته فيما أمر والانكفاف عما عنه زجر وهؤلاء المؤمنون حقاً وصحبت أمة محمد ﷺ مؤمنين لكثرة إيمانهم
وعدة إيمانهم ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والقبول الآتية ، وأما الصابون فقد اختلف فيهم فقال سفيان
الثوري عن ليث بن أبي سلم عن مجاهد ، قال الصابون قوم بين الجوس والنصارى ليس لهم دين وكذا رواه ابن
أبي نجيح عنه وروى عن عطاء وسعد بن جبر نحو ذلك وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي وأبو الشفاء جابر بن زيد
والضحاك وإسحق بن راهويه الصابون فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور ولهذا قال أبو حنيفة وإسحق لأبأس
بذئابهم ومناكرهم وقال هشيم عن مطرف كنا عند الحكم بن عتبة فحدثهم رجل من أهل البصرة عن الحسن أنه كان
يقول في الصابئين إنهم كالجوس فقال الحكم ألم أخبركم بذلك ، وقال عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن عبد الكريم
صحبت الحسن ذكر الصابئين فقال هم قوم يبدلون الملائكة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن
سليمان عن أبيه عن الحسن قال أخبرني زباد بن الصابئين يسألون إلى القبلة ويسألون الحسن قال فأراد أن يضع عنهم الجزية
قال فخير بعد أنهم يبدلون للملائكة ، وقال أبو جعفر الرازي يثنى أن الصابئين قوم يبدلون الملائكة وقرءون الزبور
ويسألون القبلة وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا
ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابئون قوم مما يلي العراق وهم يركبون وهم يؤمنون بالنبين كلهم
ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً ويسألون إلى الجن كل يوم خمس صلوات ، وسئل وهب بن منبه عن الصابئين فقال
الذي يصر الله وحده وليس له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفراً ، وقال عبد الله بن وهب قال عبد الرحمن بن زيد
الصابئون أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة للوصل يقولون لا إله إلا الله وليس لهم حمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول
لا إله إلا الله قال ولم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كانت الشركون يقولون للذي ﷺ وأصحابه هؤلاء
الصابئون يشبهونهم بهم يعني في قول لا إله إلا الله وقال الخليل م قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مذهب
الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وحكي القرطبي عن مجاهد والحسن وابن أبي نجيح أنهم قوم ترك
دينهم بين اليهود والجوس ولا تؤكل ذنابهم ولا تنكح نسأهم ، قال القرطبي والذي تحصل من ملههم فيما ذكره
بعض العلماء أنهم موحدون ويصدقون تأخير النجوم وأنها فاعلة ولهذا أقر أبو سيدة الاصطخري بكفرهم بالقدار
بالله حين سأله عنهم واختار الرازي أن الصابئين قوم يبدلون الكواكب يعني أن الله جعلها قبلة العبادة والدعاء أو بمعنى
أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها قال وهذا القول هو للنسوب إلى الكثرانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام
رادا عليهم ومبطلا لقولهم وأظهر الأقوال والله أعلم . قول مجاهد ومتابعيه وهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود
ولا النصارى ولا الجوس ولا للشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه . ولهذا كان
لشركون يبنون من أسلم بالصابي أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إنذاك . وقال بعض العلماء الصابئون
الذين لم تبليهم دعوة نبي والله أعلم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿

يقول تعالى مذكراً بنبي إسرائيل ما أخذ عليهم من اليهود والوثائق بالإيمان به وحده لا شريك له وإتباع رسله وأخبر
تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم ليقروا بما عاهدوا عليه ويأخذوه بقوة وجزم وامتنال كما قال
تعالى (وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خَلَدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)
فالطور هو الجبل كما فسره به في الأعراف يونس على ذلك ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن والضحاك والربيع
ابن أنس وغير واحد وهذا ظاهر وفي رواية عن ابن عباس الطور ما أنبت من الجبال وما لم ينبت فليس بطور وفي حديث

الفتون عن ابن عباس أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا : وقال السدي فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا إليه وقد غشيه فسقطوا سجدا فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر فرمهم الله فكشفه عنهم فقالوا والله ما سجدنا أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم فهم يسجدون كذلك . وذلك قول الله تعالى (ورفضنا نورك الطور) وقال الحسن في قوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) يعني التوراة ، وقال أبو العالية والريبع بن أنس بقوة أي بطاعة وقال مجاهد : بقوة بصل بما فيه ، وقال قتادة (خذوا ما آتيناكم بقوة) القوة الجداولاً قلته عليكم قال فأقروا بذلك أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة ومعنى قوله وإلقاه عليه أي أسقطه عليكم ، يعني الجبل وقال أبو العالية والريبع (واذكروا ما فيه) يقول أقروا ما في التوراة واعملوا به * وقوله تعالى (ثم تولى) من بعد ذلك فلولاً فضل الله) يقول تعالى ثم بعد هذا اللشق للؤكد العظيم توليته عنه وإشيتهم وهتتموه (فاولاً فضل الله) ثم ورحمته أي توبته عليكم وإرساله النبيين والمرسلين إليكم (لكنتم من الخاسرين) بقضائكم ذلك الذي في الدنيا والآخرة

(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَبِمَا نَسَاكُمْ أَنْتُمْ كَلَّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَافَهَا وَتَوَعَّظَهَا لَعْنَتَيْنِ)

يقول تعالى (ولقد علمتم) يامعشر اليهود ما أحل من البأس بأهل القرية التي عصت أمراً لله وخالفوا عهده وميثاقه فبما أخسده عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعا لهم فتحيلوا على اصطيد الختان في يوم السبت بما وضوا لها من النصوص والباطل والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عاداتها في الكثرة نشبت بتلك الباطل والحيل فلم تخلص منها يوماً ذلك فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت ، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله في صورة القردة وهي أشبه شيء بالأناس في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة ، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم من جنس عملهم ، وهذه القصة مبسوطة في سورة الأعراف حيث يقول تعالى (وأسألمهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يدعون في السبت إذ تأتهم حيتانهم يوم سبهم شرما ويوم لا يستخفون لآفاتهم كذلك نلومهم بما كانوا يفسقون) القصة بكاملها . وقال السدي : أهل هذه القرية هم أهل آية ، وكذا قال قتادة وسنورد أقوال المفسرين هناك مبسوطة إن شاء الله وبه الثقة ، وقوله تعالى (قتلنا لهم كرونوا قردة خاسئين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (قتلنا لهم كرونوا قردة خاسئين) قال مسخت قلوبهم ولم يسمخوا قردة . وإنما هو مثل ضرب الله (كمثل الجار يعمل أسفراً) ورواه ابن جرير عن الثوري عن أبي حذيفة وعن محمد بن جمر الباهلي وعن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهذا سند جيد عن مجاهد وقول خرب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره قال الله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) الآية وقال الموفى في تفسيره عن ابن عباس (قتلنا لهم كرونوا قردة خاسئين) فجعل الله منهم القردة والخنازير ، فزع عن أن شباق القوم صاروا قردة وأن الشيعة صاروا خنازير : وقال شيبان النحوي عن قتادة (قتلنا لهم كرونوا قردة خاسئين) فصار القوم قردة تماثلها أذنان بعدما كانوا رجالاً ونساءً وقال مطاع الحراساني نودوا بأهل القرية (كرونوا قردة خاسئين) فجعل الله الذين هم يوم يدخلون عليهم فيقولون يا فلان ألم تهكم فيقولون برؤسهم أي بلى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد ابن ربيعة بالمصيصية حدثنا محمد بن مسلم بن يحيى الطائي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال إنما كان الذين اعتدوا في السبت فيصطلوا قردة فوافوا لهم لعلهم ما كان للمسخ نسل . وقال الضحاك عن ابن عباس فسمخهم الله قردة بمصيتهم يقول إذ لا يموتون في الأرض إلا ثلاثة أيام قال ولم يمض مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل ، وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في السنة الأيام التي ذكرها الله في كتابه فسمخ هؤلاء القوم في صورة القردة

وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء . وعمله كما يشاء وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله (كونوا قرعة خاسئين) قال يحيى أذلة صاغرين ، وروى عن مجاهد وقائدة والربيع وأبي مالك نحوه وقال محمد بن إسحق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة قال : قال ابن عباس إن الله إنما اقترض على بني إسرائيل اليوم الذي اقترض عليكم في عيدكم . يوم الجمعة غفلوا إلى السبت فغفلوه وتركوا ما أمروا به فلما أوتوا إلا لزوم السبت ابتلاه الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين ، فحرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعا إلى ساحل بحرهم حتى إذا ذهب السبت ذهب فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا حتى إذا كان يوم السبت أتيت سرا حتى إذا ذهب السبت ذهبن فكانوا كذلك حتى طال عليهم الأمد وقرموا إلى الحيتان عمد رجل منهم فأخذ حوتا سرا يوم السبت فخرمه بغيظ ثم أرسله في الماء وأود له وتمدا في الساحل فأوثقه ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه أمي إني لم أخذه في يوم السبت فانطلق به فأكله حتى إذا كان يوم السبت الآخر كاد كل ذلك ووجد الناس ربع الحيتان فقال أهل القرية والله لقد وجدنا ربع الحيتان ، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل ، قال ففعلوا كما فعل وصنعوا سرا زمانا طويلا لم يجعل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها بالأسواق . فقالت طائفة منهم من أهل البقية وشككوا الله ونهوه عما كانوا يصنعون ، فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنته القوم عما صنعوا : لم تعظون قوما الله مهلكهم أو مصلحهم عذابا شديدا ؟ قالوا معلنة إلى ربكم بسخطنا أعمالهم ولعلمهم يتقون ، قال ابن عباس : فينبأهم على ذلك أصبحت تلك البقية في أندبتهم ومساجدهم قد دخلوها ليلا فلقطوها على أنفسهم كما ينقل الناس على أنفسهم ما هو فلهو ينظرون في دورهم فوجدوها مغلفة عليهم قد دخلوها ليلا فلقطوها على أنفسهم كما ينقل الناس على أنفسهم فأصبحو فيها قرعة وإتهم ليعرفون الرجل بينه وإنه لقرء والمرأة بينها وإتها لقرعة والعبي بينه وإنه لقرء ، قال : قال ابن عباس فلو لا ما ذكر الله أنه نجى الدين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم ، قال وهي القرية التي قال جل ثناؤه لعبد الله (وأسألمهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه من هذا وقال السدي في قوله تعالى (ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قرعة خاسئين) قال هم أهل أيلة ، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت . وقد حرم الله على اليهود أن يساموا في السبت شيئا . لم يبق في البحر حوت إلا خرج حتى يخرج خراطيمهم من الماء فإذا كان يوم الأحد لم يبق في البحر شيء حتى يكون يوم السبت فذلك قوله تعالى (وأسألمهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لاتأتهم) فاشتبه بعضهم السمك فحصل الرجل بحفر الحفيرة ويحصل لها نهرا إلى البحر ، فإذا كان يوم السبت فتح التهر فأقبل اللوح بالحيتان يضربها حتى يلقها في الحفيرة فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيع من أجل قلة ما ألهم فيمكث فيها فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه فحصل الرجل يشوي السمك فيجد جاره روائحه فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى فشا فيه أكل السمك ، فقال لهم علماءهم . وشككنا إنما تصعدون يوم السبت وهو لا يصل لكم ، فقالوا إنما صدنا يوم الأحد حين أخذنا ، فقال الفقهاء لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل ، قال وعلينا أن يتبوا . فقال بعض الذين نهوهم بعض (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو مصلحهم عذابا شديدا) يقول لم تعظوهم وقد وعظموهم فلم يعطوكم ، فقال بعضهم (معلنة إلى ربكم ولعلمهم يتقون) فلما أوتوا قال المسلمون والله لانسأكنكم في قرية واحدة قسموا القرية بمقدار ففتح المسلمون بابا والمعدون في السبت بابا ولهم داود عليه السلام ، فجعل للمسلمون يخرجون من باهم ، والكفار من باهم فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار باهم فلما أبطأوا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فإذا هم قرعة يشب بعضهم على بعض فقتلوا عنهم فذهبوا في الأرض فذلك قول الله تعالى (فلما عتوا عما نبأوا عنه قلنا لهم كونوا قرعة خاسئين) وذلك حين يقول (لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) الآية فهم القرعة (قلت) والفرس من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة يأن خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم إنما كان معنويا لا سوريا بل الصحيح

أنه معنوى سورى والله تعالى أعلم . وقوله تعالى (فصلناها نكالا) قال بعضهم الضمير فى فصلناها عائد على القردة وقيل على الحيتان وقيل على العقوبة وقيل على القرية حكاه ابن جرير والصحيح أن الضمير عائد على القرية ، أى فصل الله هذه القرية وللراد أهلها بسبب اعتدائهم فى سببهم (نكالا) أى عاقبتهم عقوبة فصلناها عبرة كما قال الله عن فرعون (فأخذ الله نكال الآخرة والأولى) وقوله تعالى (لما بين يديها وما خلفها) أى من القرى ، قال ابن عباس . يعنى جلناها بما أحطنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى كما قال تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) ومنه قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) الآية على أحد الأقوال فالمراد لما بين يديها وما خلفها فى السكان كما قال محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس . لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ، وكذلك قال سعيد بن جبيرة لما بين يديها وما خلفها ، قال من محضرتها من الناس يومئذ . وروى عن إسماعيل بن أبى خالد وقائدة وعطية العوفى (فصلناها نكالا لما بين يديها) قال ما قبلها من الماضين فى شأن السبت ، وقال أبو العالية والربيع وعطية : وما خلفها لما بقى بعدهم من الناس من بنى إسرائيل أن يصلوا مثل عملهم ، وكان هؤلاء يقولون للراى بين يديها وما خلفها فى الزمان . وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتى بعدهم من الناس أن تكون أهل تلك القرية عبرة لهم ، وأما بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم ؟ وهذا لعل أحدا من الناس لا يقول به عند تصوره — فتبين أن المراد بما بين يديها وما خلفها فى السكان وهو ما حولها من القرى كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة والله أعلم . وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية (فصلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) أى عقوبة لما خلا من ذنوبهم ، وقال ابن أبى حاتم : وروى عن عكرمة ومجاهد والسدى والقراء وأبى عطية . لما بين يديها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب ، وحكى الرازى ثلاثة أقوال أحدها أن المراد بما بين يديها وما خلفها من تقدمها من القرى بما عدهم من السلم خبرها بالسكيب المتقدمة ومن بعدها . والثانى المراد بذلك من محضرتها من القرى والأمم . والثالث أنه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبه من قبل هذا الفعل وما بعده وهو قول الحسن (قلت) وأرجح الأقوال المراد بما بين يديها وما خلفها من محضرتها من القرى ينالهم حسرا وما حل بها كما قال تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الآية وقال تعالى (ولا يزال الذين ينفرون سرايم بما صنعوا قارعة) الآية وقال تعالى (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) فجعلهم عبرة ونوعا لمن فى زمانهم وموعظة لمن يأتى بعدهم بالخبر للتواتر عنهم ولهذا قال (وموعظة للمتقين) : وقوله تعالى (ووعظا للمتقين) قال محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن ابن عباس (وموعظة للمتقين) الذين من بعدهم إلى يوم القيامة وقال الحسن وقائدة (وموعظة للمتقين) بعدهم فيفتقون ثمة الله ويعذرونها وقال السدى وعطية العوفى (وموعظة للمتقين) قال أمة محمد ﷺ (قلت) المراد بالموعظة ههنا الزاجر أى جعلنا ما أحلنا بهؤلاء من البأس والنكال فى مقابلة ما ارتكبهوا من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل فليحذر للفتن صغيرا فلا يصيبهم ما أصابهم كما قال الإمام أبو عبد الله بن بطه حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن بن محمد بن الحسن بن إمام بن هارون حدثنا محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأذى الحيل » وهذا إسناد جيد وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وقته الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح والله أعلم

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَذْبَحُهَا وَهَذَا غُلَامٌ قَالَ أَنْتَأْبَدُ بِاللَّهِ إِنَّ آسُونَ

مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

يقول تعالى واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق المائدة لكم في شأن البقرة وبين القاتل من هو بسببها وإحياء الله للقتول ونصه على من قتله منهم

(ذكر بسط القصة)

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا يزيد بن حارون أن أبا ناهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني قال : كان رجل من بني إسرائيل عقبا لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وابنه يقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلموا وركب بعضهم على بعض . فقال ذوو الرأي منهم والهي : علام يقتل بعضهم بضا وهذا رسول الله فيكم ؟ فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال (إن الله يأمركم أن تدبجوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قال فلو لم يتدبجوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بأن يحرقوها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا أحصها من مل جلدها ذهباً فأخذوها بمل جلدها ذهباً فدبجوها فضر بهم ببضها فقام قتالوا من تلك ؟ فقال : هذا — لا بن أخيه ، ثم مال ميتا فلم يسط من ماله شيئا فلم يورث قتال بسد ورواه ابن جرير من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة بنحو من ذلك والله أعلم . ورواه عبد بن حميد في تفسيره أنبأنا يزيد بن حارون به ورواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن أبي جعفر هو الرازي عن هشام بن حسان به ، وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره : أنبأنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي المالبي قول الله تعالى (إن الله يأمركم أن تدبجوا بقرة) قال كان رجل من بني إسرائيل وكان غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وكان وابنه يقتله ليرثه ثم أتاه على جمع الطريق وأتى موسى عليه السلام فقال له إن قريتي قتل وأتى إلى أمر عظيم وإنني لأجد أحدا يبين لي من قتله فتركه يا بني الله قال فنادى موسى في الناس فقال : أشهد الله من كان عنده من هدا علم إلا يبينه لنا ، فلم يكن عندهم علم فأقبل القاتل على موسى عليه السلام ، فقال له أنت نبي الله فسل لنا ربك أن يبين لنا فأوحى الله (إن الله يأمركم أن تدبجوا بقرة) فنجبوا من ذلك فقالوا (أتتخذنا هزوا ؟ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارص (يعني لا هزمة) ولا بكر (يعني ولا صغيرة) عوان بين ذلك (أي نصف بين البكر والحزمة) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؟ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها (أي صاف لونها) (سر الناظرين) أي تعجب الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ إن البقر تشابه علينا وإن شاء الله لمهدون) قال إنه يقول إنها بقرة لادلول (أي لم يلد لها الحمل) تثير الأرض ولا تسقى الحراث (يعني وليست بدلول تثير الأرض ولا تسقى الحراث يعني ولا تعمل في الحراث) مسلمة (يعني مسلمة من العيوب) لاشية فيها (يقول لا يابض فيها) قالوا الآن جئت بالحق فدبجوها وما كادوا يفعلون (قال ولو أن القوم حين أمروا بدبج بقرة استعرضوا بقرة من البقر فدبجوها لكانت إياها ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ولولا أن القوم استنوا فقالوا وإن شاء الله لنهدون لها هدوا إليها أبدا فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعت لهم إلا عند عجوز وعندها يتأذى وهي القيمة عليهم فلما علمت أنه لا يزكوا لهم غيرها أضغمت عليهم الثمن فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة وأنسابا أنسابا فثنها ، فقال موسى إن الله قد خفف عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها . ففعلوا وأشربوها فدبجوها فأمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظما منها فيضربوا به القاتل ففعلوا فخرج إليه روحه فسمى لهم قتله ثم عاد ميتا كما كان فأخذ قتله وهو الذي كان أتى موسى عليه السلام فبكا إليه قتله الله على أسوأ عمله ، وقال محمد بن جرير حدثني محمد بن سعيد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله في شأن البقرة وذلك أن شيخا من بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان مكثرا من المال وكان بنو أخيه قراء لا مال لهم وكان الشيخ لا ولد له وكان بنو أخيه ورثته فقالوا ليت عمنا قد مات فورثنا ماله وإتاه لما تطاول عليهم ألاعوت عهم أنام الشيطان فقال لهم هل لكم إن أن تبتلوا عكم فترثوا ماله وترثوا أهل المدينة قالوا لستم بهاديتهم وذلك أنهم كانوا كاتبا مدينين كانوا في إحداهما

وكان القتل إذا قتل وطرح بين اللديتين قيس ما بين القتل والقرتين فأينما كانت أقرب إليه غرمت المدينة وأتهم لها
سول لهم الشيطان ذلك وتطاول عليهم أن لا يموت معهم عمداً إليه فقتلوه ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا
فيها فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخى الشيخ فقالوا عمنا قتل على باب مدينتك فوالله لئلا نرمن لنا دية عمنا قال أهل
المدينة قسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً ولا قاتلنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا ، وإتهم عمدوا إلى موسى عليه السلام
فلما أتوه قال بنو أخى الشيخ عمنا وجدناه مقتولاً على باب مدينتهم وقال أهل المدينة قسم بالله ما قتلنا ولا قاتلنا باب
المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا وإن جبرائيل جاء بأمر السبع السبع إلى موسى عليه السلام فقال قتلهم (إن الله يأمركم
أن تذبحوا بقرة) فضرروه ببعضها وقال السدى (وإذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال كان رجل
من بني إسرائيل مكرماً من لئال فكانت له ابنة وكان له ابن أخت فطلب إليه ابن أخته بابتها فأتى أن زوجها فغضب
التي وقال والله لأقتلن جميعي ولأخذن ماله ، ولأنكسرن ابنته ولأنكسرن دية فأتاهم النبي وقد قدم حجار في بعض أسباط
بني إسرائيل فقال يا بني إسرائيل قتلتموه فوالله لئن لم يرجع إلي أهلها فلا أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه
لا يدري أين هو فلم يجد فأنطلق نحوه فاذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم وقال قتلتموه فأتوا إلى دية فبصل
يكي وعشو التراب على رأسه وينادى وإعماه فرفضهم إلى موسى يقضى عليهم بالدية فقالوا له يا رسول الله ادع لنا ربك
حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية فوالله إن دية علينا لينة ولكن نستحي أن نغير به فذلك حين
يقول تعالى (وإذا قتلتم نفساً فادعوا فيها والله يخرج ما كنتم تكتمون) فقال لهم موسى (إن الله يأمركم أن
تذبحوا بقرة) قالوا نسألك عن القتل وعن قتله وتقول ادعوا بقرة أنهزأ بنا (قال أعود بالله أن أكون من
الجاهلين) قال ابن عباس فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا وتمسوا على موسى ففسد الله
عليهم فقالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) والفساد
الحرمة التي لا تولد والبكر التي لم تلد الا ولداً واحداً والوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها (فأصوا
ما تؤمرون) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لو انها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاتقوا لونها) قال هي لونها (تسر الناظرين)
قال تعجب الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإن إن شاء الله فلهي دون) قال إنه يقول إنها بقرة
لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها) من يبيض ولا سود ولا حمرة (قالوا الآن جئت بالحق)
فطلبوها فلم يجدوها عليها وكان رجل من بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه وإن رجلاً مر به معه لؤلؤ يسبه وكان أبوه
بأنما تحت رأسه للمنتاح فقال له الرجل تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفاً فقال له الحق كما أنت حتى يستقيظ أوى
فأخذه منك بثمانين ألفاً ، قال الآخر أيقظ أبوك وهولك بستين ألفاً فبصل الشاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين ألفاً وزاد
الآخر لي أن ينتظر أباه حتى يستقيظ حتى يبلغ مائة ألف فلما أكثر عليه قال والله لا أشتريه منك حتى أبداً وأنى أبوقظ
أباه فوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة فرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة وأبصروا البقرة عنده
فسأله أن يبيعهم إياها بقرة بقره فأبى فاعطوه ثنتين فأبى فزادوا حتى بلغوا عشرة فقالوا والله لا تتركك حتى تأخذها
منك فأنطلقوا به إلى موسى عليه السلام فقالوا يا بني الله إنا وجدناها عند هذا وأبى أن يعطيناهم وقد أعطيناهم فقال له
موسى أعطهم بقرتك فقال يا رسول الله أنا أحق بما لي فقال صدقت وقال للقوم أرضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهباً
فأبى فأضفوه له حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهباً فباعهم إياها وأخذ منها فذبحوها ، قال اضربوه ببعضها فضرروه
بالضمة التي بين الكشحين فاضفوا فسأله من قتلك فقال لهم ابن أخى قال : أقتله فأخذ ماله وأنكس ابنته . فأخذوا
النمل فقتلوه ، وقال سيد حدثنا حجاج هو ابن محمد عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبي مشر عن محمد بن كعب
القرظي ومحمد بن قيس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا إن سبطاً من بني إسرائيل لما رأوا كثرة
شروع الناس بنوا مدينة فاعتزلوا شروع الناس فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحداً منهم خارجاً إلا أن يخطوه وإذا أصبحوا

قام رئيسهم فنظر وأشرف فإذا لم ير شيئا فتح المدينة فسكانوا مع الناس حتى يسوا قال وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير أخيه فقال عليه حياته يقتله ليرثه ثم حمله فوضعه على باب المدينة ثم كمن في مكان هو وأصحابه قال فأشرف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئا ففتح الباب فلما رأى القتل رد الباب فناداه أخوه للقتول وأصحابه هبوا فقتلوه ثم تردون الباب ، وكان موسى لما رأى القتل كثيرا في بني إسرائيل كان إذا رأى القتل يبين ظهراني القوم أخدمهم فكذب يكون بين أخى للقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فأتوا موسى فذكروا له شأنهم ، قالوا يا موسى إن هؤلاء قتلوا قتيلنا ثم ردوا الباب قال أهل المدينة يا رسول الله قد عرفت اعتزالنا الشرور وبئنا مدينة كما رأيت نعتزل شرور الناس والله ما قتلنا ولا علمنا قاتلا فأوحى الله تعالى إليه أن يذبخوا بقرعة فقال لهم موسى (إن الله يأمركم أن تذبخوا بقرعة) وهذه السياقات عن عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي بما يجوز قولها ولكن لا تصح ولا تسكتب فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم .

﴿ قَالُوا أَدْخُ لَنَا رَبِّكَ بَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَاغْتَلُوا مَا تَوْمَرُونَ قَالُوا أَدْخُ لَنَا رَبِّكَ بَيِّنْ لَنَا مَا تَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النِّطْلِينَ ﴾ قَالُوا أَدْخُ لَنَا رَبِّكَ بَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّةٌ لَأَنِيَّةٌ فِيهَا قَالُوا لَئِنْ جِئْتَ بِهَا لَنَنكَرَنَّ بَاطِلٌ فُذِّبَتْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾

أخبر تعالى عن تمتت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم ولهذا لما ضيقوا على أنفسهم شيق الله عليهم ولما أمرهم بذبخوا أي بقرعة كانت لوقت الوقع عنهم قال قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد ولكنهم شددوا فشدد عليهم فقالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ماهله البقرة وأي شيء صفها قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا هشام بن علي عن الأعمش عن النبال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أخذوا أدنى بقرعة لا كفتوا بها ولكنهم شددوا فشدد عليهم - أسناد صحيح - وقد رواه غير واحد عن ابن عباس وكذا قال عبيدة والسدي ومجاهد وعكرمة وأبو العالية وغير واحد . وقال ابن جرير قال في عطاء لو أخذوا أدنى بقرعة لكفتهم قال ابن جرير قال رسول الله ﷺ « إنما أمروا بأدنى بقرعة ولكنهم لما شددوا عسده الله عليهم وإيم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بليت لهم آخر الأبد » قال (إنه يقول إنها بقرعة لا فارض ولا بكر) أي لا كبيرة هرمة ولا صغيرة لم يلحقها الفصل كما قاله أبو العالية والسدي ومجاهد وعكرمة وعطية الموق وعطاء الخراساني ووهب بن منبه والضحاك والحسن وقائدة وقاله ابن عباس أيضا وقال الضحاك عن ابن عباس عوان بين ذلك يقول نصف بين الكبيرة والصغيرة وهي أقوى ما يكون من الدواب والبهير واحسن ما تكون وروى عن عكرمة ومجاهد وأبي العالية والرياح بن السري وعطاء الخراساني والضحاك نحو ذلك ، وقال السدي الموان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولدها : وقال هشام عن جوير عن كثير ابن زياد عن الحسن في البقرة كانت بقرعة وحشية : وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس من لبس ثملا صفراء لم يزل في سرور مادام لا يسها وذلك قوله تعالى (تسر الناظرين) وكذا قال مجاهد ووهب بن منبه كانت صفراء وعن ابن عمر كانت صفراء والظلف وعن سعيد بن جبير كانت صفراء القرن والظلف وقال ابن أبي حاتم حدثنا في حديثنا نصر بن علي حدثنا نوح بن قيس أنبأنا أبو رجاء عن الحسن في قوله تعالى (بقرعة صفراء فاقع لونها) قال صفراء شديدة السواد وهذا غريب والصحيح الأول ولهذا أكد صفرتها بأنه (فاقع لونها) وقال عطية الموق (فاقع لونها) تكاد تسود من صفرتها وقال سعيد بن جبير (فاقع لونها) قال صافية اللون ، وروى عن أبي العالية والرياح بن انس والسدي والحسن وقائدة نحوه :

وقال شريك عن معمر عن ابن عمر (فاقع لوئها) قال صاف ، وقال الوقي في تفسيره عن ابن عباس (فاقع لوئها) شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض وقال السدي (تسر الناظرين) أي تعجب الناظرين وكذا قال أبو العالية وقادة والريبع ابن أنس . وقال وهب بن منبه إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شمع الشمس يخرج من جلدها . وفي التوراة أنها كانت حمرًا فلعل هذا خطأ في التعريب ، أو كما قال الأول إنها كانت شديدة الصفرة تقرب إلى حمرة وسواد والله أعلم . وقوله تعالى (إن البقر تشابه علينا) أي لكثرتها فغير لنا هذه البقرة وصفها وحلها لنا (وإننا إن شاء الله) إذا بينتها لنا (لمهندون) إليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن يحيى الأودي الصوفي حدثنا أبو سعيد أحمد بن داود الحداد حدثنا سرور بن الليرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن بن أبي رافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن بني إسرائيل قالوا (وإننا إن شاء الله لمهندون) لما أعطوا ولكن استنوا » ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن سرور بن الليرة عن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن بن حديث أبي رافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن بني إسرائيل قالوا (وإننا إن شاء الله لمهندون) ما أعطوا أبدًا ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا فتشد الله عليهم » وهذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي والله أعلم (قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تير الأرض ولا تسقى الحرت) أي إنها ليست مغذلة بالحراثة ولا معدة للسخ في السانية بل هي مكربة حسنة صبيحة مسلمة صحيحة لا عيب فيها (لاشية فيها) أي ليس فيها لون غير لونها وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة مسلمة يقول لا عيب فيها وكذا قال أبو العالية والريبع وقال مجاهد مسلمة من الشية ، وقال عطاء الخراساني مسلمة القوام والحلق لاشية فيها ، قال مجاهد لا يابض ولا سواد وقال أبو العالية والريبع والحسن وقادة ليس فيها يابض وقال عطاء الخراساني لاشية فيها قال لوئها واحد بهم ، وروي عن عطية الوقي وهب بن منبه وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ، وقال السدي لاشية فيها من يابض ولا سواد ولا حمرة وكل هذه الأقوال متعارفة في المعنى ، وقد زعم بعضهم أن المعنى في ذلك قوله تعالى (إنها بقرة لاذلول) ليست بمذلة بالعدل ثم استأفقت قال (تير الأرض) أي يعمل عليها بالحراثة لكنها لا تسقى الحرت وهذا ضعيف لأنه فسر اللؤل التي لم تذلل بالعمل بأنها لا تثير الأرض ولا تسقى الحرت ، وكذا قرره القرطبي وغيره (قالوا الآن جئت بالحق) قالتادة الآن بينت لا وقال عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم وقيل ذلك والله جاد الحق (فذبحوها وما كادوا يفعلون) قال الضحاك عن ابن عباس كادوا أن لا يفعلوا ولم يكن ذلك الذي أرادوا أنهم أرادوا أن لا يذبحوها ، يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد ، وفي هذا فم لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التثبت فلهذا كادوا يذبحونها • وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة تمنها وفي هذا نظر لأن كثرة التثبث لا تثبت إلا من قبل بني إسرائيل كما تقدم من حكاية أبي العالية والسدي ، ورواه الوقي عن ابن عباس ، وقال عبيدة ومجاهد وهب بن منبه وأبو العالية وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم اشتروها بمال كثير وفيه اختلاف ثم قيل في تمنها غير ذلك : قال عبد الرزاق : أبتأنا ابن عيينة أخبرني محمد بن سوفة عن عكرمة قال : ما كان تمنها إلا ثلاثة دنائير وهذا إسناده جيد عن عكرمة والظاهر أنه قلعه عن أهل الكتاب أيضا وقال ابن جرير وقال آخرون لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة إن اطلع الله على قاتل القتيل الذي اختصموا فيه ولم يسند عن أحد ثم اختار أن الصواب في ذلك أنهم لم يكادوا يفعلوا ذلك لئلا تمنها والفضيحة وفي هذا نظر بل الصواب والله أعلم ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس طي ما وجهناه والله التوفيق (مسئلة) استدلل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى قيلت أو تم تهديها بمد الإطلاق طي صحة السلم في الحيوان كما هو منهج مالك والأوزاعي والليث والشافعي وأحمد وجمهور العلماء سلفا وخلفا ببطلان ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تمت للرأة للرأة زوجها كأنه ينظر إليها » وكما وصف النبي صلى الله عليه وسلم إبل الدية في قتل الخطأ وشبهه العمد بالصفات المذكورة للحديث وقال أبو حنيفة والثوري والكوفيون لا يسبح السلم في

الحويان لأنه لا تضبط أحواله وحكي مثله عن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهم
 ﴿وَإِذَا قُتِلْتُمْ فَاقْتُلُوا قَاتِلَكُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قَتَلْنَا أَضْرِبُوهُ بِمِغْضَاكَ كَذَلِكَ يُحْيِي
 اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿

قال البخاري (فأدراكم فيها) اختلفتم وهكذا قال مجاهد فيها رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي حذيفة عن
 شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى (وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها) اختلفتم ، وقال عطاء الخراساني
 والضحاك اختلفتم فيها ، وقال ابن جريج (وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها) قال قال بعضهم أنتم تقتلوه ، وقال
 آخرون بل أنتم تقتلوه وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والله يخرج ما كنتم تكتُمون) قال مجاهد ما تكتُمون ،
 وقال ابن أبي حاتم حدثنا حمزة بن أسلم البصري حدثنا محمد بن الطفيل العبدى حدثنا صدقة بن رستم سمعت للسبب
 ابن رافع يقول ما عمل رجل حسنة في سبعة آيات إلا أظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة آيات إلا أظهرها
 الله وتصديق ذلك في كلام الله (والله يخرج ما كنتم تكتُمون) قتلنا أضربوه ببعضها هذا البعض أي شيء كان
 من أعضاء هذه البقرة فالجزء حاصلة به وخرق المادة به كائن وقد كان مينا في نفس الأمر فلو كان في تمينه لنا
 فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبيته الله تعالى لنا ولكنه أبهمه ولم يجرء من طريق صحيح عن معصوم ياتيه
 فحسن نهمه كما أبهمه الله ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد
 حدثنا الأعمش عن اللؤلؤ بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إن أصحاب بقرة بن إسرائيل طلبوها
 أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقره وكانت بقرة تسجيها قال لجعلوا يطعنوها فبأني حتى أعطوه ملء
 مسكها دنائير فذبحوها فضرَبوه - يعني القتل - بضرب منها فقام تشعب أوداجها ما فقالوا له من ذلك قال قتلى
 فلان ، وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه ضرب ببعضها ، وفي رواية عن ابن عباس أنه ضرب بالعظم
 الذي يل النضروف . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر قال : قال أيوب عن ابن سيرين عن عيسى بن مريم ضربوا القتل ببعض
 لهما قال معمر قال قتادة ضربه بلحم فغذا ففاه فقال قتلى فلان وقال وكيع بن الجراح في تفسيره حدثنا النضر
 ابن عربي عن عكرمة (قتلنا أضربوه ببعضها) فضرَب فبخلها فقام فقال قتلى فلان ، قال ابن أبي حاتم وروى عن
 مجاهد وكتادة وعكرمة نحوه ذلك . وقال السدي فضرَبوه بالضمة التي بين الكنتين ففاه فقال قتلى ابن أخي
 وقال أبو العالية أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظما من عظامها فيضربوا به القتل ففعلوا فرجع إليه روحه
 فمضى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان ؟ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : فضرَبوه ببعض آرائها وقيل بلسانها وقيل
 بعصب ذنها ، وقوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) أي فضرَبوه فحي وبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بمشاهدته
 من أمر القتل جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على للمادة وفاسلا ما كان بينهم من الخصومة والعداء ،
 والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من إحياء الموتى في خمسة مواضع (ثم بشناكم من بعد موتكم) وهذه
 القصة وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
 وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة ، وبه تعالى إحياء الأرض بعد موتها على إطاعة الأجسام بعد صيورتها
 ربما كما قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حبة أخبرني يعل بن عطاء قال سمعت وكيع بن عدي يحدث عن أبي رزين
 العقيلي رضى الله عنه ، قال قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ قال «أما مورت بواد محمل ثم مورت به
 خضرا ؟ قال بلى . قال «كذلك النشور» أو قال «كذلك يحيي الله الموتى» وعاهدنا قوله تعالى (وآية لهم الأرض
 للآية أمييناها وأخرجنا منها حيا ثمة يا كلون) وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا
 من ثمره وما حملته أيديهم أفلا يشكرون) (مسئلة) استدلل للذهب الإمام مالك في كون قول الجريح فلان قتلى

لوثا بهذه القصة لأن القتل لما حي سئل عن قتله فقال فلان تقتل فكان ذلك مقبولا منه لأنه لا يخبر حينئذ إلا بالحق ولا يتهم والحالة هذه ورجعوا ذلك لحديث أنس أن يهوديا قتل جارية على أوضاع لها فوضع رأسها بين حجرين فقتل من فعل بك هذا فلان ؟ أفلان ؟ حتى ذكروا اليهودي فأومات رأسها فأخذ اليهودي قمر يزل به حتى اعترف فأمر رسول الله ﷺ أن يرض رأسه بين حجرين ، وعند مالك إذا كانت لوثا حلف أولياء القتل قسامة وخالف الجمهور في ذلك ولم يجعلوا قول القتل في ذلك لوثا .

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى توبيخا لبني إسرائيل وشرما لهم في ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحياءه للوحي (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) كلهنى كالحجارة التي لا تلين أبدا ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل ما فعلهم فقال (ألم بأن الذين آمنوا أن تخضع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فظال عليهم الأمد قصت قلوبهم وكثير منهم فاسفون) قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس لما ضرب للقتول بعض البقرة جلس أحياها كان قط فقتل له من تلك قال بنو أخى قتوانى ثم قبض فقال بنو أخيه حين قبضه الله والله ما قتنام فكذبوا بالحق بعد أن رأوه فقال الله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يبنى أبناء أخى الشيخ فهى كالحجارة أو أشد قسوة فصار قلوب بنى إسرائيل مع طول الأمد قاسية صيدة عن الوعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات فهى فى قسوتها كالحجارة التى لا علاج ليلها أو أشد قسوة من الحجارة فإن من الحجارة ما يتفجر منها السيون بالأنهار الجارية ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء وإن لم يكن جاريا ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله وفيه إدراك لملك محبة كإقال (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحه) إنه كان حليا غفورا () قال ابن أبى نجيح عن مجاهد أنه كان يقول كل حجر يتفجر منه الماء ويشقق عن ماء أو يتردى من رأس جبل من خشية الله نزل بلك القرآن وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) أى وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق (وما الله بغافل عما تعملون) وقال أبو على الجبائي في تفسيره (وإن منها لما يهبط من خشية الله) هو سقوط البرد من السحاب قال القاضي الباقاني وهذا تأويل يبعد وتبعه فى استبعاده الرازى وهو كما قال فان هذا خروج عن اللفظ بلا دليل والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا الحكم بن هشام الثقفى حدثني يحيى ابن أبى طالب يبنى ويحيى بن يعقوب فى قوله تعالى (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قال كثرة البكاء (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء) قال قليل البكاء (وإن منها لما يهبط من خشية الله) قال بكاء القلب من غير دموع العين وقد زعم بعضهم أن هذا من باب المجاز وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة كما أسندت الإرادة إلى الجدار فى قوله (يريد أن يتقن) قال الرازى والقرطبي وغيرهما من الأئمة ولا حاجة إلى هذا فإن الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كما فى قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) (وقال (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) الآية وقال (والنجم والشجر يسجدان) أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء فتبأ ضلالة) الآية (قلنا آتينا طائفتين) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل (على جبل) الآية (وقالوا الجلود لم تشهدنم علينا قالوا أنطقنا الله) الآية وفى الصحيح « هذا جبل يحبنا ونحبه » وكثير الجبل للتواضع خبره وفى صحيح مسلم « إني لأعرف جبورا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » وفى صفة الحجر الأسود أنه يشهد لمن استلم بحق يوم القيامة وغير ذلك مما فى معناه وحكى القرطبي قولاً أنها للتخير أى مثلاً لهذا وهذا وهذا مثل جالس الحسن أو ابن سيرين . . وكذا حكاه

الرازي في تفسيره . وزاد قولاً آخر إنها للإيهام بالنسبة إلى المخاطب كقول القائل أكلت خبزاً أو تمراً ، وهو يعلم أيهما أكل وقال آخر إنها بمعنى قول القائل كل حلواً أو حامضاً ، أي لا يخرج عن واحد منهما أي وقولكم صارت الحجارة أو أشد قسوة منها لا يخرج عن واحد من هذين الشئين والله أعلم .

(تنبيه) اختلف علماء العربية في معنى قوله تعالى (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) بعد الإجماع على استحالة كونها للشك فقال بعضهم أو هنا بمعنى الواو تقديره : فهي كالحجارة وأشد قسوة : كقوله تعالى (ولا تطع منهم أطمناً أو كفوراً) (عنرا أو نلرا) وكذا قال النابغة الذبياني ..

قال ألا ليتنا هذا الحمام لنا * إلى حماتنا أو نصفه قسداً

ترديد وصفه قاله ابن جرير : وقال جرير بن عطية

قال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

قال ابن جرير يعني نال الخلافة وكانت له قدرا وقال آخرون أو هنا بمعنى بل تقديره : فهي كالحجارة بل أشد قسوة وكقوله (إذا فريق منهم بخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) (فكان قاب قوسين أو أدنى) وقال آخرون معنى ذلك (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) عندكم حكاه ابن جرير : وقال آخرون للراد بذلك الإيهام على المخاطب كما قال أبو الأسود

أحب محمد أجباً شديداً * وعسايا وحجرة والوصيا * فان يك جهنم رشداً أصبه * وليس بمخطيء إن كان غيا
وقال ابن جرير قالوا ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حب من ممي رشد ولكنه أهم على من خاطبه قال وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الآيات قيل له شككت فقال كلا والله ثم اتزع بقول الله تعالى (ولنا وإلناكم لى هدى أو لى ضلال مبين) فقال أو كان شاكاً من أخبرهم بالهدى منهم ومن الضال ؟ وقال بعضهم معنى ذلك ققولكم لا تخرج عن أحدعدين الثلثين إما أن تكون مثل الحجارة في القسوة وإما أن تكون أشد منها في القسوة . قال ابن جرير ومعنى ذلك على هذا التأويل فيبعضها كالحجارة قسوة وببعضها أشد قسوة من الحجارة وقد رجحه ابن جرير مع توجيه غيره (قلت) وهذا القول الأخير يبقى شيئاً بقوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً) مع قوله (أو كصيب من السماء) وكقوله (والذين كفروا أحماهم كسراب قيمة) مع قوله (أو كظلمات في بحر ليلى) الآية أى إن منهم من هو هكذا ومنهم من هو هكذا والله أعلم : وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي الثلج حدثنا على بن حفص حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن حاطب عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » رواه الترمذى في كتاب الرهد من جامعه عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج صاحب الإمام أحمد به ومن وجه آخر عن إبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب به ، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم . وروى البزار عن أنس مرفوعاً « أربع من الشقاء جود العين وقساوة القلب وطول الأمل والحرس على الدنيا »

﴿ أَتَقْلِبُونَ أَنْ يَوْمِنَا كَلِمَ وَقد كَانَ قَرِيبَ رِسْمِهِمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَكْفُرُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

يقول تعالى (أتقلمون) أي المؤمنون (أن يؤمنوا لكم) أي يتنادىكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آياتهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم

بحرفونه (أي يتأولونه على غير تأويله) (من بعد ما علقوه) أي فهموه على الجلية ومع هذا جئنا لونه على بصيرة (وهم يملكون)
أشهم عطلون فيها ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله . وهذا القام شيء بقوله تعالى (فما نقصهم مشياهم لناسم وجعلنا قلوبهم
قاسية يعرفون السكم عن مواضعه) قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه
قال ثم قال الله تعالى لنبيه ﷺ ولئن معه من المؤمنين يؤسهم منهم (أنطمعون أن يؤنوا لكم وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله) وليس قوله يسعون (١) التوراة كلهم قد سمعوا ولكن هم الذين سألو موسى رؤية ربهم فأنشئهم
الصاعدة فيها . وقال محمد بن إسحق فيما حدثني بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى موسى قد حيل بيننا وبين رؤيتنا تعالى
فأسمنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى فقال نعم مرهم فليطهروا وليطهروا ثيابهم ووصوموا
فعلوا ثم خرج بهم حتى أتوا الطور فلما غشيم التمام أمرهم موسى أن يسجدوا فوقعوا سجودا وكلمه ربه فسمعوا
كلامه بأمرهم ونهاهم حتى علقوا منه ما سمعوا ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم
به وقالوا حين قال موسى لنبي إسرائيل إن الله قد أمركم بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله إنما قال كذا
وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين عنى الله لرسوله ﷺ ، وقال السدي (وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه) قال هي التوراة حرفوها وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق وإن
كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق فإنه ليس يأنم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه السكم موسى بن
عمران عليه الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى (وإن أحد من الشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) أي ملبغا
إليه ولهذا قال قتادة في قوله (ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يملكون) قال هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه
من بعد ما علقوه ووعوه وقال مجاهد الذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم وقال أبو العالية حمدا إلى ما أنزل
الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه وقال السدي (وهم يملكون) أي أنهم أذنوا وقال ابن
وهب قال ابن زيد في قوله (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) . قاله التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يحصلون
الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا ، وإذا جاءهم الحق برشوة أخرجوا له كتاب
الله وإذا جاءهم البطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه حق ، وإذا جاءهم أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا
رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال الله لهم (أما مروا الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تكونون الكتاب أفلا تعقلون)
وقوله تعالى (وإذا قوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض) الآية قال محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة
أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإذا قوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي إن صاحبكم رسول الله ولكنه إليكم خاصة
وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لأخذوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم فأنزل الله
(وإذا قوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا آمنا) أي إن صاحبكم رسول الله ولكنه إليكم خاصة
أي تهرون بأنه نبي . وقد علمت أنه قد أخذ له الشياق عليكم باتباعه وهو يهزمهم أنه النبي الذي كنا نتظر ونجد
في كتابنا ، أجدوه ولا تروا به . يقول الله تعالى (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقال الضحاك
عن ابن عباس : يعني للتأني من اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ قالوا آمنا ، وقال السدي . هؤلاء من اليهود
آمنوا ثم ناقوا . وكذا قال الربيع بن أنس وقاتة وغير واحد من السلف والخلف حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
فيما رواه ابن وهب عنه كان رسول الله ﷺ قد قال « لا يدخلن علينا قصة المدينة إلا مؤمن » فقال رؤساقهم
من أهل الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا آمنا واكفروا إذا رجعت إلينا فكانوا يأتون المدينة بالكفر ويرجعون
إلهم بيد النصر . وقرأ قول الله تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنا بالله الذي أنزل على الذين آمنوا وجه
النهار واكفروا آخره لهم يرجعون) وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليلموا خبر رسول الله
ﷺ وأمره . فإذا رجوا رجوا إلى الكفر فلما أخبر الله نبيه ﷺ قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون . وكان
للمؤمنون يظنون أنهم مؤمنون فيقولون اليس قد قال الله لكم كذا وكذا . فيقولون بلى . فإذا رجوا إلى

(١) في ابن جرير الطبري عن ابن إسحاق قال ليس قوله يسعون كلام الله يسعون التوراة كلهم قد سمعوا إلخ .

قومهم يعني الرؤساء فقالوا (أعذوثهم بما فتح الله عليكم) الآية . وقال أبو العالية (أعذوثهم بما فتح الله عليكم) يعني بما أنزل عليك في كتابك من نعم محمد ﷺ . وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة (أعذوثهم بما فتح الله عليكم ليحاجوك به عند ربك) قال كانوا يقولون سيكون نبى فخلا بعضهم بعض فقالوا (أعذوثهم بما فتح الله عليكم) . قول آخر فى المراء بالفتح قال ابن جرير : حدثني القاسم بن أبي برزة عن مجاهد فى قوله تعالى (أعذوثهم بما فتح الله عليكم) قال قام النبى ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم ، فقال يا إخوان القردة والخنازير ويا عبدة الطاغوت فقالوا من أخبر بهذا الأمر محمداً ؟ ما خرج هذا القول إلا منكم (أعذوثهم بما فتح الله عليكم) بما حكم الله بالفتح ليكون لهم حجة عليكم قال ابن جرير عن مجاهد هذا حين أرسل إليهم علياً فأذا محمد ﷺ ، وقال السدى (أعذوثهم بما فتح الله عليهم) من المذاب (ليحاجوك به عند ربك) هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا محدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به . فقال بعضهم لبعض (أعذوثهم بما فتح الله عليكم) من المذاب يقولوا نحن أحب إلى الله منكم وأكرم على الله منكم وقال عطاء الخراساني (أعذوثهم بما فتح الله عليكم) يعني بما قضى لكم وعليكم . وقال الحسن البصرى : هؤلاء اليهود كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قال بعضهم لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم بما فى كتابكم ليحاجوك به عند ربك فيخصمكم . وقوله تعالى (أولاً يملكون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) قال أبو العالية : يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد ﷺ وتكذيبهم به وهم يجدونه مكتوباً عندهم وكذا قال قتادة ، وقال الحسن (إن الله يعلم ما يسرون) قال كان ما أسروا أنهم كانوا إذا تولوا عن أصحاب محمد ﷺ وخلا بعضهم إلى بعض تساهوا أن يخبر أحد منهم أصحاب محمد ﷺ بما فتح الله عليهم بما فى كتابهم خشية أن يحاجهم أصحاب محمد ﷺ بما فى كتابهم عند ربهم (وما يعلنون) يعني حين قالوا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آمنا . وكذا قال أبو العالية والربيع وقاتة .

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَمْلِكُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يظُنُّونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَسْتَرْوَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى كَتَبْتُ بِأَيْدِيهِمْ وَوَلَّيْتُ لَهُمْ ثَمًّا يُكْسِبُونَ﴾

يقول تعالى (ومنهم أميون) أى ومن أهل الكتاب قاله مجاهد ، والأميون جمع أى وهو الرجل الذى لا يحسن الكتابة قاله أبو العالية والربيع وقاتة وإبراهيم النخعي وغير واحد وهو ظاهر فى قوله تعالى (لا يملكون الكتاب) أى لا يدرون ما فيه . ولهذا فى صفات النبى ﷺ : أنه الأمى لأنه لم يكن يحسن الكتابة كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب للبطلون) وقال عليه الصلاة والسلام «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا الحديث أى لا تغتر فى عبادتنا ومواقيت أهل كتاب ولا حساب ، وقال تبارك وتعالى (هو الذى بث فى الأميين رسولا منهم) وقال ابن جرير : نسبت العرب من لا يكتب ولا يحط من الرجال إلى أمه فى جهلها بالكتاب دون أمية . قال وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قول خلاف هذا وهو ما حدثنا به أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمار عن أنس روى عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (ومنهم أميون) قال الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال هذا من عند الله ، وقال قد أخبرناهم يكتبون بأيديهم ثم صامهم أميين لجهودهم كتب الله ورسله ، ثم قال ابن جرير : وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب للتفويض بينهم ، وذلك أن الأمى عند العرب الذى لا يكتب . قلت ثم فى صحة هذا عن ابن عباس بهذا الاسناد نظر والله أعلم . وقوله تعالى (إلا أمانى) قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس إلا أمانى الأحاديث وقال الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (إلا أمانى) يقول إلا قولا يقولون بأفواههم كذبا . وقال مجاهد إلا كذبا : وقال سئيد بن حجاج عن ابن جرير عن مجاهد (ومنهم أميون

لا يملكون الكتاب إلا أمانى) قال أناس من اليهود لم يكونوا يملكون من الكتاب شيئا وكانوا يتكلمون بالظن بنير مافى كتاب الله ويقولون هو من الكتاب ، أمانى يتمنونها وعن الحسن البصرى نحوه ، وقال أبو العالية والربيع وقتادة إلا أمانى يتمنون على الله ما ليس لهم ، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم إلا أمانى قال تنحوا فقالوا نحن من أهل الكتاب وليسوا منهم ، قال ابن جرير والأشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس وقال يعاجد إن الأمانى الذين وصفهم الله تعالى أنهم لا يثقون من الكتاب الذى أنزله الله تعالى على موسى شيئا ولكنهم يتخرون الكذب ويتخرون الأباطيل كذبا أيضا ، والتجنى فى هذا اللوضع هو تخلف الكذب وتخرفه ، ومنه الخبر للروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ماتعتيت ولا تمنيت يعنى ما غرضت الباطل ولا اختلقت الكذب : وقيل المراد بقوله إلا أمانى بالتشديد والتخفيف أيضا أى إلا تلاوة نعلى هذا يكون استثناء منقطعا واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى (إلا إنا نعى - أى تلا - ألقى الشيطان فى أمنيته) الآية ، وقال كعب بن مالك الشاعر :

منى كتاب الله أول إليه * وآخره لاقى حمام القادر

منى كتاب الله آخر إليه * منى داود الكتاب على رسل

وقال آخر

وقال محمد بن إسحق حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (لا يملكون الكتاب إلا أمانى وإنهم لا يظنون) أى ولا يدرون ما فيه وهم يحدون نبوتك بالظن وقال مجاهد (وإنهم لا يظنون) يكذبون وقال قتادة وأبو العالية والربيع : يظنون بالله الظنون بنير الحق . وقوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود وهم السعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله وأكل أموال الناس بالباطل ، والويل للحلاك والدمار وهى كلمة مشهورة فى اللغة : وقال سفيان الثوري عن زيد بن فياض سمعت أبا عياض يقول ويل صديد فى أصل جهنم وقال عطاء بن يسار . الويل واد فى جهنم لوسيرت فيه الجبال لماعت . وقال ابن أبى حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » ورواه الترمذى عن عبد الرحمن بن سعيد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (قلت) لم ينفرده ابن لهيعة كاترى ولكن الآفة بمن يمدد وهذا الحديث بهذا الاسناد مرفوعا منكرا والله أعلم . وقال ابن جرير حدثنا الثنى حدثنا إبراهيم بن عبدالسلام حدثنا صالح التقيرى حدثنا على بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة السدي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) قال « الويل جبل فى النار » وهو الذى أنزله فى اليهود لأنهم حرفوا التوراة زادوا فيها ما أحبوا ونحووا منها ما يكرهون ونحووا اسم محمد ﷺ من التوراة ولذلك غضب الله عليهم فرغ بعض التوراة فقال تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وهذا غريب أيضا جدا ، وعن ابن عباس الويل للشفقة من العذاب وقال الحليل بن أحمد الويل شدة الشر وقال سيويه ويل لمن وقع فى الملكة ووقع لمن أشرف عليها وقال الأصمعى الويل تضعج والويع ترجم وقال غيره الويل الحزن ، وقال الحليل وفى معنى ويل وبع وويش وويه وويك وويب ومنهم من فرق بينها ، وقال بعض النحاة إنما جاز الابتداء بها وهى نكرة لأن فيها معنى النداء ومنهم من جوز نصبها بمعنى أثمهم ولا (قلت) لكن لم يقرأ بذلك أحد ، وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) قال هم أخبار اليهود وكذا قال سعيد عن قتادة هم اليهود وقال سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن علقمة سألت ابن عباس رضى الله عنه عن قوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) قال نزلت للشركين وأهل الكتاب وقال السدى كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من الرب ويعدونهم أنه من عند الله فيأخذوا به ثمنا قليلا وقال الزهري أخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال : يامشر للسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتاب الله الذى أنزله على نبيه أحدث أخبار

الله تهره و نه غضا لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به تمنا قليلا ، أفلا ينأكم ما جاءكم من العلم عن مساومتهم ولا والله ما رأينا منهم أحدا قط سألكم عن الذي أنزل عليكم رواه ، يسنارى من طرق عن الزهري ، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : اتفق القليل الذين يحد أقريقها . وقوله تعالى (فويل لهم عما كتبت بأيديهم وويل لهم عما يكسبون) أي فويل لهم عما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والاتقاء وويل لهم عما أكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (فويل لهم) يقول فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب وويل لهم عما يكسبون يقول مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم .

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً . قُلْ أَتَتَّخِذُكُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ كَلَى اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن اليهود فيما قتلوه وأدعوه لأشقيهم من أنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (قل اتخذتم عند الله عهدا) أي بذلك فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ولكن هذا ماجرى ولا كان ولهذا أتى بآية بمعنى بل أي بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والاتقاء عليه قال محمد بن إسحق عن سيف بن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون إن هذه الأيام سبعة آلاف سنة وإنما تلذب بكل ألف سنة يوما في النار وإنما هي سبعة أيام معدودة فأزل الله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) إلى قوله (خالدهون) ثم رواه عن محمد بن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه ، وقال العوفي عن ابن عباس (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) اليهود قالوا لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة زاد غيره وهي مدة عبادتهم العجل وحكام القرطبي عن ابن عباس وقادة ، وقال الضحاك قال ابن عباس زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوبا إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن يتهاوا إلى شجرة الزقوم التي هي ثابتة في أصل الجحيم ، وقال أعداء الله إنما تلذب حتى تنتهي إلى شجرة الزقوم فتلذب جهنم وتهلك . فذلك قوله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) يعني الأيام التي عذبنا فيها العجل وقال عكرمة خاضعت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلصنا فيها قوم آخرون يعنون محمدا ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقال رسول الله ﷺ بيده على رءوسهم « بل أنتم خالدهون مخلدون لا تخلفكم فيها أحد » فأزل الله عز وجل (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) الآية : وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن جعفر حدثنا محمد بن محمد بن صخر حدثنا أبو عبد الرحمن للقرئى حدثنا ليث بن سعد حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله ﷺ « اجتمعوا لي من كان من اليهود ههنا » فقال لهم رسول الله ﷺ « من أبوكم ؟ » قالوا فلان قال « كذبتم بل أبوكم فلان » فقالوا صدقت وبررت ثم قال لهم « هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبتك عرفت كذبتنا كما عرفت في أيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أهل النار ؟ » فقالوا نسكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله ﷺ « اخشوا الله ولا تخلفكم فيها أبدا » ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم قال « هل جعلتم في هذه الشاة سم ؟ » فقالوا نعم قال « فما جعلكم على ذلك » فقالوا أردنا أن ننتقم منكم وإن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك ورواه الإمام أحمد والبخاري والنسائي من حديث الليث بن سعد بنحوه .

﴿ سَيَلَىٰ مِنْكُمْ كَسْبَ سَيِّئَةٍ وَأَحْطَتْ بِهَ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • وَالَّذِينَ آمَنُوا

والقراء قال (واليتامى) وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء والساكنين الذين لا يجدون ما يتفقون على أنفسهم وأهلهم وسائر الكلام على هذه الأصناف عند آية النساء التي أمرنا الله تعالى بها صريحاً في قوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) الآية وقوله تعالى (وقولوا للناس حسناً) أى كلهم طيباً ولينوا لهم جانباً ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن البصري في قوله تعالى (وقولوا للناس حسناً) فالحسن من القول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسناً كما قال الله وهو كل خلق حسن رضى الله

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا أبو عامر الخراز عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « لا تحقرن من المعروف شيئاً وإن لم تجد فائق أخاك بوجه منطلق » وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي وصححه من حديث أبي عامر الخراز واسمه صالح بن رستم به وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسناً بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل فجمع بين طرفي الإحسان الفعل والقول ، ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتين من ذلك وهو الصلاة والزكاة فقال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وأخبر أنهم تولوا عن ذلك كله أى تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به إلا القليل منهم وقد أمر الله هذه الأمة بنظر ذلك في سورة النساء بقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان غفلاً فخوراً) فقامت هذه الأمة من ذلك بما لم تهم به أمة من الأمم قبلها وهى الحمد واللذة . ومن النقول الغريبة ههنا ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف السعقلاني حدثنا عبد الله بن يوسف بنى التميمي حدثنا خالد بن صبيح عن حميد بن عتبة عن أسد بن وداعة أنه كان يخرج من منزله فلا يلتقي يهودياً ولا نصرانياً إلا سلم عليه فقيل له : ما شأنك تسلم على اليهودي والنصراني ؟ فقال : إن الله تعالى يقول (وقولوا للناس حسناً) وهو السلام . قال وروى عن عطاء الخراساني نحوه (قلت) وقد ثبت في السنة أنهم لا يبدعون بالسلام والله أعلم

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْنِهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُشْرَىٰ تَقْدُواهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُولِيُمُونُ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَسْكُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ لِّعَمَلٍ تُمْكِنُونَ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَصْفَحُهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى منكرنا على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ بالمدينة وما كانوا يسانونه من القتال مع الأوس والخزرج ، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا في الجاهلية عباد أصنام ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه ، وقد قتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر ، وذلك حرام عليهم في دينهم ونفس كتابهم ، وخرجونهم من بيوتهم ويشتبهون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استغفروا الأسارى من الفريق اللاتبع عملاً بحكم التوراة ، ولهذا قال تعالى (أنتمنون ببعض الكتاب وتسكروا ببعض) ولهذا قال تعالى (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم

ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يقتل بعضكم بعضاً ولا يخرج من منزله ولا يظهر عليه كما قال تعالى (فتوبوا إلى بارئكم فاتقوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم) وذلك أن أهل اللذة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وقوله تعالى (ثم أقررتم وأنت تشهدون) أى ثم أقررتم بمعرفة هذا الشياطين وصحته وأنت تشهدون به (ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) الآية ، قال محمد بن إسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير وأبو بكر عن ابن عباس (ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) الآية قال . أنبأهم الله بذلك من قبلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دماهم واقرض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والنضير ، وقريظة وهم حلفاء الأوس فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس ، يظهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى تسافكوا دماهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ولا يعرفون جنة ولا ناراً ولا بشاً ولا قيامة ولا كتاباً ولا حلالاً ولا حراماً فإذا وضعت الحرب أوزارها اتحدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة وأخذوا به بعضهم من بعض فندى بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس وندى النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ويطلبون ما أسابوا من دماهم وقتلوا من قتلاهم فيها بينهم مظاهر لأهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حيث أنبأهم بذلك (أقتلونهم يعض الكلاب وتكفرون ببعض) أى تضادونهم بحكم التوراة وتقتلونهم وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظهر عليه من يشرك بالله وبعد الأوثان من دونه ابتداء عرض الدنيا ؟ في ذلك من نضلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغني زلت هذه القصة . وقال أسباط عن السدي . كانت قريظة حلفاء الأوس وكانت النضير حلفاء الخزرج فكانوا يقتلون في حرب بينهم يقتل بنو قريظة مع حلفائهم النضير وحلفائهم وكانت النضير قتال قريظة وحلفائها وينهبونهم فيخربون ديارهم ويخرجونهم منها فإذا أسر رجلاً من الفريقين كلاهما جمعوا له حتى يفدوه فخيرهم العرب بذلك ويقولون : كيف تقاتلونهم وتضادونهم ؟ قالوا : إنا أمرنا أن نقدمهم وحررنا علينا قتالهم قالوا : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحي أن تستدل حلفائنا بذلك حين عيرهم الله تبارك وتعالى فقال تعالى (ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) الآية . وقال أسباط عن السدي عن الشعبي زلت هذه الآية في قيس بن الخطيم (ثم أتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) الآية : وقال أسباط عن السدي عن عبد خير قال : غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي بلنجر فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة وأصبنا سبايا واشترى عبدالله بن سلام يهودية بسبعائة فلما مر برأس الجالوت نزل به فقال له عبد الله : يارأس الجالوت هل لك في عبوز ههنا من أهل دينك تشتريها مني قال نعم ، قال : أخذتها بسبعائة درهم قال : فإني أرحمك سبعائة أخرى قال : فإني قد حلفت أن لا أقتنيها من أربعة آلاف قال لأجاجة لي فيها قال والله لتشتريها مني أو لتكفرن بدينك الذي أنت عليه قال : ادن مني فدنا منه فقرأ في أذنه بما في التوراة : إنك لا تبعيد ملكاً من بني إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته (وإن يأتوك أسارى تضادوهم وهو عزم عليكم إخراجهم) قال : أنت عبد الله بن سلام ؟ قال : نعم : قال فجاء بأربعة آلاف فأخذ عبد الله اثنين ورد عليه اثنين . وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره حدثنا أبو جعفر يعني الرازي حدثنا الربيع بن أنس أخبرنا أبو العالية : أن عبدالله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يغادى من النساء من يبيع عليه العرب ولا يغادى من وقع عليه العرب ، فقال عبدالله : أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن تضادين كلهن والذي أريدت إليه الآية الكريمة وهذا السياق ثم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يستمدون صحتها وعاقلة شرعها مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالصحة فلها لا يؤمنون على ما فيها ولا على ثقلها ولا يسدقون فيها كنسوة من صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه وبعثه وخبره ومهاجره وغير ذلك من شؤونه التي أخبرت بها الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام ، واليهود عليهم لعائن الله يتكافؤونه بينهم ولهذا قال تعالى (فأجزاء من يفعل ذلك منهم

إلا خزي في الحياة الدنيا) أي بسبب مخالفتهم شرع الله وأمره (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) جزاء على مخالفتهم كتاب الله الذي بأيديهم (وما الله ينافي عما يعملون * أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) أي استحوها على الآخرة واختاروها (فلا يخفف عنهم العذاب) أي لا يفرق عنهم ساعة واحدة (ولا هم ينصرون) أي وليس لهم ناصر يتقدم عامهم فيه من العذاب العالم السرمدي ولا يغيرهم منه

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا بَيْنَهُمْ وَفَرِقْنَا فَتَقْتُلُونَ﴾

يُنتِج تبارك وتعالى بني إسرائيل بالمتو والبناد والمخالفة والاستكبار على الأنبياء وأنهم انما يتبعون أهواءهم فذكر تعالى أنه آتى موسى الكتاب وهو التوراة غفرناها وبدلوها وخالفوا أوامرنا وأولوها ، وأرسل الرسل والنبیین من بعده الذين يحكمون بشريعته كما قال تعالى (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا والرانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) الآية ولهذا قال تعالى (وقفينا من بعده بالرسل) قال السدي عن أبي مالك : أتينا . وقال غيره . أردفنا . وبالسك قريب كما قال تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى) حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى بن مريم غياف بمخالفة التوراة في بعض الأحكام ولهذا أعطاه الله من البينات وهي المعجزات . قال ابن عباس من إحياء الموتى ، وخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فكون طيرا يذنب الله ، وإبراء الأسقام ، وإخياره بالتيوب ، وتأييده بروح القدس وهو جبريل عليه السلام - مايدلهم على صدقه فيما جاءهم به ، فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض كما قال تعالى إخبارا عن عيسى (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجعلكم بآية من ربكم) الآية فكانت بنو إسرائيل تامل الأنبياء أسوأ المعاملة ففرقا يكذبونه ، وفرقا يقتلونه ، وماذا إلا لأنهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبالألزام بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها ، ولهذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوهم ورموا قتلوا بعضهم ولهذا قال تعالى (أنكلما جاءكم رسول بما تهوى أنفسكم استكبرتم ففرقا كذبتم وفرقا تقتلون)

والدليل على أن روح القدس هو جبريل كانص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية وتابته على ذلك ابن عباس . وعحمد بن كعب وإسحاق بن خالد والسدي والريعي بن أنس وعطية الموفى وقناة مع قوله تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) ما قال البخاري . وقال ابن أبي الزناد عن أبيه عن أبي هريرة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لسانه بن ثابت منبرا في المسجد فكان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافع عن نبيك » فهذا من البخاري تعليقا وقد رواه أبو داود في سننه عن ابن سيرين والترمذي عن علي بن حجر وإسحاق بن موسى القزاري ثلاثتهم عن أبي عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وهشام بن عروة كلاهما عن عروة عن عائشة قال الترمذي حسن صحيح وهو حديث أبي الزناد وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن عمر ابن الخطاب مر بحسان وهو يتشد الشعر في المسجد فلحظ اليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك الله أئمتت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أجب عن الله أيد بروح القدس » فقال اللهم نعم وفي بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجمهم - أو هاجهم وجبريل معك » وفي شعر حسان قوله :

وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس به خفاء

وقال محمد بن إسحق حدثني عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر بن حوشب الأشعري أن شرأ من اليهود سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أخبرنا عن الروح فقال « أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون

أنه جبرائيل وهو الذي يأتي؟ قالوا نعم : وفي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فأخو الله وأجلوا في الطلب » *
 أقوال أخر - قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا سنجاب بن الحارث حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس (وأيدناه بروح القدس) قال : هو الاسم الأعظم الذي كان عيسى يحيى به الموتى . وقال ابن جرير حدثت عن النجباء فذكره وقال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك وقوله القرطبي عن عبيد بن عمير أيضاً قال : وهو الاسم الأعظم . وقال ابن أبي نجيع : الروح هو حفظه على اللامكة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس : القدس هو الرب تبارك وتعالى . وهو قول كعب وجي القرطبي عن مجاهد والحسن البصري أنهما قالا : القدس هو الله تعالى وروحه جبريل . فلي هذا يكون القول الأول وقال السدي : القدس البركة . وقال الموفى عن ابن عباس القدس الطهر وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله تعالى (وأيدناه بروح القدس) قال : أيد الله عيسى بالإيجيل روحاً كما جعل القرآن روحاً كلاماً روحاً الله كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) ثم قال ابن جرير وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال الروح في هذا اللوح جبرائيل فإن الله تعالى أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر في قوله تعالى (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعتك عليك وعلى والهلك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمت الكتاب والحكمة والوئادة والإنجيل) الآية فذكر أنه أيد به فلو كان الروح الذي أيد به هو الإيجيل لكان قوله (وإذ أيدتك بروح القدس) وإذ علمت الكتاب والحكمة والوئادة والإنجيل) تكرير قول لا معنى له والله سبحانه وتعالى أعز وأجل أن مخاطب عباده بما لا يفيدهم به (قلت) ومن الدليل على أنه جبرائيل ما تقدم من أول السياق وفيه الحمد ، وقال الراغب (بروح القدس) بالروح القدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووضهها بالقدس كما قال (وروح منه) فوصفه بالاختصاص والتعريف تكملة وقيل لأنه لم يفسد الأصلاب والأرحام الطوائف وقيل بجبريل وقيل بالإيجيل كما قال في القرآن (روحاً من أمرنا) وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيى الموتى بذكره فضمن كلامه قولاً آخر وهو أن للراد روح عيسى نفسه القدسة للطهارة وقال الراغب في قوله تعالى (فترقى كذبهم وترفقا يختلون) إنما لم يقل وترفقا قتله لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً لأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ بالسحر وقد قال عليه السلام في مرض موته « ما زالت أكلة خير تمادى في هذا أو أن أخطأ أهرى » (قلت) وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره

(وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ)

قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلفت) أي في أكمة : وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلفت) أي لا نفقه وقال الموفى عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلفت) هي القلوب للطبوع عليها وقال مجاهد (وقالوا قلوبنا غلفت) عليها غشاوة وقال عكرمة : عليها طابع ، وقال أبو المبالغة : أي لا نفقه ، وقال السدي يقولون عليها غلاف وهو الطلاء : وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : فلا نفقه ولا نفقه قال مجاهد و قتادة : وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء (بل لعنهم الله بكفرهم) أي طردهم الله وأبعدهم من كل خير (قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ) قال قتادة معناه لا يؤمن منهم إلا القليل (وقالوا قلوبنا غلفت) هو كقولهم (وقالوا قلوبنا في كفة كتمان دعوا إليه) وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في قوله غلفت قال تقول قلبي في غلاف فلا يخلص إلي مما حول شيء وقرأ (وقالوا قلوبنا في أكمة مما تدعونا إليه) وهذا الذي رجحه ابن جرير واستشهد بما روى من حديث عمرو بن مرة الجلي عن أبي البختري عن حذيفة قال (القلوب أوعية) فذكر منها « قلب أغلف مضروب عليه وذلك قلب الكافر » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن العزمي أنبأنا أبي عن جدى عن قتادة عن الحسن في قوله (قلوبنا غلفت) قال لم نخش وهذا القول يرجع

معناه إلى ما تقدم من عدم طهارة قلوبهم وأنها بيسدة من الخير * قول آخر — قال الضحاك عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلغ) قال يقولون قلوبنا غلغ مملوءة لاحتاج إلى علم محمد ولا غيره . وقال عطية الوقي عن ابن عباس (وقالوا قلوبنا غلغ) أى أوعية للعلم وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض الأنصار فيها حكاية ابن جرير وقالوا قلوبنا غلغ بضم اللام قلها الرخشي أى جمع غلاف أى أوعية بمعنى أنهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلوم لا يحتاجون معه إلى علم آخر كما كانوا يقولون بعلوم التوراة ولهذا قال تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم قليلا ما يؤمنون) أى ليس الأمر كما ادعوا بل قلوبهم مملوءة مطبوع عليها كما قال في سورة النساء (وقولهم قلوبنا غلغ بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون [إلقليل]) وقد اختلفوا في معنى قوله (قليلا ما يؤمنون) وقوله (فلا يؤمنون إلا قليلا) فقال بعضهم قليل من يؤمن منهم وقيل قليل إيمانهم بمعنى أنهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من أمر اللاد والواب والعباب ولكنه إيمان لا يشفعهم لأنه مغشور بما كلفوا به من الذى جاءهم به محمد ﷺ ، وقال بعضهم إنما كانوا غير مؤمنين بشيء وإنما قال قليلا ما يؤمنون وهم بالجميع كالفرد كما يقول العرب قلما رأيت مثل هذا قط . تريد ما رأيت مثل هذا قط وقال الكسائي تقول العرب من زنى بأرض قلما تنبت أى لا تنبت شيئا حكاية ابن جرير رحمه الله والله أعلم

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَمِنَ ذَلِكَ عَلَى الْكَافِرِينَ)

يقول تعالى (ولما جاءهم بنى اليهود كتاب من عند الله وهو القرآن الذى أنزل على محمد ﷺ) (مصدق لما معهم) يعنى من التوراة وقوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) أى وقد كانوا من قبل يجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستصرون بمجيئه على أعدائهم من الشركين إذا قاتلهم يقولون إنه سيثبت لى فى آخر الزمان نتفكس معه قتل عاد وإرم كما قال محمد بن إسحق عن عاصم بن عمرو عن قتادة الأنصارى عن أبيخاض منهم قال فىنا والله وفيهم يعنى فى الأنصار وفى اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة يعنى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) قالوا كنا قد علمناهم قهر آدمرا فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب وهم يقولون إن نبيا سيثبت الآن تبته قد أظلم زمانه فنفتكس معه قتل عاد وإرم ، فلما بث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به ، يقول الله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال الضحاك عن ابن عباس فى قوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) قال يستصرون يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك بل يكذبون ، وقال محمد بن إسحق أخبرنى محمد بن أبى محمد أخبرنى عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبته فلما بثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معروودا وبين سلمة بن يساف يهود اتفقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصوفونه بسفته فقال سلام بن مسكم أخو بنى النضير لما جاءنا بشيء نعرفه وماهو بالذى كنا نذكر لكم . فأقول الله فى ذلك من قولهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) الآية وقال الوقي عن ابن عباس (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يقول يستصرون بخروج محمد ﷺ على مشركى العرب ، يعنى بذلك أهل الكتاب فلما بث محمد ﷺ وأرأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه . وقال أبو العالية : كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركى العرب يقولون اللهم إبعث هذا النبى الذى نحمده مكتوبا عندنا حتى نعدب الشركين وهتلمهم . فلما بث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأرأوه أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ؛ فقال الله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال قتادة (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين

كفروا) قال وكانوا يقولون إنه سيأتي نبي . (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وقال مجاهد (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) قال هم اليهود

﴿ بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَنِيَّ أَنْ يُرَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبُكَوْا بِنَقَصٍ عَلَى غَضَبٍ مِنَ الْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

قال مجاهد (بشا اشتروا به أنفسهم) يهود شروا الحق بالباطل وكتبن ما جاء به محمد ﷺ بأن يبينوه وقال السدي (بشا اشتروا به أنفسهم) يقول باعوا به أنفسهم يقول بشا اعتاضوا لأنفسهم فرضوا به وعدلوا إليه من الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ عن تصديقه وموازرتة ونصرته وإنما حملهم على ذلك البني والحسد والكراهية لأن أنزل الله من فضله على من يشاء من عباده) ولا حسد أعظم من هذا ، قال ابن إسحق عن محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس (بشا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله فيأبى أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي أن الله جعله من غيرهم (فيأبى فضب على غضب) قال ابن عباس في الغضب على الغضب فضب عليهم فيما كانوا يصنعوا من التوراة وهي معهم وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله إليهم (قلت) ومعنى (باؤا) استوجروا واستحقوا واستقروا فضب على غضب ، وقال أبو العافية : غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل ويعيسى ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن ، وعن عكرمة وقشادة مثله قال السدي : أما الغضب الأول فهو حين غضب عليهم في العجل وأما الغضب الثاني فضب عليهم حين كفروا بمحمد ﷺ وعن ابن عباس مثله * وقوله تعالى (وللكافرين عذاب مهين) لما كان كفرهم سبب البني والحسد ومقتضا ذلك التكبر فقولوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين حقيرين ذليلين راغبين وقد قال الإمام أحمد حدثنا يحيى حدثنا ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « يحشر للتكبر يوم القيامة أمثال البقر في صور الناس يملأهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له بولس تملأهم نار الأنبار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار » ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ هَاتُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينَ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَّاهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾

يقول تعالى (وإذا قيل لهم أي لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب) آمنوا بما أنزل الله (على محمد ﷺ وصدقوه واتبعوه) قالوا تؤمن بما أنزل علينا أي يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة والإنجيل ولا تهر إلا بذلك (ويكفرون بما وراه) يعني بما بعده (وهو الحق مصدقًا لما معهم) أي وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد ﷺ (الحق مصدقًا لما معهم) منصوبًا على الحال أي في حال تصديقه لما معهم من التوراة والإنجيل ، فالجاء قائمة عليهم بذلك كما قال تعالى (الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ثم قال تعالى (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم سادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم فلم تقتلوا الأنبياء الذين جاءكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأتم تعلمون صدقهم ؟ قتلتموهم فيأبى وعنادًا واستكبارًا على رسل الله فلمستم تبنون لإلجود الأهواء والآراء والتشبه كما قال تعالى (أنكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففرضا كذبتم وفرقا تفتلون) وقال السدي في هذه الآية يبرهم الله تبارك وتعالى (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) وقال أبو جعفر بن جرير قل يا محمد ليهود بني إسرائيل إذا قلت لهم

آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا لم تقتلون - إن كنتم مؤمنين بما أنزل الله - أنبياء الله. يا معشر اليهود وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم بل أمركم باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما أنزل علينا وتسير لهم (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أي بالآيات الواضحات والدلائل القاطعات على أنه رسول الله وأنه لا إله إلا الله والآيات البينات هي الطوفان والجزاد والقيل والضفادع والنمل والعسا واليد وفرق البحر وتظليلهم بالعام والليل والنلوى والحجر وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها ثم اغتذت العجل أي معبودا من دون الله في زمان موسى وأيامه ، وقوله من بعده أي من بعد ما ذهب عنكم إلى الطور لتاجدة الله عز وجل كما قال تعالى (واخذ قوم موسى من بعدهم حطيم عجلًا جسداً له خوار) (وأنتم ظالمون) أي وأنتم ظالمون في هذا الصنيع الذي صنعتموه من عبادتكم العجل وأنتم تعلمون أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا إن لى ربنا ويضر لنا لنكونن من الخاسرين)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَرَقْنَا هَهُنَا وَهَهُنَا وَفَرَقْنَا فَوَقَّعَ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبًا سَمِيعًا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَأُ بِأَمْرِكُمْ بِهِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

بعد سبحانه وتعالى عليهم خطاهم ومخالفتهم للميثاق وعوتهم وإعراضهم عنه حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه ثم خالفوه (ولمذا قالوا سمعنا وعصينا) وقد تقدم تفسير ذلك (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) قال عبد الرزاق عن قتادة (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) قال أشربوا حيه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقال الإمام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الساسي عن خالد بن محمد التقي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ : قال «جك الشيء يعنى وصم» ورواه أبو داود عن حيوة بن شريح عن قبة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم به ، وقال السدي أخذ موسى عليه السلام العجل فذبحه بالمبد ثم ذراه في البحر ثم لم يبق بحر يجري يومئذ إلا وقع فيه شيء ثم قال لهم موسى اشربوا منه ففربوا فمن كان يحبه خرج على شاريه الذهب فذلك حين يقول الله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عمارة بن عمير وأبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال عمد موسى إلى العجل فوضع عليه المباد فبرده بها وهو على شاطئ نهر فلما شرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب ، وقال سعيد بن جبير (وأشربوا في قلوبهم العجل) قال لما أحرق العجل برد ثم نصف فحسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعفران ، وحكي القرطبي عن كتاب القرشي أنه لما شرب أحد «منه» من عجل العجل إلا جبن ثم قال القرطبي وهذا شيء غير ماهنا لأن المقصود من هذا السياق أنه ظهر على شفاههم وجوههم والذكور ههنا أنهم أشربوا في قلوبهم العجل يعني في حال عبادتهم له ثم أشد بقوله النابعة في زوجته عشة فتتل حب عشة في قوادي • فباديه مع الحافي يسير • تغلغل حيث لم يبلغ شراب

ولا حزن ولم يبلغ سرور • أكاد إذا ذكرت العهد منها • أطير لو انت إنسانا يطير وقوله (قل بشما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين) أي بشما تستمدون في قديم الدهر وحديثه من كفركم بآيات الله ومخالفتكم الأنبياء ثم اعتادكم في كفركم بمحمد ﷺ وهذا أكبر ذنوبكم وأشد الأمور عليكم إذ كفرتم بخاتم الرسل وسيد الأنبياء وللرسولين للبعوث إلى الناس أجمعين فكيف تدعون لأنفسكم الإيمان وقد فعلتم هذه الأفاعيل البقية من قضاكم اللوايق وكفرتم بآيات الله وعبادتكم العجل من دون الله

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ خَالَصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَقِمْوا أَلْتَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَلَنْ

يَتَمَنَوُهُ أَبَدًا بِمَا قَدَسَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ هُوَ الَّذِي جَدَّ لَهُمْ أَعْيُنَ عَدُوٍّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٠﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيُّ إِذْ دَمَّرْنَا بَابِلَ قَالَ أَتَى اللَّهَ الْقَوْمَ هُتَلَفَةٌ ﴿١٠١﴾ لَمَّا خَسَفَ الْقَمَرُ أَدْنَىٰ إِلَهُ يَدْعُو ۖ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عِندَ رَبِّهِمْ خِزْفًا مِّنَ الْحَبِّ أَوْ أَصْحَابًا لَّفَتَّ حَوْلَهُمْ قُلُوبُهُم مُّارَ الْوَعْدِ ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا ﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّتَاعًا لَّيْسَ بَالْخَالِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّتَاعًا لَّيْسَ بَالْخَالِدِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّتَاعًا لَّيْسَ بَالْخَالِدِينَ ﴿١٠٥﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّتَاعًا لَّيْسَ بَالْخَالِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّتَاعًا لَّيْسَ بَالْخَالِدِينَ ﴿١٠٧﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّتَاعًا لَّيْسَ بَالْخَالِدِينَ ﴿١٠٨﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّتَاعًا لَّيْسَ بَالْخَالِدِينَ ﴿١٠٩﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مَّتَاعًا لَّيْسَ بَالْخَالِدِينَ ﴿١١٠﴾

قال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه يقول الله تعالى لئيه محمد ﷺ (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب ، فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ (ولئن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) أي يملهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات . وقال الضحاك عن ابن عباس فتمنوا الموت - فسلوا الموت وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة قوله : فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . قال قال ابن عباس لو تمنى يهود الموت لماثوا . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطائفي حدثنا عطاء بن محمد الأعمش قال لا أظنه إلا عن للمهاجرين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لو تمنوا الموت لشرق أجفهم برقه ، وهنأه أمانيد صحيحة إلى ابن عباس ، وقال ابن جرير في تفسيره وبلغنا أن النبي ﷺ قال (لو أن اليهود تمنوا الموت لماثوا ولأروا مقاعد من النار ولو خرج الذين يهاولون رسول الله ﷺ (لرجوا لا يجدون أهلا ولا مالا) ، حدثنا بذلك أبو كريب حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن يزيد الرقي حدثنا فرات عن عبد الكريم به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار حدثنا سرور بن التيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قال قول الله ما كانوا ليتمنوه بما قمت أيديهم . قلت أرايتك لو أنهم أجبا الموت حين قيل لهم تمنوا الموت أراهم كانوا ميتين قال : لا والله ما كانوا ليموتوا ولو تمنوا الموت وما كانوا ليتمنوه وقد قال الله ما سمعت (ولئن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) وهذا غريب عن الحسن ، ثم هذا الذي فسره ابن عباس الآية هو اللتين وهو السماء على أي الفريقين أكذب منهم أو من للسليين على وجه الباهلة ، وقوله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والريبع بن أنس رحمهم الله تعالى ، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) ولا يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن الموت الذي ترون منه فإنه ملائكة ثم تردون إلى عالم العيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فهم عليهم لما أن الله تعالى لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى دعوا إلى الباهلة والسماء على أكذب الطائفتين منهم أو من للسليين فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون لأنهم لو كانوا جازمين بما فيه لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا علم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله ﷺ وفد نجران من النصارى بفسد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعندهم وعندهم إلى الباهلة ، فقال تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاهدك من العلم فقل تعالوا ننزع أنا وبناتكم ونساءكم ونساءكم وأئمتنا وأئمتكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض والله لأن باهلت هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف ، فشد ذلك جنوا للعلم وبدلوا الجزية عن يدهم صاغرون فضرها عليهم وبث منهم أبا عبيدة بن الجراح أمينا ، ومثل هذا للذي أو قريب منه قول الله تعالى لئيه أن يقول للمشركين (قل من كان في الضلالة فليمد له الرحمن مدا) أي من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله بما هو فيه ومده له واستدرجه كما سيأتي تخروجه في موضعه إن شاء الله تعالى

وأما من فسر الآية على معنى (إن كنتم صادقين) أي في دعواكم فتمنوا الآن الموت ولم تعرض هؤلاء الباهلة كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ، وبال إليه ابن جرير بسند ما قرب القول الأول ؟ فإنه قال القول في تأويل قوله

تعالى (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) الآية فهذه الآية مما احتج الله سبحانه وتعالى على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجرة وفتح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قضية (١) عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من النصراني إذ خاطبوه في عيسى بن مريم عليه السلام وجادلوه فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من البهالة ، فقال لفريق اليهود إن كنتم تسمعون فسمعون الموت فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم تسمعون فإنا نمنعكم فإما نصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونفسها وكدر عيشها من الله لكم لكي يعطيكم (٢) أميتكم من الموت إنا نمنعكم فإما نصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونفسها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما يزعمون من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطون ونحن الحقون في دعوانا وانكشف أمرنا وأمركم لهم فامتعت اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلمها ، أنها إن تمت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها كما امتنع فريق النصراني (الذين جادلوا النبي ﷺ في عيسى إذ دعوا للبهالة من البهالة) .

فهذا الكلام منه أوله حسن وآخره فيه نظر ، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل إذ يقال إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعوائهم أنهم يمتنون الموت فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح ونفي الموت وكمن صالح لا يمتنى الموت بل يود أن يمصر ليزداد خيراً وترتفع درجته في الجنة كما جاء في الحديث « خيركم من طال صومه وحسن عمله » ولم مع ذلك أن يقولوا على هذا فما أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا يمتنون في حال الصحة الموت ، فكيف تلموننا بما لا يلزمكم ؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى ، فأما على تفسير ابن عباس فلا يلزم عليه شيء من ذلك بل قيل لهم كلام نصف إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فإهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم ، واعلموا أن البهالة تستأصل الكاذب لا محالة ، فلما يتقنوا ذلك وعرفوا صدقه تكلوا عن البهالة لما يملكون من كذبهم وافتراءهم وكتائبهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونفته وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه ، فعمل كل أحد باطلهم وخزيرهم وضلالهم وعنادهم عليهم لئلا ينال الله التوبة إلى يوم القيامة وسميت هذه البهالة تنبأ لأن كل محق يود لو أهلك الله لليل للناظر له ولا سباً إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره وكانت البهالة بالموت لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يملكون من سوء ما لهم بعد الموت ، ولهذا قال تعالى (ولن يمتنعوا أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) ولتجندهم أحرص الناس على حياة (أي على طول العمر لما يملكون من ما لهم النس) وعاقبتهم عند الله الخسارة لأن الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم وما يجاذرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من للشركيين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهيدي عن سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الذين أشركوا) قال الأعمش ، وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث الثوري وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . قال وقد اتفقنا على سند تفسير الصحابي ، وقال الحسن البصري ولتجندهم أحرص الناس على حياة . قال المناقب أحرص الناس وأحرص من للشرك على حياة يود أحدهم أي يود أحد اليهود كما يدل عليه نظم السبائي ، وقال أبو العالية يود أحدهم أي أحد المجوس وهو يرجع إلى الأول لو يصر ألف سنة قال الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (يود أحدهم لو يصر ألف سنة) قال هو كقول الفارسي « ده هزار سال » يقول عشرة آلاف سنة . وكذا روى عن سعيد بن جبير نفسه أيضاً ، وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن علي بن الحسن بن شقيق سمعت أبي يقول حدثنا أبو حمزة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (يود أحدهم لو يصر ألف سنة) قال هو قول الأعاجم هزار سال نوروز ومهرجان (٣) وقال مجاهد (يود أحدهم لو يصر ألف سنة) قال : حيث إليهم الحظيطة طول العمر وقال مجاهد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس

(١) مكنها بالأصل وفي تفسير الطبري أن يدعوهم وما بين الفوسين آخر العبارة لم يوجد بالأصل وصح من الطبري اه

(٢) عبارة ابن جرير في تفسيره بل إن أعطيتهم اه (٣) نس تفسير ابن جرير سال زه نوروز مهرجان حر اه

(وما هو بحززه من العذاب أن يمر) أى وما هو بمنجيه من العذاب ، وذلك أن للشرك لا يرجو بشأ بعد للوث فهو يجب طول الحياة وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بماضيح مانعته من العلم وقال الموفى عن ابن عباس (وما هو بحززه من العذاب أن يمر) قال هم الذين عادوا جبرائيل ، قال أبو العالفة وابن عمر لما ذاك بنبته من العذاب ولا منجيه منه . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية يهود أحرص على الحياة من هؤلاء وقد ود هؤلاء لو يمر أحدهم ألف سنة وليس ذلك بحززه من العذاب لو يمر كما يمر إيليس لم ينفعه إذ كان كافراً ، (والله بصير بما يعملون) أى خير بصير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازى كل عامل بماله

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۚ ﴾

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولى لهم ثم اختلفوا في السبب الذى من أجله قالوا ذلك فقال بعضهم إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته (ذكر من قال ذلك) حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلاف نسألك عنهن لآلهن إلا نبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لى ذمة وما أخذ يعقوب على ينيه لئن أنا حدثتكم عن شيء فمردقوه لتأبني على الإسلام » فقالوا ذلك لك فقال رسول الله ﷺ « سلوا عما شئتم » قالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن ، أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وما الرجل وكيف يكون الله كره منه والأنتى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن وليه من الملائكة ؟ فقال النبي ﷺ « عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتأبني ؟ » فأعطوه ماشاء الله من عهد وميثاق فقال « نشهدتك بالله أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فقال سقمه منه فنذر لله نذرأ لئن عافاه الله من مرضه ليحرم من أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحوم الإبل وأحب الشراب اليه ألبانها » قالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اشهد عليهم (١) ، وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأبها عسلا كان له الولد والشبه بإذن الله عز وجل وإنا علاماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله وإنا علاماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله عز وجل » قالوا اللهم نعم « قال اللهم اشهد ، وأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تمام عتاه ولايتام قلبه » قالوا اللهم نعم قال « اللهم اشهد » قالوا أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فحدثنا نجماصك أو تمارك قال « فإن وليي جبريل ولم يمت الله نبياً قط إلا وهو وليه » قالوا فحدثنا تمارك ولو كان وليك سواء من الملائكة تأبناك وسدقناك قال « ولما يتمكن أن تصدقوه ؟ قالوا إنه عدونا فأئز الله عز وجل (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه - الى قوله - لو كانوا يعلمون) فحدثنا بأذا يضبب على غضب وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي النصر هاشم بن القاسم وعبد الرحمن بن حميد في تفسيره عن أحمد بن يونس كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام ، ورواه أحمد أيضاً عن الحسين بن محمد للروزي عن عبد الحميد بنحوه وقد رواه محمد بن إسحق بن يسار ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب فذكره مرسل وزاد فيه قالوا فأخبرنا عن الروح قال « فأنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه جبريل وهو الذى يأتيني » قالوا اللهم نعم ولكنه عدو لنا وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك السماء فلولاً

(١) عبارة تميم بن جرير « أشهد الله عليكم » الخ

ذلك امتحانك فأزل الله تعالى فيهم (قل من كان عدوا لجبريل - إلى قوله - لا يعلمون) وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد الصلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أقبلت يهود على رسول الله ﷺ فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن حصة أشياء فإن أنبأتنا هن عرفنا أنك نبى وابتعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على نبيه إذ قال والله على ما هاتول وكل قال «هاتوا» قالوا فأخبرنا عن علامة النبى فقال «تمام عيناه ولا ينم قلبه» قالوا أخبرنا كيف تؤث المرأة وكيف تذرك قال «يلتقى الماءان فإذا علاماء الرجل ماء المرأة أذ كرت وإذا علاماء المرأة ماء الرجل أنتت» قالوا أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه قال «كان يشتكى عرق النساء فلم يجد شيئا يلائمه الا ألبان كذا» قال أحمد قال بعضهم يعى الإبل فحرم لحومها قالوا صدقت قالوا أخبرنا ما لهذا الرعد قال «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب يسديه أو في يديه عناق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله تعالى» قالوا فما هذا الصوت الذى نسمع؟ قال «صوته» قالوا صدقت قالوا أما جئت واحدة وهى التى تتأكل ان أخبرتنا بها انه ليس من نبى الاوله ملك يأتيه بالحجر فأخبرنا من صاحبك؟ قال «جبريل عليه السلام» قالوا جبريل ذاك الذى ينزل بالحرب والقتال والمذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان فأزل الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) إلى آخر الآية ، ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن الوليد به ، وقال الترمذى حسن غريب . وقال سيفى تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرنى القاسم بن أبى بزة أن يهود سألوا النبى ﷺ عن صاحبه الذى ينزل عليه بالوحى قال «جبرائيل» قالوا فإنه عدو لنا ولا يأتي إلا بالحرب والشدة والقتال فنزلت (قل من كان عدوا لجبريل) الآية قال ابن جرير قال مجاهد قال يهود يا محمد ما نزل جبريل الا بشدة وحرب وقتل فإنه لا عدو فنزل (قل من كان عدوا لجبريل) الآية قال البخارى قوله تعالى (من كان عدوا لجبريل) قال عكرمة جبر وميك وإسراف: عبد إيل : الله : حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر حدثنا حميد عن أنس بن مالك ، قال سمع عبد الله بن سلام يقدم رسول الله ﷺ وهو فى أرض بختر فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إني سألتك عن ثلاث لا يعلمن الا نبى : ما أول أشراط الساعة وما أول طلع أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه قال وأخبرني به جبرائيل أخاها قال جبريل ؟ قال «نعم» قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك) «وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من الشرق الى الغرب . وأما أول طلع يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ؛ وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت قال : أشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله . يارسول الله إن اليهود قوم بهت واتهم ان يعلموا بسلامي قبل أن تسلمهم ييهتفون ، فجات اليهود فقال لهم رسول الله ﷺ «أرأيتم إن أسلم» قالوا أمأذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا هو شرنا وابن شرنا واتنصوه فقال هذا الذى كنت أخاف يارسول الله - اغرد به البخارى من هذا الوجه وقد أخرجه من وجه آخر عن أنس بنحوه وفى صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قريب من هذا السياق كما سيأتى فى موضعه ان شاء الله تعالى وحكاية البخارى كما تقدم عن عكرمة هو المشهور أن إيل هو الله وقد رواه سفيان الثورى عن خفيف عن عكرمة ورواه عبد بن حميد عن إبراهيم ابن الحكم عن أبيه عن عكرمة ، ورواه ابن جرير عن الحسين بن يزيد الطحان عن أسحق بن منصور عن قيس ابن حاصم عن عكرمة انه قال ان جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبد الله . إيل الله ورواه يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس مثله سواء وكذا قال غير واحد من السلف كما سيأتى قريبا ومن الناس من يقول إيل عبارة عن عبد والسكبة الأخرى هى اسم الله لأن كلمة إيل لا تتغير فى الجميع فوزاته عبد الله عبد الرحمن عبد الملك عبد القدوس عبد السلام عبد الكافى عبد الجليل فبعد موجودة فى هذا كله واختلفت الأسماء المضاف إليها وكذلك جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل ونحو ذلك وفى كلام غير العرب يقدمون المضاف إليه على المضاف والله أعلم

ثم قال ابن جرير وقال آخرون بل كان سبب قتلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عمر بن الخطاب في أمر النبي ﷺ (ذكر من قال ذلك) حدثني محمد بن النضر حدثني ربيعة بن علي عن داود بن أبي هند عن الشعبي ، قال نزل عمر الرواح فرأى رجلا يتدبرون أحجاراً يصلون إليها فقال ما بال هؤلاء ؟ قالوا يزعمون أن رسول الله ﷺ صلى ههنا ، قال فكفر ذلك ، وقال أما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواد صلاهنا ثم أرغل فتركه ثم أنشأ يحدثهم فقال كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن ومن القرآن كيف يصدق التوراة فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا : يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك (قلت) ولم ذلك قالوا لأنك تمشاننا وتأتينا قتلنا إني أتيتكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق القرآن ، قالوا ومروا رسول الله ﷺ فقالوا يا ابن الخطاب ذاك صاحبك فالحق به قال قتلتم لهم عند ذلك نشدكم بالله الذي لا إله إلا هو وما استراكم من حقه وما استودعكم من كتابه هل تعلمون أنه رسول الله ؟ قال فسكتوا فقال لهم طاهم وكبيرهم أنه قد غلط عليكم فأجيبوه قالوا فأتت طاهم وكبيراً فأجيبه أنت قال أما إذا نعدت بما حدثت بما نعلم أنه رسول الله فقلت وعلم إذا هلكنم ، قالوا إنا لم نهلك ، قلت كيف ذلك وأنت تعلمون أنه رسول الله ولا تبعونه ولا تصدقونه ، قالوا إن لنا عدواً من الملائكة وسلمنا من الملائكة وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة قتل ومن عدوك ومن سلمك ؟ قالوا عدونا جبريل وسلمان ميكائيل قالوا إن جبرائيل ملك القضاة والفظة والإعصار والتشديد والحداب وهو هذا ، وإن ميكائيل ملك الرحمة والرأفة والتخفيف وهو هذا ، قال قلت وما منزلتهما من ربهما عز وجل ؟ قالوا أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، قال قلت فوالذي لا إله إلا هو إنيهما والذى بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم من سألهمها وما ينفي لجبرائيل أن يسلم عدو ميكائيل وما ينفي ميكائيل أن يسلم عدو جبرائيل قال ثم قلت فأيتهما سلم الله عليه وسلم فلهفته وهو خارج من خوخة لي فلان قال (يا ابن الخطاب ألا تترك آيات نزلن قبلك ؟ قرأ على) (من كان عدوا لجبرائيل فإنه نزل على قلبك بإذن الله حق قرأ الآيات : قال قلت بأبي وأمي أنت يا رسول الله والذي بعتك بالحق قد جئت أنا أريد أن أخبرك وأنا أصعب اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالحبر ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج : حدثنا أبو أسامة عن جلاله أنبأنا عامر قال انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود فقال أنشدكم بالله أنزل التوراة على موسى هل تجدونها محمداً في كتبكم قالوا نعم ، قال فما يمنعكم أن تتبعوه قالوا إن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له من الملائكة كفلاً وإن جبرائيل كفلاً لعمر وهو الذي يأتيه وهو عدونا من الملائكة وميكائيل سلمنا لو كان ميكائيل الذي يأتيه أسلمنا ، قال فإني أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله . قال عمر وإني أشهد ما ينزلان إلا بإذن الله وما كان ميكائيل ليسلم عدو جبرائيل وما كان جبرائيل ليسلم عدو ميكائيل فبينما هو عندهم إذ مر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام إليه عمر فأثامه وقد أنزل الله عز وجل (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين) وهذان الإنسانان يبدلان على أن الشيء حدث به من عمر ولكن فيه إقطاع بينه وبين عمر فإنه لم يدرك زمانه والله أعلم . وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا يزيد بن زريع عن سميد بن قتادة قال ذكرنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود فلما انصرفوا جئوا بإتقال لهم عمر أما والله ما جئتكم بكم ولا رغبة فيكم ولكن جئت لأسمع منكم فسألمهم وسألوهم ، فقالوا من صاحب صاحبكم ؟ قال لهم جبرائيل فقالوا ذلك عدونا من أهل السماء يطلع محمداً على سرنا وإذا جاء بالحرب والسنة ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل وكان إذا جاء جاء بالحسب والسلم ، قال لهم عمر هل تعرفون جبرائيل وتكررون محمداً ﷺ فأنزلهم عمر عند ذلك وتوجه نحو النبي ﷺ لبعثته حديثهم فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية (قل من كان عدوا لجبرائيل فإنه نزل على قلبك بإذن الله) الآيات .

ثم قال حدثني للثي حدثنا آدم حدثنا أبو جعفر حدثنا قتادة . قال بلغنا أن عمر أقبل إلى اليهود يوماً فذكر نحوه

وهذا في تفسير آدم وهو أيضاً منقطع وكذلك رواه أسباط عن السبي عن عمر مثل هذا أو نحوه وهو منقطع أيضاً وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن السلمي حدثنا أبو جعفر عن حسين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال إن جبرائيل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا قال عمر (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين) قال فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه ، ورواه عبد بن حميد عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر هو الرأزي ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثني هشيم أخبرنا حسين بن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى (من كان عدوا لجبريل) قال قالت اليهود للسلميين لو أن ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم اتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والنعمة ، وإن جبرائيل ينزل بالعذاب والنعمة فإنه عدو لنا ، قال فنزلت هذه الآية حدثنا يعقوب أخبرنا هشيم أخبرنا عبد الملك عن عطاء بنحوه ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (قل من كان عدوا لجبريل) قال قالت اليهود إن جبرائيل عدو لنا لأنه ينزل بالشدّة والسنة وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والحسب فجبرائيل عدو لنا . فقال الله تعالى (من كان عدوا لجبريل) الآية .

وأما تفسير الآية فقوله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) فإنه نزل على قبله بإذن الله ، أي من عادى جبرائيل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالله كراحمكم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك فهو رسول من رسل الله المبكي ، ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسوله يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) الآيتين فحكم عليهم بالكفر المحقق إذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم ، وكذلك من عادى جبرائيل فإنه عدو لله لأن جبرائيل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه وإنما ينزل بأمر ربه كما قال (وما تنزل إلا بأمر ربك) الآية وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب) ولهذا غضب الله لجبرائيل على من عاداه ، فقال تعالى (من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قبله بإذن الله مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب المقدسة (وهدى وبشرى المؤمنين) أي هدى قبلهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك إلا للمؤمنين كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) الآية وقال تعالى (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الآية ثم قال تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين) يقول تعالى من عاداني وملائكتي ورسلي . ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) . (وجبريل وميكائيل) وهذا من باب عطف الخاص على العام فإنهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل ثم خصصا بالذكر لأن السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه وقرن معه ميكائيل في اللفظ لأن اليهود زعموا أن جبرائيل عدوهم وميكائيل ولهم فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضاً ولأنه أيضاً ينزل على أنبياء الله بعض الأحيان كما قرن برسول الله ﷺ في ابتداء الأمر ولكن جبرائيل أكثر وهي وظيفته وميكائيل موكل بالنبات والقطر هكذا بالهدى وهذا بالرزق كما أن إسرائيل موكل بالنفع في الصور للبعث يوم القيامة ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يقول «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرائيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» وقد تقدم ما حكاه البخاري ورواه ابن جرير عن عكرمة وغيره أنه قال جبرئيل ، وإسراف : عبيد ، وإيل : الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن إسماعيل بن أبي رجا عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : إنما كان قوله جبرائيل كقوله عبد الله وعبد الرحمن ، وقيل جبرئيل ، وقيل : الله . وقال محمد بن إسحق عن الزهري عن علي بن الحسين قال : أتدرون ما اسم جبرائيل من أسمائكم قلنا لا ، قال : اسمه عبد الله وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى الله عز

عهد إليهم في محمد ﷺ : والله ما عهد إلينا في محمد وما أخذ علينا ميثاقاً . فأنزل الله تعالى (أو كما عاهدوا عهداً نبئناه فريق منهم) وقال الحداد البصري : في قوله (بل أكثرهم لا يؤمنون) قال نعم ليس في الأرض عهد يماهدون عليه إلا قرضوه وينذوه يماهدون اليوم ويخضون غداً . وقال السدي : لا يؤمنون بما جاء به محمد ﷺ . وقال قتادة . نبئناه فريق منهم ، أي فضله فريق منهم . وقال ابن جرير أصل النبذ الطرح والإلقاء ومنه مما القيط منبذاً ومنه مما النبذ وهو الخمر والزبيب إذا طرحا في الماء . قال أبو الأسود الدؤلي :

نظرت إلى عنوانه فنبذته • كنبذك فلما أخلفت من نعالكا

قلت فالقوم ذمهم الله بنبيهم اليهود التي تقدم الله إليهم في التحك بها والقيام بحقتها ولهذا أعظم ذلك التكذيب بالرسول للبعوث إليهم وإلى الناس كافة الذي في كتبهم نمته وصفته وأخباره وقد أمروا فيها باتباعه وموازرتة ونصرتة كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية وقال هنا (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) الآية أي طرح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم بما فيه البشارة بمحمد ﷺ وراء ظهورهم ، أي تركوها كأنهم لا يملكون ما فيها وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه ولهذا أرادوا كيداً برسول الله ﷺ وراء ظهورهم ، أي تركوها كأنهم لا يملكون ما فيها وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه وكان الذي تولى ذلك منهم رجل يقال له لبيد بن الأعصم لعنه الله وقبحه فأطلع الله على ذلك رسوله ﷺ وعفا عنه وأخذ كما ثبت ذلك مبسوطة في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كما سيأتى بيانه . قال السدي (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) قال : لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فافتقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فذلك قوله (كأنهم لا يملكون) وقال قتادة في قوله (كأنهم لا يملكون) قال : إن القوم كانوا يملكون ولكنهم نبذوا علمهم وكتموه وجحدوا به وقال السدي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى (واتبوا ما تلقوا من الشياطين) الآية وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فثام من الجن والإنس واتبوا الشهوات ، فلما أرجع الله إلى سليمان ملكه وقام الناس على الدين كما كان وإن سليمان ظهر على كتبهم فدفنوا تحت كرسيه وتوفي سليمان عليه السلام حدثان ذلك فظهر الإنس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان وقالوا هذا كتاب من الله نزل على سليمان فأخفاه عنا فأخذوا به فجعلوه ديناً فأنزل الله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) الآية واتبوا الشهوات التي كانت تلو الشياطين وهي للمازف واللجب وكل شيء يصد عن ذكر الله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن الأعشى عن المنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل بها . قال : فأكفروه جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ (واتبوا ما تلقوا من الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب سلمة بن جبادة السوائي حدثنا أبو معاوية عن الأعشى عن المنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان سليمان عليه السلام إذا أراد أن يدخل الحلاء أو يأتي شيئاً من نسائه أعطى الجرادة وهي امرأة خاتمه ، فلما أراد أن يبتلى سليمان عليه السلام بالأي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال هاتني خاتمي فأخذه ولبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس . قال فجاءها سليمان فقال لها هاتني خاتمي فقالت كذبت لست سليمان ، قال فعرف سليمان أنه بلاء ابتلى به . قال فانطلقت الشياطين فكشفت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم أخرجوها وقرءوها على الناس وقالوا إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ، قال فبرىء الناس من سليمان وكفروه حتى بعث الله محمداً ﷺ فأنزل عليه (وما كفر

سليمان ولكن الشياطين كفروا (ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن عمران وهو الحارث قال : سينا نحن عند ابن عباس رضى الله عنهما إذ جاء رجل فقال له من أين جئت ، قال من العراق قال من أيه ؟ قال من الكوفة قال فالحير ؟ قال تركتهم يتحدثون أن عليا خارج اليهم ففرغ ثم قال عاقل لا بالك ؟ لوشعرا ما نكحنا نساء ولا نسما ميراثه ، أما إني سأحدثكم عن ذلك ، إنه كانت الشياطين يترقون السمع من السماء فيبصرهم أحدهم بكلمة حق قد سمعها فإذا جرت منه وصديق كذب معها سبعين كذبة قال فتشربها قلوب الناس ، قال فأطلع الله عليا سليمان عليه السلام فدفعها تحت كرسيه ، فلما توفي سليمان عليه السلام قام شيطان الطريق فقال هل أدلكم على كنز للمنع الذي لا كنز له مثله ؟ : تحت الكرسى . فأخرجوه فقال هذا سحر فتناشها الأمم حتى بقاياها ما يتحدث به أهل العراق فأزل الله عز وجل (وأتبعوا ما تاتوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) الآية وروى الحاكم في مستدركه عن أبي زكريا النبى عن محمد بن عبد السلام عن إسحق ابن إبراهيم عن جرير (١) به وقال السدى في قوله تعالى (وأتبعوا ما تاتوا الشياطين على ملك سليمان) أى على عبد سليمان قال كانت الشياطين تسعد الى السماء فتسعد منها مقاعد للسمع فيستمعون من كلام اللامات ما يكون فى الأرض من موت أو غيب أو أمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة الناس فيجذبونه كما قالوا فلما أستمتم الكهنة كذبوا لهم وأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فآكتب الناس ذلك الحديث فى الكتب وفى ذلك فى بنى إسرائيل أن الجن تعلم القيب ، فثبت سليمان فى الناس جميع تلك الكتب فجعلها فى صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسى إلا احترق ، وقال لا أسمع أحدا يذكر أن الشياطين يملكون القيب إلا ضربت عنقه ، فلما مات سليمان ذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان وخلف من بعد ذلك خلف تمثل الشيطان فى صورة إنسان ثم أتى قرا من بنى إسرائيل فقال لهم هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدًا (٢) قالوا نعم قال فاحرقوا تحت الكرسى فذهب معهم وأرام للكان وقام ناحته فقالوا له فاذن فقال لا ولكنى ههنا فى أيديكم فإن لم تجدوه فأتقونى فحرقوا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان إن سليمان إنما كان يضبط الناس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار وذهب وفشا فى الناس أن سليمان كان ساحرا وأخذت بنو إسرائيل تلك الكتب فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها فذلك حين يقول الله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال الربيع بن أنس إن اليهود سألو أبا محمد ﷺ زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيضممهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أزل الله إلينا منا وإتهم سألوه عن السحر وخاصموه فأزل الله عز وجل (وأتبعوا ما تاتوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يملكون السحر) وإن الشياطين عمدوا الى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك فدفنوه تحت كرسى مجلس سليمان وكان عليه السلام لا يلم القيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخذعوا الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه ومحمد الناس عليه فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجوا من عنده وقد خرجوا (٣) وقد أدهش الله حجته ، وقال مجاهد فى قوله تعالى (وأتبعوا ما تاتوا الشياطين على ملك سليمان) قال كانت الشياطين تستمع الوحي فاسمعوها من كلمة زادوا فيها مائتين مثله فأرسل سليمان عليه السلام الى ما كتبوا من ذلك فلما توفى سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر وقال سعيد بن جبير كان سليمان يتبع ما فى أيدي الشياطين من السحر فأخذهم منهم فدفنوه تحت كرسيه فى بيت خزائنه فلم يجدوا الشياطين أن يصلوا اليه فدفنت الى الإنس قالوا لهم أهدرون ما العلم الذى كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا نعم قالوا فإنه فى بيت خزائنه تحت كرسيه فاستتار به الإنس واستخرجوه وعملوا بها فقال أهل الحجاز كان سليمان يحمل بهذا وهذا سحر فأزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم برادة سليمان عليه السلام فقال تعالى (وأتبعوا ما تاتوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وقال محمد بن إسحق بن يسار سمعت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود (١) كننا فى الأسفل ولم يذكر الروى فإن كان عين الأول فالواجب أن يقال ورواه الحاكم أو قال فى آخره : مثله . (٢) أى لا يندب بالأكل منه (٣) فى نسخ ابن جرير وقد حذروا .

عليه السلام فكتبوا أصناف السحر من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا ليفعل كذا وكذا حتى إذا صنعوا (١) أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بجائهم على قش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه : هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم . ثم دفعوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان إلا بهذا فأقنوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لأنهم الله فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان ابن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود ألا تعجبون من محمد يزعم أن ابن داود كان نبياً والله ما كان إلا ساحراً . وأنزل الله في ذلك من قولهم (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) الآية * وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا حسين بن الحجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس وليقل كذا كذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشئ وليقل كذا وكذا ، فكتبت وجعلت عنوانه . هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود عليها السلام من ذخائر كنوز العلم . ثم دفعه تحت كرسيه فلما مات سليمان عليه السلام قام إليس لعنه الله خطيباً فقال يا أيها الناس إن سليمان لم يكن نبياً إنما كان ساحراً فاتمسوا سحره في متاعه وبيوته ، ثم دفعهم على السكان الذي دفن فيه فقالوا والله لقد كان سليمان ساحراً أخذ سحره بهذا تعبدنا وبهذا قبرنا فقال للؤمنون بل كان نبياً مؤمناً فلما بعث الله النبي محمداً صلى الله عليه وسلم وذكر داود وسليمان قتلت اليهود انظروا إلى محمد يخط الحلق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء إنما كان ساحراً يركب الرج فأنزل الله تعالى (واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان) الآية * وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني : حدثنا الثعمر بن سليمان قال سمعت عمران بن جرير عن أبي مجلز قال أخذ سليمان عليه السلام من كل دابة عبداً فإذا أصيب رجل فسال بذلك العهد خلى عنه فزاد الناس السحر والسحر فقالوا هذا يعمل به سليمان بن داود عليهما السلام فقال الله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يملكون الناس السحر) * وقال ابن أبي حاتم حدثنا عاصم بن رواد حدثنا آدم حدثنا السدي عن زياد بن مولى ابن مصعب عن الحسن (واتبعوا ما تلو الشياطين) قال ثلث الشعر وثلاث السحر وثلاث الكهانة ، وقال حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي حدثني سرور بن القيرة عن عباد بن منصور عن الحسن (واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان) وتبعته اليهود على ملكه وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم يزل بها ولكنه إنما اتبع على ملك سليمان فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها وأنه لا تضار بين السياقات على اللبيب الفهم والله الهادي . وقوله تعالى (واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان) أي واتبعت اليهود الذين أوتوا الكتاب من بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفتهم لرسول الله محمد ﷺ ما تلو الشياطين أي ما تزويه وتخبر به وتحدثه الشياطين على ملك سليمان وعصاه بلى لأنه تضمن تلو تكذيب ، وقال ابن جرير « على » ههنا بمعنى في أي تلو في ملك سليمان وظنه عن ابن جريج وابن اسحق (قلت) والتضمن أحسن وأولى والله أعلم . وقول الحسن البصري رحمه الله : وكان السحر قبل زمان سليمان بن داود - صحيح لاشك فيه لأن السحرة كانوا في زمان موسى عليه السلام وسليمان بن داود بعده كما قال تعالى (ألم تر إلى اللات من بني إسرائيل من بعد موسى) الآية ثم ذكر القصة بعدها وفيها (وقتل داود جالوت وأكاه الله الملك والحكمة) وقال قوم صالح وهم قبل إبراهيم الخليل عليه السلام لنبيهم صالح إنما (أنت من السحرة) أي السحورين على المشهور : وقوله تعالى (وما أنزل على الملكيين يبابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيعلمون منهما ما فرغون به بين الرء وزوجه) اختلف الناس في هذا المقام فذهب بعضهم إلى أن « ما » نافية أعني التي في قوله (وما أنزل على الملكيين) قال القرطبي ما نافية ومطوف على قوله (وما كفر سليمان) ثم قال (ولصكن الشياطين كفروا يملكون الناس السحر وما أنزل على الملكيين) وذلك أن اليهود كانوا يزعمون أنه نزل به جبريل وميكائيل فأكد بهم الله

وجعل قوله (هاروت وماروت) بدلا من الشياطين قال يوصح ذلك إما لأن الجمع يطلق على الاثنين كما في قوله تعالى (فإن كان له إخوانه) أو لكونهما لها أرباع أود كرا من بينهم فتردهما تقدير الكلام ^(١) عنده يملكون الناس السحر يابل هاروت وماروت . ثم قال وهذا أولى ما حملت عليه الآية وأصح ولا يلتفت إلى مساواه ، وروى ابن جرير بإسناد من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (وما أنزل على للملكين يابل) الآية يقول لم ينزل الله السحر واستاده عن الربيع بن أنس في قوله (وما أنزل على للملكين) قال ما أنزل الله عليهما السحر قال ابن جرير تأويل الآية على هذا (وأتبعوا ما تاتوا الشياطين على ملك سليمان) من السحر وما كسر سليمان ولا أنزل الله السحر على للملكين ولكن الشياطين كفروا يملكون الناس السحر يابل هاروت وماروت فيكون معنى بالملكين جبريل وميكائيل عليهما السلام لأن سحره اليهود فيما ذكرت كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود فأكذبهم الله بذلك وأخبر نبيه محمدا ^(٢) أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرسليان عليه السلام مما سخروه من السحر وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك يابل وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلا ن اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس وردا عليهم . هذا لفظه بحروفه وقد قال ابن أبي حاتم حدثت عن عبيد الله بن موسى أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عطية (وما أنزل على للملكين) قال . ما أنزل الله على جبريل وميكائيل السحر قال ابن أبي حاتم وأخبرنا الفضل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا يعل بن عيسى أن أسد أخبرنا بكر بن عبيد الله بن مصعب أخبرنا الحسن بن أبي جعفر أن عبد الرحمن بن أبيزى كان يقرأها (وما أنزل على للملكين داود وسليان) وقال أبو العالية لم ينزل عليهما السحر يقول علما الإيمان والكفر فالسحر من الكفر فهما ينيان عنه أشد التهوراء ابن أبي حاتم ، ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول وإن ما يميني الذي وأطال القول في ذلك وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض وأذن لهما في تعلم السحر اختيارا لمبادءه وامتناعا بعد أن ين لمبادء ذلك مما ينهي عنه على السنن والرسول وادعى أن هاروت وماروت مطمان في تعلم ذلك لأنهما امتثلا ما أمراه وهذا الذي سلكه غرب جدا وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعمه ابن حزم وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأها (وما أنزل على للملكين) ويقول هما عجلان من أهل بابل ووجه أصحاب هذا القول الإنزال بمعنى الحلقة لا بمعنى الإجماع كما في قوله تعالى (وما أنزل على للملكين) كما قال تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) (وينزل لكم من السماء رزقا) وفي الحديث « ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء » وكما قال « أنزل الله الحبر والشر » وحكي القرطبي عن ابن عباس وابن أبيزى والحسن البصري أنهم قرءوا (وما أنزل على للملكين) بكسر اللام ، قال ابن أبيزى ومجادود وسليان قال القرطبي فعلى هذا تكون مائة أيضا وذهب آخرون إلى الوقف على قوله (يملكون الناس السحر) وما نافية : قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا الثبت عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل عن قول الله (يملكون الناس السحر وما أنزل على للملكين يابل هاروت وماروت) فقال الرجلان يملكان الناس ما أنزل عليهما وسليان الناس ما لم ينزل عليهما فقال القاسم ما أبالي أيها كانت . ثم روى عن يونس عن أنس بن عياض عن بعض أصحابه أن القاسم قال في هذه القصة لأبالي أي ذلك كان أني أتست به . وذهب كثير من السلف إلى أنها كانتا ملكين من السماء وإنما أنزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان ، وقد ورد في ذلك حديث شرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده رحمه الله كما سنورده إن شاء الله وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة للأئمة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا فيكون تخصيما لهما فلا تعارض حيث أنه سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق وفي قول إنه كان من اللائكة . قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا

(١) قوله تقدير الكلام الخ كذا بالفتح التي بأيدينا ولا يخفى أنه لا يتم التقدير الا بذكر البديل منه على إعرابه وهو قوله ولكن الشياطين ولله شط من التنسخ اه (٢) في تفسير ابن جرير القديم

إبليس أئى) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف بما وقع من إبليس لعنه الله تعالى . وقد حكاه القرطبي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار والسدى والكلبي (ذكر الحديث الوارد في ذلك إن صح سندُه ووقفه ويان الكلام عليه)

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده أخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت اللاتكة أى رب (أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) قالوا وربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من اللاتكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فأهبطاهما إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ففجأتهما فسألاهما نفسها فقالت لا والله حتى تسكبا بهذه الكلمة من الإسرار فقالا والله لا نشارك بالله شيئاً أبداً ، فذهبت عنهما ثم رجعت بهى تحمله فسألاهما نفسها فقالت لا والله حتى تتحلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبداً ، فذهبت ثم رجعت فبصع خر تحمله فسألاهما نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر ، فشربا فسكرا ففصعا عليهما وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله متركنا شيئاً آتيناها على إلا قد فلتماه حين سكرتما فغفيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا . وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن الحسن بن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن بكير - به وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير وهذا وهو الأنصارى السلى مولاهم للدين الحذاء وروى عن ابن عباس وأبي أمامة بن سهل بن حنيف ونافع وعبد الله بن كعب بن مالك وروى عنه ابنه عبد السلام وبكر بن مضر وزهير بن محمد وسعيد بن سلمة وعبد الله بن طهية وعمر بن الحارث ويحيى بن أيوب : وروى له أبو داود وابن ماجه وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم يحكم فيه شيئاً من هذا ولا هذا فهو مستور الحال (١) وقد تفرده به عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ ، وروى له ما تابع من وجه آخر عن نافع كما قال ابن مردويه حدثنا دعلج ابن أحمد حدثنا هشام بن علي بن هشام حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره بطوله ، وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا القاسم أخبرنا الحسين وهو سعيد بن داود صاحب التفسير أخبرنا القرقي بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يا نافع انظر طلعت الحمرأ ؟ قلت لا مرتين أو ثلاثاً ثم قلت قد طلعت لا مرحباً بها ولا أهلاً قلت سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع : قال ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال : قال لي رسول الله ﷺ « إن اللاتكة قالت يارب كيف صبرك على بنى آدم في الخطايا والدنوب قال إني ابتليتهم وعانيتهم قالوا لو كنا مكانهم ما عسيناك ، قال فاختاروا ملكين منك قال فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت » وهذا إن شاء الله بيان جيداً . وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لاعتن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار قال ذكرت اللاتكة أعمال بنى آدم وما يأتون من الدنوب فقيل لهم اختاروا منكم اثنين فاختاروا هاروت وماروت فقال لهما إني أرسل إلى بنى آدم رسلاً وليس بيني وبينكم رسول انزلوا لا تفركا في شيئاً ولا تزينا ولا تقربا الخمر ، قال كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذى أهبطاهما حتى استكملا جميع ما نهيتهما ، رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن عاصم عن مؤمل عن سفيان الثوري به ورواه ابن جرير أيضاً حدثني الثملى أخبرنا الملى وهو ابن أسد أخبرنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأحبار فذكره فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين وسالم أثبت في أبيه من مولاة نافع فندار الحديث ورجع إلى كعب الأحبار عن كعب بن إسرائيل والله أعلم

(١) قال ابن حبان : كان خطيباً ومثالب وقال ابن الصلاني لا يعرف حاله من تهذيب التهذيب .

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قال ابن جرير : حدثني حدثنا الحجاج أخبرنا حماد عن خالد الحذاء عن عمر بن سعيد قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس وإنها خاصمت إلى للكين هاروت وماروت فراودها عن نفسها فأبى عليها إلا أن يملأها السلام الذي إذا تكلم به أحد يرجع به إلى السماء فملأها فتكلمت به فخرجت إلى السماء فمسخت كوكباً — وهذا الإسناد رجاله ثقات وهو غريب جداً — وقال ابن أبي حاتم أخبرنا القائل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا معاوية عن أبي خالد عن عمر بن سعيد عن علي رضي الله عنه . قال هما ملكان من ملائكة السماء ، يعني (وما أنزل على للكين) ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بسنده عن ميثق عن مولاة جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي مرفوعاً وهذا لا يثبت من هذا الوجه . ثم رواه من طريقين آخرين عن جابر عن أبي الطيف عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لعن الله الزهرة فلأنها هي التي قتلت للكين هاروت وماروت » وهذا أيضاً لا يصح وهو منكر جداً والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني الثاني بن إبراهيم أخبرنا الحجاج بن منتال حدثنا حماد عن علي بن زيد عن أبي عثمان التدي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا جيباً لما كثرت بنو آدم وعصوا دعت للملائكة عليهم والأرض والجبال ربنا لا تخلفهم فأوحى الله إلى للملائكة إلى أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ولوزنتم قطعتم أيضاً . قال فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسمونها يندخت ، قال فوقما بالخطيئة فكانت للملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فلما وقفا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض إلا أن الله هو الغفور الرحيم ، فغلبا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي أخبرنا عبد الله بن أبي عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن التميمي ابن عمرو ويونس بن خباب عن مجاهد . قال كنت نازلاً على عبد الله بن عمر في سفر ، فلما كان ذات ليلة قال لعلنا انظر هل طلعت الحمراء لأمرجباً بها ولا أهلاً ولا حياًها الله هي صاحبة للكين ، قالت للملائكة إارب كيف تدع عصاة بني آدم وهم يفسكون الدم الحرام ويتكفون عمارك ويفسدون في الأرض قال إني ابتليتهم فدل إن ابتليكم بمثل الذي ابتليتهم به فتمت كآلدي يفعلون ، قالوا لا ، قال : فاختاروا من خياركم اثنين فاختاروا هاروت وماروت ، فقال لهما إني مهبطكم إلى الأرض وعاهد إليكما أن لا تمسكا ولا تزنيا ولا تخونا فأهبطا إلى الأرض وألقى عليهما الشهوة وأهبط لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة فترسنت لهما فراودها عن نفسها ، فقالت إني على دين لا يصح لأحد أن يأتيني إلا من كان لي مثله ، قالا وما دينك ، قالت المجوسية ، قالا الشرك هذا شيء لا تهر به فكثت عنهما ماشاء الله تعالى . ثم تعرضت لهما فراودها عن نفسها . فقالت ماشئنا غير أن لي زوجاً وأنا أكره أن يطلع على هذا مني فأقتضع فإن أقرتني إلى يدي وشرطت لي أن تصعدا لي إلى السماء فقلت فأقرا لها يديها وأتيلها فإيران ثم صعدا بها إلى السماء فلما أتياها بها إلى السماء اختلطت منهما وقطعت أجنحتهما فوقما خافين ناديين يبيكان وفي الأرض نبي يدعو بين الجنين فإذا كان يوم الجمعة أجب . قالوا : لو أتينا فلاناً فسلناه فطلب لنا التوبة فأتياه فقال رحماك الله كيف يطلب التوبة أهل الأرض لأهل السماء قالا إنا قد ابتلينا ، قال الثاني يوم الجمعة فأتياه ، فقال ما جيت فيكما بشيء الثاني في الجمعة الثانية فأتياه ، فقال اختارا فقد خيرتكما إن اخترتما معافاة الدنيا وعذاب الآخرة وإن أحببتا فمذاب الدنيا وأتيا يوم القيامة على حكم الله ، فقال أحدهما إن الدنيا لم يمض منها إلا التليل . وقال الآخر ويحك إني قد أطلعتك في الأمر الأول فأطعنني الآن إن عذاباً يعني ليس كعذاب يقي . فقال إنا يوم القيامة على حكم الله فأخاف أن يعذبنا ، قال لا . إني أرجو إن علم الله أنا قد اخترنا عذاب الدنيا معافاة عذاب الآخرة أن لا يعذبهما علينا ، قال فاختارا عذاب الدنيا فجلباني بكرات من حديد في قلب مملوءة من نار عليهما سافلهما — وهذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر —

وقد تقدم في رواية ابن جرير من حديث معاوية بن صالح عن نافع عنه رفعه وهذا أثبت وأصح إسناداً ثم هو والله أعلم من رواية بن عمر عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم عن أبيه . وقوله إن الزهرة نزلت في صورة امرأة حسناء وكذا في الروى عن علي فيه فرياة جداً

وأقرب ماورد في ذلك ماقل ابن أبي حاتم أخبرنا عصام بن رواد أخبرنا آدم أخبرنا أبو جعفر حدثنا الربيع بن أنس عن عيسى بن عباد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما وقع الناس من بعد آدم عليه السلام فيما وقعوا فيه من المأصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء يارب هذا العالم الذى إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا فيما وقعوا فيه وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل المال الحرام والزنا والسرقة وشرب الخمر فجالوا يدعون عليهم ولا يدعرونهم فقبل إنهم في غيب فلم يدعروهم ، فقبل لهم اختاروا من أفضلكم ملكين آمرهما وأنهاهما فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وجعل لهما شهوات بنى آدم وأمرهما الله أن يعبدا ولا يشركا به شيئاً ونهاى عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر فلبثا في الأرض زماناً يحسبان بين الناس بالحق وذلك في زمن إدريس عليه السلام ، وفى ذلك الزمان امرأة حسناء في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وإنهما أتيا عليها فخصما لها في القول وأراداها على نفسها فأبى إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها فسألاها عن دينها فأخرجت لهما صنماً فقالت هذا أعبده فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبا فعبدا ماشاء الله ، ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها ففعلت مثل ذلك فذهبا ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها فلما رأت أنهما قد أتيا أن يعبدا الصنم قالت لهما اختاراً أحداً لخلال الثلاث إما أن تعبدا هذا الصنم وإما أن تقتلوا هذه النفس وإما أن تشربوا هذه الخمر ، فقالا كل هذا لا يبغي وأهون هذا شرب الخمر فشربا الخمر فأخذت فيهما فوقما المرأة فخشيا أن يغيب الإنسان عنهما فقتلاه فلما ذهب عنهما السكر وعلم ما وقعا فيه من الخطيئة أريادا أن يصعدا إلى السماء فلم يستطعا وحسب بينهما وبين ذلك وكشف النطاء فبا بينهما وبين أهل السماء فنظرت الملائكة إلى ماوقاهيه فنجبوا كل العجب وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية ففصلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض ففزل في ذلك (وللملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) فقبل لهما اختار عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة ، فقالا أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع وينذهب وأما عذاب الآخرة فلا اطعاه له ، فاختارا عذاب الدنيا ، ففصلوا بإبل ففهما يبدبان وقد رواه الحاكم في مستدركه مطولاً عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن إسحق ابن راهويه عن حكيم بن سلم الرازي وكان ثقة^(١) عن أبي جعفر الرازي به : ثم قال صحيح الإسناد لم يخرجاه فهذا أقرب ما روى في شأن الزهرة والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا مسلم أخبرنا القاسم بن الفضل الحداني أخبرنا يزيد بنى الفارسي عن ابن عباس أن أهل سبأ الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فأروهم يعملون بالمأصي فقالوا : يارب أهل لأرض كانوا يعملون بالمأصي ، فقال الله أتم معي وهم في غيب عنى فقبل لهم اختاروا منك ثلاثة فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبوا إلى الأرض على أن يحكموا بين أهل الأرض وجعل فيهم شهوة الآدميين فأمروا أن لا يشربوا خمرًا ولا يقتلوا نفساً ولا يزنوا ولا يسجدوا لولن ، فاستقال منهم واحد فأقبل فأهبط اثنان إلى الأرض فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها مناهية فهوياها جبراً ثم أتيا منزلها فاجتمعا عندها فأراداها فقالت لهما لا حق تشربا خمرى وتقتل ابن جارى وتسجدوا لولن فقالا لا نسجد ثم شربا من الخمر ثم قتلا ثم سجدا فأشرف أهل السماء عليهما وقالت لهما أخبرني بالكلمة التى إذا قلتماها طرمتا فأخبراهما فطارت فسمعت سمرة وهى هذه الزهرة وأماها فأرسل إليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ففهما مناطان بين السماء والأرض وهذا السياق فيه زيادة كثيرة وإغراب ونكارة والله أعلم بالصواب .

وقال عبد الرزاق : قال معمر قال قتادة والزهري عن عبيد الله بن عبد الله (وما أنزل على الملكين بإبل هاروت وماروت) كانا ملكين من الملائكة فأهبطا ليحكم بين الناس ، وذلك أن للملائكة سفروا من حكم بنى آدم

(١) ولكنه كان يروى القرائ كما في التريب وفى تهذيب التهذيب عن أحمد . كان يحدث عن عتبة أحداث شرا ب ١ هـ .

فحاکت الیها امرأۃ فحاکا لها ثم ذهب یصلان فیل بینهما وین ذلك ثم خیرا بین عذاب الدنیا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنیا . وقال معمر : قال قتادة فکنا یعلمان الناس السحر فأخذ علیهما أن لا یعلما أحداً حتى یقولا إنجبا نحن فتنة فلا تکفر .

وقال أسباط عن السدی أنه قال کان من أمر هاروت وماروت أنهما طمعا علی أهل الأرض فی أحكامهم قتل لها إلی أعطیت بنی آدم عشرأ من الشبوات فبها یصوتی ، قال هاروت وماروت : ربنا لو أعطیتنا تلك الشبوات ثم نزلنا لحکمتنا بالعدل ، فقال لها انزلا فقد أعطیتكما تلك الشبوات العشر فاحکما بین الناس فنزلا یابل دیناوند فکنا یحکمان حتی إذا أمسیا عرجا فإذا أصبحا هبطا فلم یزالا كذلك حتی أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنهما واسما بالمریة الزهرة وبالنطیة یدخت وبالفارسیة أناهید : فقال أحدهما لصاحبه إنها لصحبی ، قال الآخر قد أردت أن أذكر لك فاستجیبت منك . فقال الآخر ، هل لك أن أذكرها لنفسی ؟ قال نعم ، ولكن کیف لنا بعذاب الله ؟ قال الآخرنا لنرجو رحمة الله . فلما جاءت تخاصم زوجها ذکر إلیها نفسها فقالت لا حتی تقضی لی علی زوجی قضی لها علی زوجها ثم واعدتها خربة من الحرب یأتیانها فبها فأتیهاها فکذا فلما أراد الی یواقها قالت ما أنا بالدی أئمل حتی تغیرانی بأی کلام تصعدان إلی السماء وبأی کلام تنزلان منها فأخبرها فکلمت فصعدت فأنساها الله تعالى ما تنزل به فنثبت مکانها وجعلها الله کوکبا ، فكان عبد الله بن عمر کلما رآها لها وقال هذه اتی فقتل هاروت وماروت ، فلما کان اللیل أراد أن یصعدا فلیطفا فمرقا الملکة فخیرا بین عذاب الدنیا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنیا فملقا یابل وجلا بکلان الناس کلایها وهو السحر .

وقال ابن أبی نجیح عن مجاهد أما شأن هاروت وماروت فإن لللائكة عجب من ظلم بنی آدم وقد جادتهم الرسل والکتاب والینبأ فقال لهم ربهم تعالى : اختاروا منکم ملکیان أنزلهما یحکمان فی الأرض فاختاروا فلم یألوا هاروت وماروت ، فقال لهم حین أنزلها أعجبنا من بنی آدم من ظلمهم ومصیبتهم وإنما تأتیهم الرسل والکتاب من وراء وراء وإنکما لیس بینی وبینکما رسول فافصلا کذا وكذا ودعا کذا کذا ، فأمرها بأمر ونهاها ، ثم نزل علی ذلك لیس أحد أطوع لله منها فصکما فصلا فکنا یحکمان فی النار بین بنی آدم فإذا أمسیا عرجا فکنا مع الللائكة ویترلان حین یصبحان فیحکمان فیعدلان حتی أنزلت علیها الزهرة فی أحسن صورة امرأة تخاصم قرضیا علیها فلما قامت وجد کل واحد منهما فی نفسه ، فقال أحدهما لصاحبه وجدت : مثل الی وجدت ؟ قال نعم ، فبئنا البهأن اقتبانا قضی لك ، فلما رجعت قالا وقضی لها فأتیها فکشفها لها عن عورتیها وإنما كانت سواتهما فی أنفسهما ولم یكونا کبنی آدم فی شهوة النساء ولدتها ، فلما بلغنا ذلك واستحلا اقتتنا فطارت الزهرة فرجعت حیث كانت ، فلما أمسیا عرجا فزجرا فلم یؤذن لها ولم یحملها أجنحتها فاستنأما رجل من بنی آدم فأتیها فقال ادع لنا ربك فقال کیف یشفع أهل الأرض لأهل السماء قالا سمنا ربك یدکرک بغیری السماء فوعدهما یوماً وغدا یدعولها ففدا لها فاستجیب له فغیرا بین عذاب الدنیا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما إلی صاحبه فقال ألا تعلم أن أقواج عذاب الله فی الآخرة کذا وكذا فی الجحلم وفی الدنیا تسع مرات مثلاً ؟ فأمر أن یترلا یابل قتم عذابهما ، وزعم أنهما معلقان فی الحديد مطوینان یصفغان بأجنحتهما وقد روی فی قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعین کجهاد والسدی والحسن البصری وقاتدة وأبی العالیة والأزهري والریع بن أنس ومقاتل بن حیان وغيرهم وقصبا خلق من القسریین من التقدیمین والتأخرین ، وحاصلها راجع فی تفصیلها إلی أخبار بنی إسرائيل إذ لیس فیها حدیث مرفوع صحیح متصل الإسناد إلی الصادق المصدوق للمصوم الذی لا یطق عن الموی وظاهر سیاق القرآن إجمال القصة من غیر بسط ولا إطناب فنحن تؤمن بما ورد فی القرآن علی ما أراه الله تعالى والله أعلم بحقیقة الحال

وقد ورد فی ذلك أثر غریب وسیاق عجیب فی ذلك أحینا أن تنب علیه قال الإمام أبو جعفر بن جریر رحمه الله تعالى : أخبرنا الریع بن سلیمان أخبرنا ابن وهب أخبرنا ابن أبی الزناد حدثنی هشام بن عروة عن أبیه عن عائشة

زوج النبي ﷺ أنها قالت : قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حدثة ذلك تسأل عن أشياء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به وقالت عائشة رضي الله عنها لمرءة : يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفها فكانت تبكي حتى إلى لأرحمها وتقول : إني أخاف أن أكون قد هلكت : كان لي زوج فهاب عني فدخلت حتى عجزوا فشكوت ذلك إليها فقالت إن فعلت ما أمرك به فأجعله بأنك ، فلما كان الليل جاءته بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن شيء حتى وقفنا يابل وإذا برجلين معطين بأرجلهما قتالا : ما جاء بك ؟ قلت تسلم السحر قتالا إنما نحن فتنة فلا تكفري فأرجعي فأبيت وقلت . لا قالا . فاذهي إلى ذلك التور فبولي فيه فذهبت ففرغت ولم أفعل فرجعت إليهما قتالا : أفعلت ، قلت . نعم قتالا . هل رأيت شيئاً ؟ قلت لم أر شيئاً قتالا . لم تفعل ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأربيت وأبيت قتالا . اذهبي إلى ذلك التور فبولي فيه فذهبت فاقشعرت وخفت ثم رجعت إليهما وقلت . قد فعلت قتالا . هل رأيت ؟ قلت لم أر شيئاً قتالا . كذبت لم تفعل ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فلبك على رأس أمرك فأربيت وأبيت قتالا . اذهبي إلى التور فبولي فيه فذهبت إليه فلبت فيه فرأيت فارساً مقعاً بحديد خرج مني فذهبت في السماء وظاب حتى ما أراه فلتها قتلت قد فعلت قتالا فما رأيت قلت رأيت فارساً مقعاً خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه قتالا صدقت ذلك إيمانك خرج منك اذهبي قتلت للمرأة والله ما أعلم شيئاً وما قالا لي شيئاً فقالت لي لم تريد شيئاً إلا لكان خذي هذا القميص فابذري فلبثت وقلت . اطلعي فأطلعت وقلت احتلي فأحتلت ثم قلت افركي فأفركت ثم قلت أيسبي فأيسبت ثم قلت اطلعي فأطلعت ثم قلت اخبرني فأخبرت . فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلا لكان سقط في يدي وندمت والله . يائمه المؤمنين ما فعلت شيئاً ولا أفعله أبداً ، ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان به مطولاً كما تقدم وزاد بعد قولها ولا أفعله أبداً فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف أن يفتنها بما لا يعلم إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لوكان أبوك حيناً أو أحدهما . قال هشام فوجاءتنا أنثيانها بالضيان . قال ابن أبي الزناد . وكان هشام يقول . إنهم كانوا من أهل الورع والحشية من الله ثم يقول هشام . لو جاءتتا مثلها اليوم لوجئت نوكي أهل حق وتكلف فيبر علي فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها وقد استدلت بهذا الأثر من ذهب إلى أن الساحر له تمكن في قلب الأعيان لأن هذه المرأة بليت واستغلت في الحلال . وقال آخرون : بل ليس له قدرة إلا على التخيل كما قال تعالى (سحرنا أعين الناس واسترهم يوم وجأوا بسحر عظيم) وقال تعالى (يغفل إليه من سحرهم أنها تسمى) استدلت به على أن بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل ديناوند كما قاله السدي وغيره ، ثم السليل على أنها بابل العراق ما قال ابن أبي حاتم أخبرنا عن ابن الحسين أخبرنا أحمد بن صالح حدثني ابن وهب حدثني ابن هبة ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد الرازي عن أبي صالح الفخاري أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر يابل وهو يسير فجاه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال . إن حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني أن أصلي بأرض القبرة ونهاني أن أصلي يابل فإني ملعونة ، وقال أبو داود أخبرنا سليمان بن داود أخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد الرازي عن أبي صالح الفخاري . أن علياً مر يابل وهو يسير فجاه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال إن حبيبي صلى الله عليه وسلم نهاني أن أصلي في القبرة ونهاني أن أصلي بأرض يابل فإني ملعونة . حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أزهر وابن هبة عن حجاج بن شداد عن أبي صالح الفخاري عن علي بن عيسى حديث سليمان بن داود قال : فلما خرج منها برز ، وهذا الحديث حسن عند الإمام أبي داود لأنه رواه وسكت عليه ففيه من الفقه كراهية الصلاة بأرض بابل كما تكره بديار حمود الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخول إلى منازلهم إلا أن يكونوا باكين . قال أصحاب الحديث : وبعد ما بين بابل

وهي من إقليم العراق عن البحر الحيط الغربي وقال له أوقيانوس سبعون درجة ويسمون هذا طولا ، وأما عرضها وهو بعد ما بينا وبين وسط الأرض من ناحية الجنوب وهو السامت لحظ الاستواء اثنان وثلاثون درجة والله أعلم وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس قال : فإذا أتاهم الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي وقال له : إنما نحن فتنة فلا تكفر وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان ، فعرفا أن السحر من الكفر قال فإذا أتى عليهما أمرهما أن يأتي مكان كذا وكذا فإذا أتاهما عين الشيطان فعليه فإذا تعلمه خرج منه الثور فنظر إليه ساطعا في السماء فيقول : يا حسرتاه يا ويله ماذا صنع . وعن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذه الآية : ثم أنزل للملكان بالسحر ليعلموا الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس فأخذ عليهم اللثاق أن لا يعلموا أحدا حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر رواه ابن أبي حاتم وقال قتادة : كان أخذ عليهما أن لا يعلموا أحدا حتى يقولوا إنما نحن فتنة أي بلاء ابتلينا به فلا تكفر . وقال السدي إذا أتاهم إنسان يريد السحر وعظه وقال له : لا تكفر إنما نحن فتنة فإذا أتى قالا له : انت هذا الرماد قبل عليه فإذا بآل عليه خرج منه نور فقطع حتى يخل السماء وذلك الإيمان وأقبل شيء أسود كهرة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء وذلك غضب الله فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر) الآية . وقال سفيان عن حجاج عن ابن جريج في هذه الآية لا ينجري على السحر إلا كافر ، وأما الفتنة فهي الحنة والاختيار ومنه قول الشاعر

وقد فتن الناس في دينهم • وخلي ابن عفان شرا طويلا

وكذلك قوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام حيث قال (إن هي إلا فتنتك) أي ابتلاؤك واختبارك وامتنحك (فصل بها من تشاء وتهدي من تشاء) وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر واستشهد له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البرزاني حديثا محمد بن المثنى أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن عبد الله قال : « من أتى كاهنا أو سحرا أصدقته بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » وهذا إسناد صحيح وله شواهد أخر ، وقوله تعالى (فيعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي يعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون من الأفاعيل للنمومة ما إنهم ليرفون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والاتلاف ، وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان ليضع عرشه على السماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقرهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة ، يجيء أحدهم فيقول . ما زلت بخلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول إبليس : لا والله ما صنعت شيئا ! ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال : فيقر به ويدنيه ويلزمه ويقول : نعم أنت » وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلق أو نحو ذلك أو وعد أو نبضة أو نحو ذلك من الأسباب النفسية للفرقة والمرء عبارة عن الرجل وتأنيبه امرأة وشئ كل منهما ولا يجهلان والله أعلم

وقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) قال سفيان الثوري إلا قضاء الله وقال محمد بن إسحاق إلا بتخيلة الله بينه وبين ما أراد ، وقال الحسن البصري (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) قال نعم من شاء الله أسلمهم عليه ومن لم يشأ الله لم يسلط ولا يستطيعون من أحد إلا بإذن الله كما قال الله تعالى وفي رواية عن الحسن أنه قال لا يضرب هذا السحر إلا من دخل فيه ، وقوله تعالى (ويتملون ما يضرهم ولا ينفعهم) أي يضرهم في دينهم وليس له نفع يوازي ضرره (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) أي ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم ذلك أنه ماله في الآخرة من خلاق ، قال ابن عباس ومجاهد والسدي من نصيب ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ماله في الآخرة من حصة عند الله ، وقال عبد الرزاق وقال الحسن ليس له دين ، وقال

سعد عن قتادة (ماله في الآخرة من خلاق) قال ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة وقوله تعالى (ولبس ما شربوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ولو أنهم آمنوا واتقوا لثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) يقول تعالى (ولبس) البديل ما استبدلوا به من السحر عوضاً عن الإيمان ومتابعة الرسول لو كان لهم علم بما وعظوا به (ولو أنهم آمنوا واتقوا لثوبة من عند الله خير) أي ولو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا الحرام لكان ثوبة الله على ذلك خير لهم مما استخاروا لأنفسهم ورضوا به كما قال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون)

وقد استدل بقوله (ولو أنهم آمنوا واتقوا) من ذهب إلى تكفير الساحر كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف وقيل بل لا تكفر ولكن حده ضرب عتقه لما رواه الشافعي وأحمد بن حنبل قال أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع معبلاً بن عبدة يقول كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن اتقوا كل ساحر وساحرة قال فتتلنا ثلاث سواحر وقد أخرجه البخاري في صحيحه أيضاً وهكذا صرح أن حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها فأمرت بها فقتلت قال الإمام أحمد بن حنبل صرح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ في قتل الساحر وروى الترمذي من حديث إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن علي بن فضال عن الأزدى أنه قال قال رسول الله ﷺ « حد الساحر ضربه بالسيف » ثم قال لا ترفقه مرفوعاً إلا من هذا الوجه ، وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث والصحيح عن الحسن بن علي بن فضال عن جندب موقوفاً قلت قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن بن علي بن فضال عن جندب مرفوعاً والله أعلم . وقد روى من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحيى الموتى وراة رجل من صالحى المهاجرين فلما كان القد جاء مشتملاً على سيفه وذهب يلعب ليه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال إن كان صادقاً فليحي نفسه وتلا قوله تعالى (أتأتون السحر وأنتم تبصرون) فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فصبغته ثم أطلقه والله أعلم ، وقال الإمام أبو بكر الخلال : أخبرنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيى بن سعيد حدثني أبو إسحق عن حارثة قال كان عند بعض الأمراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملاً على سيفه فقتله قال أراه كان ساحراً وحمل الشافعي رحمه الله قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركاً والله أعلم

(فصل) حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر ، قال : وربما كفروا من اعتقد وجوده ، قال وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حماراً والحمار إنساناً إلا أنهم قالوا إن الله خلق الأعيان عند ما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة فأما أن يكون للمؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم ، فلا خلافاً للفلاسفة والمنجمين والصائبة ، ثم استدلل على وقوع السحر وأنه يخلق الله تعالى بقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) ومن الأخبار بأن رسول الله ﷺ سحر وأن السحر عمل فيه وبقصة تلك المرأة مع عائشة رضى الله عنها وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلمها السحر قال وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة ، ثم قال يمد هذا

(المسئلة الخامسة) في أن العلم بالسحر ليس بتبصيص ولا محذور - اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لداته شريف وأيضاً لعموم قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم يكون المعجز معجزاً واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً وما يكون واجباً فكيف يكون حراماً وقيحاً ؟ هذا لفظه بهرورة في هذه المسئلة وهذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدها قوله العلم بالسحر ليس بتبصيص إن عني به ليس بتبصيص عقلاً فخالقوه من المعتزلة يمتنعون هذا وإن عني أنه ليس بتبصيص شرعاً ، ففي هذه الآية الكريمة تبصيص تعلم السحر وفي الصحيح « من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد » وفي السنن « من عقد عقدة ونشق فيها قدس سحر » ، وقوله ولا محذور اتفق المحققون

على ذلك . كيف لا يكون محظورا مع ما ذكرناه من الآيات والحديث وافئذ المحققين يقتضى أن يكون قد نص على هذه المسئلة آئمة العلماء أو أكثرهم وأين نصوصهم على ذلك ؟ ثم إدخاله علم السحر في عموم قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فيه نظر لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعى ولم يقل إن هذا منه ثم ترقى إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجز إلا به ضعيف بل فاسد لأن أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هى القرآن العظيم الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلا ، ثم من العلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وآئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره ، ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه والله أعلم .

ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازى أن أنواع السحر ثمانية (الأول) سحر الكذابين والكشدين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة للنجرة وهى السيارة وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر وهم الذين يث الله بهم إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم مثالا لقتالهم ورادا لمذهبهم ، وقد استقصى فى (كتاب السركموم) فى مخاطبة الشمس والنجوم) المنسوب إليه كاذرها القاضى ابن خلكان وغيره وقال إنه تاب عنه ، وقيل بل صفه على وجه اظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد ، وهذا هو للظنون به إلا أنه ذكر فيه طريقهم فى مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة وكيفية ما يفعلون وما يلبسون وما يتسكعون به .

قال (والنوع الثانى) سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، ثم استدل على أن الوهم له تأثير بأن الانسان يمكنه أن يمشى على الجسر للوضوح على وجه الأرض ولا يمكنه المشى عليه إذا كان ممدودا على نهر أو نحوه ، قال وكما أجمعت الأطباء على نهى للمعروف عن النظر الى الأشياء الحجر والمصروع الى الأشياء القوية المعنوية أو الدوران وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت مطيعة للأوهام . قال : وقد اتفق العقلاء على ان الإصابة بالعين حق - وله أن يستدل على ذلك بما ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » - قال فإذا عرفت هذا فقول النفس التى تفعل هذه الأفعال قد تكون قوية جدا فتستغنى فى هذه الأفعال عن الاستعانة بالآلات والأدوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج الى الاستعانة بهذه الآلات ، وتحقيقه ان النفس إذا كانت متعلقة على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السماوات صارت كأنها روح من الأرواح السماوية فكانت قوية على التأثير فى مواد هذا العالم ، وإذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه الذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تأثير البتة إلا فى هذا البدن ، ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء ، والامتناع عن الناس والرياء (قلت) وهذا الذى يشير إليه هو التصرف بالحال : وهو على قسمين تارة تكون حالا صحيحة شرعية يتصرف بها فيها أمر الله ورسوله ﷺ ، ويترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهذه الأحوال مواهب من الله تعالى وكرامات للصالحين من هذه الأمة ولا يسمى هذا سحرا فى الشرع . وتارة تكون حالا فاسدة لا يتصل صاحبها ما أمر الله ورسوله ﷺ ولا يتصرف بها فى ذلك ، فهذه حال الأغنياء الخائفين للشرعية ولا يدل إعطاء الله إليهم هذه الأحوال على محبة لهم كما أن الدجال لمن الخوارق المعاديات مادلت عليه الأحاديث الكثيرة مع أنه مذموم شرما لعنه الله ، وكذلك من شابه من مخالفتى الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وبسط هذا يطول جدا وليس هذا موضعه :

قال (والنوع الثالث) من السحر الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن خلافا للفلاسفة والعرفاء وهم على قسمين . مؤمنون ، وكفار وهم الشياطين . قال واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية لما بينهما من الناسبة والقرب ، ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا ان الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والسخن والتجريد ، وهذا النوع هو الذى يسمى بالزنايم وعمل التيسير .

(النوع الرابع) من السحر التخيلات والأخذ بالعيون والشعيرة ومبناه على ان البصر قد يخطئ ويستغل بالهوى

المعين دون غيره ، ألا ترى ذا الشعبنة الحاذق يظهر عمل شيء يهزل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة شديدة وحيتئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انظروه فيتعجبون منه جداً ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الحواطر إلى ضد ما يريد أن يعمل ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجها لظن الناظرون لكل ما يفعله (قال) وكلما كانت الأحوال تضيد حسن البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد كان العمل أحسن مثل أن يجلس الشعبنة في موضع مضى جداً أو مظلم فلا شفق القوة النظرة على أحوالها والحالة هذه .

(قلت) وقد قال بعض المفسرين : إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبنة ولهذا قال تعالى (فلما اتقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال تعالى (نجّل إليه من سحرهم أنها تسعى) قالوا : ولم تكن تسعى في نفس الأمر والله أعلم .

(النوع الخامس من السحر) الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركبة على النسب الهندسية كفضاس على فرس في يده يوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالوق من غير أن يمس أحد . - ومنها الصور التي تصورها الروم والمهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان حتى يصورونها ضاحكة وبكية إلى أن قال : فهذه الوجوه من لطيف أمور التخاليل قال : وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل (قلت) يعني ما قاله بعض المفسرين : إنهم عمدوا إلى تلك الحبال والصي فحشوها زيتاً فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزيت فيخيل إلى الرائي أنها تسعى باختيارها قال الرازي : ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج في هذا الباب علم جر الأبطال بالآلات الخفية قال : وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لأن لها أسباباً معلومة يقينية من اطلاع عليها قدر عليها (قلت) ومن هذا القبيل حيل النصارى على طاعتهم بما يرونهم إياه من الأنوار كفضية قائمة الكنيسة التي لهم يلد القدس وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم . وأما الخواص فهم معترفون بذلك ولكن يتأولون أنهم يجمعون عمل أصحابهم على دينهم فيرون ذلك سائماً لهم . وفيهم شبهة على الجبهة الأضياء من متعبدى الكرامة الذين يرون جواز وضع الأحاديث في التزييف والترهيب فيدخلون في عداد من قال رسول الله ﷺ فيهم « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وقوله « حدثوا عني ولا تكذبوا على » فانه من يكذب على يلبس النار » ثم ذكرهنا حكاية عن بعض الرهبان وهو أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ضعيف الحركة فاذا سمعته الطيور ترق له فتذهب فتلق في وكرة من تمر الزيتون ليتبلغ به قصده هذا الراهب إلى صنعة طائر على شكله وتوصل إلى أن جملة أجوف فاذا دخلته الريح يسمع منه صوت كهو صوت ذلك الطائر وانقطع في صومعة ابتناها وزعم أنها على قبر بعض صالحهم وعلق ذلك الطائر في مكان منها فاذا كان زمان الزيتون فتح باباً من ناحية فيدخل الريح إلى داخل هذه الصورة فيسمع صوتها كل طائر في شكله أيضاً فتأتى الطيور فتحمل من الزيتون شيئاً كثيراً فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ولا يدرون ما سببه ، ففتنهم بذلك وأوهم أن هذا من كرامات صاحب هذا القبر عليهم لعائن الله للتأبية إلى يوم القيامة .

(قال الرازي : النوع السادس من السحر) الاستماعة بخواص الأدوية يعنى في الأعطمة والبهانات قال : واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فان تأثير المغناطيس مشاهد (قلت) يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعى القفر ويضلل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعي أنها أحوال له من محالطة التيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات .

قال (النوع السابع من السحر) التعليق للقلب وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الاسم الأعظم وإن الجن يطيعونه ويتقادون له في أكثر الأمور فإذا اتفق أن يكون السامع لذلك ضعيف العقل قليل الخبير اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والخافة فاذا حصل الخوف ضفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء (قلت) هذا الخط يقال له التنبه وإعاريوج على الضعفاء القول من بني آدم . وفي علم القرامسة ما يرشد إلى

معرفة كامل العقل من ناقصه ، فإذا كان النبيل حاذقاً في علم القراسة عرف من يتقاده من الناس من غيره قال (النوع الثامن من السحر) السعي بالقيمة والتقريب^(١) من وجود خفية لطيفة وذلك شائع في الناس (قلت) القيمة على قسمين تارة تكون على وجه التحريض بين الناس وتفرق قلوب المؤمنين فهذا حرام متفق عليه ، فأما إن كانت على وجه الإصلاح بين الناس واتلاف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث « ليس بالكذب من يتم خيرا » أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث « الحرب خدعة » وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة : جاء إلى هؤلاء فسمى اليهم عن هؤلاء كلاماً ، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئاً آخر ، ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس واقتربت ، وإنما يحسن على مثل هذا الكلام ذو البصيرة النافذة والله السمان . ثم قال الرازي فهذه جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه (قلت) وإنما أدخل كثيراً من هذه الأنواع للدعوة في فن السحر للطائفة مداركها لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه ولهذا جاء في الحديث « إن من البيان لسحراً » ومعنى السحر لكونه يقع خفياً آخر الليل ، والسحر الرثة وهي حمل القذاذ ومبيت بذلك لحفاها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة . انتص سحره أي انتفض رثته من الحوف . وقالت عائشة رضي الله عنها : توفي رسول الله ﷺ بين سحري وسحري ، وقال تعالى (سحرُوا أميين الناس) أي أغفوا عنهم عملهم والله أعلم .

وقال أبو عبد الله القرطبي : وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافاً للمعتزلة وأبي إسحق الاسفرايين من الشافعية حيث قالوا أنه تمويه وتخيل قال ومن السحر ما يكون بحفة اليد كالشعوذة والشموذى البريد لحفة سيده قال ابن فارس : وليست هذه الكلمة من كلام أهل البادية قال القرطبي : ومنه ما يكون كلاماً يحفظ ورق من أسباط الله تعالى وقد يكون من عهد الشياطين ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك قال : وقوله عليه السلام « إن من البيان لسحراً » يحتمل أن يكون مدحاً كما نحوه طائفة ، ويحتمل أن يكون نداء لليلة قال : وهذا أحسن قال لأنها تصوب الباطل حتى توم السامع أنه حق كما قال عليه الصلاة والسلام « قلعل بهسك أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له » الحديث .

(فصل) وقد ذكر الوزير أبو الظفر يحيى بن محمد بن هيرة رحمه الله في كتابه (الاشراف على مذاهب الاشراف) باباً في السحر فقال أجموا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال : لا حقيقة له عنده واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله ، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد يكفر بذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال إن تعلمه لينقيه أو ليجنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينشئه كفر ، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر . وقال الشافعي رحمه الله إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحره فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تضلل ما يلتصق منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر ، قال ابن هيرة : وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله ؟ فقال مالك وأحمد نعم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة لا ؛ فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد . وقال أبو حنيفة : لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين ، وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فإنه قال يقتل والحالة هذه قصاصاً قال وهل إذا تاب الساحر قبل توبته ؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم : لا قبل ، وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى قبل . وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر للمسلم وقال مالك وأحمد والشافعي : لا يقتل يسنى قصة لبيد بن الأعصم واختلفوا في السلسلة الساحرة فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس ، وقال الثلاثة حكماً حكم الرجل والله أعلم . وقال أبو بكر الحلال . أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - عمر بن هرون أخبرنا يونس عن الزهري : قال يقتل ساحر

السلمين ولا يقتل ساحر المشركين لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها . وقد قتل القرطبي عن مالك رحمه الله أنه قال في الذي يقتل إن قتل ساحره وحكى ابن خوز مندد عن مالك روايتين في الذي اذا سحر : إحداهما أنه يستتاب فإن أسلم والا قتل ، والثانية أنه يقتل وإن أسلم ، وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفرا كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر) لكن قال مالك إذا ظهر عليه لم تقبل نوبته لأنه كان نديق فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تابا قبلنا ، فإن قتل ساحره قتل قال الشافعي : فإن قالم أئتمد القتل فهو خطيئته تجب عليه الهدية .

﴿ مسألة ﴾ وهل يثقل الساحر حلا لسحره فأجاز سعيد بن المسيب فيها قتله عنه البخاري ، وقال طاهر الشعبي : لا بأس بالقتل وكره ذلك الحسن البصري ، وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت يا رسول الله هلا تشمرت ، فقال « أما الله فقد شغاني وخشيت أن أتبع على الناس شرا » وحكى القرطبي عن وهب : أنه قال يؤخذ سبع ورفات من صدر فتدق بين حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ويشرب منها للسحور ثلاث حسوات ثم يغتسل بباقيها فإنه يذهب ما به ، وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته (قلت) أشفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك وهما المودتان ، وفي الحديث « لم يتعوذ للتعوذ بمثلهما » وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشيطان :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعَا وَفَقُولُوا نُنْظَرُ وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنَّ يُرْسَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مِنَ بَشَاءِ اللَّهِ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقاتلهم وفصلهم ، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام مافيه تورية لما يقصدونه من التفتيس عليهم لئلا يظنوا أن يقولوا اسمع لا يقولوا راعنا ويوردون بالرعدة كما قال تعالى (من الذين هادوا يجرئون الكلام عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ، ولكن لنهزمهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون السام عليكم ، والسام هو الموت ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بوعليكم ، وإنما يستجاب لنا فهم ولا يستجاب لهم فينا ، والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلنا ، فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتقوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) وقال الإمام أحمد : أخبرنا أبو النضر أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا ثابت أخبرنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجريسي عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الجنة والصفار على من خالف أمري . ومن تشبه بقوم فهو منهم » . وروى أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن أبي النضر هاشم أخبرنا ابن القاسم به « من تشبه بقوم فهو منهم » فيه دلالة على التهيؤ الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تفرع لنا ولا تفرع عليها . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا نعيم بن حجاج أخبرنا عبد الله ابن المبارك أخبرنا مسعر عن ابن من وعون أو أحدهما أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال اعهد إلي ، فقال اذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فأقرأها ممكلا فانه خير بأمره أو شر بنهى عنه . وقال الأعمش عن خزيمة قال ما هم بمؤمنين في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) فانه في التوراة يا أيها المساكين . وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس (راعنا) أى أرعنا ممكلا . وقال الشجاع : عن ابن عباس (يا أيها

الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) قال كانوا يقولون لني صلى الله عليه وسلم أرعنا ممك وإعنا كقولك عاطنا . وقال ابن أبي حاتم وروى عن أبي العالية وأبي مالك والرياح بن أنس وعطية العوفي وقادة نحو ذلك ، وقال مجاهد (لا تقولوا راعنا) لا تقولوا خلافا ، وفي رواية لا تقولوا اصنع منا ونسمع منك . وقال عطاء لا تقولوا (راعنا) كانت لغة تقولها الأنصار فهي الله عنها . وقال الحسن : (لا تقولوا راعنا) قال الراعي من القول السخري منه نهام الله أن يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يدعوم إليه من الإسلام . وكذا روى عن ابن جريج أنه قال مثله وقال أبو صخر (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فيقول أرعنا ممك فاعظم الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقال ذلك له . وقال السدي : كان رجل من اليهود من بني قينقاع يدعى رفاعة بن زيد يأتي النبي ﷺ فإذا قيله فسلمه قال : أرعني ممك واصنع غير مسمع ، وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تغتم بهذا فكان ناس منهم يقولون : اسمع غير مسمع غير صاغر ، وهي كالتي في سورة النساء تقدم الله إلى المؤمنين أن لا يقولوا راعنا وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحو من هذا . قال ابن جرير والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله نهى المؤمنين أن يقولوا لنبى صلى الله عليه وسلم راعنا . لأنها كلمة كرهها الله تعالى أن يقولوها لنبى صلى الله عليه وسلم نظير الذى ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبة ولا تقولوا عدى ولكن قولوا فتى » وما أشبه ذلك . وقوله تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا للمشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابهمهم للمؤمنين ليقطع للوذة بينهم وبينهم ، ونبه تعالى على ما أنهم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذى شرعه لنبى محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى (والله يخلص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (مانسخ من آية) ما يبدل من آية . وقال ابن جريج عن مجاهد (مانسخ من آية) أى مانع من آية ، وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (مانسخ من آية) قال ثبت خطها وبديل حكمها حدث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم . وقال ابن أبي حاتم . وروى عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي نحو ذلك . وقال الضحاك (مانسخ من آية) مانسك وقال عطاء أما (مانسخ) فما ترك من القرآن . وقال ابن أبي حاتم يعنى ترك فلم ينزل على محمد ﷺ . وقال السدي (مانسخ من آية) نسخها قبضا . وقال ابن أبي حاتم : يعنى قبضا رفعا مثل قوله « الشيخ والشجة إذا زنيا فارجوها البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا لبس لهما ثالثا » وقال ابن جرير (مانسخ من آية) ما تنقل من حكم آية إلى غيره فبطله وتبره وذلك أن تحول الحلال حراما والحرام حلالا واللباس محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك إلا فى الأمر والنهى والمحظور والاطلاق والتنع والاباحة . فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ ، وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة أخرى إلى غيرها فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحوله ونقل عبارة إلى غيرها وسواء نسخ حكمها أو خطها إذ هى فى كتابها متسوخة . وأما علماء الأصول فاختلقت عباراتهم فى حد النسخ والأمر فى ذلك قريب ، لأن معنى النسخ الشرعى معلوم عند العلماء ولحظ بعضهم أنه رفع الحكم بدليل شرعى متأخر . فاندرج فى ذلك نسخ الأخف بالأثقل وعكسه والنسخ لا يبدله^(١) وأما تفاصيل أحكام النسخ وذكر أنواعه وشروطه فبسطة فى أصول الفقه . وقال الطبراني . أخبرنا أبو سبيل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد أخبرنا أبو أخينا العباس بن الفضل عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان

يقرأن بها قسما ذات ليلة يسليان فلم يجدوا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله ﷺ ، فذكرا ذلك له فقال رسول الله ﷺ ، إنها بما نسخ وأنسى فاملوا عنها فكان الزهري يقرأها (ما نسخ من آية أو نسخا) بضم النون الحقيقه سليمان بن الأ. ثم ضعف . وقد روى أبو بكر بن الأباري عن أبيه عن نصر بن داود عن أبي عبيد الله عن عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف مثله ثم روي في ذكره القرطبي وقوله تعالى (أو نسخا) قريء على وجهين بنسأها ونسخا ، فأما من قرأها بفتح النون والمزة بعد السين لعمادتها تؤخرها . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ما نسخ من آية أو نسخا) يقول ما تبدل من آية أو تتركها لا تبدلها . وقال مجاهد عن أصحاب ابن مسعود أو نسخا ثبت خطها وتبدل حكمها . وقال عبد بن حمير ومجاهد وعطاء أو نسخا تؤخرها ونرجسها . وقال عطية العوفي : أو نسخا : تؤخرها فلا تنسخها . وقال السدي مثله أيضا وكذا اليربيعي عن أنس ، وقال الضحاك (ما نسخ من آية أو نسخا) يعني الناسخ من للنسخ . وقال أبو العالية (ما نسخ من آية أو نسخا) يؤخرها عندها ، وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا عبيد الله بن إسماعيل البغدادي أخبرنا خلف أخبرنا الحفاف عن إسماعيل يعني ابن أسلم عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطبتنا عمر رضي الله عنه فقال يقول الله عز وجل (ما نسخ من آية أو نسخا) أي تؤخرها ، وأما على قراءة (أو نسخا) فقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة في قوله (ما نسخ من آية أو نسخا) قال كان الله عز وجل ينزل نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء وينسخ ما يشاء وقال ابن جرير . أخبرنا سواد بن عبد الله أخبرنا خالد بن الحارث أخبرنا عوف عن الحسن أنه قال في قوله (أو نسخا) قال : إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قرأ قرآنكم نسيه ، وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابن زبير أخبرنا محمد بن الزبير الجراحي عن الحجاج يعني الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان مما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بالليل وينساه بالنهار فأقرن الله عز وجل (ما نسخ من آية أو نسخا) نأت بخير منها أو مثلها) قال ابن أبي حاتم : قال لي أبو جعفر بن زبير ليس هو الحجاج بن أرطاة هو شيخ لنا جزري وقالة عبيد بن عمير (أو نسخا) نرفسها من عندكم وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم أخبرنا هشام عن يعل بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ (ما نسخ من آية أو نسخا) قال : قلت له فإن سعيد بن المسيب يقرأ (أو نسخا) قال : فقال سعد إن القرآن لم ينزل على السب ولا على آل السب قال : قال الله جل ثناؤه (ستقرئك فلا تنسى) (وإذا ذكر ربك إذا نسيت) وكذا رواه عبد الرزاق عن هشام وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث أبي حاتم الرازي عن آدم عن شعبة عن يعل بن عطاء به وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال ابن أبي حاتم وروي عن محمد بن كعب وقادة وعكرمة نحو قول سعيد . وقال الإمام أحمد أخبرنا يحيى أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر على أخصانا وأبي أقرؤنا وإنا لننسخ من قول أبي وذلك أن أبا يقول : ما أدع شيئا سمعته من رسول الله ﷺ والله يقول (ما نسخ من آية أو نسخا) نأت بخير منها أو مثلها) قال البخاري أخبرنا يحيى أخبرنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر : أقرؤنا أبي وأخصانا على وإنا لننسخ من قول أبي وذلك أن أبا يقول : لا أدع شيئا سمعته من رسول الله ﷺ وقد قال الله (ما نسخ من آية أو نسخا) وقوله (نأت بخير منها أو مثلها) أي في الحكم بالنسبة إلى مصلحة المكلفين كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (نأت بخير منها) يقول خير لكم في التمسك وأرفق بكم . وقال أبو العالية (ما نسخ من آية) فلا لنعمل بها (أو نسخا) أي نرجسها عندنا نأت بها أو نغيرها . وقال السدي (نأت بخير منها أو مثلها) يقول نأت بخير من الذي نسخناه أو مثل الذي تركناه . وقال قتادة (نأت بخير منها أو مثلها) يقول آية فيها تخفيف فيها رخصة فيها أمر فيها نهي وقوله (أم تملمن الله على كل شيء قدير) أم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يرشد عباده تعالى بهذا إلى أنه للتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر وهو للتصرف فكما خلقهم كما يشاء وينسخ من يشاء ويشق من يشاء ويصح من يشاء ويعرض من يشاء ويوفق من يشاء ويغلل من يشاء كذلك

(١) هكذا في جميع النسخ التي بأيدينا وفي ابن جرير قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول ما نسخ من آية أو نسخا قلت له : فإن سعيد بن المسيب يقرأها أو نسخا

يحكم في عباده بما يشاء فيحل ما يشاء ومحرم ما يشاء ويبيح ما يشاء ويحظر ما يشاء وهو الذي يحكم ما يريد لامتثال حكمه ، ولا يستل عما يفعل وهم يستلون ، ويختبر عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ فأمر بالثبوت لما فيه من الصلصة التي يعلمها تعالى ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى ، فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره واتباع رسله في تصديق ما أخبروا ، وامتثال ما أمروا ، وترك ما نهى زجروا وفي هذا المقام رد عظيم ويان بلغ لكفر اليهود وتزيف شهتهم لنعم الله في دعوى استعجاله بالنسخ إما عقلا كما زعمه بعضهم جهلا وكفرا وإما نقلا كما تحرسه آخرون منهم افتراء وإفصا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : فتأويل الآية ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانها دون غيري أحكم فيها وفيما فيها بما أشاء وأمر فيها وفيما فيها بما أشاء وأنهى عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذا أشاء وأمر فيها ما أشاء ثم قال وهذا الخبر وإن كان خطايا من الله تعالى عليه ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه من أجل شأوه تكذيب اليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجدوا نبوة عيسى وأحمد عليهما الصلاة والسلام لمحيتهما بما جازا به من عند الله بتبشير ما غير الله من حكم التوراة فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وسلطانها وأن الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه وأن له أمرهم بما يشاء ونهيم عما يشاء ونسخ ما يشاء وإقرار ما يشاء وإنشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه (قلت) الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لأنه يحكم ما يشاء كما أنه يفعل ما يريد مع أنه قد وقع ذلك في كتبه للتقدمة وشراؤه للماضية كما أحل لآدم تزوج بناته من بينه ثم حرم ذلك وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها ، وكان نكاح الأختين مباحا لاسرائيل وبنيه وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدهما وأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسخه قبل الفعل وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل من عبد البعل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل ، وأشياء كثيرة يطول ذكرها وهم يتعرفون بذلك ويصدفون عنه ، وما يجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في اللحن إذ هو المقصود وكما في كتبهم مشهورا من البشارة بمحمد ﷺ والأمر باتباعه ، فإنه يفيد وجوب متابعتها عليه الصلاة والسلام وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته ، وسواء قبل إن الشرائع للتقدمة مفياة إلى بستانه عليه السلام فلا يسمى ذلك نسخا لقوله (ثم أمروا بالصيام إلى الليل) وقيل إنها مطلقة وإن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم نسختها ، فعلى كل تقدير فوجوب متابعتها متعين لأنه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهداً بالله تبارك وتعالى ، ففي هذا المقام يثبت تعالى جواز النسخ رداً على اليهود عليهم لعنة الله حيث قال تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ؟ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) الآية فكذلك لا منازع لكذلك له الحكم بما يشاء (ألا له الخلق والأمر) وقرئ (١) في سورة آل عمران التي نزل في صدرها خطاباً مع أهل الكتاب وقوع النسخ في قوله تعالى (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) الآية كما سيأتي تفسيره وللسمعون كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى لما له في ذلك من الحكمة البالغة وكلهم قال بوقوعه . وقال أبو مسلم الأنصاري للقسر : لم يقع شيء من ذلك في القرآن وقوله ضعيف مردود مردول . وقد نصف في الأجوبة عما وقع من النسخ ، فمن ذلك قضية المدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يجب عن ذلك بكلام مقبول ، وقضية تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس لم يجب بشيء ، ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم لشجرة من الكفرة إلى مصابرة اللاتين ، ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ وغير ذلك والله أعلم .

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْيَسَنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أي وإن تسألوا عن تخصيصها بعد رولها تبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلهذا أن يحرم من أجل تلك السألة : ولهذا جاء في الصحيح « إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسئلته » ولما سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد مع امرأته رجلا فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك فكره رسول الله ﷺ للسائل وعابها ، ثم أنزل الله حكم اللعان . ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث الثمرة ابن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان ينهى عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال . وفي صحيح مسلم « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكترة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج فقال رجل أكل عام يارسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثا . ثم قال عليه السلام « لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » ثم قال « ذروني ما تركتكم » الحديث ولهذا قال أنس بن مالك : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يجنبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أخبرنا أبو كريب أخبرنا إسحق بن سليمان عن أبي سنان عن أبي إسحق عن البراء ابن عازب قال : إن كان ليأتني علي السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فأتمن به وإن كنا لنتمني الأعراب . وقال البراء : أخبرنا محمد بن القاسم . أخبرنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد ﷺ ما سألوه إلا عن اثني عشرة مسألة كلها في القرآن (يسألونك عن الحن واليسر - و - يسألونك عن الشهر الحرام - ويسألونك عن النياح) يعني هذا وأشباهه وقوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أي بل تريدون أوهى على بابها في الاستفتاء وهو إنكارى وهو يم للؤمنين والكافرين فإنه عليه السلام رسول الله إلى الجميع كما قال تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أأنزلناهم كتابا من السماء فبهم الصاعقة بظلمهم) قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال : قال رافع بن حرمة ووهب بن زيد يأخذ اثنتا بكتاب تنزله علينا من السماء نرؤوه ونفجر لنا أنهارا تنبعك ونصدقك . فأنزل الله من قولهم (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) قال : قال رجل يارسول الله لو كانت كفارتنا كفارة بني إسرائيل فقال النبي ﷺ « اللهم لا ينسأ - ثلاثا - ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم أخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فإن كفرها كانت له خزيا في الدنيا وإن لم يكفرها كانت له خزيا في الآخرة ، فما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل » قال (ومن يعمل سودا أو ينظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقال (الصلوات الخمس من الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن » وقال « من هم بسيرة فلم يعملها لم يكتب عليه وإن عملها كتبت سيئة واحدة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله إلا هالك » فأنزل الله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وقال جاهد (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أن يرههم الله جهرة قال : سألت قريش محمد ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً قال (نعم وهو لكم كالمائدة لبي إسرائيل) فأبوا ورجوا . وعن السدي وقادة نحو هذا والله أعلم والبراد أن الله ذم من سأل الرسول ﷺ عن شيء على وجه التفتت والافتراح كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام تستأ وتكذباً وعنادا . قال الله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) أي ومن يشتر الكفر بالإيمان (فقد ضل سواء السبيل)

أى قد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال. وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والالتحاق بهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والافتراء عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها على وجه التفت والكفر كما قال تعالى (أم تر إلى الذين بدلوا نعم الله كفرا أو ألقوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبش القرار) وقال أبو العالية يتبدل الشدة بالراء .

(وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

يخبر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويسلمهم ببداهتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الجسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والغفو أو الاحتال حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويحرم على ذلك ويرغبهم فيه كما قال محمد بن إسحق ، حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : كان حي بن أخطب وأبو ياسر ابن أخطب من أشد يهود العرب حسدا إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاتا فأرسل الله فيهما (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) الآية . وقال عبد الرزاق عن معمر بن الزهرى في قوله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب) قال هو كعب بن الأشرف ، وقال ابن أبي حاتم . أخبرنا أبي أخبرنا أبو البان أخبرنا شبيب عن الزهرى أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل الله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) إلى قوله (فاعفوا واصفحوا) وقال الضحاك عن ابن عباس أن رسولنا أميا يخبرهم بما في أيديهم من الكتب والرسائل والآيات ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم ولكنهم جحدوا ذلك كفرا وحسدا وبينا وكذلك قال الله تعالى (كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) يقول من بعد ما أضاعهم الحق لم يبالوا به شيئا ولكن الحسد حملهم على الجحود فيهم ووبغهم ولا مهم أهد الثلاثة وشرع لتبنيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين مأم عليه من التصديق والإيمان والقرار بما أنزل الله عليهم وما أنزل من قبلهم بكرامته وثوابه الجزيل ومعوته لهم . وقال الربيع بن أنس (من عند أنفسهم) من قبل أنفسهم وقال أبو العالية (من بعد ما تبين لهم الحق) من بعد ما تبين أن محمدا رسول الله يحذونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فكفروا به حسدا وبغيا إذ كان من غيرهم وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) مثل قوله تعالى (ولتسمن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) الآية . قال لي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) والسدى (١) وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) نسخ ذلك قوله (فاقفوا للشركين حيث وجدتموهم) وقوله (فاقفوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) إلى قوله (وم سافرون) فذبح هذا عفوه عن الشركين وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقاتدة والسدى إنها منسوخة بآية السيف ويرشد إلى ذلك أيضا قوله تعالى (حتى يأتي الله بأمره) وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا أبو الجان أخبرنا شبيب عن الزهرى أخبرني عروة ابن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصفون عن الشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى . قال الله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول من الغفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم بالقتل فقتل الله به من قتل من صناديد قريش وهذا إسناد صحيح ولم أره في شيء من الكتب الستة ولكن له أصل في الصحيحين عن أسامة بن زيد .

(١) قوله والسدى وقوله لم الخ لزيادة من النسخ فإنه ذكر بعد أن السدى قال بنسخ آية التوراة بآيات السيف .

وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير نجده عند الله) عثمهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة حتى يمكن لهم الله النصر في الحياه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء العذاب) ولهذا قال تعالى (إن الله بما تعملون بصير) يعني أنه تعالى لا يغفل عن عمل عامل ولا يضع لديه سواء كان خيراً أو شراً فإنه سيجازي كل عامل بعمله . وقال أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى (إن الله بما تعملون بصير) هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير أو شر سرا وعلاية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء فيجزئهم بالإحسان خيراً وبالإساءة مثلباً وهذا السلام وإن كان قد خرج مخرج الخبر فإن فيه وعداً ووعداً وأمرًا وزجراً وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليحدثوا في طاعته إذ كان ذلك مدخورا لهم عنده حتى يشيهم عليه كما قال تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير نجده عند الله) وليحذروا مصيبته قال وأما قوله (بصير) فإنه مبصر صرف إلى بصير كما صرف مبدع إلى بديع ومؤمل إلى ألب والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابن بكير حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عتبة بن عامر قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سميع بصير يقول بكل شيء بصير .

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * تِلْكَ مِنْ آيَاتِ وَجْهِهِ الَّتِي هُوَ مَخْبُورٌ فَهُوَ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكُفْرَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

بين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على مثلها كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا (نحن أبناء الله وأحباؤه) فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه مبدعهم بدنيهم ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك وكما تقدم من دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا ألباما ممدودة ثم ينتقلون إلى الجنة ورد عليهم تعالى في ذلك وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوا بها دليل ولا حجة ولا بينة فقال (تلك أمانيتهم) وقال أبو العالية أمانى تنوها على الله بغير حق وكذا قال قتادة والربيع بن أنس ثم قال تعالى (قل) أي يا محمد (هاتوا برهانكم) قال أبو العالية ومجاهد والسدى والربيع بن أنس حجتكم وقال قتادة ينتكس على ذلك (إن كنتم صادقين) أي فها تدعونه ، ثم قال تعالى (بل من أسلم وجهه لله وهو محسن) أي من أخلص العمل لله وحده لا شريك له كما قال تعالى (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) الآية وقال أبو العالية والربيع (بل من أسلم وجهه لله) يقول من أخلص لله وقال سعيد بن جبير (بل من أسلم) أخلص (وجهه) قال دينه (وهو محسن) أي اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فإن للعمل للتقبل شرطين أحدهما أن يكون خالصا لله وحده والآخر أن يكون صوابا موافقا للشرعية ففي كان خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام فعلم الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم غلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متسابعا للرسول صلى الله عليه وسلم البعوث لهم وإلى الناس كافة وفهم وأمثالهم قال الله تعالى (وقدنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقال تعالى (والذين كفروا أعلمهم كسراب هنية يمشي الظن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وقال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناسبة تملئ نارا حامية تسقى من عين آنية) وروى عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أنه تأولها

في الزهبان كما سيأتي ، وأما إن كان العمل موافقاً للشرية في الصورة الظاهرة ولكن لمخلص عامله القصد لله فهو أيضاً مردود على فاعله وهذا حال المرأين والناقضين كما قال تعالى (إن للناقضين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) وقال تعالى (قول للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويؤمنون للمؤمنين) ولهذا قال تعالى (فمن كان رجولاه ربه فيعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادته أحداً) وقال في هذه الآية الكريمة (بل من أسلم وجهه لله وهو محسن) وقوله (فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور وأمنهم مما يخافونه من المذنبين (فلا خوف عليهم) فيما يستقبلونه ، (ولا هم يحزنون) على ما مضى مما يتركونه ، كما قال سعيد بن جبير (فلا خوف عليهم) يعني في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعني لا يحزنون للموت .

وقوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) بين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتمازجهم وتمازجهم ، كما قال محمد بن إسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ ، أتتهم أخبار يهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ ، فقال رافع بن حرملة : ما أتم على شيء وكفر بيسى وبالإنجيل وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة . فأئزله الله في ذلك من قولهما (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) قال إن كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به أن يكفر اليهود بيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بيسى وفي الإنجيل ما جاء به عيسى تصديق موسى وما جاء من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يده صاحبه ، وقال مجاهد في تفسير هذه الآية قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء . وقال قتادة (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) قال بل قد كانت أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) قال بل قد كانت أوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا ، وعنه رواية أخرى كقول أبي العالية والريعي بن أنس في تفسير هذه الآية (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . وهذا القول يقتضي أن كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك ولهذا قال تعالى (وهم يتلون الكتاب) أي وهم يعلمون شرية التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت ولكم تجاهدوا فيما بينهم عناداً وكفراً ومقابلة للفلسد بالفلسد كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد وقاتدة في الرواية الأولى عنه في تفسيرها والله أعلم وقوله (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) بين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا به من القول وهذا من باب الإيماة والإشارة . وقد اختلف فيمن عني بقوله تعالى (الذين لا يعلمون) فقال الريعي بن أنس وقاتدة (كذلك قال الذين لا يعلمون) قالوا : وقالت النصارى مثل قول اليهود وقيلهم . وقال ابن جريج : قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون؟ قال أم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والإنجيل وقال السدي كذلك (قال الذين لا يعلمون) فهم العرب قالوا ليس محمد على شيء ، واختار أبو جعفر بن جرير اتهامه تصلح للجميع وليس ثم دليل قاطع بين واحد من هذه الأقوال والجل على الجميع أولى والله أعلم . وقوله تعالى (فالحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي أنه تعالى يجمع بينهم يوم للمعاد ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجوز فيه ولا يظلم مثقال ذرة ، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) وكما قال تعالى (قل يجمع بيننا وبينكم ربنا ثم نفتح بيننا بالحق وهو الفتح العظيم) ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَّعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهِ اسْمُهُ وَسَمَىٰ فِي خَرَابِهِ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا ﴾

إِلَّا خَاطِبِينَ * لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

اختلف القسرون في المراد من الذين منعوا مساجدهم وسعوا في خرابها على قولين : أحدهما ما رواه الواقفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) قالهم النصارى . وقال مجاهد في النصارى كانوا يطرهون في بيت المقدس الذي ويعنون للناس أن يصلوا فيه . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (وسعى في خرابها) قال هو مختصر وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانوه على ذلك النصارى . وقال سعيد عن قتادة : قال أولئك أعداء الله النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا مختصر ألبالي المجوسى على تخريب بيت المقدس . وقال السدي : كانوا ظاهروا مختصر على خراب بيت المقدس حتى خربه وأمر أن تطرح فيه الجيف وإنما أعاناه الروم على خرابه من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا . وروى نحوه عن الحسن البصري (القول الثاني) ما رواه ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) قال هؤلاء المشركون الذين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة حتى نحر هديه بنى طوى وهادهم وقال لهم « ما كان أحد يصد عن هذا البيت ، وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا يصد » فقالوا لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق . وفي قوله (وسعى في خرابها) قال إذ قتلوا من يعمرها بذكره ويأثمها للحج والعمرة . وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سفة قال . قال محمد بن إسحق . حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فأقر الله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) ثم اختار ابن جرير القول الأول واحتج بأن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس (قلت) والذي يظهر . والله أعلم . القول الثاني كما قاله ابن زيد . وروى عن ابن عباس لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود وكانوا أقرب منهم ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولا إذ ذاك لأنهم لقنوا من قبل على لسان داود ويعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . وأيضاً فإنه تعالى لما وجه الله في حق اليهود والنصارى شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول ﷺ وأصحابه من مكة ومنعوه من الصلاة في المسجد الحرام وأما اعتاده على أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة ، فأى خراب أعظم مما ضلوا ؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه وأستحوذوا عليها بأصنامهم وأننادهم وشركهم كما قال تعالى (وما لهم ألا يمتدحوا الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فصي أولئك أن يصحوا من الهتدين) وقال تعالى (هم الذين كفروا وصدوا عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ عمله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم يفسدوا أن يطؤم تصديقهم منهم معرفة بشر علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزلوا لهدنا الذين كفروا منهم عذاباً ألياً) فقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) فإذا كان من هو كذلك مطروداً منها مصدوداً عنها فأى خراب لها أعظم من ذلك ؟ وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط وإنما عمارتها بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها ورفضها عن الدنس والشرك . وقوله تعالى (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا غافلين) هذا خبر مجاهد الطلب أى لا تذكروا هؤلاء إذ أقدمتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية ولهذا لما اتفق رسول الله ﷺ مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادى برحابي « ألا لا يحسن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فأجله إلى مدته » وهذا إذا كان تصديقاً وعملاً بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما للمشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وقال بعضهم ما كان ينبغي لهم

أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التيب وارتعاد القرائس من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويمتنعوا المؤمنين منها . وللمنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم وقيل إن هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وأنه بذل للشركيين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفاً يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتل إن لم يسلم . وقد أعجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع الشركيين من دخول المسجد الحرام وأوصى رسول الله ﷺ أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان وأن يحمل اليهود والنصارى منها والله الحمد والمنة . وما ذلك إلا تكسيف أكناف المسجد الحرام وتطهير البقعة التي بعث الله فيها رسوله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الخزي لهم في الدنيا لأن الجزاء من جنس العمل فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه وكما أجلاهم من مكة أجلاهم عنها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتنعوا من نصب الأصنام حوله وذواء غير الله عنده والطواف به عريان وغير ذلك من أفعالهم التي يكرهها الله ورسوله وأما من فسر بيت المقدس فقال كعب الأحبار إن النصارى لما ظهروا على بيت المقدس خربوه فلما بعث الله محمداً ﷺ أنزل عليه (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) الآية فليس في الأرض نصراي يدخل بيت المقدس إلا خائفاً . وقال السدي فليس في الأرض روى يدخله اليوم إلا وهو خائف أن يضرب عنقه أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها . وقال قتادة لا يدخلون للمساجد إلا مسارقة (قلت) وهذا لا ينبغي أن يكون دخالا في معنى عموم الآية فإن النصارى لما ظفروا بيت المقدس بامتنان الصخرة التي كانت تسمى إليها اليهود عوقبوا شرعا وقدرنا بالآية في إلا في أحيان من الدهر أشحن بهم بيت المقدس . وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم والله أعلم . وفسر هؤلاء الخزي في الدنيا مخرج الهدى عند السدي وعكرمة ووائل بن داود . وفسره قتادة بأداء الجزية عن يدهم صاغرون . والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله . وقد ورد الحديث بالاستعاضة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة كما قال الإمام أحمد أخبرنا الجيثم بن خارجة أخبرنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن جلس سمعت أبي يحدث عن بشر بن أرطاة . قال كان رسول الله ﷺ يدعو « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » وهذا حديث حسن وليس في شيء من الكتب الستة وليس لمصاحبه وهو بشر بن أرطاة ويقال ابن أبي أرطاة حديث سواء وسوى حديث لا تقطع الأيدي في التزوي

﴿ وَفِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَفِيهِ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَالِمٌ ﴾

وهذا والله أعلم فيه تسلية للرسول ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلام وقد كان رسول الله ﷺ يسلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه . فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفه الله إلى الكعبة بعد ولها يقول تعالى (وفيه للشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب التماسخ والمنسوخ : أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان ابن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال : أول مانسوخ لنا من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة . قال الله تعالى (وفيه للشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) فاستقبل رسول الله ﷺ فأسلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه إلى بيت العتيق ونسخها . فقال (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) . وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كان أول مانسوخ من القرآن القبلة . وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يجب قبلة إبراهيم وكان يدعو

وينظر إلى السماء فأزل الله (قد رى تخلف وجهك في السماء) إلى قوله (فولوا وجوهكم شطره) فلما تبسبب ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأزل الله (قل لله المشرق والمغرب) وقال (فأبنا تولوا ثم وجه الله) وقال عكرمة عن ابن عباس (فأبنا تولوا ثم وجه الله) قال قبة الله أبنا توجهت شرقاً أو غرباً . وقال مجاهد (فأبنا تولوا ثم وجه الله) حيثما كنتم فلكم قبة تستبطنونها الكعبة . وقال ابن أبي حاتم بسند رواة الأثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ القبة عن عطاء عنه وروى عن أبي العالية والحسن وعطاء الخراساني وعكرمة وقادة والسدي وزيد بن أسلم نحو ذلك . وقال ابن جرير وقال آخرون بل أزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة وأما أنزلها ليعلم نبينا ﷺ وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وتاحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك التاحية لأن له تعالى المشرق والمغرب وأنه لا يغلو منه مكان كما قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) قالوا ثم نسخ ذلك بالقرض الذي فرض عليهم التوجه إلى المسجد الحرام هكذا قال . وفي قوله وأنه تعالى لا يغلو منه مكان إن أراد الله تعالى فصحيح ، فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما أنه تعالى لا تكون محصورة في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذنا من الله أن يصلى للتطوع حيث توجه من شرق أو غرب في مسيره في سفره وفي حال المسافة وعدة الخوف . حدثنا أبو كريب أخبرنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه كان يصلى حيث توجهت به راحلته . ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفضل ذلك ويتأول هذه الآية (فأبنا تولوا ثم وجه الله) ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان به وأما في الصحيحين من حديث ابن عمر وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية . وفي صحيح البخاري من حديث نافع عن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها : ثم قال فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجلاً قياماً على أقدامهم وركباً مستقبل القبلة وغير مستقبلها . قال نافع ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي ﷺ

(مسألة) ولم يفرق الشافعي في المشهور عنه بين سفر المسافة وسفر العدو فالجرح عنه يجوز التطوع فيه على الراحة وهو قول أبي حنيفة خلافاً لمالك وجماعته واختار أبو يوسف وأبو سعيد الاصطخري التطوع على العادة في المصر وحكاه أبو يوسف عن أنس بن مالك رضى الله عنه واختاره أبو جعفر الطبري حتى للمشي أيضاً . قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم حمت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلا على أيحاء مختلفة فقال الله تعالى : إلى المشرق والمغرب فأين وليتم وجوهكم فهناك وجهي وهو قبلكم فيعلمكم بذلك أن صلاتكم ماضية . حدثنا محمد بن إسحق الأهوازي أخبرنا أبو أحمد الزيري أخبرنا أبو الربيع السنان عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلاً فيقبل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً يصلى فيه ، فلما أن أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة قلنا يارسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لتغير القبلة فأزل الله تعالى (وله للشرق والمغرب فأبنا تولوا ثم وجه الله) الآية ثم رواه عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن أبي الربيع السنان بنحوه . ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن وكيع وابن ماجه عن يحيى بن حكيم عن أبي داود عن أبي الربيع السنان ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن سعيد بن سلمان عن أبي الربيع السنان واسمه أخت بن سعيد البصري وهو ضعيف الحديث وقال الترمذي هذا حديث حسن وليس إسناده بذلك ولا يعرفه إلا من حديث الأخت السنان ، وأخت ينفذ في الحديث . قلت وشيخه عاصم أيضاً ضعيف . قال البخاري منكر الحديث . وقال ابن معين : ضعيف لا يحتج به وقال ابن حبان . متروك والله أعلم

وقد روى من طريق آخر عن جابر قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية أخبرنا إسماعيل بن علي ابن إسماعيل أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن قال : وجدت في كتاب أبي أخبرنا

عبد الملك المزرى عن عطاء بن جابر قال : بث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأمايتنا خلفه فلم نعرف القبلة فثقلت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي ههنا قبل الشمال فصاروا وخطوا خطوطا فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قلنا من سفرنا سألتنا النبي صلى الله عليه وسلم فسكت وأنزل الله تعالى (والله للشرق والغرب فأيتنا تولوا فثم وجه الله) ثم رواه من حديث محمد بن عبيد الله المزرى عن عطاء بن جابر به ، وقال الدارقطني قرئ على عبد الله بن عبد العزيز وأنا أصح حديثكم داود بن عمرو أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي عن محمد بن سالم عن عطاء بن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأصابنا غيم فتعيرنا فاختلفنا في القبلة ففصل كل رجل منا على حدة وجعل أحدنا يحط بين يديه لنسلم أمكننا فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا بالإعادة وقال قد أجازت صلاتكم ثم قال الدارقطني كنذا قال عن محمد بن سالم ، وقال غيره عن محمد بن عبد الله المزرى عن عطاء وهما ضيفان ، ورواه ابن مردويه أيضا من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بث سرية فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة فصاروا لغير القبلة ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة ، فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ حدثوه فأنزل الله تعالى هذه الآية (والله للشرق والغرب فأيتنا تولوا فثم وجه الله) وهذه الأسانيد فيها ضعف ولعله يشدبعضها بسنا وأما إعادة الصلاة لمن تبين له خطؤه فنعيا قولان للعلماء وهذه دلائل على عدم القضاء والله أعلم .

قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي كما حدثنا محمد بن بشار أخبرنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أظلم لكم قد مات فصاروا عليه قالوا نصلي على رجل ليس يعلم ؟ قال فنزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليك وما أنزل إليهم خاشعين لله) قال قتادة فقالوا إنه كان لا يصلي إلى القبلة فأنزل الله (والله للشرق والغرب فأيتنا تولوا فثم وجه الله) وهذا غريب والله أعلم وقد قيل إنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبلغه التاسع إلى الكعبة كما حكاه القرطبي عن قتادة وذكر القرطبي أنه لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الناب قال وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه - أحدها - أنه عليه السلام شاهده حين سوى عليه طوبى له الأرض . الثاني أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه صلى عليه واختاره ابن العربي ، قال القرطبي ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أجد من قومه على دينه وقد أجاب ابن العربي عن هذا لعلهم لم يكن عندهم شرعية الصلاة على الميت . وهذا جواب جيد : الثالث أنه عليه الصلاة والسلام إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك والله أعلم .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث أبي معشر عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلف عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين الشرق والغرب قبة لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق » وله منسبتهما وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي معشر واسمه حجاج بن عبد الرحمن السدي اللذي به « ما بين الشرق والغرب قبة » وقال الترمذي وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قبل حفظه ، ثم قال الترمذي حدثني الحسن بن بكر المروزي أخبرنا الحلبي بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر الحزوي عن عثمان بن محمد بن النيرة الأحمسي (١) عن أبي سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بين الشرق والغرب قبة » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وحكى عن البخاري أنه قال هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح ، قال الترمذي وقد روى عن غير واحد من الصحابة « ما بين الشرق والغرب قبة » منهم عمر بن الخطاب وطى وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين . وقال ابن عمر إذا جعلت المغرب عن يمينك والشرق عن يسارك فلما بينهما قبة إذا استقبلت القبلة ثم قال ابن مردويه حدثنا طى بن أحمد بن عبد الرحمن أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بني هاشم أخبرنا شعيب بن أيوب أخبرنا ابن خنيس عن عبد الله بن عمر عن أنس عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بين الشرق والغرب قبة » وقدرناه الدارقطني والبيهقي : وقال للشهور عن ابن عمر عن عمر رضي

(١) في خلاصة تذهيب الكمال وفي صحيح الترمذي أيضا عبد الله بن جعفر الحزوي عن عثمان بن محمد بن النيرة بن الأحمسي

أَتَبِعْنَاهُ قَوْلَهُ (١) قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ وَبَحْتَلُ فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ فِي دَعَائِكُمْ لِي فَنُكَالَكُمْ وَجْهِي أَسْتَجِيبُ لَكُمْ دَعَاءَكُمْ كَمَا حَدَّثَنَا
أَلْقَلَمُ أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ حَدَّثَنِي حَبَاجُ قَالَ . قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ : قَالَ جَاهِدُ مَا نَزَلَتْ (اِدْعُوهُ أَسْتَجِيبُ لَكُمْ) قَالُوا إِلَى ابْنِ
قُرَيْشٍ (فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا قَوْمَ وَجْهِهِ) قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ وَمَعْنَى قَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) يَسَعُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ بِالْكَفَايَةِ وَالْجُودِ
وَالْإِضْلَافِ : وَأَمَّا قَوْلُهُ (عَلِيمٌ) فَانَّهُ يَسَعُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَعْمَالِهِمْ مَا يَنْبَغِي عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَلَا يَنْزِعُ عَنْ عِلْمِهِ بَلْ هُوَ بِمَجْمِيعِهِمْ عَلِيمٌ .
(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ سُبْحَانَ كُلِّ شَيْءٍ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهْ قُنُوتٌ * يَدْعُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على التصاري عليهم لما تنان الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي
الرب من جبل للامانة بنات الله فأكذب الله جميعهم فدعواهم وقولهم إن لله ولدا فقال تعالى (سبحانه) أي تعالى
وقدس وتبره عن ذلك علوا كبيرا (بل له ما في السموات والأرض) أي ليس الأمر كما افترضوا وإنما له ملك السموات
والأرض ومن فيهن وهو للتصرف فيهن وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء
والجميع عبده وملك له فكيف يكون له ولد منهم والولد إنما يكون متولدا من شيئين متناسلين وهو تبارك وتعالى
ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة فكيف يكون له ولد ؟ كما قال تعالى (يدع السموات والأرض
أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا إذا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنفق الأرض ونجر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي
للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم
القيامة فردا) وقال تعالى (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) فقرر تعالى في هذه الآيات
الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شيء له وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربية فكيف يكون له منها
ولد ؟ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من البقرة : أخبرنا أبو الهيثم أخبرنا شعب عن عبد الله بن أبي الحسين
حدثنا نافع بن جبير هو ابن مطعم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « قال الله تعالى كذبي ابن آدم ولم يكن
له ذلك وستمضي ولم يكن له ذلك ، فأما تكذبي إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيد كما كان ، وأما شتمه إياي فقله إن
لي ولدا نسجاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا » انفرد به البخاري من هذا الوجه . وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل
أخبرنا محمد بن إسحاق الترمذي أخبرنا محمد بن إسحق بن محمد القروي أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن
أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى كذبي ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبي وستمضي وما ينبغي له
أن يشتني ، فأما تكذبي إياي فقله لن يبدني كابدني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقله :
اتخذ الله ولدا . وأنا الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ
أنه قال « لا أحد أصبر على أذى صمته من الله أنهم يصلون له ولدا وهو رزقهم ويصافهم » وقوله (كل له قاتنون) قال ابن أبي حاتم
أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال (قاتنين) مضلين وقال عكرمة وأبو مالك (كل له
قاتنون) مفرقون بالعبودية وقال سعيد بن جبير كل له قاتنون يقول الاخلاص وقال الرازي عن أنس يقول (كل له قاتنون)
أي قائم يوم القيامة ، وقال السدي (كل له قاتنون) أي مطيعون يوم القيامة ، وقال خفيف عن مجاهد (كل له قاتنون)
قال مطيعون كن إنسانا فكان ، وقال ابن جرير فكانا ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد كل له قاتنون مطيعون قال طاعة
الكافر في سجود ظله وهو كاره . وهذا القول عن مجاهد وهو اختيار ابن جرير يجمع الأول كلها وهو أن القنوت
والطاعة والاستكانة إلى الله وهو شرعى وقدري كما قال تعالى (لله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعا
وكرها وظلالهم بالندو والآصال) وقد ورد حديث فيه بيان القنوت في القرآن ما هو المراد به كما قال ابن أبي حاتم
أخبرنا يوسف بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن

(١) كذا في الأصل ولله من قوله « أي أنه غير مرنوع .

أى سعيد الجندى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » وكذا رواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى عن ابن لمية عن دراج بإسناده مثله ولكن في هذا الإسناد ضعف لا يعتمد عليه ، ورفع هذا الحديث منكر وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه والله أعلم . وكثير ما أتى بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة فلا يلتزم بها فإن السند ضعيف والله أعلم :

وقوله تعالى (بديع السموات والأرض) أى خالقها على غير مثال سبق : قال مجاهد والسدى وهو مقتضى اللغة ومنه يقال للشيء المحدث بدعة كما جاء في صحيح مسلم فإن كل محدثة بدعة والبدعة على سبعين تارة تكون بدعة شرعية كما هو « فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وتارة تكون بدعة لقوية كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إمام على صلاة التراويح واستمرارهم : نعمت البدعة هذه وقال ابن جرير (بديع السموات والأرض) مبدعها وإعماها مفضل فصرف إلى فصل كما صرف اللؤلؤ إلى الألم والسمع إلى السميع ومعنى البديع المبتدع والمحدث مالا يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد قال ولذلك سمى للبتدع في الدين مبتدعا لإحداثه فيه مالا يسبق إليه غيره وكذلك كل محدث قول أو فعلا لم يتقدم فيه متقدم فإن العرب تسميه مبتدعاً ومن ذلك قول أعشى بن ثعلبة في مدح هوفة بن على الحنفي يدعى إلى قول ساحت الرجال إذا * أبدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا

أى يحدث ما شاء قال ابن جرير فعنى السلام سبحانه الله أن يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض تشهده جميعاً بدلاتها عليه بالوحدانية وتقر له بالطاعة وهو بارئها وخالقها وموجد ما من غير أصل ولا مثال احتداها عليه وهذا إعلام من الله لعباده أن من يشهد له بذلك المسح الذى أضافوا إلى الله بنوته وإخبار منه لهم أن الذى يتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذى ابتدع للمسح عيسى من غير والد بقدرته وهذا من ابن جرير رحمه الله كلام جيد وعبارة صحيحة . وقوله تعالى وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه وأنه إذا قدر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له كن أى مرة واحدة فيكون أى فيوجد على وفق ما أراد كما قال تعالى (إن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقال تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة فكلم بالبصر) وقال الشاعر :

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له كن قوله فيكون

ونبه بذلك أيضاً على أن خلق عيسى بكلمة كن فكان كما أمره الله ، قال الله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُسْكِنُ اللَّهُ أَتَيْنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبر عن ابن عباس ، قال قال الراغب بن حريز عن رسول الله ﷺ : يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول قل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه فأقول الله في ذلك من قوله (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) وقال مجاهد (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) قال النصارى نقوله ، وهو اختيار ابن جرير قال لأن السياق فهم . وفي ذلك نظر وحكى القرطبي (لولا يكلمنا الله) أى يخاطبنا بنبوتك يا محمد (قلت) وهو ظاهر السياق والمأخوذ ، وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقادة والسدى في تفسير هذه الآية هذا قول كفار العرب (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) قال هم اليهود والنصارى ويؤيد هذا القول وأن الصائتين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى (وإنما جاءهم آية قالوا لن نؤمن حتى تأتي مثل ما أتى رسول الله) الآية وقوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) إلى قوله (قل سبحانه ربى هل صكنت إلا جبراً رسولاً) وقوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا

للإسكندر أو ترى ربنا) الآية وقوله تعالى (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسفرة) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعوتهم وعتادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به إنما هو الكفر والمجاندة كما قال من قبلهم من الأمم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم كما قال تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا إننا لنآله جهرة) وقال تعالى (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة) وقوله تعالى (تشابهت قلوبهم) أي أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعتاد والعتو كما قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به؟) الآية وقوله تعالى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أي قد أوضحنا الدلائل على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر وزيادة أخرى لمن أيقن وصدق واتبع الرسل وفهم ما جاءوا به عن الله تبارك وتعالى وأما من ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة فأولئك قال الله فيهم (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم)

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا عبد الرحمن بن صالح أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الفزاري عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «أُنزلت علي (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) قال بشيراً بالجنة ونذيراً من النار» وقوله (ولا تستل عن أصحاب الجحيم) قراءة أكثرهم ولا تستل يضم التادعل الخبر وفي قراءة أبي بن كعب وما تستل وفي قراءة ابن مسعود ولن تستل عن أصحاب الجحيم قلها ابن جرير أي لا تسألك عن كفر من كفر بك كقوله (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وكقوله تعالى (فذكرنا أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) الآية وكقوله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) وأما عن أصحاب الجحيم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وأشباه ذلك من الآيات، وقرأ آخرون «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» ففتح التادعل النهي أي لا تسأل عن حالهم كما قال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال، قال رسول الله ﷺ «ليت شعري ما فعل أبواي ليت شعري ما فعل أبواي ليت شعري ما فعل أبواي؟» فنزلت (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) لما ذكرها حتى توفاه الله عز وجل ورواه ابن جرير عن أبي كعب عن كعب عن موسى بن عبيدة وقد تكلموا فيه عن محمد بن كعب بمثله وقد حكاها القرطبي عن ابن عباس ومحمد بن كعب قال القرطبي: وهذا كما يقال لا تسأل عن فلان أي قد بلغ فوق ما تحب وقد ذكرنا في التذكرة أن الله أحيا له أبويه حتى آمننا به وأجبنا عن قوله «إن أبي وأباك في النار» (قلت) والحديث الروي في حياة أبويه عليه السلام ليس في شيء من الكتب الستة ولا غيرها وإسناده ضعيف والله أعلم. ثم قال ابن جرير وحديث القاسم أخبرنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جريج أخبرني داود بن أبي عامر به أن النبي ﷺ قال ذات يوم «أين أبواي؟» فنزلت (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) وهذا مرسل كالنهي قبله وقد رد ابن جرير هذا القول للروى عن محمد بن كعب وغيره في ذلك لاستحالة الشك من الرسول ﷺ في أمر أبويه واختار القراءة الأولى وهذا الذي سلكه ههنا فيه نظر لاحتال أن هذا كان في حال استفهامه لأبويه قبل أن يعلم أمرهما فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر عنهما أنهما من أهل النار كما ثبت هذا في الصحيح، ولهذا أشباه كثيرة ونظائرها ولا يلزم ما ذكر ابن جرير والله أعلم.

وقال الإمام أحمد أخبرنا موسى بن داود حدثنا إسماعيل بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال: قيلت عبد الله ابن عمرو بن العاص قُلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة فقال: أجل والله إنه لموصوف في النبوة بصفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين: وأنت عبدى ورسولى سميت للتوكل، لا ظف ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع باليسئة اليسية ولكن ينفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقم به الله الموجاه بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غفلتاً. انظره بلخرجه

البخارى فرواه في البيوع عن محمد بن سنان عن قليح به وقال تايبه عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال . وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ، ورواه في التفسير عن عبد الله بن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص به قد ذكر نحوه ، فبعد الله هذا هو ابن صالح كاصح به في كتاب الأدب ، وزعم ابن مسعود الدمشقي أنه عبد الله بن رجاء ، وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من البقرة عن أحمد بن الحسن ابن أيوب عن محمد بن أحمد بن البراء عن العلاء بن سليمان عن قليح به وزاد : قال عطاء ثم لقيت كعب الأبحار فسأله فما اختلفنا في حرف إلا أن كعباً قال : بلنته أعينا عموحى وأذنا صموحى وقولاً غلوفاً

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ آتَيْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بِمَدِّ الْأَلَدِيِّ جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرَ * الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

قال ابن جرير يعني بقوله جل ثناؤه (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براية عنك أبداً فنع طلب ما يرضهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما يشاء الله به من الحق ، وقوله تعالى (قل إن هدى الله هو الهدى) أى قل يا محمد إن هدى الله الهدى يثنى به هو الهدى يثنى هو الهدى المستقيم الصحيح الكامل الشامل ، قال قتادة في قوله (قل إن هدى الله هو الهدى) قال خصومة علمها عبد الله محمد ﷺ وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة ، قال قتادة : ولبئس أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا تزال طائفة من أمتي يقتاتون على الحق ظاهرين لا يرضهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » (قلت) هذا الحديث يخرج في الصحيح عن عبد الله بن عمرو (ولئن آتيتهم أهواءهم بعد الهدى جاءكم من العلم مالاك من الله من ولي ولا نصير) فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة عباداً بالله من ذلك فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأئمة : وقد استدلل كثير من الفقهاء بقوله (حتى تتبع ملتهم) حيث أفرد للملة على أن الكفر كله ملة واحدة كقوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) فلي هذا لا يتوارث للسلطان والكفار وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا لأنهم كلهم ملة واحدة وهذا مذنب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد في رواية عنه ، وقال في الرواية الأخرى كقول مالك ، إنه لا يتوارث أهل ملتين شتى كما جاء في الحديث والله أعلم - وقوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : هم اليهود والنصارى وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقال سعيد عن قتادة : هم أصحاب رسول الله ﷺ . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا إبراهيم بن موسى وعبد الله بن عمران الأصماني قال أخبرنا يحيى بن عمار حدثنا أسامة بن زيد عن أبيه عن عمر ابن الخطاب (يتلونه حق تلاوته) قال : إذا مر بذكر الجنة سألت الله الجنة ، وإذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار ، وقال أبو النعمان قال ابن مسعود والله يثني يده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأ كما أنزل الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ومتصور ابن المنذر عن ابن مسعود قال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه . قال ابن أبي حاتم : وروى عن ابن مسعود نحوه ذلك ، وقال الحسن البصري : يعملون بحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكونون ما أشكل عليهم إلى عائله . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (يتلونه حق تلاوته) قال - يتبعونه حق اتباعه ثم قرأ (والقمر إذا تلاها) يقول إتبعها قال . وروى عن عكرمة وعطاء ومجاهد بن يزيد بن إبراهيم النخعي نحوه ذلك . وقال سفيان الثوري أخبرنا زيد بن مرة عن عبد الله بن مسعود في قوله (يتلونه حق تلاوته) قال

يتبعونه حتى اتباعه ، قال القرطبي وروى نصر بن عيسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله (يتلونه حتى تلاوته) قال « يتبعونه حتى اتباعه » ثم قال في إسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكره الخطيب إلا أن معناه صحيح . وقال أبو موسى الأشعري : من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة وعن عمر بن الخطاب : هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوا من الله ، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها قال : وقد روى هذا المعنى عن النبي ﷺ أنه كان إذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية عذاب تمود وقوله (أولئك يؤمنون به) خبر عن (الذين أتيناكم الكتاب يتلونه حتى تلاوته) أي من أقام كتابه من أهل الكسب للنزلة على الأنبياء للتقدمين حتى إقامة آدم عا أرسلتك به يا محمد كما قال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) الآية وقال (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) أي إذا أقمتموها حتى الإقامة وأتممت بها حق الإيمان وصدقتم ما فيها من الأخبار بميث محمد ﷺ ونسته وصفته والأسر باتباعه ونصره وموازنته قادم ذلك إلى الحق واتباع الخبر في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية وقال تعالى (قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يسئ عليهم غفرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) أي إن كان ما وعدنا به من شأن محمد ﷺ لو أمضا وقال تعالى (الذين أتيناكم الكتاب من قبله هم به يؤمنون » وإذا يسئ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين » أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن الحسنة السيئة وعارضتهم بنفوق) وقال تعالى (وقل للذين أتوا الكتاب والألمين أسلمتم » فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنا معك البلاء والله بصير بالعباد) ولهذا قال تعالى (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) كما قال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) . وفي الصحيح « والذي نفسي بيده لا يسمع ب أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » .

﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا لِمَتَّى أُنْفِتُ عَلَيْكُمْ وَأَيُّكُمْ قَصَلْتُكُمْ عَلَى الْعَمَلِينَ * وَأَتَقُوا يَوْمَآ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

قد تقدم نظير هذه الآية في صدر السورة وكررت ههنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم ونسبه واسمه وأمره وأمنته فحذروهم من كتمان هذا ، وكتمان ما آمن به عليهم وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدينية والدنيوية ولا يحسدوا بني عهدهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم ، ولا يحلمهم ذلك الحسد على عاقبته وتكذيبه والحيد عن موافقته ، صلات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين

﴿ وَإِذْ أَتَىٰ آلَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ

عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾

يقول تعالى منها على شرف إبراهيم خليله عليه السلام وأن الله تعالى جعله إماماً للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي ولهذا قال (وإذا أتى آل إبراهيم ربه بكلمات) أي وأذكركم ما عهد ل هؤلاء المشركين وأهل السكتاين الذين ينتحلون ملة إبراهيم وليسوا عليها وإنما الذي هو عليها مستقيم فأتى والذين معك من المؤمنين أذكركم هؤلاء ابتلاء الله إبراهيم أي اختباره به بما كلفه به من الأوامر والنواهي (فأتهم) أي قام بهن كلهن كما قال تعالى (وإبراهيم الذي وفى) أي وفى جميع ما شرع له فعمل به صلات الله عليه وقال تعالى : (إن إبراهيم كان أمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين » شاكراً لأنعمه اجتناباً وهداه إلى صراط مستقيم » وآتيناك في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن

الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقال تعالى (قل إني هدى إلى صراط مستقيم * ديناً قديماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقال تعالى (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) فإن الناس لإبراهيم للذين اتبعوه . وهذا النبي والله دين آمنوا بالله ولّى المؤمنين) وقوله تعالى (بكلمات) أى شرائع وأوامر ونواه ، فإن الكلمات تطلق ويراد بها الكلمات القدرية كقوله تعالى عن مريم عليها السلام (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وتطلق ويراد بها الشرعية كقوله تعالى (وتحت كل ريك صدقاً وعدلاً) أى كتاباته الشرعية ، وهى إما خبر سدى وإما طلب عدل إن كان أمراً أو نهياً ومن ذلك هذه الآية الكريمة (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) أى قام بهن قال (إني جاعل لك للناس إماماً) أى جزاء على ما فعل كما قام بالأوامر وترك الزواجر جعله الله للناس قدوة وإماماً يقتدى به ويعتدى حذوه

وقد اختلف في تعيين الكلمات التى اختبر الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام ، فروى عن ابن عباس فى ذلك روايات فقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ابن عباس : ابتلاه الله بالناسك ، وكذا رواه أبو إسحق السيمى عن النخعي عن ابن عباس . وقال عبد الرزاق أيضاً أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه بالطهارة خمس فى الرأس وخمس فى الجسد ، فى الرأس قص الشارب والضمضة والاستنشاق والسواك ورفق الرأس وفى الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان وتنف الإبط وغسل أثر الفاط والبول بالماء ، قال ابن أبي حاتم : وروى عن سعيد بن السيب وعجلده والشعي والنضى وأبى صالح وأبى الجلد (نحو ذلك) قلت) وقريب من هذا ما ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة وإتقان الماء . ونسيت العائرة إلا أن تكون الضمضة » . قال وكيع : انتقص الماء بين الاستنجاء وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال « الفطرة خمس : الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار وتنف الإبط » ولفظه مسلم . وقال ابن أبي حاتم : أنبأنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لبيعة عن ابن هبيرة عن حنث بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس أنه كان يقول فى تفسير هذه الآية (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) قال عشر ست فى الإنسان وأربع فى الشاعر . فأما التى فى الإنسان حلق العانة وتنف الإبط والختان (وكان ابن هبيرة يقول : هؤلاء الثلاثة واحدة ، وتقليم الأظفار وقص الشارب والسواك وغسل يوم الجمعة والأربعة التى فى الشاعر الطواف والسعي بين الصفا والروضة ورمى الجمار والإفاضة . وقال داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : ما ابتلى بهذا الدين أحد مقام به كله إلا إبراهيم قال الله تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) قلت له وما الكلمات التى ابتلى الله إبراهيم بهن فأتمهن ؟ قال : الإسلام ثلاثون سهماً منها عشر آيات فى براعة (الثابتون العابدون) إلى آخر (إن السابئين والصلوات) إلى آخر الآية فأتمهن كلهن فكسبت له براعة قال الله (وإبراهيم الذى) هكذا رواه الحاكم وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم بأسانيدهم إلى داود بن أبي هند به وهذا لفظ ابن أبي حاتم وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : الكلمات التى ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن ، فراق قومه فى الله حين أمر بغفراتهم . وعاجته نمرود فى الله حين وقف على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذى فيه خلافة ، وصبره على قذفه إياه فى النار ليعرقوه فى الله على هول ذلك من أمرهم ، والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده فى الله حين أمره بالخروج عنهم وما أمره به من الشيافة والصبر عليها بنفسه وماله ، وما ابتلى به من ذبح ابنه حين أمره . بذبحه ، فلما مضى إلى ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء قال الله له (أسلم قال أسلمت لرب العالمين) على ما كان من خلاف الناس وفراقهم . . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا إسحاق بن علي عن أبي رجاء

(١) فى ابن جرير أبى الجلد لفرح . (٢) كذا فى النسخ المطبوعة وصفة خزانة الأزهر المخطوطة وفى الدر المنثور وأولئان وبهذا الترتيب صحيح السند ، وليس فيه : هؤلاء الثلاثة واحدة .

عن الحسن بنى البصرى (وإذ ابني إبراهيم ربه بكلمات فأعمن) قال ابتلاه بالكوكب فرضى عنه ، وابتلاه بالقمر فرضى عنه ، وابتلاه بالشمس فرضى عنه ، وابتلاه بالمجرة فرضى عنه ، وابتلاه بالحنان فرضى عنه ، وابتلاه بابنه فرضى عنه . وقال ابن جرير أخبرنا جرير بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد بن قتادة قال كان الحسن يقول أى والله لقد ابتلاه بأمر نصير عليه - ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين ، ثم ابتلاه بالمجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله ، ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصرى على ذلك وابتلاه بدبح ابنه والحنان نصير على ذلك وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن معمر الحسن يقول في قوله (وإذ ابني إبراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه الله بدبح ولده والنار وبالكوكب والشمس والقمر وقال أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا سلم بن قتيبة أخبرنا أبو هلال عن الحسن (وإذ ابني إبراهيم ربه بكلمات) قال ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فوجده صابراً وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس (وإذ ابني إبراهيم ربه بكلمات فأعمن) فنهى (قال إني جاعلك للناس إماماً) ومنه (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) ومنه الآيات في شأن النكاح والقيام للبي جمل لإبراهيم والرزق الذى رزق ساكنو البيت وعهد بئس في دينهما : وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا شعبة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (وإذ ابني إبراهيم ربه بكلمات فأعمن) قال الله لإبراهيم إني مبتليك بأمر فهاهو ؟ قال : يحملني للناس إماماً ؟ قال نعم : قال : ومن ذريق ؟ (قال لا ينالك عهدى الظالمين) قال : يحمل البيت مثابة للناس . قال نعم : قال : وأمنأ . قال نعم : قال : وتحملنا مسلمين لك ومن ذريقنا أمة مسلمة لك . قال نعم . قال : وترزق أهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله . قال نعم قال ابن أبي نجيح سمعته من عكرمة فصرته على مجاهد فلم ينكره . وهكذا رواه ابن جرير من غير وجه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وإذ ابني إبراهيم ربه بكلمات فأعمن) قال ابني بالآيات التى بعدها (إني جاعلك للناس إماماً . قال ومن ذريق قال لا ينالك عهدى الظالمين) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (وإذ ابني إبراهيم ربه بكلمات) قال الكلمات (إني جاعلك للناس إماماً) وقوله (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً) وقوله (واخذوا من مقام إبراهيم صلى) وقوله (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) الآية وقوله (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) الآية قال فذلك كله من الكلمات التى ابني بها إبراهيم ، وقال السدي الكلمات التى ابني بها إبراهيم ربه (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريقنا أمة مسلمة لك . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وقال القرطبي وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إبراهيم عليه السلام أول من اختن وأول من ضاف الضيف وأول من قبل أظفاره وأول من قص الشارب وأول من شاب فلما رأى الشيب قال ما هذا ؟ قال وقار قال . ياربزدنى وقاراً وذكر ابن أبي شيبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال أول من خطب على المنابر إبراهيم عليه السلام ، قال غيره وأول من برء البريد وأول من ضرب بالسيف وأول من استاك وأول من استنجد بالماء وأول من لبس السراويل ، وروى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « إن أخذ للبر فقد أخذته أبي إبراهيم ، وإن أخذ للصا فقد أخذها أبي إبراهيم » (قلت) هذا حديث لا يثبت والله أعلم . ثم شرع القرطبي يتكلم فيما يتعلق بهذه الأشياء من الأحكام الشرعية .

قال أبو جعفر بن جرير ما حاسبته أنه يجوز أن يكون للرداء الكلمات جميع ما ذكر وجائز أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشئ منها أنه المراد على التبيين إلا مجديث أو إجماع قال ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا ينقل الجماعة الذى يجب التسليم له . قال غير أنه قد روى عن النبي ﷺ في نظير معنى ذلك خبران أحدهما ما حدثنا به أبو حنيفة أخبرنا راشد بن سعد حدثني زيان بن خالد عن سهل بن معاذ بن أنس قال كان النبي ﷺ يقول « ألا أخبركم لم يمتى الله إبراهيم خليله . الذى وفى . لأنه كان يقول كلما أصبح وكلأ أمسى . (سبحانه الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد فى السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون) الى آخر الآية » قال والآخر منها

ما حدثنا به أبو كريب أخبرنا الحسن عن عطية أخبرنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ (وإبراهيم الذي وفى) قال « أتدرون ما وفى ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « وفى حصل يومه أربع ركعات فى النهار » ورواه آدم فى تفسيره عن حماد بن سلمة وعبد بن حميد عن يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير به ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين وهو كما قال فإنه لا يجوز روايتهما إلا بإسناد ضعيفهما . وضعفهما من وجوه عديدة فإن كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما لى من الحديث مما يدل على ضعفه والله أعلم . ثم قال ابن جرير ولو قال قائل إن الذى قاله مجاهد وأبو صالح والريبع بن أنس أولى بالصواب من القول الذى قاله غيرهم كان منعباً لأن قوله (إنى جاعلك للناس إماماً) وقوله (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين) الآيات وسائر الآيات التى هى نظير ذلك كاليان عن السكيات التى ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم (قلت) والذى قاله أولاً من أن السكيات تشمل جميع ما ذكر أقوى من هذا الذى جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله لأن السياق يمحطى غير ما قاله والله أعلم

وقوله قال (ومن ذريتى) قال (لا ينال عهدى الظالمين) لما جعل الله إبراهيم إماماً سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته فأجيب إلى ذلك وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم والدليل على أنه أحجب إلى طلبته قوله تعالى فى سورة التنبؤ (وجعلنا من ذريته النبوة والكتاب) فكلمنى أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم فى ذريته صلوات الله وسلامه عليه وأما قوله تعالى (قال لا ينال عهدى الظالمين) فقد اختلفوا فى ذلك فقال خفيف عن مجاهد فى قوله (قال لا ينال عهدى الظالمين) قال لا ينال عهدى الظالمين ، وقال ابن أبى نعيم عن مجاهد (قال لا ينال عهدى الظالمين) قال لا يكون لى إمام ظالم ، وفى رواية لا أجعل إماماً لما يقتدى به . وقال سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله تعالى (قال لا ينال عهدى الظالمين) قال لا يكون إمام ظالم يقتدى به . وقال ابن أبى حاتم أخبرنا أبو أخبرنا مالك بن إسماعيل أخبرنا شريك عن منصور عن مجاهد فى قوله (ومن ذريتى) قال أما من كان منهم صالحاً فأجعله إماماً يقتدى به وأما من كان ظالماً فلا ولا نعمة عين . وقال سعيد بن جبير (لا ينال عهدى الظالمين) المراد به المشرك لا يكون إمام ظالم يقول لا يكون إمام مشرك ، وقال ابن جريج عن عطاء قال (إنى جاعلك للناس إماماً) قال ومن ذريتى فأبى أن يحصل من ذريته إماماً ظالماً قلت لعطاء ما عهدته قال أمره : وقال ابن أبى حاتم أخبرنا عمرو ابن ثور القيسارى فيما كتب إلى أخبرنا الثريانى حدثنا إسماعيل حدثنا ممالك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ، قال قال الله لإبراهيم إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى فأبى أن يفعل ثم قال (لا ينال عهدى الظالمين) وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس (قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) يخبره أنه كان فى ذريته ظالم لا ينال عهد ولا ينال عهد ولا ينال عهد أن يوليه شيئاً من أمره وإن كان من ذرية خليله ، وحسن استفاد فيه دعوته وتبلغ فيه ما أراد من مسئلته . وقال العوفى عن ابن عباس (لا ينال عهدى الظالمين) قال بنى لأبعد لظالم عليك فى ظله أن تقطعه فيه ، وقال ابن جرير حدثنا إسحق أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله عن إسرائيل عن مسلم الأعور عن مجاهد عن ابن عباس قال (لا ينال عهدى الظالمين) قال ليس للظالمين عهد وإن عاهدته أشفه : وروى عن مجاهد وعطاء ومقاتل بن حيان نحو ذلك : وقال الثوري عن هارون بن عترة عن أبيه قال ليس للظالم عهد وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله (لا ينال عهدى الظالمين) قال لا ينال عهد الله فى الآخرة الظالمين فأما فى الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش ، وكذلك قال إبراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة ، وقال الريبع بن أنس عهد الله الذى عهد إلى عباده دينه يقول لا ينال دينه الظالمين الا ترى أنه قال (وإبركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما حسن وظالم لنفسه مبين) يقول ليس كل ذريتك بإبراهيم على الحق وكذا روى عن أبى المالية وعطاء ومقاتل بن حيان وقال جوير عن الضحاك لا ينال طاعى عدوى بصيغى ولا أعلم إلا ولياً لى يطعن . وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حماد أخبرنا أحمد بن عبد الله بن سعيد الدمشقى أخبرنا وكيع عن الأعمش عن سعيد بن عيسى عن عبد الله بن الحسن السلمى عن علف بن أبى طالب عن النبي

عبدى بن بوقى — فبذه أقوال مفسرى السلف في هذه الآية على ما شأله ابن جرير وابن أبى حاتم رحمهما الله تعالى واختار ابن جرير أن هذه الآية وإن كانت ظاهره في الخبر أنه لا يقال عهد الله بالإمامة ظلالها إنما إعلام من الله لإبراهيم الخليل عليه السلام أنه سيوجد من ذريته من هو ظالم لنفسه كما تقدم عن مجاهد وغيره والله أعلم . وقال ابن خزيمة مناد المالكي . الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكماً ولا مفتياً ولا عاهداً ولا راوياً

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾

قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) يقول لا يقضون فيه وطراً ، يأتيونه ثم يرجعون إلى أهلهم ثم يسودون إليه . وقال طي بن أبى طلحة عن ابن عباس مثابة للناس يقول يثوبون . رواهما ابن جرير . وقال ابن أبى حاتم أخبرنا عبد الله بن رجاء أخبرنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) قال يثوبون إليه ثم يرجعون قال وروى عن أبى العالية وسعيد بن جبير في رواية وعطاء ومجاهد والحسن وعطية والريبع بن أنس والضحاك نحو ذلك . وقال ابن جرير . حدثني عبد الكريم بن أبى عمير حدثني الوليد بن مسلم قال: قال أبو عمرو بنى الأوزاعي . حدثني عبدة بن أبى لبة في قوله تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) قال لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطراً . وحدثني يونس عن ابن وهب قال: قال ابن زيد (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) قال يثوبون إليه من اللدان كلها ويأتونه . وما أحسن ما قال الشاعر في هذا المعنى أوردته القرطبي جعل البيت مثابة لهم * ليس منه البحر يقضون الوطر

وقال سعيد بن جبير في الرواية الأخرى وعكرمة وقادة وعطاء الخراساني (مثابة للناس) أى جمعاً (وأمناً) قال الضحاك عن ابن عباس . أى أمناً للناس . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبى العالية (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً) يقول وأمناً من العدو وأن يحمل فيه السلاح وقد كانوا في الجاهلية يخطفون الناس من حولهم وهم آمنون لا يسبون . وروى عن مجاهد وعطاء والسدى وقادة والربيع بن أنس قالوا من دخله كان آمناً .

ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية أن تعالى يذكر شرف البيت وما جبهه موسوفاً به شرفاً وقدراً من كونه مثابة للناس أى جبهه محللاً تستأق إليه الأرواح ونحن إليه ولا نقضى منه وطراً ولو ترددت إليه كل عام استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله فاجعل أئمتنا من الناس تهوى إليهم إلى أن قال (ربنا وقبل دعائى) ويصفه تعالى بأنه جبهه آمناً من دخله أمن ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمناً . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يمرض له كما وصف في سورة المائدة قوله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) أى يدفع عنهم بسبب تعظيمها السوداء كما قال ابن عباس : لو لم يبع الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولاً وهو خليل الرحمن كما قال تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً) وقال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدياً للعالمين) فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً وفي هذه الآية الكريمة به على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده . فقال (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقد اختلف القسرون في الراد بالمكان ما هو فقال ابن أبى حاتم : أخبرنا عمرو بن شبة أخبرني حدثنا أبو خلف يعني عبد الله بن عيسى أخبرنا داود بن أبى هند عن مجاهد عن ابن عباس (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قال مقام إبراهيم الحرم كله . وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك . وقال أيضاً أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فقال سمعت ابن عباس قال : أما مقام إبراهيم الذى ذكره هنا فمقام إبراهيم هذا الذى في المسجد ثم قال ومقام إبراهيم يذكرونه مقام إبراهيم الحجاز كله . ثم فسره لى عطاء فقال : التعريف وصلاتان بمرقة وللشعر ومضى ورمى الجمار والطواف بين الصفا والمروة ، فقلت أسره ابن عباس ؟ قال لا . ولكن قال مقام إبراهيم الحجاز

كله . قلت أسمعت ذلك لهذا أجمع ؟ قال نعم سمعته منه . وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير (وأخذوا من مقام إبراهيم صلى) قال الحجر مقام إبراهيم نبي الله قد جعله الله رحمة فكان يقوم عليه ويتناولها إسماعيل الحجر ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه . وقال السدي : القام الحجر الذي وضعت زوجة إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتى غسلت رأسه . حكاه القرطبي وضمفه ورجحه غيره ، وحكاه الرازي في تفسيره عن الحسن البصري وقتادة والريعي بن أنس . وقال ابن أبي حاتم . أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه مع جابر يحدث عن جبة النبي ﷺ قال : لما طاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له عمر هذا مقام أيننا ؟ قال نعم ، قال أفلا تتخذونه مصلى ؟ فأئذن الله عز وجل (وأخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقال عثمان بن أبي شيبة أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحق عن أبي ميسرة قال : قال عمر قلت يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا ؟ قال نعم ، قال أفلا تتخذونه مصلى ؟ فنزلت (وأخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقال ابن مردويه أخبرنا دعلج بن أحمد أخبرنا غيلان بن عبد الصمد أخبرنا مسروق بن الرزيان أخبرنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام إبراهيم فقال : يا رسول الله أليس تقوم بمقام خليل ربنا ؟ قال بلى ، قال أفلا تتخذونه مصلى ؟ فليطأ إليا حتى نزلت (وأخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن الحسين حدثنا الجعيد أخبرنا هشام بن خالد أخبرنا الوليد عن مالك ابن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : لما وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم قال له عمر يا رسول الله هذا مقام إبراهيم الذي قال الله (وأخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قال نعم : قال الوليد : قلت لمالك هكذا حدثك وأخذوا قال نعم هكذا وقع في هذه الرواية وهو غريب وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم نحوه . وقال البخاري : باب قوله (وأخذوا من مقام إبراهيم مصلى) مثابة يشوبون يرجعون حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك . قال : قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث أو واقفتي ربي في ثلاث : قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت (وأخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والقاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأئذن الله آية الحجاب . قال وبلغني معابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض نساء فدخات عليهن فقلت إن اثنين أوليدين الله رسوله خيرا منكهن حتى أميت إحدى نساء قالت : يا عمر أما في رسول الله ما يسيظ نساءه حتى تعظهن أنت فأئذن الله (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكهن مسلمات) الآية وقال ابن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال سمعت أنسا عن عمر رضي الله عنهما هكذا ساقه البخاري ههنا وعلق الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصري وقد تفرد عنه بالرواية البخاري من بين أصحاب الكتب الستة . وروى عنه الباقرن بواسطة وخرسه من تعليق هذا الطريق ليعين فيه اتصال إسناد الحديث وإنما لم يسند لأن يحيى بن أبي أيوب القاتني فيه شيء قال كالإمام أحمد فيه هو سيء الحفظ والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال : قال عمر رضي الله عنه واقفت ربي عز وجل في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت (وأخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والقاجر فلو أمرتهن أن يحجبن فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في التسمية فقلت لمن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكهن فنزلت كذلك ، ثم رواه أحمد عن يحيى وابن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس عن عمر أنه قال واقفت ربي في ثلاث أو واقفتي ربي في ثلاث فذكره . وقد رواه البخاري عن عمر وابن عون والترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي وابن ماجه عن محمد بن الصباح كلهم عن هشيم بن بشير به . ورواه الترمذي أيضا عن عبيد بن حميد عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة والنسائي عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة كلاهما عن حميد وهو ابن تيرويه الطويل به . وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه الإمام علي بن الحسين عن يزيد بن زريع عن

حميد به وقال هذا من صحيح الحديث وهو يصري ورواه الإمام مسلم بن حجاج في صحيحه بسند آخر ولفظ آخر .
 فقال أخبرنا عقبة بن مكرم أخبرنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : واقت
 رني في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم . وقال أبو حاتم الرازي : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري
 أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب واقتني ربي في ثلاث ، أو واقت ربي في ثلاث ، قلت
 يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فقلت : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله لو حبيت
 النساء فقلت آية الحجاب ، والثالثة لما مات عبد الله بن أبي جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه قلت :
 يا رسول الله صلى على هذا الكافر النافق . فقال : أيها عنك يا ابن الخطاب فقلت : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تنم
 على قبره) وهذا إسناده صحيح أيضا ولا تعارض بين هذا ولا هذا بل الكل صحيح ومفهوم العدد اذا عارضه منطوق
 قدم عليه والله أعلم : وقال ابن جريج أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله ﷺ رمل
 ثلاثة أشواط ومشى أربعا حتى اذا فرغ حمد الى مقام إبراهيم صلى خلفه ركعتين ، ثم قرأ (واتخذوا من مقام
 إبراهيم مصلى) وقال ابن جرير حدثنا يوسف بن بلال أخبرنا حاتم بن إسماعيل أخبرنا جعفر بن محمد عن أبيه عن
 جابر قال : استلم رسول الله ﷺ الركن فركل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ الى مقام إبراهيم قرأ (واتخذوا من مقام
 إبراهيم مصلى) فصل اللقمة بينه وبين البيت فصلى ركعتين وهذا قطعة من الحديث الطويل التي رواه مسلم في صحيحه من
 حديث حاتم بن إسماعيل وروى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار : قال سمعت ابن عمر يقول قلم رسول الله ﷺ فطاف
 بالبيت سبعا وصلى خلف اللقمة ركعتين ، فهذا كله مما يدل على ان اللقمة بالتمام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه
 السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أثناء إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويتاوله الحجاره فيصنها
 يده لرفع الجدار وكلما كل ناحية انتقل الى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من
 جدار نقله الى الناحية التي تليها وهكذا حتى تم جدران الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة إبراهيم وإسماعيل في بناء البيت
 من رواية ابن عباس عند البخاري وكانت آثار قديمه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال
 أبو طالب في قصيدته للعرفه اللامية .

ومطوي : إبراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير تاعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا قال عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك
 حدثهم ، قال رأيت اللقمة فيه أصابه عليه السلام وأخص قديمه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم ، وقال ابن جرير
 أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) إنما أمروا أن
 يصلا عنه ولم يؤمروا بمسحه . وقد تسكفت هذه الأمة شيئا ما تسكفته الأمم قبلها وقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه
 وأصابعه في ما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخالوا وأبعى (قلت) وقد كان هذا اللقمة ملصقا بجدار الكعبة قديما
 ومكانه معروف اليوم الى جانب الباب مما يلي الحجر يمتد الداخل من الباب في البقعة المنسقة هناك وكان الخليل
 عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا والله أعلم أمر
 بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وإنما أخره
 عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا
 باتباعهم وهو أحد الرجلين الذين قال فيهما رسول الله ﷺ « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » وهو
 الذي نزل القرآن بوفاة في الصلاة عنده ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، قال عبد الرزاق
 عن ابن جريج حدثني عطاء وغيره من أصحابنا : قال أول من قله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال عبد الرزاق
 أيضا عن معمر بن حميد الأعرج عن مجاهد قال أول من أخر اللقمة الى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
 وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد

ابن كامل حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي حدثنا أبو ثابت حدثنا البراءودي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر رضى الله عنه ملتصقا بالبيت ثم أخروه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهذا إسناد صحيح مع ما تقدم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابن أبي عمر المدني قال : قال سفيان يحنى ابن عيينة وهو إمام للكتيبين في زمانه كان المقام من سقع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحول عمر إلى مكانه يمداني ^{عنه} ويبد قوله (واخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قال ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا فرد عمر إليه : وقال سفيان لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله وقال سفيان لا أدري أكان لا مصفاها أم لا ؟ فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه والله أعلم : وقد قال الحافظ أبو بكر ابن مردويه أخبرنا ابن عمر وهو أحمد بن محمد بن حكيم أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن أبي تمام أخبرنا آدم هو ابن أبي إياس في تفسيره أخبرنا شريك عن إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل الله (واخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فكان المقام عند البيت فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضعه هذا ، قال مجاهد وكان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن هذا مرسل عن مجاهد وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق عن معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد أن أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهذا أصح من طريق ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم والله أعلم

(وَعِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْنِي لِلطَّائِفِينَ وَاللَّاسِكِينَ وَأَلَوْ كَرِهَ الشُّجُودُ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آيَاتًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِنْ ءَمِنٍ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَبَنَىٰ كَعْبٌ فَاسْتَمِعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الصَّيْدُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)

قال الحسن البصري قوله (وعدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) قال أمره الله أن يطهره من الأذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء ، وقال ابن جريج قلت لعطاء ما عهده ؟ قال أمره . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (وععدنا إلى إبراهيم) أى أمرناه كذا قال والظاهر أن هذا الحرف إنما عدى إلى لأنه في معنى تقدمنا وأوحينا ، وقال سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس قوله (أن طهرا يبق للطائفين والمالكين) قال من الأوثان وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة (طهرا يبق للطائفين) إن ذلك من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس . قال ابن أبي حاتم وروى عن عبيد ابن عمير وأبي العالية وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء وقتادة (أن طهرا يبق) أى بلا إله إلا الله من الشرك وأما قوله تعالى (للطائفين) فالطواف بالبيت معروف . وعن سعيد بن جبيرة أنه قال في قوله تعالى (للطائفين) يحنى من أتاه من غربة (والمالكين) التبعين فيه . وهكذا روى عن قتادة والريبع بن أنس أنهما فسرا المالكين بأهله التبعين فيه كما قال سعيد بن جبيرة وقال مجي القطان عن عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله (والمالكين) قال من أتاه من الأمصار فأقام عنده وقال لنا ونحن مجاورون أتم من المالكين وقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس قال إذا كان جالسا فهو من المالكين وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت ، قال قلنا لعبد الله بن عبيد بن عمير ما أراى إلا مكلم الأمير أن يمنع الذين ينامون في المسجد الحرام فإتهم يحبون ويعدون . قال لا فضل فإن ابن عمر سئل عنهم فقال هم المالكون . ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة به (قلت) وقد ثبت في الصحيح أن ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول

عليه السلام وهو عزب وأما قوله تعالى (والركع السجود) فقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس والركع السجود قال إذا كان مصليا فهو من الركع السجود وكذا قال عطاء وقناة
فيومه أربع في النهار ثم شرع ابن جرير يصف هذين الحدين فإن كلام السنين مشتمل على غير واحد من الضعاف وهو كما قال فإنه لا يجوز روايتهما (١)

قال ابن جرير رحمه الله ففي الآية وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين والتطهير الذي أمرها به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الأوثان فيه ومن الشرك ثم أورد سؤالا فقال فإن قيل فهل كان قبل بناء إبراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه وأجاب بوجهين : (أحدهما) أنه أمرها بتطهيره بما كان يعبد عنده زمان قوم نوح من الأصنام والأوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدها إذ كان الله تعالى قد جعل إبراهيم إماما يقتدى به كما قال عبد الرحمن بن زيد (أن طهرا بيتي) قال من الأصنام التي يعبدون التي كان للشركون يعظمونها (قلت) وهذا الجواب مفرغ على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام ويحتاج لإثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم (الجواب الثاني) أنه أمرها أن تخلص في بناءه فوحده لا شرك له فبنياء مطهر من الشرك والريب كما قال جل ثناؤه (أفنئ أسس بنياء على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنياء على شفا جرف هار) قال فكذلك قوله (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي) أي إنيأه على طهر من الشرك والريب كما قال السدي (أن طهرا بيتي) إنيأه إلى إبراهيم وإسماعيل أن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفين به والمالكين عنده والصلين إليهم الركع السجود كما قال تعالى (وإذا بونا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والتائفين والركع السجود) الآيات. وقد اختلف الفقهاء أيما أفضل الصلاة عند البيت أو الطواف به ؟ فقال مالك رحمه الله . الطواف به لأهل الأمصار أفضل . وقال الجمهور : الصلاة أفضل مطلقا ، وتوجيه كل منهما يذكر في كتاب الأحكام ، والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون بالله عند بيته المؤسس على عبادته وحده لا شريك له ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه كما قال تعالى : (إن الذين كفروا وصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن رده فيهما لحاد يظلم نذقه من عذاب أليم) ثم ذكر أن البيت إنما أسس من بعده وحده لا شريك له إما بطواف أو صلاة فذكر في سورة الحج أجزاءها الثلاثة قياسا وركوعها وسجودها ولم يذكر العاكف لأنه تقدم (سواء العاكف فيه والباد) وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفين والمالكين واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام وفي ذلك أيضا رد على من لا يحججه من أهل الكتابين اليهود والنصارى لأنهم يعتقدون فضيلة إبراهيم الخليل وإسماعيل ويعلمون أنه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة وغير ذلك وللإكفاف والصلاة عنده وهم لا يفعلون شيئا من ذلك فكيف يكونون مقتدين بالخليل وهم لا يفعلون ما شرع الله له ؟ وقد حج البيت موسى بن عمران وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما أخبر بذلك المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى)

وتقدير الكلام إذا (وعهدنا إلى إبراهيم) أي تقدمنا بوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل (أن طهرا بيتي للطائفين والمالكين والركع السجود) أي طهرا من الشرك والريب وإنيأه خالصا لله معقلا للطائفين والمالكين والركع السجود ، وتطهير المساجد مأخوذ من هنا الآية الكريمة ومن قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالقنود والأصاويل) ومن السنة من أحاديث كثيرة من الأمر بتطهيرها وتطييبها وغير ذلك من صيانتها من الأذى والتجاسات وما أشبه ذلك . ولهذا قال عليه السلام « إنما بنيت المساجد لما بنيت له » وقد جمعت في ذلك جزءا على حدة والله الحمد ولله وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة فقيل لللائكة قبل آدم روى هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي

(١) قوله : في يومه أربع في النهار لا معنى له والكلام قد تم إليه . وقوله بعده ثم شرع ابن جرير الخ لا عمل له هنا وليس قبله حديثان ضعيفان : وهو وما قبله ليس في نسخة خزاعة الأزهر اه .

ابن الحسين ذكره القرطبي وحكى لفظه وفيه غرابة وقيل آدم عليه السلام رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن السيب وغيرهم أن آدم بناه من خمسة أجبل من حراء وطور سيناء وطور زينا وجبل لبنان والجرى ، وهذا غريب أيضا . وروى عن ابن عباس وكعب الأخبار وثلاثة وعن وهب بن منبه أن أول من بناه شيث عليه السلام وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب وهي مما لا يصدق ولا يكتب ولا يعتمد عليها بمجرد ما وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس واليدين

وقوله تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا نبيا واجعل أهلك من أتى من آمن منهم بالله واليوم الآخر) قال الإمام أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي أخبرنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه وإن حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عظامها » وهكذا رواه النسائي عن محمد بن بشار عن بندار به وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وعمر بن الناقذ كلاهما عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان الثوري وقال ابن جرير أيضا أخبرنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن إدريس وأخبرنا أبو كريب أخبرنا عبد الرحيم الرازي قالا جميعا سمعنا أشعث عن نافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إن إبراهيم كان عبد الله وخليه وإنى عبد الله ورسوله وإن إبراهيم حرم مكة وإنى حربت المدينة ما بين لابتيها عظامها وصيدها لا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يقطع منها شجرة إلا لعلف بئر » وهذه الطريق غريبة ليست في شيء من الكتب الستة وأصل الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الأمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال « اللهم بارك لنا في عمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا » اللهم إن إبراهيم عبدك وخليك ونيك وإنى عبدك ونيك وإنه دعاك لمكة ، وإنى أدعوك للمدينة بثلث ما دعاك لمكة وثلث معه « ثم يدعو أضر وليده ليعطيه ذلك الثور في لفظ « بركة مع بركة » (١) ثم يعطيه أضر من يحضر من الولدان - لفظ مسلم ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنا بكر بن مضر عن ابن الهاد عن أبي بكر بن محمد عن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن رافع بن خديج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إبراهيم حرم مكة وإنى أحرم ما بين لابتيها » اشهد بإخراجه مسلم فرواه عن قتيبة عن بكر بن مضر به ولفظه كلفظه سواء وفي الصحيحين عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النفس على غلامان غلامانك يخدمني فخرجني أبو طلحة يردني وراه فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل وقال في الحديث ثم أقبل حتى إذا بدا له أخذ قال « هذ جبل يحبنا ونحبه » فلما أشرف على المدينة قال « اللهم إنى أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم به إبراهيم مكة اللهم بارك لهم في مدنها وصاعهم » وفي لفظ لها « اللهم بارك لهم في مكياهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم في مدنها » زاد البخاري يعني أهل المدينة ولها أيضا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجعل بالمدينة ضيقي ما جعلته بمكة من البركة » وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مدنها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة » رواه البخاري وهذا لفظه وللمسلم ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها . وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإنى دعوت في صاعها ومدنها مثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة » وعن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما وإنى حرمت المدينة حراما ما بين ما زما من أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يحيط فيها شجرة إلا لعلف : اللهم بارك لنا في مدينتنا اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنا اللهم اجعل مع البركة بركتين » الحديث رواه مسلم ، والأحاديث في تحريم المدينة كثيرة وإنما أوردنا منها ما هو متعلق بتحريم إبراهيم عليه السلام لمكة لما في ذلك من مطابقة الآية الكريمة . وعلمك بهما من ذهب إلى أن تحريم مكة إنما كان على لسان إبراهيم الخليل وقيل إنها محرمة منذ خلقت مع الأرض وهذا أظهر وأقوى والله أعلم

(١) ورد هنا اللفظ في رواية أخرى هذا نصها « اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي عمارتنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة »

وقد وردت أحاديث أخر تدل على أن الله تعالى حرم مكة قبل خلق السموات والأرض كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة». وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، لا يسند شوكة ولا ينفر صيده ولا ينطق لفظته إلا من عرفها ولا يغتلب عليها، فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لثيهم وليوثهم فقال «إلا الإذخر». وهذا لفظهم ولها عن أبي هريرة نحو من ذلك ثم قال البخاري بعد ذلك: وقال أبان بن صالح عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم مثله وهذا الذي علقه البخاري رواه الإمام أبو عبد الله بن ماجه عن محمد بن عبد الله بن غير عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحق عن أبان بن صالح عن الحسن بن مسلم بن يثاق عن صفية بنت شيبة: قالت سمعت رسول الله ﷺ يخطب عام الفتح فقال «يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة لا يسند شجرها ولا ينفر صيدها ولا يأخذ لفظتها إلا مشد» فقال العباس: إلا الإذخر فإنه للبيوت والقبور، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا الإذخر». وعن أبي شريح السدي أنه قال لعمرو ابن سيد وهو يبعث البعوث إلى مكة أذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الفد من يوم الفتح سمعت أذنأي ودعاه قلي وأبصرته عني حين تكلم به - إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحمل لأمرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بهادماً ولا يسند بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ يقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم». وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عانت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ^(١) الشاهد التابع» قيل لأي شريح ما قال لك عمرو؟ قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يذهب غايباً ولا فارأبدم ولا فارأبهم رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه فإذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السلام حرمها لأن إبراهيم بلغ عن الله حكمه فيها ونحريمه إياها وأنها لم تزل بلدًا حراماً عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها، كما أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوباً عند الله خاتم النبيين وإن آدم لم يجد في طينته ومع هذا قال إبراهيم عليه السلام (ربنا واثب فيهم رسولا منهم) الآية وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره. ولهذا جاء في الحديث أنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن بدء أمرك. فقال «دعوتني إبراهيم عليه السلام وشرى عيسى بن مريم ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام» أي أخبرنا عن بدء ظهور أمرك كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

وأما مسألة فضيل مكة على المدينة كما هو قول الجمهور أو للمدينة على مكة كما هو منذهب مالك وأتباعه فتذكر في موضع آخر بأدلتها إن شاء الله وبه الثقة. وقوله تعالى إخباراً عن الحليل أنه قال (رب اجعل هذا بلدًا آمناً) أي من الخوف أي لا يرعب أهله وقد فعل الله ذلك شرعاً وقدرًا. كقوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وقوله (أو لم يروا أننا جلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) إلى غير ذلك من الآيات وقد تقدمت الأحاديث في تحريم القتال فيه. وفي صحيح مسلم عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح» وقال في هذه السورة (رب اجعل هذا بلدًا آمناً) أي اجعل هذه البقعة بلدًا آمناً وناسب هذا لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً) وناسب هذا هناك لأنه والله أعلم كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به وبعد مولد إسحق الذي هو أسير سننا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة، ولهذا قال في آخر النساء (الحمد لله الذي وهب لي الكبير إسماعيل وإسحق إنني لسميع الدعاء). وقوله تعالى (وارزق أهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأنتم قليل من أنظره إلى عذاب النار وبئس المصير) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب (قال ومن كفر

(١) الذي في البخاري ومسلم: وليبلغ اه.

أُنهما كانا يرقان ويقولان كما سيأتي بيانه . وقد روى البخارى هنا حديثا سنوردهم تبينه آثار متعلقة بذلك . قال البخارى رحمه الله . حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السخاني وكثير بن كثير بن الخطاب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال . أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتلقى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ؟ ولائىء قالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت آله أملك بهذا ؟ قال نعم ، قالت : إذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دحا بهذه السعوات ورفع يديه فقال (ربنا إني أسكنت من ذريقى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) حتى بلغ (يشكرون) وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتحسب من ذلك الساء حتى إذا ضلعا في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت صفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا ، فنهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا ، فلم تر أحدا فضلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبي ﷺ « فلذلك سعى الناس بينهما » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت « صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعتم إن كان عندك غواث فاذا هى باللك عند موضع زمزم فيبحث بقبه أو قال يبحاه حتى ظهر الماء فجلبت تحوضه وتقول يدها هكذا وجعلت تفر من الماء في سقائها وهو يغور بدماء تفر ، قال ابن عباس قال النبي ﷺ « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال لو لم تفر من الماء - لكانت زمزم عينا معنا » قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخاف الضية فإن ههنا بيتا لله بينه هذا العالم وأبوه وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالراية تأتيه السيول تاتخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رقعة من جرم أو أهل بيت من جرم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عاتقا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لمهدنا . بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جريا أوجريين فاذا بماء فرجوا فأخبروه بماء فأقبلوا قال وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم : ولكن لاحق لكم في الماء عندنا قالوا : نعم قال ابن عباس : قال النبي ﷺ « فألقى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الأنس » فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتنى لنا ثم سألهما عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وعدة فشكت إليه قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألهما عنك فأخبرته وسألهما كيف عيشنا ؟ فأخبرته أننا في جهد وشدة قال فهل أو سالك شيء ؟ قالت نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبى وقد أمرنى أن أقرأك فالحق بأهلك ، وطلعتها وتزوج منهم بأخري فلبث عنهم إبراهيم ماشاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجدهم فدخل على امرأته فسألهما عنه فقالت : خرج يبتنى لنا قال . كيف أنتم ؟ وسألهما عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بخير وسعة وأئنت على الله عز وجل قال ما طامعكم قالت اللهم قال فما شربكم ؟ قالت الماء . قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي ﷺ « ولم يكن لهم يؤمئذ حب ولو كان لهم لبنا لم فيه » قال فهما لا يخلو عليهما أحد ينير مكة إلا لم يوافقاه قال فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأئنت عليه

فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير قال . فأوصاك بشيء ؟ قالت . نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال ذلك أني وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يرى نبلا له تحت دوحه قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك قال : وتبين قال : وأعينك قال : فان الله أمرني أن أبني ههنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال : فشد ذلك رضا القواعد من البيت فبصل إسماعيل يأي بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) قال : فبصلا يتبينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) ورواه عبد بن حميد عن عبد الرزاق به مطولا، ورواه ابن أبي جاتم عن أبي عبد الله محمد بن حماد الطبراني وابن جرير عن أحمد بن ثابت الرازي كلاهما عن عبد الرزاق به مختصرا

وقال أبو بكر بن مردويه أخبرنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا أحمد بن محمد الأزرق أخبرنا مسلم بن خالد الزنجي عن عبد الملك بن جريج عن كثير بن كثير قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان وعبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي حسين في ناس مع سعيد بن جبير في أعلى المسجد ليلا فقال سعيد بن جبير . سلوني قبل أن لاتروني فسلوه عن القام فأنشأهمدهم عن ابن عباس فذكر الحديث بطوله .

ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو أخبرنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال . لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل وأمه إسماعيل ومعهم شاة فهاها فبصلت أم إسماعيل تصرب من الشاة فيدرب لبنها على صبيها حتى قم فمكة فوضعها تحت دوحه ثم رجع إبراهيم الى أهله فأتيت أم إسماعيل حتى بلوا كداء نادته من وراءه يا إبراهيم الى من تركنا ؟ قال الى الله . قالت رضىت بالله قال . فرجعت فبصلت تصرب من الشاة ويدرب لبنها على صبيها حتى لما في اللاء قالت . لو ذهبت فنظرت لمل أحسن أحدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت هل تحس أحدا فلم تحس أحدا فلما بلغت الوادي سمعت حتى أت المرأة وقملت ذلك أشواطا حتى أتت سبعا ثم قالت لو ذهبت فنظرت ماقل السي فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشق الموت فلم تفرها تشبه قالتا . لو ذهبت فنظرت لمل أحسن أحدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتت سبعا ثم قالت . لو ذهبت فنظرت ماقل فاذا هي بصوت قالتا . أغث إن كان عندك خير فاذا جبريل عليه السلام قال : فقال بشبه هكذا وغمز عقبه على الأرض قال فأنشق للاء فدهشت أم إسماعيل فبصلت تحفر قال : فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته لكان للاء ظاهرا » قال فبصلت تصرب من اللاء ويدربلنها على صبيها قال فر ناس من جرهم يطعن الوادي فاذا هم بطير كأنهم أنكروا ذلك وقالوا ما يكون الطير إلا على ماء فيعتوا رسولهم فنظر فاذا هو بللاء فقام فأخبرهم فأتوا اليها فقالوا . يا أم إسماعيل أأذنين لنا أن نكون معك ونسكن معك ؟ فبلغ إليها ونكح منهم امرأة قال ثم إنه بدا لإبراهيم عليه السلام فقال لأهله . إني مطلع تركني قال فجاه فسلم فقال أين إسماعيل ؟ قالت امرأته ذهب يسيد قال . قولي له اذا جاء غير عتبة بابك فلما أخبرته قال أنت ذاك فاذهي الى أهلك ، قال ثم إنه بدا لإبراهيم فقال إني مطلع تركني قال فجاه فقال أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته ذهب يسيد فقالت ألا تنزل قطعهم وتصرب فقال ما طامحك وما شريكك قالت طامعنا اللهم وشربنا للاء قال اللهم بارك لهم في طامعهم وشربهم قال : فقال أبو القاسم عليه السلام « بركة بدعوة إبراهيم » قال ثم إنه بدا لإبراهيم عليه السلام فقال لأهله إني مطلع تركني فجاه فوافق إسماعيل من وراء زمزم يسلح نبلا له فقال يا إسماعيل ان ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتا فقال أطلع ربك عز وجل قال انه قد أمرني ان تعيني عليه فقال إذن أفلح - أو كما قال - قال فقام فبصل إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) قال حتى ارضع البناء وشفف الشفع عن قل الحجارة فقام على حجر القام فبصل يناوله الحجارة ويقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) هكذا

رواه من هذين الوجهين في كتاب الأنبياء .

والصحيح أن الحافظ أباعده الله الحاكم روله في كتابه المستدرک عن أبي العباس الأصم عن محمد بن سنان القزاز عن أبي علي عبد الله بن عبد الحميد الحنفي عن إبراهيم بن نافع به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا قال ، وقد رواه البخاري كما ترى من حديث إبراهيم بن نافع وكأن فيه اختصاراً فإنه لم يذكر فيه شأن الدج ، وقد جاء في الصحيح أن قرني الكشي كانا معلقين بالكعبة وقد جاء أن إبراهيم عليه السلام كان يزور أمه بمكة في البراق سريعاً ثم يعود إلى أهله بالبلاد المقدسة والله أعلم والحديث - والله أعلم - أن ما فيه مرفوع أما كن صرح بها ابن عباس عن النبي ﷺ

وقد ورد عن أمير المؤمنين بن أبي طالب في هذا السياق ما يخالف بعض هذا كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن لثمي قالا : أخبرنا مؤمل أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب قال : لما أمر إبراهيم ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر قال : فلما قدم مكة رأى علي رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه قال يا إبراهيم : ابن علي ظلي وأقال علي قدري ولا تزد ولا تنقص فلما بين خرج وخلف إسماعيل وهاجر فقالت هاجر يا إبراهيم : إلى من تكلمنا ؟ قال إلى الله قال : انطلق فإنه لا يضيعنا قال : فطش إسماعيل عطشاً شديداً قال : فصعدت هاجر إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئاً حتى أتمت للروة فلم تر شيئاً ، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئاً فنظرت ذلك سبع مرات فقالت : يا إسماعيل مت حيث لأراك فأثته وهو يفضص رجله من العطش فناداه جبريل فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا هاجر أم ولد إبراهيم قال : قللي من وكلكتي ؟ قالت : وكلنا إلى الله ، قال : وكلكتي إلى كافي قال : ففحص الأرض بأصبعه فنبعث زمزم فجلست تحبس الماء فقال : دعيه فإنه روي^(١) في هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يغار قهما وقد يحمل أنه كان محفوظاً أن يكون أولاً وضع له حوطاً ونحيراً لأنه بناه إلى أعلاه كيبر إسماعيل فبناه معاً كما قال الله تعالى . ثم قال ابن جرير أخر هناد بن السرى حدثنا أبو الأحوص عن سفيان عن خالد بن عرعرة أن رجلاً قام إلى علي رضي الله عنه فقال لا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال لا ، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً وإن عشت أن أبأك كيف بني ، إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض فضاق إبراهيم بذلك فدعا فارس الله السكنية وهي ريع خجوج ولها رأسان فأتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوت على موضع البيت كلتي^(٢) الحجة وأمر إبراهيم أن يبنى حيث تستقر السكنية فبنى إبراهيم وفي الحجر فذهب الغلام يبنى شيئاً فقال إبراهيم لا يبنى حجراً كما أمرك قال فانطلق الغلام يلتصق له حجراً فأثاه به فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه فقال يا أبت من أتاك هذا الحجر . فقال أنا في به من لم يتكلم علي بنائك جابه جبريل عليه السلام من السماء فأثاه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد اللقي أخبرنا سفيان عن بشر بن عاصم عن معبد بن المسيب عن كعب الأحبار قال : كان البيت غشاة على لئاء قبل أن يخلق الله الأرض بأربعين علماً ومنه دحيت الأرض . قال سعيد . وحدثنا علي بن أبي طالب أن إبراهيم أقبل من أرض أرمينية ومعه السكنية تملأ على تبوء البيت كما تتبوء العنكبوت بيتاً ، قال . فكشفت عن أحجار لا يطبق الحجر إلا ثلاثون رجلاً قلت يا أبا محمد فإن الله يقول (وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) قال كان ذلك بعد وقال السدي : إن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يبنى البيت وهو وإسماعيل ابنيهما للطافين والمالكين والركع السجود . فانطلق إبراهيم حتى أتى مكة فقام هو وإسماعيل وأخذوا للماول لا يدريان أين اليب فبعث الله رجلاً يقال لها الريح الحجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشفت لها ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول واتباعها بالماول يفران حتى وضعا الأساس فقلك حين يقول تعالى (وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت) (وإذا بونا لإبراهيم مكان البيت) فلما بنوا القواعد قبلها مكان الركن . قال إبراهيم لإسماعيل . يا بني اطلب لي حجراً حسناً أضمه ههنا . قال يا أبت اني كلان لئب . قال علي ذلك فانطلق يطلب له حجراً وجاءه جبريل بالحجر الأسود من المهند وكان أيضاً ياقوتة يضاه مثل النخامة وكان آدم بهبط به من الجنة فاسود من خطايا^(٣) كذا في النسخة الأميرية وضبطت شديد الواو ولله ليا ولله في نسخة الزائدة الأحمر : دعيه لإنه ارواه . (٧) وفي ابن جرير كعتلى .

الناس لجأه إسحاق بجبر فوجده عند الركن ، فقال يا أبت من جاءك بهذا ؟ قال جاء به من هو أنشط منك ، فبينا هما يدعوان الكليات التي ابتلى إبراهيم ربه ، فقال (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) وفي هذا السباق ما يدل على أن قواعد البيت كانت مبنية قبل إبراهيم وإنما هدى إبراهيم إليها وبوى لها ، وقد ذهب إلى هذا زاهدون كما قال الإمام عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت) قال القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك ، وقال عبد الرزاق أيضاً أخبرنا هشام بن حسان عن سوار ختن عطاء عن عطاء بن أبي رباح قال : لما أبطأ الله آدم من الجنة كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء وعطاءهم يأمن بهم فهابت لللائكة حتى شكت إلى الله في دعائهما وفي صلاحتهما ففضضه الله تعالى إلى الأرض ، فلما قعد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائهما وفي صلاحتهما فوجه إلى مكة فكان موضع قدميه قرية وخطوه مغارة حتى انتهى إلى مكة وأزل الله بالقوة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان فرقت تلك القوطة حتى بصر الله إبراهيم عليه السلام قبله . وذلك قول الله تعالى (وإذ يؤتى إبراهيم) مكان البيت) وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال : قال آدم إني لأسمع أصوات لللائكة ، قال غطيتهن ولكن أبطأ إلى الأرض فإن لي بيتاً ثم اسخف به كما رأيت لللائكة تحف ببيتي الذي في السماء فيرضم الناس أنه بناء من خمسة (١) أجبل من حراء وطور زينا وطور سيناء والجدوى ، وكان ريشه من حراء فكان هذا بناء آدم حتى بناء إبراهيم عليه السلام بعد ، وهذا صحيح إلى عطاء ولكن في بعضه نكارة والله أعلم .

وقال عبد الرزاق أيضاً أخبرنا معمر عن قتادة قال : وضع الله البيت مع آدم أبطأ الله آدم إلى الأرض ، وكان مبهطه بأرض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض فكانت لللائكة تنهاه فتس إلى ستين ذراعاً فحزن آدم إذ فقد أصوات الللائكة وتيسيرهم ، فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال الله يا آدم إني قد أبطأت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلى عنده كما يصل عند عرشي ، فانطلق إليه آدم فخرج ومعه في خطوه ، فكان بين كل خطوتين مغارة فلم تزل تلك المغارة بهذا ، فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الأنبياء .

وقال ابن جرير : أخبرنا ابن حميد أخبرنا يعقوب العمري عن حص بن حميد عن حكرمة عن ابن عباس قال : وضع الله البيت على أركان للآء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألني طام ، ثم دحيت الأرض من تحت البيت . وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نعيم عن مجاهد وغيره من أهل العلم ، إن الله لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام وخرج معه يساعيل وأمه هاجر وإسحاق طفل صغير يرضع وحملوا فيها حديثي على البراق ومعه جبريل يده على موضع البيت ومعالم الحرم ، وخرج معه جبريل فكان لا يمر بقرية إلا قال : أجهنم أمريت يا جبريل ؟ فيقول جبريل أمسه ، حتى قدم به مكة وهي إذ ذاك عشاء وسلم وصبر (٢) وبها أناس يقال لهم الصالحين خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حراء مدة فقال إبراهيم لجبريل : أهنأ أمريت أن أضعها ؟ قال نعم فصد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم إسماعيل أن تصعد فيه عرشاً فقال (زيناً إلى ما سكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك الحرم) إلى قوله (لعلهم يشكرون) وقال عبد الرزاق أخبرنا هشام بن حسان أخبرني حميد عن مجاهد قال : خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً بألني طام وأركانه في الأرض السابعة ، وكذا قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد القواعد في الأرض السابعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا عمرو بن رافع أخبرنا عبد الوهاب بن معاوية عن عبد المؤمن بن خالد عن علي بن أحمد أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسحاق بينين قواعد البيت من خمسة أجبل . وقال مالك وأروسان ؟ فقال نحن عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة . قال فهنا بالبيتة على ما تدعيان . فقامت خمسة أكبيش قلن نحن نقصد أن إبراهيم وإسحاق عبدان مأموران أمرا ببناء هذه الكعبة . فقال قد رضيت وسلمت ، ثم مضى وذكر الأزد في تاريخ مكة أن ذا القرنين طاف مع إبراهيم عليه السلام بالبيت وهذا يدل على تقدم زمانه والله أعلم . وقال البخاري رحمه الله قوله تعالى (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) الآية . القواعد أساسه وأحدها

(١) قوله خسة الممود أربعة وحور (٢) في نسخة الأثرم وإسحق : سلم وصبر بدون صلف له .

قاعدة والقواعد من النساء واحدتها قاعدة . حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الله ابن محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة زوج النبي ﷺ . أن رسول الله ﷺ قال « ألم ترى أن قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد إبراهيم ؟ » قلت يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ قال « لولا حدتان قومك بالكفر » قال عبد الله بن عمر : لأن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركبتين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم عليه السلام . وقد رواه في الحج عن الشعبي عن أبي إسحق عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ومن حديث بن وهب والنسائي من حديث عبد الرحمن بن القاسم كلهم عن مالك به . ورواه مسلم أيضاً من حديث نافع قال سمعت عبد الله بن أبي بكر (١) بن أبي قحافة يحدث عبد الله بن عمر عن عائشة عن النبي ﷺ قال « لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال بكفر - لأهقت كنز الكعبة في نزيل الله ولجلعت بابها بالأرض ، ولأدخلت فيها الحجر » وقال البخاري أخبرنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن أنسود قال : قال لي ابن الزبير كانت عائشة تمر إليك حديثاً كثيراً لما حدثتك في الكعبة قال قلت قالت لي قال النبي ﷺ « يا عائشة لولا قومك حديث عهدم - فقال ابن الزبير - بكفر لنقضت الكعبة لجلت لها بإيها يدخل منه الناس وبإيها يخرجون منه » فقوله ابن الزبير انفراد بإخراجه البخاري فرواه هكذا في كتاب العلم من صحيحه ، وقال مسلم في صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو مخلوة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ « لولا حجارة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجلتها على أساس إبراهيم فان قريشا حين بنت البيت استصمرت ، وطلعت لها خلفاً » قال . وحدته أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قال أخبرنا ابن نمير عن هشام بهذا الاسناد انفراد به مسلم : قال وحدثني محمد بن حاتم حدثني محمد بن مهادي أخبرنا سليم بن حيان عن سعيد بن أبي ميثاق قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول حدثني خالتي سني عائشة رضى الله عنها قالت قال النبي ﷺ « يا عائشة لولا قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فأزقتها بالأرض وطلعت لها باباً شرقياً وباباً غربياً وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا اقتصرنا حيث بنت الكعبة » انفراد به أيضاً .

﴿ ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بعد طوفة وقبل بعث رسول الله ﷺ خمس سنين ﴾

وقد قل معهم في الحجرة وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين . قال محمد بن إسحق بن يسار في السيرة . وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يعمون بذلك ليسبقوها وبهايون هدمها وإنما كانت رضا فوق القامة فأرادوا رضا وتسقيها وذلك أن قرأ سرقوا كنز الكعبة وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى بنى ملبع بن عمرو من خزاعة فقتلت قريش يده ويزعم الناس أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان البحر قد روى سبينة إلى جندرجل من تجار الروم فتحتلط فأخذوا خبيها فأعدوه لتسقيها وكان بمكة رجل قطبي نجار فبها لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتصرف على جدار الكعبة وكانت مما بهايون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا أحرألت (٢) وكشت وفتحت فهاهنا كانوا بهايوناً فينا هي يوماً تصرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بسبب الله إليها طائر أكاشطتها فذهب بها فقالت قريش إنا نرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفنا الله ليلية فلما أجموا أمرهم في هدمها وبنيانها قام ابن وهب (٣) بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فقتلوا من الكعبة سحرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبك إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهر بنى ، ولا بيع ربا ولا مظلة أحد من الناس ، قال ابن إسحق والناس يتحلون هذا الكلام للوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم

(١) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر كالدواوىة أخرى لمسلم أيضاً فان عبد الله بن بكر توفي خلافة أبيه كالي إمامية امه (٢) أحزأت : ارتفعت واستوفرت لوقوت (٣) بن نسة الأزهر أبو وهب وباه في طليعتها أبو وهب بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

قال ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني عزموم وبقائل من قريش انضموا إليهم وكان ظهر الكعبة لبني جح وسهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبنى أسد بن عبد العزى بن قصي ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم ثم إن الناس هابوا هدمها وقرقوا منه فقال الوليد بن العتيرة أنا أبذلكم في هدمها فأخذ المول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع اللهم إنما لا نريد إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين قريش بنو الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ، ورددها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا ، فأصبح الوليد من ليته غلداً على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم عليه السلام أقضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضاً : قال فحدثني بعض من يروى الحديث أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أيضاً أحدهما فلما تحرك الحجر انقضت مكة بأسرها فاتهموا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحق . ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن يعني الحجر الأسود فاختصوا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال تقربت بنو عبد الدار جفنة عمولة مما ثم تعاقدوا ثم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك اللهم في تلك الجفنة فسموا « لفة الدم » فسكت قريش على ذلك أربع ليالٍ وخمسة أيامٍ منهم اجتماعوا في المسجد فقتلوا ورواوا وتناصروا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن العتيرة بن عبد الله بن عمرو بن عزموم وكان حاشد أسن قريش كلهم قال : يامشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه فقبضوا فكان أول داخل رسول الله ﷺ فلما رآوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا عمو . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال ﷺ : هلم إلى نوبا . فأتى به فأخذ الركن يعني الحجر الأسود فوضه فيه يده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من التوبى ثم أرفوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلبوا به موضعه وضعه هو يده ﷺ ثم بنى عليه وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي (الأمين) فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا . قال الزبير ابن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب ببيان الكعبة لها .

عجبت لما تصوت العتاق • إلى الثبان وحى لها اضطراب • وقد كانت يكون لها كشيء
وأحياناً يكون لها وثاب • إذا قنا إلى التأسيس شئت • تهيئنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الزجر جات • عقاب تثلب لها انصباب • فضمتها إليها ثم خلت
لنا البنيان ليس له حجاب • قمنا حاشدين إلى بناء • لنا منه القواعد والتراب
خداة ترفع التأسيس منه • وليس على مساوينا ثياب • أهر به لليك بنى لؤى
فليس لأصله منهم ذهاب • وقد حدثت هناك بنوعدى • ومرة قد قدمها كلاب
قبوأننا لليك بذلك عزا • وعند الله يلمس الثواب

قال ابن إسحق وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانى عشر ذراعا وكانت تكسى الباطلي ثم كسيت بعد البرد وأول من كساهه النبي ﷺ الحاج بن يوسف (قلت) وإنزل على بناء قريش حتى احترقت في أول إمارة عبدالله ابن الزبير بعد سنة ستين وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصروا ابن الزبير فحيتض قضا ابن الزبير إلى الأرض وبنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام وأدخل فيها الحجر وجعل لها باباً شرقياً وباباً غربياً ملصقين بالأرض كما سمع ذلك من خاتمة عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحاج فردها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك كما قال مسلم بن الحجاج في صحيحه أخبرنا هناد بن السري أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا ابن أبي سلبان عن عطاء قال لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان

ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال قد ذكره بعض العلماء أن يضر عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هرون الرشيد أو أبي الهيثم أنه سأل الإمام مالكا عن هدم الكعبة وردعها إلى ما فعله ابن الزبير . فقال له مالكا يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله نعلبة للولك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها . فترك ذلك الرشيد ، فله عياض والنوى ولا تزال - والله أعلم - هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يخربها ذو السوءتين من الحبشة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحرب الكعبة ذو السوءتين من الحبشة » أخرجه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كأتى به أسود فأفجج قلعا حبرا » رواه البخاري وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده أخبرنا أحمد بن عبد الملك الحارثي أخبرنا محمد بن سلمة عن ابن إسحق عن ابن أبي نجیح عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحرب الكعبة ذو السوءتين من الحبشة ويسلبا حليتها ويجردوها من كسوتها ، ولكأني أنظر إليه أصيل أفيمع يضرب عليها بمسحاته ومعه » - الفقع زبيح بين القدم وعظم الساق - وهذا والله أعلم إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ليحجن البيت وليتمرن بمدخروج يأجوج ومأجوج »

وقوله تعالى حكاية للدعاء لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (ربنا واجلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) قال ابن جرير يعنيان بذلك واجلنا مسلمين لأمرك ، خاضعين لطاعتك ، لا تشرك معك في الطاعة أحدا سواك ، ولا في العبادة غيرك ، وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي أخبرنا إسماعيل عن رجاء بن حبان الحصيني القرشي أخبرنا معقل بن عبيد الله عن عبد الكريم (واجلنا مسلمين لك) قال مخاضين لك (ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك) قال غلصة وقال أيضا أخبرنا علي بن الحسين أخبرنا القاسم أخبرنا سعيد ابن عامر عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية (واجلنا مسلمين) قال كانا مسلمين ولكنهما سألاه الثبات . وقال عكرمة (ربنا واجلنا مسلمين لك) قال الله . قد فعلت (ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك) قال الله قد فعلت . وقال السدي (ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك) يعنيان العرب . قال ابن جرير : والصواب أنه يعم العرب وغيرهم لأن من ذرية إبراهيم بن إسرائيل وقد قال الله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) (قلت) وهذا الذي قاله ابن جرير لا يفي به السدي فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عدمه والسياق إنما هو في العرب ولهذا قال بعده (ربنا وإيتهم رسولا منهم تنالو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) الآية . ولله في ذلك حكمة . وقد بحث فهم كما قال تعالى (هو الذي يثبت في الأميين رسولا منهم) ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود لقوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليك جميعا) وغير ذلك من الأدلة القاطعة وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما أخبرنا الله تعالى عن عباده المؤمنين في قوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجلنا للمؤمنين إماما) وهذا القدر مرغوب فيه شرعا فإن من تمام حجة عبادة الله تعالى أن يجب أن يكون من صلبه من يعبده الله وحده لا يشرك له . ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام (إني جاعلك للناس إماما) قال (ومن ذريتي قال لا يبالعني الظالمين) وهو قوله (واجنبي) ويبنى أن نبيد الأصنام) وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أنه قال « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » (وأرنا مناسكنا) قال ابن جرير عن عطاء (وأرنا مناسكنا) أخرجه لنا علمناها وقال مجاهد (أرنا مناسكنا) مذاعبنا . وروى عن عطاء أيضا وقاية نحو ذلك . وقال سعيد بن منصور : أخبرنا عتاب بن بشير عن خفيف عن مجاهد قال : قال إبراهيم (أرنا مناسكنا) فأناه جبرائيل فأتى به البيت ، فقال ارفع القواعد فرقع القواعد وأتم البليان ثم أخذ يده فأخرجه فانطلق به إلى الصفا قال هذا من شماتة الله ثم انطلق به إلى اللوة فقال وهذا من شماتة الله . ثم انطلق به نحو من فلما كان من العبث إذا إبليس قائم عند الشجرة فقال كبر وارمه فكبر ورمه ثم انطلق إبليس فقام عند الجرة

الوسطى فلما جاز به جبريل وإبراهيم قال له : كبر وارمه ، فكبر ورماه . فذهب الحيت إلى إبليس وكان الحيت أراد أن يدخل في البحر شيئا فلم يستطع فأخذ يد إبراهيم حتى أتى به للشعر الحرام فقال هذا الشعر الحرام فأخذ يد إبراهيم حتى أتى به عرفات قال قد عرفتم ألبنتك ؟ قالها ثلاث مرات ، قال نعم . وروى عن أبي جابر وقائدة نحو ذلك ، وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا حماد بن سلة عن أبي العاصم القنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس قال إن إبراهيم لما رأى أوامر الناس عرض له الشيطان عند السعي فسأجه إبراهيم ثم انطلق به جبريل حتى أتى به منى فقال : هذا مناخ الناس فلما انتهى إلى جرة العتبة تعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أتى به إلى الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أتى به جرة قتال هذه عرفة فقال له جبريل أعرفت ؟

﴿ رَبَّنَا وَأَبِيتَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم أي من ذرية إبراهيم وقد وافقت هذه الدعوة للاستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا في الأمين إليهم وإلى سائر الأمم من الإنس والجن كما قال الإمام أحمد أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكوفي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني عند الله لحاتم النبيين وإن آدم لنجدل في طيئته وسأنبشك بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين » وكذلك رواه ابن وهب والبيهقي وكتبه عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وتابعه أبو بكر بن أبي مريم عن سعيد بن سويد ، وقال الإمام أحمد أيضا أخبرنا أبو النضر أخبرنا الفرج أخبرنا لقمان بن عامر قال سمعت أبا أمامة قال قلت يا رسول الله ما كان أول بدء أمرك قال « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بي . ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » ولما رآه أول من نوه بذكره وشهره في الناس إبراهيم عليه السلام ولم يزل ذكره في الناس مذكورا مشهورا سائرا حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسا وهو عيسى بن مريم عليه السلام حيث قام في بني إسرائيل خطيبا وقال (إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ولهذا قال في هذا الحديث دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم * وقوله ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام قيل كان مناما رآته حين حملت به وقصته على قومها فشاخ فيهم واشتهر بينهم وكان ذلك توطئة وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ولهذا سمكون الشام في آخر الزمان مقلا للإسلام وأهله وبها ينزل عيسى بن مريم إذا نزل بدمشق بالثارة الشرقية البيضاء منها ، ولهذا جاء في الصحيحين « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من ظلمهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » وفي صحيح البخاري « وهم بالشام » قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي المالية في قوله (ربنا وأبست فيهم رسولا منهم) يعني أمه محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له قد استجب لك وهو كائن في آخر الزمان وكذا قال السدي وقائدة * وقوله تعالى (ويعلمهم الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة قاله الحسن وقائدة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم وقيل القهم في الدين ولا منافاة (ويذكرهم) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني طاعة الله والإخلاص وقال محمد بن إسحق (ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال يعلمهم الخير فيفعولوا والشر فيتقوا ويغفرهم برضا الله عنهم إذا أطاعوه ليستكروا من طاعته ويحتنبوا ما يستخطه من معصيته ، وقوله (إنك أنت العزيز الحكيم) أي العزيز الذي لا يجهز شيء وهو قادر على كل شيء الحكيم في أماله وأقواله فيض الأشياء في محالها للملح وحكمته وعدله .

﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ! قَالَ أَسْمُكَ رَبِّ أَتُكَلِّمُنِي يَا إِبْرَاهِيمُ بِنِيَّةٍ وَيَقْرُبُ بِنَبِيِّ إِنْ أَعْطَانِي اللَّهُ أَصْطَفَى
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى ردا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله الخالف للهِ إبراهيم الخليل إمام الخلفاء
فانه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طريقة عين وتبرا من كل معبود سواه وخالف
في ذلك سائر قومه حتى تبرا من آية فقال (يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) وقال تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إني براء مما تعبدون * إلا الذي
فطرني فانه سميع) وقال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله
تبرا منه إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) وقال تعالى (إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا فَمَا نَسَا فَمَا ضَعُفَ حُجُجُهُ وَهُوَ يُعْتَدَى * سَأَكْرَأُ
لَأَنْعَمَ اجْتِبَاءً وَهْدَاءً إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) ولهدنا وأمثاله قال
تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) أي ظلم نفسه بسفه وسوء تدبيره بترك الحق إلى الضلال
حيث خالف طريق من اصطفي في الدنيا لهداية والرشاد من حداثة سنه إلى أن اتخذ الله خليلا وهو في الآخرة من
الصالحين السعداء فمن ترك طريقه هذا ومسلكه وملة واتبع طرق الضلالة والتي فأى سفه أعظم من هذا ؟ أم أي
ظلم أكبر من هذا كما قال تعالى إِنْ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ قال أبو العالية وقادة نزلت هذه الآية في اليهود أحدثوا
طريقاً ليست من عند الله وخالفوا ملة إبراهيم فيها أحدثوه وشهد لسمعة هذا القول قول الله تعالى (ما كان إبراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين * إِنْ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ أَتَمُّوهُ وَهَذَا
النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)

وقوله تعالى (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ! قَالَ أَسْمُكَ رَبِّ أَتُكَلِّمُنِي يَا إِبْرَاهِيمُ بِنِيَّةٍ وَيَقْرُبُ بِنَبِيِّ إِنْ أَعْطَانِي اللَّهُ أَصْطَفَى)
فأجاب إلى ذلك شرعا وقدرنا وقوله (ووصى بها إبراهيم بنبيه ويقول) أي وصى بهذه الملة وهي الاسلام لله أو يهود
الضمير على الكلمة وهي قوله (أَسْمُكَ رَبِّ) الخصرم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا
أبناءهم بها من بعدهم كقوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) وقد قرأ بعض السلف ويقولون بالنسب عطف على بنيه كأن
إبراهيم وصى بنيه وابن ابنه يقول بن إسحق وكان حاضرا ذلك وقد ادعى القشيري في حكاية القبطي عنه أن يقول
إنما ولد بعد وفاة إبراهيم ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح والظاهر والله أعلم أن إسحق ولد له يقول في حياة
الخليل وسارة لأن البشارة وقست بهما في قوله (فبشرناهما بإسحق ومن وراء إسحق يقول) وقد قرئ بنسب يقول بهما
على نزع الحافض فلو لم يوجد يقول بهما في حياتهما لما كان له كره من بين ذرية إسحق كبير فائدة وأيضا قد قال الله
تعالى في سورة النكبات (ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلناه في ذرية النبية والكتاب) الآية وقال في الآية الأخرى
(ووهبنا له إسحق ويعقوب . ناقة) وهذا يقتضي أنه وجد في حياته وأيضا فانه باني بيت المقدس كما نقلت بذلك الكتب
المتقدمة وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال « للمسجد الحرام » قلت
ثم أي ؟ قال « بيت المقدس » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعين سنة » الحديث فزعم ابن جابر أن بين سليمان الذي اعتداه باني
بيت المقدس - وإسماعيل جده بعد خرابه وزخرقه - وبين إبراهيم أربعين سنة وهذا مما أنكر على ابن حبان
فان المدة بينهما تزيد على ثلوف سنين والله أعلم وأيضا فان وصية يعقوب لبنيه سياتي ذكرها قريبا وهذا يدل على أنه
ههنا من جملة الموصين * وقوله (يا بني إِنْ أَعْطَانِي اللَّهُ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) أي أحسنوا في حال الحياة
والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه فان للره موت غالبا على ما كان عليه ويمت على ملامت عليه وقد أجرى الله

الكرام عاده بأن من قصد الخير وفق له وسر عليه ومن نوى صالحا ثبت عليه . وهذا لا يعارض ما جاء في الحديث الصحيح « إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث لعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ويعمل أهل النار فيما يبدو للناس وقد قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لييسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَكَسَبَتْ مَا كَسَبَتْ وَلَا تَنْتِفِلُونَ فِيهَا كَانُوا يَمْكُونُ ﴿

يقول تعالى محتجا على الشركين من العرب أبناء إسماعيل وعلى الكفار من بني إسرائيل - وهو يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم عليهم السلام - بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم (ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) وهذا من باب التغليب لأن إسماعيل عم : قال الحساس والعرب تسمى ألم أبا قسلة القرطبي وقد استدلل بهذه الآية الكريمة من جعل الجد أبا وحجب به الإخوة كما هو قول الصديق حكاه البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير ثم قال البخاري ولم يخلف عليه وإليه ذهبت عائشة أم المؤمنين وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من السلف والخلف وقال مالك والشافعي وأحمد في الشهور عنه انه يقاسم الإخوة ، وحكى ذلك عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وزيد بن ثابت وجماعة من السلف والخلف واختاره صاحب أبي حنيفة القاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن ولتقريرهما موضع آخر وقوله (إله واحد) أى نوحه بالالوهية ولا تشرك به شيئا غيره (ونحن له مسلمون) أى مطيعون خاضعون كما قال تعالى (وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون) والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة وإن تنوع شرائعهم واختلفت مناهجهم كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) والآيات في هذا كثيرة والأحاديث فيها قوله ﷺ « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » وقوله تعالى (تلك أمة قد خلت) أى مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أى إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفضلوا خيرا يعود نفعه عليكم فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم (ولا تنفلون عما كانوا يعملون) وقال أبو العباس والربيع وقادة (تلك أمة قد خلت) يعنى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأنبياء . ولهذا جاء في الأثر « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه (١) »

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ وَٰلَهُ الْإِبْرَاهِيمُ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : قال عبد الله بن صوريا الأعمور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد . وقالت النصارى مثل ذلك ، فأمر الله عز وجل (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) وقوله (قل بل ملة إبراهيم حنيفا) أى لا تريد ما دعوتونا إليه من اليهودية والنصرانية بل تتبع (ملة إبراهيم حنيفا) أى مستقيا . قاله محمد بن كعب القرظي وعيسى ابن جارية : وقال خفيف عن مجاهد خلاصا . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حجا . وكذا روى عن الحسن والحضك وعطية والسدي . وقال أبو العباس : الحنيف الذى يستقبل البيت بصلاته ويرى أن حجه عليه إن استطاع

(١) قد ينسب آثر على ما ينسب الحديث المرتفع لانه روى مسلم مرفوعا من حديث طويل عن أبي هريرة

إليه سيلا . وقال مجاهد والربيع بن أنس . حنيفا أى متبعا . وقال أبو قتابة : الحنيف الذى يؤمن بالرسول كهم من أولهم إلى آخرهم وقال قتادة : الحنيفة شهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والحالات والعات وما حرم الله عز وجل والحنان

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَأَلْسَابِطَ وَمَا أُوِّقَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوِّقَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلا وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملًا ، ونص على أعيان من الرسل وأجل ذكر بقية الأنبياء وأن لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فهم (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا) الآية وقال البخارى حدثنا محمد بن يشار أخبرنا عثمان بن عمرة أخبرنا بن عبد البرك عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الله » . وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم عن سعيد بن يسار عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يلى الركبتين اللتين قبل الفجر بك (آمننا بالله وما أنزل إلينا) الآية والأخرى (آمننا بالله واشهد بأنا مسلمون) وقال أبو العالية والربيع وقاتة : الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا وله كل رجل منهم أمة من الناس فسماوا الأسباط . وقال الحليل بن أحمد وغيره : الأسباط فى بنى إسرائيل كالتبائل فى بنى إسرائيل : وقال الثعلبى فى الكشف : الأسباط حدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر وقد شبه الرازى عنه وقرره ولم يعارضه . وقال البخارى : الأسباط قبائل بنى إسرائيل ، وهذا يقتضى أن المراد بالأسباط ههنا شوب بنى إسرائيل وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم كما قال موسى لهم (اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فىكم أنبياء وجعلكم ملوكا) الآية وقال تعالى (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا) قال القرطبي : : وسماوا الأسباط من السبط وهو التابع فهم جماعة ، وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر أى فى الكثرة بمنزلة الشجر الواحدة بسيطة . قال الزجاج : وبين لك هذا ما حدثنا محمد ابن جعفر الأنبارى حدثنا أبو نجيح الهقاق حدثنا الأسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن سالك عن عكرمة عن ابن عباس قال كل الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل وعهد عليهم الصلاة والسلام . قال القرطبي . والسبط الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد . وقال قتادة . أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكبته كلها وبرسوله . وقال سليمان بن حبيب إنما آمننا أن تؤمن بالتوراة والإنجيل ولا نعمل بما فيها . وقال ابن أبى حاتم . أخبرنا محمد بن محمد بن مصعب السورى أخبرنا مؤمل أخبرنا عبيد الله بن أبى جعد عن أبى الليث عن مقل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل وليسمع القرآن »

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا فِي شِقَاقٍ فَيَسْكَتُكُمْ يَوْمَ يَكْفِيهِمْ اللَّهُ وَمَوْكَسَمِ الْعَلِيمِ * صِفَّةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِفَّةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾

يقول تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فأهل الكفار وغيرهم بمثل ما آمنتم به بأهل المؤمنين من الإيمان بجميع كتب الله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم (قد اهتدوا أى قد أصابوا الحق وأرشدوا إليه .) (وإن تولوا) أى عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم (فإنما فى شقاق فيسكتكم يوم يكفيهم الله) أى فينصركم عليهم ويفتكر بهم (وهو السميع العليم)

قال ابن أبي حاتم قرأ علي بن يوسف بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنا يزيد بن يونس حدثنا نافع بن أبي تميم قال أرسل إلي بعض الخلفاء مصحفه ابن بن عفان ليصاحبه قال زياد قتلته له إن الناس يقولون إن مصحفه كان في حجره حين قتل فوقع الدم على (فيكتيهم الله وهو المسيح العليم) فقال نافع عيني بالدم على هذه الآية وقد قدم * وقوله (سنة الله) قال الضحاك عن ابن عباس دين الله وكذا روى عن مجاهد وأبي العالية وعكرمة وإبراهيم والحسن وقادة والضحاك وعبد الله بن كثير وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك وانتصاب صفة الله إما على الإغراء كقوله (فطرة الله) أي الزموا ذلك عليكم وقال بعضهم بدلا من قوله (ملة إبراهيم) وقال سيبويه هو مصدر مؤكدة انتصب عن قوله (آتينا بالله) كقوله (وعد الله) وقد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من رواية أشعث بن إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ قال «إن بني إسرائيل قالوا يا رسول الله هل يصنع ربك؟ فقال اتقوا الله. فناداه ربه يا موسى سألوكم هل يصنع ربك؟ قال نعم: أنا أصنع الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها من صغى» وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (صفة الله ومن أحسن من الله صفة) كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعة وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح إسناده والله أعلم.

﴿ قُلْ أَنَحْجُو نَتَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ إِنَّا نَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ وَسَيَنْ أَعْلَمُ مَن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ • تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَكَفَّمَا كَسَبَتْ وَلَا تَسْتَلُونَهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول الله تعالى مرشدا نبيه صلوات الله وسلامه عليه إلى دره مجادلة للشركين (قل أتعاجونا في الله) أي تناظرونا في توحيد الله والإخلاص له والافتقاد واتبع أوامره وترك زواجره (وهو ربنا وربكم) للتصرف فينا وفيكم للتحقق لإخلاص الإلهية له وحده لا شريك له (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي نحن برآء منكم ومما تعبدون وأنتم برآء منا قال في الآية الأخرى (فإن كذبوك قتل على عملكم عملكم). أنتم برثون بما أعمل وأنا برى مما تعملون) وقال تعالى (فإن جادلوك فقل أملت وجهي لله ومن اتبعني) إلى آخر الآية وقال تعالى إخبارا عن إبراهيم (وحاجة قومنا قال أتعاجوني في الله) إلى آخر الآية وقال تعالى (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) الآية وقال في هذه الآية الكرعة (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) أي نحن برآء منكم كما أنتم برآء منا ونحن له مخلصون أي في العبادة والتوجه ثم أنكر تعالى عليهم في دعوائهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم إما اليهودية وإما النصرانية فقال (قل أنتم أعلم أم الله) يعني بل الله أعلم وقد أخبر أنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى كما قال تعالى (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) الآية والتي بعدها، وقوله (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) قال الحسن البصري كانوا يقرعون في كتاب الله الذي أتاهم إن الدين الإسلام وإن محمدا رسول الله وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم أنه فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك، وقوله (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد ووعيد شديد أي أن علمه محيط بعلومكم وسيجزيك عليه. ثم قال تعالى (تلك أمة قد خلت) أي قد مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أي لهم أعمالهم ولكم أعمالكم (ولا تستلون عما كانوا يعملون) وليس يخفى عنكم انتسابكم إليهم من غير متابعة منكم لهم ولا تتقروا بمجرد النسب إليهم حتى تكونوا متقادين مثلهم لأوامر الله واتباع رسله الذين بشوا

مبشرين ومنذرين فانه من كفر بني واحد فقد كفر بسائر الرسل ولاسيا بسيد الانبياء وخاتم الرسلين ورسول رب
المالين إلى جميع الإيس والجن من اللكفين صاوات الله وسلامه عليه وعلى سائر انبياء الله اجمعين .

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ قَدْ أَشْرَفُ وَأَقْرَبُ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَذْبُحَ الرُّسُولَ يَمَنَ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ
لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ لِمُتَكَبِّرِكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

قيل للراد بالسفهاء ههنا مشركو العرب قاله الزجاج وقيل أخبار يهود قاله جاهد وقيل للتافقون قاله السدي
والآية عامة في هؤلاء كلهم والله أعلم . قال البخاري أخبرنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي إسحق عن البراء رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يسجد أن تكون قبلته قبل
البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وعلى معه قوم فخرج رجل من كان صلى معه فمر على أهل المسجد
وهم راكعون فقال أشهد بالله قد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي قد
مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجلاً قتلاً لم ندر ما قول فهم فأئزله (وما كان الله ليضيع إيمانكم
إن الله بالناس لرءوف رحيم) أقروا به البخاري من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال محمد بن إسحق حدثني
إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحق عن البراء قال كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر
إلى السماء ينتظر أمر الله ﷻ فأئزله (قد نرى قلب وجهك في السماء فنلوك قلبه ترضاه قول وجهك شطر المسجد
الحرام) فقال رجال من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة وكيف صلاتنا نحو بيت المقدس
فأئزله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وقال السفهاء من الناس وهم أهل الكتاب ما ولاهم عن قبتهم التي كانوا عليها
فأئزله (سيقول السفهاء من الناس) إلى آخر الآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن علي حدثنا
إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال : كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر
شهراً وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأئزله (قد نرى قلب وجهك في السماء فنلوك قلبه ترضاه قول
وجهك شطر المسجد الحرام) قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود (ما ولاهم عن قبتهم التي كانوا
عليها) فأئزله (قل لله الشرق والغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن
رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله ﷺ
بضعة عشر شهراً وكان رسول الله ﷺ يحب قبله إبراهيم فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأئزله عز وجل
(فولوا وجوهكم شطره) أي نحو فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبتهم التي كانوا عليها ؟ فأئزله (قل
له للشرق والغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وقد جاء في هذا الباب أجادث كثيرة وحاصل الأمر أنه
قد كان رسول الله ﷺ أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان يركب صلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو
مستقبل صخرة بيت المقدس فلما هاجر إلى المدينة تعلم الجميع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور ثم
اختلف هؤلاء هل كان الأمر به بالتركان أو بغيره على قولين وحكى القرطبي في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية
والحسن البصري أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام . والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد
مقدمه ﷺ المدينة واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التي
هي قبله إبراهيم عليه السلام فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت الشيق فغضب رسول الله ﷺ الناس

فأعلمهم بذلك وكان أول صلاة سلاما إليها صلاة العصر كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء. ووقع عند النساء من رواية أبي سعيد بن الخديري أنها الظهر وقال كنت أنا وصاحبي أول من صلى إلى الكعبة وذكر غير واحد من القسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلفة فسمي مسجد القبلتين وفي حديث نوبة بنت مسلم أنهم جاهدوا الحبر بذلك وهم في صلاة الظهر قالت فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر الحنفي وأما أهل قباء فلم يلبثهم الحبر إلى صلاة العصر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الآية قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة . وفي هذا دليل على أن الناس لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به وإن تقدم نزوله وإبلاغه لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والغرب والمشاء والله أعلم . ولما وقع هذا حصل لبعض أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارباب وزينج عن الهدى وتخييط وشك وقالوا (ما ولاءهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) أي قالوا ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا فأنزل الله جوابهم في قوله (قل لله المشرق والمغرب) أي الحكم والتصرف والأمر كله (فآيتنا) تولوا ثم وجه الله (وليس البر أن تولوا وجهكم قبل للمشرق والربوب لكن البر من آمن بالله) أي الشأن كله في امتثال أوامر الله فحيثما وجهنا فالتوجه فالتوجه فالتوجه ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة فتحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا وتوجهنا وهو تعالى له بسببه ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبة إبراهيم خليل الرحمن وجعل توجههم إلى الكعبة المبينة في اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال : (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

وقد روى الإمام أحمد عن علي بن عاصم عن حسين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الأشعث عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يني في أهل الكتاب « إنهم لا يحسدوننا شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة قالوا هداها الله لها وضلوا عنها وعلى القبة التي هداها الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين »

وقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) يقول تعالى إنما حولناكم إلى قبة إبراهيم عليه السلام واختارناها لكم لتجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط ههنا الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا وداراً أي خيرها وكان رسول الله ﷺ وسطا في قومه ، أي أشرفهم نسبا ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحيح وغيرها ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكل الشرائع وأقرب للناسج وأوضح المذاهب كما قال تعالى (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت ؟ فيقول نعم ، فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغت ؟ فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد ، فيقال لنوح من يشهد لك . فيقول محمد وأمته ، قال فذلك قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال والوسط العدل فتصون فتشهدون بالبلاغ ثم أشهد عليكم « رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يجرى النبي يوم القيامة وسماه الرجلانوا أكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال هل بلغت ؟ فيقولون لا فيقال له هل بلغت قوماك ؟ فيقول نعم : فيقال من يشهد لك ، فيقول محمد وأمته يدعى محمد وأمته : فيقال لهم هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون نعم . فيقال وما عليكم ؟ فيقولون جادنا نبينا فأخبرنا أن المرسل قد بلغنا ذلك قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال عدلا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون

الرسول عليكم شهيدا) » وقال أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وكنك جيلنا كم أمة وسطا) قال عدلا . وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم من حديث عبد الواحد بن زياد عن أبي مالك الأشجعي عن الثوري عن عتبة بن ناس^(١) حدثني مكاب لنا عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال « أنا وأمتي يوم القيامة على كوف مشرقين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ودأته منا وما من بني كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل » وروى الحاكم في مستدركه وابن مردويه أيضا ، واللفظ له من حديث مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب القرظي عن جابر بن عبد الله قال : شهد رسول الله ﷺ جنازة في بني مسلمة وكنت إلى جانب رسول الله ﷺ فقال بعضهم والله يارسول الله لعم الله لك ، لقد كان غريبا مسلما وكان وأتوا عليه خيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنت بما تقول . فقال الرجل : الله أعلم بالسرائر ، فأما الذي بدا لنا منه فذاك فقال النبي ﷺ وجبت ، ثم شهد جنازة في بني حارثة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم . يارسول الله بش الله كان إن كان لفظا غليظا فأتوا عليه شرا ، فقال رسول الله ﷺ لبعضهم أنت بالذي تقول . فقال الرجل الله أعلم بالسرائر ، فأما الذي بدا لنا منه فذاك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت . قال مصعب بن ثابت : قال لنا عند ذلك محمد بن كعب صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ (وكنك جيلنا كم أمة وسطا) شكوتوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن بريدة عن أبي الأسود أنه قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع بها مرض فموتون موتا ذريعا ، فجلست إلى عمر بن الخطاب فرت به جنازة فأنتي على صاحبها خير فقال : وجبت ثم مر بأخرى فأنتي عليها شر ، فقال عمر : وجبت . فقال أبو الأسود ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟ قال قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيا مسلم شهد له أربعة غير أدخله الله الجنة » قال قلنا وثلاثة قال : « وقال وثلاثة » قال : قلنا وإثنان قال « وإثنان » ثم نسأله عن الواحد . وكذا رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث داود ابن أبي الفرات به : وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى حدثنا أبو قلابة الرقاشي حدثني أبو الوليد حدثنا نافع ابن عمر حدثني أمية بن صفوان عن أبي بكر بن أبي هريرة الثقفي عن أبيه : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة يقول « يوشك أن تملوا خياركم من شراركم » قالوا بهم يارسول الله ؟ قال « بالثناء الحسن والثناء السيئ » ثم شهداء الله في الأرض » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هرون ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هرون وعبد الملك بن عمر وشريح عن نافع عن ابن عمر به .

وقوله تعالى (وما جلنا القبة التي كنت عليها إلا لنعلم من يشع الرسول ممن يتقلب على عقبيه وإن كانت لكيرة إلا على الدين هدى الله) يقول تعالى إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولا إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ليظهر حال من يتقلب وطبيعك ويستجبل مملك حينا توجهت ممن يتقلب على عقبيه ، أي مرتدا عن دينه وإن كانت لكيرة ، أي هذه القصة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة ، أي وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس إلا على الدين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا ريب فيه ، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء ، وله الحكمة التامة والمحبة البالغة في جميع ذلك بخلاف الدين في قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شك كما حصل للذين آمنوا بإيمان وتصديق ، كما قال الله تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته همة إيمانا ؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) وقال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي) وقال تعالى (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول ﷺ واتبعه في ذلك وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب

من سادات الصحابة : وقد ذهب بعضهم إلى ان الساجدين الأولين من المهاجرين والأنصار هم الذين صلوا إلى القبلتين . وقال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء رجل فقال : قد أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها . فوجهوا إلى الكعبة . وقد رواه مسلم من وجه آخر عن ابن عمر ورواه الترمذي من حديث سفيان الثوري وعنده أنهم كانوا ركعوا فاستداروا كما هم إلى الكعبة وهم ركوع . وكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مثله ، وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله واتقادهم لأوامر الله عز وجل رضي الله عنهم أجمعين : وقوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ما كان يضيع ثوابها عند الله وفي الصحيح من حديث أبي إسحق السبيعي عن البراء قال : مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس ؟ فقال الناس ما حلهم في ذلك : فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) ورواه الترمذي عن ابن عباس وصححه . وقال ابن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي إلى القبلة الأولى وتصدقكم نبيكم وأبابعه إلى القبلة الأخرى ، أي ليعطيكم أجرهما جميعا (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) وقال الحسن البصري (وما كان ليضيع إيمانكم) أي ما كان الله ليضيع محمدا ﷺ وانصافكم معه حيث انصرف (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها فصلت كلا وجدت صبي من السبي أخذته فأصغته بصدورها وهي تدور على ولدها ، فلما وجدته ضمتها إليها وأقمته ثديها . فقال رسول الله ﷺ « أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن لا تطرحه ؟ » قالوا : لا يا رسول الله . قال : « فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها . »

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهُ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . كان أول مانع من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان يجب قبة إبراهيم فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء فأنزل الله (قد نرى تقلب وجهك في السماء) إلى قوله (فولوا ووجوهكم شطره) فارتابت من ذلك اليهود وقالوا : (ما ولام عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب) وقال (فأينا تولوا فهو وجه الله) وقال الله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) وروى ابن مردويه من حديث القاسم العمري عن عمه عبيد الله بن عمرو عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس : قال كان النبي ﷺ إذا سلم من صلاته إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء . فأنزل الله (فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) إلى الكعبة إلى اليزاب يومه جبرائيل عليه السلام . وروى الحاكم في مستدرکه من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء عن يحيى بن قطة قال : رأيت عبد الله بن عمرو جالسا في المسجد الحرام يلزأ اليزاب فتلا هذه الآية (فلنولينك قبلة ترضاها) قال نحو مزاب الكعبة . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن هشام عن يعلى بن عطاء به . وهكذا قال غيره وهو أحد قولی الشافعي رضي الله عنه : إن الأرض إصابة عين الكعبة والقول الآخر وعليه الأكثر أن الراد للواجهة كما رواه الحاكم من حديث محمد بن إسحق عن عيسى بن زياد الكندي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فول وجهك شطر المسجد الحرام) قال شطره قبله . ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وهذا قول أبي المالية ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقائدة والريبع بن أنس وغيرهم . وكما تقدم في الحديث الآخر « ما بين للمشرق والمغرب قبة » وقال القرطبي : روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس

رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « أليث قبلة لأهل المسجد وللشجرة قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقتها ومغارها من أمي » وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : حدثنا زهير عن أبي إسحق عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يصيبه قبلته قبل البيت ؟ وأنه صلى صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل من كان يصلي معه فرط على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت .

وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يحب أن يحول نحو الكعبة فتزلت (قد نرى ثقل وجهك في السماء) فنصرف إلى الكعبة وروى النسائي عن أبي سعيد بن الخديج قال : كنا نغزو إلى المسجد على عهد رسول الله ﷺ فنضلى فيه فمرنا يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر ، فقلت لقد حدث أمر فجلست فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (قد نرى ثقل وجهك في السماء فتوليك قبلة ترضاها) حتى فرغ من الآية ، فقلت لصاحبي تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون أول من صلى فتواربنا فصليناهما . ثم نزل النبي ﷺ وصلى للناس الظهر يومئذ . وكذا روى ابن مردويه عن ابن عمر : أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة الظهر وأنها الصلاة الوسطى ، وللشهور أن أول صلاة صلاها إلى الكعبة صلاة العصر . ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء إلى صلاة الفجر وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا رجاء بن محمد السقطي حدثنا إسحق بن إدريس حدثنا إبراهيم بن جعفر حدثني أبي عن جدته أم أبيه نبيلة بنت مسلم قالت : صليا الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد إيلياء فصلينا ركعتين ، ثم جاء من يحدثنا أن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدة الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام ، فحدثني رجل من بني حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أولئك رجال يؤمنون بالغيب » وقال ابن مردويه أيضا : حدثنا محمد بن علي بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا مالك بن إسماعيل الهندي حدثنا قيس عن زياد بن علاقة عن عمارة بن أوس قال : بينا نحن في الصلاة نحو بيت المقدس ونحن ركوع إذ نادى مناد بالباب إن القبلة قد حوت إلى الكعبة . قال فأسجد على إيمانه أنه أعرف فتحول هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة وقوله (حيث ما كنتم قولوا وجوهكم شطره) أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فإنه يصلها حيثما توجه قلبه وقلبه نحو الكعبة وكذا في حال المسابقة في القتال يصل على كل حال . وكذا من جهل جهة القبلة يصل بإجهاده وإن كان غفلا في نفس الأمر لأن الله تعالى لا يكلف نسا إلا وسعها .

(مسألة) وقد استدل للكعبة بهذه الآية على أن الصلي ينظر أمامه لا إلى موضع سجوده كما ذهب إليه الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ، قال المالكية : بقوله (قول وجهك شطر المسجد الحرام) فلو نظر إلى موضع سجوده لاحتاج أن يتكلف ذلك بنوع من الانحناء وهو ينا في كمال القيام . وقال بعضهم . ينظر الصلي في قيامه إلى صدره . وقال شريك القاضي : ينظر في حال قيامه إلى موضع سجوده كما قال جمهور الجماعة لأنه أبلغ في الخشوع وأكد في الخشوع وقد ورد به الحديث وأما في حال ركوعه فإلى موضع قدميه ، وفي حال سجوده إلى موضع أذنيه وفي حال قعوده إلى حجره .

وقوله (وإن الدين أوتوا الكتاب ليملون أنه الحق من ربهم) أي واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرفكم عن بيت المقدس يملون أن الله تعالى سيوجهكم إليها بما في كتبهم عن أنبيائهم من التثنية والصفحة لرسول الله ﷺ وأمنته وما خضعه الله تعالى به وشرقه من التريسة الكاملة العظيمة ولكن أهل الكتاب يشككون

ذلك بينهم حسدا وكفرا وعدادا ولهذا تهدم تعالى بقوله (وما الله بنافل عما يعملون)

﴿وَلَنْ أَنْتِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فَبِمَا قِيلَ لَكُمْ وَمَا أَنْتِ بِتَابِعٍ قِبَلَهُمْ وَمَا تَبِيعُهُمْ
بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٍ وَلَنْ أَنْتِ أَهْوَاهُمْ مَنْ بَدَّ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

يخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم وعائلتهم ما يعرفونه من شأن رسول الله ﷺ وأنه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم كما قال تعالى (إن الدين حق عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) ولهذا قال ههنا (ولن أنت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) وقوله (وما أنت بتابع قبلتهم) إخبار عن شدة متابعة الرسول ﷺ لما أمره الله تعالى به وأنه كما هم مستمسكون بأرأهم وأهواءهم فهو أيضا متمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته وأنه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله ولا كونه متوجها إلى بيت المقدس لكونها قبله اليهود ، ولما ذلك عن أمر الله تعالى ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى ، فان العالم الحجة عليه أقوم من غيره . ولهذا قال مخالفا للرسول والمراد به الأمة (ولن أتبع أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين)

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْكَرِينَ﴾

يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لرجل معه صفيير «ابنك هذا» قال نعم يا رسول الله أشهد به ، قال «أما إنه لا يخفى عليك ولا يخفى علي» قال القرطبي : وروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام أتعرف محمدا كما تعرف ولدك ؟ قال نعم وأكثر ، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنته ففرقتها وإنى لا أدري ما كان من أمه (قلت) وقد يكون المراد (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) من بين أبناء الناس كلهم . لا يشك أحد ولا يعترى في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم . ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والإختان العلمي (ليكتُمون الحق) أى ليكتُمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم (وم يعلمون) ثم ثبت تعالى نبيه ﷺ وللؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الذى لا مراءى فيه ولا شك فقال (الحق من ربك فلا تكونون من المنكرين)

﴿وَلِكُلِّ رِجْلَةٍ وَجْهٌ مَوْمِيئًا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قال السوفى عن ابن عباس ولكل وجهة هو موليها يبنى بذلك أهل الأديان ، ويقول لكل قبلة قبلته بغير ضوابط ووجهة الله حيث توجه المؤمنون . وقال أبو العالية اليهودى وجهة هو موليها ، وللنصرانى وجهة هو موليها وهذا كما أتم أنها الأمة إلى القبلة التى هى القبلة . وروى عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس والسدى نحو هذا وقال مجاهد فى الرواية الأخرى والحسن أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة ، وقرأ ابن عباس وأبو جعفر الباقر وابن عمر (ولكل وجهة هو مولاها) وهذه الآية شبهة بقوله تعالى (لكل جيلنا منك شرعة ومنهاجا ولو شاء الله جلجلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فبا آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا) وقال ههنا (أينا تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير) أى هو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوُتُّوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْزَنُوا عَلَيْهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

هذا أمر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الأرض وقد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات قليل فأكد لأنه أول ما بلغ وقع في الإسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره ، وقيل بل هو منزل على أحوال الأمم ، الأول لمن هو مشاهد الكعبة ، والثاني لمن هو في مكة غالباً عنها ، والثالث لمن هو في بقية البلدان هكذا وجهه فخر الدين الرازي . وقال القرطبي الأول لمن هو بمكة والثاني لمن هو في بقية الأمصار والثالث لمن خرج في الأسفار ووجه هذا الجواب القرطبي ، وقيل إنما ذكر ذلك لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق : فقال أولاً (قد نرى قلب وجهك في السماء فتقولنك قبة ترضاها) إلى قوله (وإن الذين أوتوا الكتاب ليمنون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) فذكر في هذا التمام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها : وقال في الأمر الثاني (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه لالحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) فذكر أنه الحق من الله وإرضاءه التمام الأول حيث كان موافقاً لرضا الرسول ﷺ فينبغي أن يلقى أيضاً من الله وجهه ويرضيه وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة الخالف من اليهود الذين كانوا يتحجبون باستقبال الرسول إلى قبليهم وقد كانوا يملكون بما في كتبهم أنه يصرف إلى قبة إبراهيم عليه السلام إلى الكعبة وكذلك مشركو العرب انقطعت حجبتهم لما صرف الرسول ﷺ عن قبة اليهود إلى قبة إبراهيم التي هي أشرف وقد كانوا يظلمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول إليها ، وقيل غير ذلك من الأوجه عن حكمة التكرار وقد بسطها الرازي وغيره والله أعلم : وقوله (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي أهل الكتاب قاطمهم يملكون من سفة هذه الأمة التوجه إلى الكعبة فإذا قدوا ذلك من صفها ربما احتجوا بها على المسلمين ولئلا يحتجوا بموافقة المسلمين بإمام في التوجه إلى بيت المقدس وهذا أظهر قال أبو العالقة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) يعني به أهل الكتاب حين قالوا صرف محمد إلى الكعبة . وقالوا اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه وكان حجبتهم على النبي ﷺ اضرائه إلى البيت الحرام أن قالوا سبرج إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع ابن أنس وقادة والسدي نحو هذا . وقال هؤلاء في قوله (إلا الذين ظلموا منهم) يعني مشركي قريش . ووجه بعضهم حجة الظلمة وهي داحضة أن قالوا إن هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم فإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم فلم يرجع عنه والجواب أن الله تعالى اختار له التوجه إلى بيت المقدس أولاً لما له تعالى في ذلك من الحكمة فأطاع ربه تعالى في ذلك ثم صرفه إلى قبة إبراهيم وهي الكعبة فامتثل أمر الله في ذلك أيضاً فهو صلوات الله وسلامه عليه مطيع لله في جميع أحواله لا يخرج عن أمر الله طرفة عين وأمهت تبعه ، وقوله (فلا تحزبوا ولا تحشوا) أي لا تحشوا شبه الظلمة للثنتين وأنردوا الحشية لي ، فانه تعالى هو أهل أن يحشى منه : وقوله (ولأنتم تسمعون عليكم) عطف على (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي لأنتم تسمعون عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة لتشكلكم لكم الشريعة من جميع وجوها (ولكنكم تهتدون) أي إلى ما ضلت عنه الأمم هديناكم إليه وخصصناكم به ولهذا كانت هذه الأمة أشرف الأمم وأفضلها .

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُحَلِّقُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُؤْتِيكُمْ مَالًا تَكُونُوا تَشْكُرُونَ ۚ أَذْكُرُونَ لَا تَشْكُرُوا لِي وَلَا تَشْكُرُونَ ﴾

يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد ﷺ إليهم يتلو عليهم آيات الله مبینات

ويزكهم أى يظهرهم من رذائل الأخلاق وذنس النفوس وأعمال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهى السنة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، فكانوا فى الجاهلية الجلاء يسفهن بالقول القرا فاتخذوا يركة رسالته ، وعين سفراته ، إلى حال الأولياء ، وسجيا العلماء ، فصاروا أعمق الناس علما ، وأبرم قلوبا وأقلهم تسكفا ، وأصدقهم لطمة . وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكهم) الآية وذم من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) قال ابن عباس بنى بنعمة الله محمدا ﷺ . ولهذا ندب الله للمؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره : وقال (فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) قال مجاهد فى قوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) يقول كما فعلت فاذكرونى ، قال عبد الله بن وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال يارب كيف أشكرك ؟ قال له ربه « تذكرنى ولا تنسنى ، فإذا ذكرتنى فقد شكرتني ، وإذا نسيتنى فقد كفرتني » قال الحسن البصرى وأبوالمالئة والسدى والريبع بن أنس أن الله يذكرك من ذكره ويزيد من شكره ويعذب من كفره وقال بعض السلف فى قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) قال هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا عمارة الصيدلاني أخبرنا مكحول الأزدى قال قلت لابن عمر أ رأيت قاتل النفس وشارب الخمر والنسار والرائى يذكر الله ، وقد قال الله تعالى (فاذكرونى أذكركم) قال إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلمسته حتى يسكت وقال الحسن البصرى فى قوله (فاذكرونى أذكركم) قال إذا ذكرنى فإيا القرضت عليكم أذكركم فإيا أوجب لكم على نفسى وعن سعيد بن جبير أذكرونى بطاعنى أذكركم بغيرتى ، وفى رواية برحق . وعن ابن عباس فى قوله (اذكرونى أذكركم) قال ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه وفى الحديث الصحيح « يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكركم فى نفسى ومن ذكرنى فى نفسى ذكركم فى نفسى » قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله عز وجل يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكركم فى نفسى وإن شكرتنى فى ملاءم ذكركم فى ملاءمك . وإن دنوت منى عبادة دنوت منك ذوا ، وإن دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا ، وإن أنبتنى غنى أنبتك هرولة » صحيح الاسناد أخرجه البخارى من حديث قتادة وعنده قال قتادة الله أقرب بالرحمة : وقوله (واشكروا لى ولا تكفرون) أمر الله تعالى بشكره ووعد على شكره بمزيد الخير فقال (وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) وقام الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا شعبة عن الفضيل بن فضالة - رجل من قيس - حدثنا أبو رجاء الطارذى قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال إن رسول الله ﷺ قال « من أنعم الله عليه نعمة فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه » وقال روح مرة : على عبده .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ١٥٠ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتُوا مَلَأُوا أَنْفُسُهُمْ بِالْغَيْبِ وَأُولَٰئِكَ لَا تَشْعُرُونَ ١٥١ ﴾

لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع فى بيان الصبر والإرشاد والاستعانة بالصبر والصلاة فان العبد إما أن يكون فى نعمة فيشكر عليها أو فى نعمة فيصبر عليها كما جاء فى الحديث « عجا للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له : إن أماتته سراء فشكر كان خيرا له وإن أماتته ضراء فصبر كان خيرا له » ويؤمن تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل الصائب الصبر والصلاة كما تقدم فى قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) وفى الحديث أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر صلى والصبر صبران فصر على ترك المحارم والالتصم وصبر على فعل الطاعات والقربات ، والثانى أكثر نوما لأنه المقصود . وأما الصبر الثالث وهو الصبر على الصائب والنواب فذلك أيضا واجب كالاستغفار من اللعاب كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الصبر فى باين الصبر لله بما أحب

وإن تقل على الأنفس والأبدان والصبر فـهـ عما كره وإن نازعت إليه الأهواء فمن كان هكذا فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم إن شاء الله : وقال بن علي بن الحسين زين العابدين إنما جمع الله الأولين والآخرين نادى نادى مناد أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب ؟ قال فيقوم عنق من الناس فتقام للملائكة فيقولون إلى أين يا بني آدم ؟ فيقولون إلى الجنة فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا نعم ، قالوا ومن أتم ، قالوا نحن الصابرون ، قالوا وما كان صبركم ؟ قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله حتى توفانا الله ، قالوا أتمم قالتم ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين (قلت) وبشهاد لهذا قوله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال سعيد بن جبير الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه وقد يحزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه إلا الصبر.

وقوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموالاً بل أحياء) غير تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء برزقون كما جاء في صحيح مسلم أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلاعاً فقال ماذا تفنون ؟ فقالوا يا ربنا وأى شيء نبني وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا ، قالوا يريد أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقتل في سبيلك حتى تقتل فيك مرة أخرى - لما يرون من ثواب الشهادة - فيقول الرب جل جلاله : إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن الإمام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نسمة المؤمن طائر تلقى في شجر الجنة حتى يرجه الله إلى جسده يوم يبعثه » فيه دلالة لعموم المؤمنين أيضاً وإن كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفاً لهم وتكريماً وتعليلاً

﴿ وَلِبَاسُكُمْ يَقْتَضِي مِنْ اتَّخُوفِ الْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّوْبَتِ وَبَشَرِ الصَّابِرِينَ ﴾
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

أخبرنا تعالى أنه يبتلى عباده : أي يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى (ولنبليكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلي أخباركم) فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف الجوع والحر والبرد (فأنذانا الله لباس الجوع والخوف) فإن الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه . ولهذا قال لباس الجوع والخوف . وقال ههنا (بشيء من الخوف والجوع) أي قبيل من ذلك (ونقص من الأموال) أي ذهاب بعضها (والأنفس) كوت الأصحاب والأقارب والأحباب (والنفوس) أي لا تقل الحقائق والزوارع كعادتها . قال بعض السلف ، فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة . وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده فمن صبر أثابه ومن تقطع حل به عقابه . ولهذا قال تعالى (وبشر الصابرين) وقد حكى بعض المفسرين أن المراد من الخوف ههنا خوف الله ، وبالجوع صيام رمضان ، وبنقص الأموال الزكاة ، والأنفس الأمور ، والنفوس والنفوس الأولاد ، وفي هذا نظر والله أعلم ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) أي تساءلهم الله عليهم . قال سعيد بن جبير : أي أمة من العناب (وأولئك هم للمتقون) قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نعم الدنان ونعمت الملاوة (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) نهدان الدنان (وأولئك هم للمتقون) فهذه الملاوة وهي ما توضع بين الدنان وهي زيادة في الحل

فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضاً

وقد ورد في باب الاسترجاع وهو قول (إن الله وإنما إليه راجعون) عند الصائب أحاديث كثيرة . فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله حدثنا أسامة بن المهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به . قال « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبتها ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها ، إلا فعل ذلك به » ، قالت أم سلمة حفظت ذلك عنه فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها ، ثم رجعت إلى نفسي . قلت من أين لي خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ وأنا أدبني إهاباً لي فضلت يدي من القرط وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقدم عليها فغطيتني إلى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما لي أن لا يكون بك الرغبة ولكني امرأة في غيرة شديدة فأخاف أن ترمي مني شيئاً يهذي به الله به وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال ، فقال « أما ما ذكرت من التيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك . وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي » . قالت . فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوج رسول الله ﷺ فقالت أم سلمة بعد : أبدلني الله باني سلمة خيراً منه : رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول (إن الله وإنما إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبتى وأخلف له خيراً منها » . قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه : رسول الله ﷺ . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد وعبد بن عباد قالا حدثنا هشام بن أبي هشام حدثنا عباد بن زياد عن أمه عن فاطمة ابنة الحسين عن أبيها الحسين عن علي بن أبي حمزة قال : « ما من مسلم ولا منسلة صاب مصيبة فذكرها وإن طال عهدها - وقال عباد قدم عهدها - فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب » . ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن هشام بن زياد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها . وقد رواه إسماعيل بن علي وزيد بن هرون عن هشام بن زياد عن أبيه (كذا) عن فاطمة عن أبيها . وقال الإمام أحمد أنا يحيى بن إسحق السليحي (١) أنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال . دفنت ابناً لي فإني لفي القبر إذ أخذ يدي أبو طلحة يعني الحولاني فأخرجني وقال لي : ألا أبشرك قلت بلى . قال حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عوزب عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ وقال الله به يا مالك الموت قبضت ولد عبدني قبضت قرعة عينه ومرة فؤاده ؟ قال نعم . قال فما قال ؟ قال حمدك واسترجع . قال « ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » ثم رواه عن علي بن إسحق عن عبد الله بن المبارك فذكره . وهكذا رواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به ، وقال حسن غريب وإسماعيل بن سنان

﴿ إِن الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَمَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَلَيْنَ اللَّهُ شَأْنَهُ عَزِيزٌ ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عروة عن عائشة قال . قالت أرأيت قول الله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) قلت فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما ، فقالت عائشة بشما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما أولها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند للشلال ، وكان من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنْ كُنَّا تَجْرَحُ أَنْ تَطُوفَ بِالصَّفَا وَالرُّوَّةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنْ الصَّفَا وَالرُّوَّةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا) قَالَتْ عَائِشَةُ : ثُمَّ قَدَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوُافَ بِهِمَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْعِيَ الطَّوُافَ بِهِمَا أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ . وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ . فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ إِنَّ النَّاسَ - إِنْ لَمْ يَذْكُرُوا عَائِشَةَ - كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ طَوَافَنَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ إِنَّمَا آمَرْنَا بِالطَّوُافِ بِالْبَيْتِ وَلَمْ نُؤْمَرْ بِالطَّوُافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنْ الصَّفَا وَالرُّوَّةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَلَمَّا نَزَلَتْ فِي هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ . وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ بِهَذَا مَقْدَمٍ . ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا سَيْفَانُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : سَأَلْتُ أُنْسًا عَنْ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ قَالَ : كُنَّا نَرَى أَنَّهُمَا مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمْسَكْنَا عَنْهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنْ الصَّفَا وَالرُّوَّةُ مِنَ الشَّعَائِرِ) وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَتِ الشَّاطِئِينَ تَفَرِّقُ بَيْنَ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَكَانَتِ بَيْنَهُمَا آلِهَةٌ . فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الطَّوُافِ بَيْنَهُمَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ . وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : كَانَ إِسَافُ عَلَى الصَّفَا وَكَانَتْ نَائِلَةً عَلَى الرُّوَّةِ ، وَكَانُوا يَسْتَلِمُونَهَا فَتَحْرَجُوا بِعَدِّ الْإِسْلَامِ مِنَ الطَّوُافِ بَيْنَهُمَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ (قُلْتُ) ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ السِّيَرَةِ أَنَّ إِسَافًا وَنَائِلَةً كَانَا حَجْرَيْنِ فَرَزْنَا دَاخِلَ الْكَبَةِ فَسَخَا حَجْرَيْنِ فَصَبَّهْمَا قُرَيْشٌ نِجَامَ الْكَبَةِ لِيُتَبَرَّكَا بِهِمَا النَّاسُ ، فَلَمَّا طَالَ عَهْدُهُمَا عَمِدَا ثُمَّ حَوَّلَا إِلَى الصَّفَا وَالرُّوَّةِ ، فَصَبَا هُنَاكَ فَكَانَ مِنْ طَائِفِ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ يَسْتَلِمُهُمَا ، وَلِهَذَا يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ فِي قَصِيدَةِ الشُّهُورَةِ :

وَحَيْثُ يَنْبَغُ الْأَشْعُرُونَ رُكَايَهُمْ * لِقَضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ وَفِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ بِالْبَيْتِ حَادٍ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَابِ الصَّفَا وَهُوَ يَقُولُ (إِنْ الصَّفَا وَالرُّوَّةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) ثُمَّ قَالَ «أَبْدَأْ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ «أَبْدَأْ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا شَرِيحُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّوَلَمِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتُ شَيْبَةَ عَنْ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي نَجْرَةَ قَالَتْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ وَالنَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ وَرَادُهُمْ وَهُوَ يَدْعِي حَتَّى أَرَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ شِدَّةِ السَّيِّ يَدُورُ بِهِ لِإِزَارِهِ وَهُوَ يَقُولُ «اسْمَعُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ السَّيِّ» ثُمَّ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ . أَنَا مَعْمَرٌ عَنْ وَاصِلِ مَوْلَى أَبِي عَيْنَةَ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتُ شَيْبَةَ أَنَّ امْرَأَةً أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ يَقُولُ «كُتِبَ عَلَيْكُمْ السَّيِّ فَاسْمَعُوا» وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ يَرَى أَنَّ السَّيِّ بَيْنَ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ رُكْنٌ فِي الْحَجِّ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَمِنْ وَاقِفِهِ وَرِوَايَةٍ عَنْ أَحْمَدَ وَهُوَ لِلشُّهُورِ عَنْ مَالِكٍ . وَقِيلَ إِنَّهُ وَاجِبٌ وَلَيْسَ بِرُكْنٍ فَإِنْ تَرَكَهُ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا جَبَرَهُ بِدَمٍ وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ وَبِهِ يَقُولُ طَائِفَةٌ ، وَقِيلَ بِمُسْتَحَبِّهِ وَآلِهِ ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالثَّوْرِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَابْنُ سِيرِينَ وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَحَكِي عَنْ مَالِكٍ فِي الْعَتِيَّةِ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَاجْتَحَدُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَمَنْ طَافَ خَيْرًا) وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَرْجَحُ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَافَ بَيْنَهُمَا وَقَالَ «لَتَأْخُذُوا عَنِّي مَتَلَكُمُكُمْ» فَكُلُّ مَا قُلْنَاهُ فِي حُجَّتِهِ تِلْكَ وَاجِبٌ لَا يَدُ مِنْ فَمِهِ فِي الْحَجِّ إِلَّا مَا خَرَجَ بِدَلِيلِ اللَّهِ وَآلِهِ أَعْلَمُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «اسْمَعُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ السَّيِّ» فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الطَّوُافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ أَيْ عَمَّا شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ فِي مَتَلَكِ الْحَجِّ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَوَّلَ ذَلِكَ مَا خُذَ مِنْ طَوَافِ هَاجِرٍ وَتَرَدَّادِهَا بَيْنَ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ فِي طَلَبِ الْمَاءِ لَوْلَاهَا لَمَّا تَقَدَّمَ مَآئِهَا وَزَادَهَا حِينَ تَرَكَهَا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُنَاكَ وَلَيْسَ عَنْدهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَلَمَّا خَافَتْ عَلَى وَلَدِهَا الضُّعْفَ هُنَاكَ وَتَقَدَّمَ مَا عَنْدهَا تَامَتْ تَطَلُّبُ التَّوَكُّلِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمْ تَزَلْ تَتَرَدَّدُ فِي هَذِهِ الْبَقْعَةِ الْمُشْرِفَةِ بَيْنَ الصَّفَا وَالرُّوَّةِ مُتَذَلِّلَةً خَائِفَةً وَجَلَّةً مُضْطَرَّةً قَتِيرَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ كَرْهَهَا وَأَنَسَ غُرْبَهَا وَفَرَّجَ شِدَّتَهَا وَأَتْبَعَ لَهَا زَمْزَمَ الَّتِي مَآئِهَا «طَعَامُ طَعْمٍ» وَشَفَاءُ سَقَمٍ (١) فَالْعَاسِي بَيْنَهُمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ

(١) هَذَا نَسْخَةُ الْأَمْرِ فِي النُّسخَةِ الْأَمِيرِيَّةِ : طَعَامُ طَعْمٍ طَعْمٍ . وَالْأَوَّلُ «زَمْزَمُ طَعْمٍ طَعْمٍ وَشَفَاءُ سَقَمٍ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالزَّيْرَانِيُّ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ

قره وزله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه : وإن يلتجئ إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والرو . ، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم ، وأن يشته عليه إلى معاته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والفران والساد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام .

وقوله (فمن تطوع خيراً) قيل زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثلثة وثلاثة ونحو ذلك وقيل بطوف بينهما في حجة تطوع أو عمره تطوع وقيل الراد تطوع خيراً في سائر العبادات حتى ذلك الرأزي وعزى الثالث إلى الحسن البصري والله أعلم وقوله (فإن الله شاكر عليم) أي ييب على القليل بالكثير علم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدا ثوابه ولا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَابُوا وَهُمْ كُفْرًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿

هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاء به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله قال أبو العالية نزلت في أهل الكتاب كتموا سعة عهد ﷺ ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء من صنيعهم ذلك فكما أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء فهؤلاء بخلاف الماء فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، وقد ورد في الحديث للسند من طرائق يشد بعضها بعضاً عن أبي هريرة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » والى في الصحيح عن أبي هريرة أنه قال لولا آية في كتاب الله ماحدثت أحدا شيئاً (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد عن إيث ابن أبي سلم عن النّبال بن عمرو عن زاذان أبي عمر عن البراء بن عازب قال كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال « إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعا كل دابة غير الثقلين قتلنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) يعني دواب الأرض » ورواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن عامر بن محمد به ، وقال عطاء بن أبي رباح : كل دابة والجن والإنس وقال مجاهد إذا أجدبت الأرض قال الهام هذا من أجل عصاة بني آدم لعن الله عصاة بني آدم وقال أبو العالية والريبع بن أنس وقادة (ويلعنهم اللاعنون) يعني تلعنهم للملائكة والمؤمنون وقد جاء في الحديث أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر وجاء في هذه الآية أن كاتم العلم يلعنه الله وللملائكة والناس أجمعون واللاعنون أيضا وهم كل فسيح وأعجمي إما بلسان لقال أو الحال أن لو كان له عقل ويوم القيامة والله أعلم * ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء من تاب إليه فقال (إلا الذين تابوا وأصلحو وبينوا) أي رجوا عما كانوا فيه وأصلحو أعمالهم وبينوا للناس ما كانوا يكتُمونه (فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وفي هذا دلالة على أن الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب إلى الله تاب الله عليه : وقد ورد أن الأمم السابقة لم تكن التوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ولكن هذا من شرية نبي التوبة ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه ، ثم أخبر تعالى عن كفر به واستمر به الحال إلى معاته بأن (عليهم لعنة الله للملائكة والناس أجمعين خالدين فيها) أي في اللعنة النابتة لهم إلى يوم القيامة ثم الصاحبة لهم في نار جهنم التي لا تخفف عنهم العذاب) فيها أي لا يتنصص عمامهم فيه (ولا هم ينظرون) أي لا يغير عنهم ساعة واحدة ولا يفتقر بل هو متواصل دائم فعوذ بالله من ذلك : قال أبو العالية وقادة إن الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله ثم تلعه للملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون .

(فصل) لاختلاف في جواز لمن الكفار وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن بعده من الأئمة يلعنون الكفرة في القنوت وغيره فأما الكفار الذين قد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يلعن لأنا لاندرى بما يحتم الله له واستدل بعضهم بالآية (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله ولللائكة والناس أجمعين) وقالت طائفة أخرى بل يجوز لمن الكفار الذين، واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي للالكس ولكنه احتج بحديث فيه ضعف واستدل غيره بقوله عليه السلام في قصة الذي كان يؤذي به سكان فيجده فقال رجل لعنه الله ما أكثر ما يؤذي به فقال رسول الله ﷺ « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يلعن والله أعلم

﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

يجزى تعالى عن تفرده بالآية وأنه لا شريك له ولا عدل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم . وقد تقدم تفسير هذين الاسمين في أول الفاعلة وفي الحديث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله ﷺ أنه قال « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (واللهم اكمل) واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) و (الهم اكمل لا إله إلا هو الحى القيوم) » ثم ذكر الدليل على تفرده بالآية خلق السموات والأرض وما فيها وما بين ذلك مما ذكرا وبرأ من الخلق والله على وحدانيته قائل

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَاءِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

يقول تعالى (إن في خلق السموات والأرض) تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السائرة والثواب ودوران فلكها - وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقارها ووديانها وعمراتها وما فيها من النافع واختلاف الليل والنهار هذا مجيء ثم يذهب ويخلق الآخر ويتبعه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وتارة يطول هذا وقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتماوضان كما قال تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى يزيد من هذا ومن هذا في هذا (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) أى في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لما يشي الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الاقليم وقل هذا إلى هؤلاء وما عند أولئك إلى هؤلاء (وما أنزل الله من السماء من ماء فأجبا به الأرض بعد موتها) كما قال تعالى (وآية لهم الأرض التي أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه ياكلون - إلى قوله - وعلا يسلمون) (وبث فيها من كل دابة) أى على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصرفها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على فاه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) (وتصريف الرياح) أى فتارة تأتي بالحرارة وتارة تأتي بالبرد وتارة تأتي بمشقة بين يدي السحاب وتارة تسوق وتارة تجعمه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهى الشامية وتارة تأتي من ناحية اليمن وتارة صبا وهى الشرقية التي تصدم وجه الكعبة وتارة دبوراً وهى غربية تنفذ من ناحية دير الكعبة . وقد صنف الناس في الرياح والطر والأواء كتباً كثيرة فيما يتعلق بملفاتها وأحكامها وبسط ذلك يطول وهنا والله أعلم (والسحاب السخر بين السماء والأرض) أى سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأما كن كما يصرفه تعالى (لآيات لقوم يعقلون) أى في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى كما قال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولئك الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت

هذا باطلا سبحانه قضا عذاب النار) وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو سعيد الدمشقي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي الثيرة عن سعيد بن جبر عن ابن عباس قال : أتت قريش محمداً ﷺ فقالوا يا محمد إنا نريد أن ندعو ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً فنشترى به الخيل والسلاح فؤمن بك وقاتل معك قال « أو تقولون لي دعوت ربك فجعل لكم الصفا ذهباً تؤمنون بي » فأوثقوا له فذره فأتاه جبريل فقال إن ربك قد أعطاهم الصفا ذهباً على أنهم إن لم يؤمنوا بك عذبهم عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين قال محمد ﷺ « رب لا بد دعني وقوي فلا دعهم يوماً يوماً » فأزل الله هذه الآية (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والظلمة التي تجري في البحر بما ينفع الناس) الآية ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن جعفر بن أبي الثيرة به وزاد في آخره : وكيف يسألونك الصفا لهم يرون من الآيات ما هو أعظم من الصفا ؟ وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال نزلت على النبي ﷺ بالمدينة (وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) فقال كفار قريش بمكة كيف يسمع الناس إله واحد فأنزل الله تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والظلمة التي تجري في البحر بما ينفع الناس) إلى قوله (آيات لقوم يعقلون) فهذا يعلمون أنه إله واحد وأنه إله كل شيء وخالق كل شيء ، وقال وكيع بن الجراح حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى قال لما نزلت (وإلهم إله واحد) إلى آخر الآية قال للمشركون إن كان هكذا فلماذا يأمر الله عز وجل (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) إلى قوله (يعقلون) ورواه آدم بن أبي إياس عن أبي جعفر هو الرازي عن سعيد بن مسروق والمسيان عن أبي الضحى به .

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّبِعُ مَن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَزْوَاجَ الْعَذَابِ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَسْمَعُ مِمَّنْ كَفَرْنَا كَمَا نَنْصَرِفُ وَمَا كُنَّا بِمَعْلُومِينَ مِمَّنْ كَفَرُوا)

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا والملم في الدار الآخرة حيث^(١) جعلوا له أندادا أي أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا مدله ولا شريك معه . وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال قلت لرسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » وقوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) ولحبهم لله وتوحيدهم به وتوحيدهم له لا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجأون في جميع أمورهم إليه . ثم توعده تعالى المشركين به الظالمين لأشدهم بذلك فقال (ولو يرى الذين ظلموا إنا نرون العذاب أن القوة لله جميعا) قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلوا حيث أن القوة لله جميعا أي أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وعلته وسلطانه (وأن الله شديد العذاب) كما قال (فيومئذ لا ينفع عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) يقول لو يعلمون ما ياتون به هناك وما يحل بهم من الأمر الفظيع للسكر الهائل على شركهم وكفرهم لاتهموا عمامهم فيه من الضلال ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتبري التبعين من التابعين فقال (إذ تبارأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) تبارأ منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار الدنيا فتقول الملائكة (تبارأ إليك ما كانوا إيانا يعبدون) ويقولون (سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) والجن أيضا تبارأ منهم ويتصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى (ومن

(١) استعمل حيث هنا لتفصيل كما شاع في كتابة متأخري المؤلفين ولو حملت على الظرفية للسكابة كما هو منها الأمل لكان معنى الكلام أنهم جعلوا الأنداد له تعالى في الآخرة وليس مجرد قطعاً .

أضل نحن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا خسر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكنون عليهم ضدا) وقال الخليل لقومه (إنما اتخذتم من دون الله آثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بشرككم ببعض بعضكم فإذ أنتم ترون النار وما أوتاكم النار وما لكم من ناصرين) وقال تعالى (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استسفوا الذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استسفوا آئحن صدناكم عن الهدى بعد إضلالكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استسفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجس له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرختي إني كُفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) وقوله (ورأوا العذاب ونطحتم بهم الأسباب) أي عابوا عذاب الله ونطحتم بهم أحوال وأسباب الخلاص ولم يجدوا عن النار مدخلا ولا مصرا . قال عطاء عن ابن عباس (ونطحتم بهم الأسباب) قال الودعة : وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي نعيم : وقوله (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منها كاتبرؤا منها) أي لو أن لنا عودة إلى الدار الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء ومن عبادتهم فلا نلتفت إليهم بل نوحدها وحده بالعبادة : وهم كاذبون في هذا بل لوردوا لعادوا لها نهوا عنه واتهم لكاذبون كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك ولهذا قال (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي تذهب وتضمحل كما قال تعالى (وقتلناهم إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتكت به الريح في يوم عاصف) الآية . وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) الآية : ولهذا قال تعالى (وما هم بخارجين من النار) :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَنَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ *

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه السقل بالخلق شرع بين أنه الرزاق لجميع خلقه فذكر في مقام الاستئذان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالا من الله طيبا أي مستطابا في نفسه غير ضار للأبدان ولا للقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي طرائقه ومسالكه في أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسواب والوسائل ونحوها مما كان ربه لهم في جاهليتهم كما في حديث عياض بن حماد الذي في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال « يقول الله تعالى إن كل مال منته عبادي فهو لهم حلال - وفيه - وإن خلقت عبادي حنفا فعبادتهم الشياطين فاجتاتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم » وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد ابن عيسى بن شعبة للصرى حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحيطاي حدثنا أبو عبد الله الجوزجاني رفيق إبراهيم ابن آدم حدثنا ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال تليت هذه الآية عند النبي ﷺ (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا) فقام سعد بن أبي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال « يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف القلعة الحرام في جوفه ما يشبه منه أربعين يوما وأياما بعد ثبت لحمه من السمات والربا فالتار أولى به .

وقوله (إنه لكم عدو مبين) تثير عنه وتحذيرته كما قال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (اتخذوه ذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقال

والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا القليل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغنى بالحرام فأني يستجاب لذلك ؟ » ورواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث فضيل بن مرزوق . ولما أمّن تعالى عليهم برزقه وأرشدهم إلى الأكل من طيبه ذكر أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا اللبنة وهي التي تموت خشف أنفها من غير تذكية وسواء كانت منخقة أو موقوفة أو مرتدية أو نطجة أو عدا عليها السبع وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة البحر قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) على ما سيأتي إن شاء الله وحديث النضر في الصحيح وفي السنن واللوطاء والسنن قوله عليه السلام في البحر « هو الطهور مائه الحل ميتة » وروى الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني حديث بن عمر مرفوعاً « أحل لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » وسيأتي تقرير ذلك إن شاء الله في سورة الثالثة .

(مسئلة) . ولبن اللبنة ويضاهيها نجس عند الشافعي وغيره لأنه جزء منها . وقال مالك في رواية هو طاهر إلا أنه نجس بالجواردة وكذلك اشقة الميتة فيها الخلاف وللشهور عندهم أنها نجسة وقد أوردوا على أنفسهم أكل الصبابة من جبن المحوس قال القرطبي في التفسير هنا يغالط الذين يسيرون يعني عن قليل النجاسة إذا خلط الكثير من المائع . وقد روى ابن ماجه من حديث سيف بن هرون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان رضي الله عنه : سئل رسول الله ﷺ عن السمّن والجبن والقراء فقال « الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما مبكت عنه فهو مباح » وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكّر أم أنثى خشف أنفه ويدخل شحمه في حكمه إما تفليها أو أن اللحم يشمل ذلك أو بطريق القياس على رأى . وكذلك حرم عليهم ما أكل به لغير الله وهو ما ذبح على غير اسمه تعالى من الأنصاب والأنداد والأزلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية يتحرون له . وذكر القرطبي عن ابن عطية أنه نقل عن الحسن البصري أنه سئل عن امرأة عملت عرساً للبحر فنحرت فيه جزواً فقال لا تؤكل لأنها ذبحت لصنم وأورد القرطبي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عما يذبحه النجم لأعيادهم فهدون منه للمسلمين فقالت ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا منه واكلوا من أشجارهم . ثم أباح تعالى تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج إليها عند غيرها من الأطعمة فقال (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) أي في غير بني ولا عدوان وهو مجاوزة الحد (فلا إثم عليه) أي في أكل ذلك (إن الله غفور رحيم) وقال مجاهد فمن اضطر غير باغ ولا عاد قطعاً للسبيل أو مفارقة للأمة أو خارجاً في معصية الله فله الرخصة ومن خرج باغياً أو عادياً أو في معصية الله فلا رخصة له وإن اضطر إليه وكذا روى عن سعيد ابن جبير . وقال سعيد في رواية عنه - ومقاتل بن حيان - غير باغ - يعني غير مستحل ، وقال السدي غير باغ ينتهي فيه شهوته ، وقال آدم بن أبي إياس حدثنا ضمرة عن عثمان بن عطاء وهو الحارثاني عن أبيه قال لا يشوي من اللبنة ليشهيه ولا يطبخه ولا يأكل إلا الملققة ويحمل معه ما يلقه الحلال فإذا بلغه ألقاه وهو قوله (ولا عاد) ويقول لا يبدو به الحلال وعن ابن عباس لا يشبع منها وفسره السدي بالمعدون وعن ابن عباس (غير باغ ولا عاد) قال (غير باغ) في الميتة ولا عاد في أكله وقال قتادة فمن اضطر غير باغ ولا عاد قال غير باغ في اللبنة أي في أكله أن يتعدى خلاها إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة . وحكى القرطبي عن مجاهد في قوله فمن اضطر أي أكره على ذلك بغير اختياره .

(مسئلة) إذا وجد الضرر ميتة وطعام النهر بحيث لا تقطع فيه ولا أذى فإنه لا يحل له أكل اللبنة بل يأكل طعام الغير بغير خلاف . - كذا قال - ثم قال وإذا أكله والحالة هذه هل ضمن أم لا ؟ فيه قولان هما روايتان عن مالك ثم أورد من سنن ابن ماجه من حديث شعبة عن أبي إياس جعفر بن أبي وحشية سمعت عباد بن شرحبيل العنزي قال

أصابنا عاما حجمة فأنتيت للدينة فأنتيت حاططا فأخذت سبيلا ففركته وأكلته وجعلت منه في كسائي فجاء صاحب الحائط فضرني وأخذ ثوبي فأنتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال الرجل « ما أطعمته إذ كان جائعا ولا ساعيا ولا علمته إذ كان جاهلا » فأمره فرد إليه ثوبه وأمره أن يوسق من طعام أو نصف وسق إسناد صحيح قوى جيد وله شواهد كثيرة من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سئل رسول الله ﷺ عن النحر الملق فقال « من أصاب منه من ذى حاجة فيه غير متخذ خبنة فلا شيء عليه » الحديث : وقال مقاتل بن حيان في قوله (فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) فإيا كل من اضطرار وبلغنا والله أعلم أنه لا يزداد على ثلاث لقم وقال سعيد بن جبير : غفورا أكل كل من الحرام ، ورحم إذ أحل له الحرام في الاضطرار ، وقال وكيع أخبرنا الأعمش عن أبي النخعي عن مسروق قال من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار وهذا يقتضى أن أكل اللينة المضطر عزيمة لا رخصة قال أبو الحسن الطبري المعروف بالكلية المراسي رفيق النزالي في الاشتغال وهذا هو الصحيح عندنا كالإفطار للمريض ونحو ذلك :

﴿ إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْكِتَابِ يُشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٠ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْغَفْوَةِ فَفَأُسْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ ١٠١ ذَلِكَ بِأَنَّهُ تَزَلَّ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ١٠٢ ﴾ (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم ما تحمده له بالرسالة والنبوة فكتموا ذلك لئلا تنهب ريسهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم فنشعوا لعنهم الله إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم فكتموا ذلك إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نذر يسير فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصدق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك التزير اليسير فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله بانهض وجهه معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات فصدقته الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عوناً له على قتلهم وبادوا بنضض على غضب وذهم الله في كتابه في غير موضع فن ذلك هذه الآية الكريمة (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا) وهو عرض الحياة الدنيا (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) أي إنما يأكلون ما يكونه في مقابلة كتاب الحق نارا تأجج في بطونهم يوم القيامة كما قال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجر جرمه في بطنه نار جهنم » .

وقوله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم) وذلك لأنه تعالى غضبان عليهم لأنهم كتموا وقد عرفوا فاستحقوا العذاب فلا ينظر إليهم ولا يزكهم أي يثني عليهم ويمدحهم بل يلعنهم عذابا أليما . وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه ههنا حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » ثم قال تعالى يخبراً عنهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي اعتاضوا عن الهدى وهو نهر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبته والبشارة به من كتب الأنبياء واتباعه وصدقته استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكان صفاته في كتبهم (والعذاب بالهفوة) أي اعتاضوا عن الهفوة بالعذاب وهو ما تباطوه من أسباب المذكورة : وقوله تعالى (فما أسبرهم على النار) يخبر تعالى أنهم في عذاب شديد عظيم هائل يتعجب من راحم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياناً بالله من ذلك وقيل معنى قوله (فما أسبرهم على النار) أي فما أدومهم لعمل المعاصي التي تضييهم إلى النار وقوله تعالى (ذلك بأن الله تزل الكتاب بالحق) أي إنما استحقوا

هذا العذاب الشديد لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد ﷺ وعلى الأنبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وإبطال الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا فكاتبهم يأمرهم بإظهار العلم ونشره فضائقوه وكذبوه وهذا الرسول الحاتم يدعوم إلى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهم يكذبونه ويخالفونه ويحسدونه ويكتمون صفته فاستهزؤا بآيات الله للفرقة على رسله فلقد استحقوا العذاب والنكال ولهذا قال (ذلك بأن أنزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَأَتَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

اغتملت هذه الآية الكريمة على جل عظيمة وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد بن هشام الحلبي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عامر بن شفي عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ ما الإيمان ؟ فقال عليه (ليس البر أن تولوا وجوهكم) إلى آخر الآية قال ثم سأله أيضاً فتلاها عليه ثم سأله فقال : « إذا عملت حسنة أحبها فلك وإذا عملت سيئة أبغضها فلك » وهذا منقطع فان مجاهدا لم يدرك أبانر فانه مات قديما وقال المسعودي : حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال جاء رجل إلى أبي ذر فقال ما الإيمان ؟ فقرأ عليه هذه الآية (ليس البر أن تولوا وجوهكم) حتى فرغ منها فقال الرجل ليس عن البرأئتك فقال أبو ذر جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عما سألتني عنه فقرأ عليه هذه الآية فأتى أن يرضى كما أيت أن ترضى فقال له رسول الله ﷺ وأشار يده « للؤمن إذا عمل حسنة سرته ورجا ثوابها وإذا عمل سيئة أحرته وخاف عقابها » رواه ابن مردويه وهذا أيضاً منقطع والله أعلم

وأما الكلام على تفسير هذه الآية فان الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتنال أوامره والتوجه حيثما وجه واتباع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل وليس في لزوم التوجه إلى جهة من الشرق أو الغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ولهذا قال (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل للشرق وللغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية كما قال في الأنصافي والمهايدي (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منك) وقال الوقي عن ابن عباس في هذه الآية : ليس البر أن تصاوا ولا تصلوا فهذا حين تحول من مكة إلى المدينة ونزلت القرآني والحدود فأمر الله بالقرآني والعمل بها زروى عن الضحاك ومقاتل فهو ذلك وقال أبو العالية : كانت اليهود تعجل قبل للغرب وكانت النصارى تعجل قبل للشرق فقال الله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل للشرق وللغرب) يقول هذا كلام الإيمان وحقيقته العمل وروى عن الحسن والريبع بن أنس مثله وقال مجاهد : ولكن البراءة في القلوب من طاعة الله عز وجل وقال الضحاك : ولكن البر والتقوى أن تؤدوا القرآني على وجوها وقال الثوري : (ولكن البر من آمن بالله) الآية قال هذه أنواع البر كلها ، وصديق رحمه الله فان من اتصف بهذه الآية قد دخل في عرى الاسلام كلها وأخذ بجميع الخير كله وهو الإيمان بالله وانه لا إله إلا هو وصديق بوجوده للآلة التي هم سفره بين الله ورسله (والكتاب) وهو اسم جنس يشمل الكتب للفرقة بين الباطل على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو

القرآن للهمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآتى بانيه الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله (وآتى المال على حبه) أى أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت في الصحيحين من حديث أنى هريرة مرفوعاً « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح صحيح تأمل الفنى ونحشى الفقر » وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث شعبة والثوري عن منصور عن زيد عن مرة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « (وآتى المال على حبه) أن تعطيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش ونحشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفاً وهو أصح والله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون المساكين على حبه مسكيناً وبتنا وأسيراً) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً (وقال تعالى (لن تسألوا البر حق تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نطأ آخر أرفع من هذا وهو أنهم أثروا بما هم منظرئون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ما هم محبون له وقوله (ذوى القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت في الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وبيرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان إليهم في غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كسب لهم وقد مات آبائهم وهم ضعفاء سفار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر بن جبير عن الضحاك عن التزالي بن سبرة عن علي عن رسول الله ﷺ قال : « لا يتم بعد حلم » (والمساكين) وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناتهم فيطعنون ما تسد به حاجتهم وختلهم وفي الصحيحين عن أنى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس للمسكين بهذا الطواف الذى ترده النقرة والقرتان واللقمة والافتتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يظن له فيصدق عليه » (وابن السبيل) (وهو للسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده وكذا الذى يريد سفراً في طاعة فيعطى ما يكتفيه في ذهابه وإيابه ويدخل في ذلك الضيف كما قال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال . ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقسادة والضحاك والزهرى والريبع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يترضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالوا حدثنا سفيان بن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها - قال عبد الرحمن حين بن على - قال قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود (وفي الرقاب) وهم الكتاتيب الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم وسأى السلام على كثير من هذه الأصناف في آية الصدقات من براءة إن شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبى حمزة عن الشعبي حدثنى فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله ﷺ أى المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا على (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبى حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت . قال رسول الله ﷺ « فى المال حق سوى الزكاة » ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق وللغرب - إلى قوله - وفى الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذى وضمف أبى حمزة ميموناً الأعور وقد رواه سيار وإسماعيل بن سالم عن الشعبي وقوله (وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضي وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدينية الرذيلة كقوله (قد أفلح من زكاهها) وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

فيه دية وإنما تجب فيه قيمته ولأنه لا يقاد بطرفه في النفس بطريق الأولى وذهب الجمهور إلى أن السلم لا يقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يقتل مسلم بكافر » ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا وأما أبو حنيفة فذهب إلى أنه يقتل به لمصوم آية المائدة

﴿ مثله ﴾ قال الحسن وعطاء لا يقتل الرجل المرأة لهذه الآية وخالفهم الجمهور لأية المائدة وقوله عليه السلام « للسلمون تكافؤ دماؤهم » وقال الليث إذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاتمة

﴿ مثله ﴾ ومنهيب الأئمة الأربعة والجمهور أن الجماعة يقتلون بالواحد : قال عمر في غلام قتل سبعة قتلهم وقال لوعلاً عليه أهل مناهم لقتلهم ، ولا يعرف له في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالاجماع وحكي عن الإمام أحمد رواية أن الجماعة لا يقتلون بالواحد ولا يقتل بالنفس إلا نفس واحدة وحكاها ابن النضر عن معاذ وابن الزبير وعبد الملك ابن مروان والزهري وابن سيرين وحبيب بن أبي ثابت ثم قال ابن النضر وهذا أصح ولا حجة لمن أباح قتل الجماعة وقد ثبت عن ابن الزبير ما ذكرناه وإذا اختلفت الصحابة فسيبيل النظر . وقوله (فمن عني له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان) قال مجاهد عن ابن عباس (فمن عني له من أخيه شيء) فالنفوس أن يقتل الدية في العمد وكذا روى عن أبي العلاء وأبي الشفاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الضحاك عن ابن عباس (فمن عني له من أخيه شيء) يعني فمن ترك له من أخيه شيء يعني أخذ الدية بعد استنطاق الدم وذلك النفوس فاتباع بالمعروف يقول قتل الطالب اتباع بالمعروف إذا قبل الدية (وأداء إليه بإحسان) يعني من القاتل من غير ضرر ولا ممانعة يعني للدافعة وروى الحاكم من حديث سفيان عن عمرو عن مجاهد عن ابن عباس ويؤيد المطلوب بإحسان وكذا قال سعيد بن جبير وأبو الشفاء جابر بن زيد والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والريعي بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان

﴿ مثله ﴾ قال مالك رحمه الله في رواية ابن القاسم عنه وهو للجمهور وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد بن أحد قوله ليس لولي الدم أن ينفو على الدية إلا بضاً القاتل وقال الباقر له أن ينفو عليها وإن لم يرض

﴿ مثله ﴾ وذهب طائفة من السلف إلى أنه ليس للنساء غفو ، منهم الحسن وقتادة والزهري وابن شبرمة والليث والأوزاعي وخالفهم الباقر وقوله (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يقول تعالى إنما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفاً من الله عليكم ورحمة بكم ما كان عتوما على الأمم قبلكم من القتل أو الغزو كما قال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني مجاهد عن ابن عباس قال كتب على بني إسرائيل القصاص في القتل ولم يكن فيهم الغفو فقال الله لهذه الأمة (كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والأشئ بالأشئ) فمن عني له من أخيه شيء) فالنفوس أن يقتل الدية في العمد ، ذلك تخفيف مما كتب على بني إسرائيل من أن كان قبلكم فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان . وقد رواه غير واحد عن عمرو وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن دينار ورواه جماعة عن مجاهد عن ابن عباس بنحوه : وقال قتادة (ذلك تخفيف من ربكم) رحم الله هذه الأمة وأطعمهم الدية ولم تحمل لأحد قبلهم فكان أهل التوراة إنما هو القصاص وغفو ليس بينهم أرض وكان أهل الإنجيل إنما هو غفو أمروا به وجعل لهذه الأمة القصاص والغفو والأرض وهكذا روى عن سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والريعي بن أنس نحو هذا . وقوله (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) يقول تعالى فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فله عذاب من الله أليم موجع شديد . وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والريعي بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان أنه هو الذي يقتل بعد أخذ الدية كما قال محمد بن إسحق عن الحارث بن فضيل عن سفيان بن أبي العوجاء عن أبي شريح الخزازي أن النبي ﷺ قال « من أصيب بقتل أو خبل فانه يختار إحدى ثلاث إما أن يقتل وإما أن ينفو وإما أن يأخذ الدية فان أراد الرابعة غفوا على يديه ومن اعتدى بعد ذلك فله تارجهن خالفاً فيها » رواه أحمد وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن مرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تأخافوا

رجلا قتل بعد أخذ الدية » يعنى لا أقبل منه الدية بل آتاه .

وقوله (ولكم في القصاص حياة) يقول تعالى وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء للمهج وموتها لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنیه فكان في ذلك حياة للنفوس ، وفي الكتب القديمة القتل أنى للقتل (١) فجات هذه المبرة في القرآن أنصح وأبلغ وأوجز (ولكم في القصاص حياة) قال أبو العالية جعل الله القصاص حياة فكم من رجل يريد أن يقتل تنتمه عتاة أن يقتل . وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي مالك والحسن وقائدة والريبع بن أنس ومقاتل بن حيان (يا أولى الألباب لملككم تقون) يقول يا أولى العقول والأنفهام والتهى لملككم تنزجرون وتكون محارم الله ومآثمه ، والتقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الشَّيْئَيْنِ هُنَّ بَدَلُهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿

اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين وقد كان ذلك واجبا على أصح القولين قبل نزول آية الوارث فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه وصارت للوارث القدرة فريضة من الله بأخذها أهلها حتما من غير وصية ولا تحمل منه الوصي ولهذا جاء في الحديث الذي في السنن وغيرها عن عمرو بن خزيمة قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علي بن يونس عن عبيد بن محمد بن سيرين قال : جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أت هذه الآية (إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين) فقال نسخت هذه الآية وكذا رواه سعيد بن منصور عن هشيم عن يونس بن عروة الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرطهما وقال في ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (الوصية للوالدين والأقربين) قال : كان لا يرث مع الوالدين غيرها إلا وصية للأقربين فأئزل الله آية لليراث في ميراث الوالدين وأقر وصية الأقربين في ثلث مال لليت وقال ابن حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء بن ابن عباس في قوله (الوصية للوالدين والأقربين) نسختها هذه الآية (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وأبي موسى وسعيد بن السيب والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعبد بن سيرين وعكرمة وزيد بن أسلم والريبع بن أنس وقائدة والسدي ومقاتل بن حيان وطاوس وإبراهيم النخعي وشرع والضحاك والزهري أن هذه الآية منسوخة نسختها آية اليراث . والعجب من أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي رحمه الله كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الأسفهازي أن هذه الآية غير منسوخة وإنما هي مفسرة بآية الوارث ومناه كتب عليكم ما أوصى الله به من نورث الوالدين والأقربين من قوله (يوصيكم الله في أولادكم) قال وهو قول أكثر المفسرين والتبريز من الفقهاء قال ومنهم من قال إنها منسوخة في ميراث ثابتين لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والملاء بن زياد (قلت) وبه قال أيضا سعيد بن جبير والريبع بن أنس وقائدة ومقاتل بن حيان ولكن على قول هؤلاء لا يسمي ههنا نسخا في اصطلاحنا للتأخر لأن آية الوارث إنما رفعت حكم بعض أفراد ما دل عليه عموم آية الوصية لأن الأقربين أعم عن يرث ومن لا يرث فمن يرث بمعاين له وبقي الآخر على ما دل عليه الآية الأولى وهذا إنما يتأتى على قول بعضهم أن الوصية في ابتداء الاسلام إنما كانت ندبا حتى نسخت فأما من يقول إنها كانت واجبة وهو الظاهر من سياق الآية فيبين أن تكون منسوخة بآية اليراث كما قاله أكثر المفسرين والتبريز من الفقهاء فإن (١) ذكر البني أن هذا مثل - والتهور أنه من كلام نضاه الرب -

وجوب الوصية للوالدين والأقربين الوارثين منسوخ بالإجماع بل منهي عنه للحديث المتقدم « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » فآية اليراث حكم مستقل وجوب من عندنا لأهل القروض والوصايا رفع بها حكم هذه بالكلية ، بقي الأقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصى لهم من الثلث استئناساً بآية الوصية وشمولاً لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » قال ابن عمر ما مررت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيتي . والآيات والأحاديث بالأمرير الأقارب والأحسان إليهم كثيرة جداً وقال عبد بن حميد في مسنده أخبرنا عبد الله عن مبارك بن حسان عن نافع قال : قال عبد الله قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى « يا ابن آدم ثنتان لم يكن لك واحدة منهما : جملة لك نصيباً في مالك حين أخذت بكظمك لأهلك به وأزكرك وصلة عبادي عليك بعد انقضاء أجلك » وقوله (إن ترك خيراً) أي مالا قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبو العالية وعطية الوقي والضحاك والسدي والريعي بن أنس ومقاتل بن حيان وقادة وغيرهم ثم منهم من قال الوصية مشروعة سواء قل المال أو كثر كالورثة ومنهم من قال إنما يوصى إذا ترك مالا جليلاً ثم اختلفوا في مقدارها فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد القرطبي أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قيل لعلي رضي الله عنه إن رجلاً من قريش قدمنا وترك ثلثمائة دينار أو أربعة آلاف ولم يوص قال ليس بشيء إنما قال الله (إن ترك خيراً) وقال أيضاً حدثنا هرون بن إسحق الحمصاني حدثنا عبدة بن أبي سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه أن علياً دخل على رجل من قومه يعود فقال له أوص فقال له علي إنما قال الله (إن ترك خيراً الوصية) إنما تركت شيئاً يسيراً فافتركه لولدك وقال الحاكم : إن أبان حدثني عن عكرمة عن ابن عباس (إن ترك خيراً) قال ابن عباس : من لم يترك شيئاً ديناراً لم يترك خيراً قال الحاكم قال طائوس لم يترك خيراً من لم يترك ثمانين ديناراً وقال قتادة كان يقال ألفاً فما فوقها . وقوله (بالمعروف) أي بالرفق والإحسان كما قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قوله (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت) فقال نعم الوصية حتى على كل مسلم أن يوصى إذا حضر الموت بالمعروف غير التكرار والراد بالمعروف أن يوصى لأقربيه وصية لا تحجب بورثته من غير إسراف ولا تفكير كما ثبت في الصحيحين أن سمداً قال يا رسول الله إن لي مالا ولا يرثي إلا ابنة لي أنا وصي بثلث مالي ؟ قال « لا » قال فيالشر ؟ قال « لا » قال فالثلث ؟ قال « الثلث والثلث كثير إنك أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم حالة يتكفون الناس » وفي صحيح البخاري أن ابن عباس قال : لو أن الناس غصوا من الثلث إلى الربع فإن رسول الله ﷺ قال « الثلث والثلث كثير » وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد مولى بني هاشم عن زياد بن عتبة بن حنظلة سمعت حنظلة بن جذيم بن حنيفة أن جده حنيفة أوصى ليقم في حجره بمائة من الإبل فشق ذلك على بنه فارتفعوا إلى رسول الله ﷺ فقال حنيفة إني أوصيت ليقم لي بمائة من الإبل كنا نسماها للطيبة فقال النبي ﷺ « لا لا ، الصدقة خمس وإلا فخرس وإلا فخمس عشرة وإلا فخسون وإلا فخمس وعشرون وإلا فثلاثون وإلا فخمس وثلاثون فإن كثرت فأربعون » وذكر الحديث بطوله .

وقوله (فمن بدله بعد ما معه فإمّا إنمعه على الذين يدلونه إن الله مبيح علم) يقول تعالى فمن بدل الوصية وحرقها فغير حكمها وزاد فيها أو نقص ويدخل في ذلك الكتاب لها بطريق الأولى (فإمّا إنمعه على الذين يدلونه) قال ابن عباس وغير واحد وقد وقع أجر لبت على الله وتلقى الإثم بالذين بدلوا ذلك (إن الله مبيح علم) أي قد أطلع على ما أوصى به لبت وهو علم بذلك وبما بدله للوصي إليهم وقوله تعالى (فمن خاف من موص جفاً أو إمّا) قال ابن عباس « أبو المالية ومجاهد والضحاك والريعي بن أنس والسدي الجنف الخطأ وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا وارتابوا بواسطة أو سلبوا كما إذا أوصى ببيعة الشيء الثلاث محاباة أو أوصى لابن ابنته ليزيدها أو نحو ذلك من الوسائل إما محاباة غير حامد بل بطبعه وقوة شفقته من غير تبصر أو متمداً عما في ذلك فلو وصى والحالة هذه أن يصلح القضية ويسدل

في الوصية على الوجه الشرعي ، وبمثل عن النبي أوصى به لبيت إلى ما هو أقرب الأشياء إليه وأشباه الأمور به جمعا بين مقصود الوصي والطريق الشرعي ، وهذا الإصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء ولهذا عطف هذا فينبه على النبي عن ذلك ليعلم أن هذا ليس من ذلك بسبيل والله أعلم : وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قراءة أخرى أبي عن الأوزاعي قال الزهري حدثني عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يرد من صدقة الجانف (١) في حياته ما يرد من وصية الجنب عند موته » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه من حديث العباس بن الوليد به قال ابن أبي حاتم وقد أخطأ فيه الوليد بن مزيد ، وهذا الكلام إنما هو عن عروة فقط وقد رواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعي فلم يجاوز به عروة ، وقال ابن مردويه أيضا حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا هشام بن عمار حدثنا عمر بن القبرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « الجنب في الوصية من الكبار » وهذا في رقه أيضا ونظر وأحسن ما ورد في هذا الباب ما قاله عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعمل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم (تلك حدود الله فلا تعتدوها) الآية .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ ثَمَرَاتٌ ۖ أَيَّامًا مُمَدَّدَاتٌ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۚ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَإِنْ تَصَوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ ﴾

يقول تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الأمة وآدم لهم بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة وذكر أنه كما أوجبه عليهم قد أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيه أسوة وليجتهد هؤلاء في أداء هذا القرض أكل مما فعله أولئك كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيها ما كنتم تفتشون) الخيرات) الآية ولهذا قال ههنا (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتنظيف لساك الشيطان ولهذا ثبت في الصحيحين « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ثم بين مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم ثلاثا يشق على النفوس فخصف من عمله وأداته بل في أيام معدودات . وقد كان هذا في ابتداء الاسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان كما سيأتي بيانه . وقد روى أن الصيام كان أولا كان على الأسم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء وقتادة والضحاك بن مزاحم وزاد في ذلك هذا مشروعا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان . وقال عباد بن منصور عن الحسن البصري (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ﴿ أَيَّامًا مُمَدَّدَاتٌ ﴾ فقال نعم والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت كما كتبه علينا شهرا كاملا وأياما معدودات عندنا معلوما ، وروى عن السدي نحوه . وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن القرني حدثني سعيد بن أبي أيوب حدثني عبد الله بن الوليد عن أبي الربيع رجل من أهل المدينة عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم » في حديث طويل اختصره ذلك . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن حماد بن عمار قال أنزلت (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) كتب عليهم لما نزل أحدهم المشركون حرم عليه الطعام والشراب والتسلط إلى مثلها ،

قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وأبي العالية وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس وعطاء الخراساني عن ذلك : وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس (كما كتب على الدين من قبلكم) يعني بذلك أهل الكتاب وروى عن الشعبي - الذي وعطاء الخراساني مثله - ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام فقال (لمن كان منكم مرضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) أي للريض والمساقر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من الشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بمدة ذلك من أيام أخر وأما الصحيح للقيم الذي يطبق الصيام فقد كان غيراً بين الصيام وبين الإطعام إن شاء صام وإن شاء أفطر وأعلم عن كل يوم مسكيناً فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وإن صام فهو أفضل من الإطعام قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطاوس ومقاتل بن حيان وغيرهم من السلف ولهذا قال تعالى (وعلى الدين يطبقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا السعدي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أحييت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيي الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهو يصلي سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس ثم إن الله عز وجل أنزل عليه (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) الآية فوجهه الله إلى مكة هذا حول ، قال وكانوا يجتمعون للصلاة ويؤذن بها بعضهم بعضاً حتى قهقروا أو كادوا يتقوسون ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد بن عبد ربه أتى رسول الله ﷺ : فقال يا رسول الله إنى رأيت نبياً يرى النائم ولو قلت إنى لم أكن نائماً لصدقت إنى بينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصاً عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله - متى - حتى فرغ من الأذان ثم أمهل ساعة ثم قال مثل الذي قال غير أنه يزيد في ذلك : قد قامت الصلاة - مرتين - قال رسول الله ﷺ : علمها فلا قلن مؤذن بها ، فكان بلال أول من أذن بها : قال وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يا رسول الله قد طاف بي مثل الذى طاف به غيراً سبقي ، فهذان حالان ، قال وكانوا يأتون الصلاة وقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم بعضها فكان الرجل يشير إلى الرجل إذ نكح صلى فيقول واحدة أو اثنتين فيصليهما ثم يدخل مع القوم في صلاتهم قال فبما معاذ فقال لا أجده على حال أبداً إلا كنت عليها ثم قضيت ما سبقي قال فبما وقد سبقته النبي ﷺ يحضها قال ثبتت معه فلما قضى رسول الله ﷺ قام فقضى فقال رسول الله ﷺ « إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا » فهذه ثلاثة أحوال ، وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فبذل فسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه البصيام وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله (وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه ، ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) إلى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فأثبت الله صيامه على القيم الصحيح وخص فيه العريض والمساقر وبث الإطعام فكثير الذي لا يستطيع البصيام ، فهذان حالان ، قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء فلم يناموا فلما ناموا امتنعوا ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى فبما إلى أهله ففصل النساء ثم قام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائماً ففرد رسول الله ﷺ وقد جهد جهداً شديداً فقال « مالى أراك قد جهدت جهداً شديداً ؟ » قال يا رسول الله إنى عملت أمس فبشيت حين جئت فأثبتت قسى فصمت فأصبرت حين أصبحت صائماً قال وكان عمر قد أصيب من النساء بعد ما نام فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فأمره الله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم - إلى قوله - ثم أجمعوا الصيام إلى الليل) وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث للسعدي به وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت كان عاشوراء يصام فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر وروى

البخارى عن ابن عمر وابن مسعود مثله

وقوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كما قال معاذ رضى الله عنه كان في ابتداء الأمر من شاءم ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا ، وهكذا روى البخارى عن سلة بن الأكوع أنه قال لما نزلت (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كان من أراد أن يفطر ففدى حتى نزلت الآية التي بعدها فسقطها وروى أيضا من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال هي منسوخة: وقال السدى عن مرة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال يقول (وعلى الذين يطيقونه) أى يتجشمونه : قال عبد الله فكان من شاءم ومن شاء أفطر وأطعم مسكينا (فمن تطوع) يقول أطعم مسكينا آخر (فهو خير له وأن تصوموا خير لكم) فكانوا كذلك حتى نسخها (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقال البخارى أيضا أخبرنا إسحق حدثنا روح حدثنا زكريا بن إسحق حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا وهكذا روى غير واحد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه ، وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) في الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ثم ضعف فرخص له أن يطعم مكان كل يوم مسكينا ، وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسين بن محمد بن بهرام الخزرجى حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد بن عبد الله عن ابن أبى ليلي ، قال دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال: قال ابن عباس نزلت هذه الآية فنسخت الأولى إلا الكبير الثانى إن شاء أطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر - فاحمل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح للقيم بإيجاب الصيام عليه بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وأما الشيخ الثانى الحرم الذى لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا إذا كان خادما ؟ فيه قولان للعلماء أحدهما لا يجب عليه إطعام لأنه ضعيف عنه لئنه فلم يجب عليه فدية كالصبي لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها وهو أحد قولى الشافعى والثانى وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم كما فسره ابن عباس وغيره من السلف على قراءة من قرأ (وعلى الذين يطيقونه) أى يتجشمونه كما قاله ابن مسعود وغيره وهو اختيار البخارى فإنه قال وأما الشيخ الكبير إذا لم يطلق الصيام فقد أطعم أنس بد ما كبر علما أو عامين عن كل يوم مسكينا خيرا ولما وأفطر وهذا الذى علقه البخارى قد أسنده الحافظ أبو يعلى اللؤلؤى في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا عمران عن أيوب بن أبى حمزة قال ضعف أنس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد ففدنا ثلاثين مسكينا فأطعمهم ، ورواه عبد بن حميد عن روح بن عباد عن عمران وهو ابن جرير عن أيوب بن . ورواه عبد أيضا من حديث سة من أصحاب أنس عن أنس بمناه . وما يلتحق بهما للمنى الحامل والمرض إذا خافا على أنفسهم أو ولدتهما ففيهما خلاف كثير بين العلماء فتمم من قال يفطران ويغديان ويغديان فقط ولا قضاء وقيل يجب القضاء بلا فدية وقيل يفطران ولا فدية ولا قضاء وقد بسطنا هذه المسألة مستقصاة في كتاب الصيام الذى ألفناه وقد الحمد واللثة

﴿ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَلَكُمْ تَفْكَرُونَ ﴾

يجمع تعالى شهر الصيام بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإزالة القرآن العظيم وكما اخصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذى كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا أبو سعيد

مولى بنى هاشم حدثنا عمران أبو الموام عن قتادة عن أنى فليح عن وائلة بنى ابن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أنزلت مصحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه: « أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثاني عشرة والباقي كما تقدم. رواه ابن مردويه وأما المصحف والتوراة والزبور والإنجيل فنزل كل منها على النبي الذي أنزل عليه جملة واحدة وأما القرآن فنزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقال (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) ثم نزل بعد مفرا كما حسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا روى من غير وجه عن ابن عباس كما قال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي الجهم عن مقم عن ابن عباس أنه سأل عطية بن الأسود فقال وقع في قلبي الشك: قول الله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم ترابلا في الشهور والأيام رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وهذا لفظه وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أنزل القرآن في النصف من شهر رمضان إلى ساء الدنيا فجعل في بيت العزة ثم أنزل على رسول الله ﷺ في عشرين سنة لجواب كلام الناس وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى هذا السماء الدنيا جملة واحدة وكان الله يحدث لئله ما يشاء ولا يجيء للشركون بمثل يخصمون به إلا جاءهم به بجوابه وذلك قوله (وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) ولا يأتيونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تقصيرا) وقوله (هدى للناس وبينات من الهدى والقرآن) هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقته واتبعه (وبينات) أى ودلائل وحجج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتبهرها ماله على صحة ما جاء به من الهدى للثاني للضلال والربعد المخالف للثني ومفرا بين الحق والباطل والحلال والحرام وقد روى عن بعض السلف أنه كره أن يقال إلا شهر رمضان ولا يقال رمضان، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا محمد بن بكر بن الريان حدثنا أبو مشر عن محمد بن كعب القرظي وسعيد هو القرظي عن أبي هريرة قال لا تهولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان — قال ابن أبي حاتم وقد روى عن مجاهد ومحمد بن كعب نحو ذلك ورخص فيه ابن عباس وزيد بن ثابت (قلت) أبو مشر هو نجيح بن عبد الرحمن الذي إمام للمازى والسير ولكن فيه ضعف وقد رواه ابنه محمد عنه فحصله مرفوعا عن أبي هريرة وقد أنكره عليه الحافظ بن عدى وهو جدير بالانكار فإنه متروك وقد وهم في رفع هذا الحديث وقد انتصر البخارى رحمه الله في كتابه لهذا فقال: باب يقال رمضان وساق أحاديث في ذلك منها « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ونحو ذلك وقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) هذا لإيجاب حتم على من شهد استهلاك الشهر أى كان مقبى البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن يصوم له عالة ونسخ هذه الآية الإلزامية للتقدمة لمن كان صحيحا مقبى أن يفطر وغدى بإطعام مسكين عن كل يوم كما تقدم بيانه^(١) ولما ختم الصيام أعاد ذكر الرخصة للمريض والمسافر في الانقطاع بشرط القضاء فقال (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) معناه ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه أو يؤذي أو كان على سفر أى في حالة السفر فله أن يفطر فإذا أفطر فليصمه عدة ما أنظره في السفر من الأيام ولهذا قال (يريد الله بك اليسر ولا يريد بك العسر) أى إنما رخص لك في القطر في حال المرض والسفر مع تختمه في حق للقيم الصحيح تيسيرا عليك ورحمة بك

وهي مسائل تتعلق بهذه الآية (إحداها) أنه قد ذهب طائفة من السلف إلى أن من كان مقبى في أول الشهر ثم سافر في أثناءه فليس له الانقطاع بسفر والسفر والحالة هذه لقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وإنما يباح

(١) هذا على القول بنسخه والأرجح لمروا البخارى عن ابن عباس من عدم نسخه وأن القدية على من يلقه بمجعة وخرج كالزمن والمزم

الانقطاع لمسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا القول غريب ثم أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى عن جماعة من الصحابة والتابعين وفيما حكمه نظم نظم والله أعلم فانه قد ثبت السنة عن رسول الله ﷺ أنه خرج في شهر رمضان لنزوة الفتح فصار حتى بلغ الكسدي ثم أفطر وأمر الناس بالقطر أخرجه صاحب الصحيح (الثانية) ذهب آخرون من الصحابة والتابعين إلى وجوب الإفطار في السفر لقوله (فعدة من أيام أخر) والصحيح قول الجمهور أن الأمر في ذلك على التخير وليس بجمعه لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان قال : فمننا الصائم ومننا لفطر فلم يصب الصائم على لفطر ولا لفطر على الصائم فكانوا الإفطار هو الواجب لأنكر عليهم الصيام بل الذي ثبت من فعل رسول الله ﷺ أنه كان في مثل هذه المأكل أصلاً ثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حرسيد حتى إن كان أحداً يضع يده على رأسه من شدة وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة (الثالثة) قالت طائفة منهم الشافعي : الصيام في السفر أفضل من الإفطار لفعل النبي ﷺ كأنهم وقالت طائفة بل الإفطار أفضل أخذاً بالرخصة ولما ثبت عن رسول الله ﷺ أناسئل عن الصوم في السفر فقال : « من أفطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه » وقال في حديث آخر « عليكم برخصة الله التي رخص لكم » وقالت طائفة ما سواه حديث عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال يا رسول الله إن كثير الصيام أقاصوم في السفر ؟ فقال « إن شئت فسم وإن شئت فأنظر » وهو في الصحيحين وقيل إن شئت الصيام بالإفطار أفضل لحديث جابر أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قد نزل عليه فقال : « ما هذا ؟ قالوا صائم فقال « ليس من البر الصيام في السفر » أخرجه فأما إن رغب عن السنة ورأى أن الفطر مكره والله فيها يمين عليه الإفطار ويحرم عليه الصيام والمأكل هذا لما جاز في مسند الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر وجابر وغيرهما : من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة (الرابعة) القضاء هل يجب متتابعاً أو يجوز فيه التفرق فيه قولان : (أحدهما) أنه يجب التتابع لأن القضاء يحكي الأداء (والثاني) لا يجب التتابع بل إن شاء تابع وهذا قول جمهور السلف والخلف وعليه ثبتت الدلائل لأن التابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر فأما بعد انقضاء رمضان فالرأى صيام أيام عدة ما أفطر ولهذا قال تعالى (فعدة من أيام أخر) ثم قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا أبو هلال عن محمد بن هلال العدوي عن أبي قتادة عن الأعرجي الذي سمع النبي ﷺ يقول « إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره » وقال أحمد أيضاً حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا عاصم بن هلال حدثنا عامر بن عروة القتيبي حدثني أبي عروة قال كنا نتظر النبي ﷺ فنخرج فخطر رأسه من وضوء أو غسل فقلنا قضى الصلاة جعل الناس يسألونه علينا حرج في كذا ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن دين الله في يسر » - ثلاثاً يقولها - ورواه الإمام أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث مسلم بن أبي عيسى عن عاصم بن هلال به . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال حدثنا أبو التياح سمعت أنس بن مالك يقول إن رسول الله ﷺ قال « سيروا ولا تصروا وسكنوا ولا تفروا » أخرجه في الصحيحين وفي الصحيحين أيضاً أن رسول الله ﷺ قال لماذ وأبي موسى حين بينهما إلى اليمن « يئسوا ولا تفروا وسيروا ولا تصروا ولا تخفوا ولا تغفلوا » وفي السنن والسانيد أن رسول الله ﷺ قال : « يئس بالخيبة السعة » وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا عبد الله بن إسحق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو مسعود الحريري عن عبد الله بن شقيق عن محجن بن الأدرع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يسأل في تراءه يصبره ساعة فقال « أتراه يسأل صادقاً ؟ » قال قلت يا رسول الله : هذا أكثر أهل المدينة صلاة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسمعه قهرك » وقال « إن الله إنما أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بهم العسر » ومعنى قوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وتكلموا العدة) أي إنما أُرخص لكم في الإفطار للمرض والسفر ونحوها من الأعذار لإرادته بكم اليسر وإنما أمركم بالتضامن لتكلموا عدة شهركم وقوله (وتكلموا الله على ما هذاكم) أي وتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم كما قال (فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) وقال (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) وقال (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) ولهذا جاءت السنة باستجاب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات وقال ابن عباس : ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلا بالتكبير ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعة التكبير في عيد الفطر من هذه الآية (ولتكموا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) حتى ذهبوا ودون على الأصحاب الظاهري إلى وجوبه في عيد الفطر لظاهر الأمر في قوله (ولتكبروا لله على ما هداكم) وفي مقابلته مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يشرع التكبير في عيد الفطر والباقيون على استحبابه على اختلاف في تفاصيل بعض الفروع بينهم وقوله (ولتكموا) تشكرون أي إذا قمنا بما أمركم فمن طاعته بأداء فرائضه وترك عماره وحفظ حدوده فاعلمكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستنجيوا إلي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن القيرة أخبرنا جرير عن عبد بن أبي بزة (١) السخاني عن الصلت بن حكيم بن معاوية: ابن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أن أعرابيا قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه ؟ فسكت النبي ﷺ فأنزل الله (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستنجيوا إلي وليؤمنوا بي) وإذا أمرهم أن يدعوني فغدوني استجب ، ورواه ابن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن جرير به ورواه ابن مردويه وأبو الشيخ الأصماني من حديث محمد بن أبي حميد عن جرير به وقال عبد الرزاق أخبرنا جعفر بن سليمان عن عوف عن الحسن قال سأل أصحاب رسول الله ﷺ أين ربنا ؟ فأنزل الله عز وجل (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) ألا يقول ابن جرير عن عطاء بن بلنه لما نزلت (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قال الناس لو نزل أي ساعة ندعو ؟ فقلت (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال كان مع رسول الله ﷺ في غزوة فجلنا لا نصمشر ولا ولا نلوشر ولا نهبط وإذا بالرافضا أصواتا بالتكبير قال فدنا منا فقال « يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غافلا إنما تدعون صميا بصيرا إن الذين تدعون أقرب إلى أحكم من عنق رحلت يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة كنز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله » أخرجه في الصحيحين بشفة الجماعة من حديث أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن علي عنه بنحوه : وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « يقول الله تعالى لا نعتدن عبيدي وإن آمنهم إذا دعاني » وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا علي بن إسحاق أن أبا نعيم الله أنبا نعيم الله أنبا نعيم الله بن يزيد بن جابر حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن كريمة بنت ابن خشاش الزنية قالت حدثنا أبو هريرة أنه مع رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى أنعم عبيدي ما ذكرني وتحركت في شفتاه » (قلت) وهذا كقوله تعالى (إن أنعم الله عليكم فاعلموا نعم الله عليكم) وقوله لموسى وهرون عليهما السلام (إني معكم أسمع وأرى) والراد من هذا أنه تعالى لا يغيث دعاء داع ولا يشفع عنه شيء بل هو مسمع الدعاء ففيه ترغيب في الدعاء وأنه لا يضيع لديه تعالى كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا رجل أنه سمع أبا عثمان هو النهدي يحدث عن سلمان بن أبي الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ليستحي أن يمسح العبد يديه يديه يسأله فيما خيرا فيردها خائبتين » - قال يزيد معالي هذا الرجل فقالوا جعفر بن ميمون - وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جعفر بن ميمون صاحب الانباط به : وقال الترمذي حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه قال الشيخ الحافظ أبو الجراح الزري رحمه الله في أطرافه : وتابعه أبوهم محمد بن أبي الزرقان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي به : وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو عامر حدثنا علي بن أبي التوكل الناجي عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال « ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن ينجله له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الأخرى ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثله » قالوا إذا نسكت قال « الله أكثر » وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن منصور الكوسج أنبا محمد بن يوسف حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير أن عباد بن الصامت حدثهم أن النبي ﷺ قال « ما طهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله إيها أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بآثم أو قطيعة رحم » ورواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن يوسف القرياني عن ابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان به وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقال الإمام مالك عن ابن شهاب عن أبي عبيد مولى ابن أضر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يستجاب لأحدكم ما لم

(١) وفي النسخة الأميرة عن ابن أبي بزة وهو غلط .

يسجل يقول دعوت فلم يستجب لي « أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به وهذا لقطة البخاري رحمه الله وأما به الجنة
وقال مسلم في صحيحه حدثني أبو الطاهر حدثنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن ربيعة عن زيد عن أبي إدريس
الحوطاني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع ما لم يستجب » قيل
يا رسول الله وما الاستجاب قال « يقول قد دعوت وقد دعوت فأر استجاب لي فيستجسر عند ذلك ويدع الدعاء » وقال
الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لا يزال العبد غير ما لم يستجب »
قالوا وكيف يستجب قال « يقول قد دعوت فلم يستجب لي » وقال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره حدثني يونس
ابن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن يزيد بن عبد الله بن قسيط حدثه عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها
أنها قالت ما من عبد مؤمن يدعو الله بدعوة فتذهب حتى تستجيب له في الدنيا أو تؤخر له في الآخرة إلا لم يسجل أو يقط
قال عروة قلت يا أمه كيف محلت وقطوطه ؟ قالت يقول سألت فم أعطوه دعوت فلم أجب . قال ابن قسيط وصحت سعيد بن
اللسب يقول كقول عائشة سواء وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لحيعة حدثنا بكر بن عمرو عن أبي عبد الرحمن
الجلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « القلوب أوعية وبضها أوعية من بطن فلذا سأتم الله أيها الناس
فأسألوهم وأتمموا قلوبهم بالإجابة فإنه لا يستجيب لعبد دعاء عن ظهر قلب فافل » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن إسحق
ابن أيوب حدثنا إسحق بن إبراهيم بن أبي نافع بن معد يكره ينفذ حدثني ابن أبي نافع بن معد يكره قال كنت أنا
وعائشة سألت رسول الله ﷺ عن آية (أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) قال « يارب مسئلة عائشة » فهدت جبريل فقال
« الله يرضوكم السلام هذا عبد الصالح بالية الصادقة وقلبه نقي يقول يارب فأقول ليك فأفسي حاجته » وهذا حديث
غريب من هذا الوجه . وروى ابن مردويه من حديث السكيت عن أبي صالح عن ابن عباس حدثني جابر بن عبد الله أن النبي
ﷺ قرأ (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) الآية فقال رسول الله ﷺ « اللهم أمرت الدعاء
وتوكلت بالإجابة ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك ليك إن الحمد لله لك والثناء لك والثناء لك أشهدك أنك فرد أحد صمد بده
ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن وعدك الحق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت بيث من
في القبور » وقال الحافظ أبو بكر البزار وحدثنا الحسن بن يحيى الأزدي ومحمد بن يحيى القطامي قال حدثنا الحاجب بن
منهال حدثنا صالح المزني عن الحسن بن أنس عن النبي ﷺ قال « يقول الله تعالى يا ابن آدم واحدة لك واحدة لك واحدة لك واحدة
فيا بني وبينك فأما التي أتيتني لا تتحرك في شئ وأما التي لك فأعملت من شئ أو من عمل وفيتك وأما الذي بيني وبينك
فذلك الدعاء وعلى الإجابة وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الإجتهد
في الدعاء عند إكمال العملة ولعند كل فطر كما رواه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا أبو محمد الليثي عن عمرو
هو ابن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « للصائم
عند إفطاره دعوة مستجابة فكان عبد الله بن عمرو إذا فطر دعا له وولده ودعا وقال أبو عبد الله محمد بن زيد بن ماجه
في سننه حدثنا هشام بن عمار أخبرنا الوليد بن مسلم عن إسحق بن عبد الله اللدني عن عبيد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن
عمرو قال قال النبي ﷺ « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » قال عبيد الله بن أبي مليكة سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا فطر
الله إلى أسألك برحمتك التي وسعت كل شئ أن تغفر لي وفي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم رفسها
الله دون التمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول يرحمك ربك ولو بعد حين »

أَجَلْ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ أَلَمْ تَكُنْ إِلَى نَبَاتِكُمْ مَنْ لَيْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَيْسَ لَكُمْ عِلْمُ اللَّهِ أَنْتُمْ كُنْتُمْ
تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَتَغَا عَنْكُمْ فَالْتَنَ بَشِيرُهُمْ وَابْتَقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى
يَكْبِينَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَمَّا الصَّيَامُ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ
عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ لَيْسَ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿

وقال أبو جعفر بن جرير حدثني الثني حدثنا سويد أخبرنا ابن المبارك عن أبي لمعة حدثني موسى بن جبير مولى بني سلمة أنه مع عبد الله بن كعب بن مالك يحدث عن أبيه قال : كان الناس في رمضان إذا صام الرجل قامسي فنام فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يخطر من القدر فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد صبر عنده فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت إني قد نمت فقال ما عت ثم وقع بها وضع كعب بن مالك مثل ذلك ففدنا عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأقر الله (علم الله أنكم كنتم تفتنون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن) الآية وهكذا روى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقادة وغيرهم في سبب نزول هذه الآية في صمر بن الخطاب ومن صنع كاسن وفي صرمة بن قيس فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع الليل رحمة ورحمة ورفقا وقوله (وابتوا ما كتب الله لكم) قال أبو هريرة وابن عباس وأنس وشرع القاضي ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعطاء والربيع بن أنس والسدي وزيد بن أسلم والحكم بن عتيبة ومقاتل بن حيان والحسن البصري والضحاك وقادة وغيرهم يعني الولد وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (وابتوا ما كتب الله لكم) يعني الجماع وقال عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس (وابتوا ما كتب الله لكم) قال ليلية القدر رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر قال : قال قتادة ابتوا الرخصة التي كتب الله لكم يقول ما أحل الله لكم : وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا ابن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عطاء بن أرياح قال قلت لابن عباس كيف تقرأ هذه الآية (وابتوا ما كتب الله لكم) قال ابتها شئت عليك بالقرأة الأولى واختار ابن جرير أن الآية أعمن هذا كله .

قوله (وكلو واشربوا حتى يتبين لكم الخط الأبيض من الخط الأسود من القجر ثم أعوا الصيام إلى الليل) أباح تعالى الأكل والشرب مع ما تقدم من إباحة الجماع في أي الليل شاء الصائم إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل وعبر عن ذلك بالخط الأبيض من الخط الأسود ورفع اللبس بقوله (من القجر) كاجاء في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبد الله البخاري حدثني ابن أبي مريم حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) ما الخط الأبيض من الخط الأسود (من القجر) وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخط الأبيض والخط الأسود فلا يزال أكل حتى يتبين لهما فيقوله (من القجر) فملوا أنا يعني الليل والنهار . وقال الإمام أحمد حدثنا هشام أخبرنا حصين عن الشعبي أخبرني عدي بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية (وكلو واشربوا حتى يتبين لكم الخط الأبيض من الخط الأسود) عمدت إلى عقاليين أحدهما أسود والآخر أبيض قال فجعلتهما تحت سادتي قال فجعلت أنظر إليهما قلما يتبين لي الأبيض من الأسود أمسكت قلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بالذي صنعت فقال «إن سوادك إذا لمريض إن كان ذلك يابض النهار من سواد الليل» أخرجه في الصحيحين من غير وجه عن عدي . ومعنى قوله إن سوادك إذا لمريض أي إن كان ليسع الخططين الخط الأسود والأبيض للرادين من هذه الآية تحتها فانهما يابض النهار وسواد الليل فيقتضي أن يكون مرض للشرق والغرب وهكذا وقع في رواية البخاري مفسرا بهذا حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبو عوانة عن حصين عن الشعبي عن عدي قال أخذ عدي عقلا أبيض وعقلا أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبين لهما أصبح قال يا رسول الله جعلت تحت سادتي قال «إن سوادك إذا لمريض إن كان الخط الأبيض والأسود تحت سادتك» وجاء في بعض الألفاظ «إنك لمريض القفا» فسر بعضهم بالبلادة وهو ضئيف بل يرجع إلى هذا لأنه إذا كان وساده عرضا قفوا أضاع عرض والله أعلم : ويضمر رواية البخاري أيضا حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن مطرف عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال : قلت يا رسول الله ما الخط الأبيض من الخط الأسود أمما الخطان ؟ قال «إنك لمريض القفا إن أصبحت الخطين ثم قال لا بل هو سواد الليل ويابض النهار» .

وفي إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع فجر دليل على استحباب السحور لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب ولهذا وردت السنة الثانية عن رسول الله ﷺ بالحث على السحور في الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة» وفي صحيح مسلم عن عمرو بن المأمري أن الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور» وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى هو ابن الطباع حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ «السحور أكلة بركة فلا تدعوه ولو أن أحدكم نحر

جرع ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين ، وقد ورد في الترغيب في السحور أحاديث كثيرة حتى ولو جرع من ماء تشبها بالأكابن ويستحب تأخره إلى وقت انقجار الفجر كما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك عن زيد بن ثابت ، قال تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة قال أنس قلت زيد كم كان بين الأذان والسحور ؟ قال قدر خسين آية . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لجة عن سالم بن غيلان عن سليمان بن أبي عثمان عن عدي بن حاتم الحمصي عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « لا تأكلوا من غير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور » وقد ورد أحاديث كثيرة أن رسول الله ﷺ ساء لعناء المبارك وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زيد بن حبيش عن حذيفة قال تسحرنا مع رسول الله ﷺ وكان النهار إلا أن الشمس لم تطلع وهو حديث تفرد به عاصم بن أبي النجود قاله النسائي وحمله على أن المراد قرب النهار كما قال تعالى (فإننا بلش أنجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقهن بمعروف) أي قاربن انقضاء العدة فإذا أمسك بمعروف وأترك للفراق وهذا الذي قاله هو المتعين حمل الحديث عليه أنهم تسحروا ولم يتقنوا طلوع الفجر حتى إن بعضهم ظن طلوعه وبعضهم لم يتحقق ذلك وقد روي عن طائفة كثيرة من السلف أنهم تساحروا في السحور عند مقاربة الفجر روي مثل هذا عن أبي بكر وعمر وعلى وابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وعن طائفة كثيرة من التابعين منهم محمد بن علي بن الحسين وأبو عمار وإبراهيم النخعي وأبو الضحى وأبو وائل وغيرهم من أصحاب ابن مسعود وعطاء والحسن والحكماء بن عينة ومجاهد وعروة بن الزبير وأبو الشثاء جابر بن زيد واليه ذهب الأعمش وجابر بن راشد وقد حرمنا أسانيد ذلك في كتاب الصيام للفرد ولذا الحمد وحكي أبو جعفر بن جرير في تفسيره عن بعضهم أنه إنما يجب الإمساك من طلوع الشمس كما يجوز الإفطار بغيرها (قلت) وهذا القول لما أظن أحدا من أهل العلم يستقره قدم عليه لما نقلته نص القرآن في قوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأيسر من الخطيط الأسود من الفجر ثم أعموا الصيام إلى الليل) وقد ورد في الصحيحين من حديث القاسم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « لا يمنعكم أذان نبلال عن سحوركم فإنه ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر » فقط البخاري وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا محمد بن جابر عن قيس بن طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « ليس الفجر للسطيل في الأفق ولكن للمرض الأحر » ورواه الترمذي ولقظما « كلوا واشربوا ولا يبدنكم الساطع الصمد فكلوا واشربوا حتى يمرض لكم الأحر » وقال ابن جرير حدثنا محمد بن لثمي حدثنا عبد الرحمن بن مهندي حدثنا شعبة عن شيخ من بني قشير سمعت حمزة بن جندب يقول : قال رسول الله ﷺ « لا يفركم نداء بلال وهذا البياض حتى ينقصر الفجر أو يطلع الفجر » ثم رواه من حديث شعبة وغيره عن سواد بن حنظلة عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ . « لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر للسطيل ولكنه الفجر للسطيل في الأفق » قال وحديث يعقوب بن إبراهيم بن علي عن عبد الله بن سودة القشيري عن أبيه عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « لا يفركم أذان بلال ولا هذا البياض سلعود الصبح حتى يستطير » رواه مسلم في صحيحه عن زهير بن حرب عن إسحاق بن إبراهيم هو ابن علي بن مثنى وسأله وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا ابن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان التيمي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « لا يمنعكم أذان بلال عن سحوره أو قال نداء بلال فان بلا يؤذن بليل أو قال ينادي ليلته تأمكم ولا يرجع قائمكم وليس التجبر أن يقول هكذا وهكذا حتى يقول هكذا » ورواه من وجه آخر عن التيمي به وحديث الحسن بن الزبير قال النخعي حدثني أبو أسامة عن محمد بن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الرحمن ابن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « الفجر فجران فالذي كأنه ذنب السحابة لا يحرم شيئا وإنما هو للسطيل الذي يأخذ الأفق فإنه يعمل الصلاة ويحرم الطعام » وهذا مرسل جيد وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء بن عباس يقول : ما فجران فأما الذي يسقط في السماء فليس يعمل ولا يحرم شيئا ولكن الفجر الذي يستتير على رؤوس الجبال هو الذي يحرم الشرب وقال عطاء فأما إذا سطع سطوعا في السماء وسطوعه أن ينهب في السماء طولاً فإنه لا يحرم به شراب للصائم ولا صلاة ولا يفتر به الحج ولكن إذا انتشر على رؤوس الجبال حرم الشرب للصائم وفات الحج وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وعطاء وهكذا روي عن غير واحد من السلف رحمهم الله (مسألة) ومن جله تعالى الفجر غاية لإباحة الجماع والطعام والشرب لمن أراد الصيام يستدل على أنه من أصبح جنباً فليغتسل وليتم صومه ولا حرج عليه وهذا مذهب الأمة

الأربعة وجهور الطاء سلفا وخلفا لما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وأمسلة رضى الله عنها أنها قالت كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يتسل ويصوم وفي حديث أم سلمة عندها ثم لا يفطر ولا يفتي وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رجلاً قال يا رسول الله تتركى الصلاة وأتجنب فأصوم ؟ فقال رسول الله ﷺ « وأنا تتركى الصلاة وأنا جنب فأصوم » قال لست مثلك يا رسول الله قد نذر الله لك ما هم من ذنبك وما تأخر فقال « والله إنى لأرجو أن أكون أخشاك لله وأعلمكم بما أتى » فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن مام عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا نوى الصلاة صلاة الصبح وأحدم جنب فلا يصم يومئذ » فإنه حديث جيد الإسناد على شرط الشيخين كما ترى وهو فى الصحيحين عن أبى هريرة عن الفضل بن عباس عن النبی ﷺ وفى سنن النسائي عنه عن أسامة بن زيد والفضل بن عباس ولم يرفعه فى العلماء من علل هذا الحديث بهذا ومنهم من ذهب إليه ويحكي هذا عن أبى هريرة وسالم وعطاء وهشام بن عروة والحسن البصري ومنهم من ذهب إلى التفرقة بين أن يصح جنباً تماماً فلا عليه حديث عائشة وأم سلمة أو اختاراً فلا يوم له لحديث أبى هريرة يحكى هذا من عروة وطاوس والحسن ، ومنهم من فرق بين الفرض فيتم قبضه وأما النفل فلا يضره رواه الثوري عن منصور عن إبراهيم النخعي وهو رواية عن الحسن البصري أيضاً ومنهم من ادعى نسخ حديث أبى هريرة بحديث عائشة وأم سلمة ولكن لا تاريخ معه وادعى ابن حزم أنها منسوخ بهذه الآية وهو بعيد أيضاً إذ لا تاريخ بل الظاهر من التاريخ خلافه ومنهم من حمل حديث أبى هريرة على نفي السكال فلا يوم له لحديث عائشة وأم سلمة المائلين على الجواز وهذا السلك أقرب الأنوال وأجملها والله أعلم (ثم أتوا الصيام إلى الليل) يقتضى الانقطاع عند غروب الشمس حكماً شرعياً كما جاء فى الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قبل الليل من ههنا وأدير التهار من ههنا فقد انقطع الصائم » وعن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » أخرجهما وقال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأزاعي حدثنا قرعة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « يقول الله عز وجل إن أحب عبدي إلى أعجلهم فطراً » ورواه الترمذي عن غيره وجه عن الأزاعي به وقال هذا حديث حسن غريب وقال أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا عبيد الله بن إمام سمعت إياهم بن لقيط سمعت ليل امرأة بشير بن الحصاصية قالت أردت أن أصوم يومين مواصلة فتعني بشير وقال إن رسول الله ﷺ نهى عنه وقال « يفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما أمركم الله (ثم أتوا الصيام إلى الليل فإذا كان الليل فأنظروا) » ولهذا ورد فى الأحاديث الصحيحة النهى عن الوصال وهو أن يصل يوماً يوماً آخر ولا يأكل بينهما شيئاً قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أبى أنس عن رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « لا تواصلوا » قالوا يا رسول الله إنك تأكل قال « فإني لست مثلكم » إلى أبيه يطعمني ربي ويسقيني » قال فلم ينتهوا عن الوصال فواصل بهم النبي ﷺ يومين وليلتين ثم رأوا الهلال فقال « لو تأخر الهلال فزوتكم » كالنكاح لهم وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهري به وكذلك أخرجهما النبي عن الوصال من حديث أنس وابن عمر ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم فقالوا إنك تواصل قال « إني لست كهيئتكم » إلى يطعمني ربي ويسقيني » فقد ثبت النهى عنه من غير وجه وثبت أنه من خصائص النبي ﷺ وأنه كان يقرى على ذلك ولمان والأظهر أن ذلك الطعام والشراب فى حقه إنما كان معنوياً لا حقيقياً وإلا فلا يكون مواصلة الحسى ولكن كما قال الشاعر :
لما أحاديث من ذكر الله تشغلها * عن الشراب وتلهيها عن الزاد
وأما من أحب أن يمسك بعد غروب الشمس إلى وقت السحر فلهذا كان فى حديث أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر » قالوا فأنك تواصل يا رسول الله قال « إني لست كهيئتكم » إلى أبيه يطعمني ربي ويسقيني » أخرجاه فى الصحيحين أيضاً وقال ابن جرير ، حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا أبو إسرائيل العنسي عن أبى بكر بن حفص عن أم ولد حاطب بن أبى ثلثة أنها مرت برسول الله ﷺ وهو يسهر فندعها إلى الطعام فقالت إني صائمة قال وكف تصومين فقد كرت ذلك النبي ﷺ فقال أين أنتمن وصالك محمد من السحر إلى السحر » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن محمد بن عيسى عن أبى أنس بن مالك

كان يواصل من السحر إلى السحر وقد روى ابن جرير عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف أنهم كانوا يواصلون الأيام للتمدة وحملهم منى على أنهم كانوا يفعلون ذلك رياضة لا تقسمهم لأنهم كانوا يفعلونه عبادة والله أعلم. ومثمل أنهم كانوا يفهمون من النبي أنه إرشاد من باب الشفقة كاجابة في حديث عائشة رحمته فكان ابن الزبير وابنه عامر ومن سلك سبيلهم يتجشمون ذلك ويفعلونه لأنهم كانوا يحدون قوة عليه وقد ذكر عنهم أنهم كانوا أول ما يطهرون على السمن والصبر ثلاثا تتخرق الأوعية الطعام أولا. وقد روى عن ابن الزبير أنه كان يواصل سبعة أيام ويصيح في اليوم السابع أقوامه وأجلدهم ، وقال أبو العالية إنما فرض الله الصيام بالهار فإذا جاء بالليل فمن شاء أكل ومن شامل يأكل . وقوله تعالى (ولا تبشروهن وأنت عاكفون في المساجد) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس هذا في الرجل يتكف في المسجد في رمضان أو في غير رمضان فحرم الله عليه أن يتكف النساء ليلا أو نهارا حتى يقضى اعتكافه وقال الضحاك كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء فقال الله تعالى (ولا تبشروهن وأنت عاكفون في المساجد) أي لا تهربوهن مادمت عاكفين في المسجد ولا في غيره . وكذلك عابدهم وتقادع وغير واحد أنهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت هذه الآية قال ابن أبي حاتم روى عن ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد وعطاء والحسن وقادة والضحاك والسدي والريعي بن أنس ومقاتل : قالوا لا يفرها وهو متكف وهذا الذي حكاه عن هؤلاء هو الأمر المتفق عليه عند العلماء أن التكف يحرم على النساء مادام متكفا في مسجد ولو ذهب إلى منزله لحاجة لابد منها فلا يحل له أن يبيت فيه إلا بتقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل وليس له أن يقبل امرأته ولا أن يضمها إليه ولا يشغل شيء سوى اعتكافه ولا يعود المريض لكن يسأل عنه وهو مارق طريقه ولا اعتكاف أحكام مفصلة في بابها ما هو مجمع عليه بين العلماء ومنها ما هو مختلف فيه . وقد ذكرنا قطعة سالحة من ذلك في آخر كتاب الصيام وفي الحمد ولله الحمد ولهذا كان الفقهاء للصنفون يتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف اقتداء بالقرآن العظيم فانه به على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم . وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام إرشاد وتنبه على الاعتكاف في الصيام أو في آخر شهر الصيام كما ثبت في السنة عن رسول الله ﷺ أنه كان يتكف الشهر الأخير من شهر رمضان حتى توفي الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده أخرجه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وفي الصحيحين أن صفية بنت حيي كانت تزور النبي ﷺ وهو متكف في المسجد فتحدث عنده ساعة ثم قامت لترجع إلى منزلها وكان ذلك ليلا فقام النبي ﷺ ليحيا معها حتى تبلغ دارها وكان منزلها في دار أسمية بن زيد في جانب المدينة فلما كان ببعض الطريق لقيه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا وفي رواية توأريا أي حياهما من النبي ﷺ لكون أهلهم فقال لهما ﷺ « على رسلكما إنها صفية بنت حيي » أي لا تسرعا واعلم أنها صفية بنت حيي أي زوجتي فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال ﷺ « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلبكما شيئا » وأقال شيئا قال الشافعي رحمه الله أراد عليه السلام أن يعلم أنه التبري من التهمة في عملها لتلايقها في عذورها وهما كانا أتقى لله من أن يظننا بالنبي ﷺ شيئا والله أعلم ثم للراد بالباشرة إنما هو الجماع ودوايعه من تنجيل ومعاينة ونحو ذلك فأما معاينة الشيء ونحوه فلا بأس به فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذني إلى رأسه فأرجله وأما حائض وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان قالت عائشة وقد كان المريض يكون في البيت فما أسأل عنه إلا وأنا مارة وقوله (تلك حدود الله) أي هذا الذي بيناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه وما أبخنا فيه وما حرمانا وذكرنا فينايته ورضه وعزائه حدود الله أي شرعها الله وبينها بنفسه فلا تهربوها أي لا تجاوزوها وتصدوها وكان الضحاك ومقاتل يقولان في قوله (تلك حدود الله) أي للباشرة في الاعتكاف ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني هذه الحدود الأربعة وقرأ (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم - حتى بلغ - ثم أتوا الصيام إلى الليل) قاله كان أبي وغيره من مشيختنا يقولون هذا وتلوته علينا (كذلك بين الله آياته للناس) أي كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه وتفاصيله كذلك بين سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ (للناس لعلهم يتقون) أي يعرفون كيف يبتدون وكيف يعطون كما قال تعالى (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤف رحيم)

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قال طي ابن أبي طلحة وعن ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه دين فيجسد المال وخاصم إلى الحاكم وهو يرف أن الحق عليه وهو يعلم أنه آثم أكل الحرام وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وعبيد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا : لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّمَا يَأْتِيهِ الْحُصْمُ فَلَمَلٌ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخُنْ بِحِجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ مِنْ قَضِيَّتِهِ لَهُ بِحَقِّ مَسْئَلَتِهِ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ فَلْيَحْمِلْهَا أَوْ لِيَذْرِهَا » فدللت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الأمر فلا يجل في نفس الأمر حراما هو حرام ولا يجرم حلالا هو حلال^(١) وإِنَّمَا هُوَ مَازِمٌ فِي الظَّاهِرِ فَإِنْ طَاقَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَذَلِكَ وَإِلَّا فَطَحَاكُمْ أَجْرَهُ وَطَى الْهَيْتَالَ وَزَرَهُ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أَي تَعْمَلُونَ بَطْلَانًا مَا تَدْعُونَهُ وَتُرَوِّجُونَهُ فِي كَلَامِكُمْ قَالَ قَتَادَةُ : اعْلَمْ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَّ قَضَاءَ الْقَاضِي لَا يَجْعَلُ لَكَ حَرَامًا وَلَا يَحِقُّ لَكَ بِاطِلًا وَإِنَّمَا يَقْضِي الْقَاضِي بِحُجَّتِهِ مَا يَرَى وَتَشْهَدُ بِهِ الشُّهُودُ وَالْقَاضِي بِشَرِّ غِطْطَى وَيَسِيبُ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ قَضَى لَهُ يَاطِلٌ أَنْ خُصِمَتْهُ لَمْ تَقْصُصْ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقْضَى عَلَى الْبَاطِلِ لِلْحَقِّ بِأَجْوَدَ مَا قَضَى بِهِ لِلْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا .

﴿ يَسْتَأْذِنُكَ عَنْ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ وَلَيْسَ الْإِثْمُ أَنْ تَأْتُوا الْأَبْيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْإِثْمَ مَنْ أَتَى وَأَتُوا الْأَبْيُوتَ مِنْ أَوْيَاهِمَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

قال الموفق عن ابن عباس سألت الناس رسول الله ﷺ عن الأهل فنزلت هذه الآية (يسألونك عن الأهل) قل هي مواقيت للناس (يسألون بها حل دينهم وعدة نسائهم وقت حجهم) وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية بلغنا أنهم قالوا يا رسول الله لم خلقت الأهل ؟ فأقول الله (يسألونك عن الأهل قل هي مواقيت للناس) يقول جلها ما مواقيت لصوص السليبين وإفطارهم وعدة نسائهم وحل دينهم وكذا روى عن عطاء والضحاك وقتادة والسدي والربيع بن أنس نحو ذلك وقال عبد الرزاق عن عبد العزيز بن أبي رواد عن ثافة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « جعل الله الأهل مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فصدوا ثلاثين يوما » ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابن أبي رواد به وقال كان ثمة عابدا مجتهدا شريف النسب فهو صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « جعل الله الأهل فلذا رأيتهم الملل فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن أغمى عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » وكذا روى من حديث أبي هريرة ومن كلام طي بن أبي طالب رضي الله عنه

وقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) قال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال : كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأمر الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) وكذا رواه أبو داود والطائفي عن شعبة عن أبي إسحق عن البراء قال : كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية وقال الأصمعي . عن أبي سفيان عن جابر كانت قريش تدعى الحس وكانوا يدخلون من الأبواب في الاحرام وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الاحرام فبينما رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عاصم من الأنصار فقالوا يا رسول الله . إن قطبة بن عاصم رجل تاجر وإنه خرج ملك من الباب فقال له . ما حملك على ما صنعت ؟ قال . رأيته فقلت فقلت كما فعلت فقال . إني أحسن قال له . فإن

(١) هذه عبارة نسخة الأزهر ، وفي النسخة الأميرية فلا يجل في نفس الأمر حراما هو حلال ولا يجرم حلالا هو حلال اه وهو خطأ ظاهر .

دينك . فأذن الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) رواه ابن أبي حاتم ورواه الموفى عن ابن عباس وكذا روى عن مجاهد والزهري وقائدة وإبراهيم النخعي والسدي والريعي بن أنس وقال الحسن البصري : كان أتوام من أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً وخرج من بيته يريد سفره الذي خرج له ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ويقيم سفره لم يدخل البيت من بابه ولكن يسوره من قبل ظهره فقال الله تعالى : (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) الآية : وقال محمد بن كعب : كان الرجل إذا اعتكف لم يدخل منزله من باب البيت فأذن الله هذه الآية وقال عطاء بن أبي رباح : كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها ويرون أن ذلك أدنى إلى البر فقال الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) ولا يرون أن ذلك أدنى إلى البر وقوله (وأتوا الله لعلكم تفلحون) أي اتقوا الله فانصافوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه (لعلكم تفلحون) غدا إذا وقفت بين يديه فيجازيكم على النعم والكمال

(وَقَتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأُخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوا حَيْثُ أَسَّسَ الْحَرَامَ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنْ أَسْتَهْوَأْتُمْ فَانْهَوُا أَنْ تُقَرَّبُوا عَلَيْهِمْ * وَأَقْتُلُوا حَيْثُ لَا تَسْكَوْنُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ هُمْ فَإِنْ أَسْتَهْوَأْتُمْ فَلَا عُذْرَ وَلَا عَلَى الظَّالِمِينَ)

قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) قال هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن كفه عنه حتى نزلت سورة براءة وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتى قال هذه منسوخة بقوله (فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وفي هذا نظر لأن قوله (الذين يقاتلونكم) إنما هو تيسير وإغراء بالأعداء الذين همهم قتال الإسلام وأهله أي كما يقاتلونكم فاقولهم أتم كما قال (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ولهذا قال في هذه الآية (وقاتلوا حيث تفتنهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي تكون همكم منبهة على قتالهم كما همهم منبهة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصا

وقوله (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ذلك ارتكاب للنهي كما قاله الحسن البصري من لثلة والفلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأى لهم ولا قتال فيهم والريهان وأصحاب الصوامع وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة كما قال ذلك ابن عباس ومحمد بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم ولهذا جاء في صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر الله اغزوا ولا تتلوا ولا تتدروا ولا تتلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع » رواه الإمام أحمد وعن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال أخرجوا باسم الله قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله لا تعتدوا ولا تتلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع » رواه الإمام أحمد ولأبي داود عن أنس مرفوعا نحوه وفي الصحيحين عن ابن عمر قال وجدت امرأة في بعض مفازي النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان . وقال الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الأجلع عن قيس بن أبي مسلم عن رمي بن حراش قال سمعت حذيفة يقول ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحد وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر فضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها مثالا وترك لسايرها قال « إن قوما كانوا أهل ضيف ومسكنة قاتلهم أهل تبجر وعداوة فأظهر الله أهل الضيف عليهم فمعدوا إلى عدوم فاستمروهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم القيامة » هذا حديث حسن الإسناد ومعناه أن هؤلاء الضيف لما قدروا على الأقوياء فاعتدوا عليهم فاستمروهم فبأ لا يليق بهم أسخطوا الله عليهم بسبب هذا الإعتداء والأحادث والآثار في هذا

كثيرة جدا . ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نه تعالى على أن يمام مشتملون عليهم الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبغ وأشد وأعظم وألم من القتل ولهذا قال (والقتة أشد من القتل) قال أبو مالك أيها أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل . وقال أبو العالية مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقادة والضحاك والريبع بن أنس في قوله (والقتة أشد من القتل) يقول الشرك أشد من القتل وقوله (وقاتلواهم عند المسجد الحرام) كإبائه في الصحيحين « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإلشع الإساءة من نهار وإنهاساعق هذه حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يشد شجره ولا يخلخل خلافه أن أحدث شخص يقتل رسول الله ﷺ يقولوا إن الله أذن لرسوله وإبأذن لكم » يعني بذلك صلوات الله وسلامه عليه قتله أهله يوم فتح مكة فانه فتحها عنوة وقتل رجالهم عند الخدمة وقيل صلحا قوله « من أغلق بابا فهو آثم ومن دخل المسجد فهو آثم ومن دخل دار أبي سفيان فهو آثم » وقوله (حتى يقتلواكم فيه فإن قاتلواكم قاتلواكم كذلك جزاء الكافرين) يقول تعالى وقاتلواهم عند المسجد الحرام إلا أن يداؤكم بالقتال فيه فلكم حينئذ قاتلهم وقتلهم دفعا للصلال كإبائهم التي ﷺ أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أعياد حنيفة والأحباش ما نذرتهم كف الله القتال بينهم فقال (وهو الذي كفا أيديهم عنكم وأيديكم عنهم يبطن مكة من يداؤكم أنظركم عليهم) وقال (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لمصلوهم أن تطوهم فتصيحكم منهم مرة فغير علم ليدخل الله في رحمة من يشاء ، لوترلوا لعذبا الذين كفروا منهم عذابا أليما) وقوله (فإن اتبوا فإن الله يغفور رحيم) أي فإن تركوا القتال في الحرم وأتابوا إلى الاسلام والتوبة فإن الله يفر ذنوبهم ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله فانه تعالى لا يعاملهم ذنب أن يسفره لمن تاب منه اليه ثم أمر الله يقتل الكفار (حتى لا تكون فتنة) أي شرك قتله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقادة والريبع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم (ويكون الذين لله) أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان كائنت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقتل رجلا شجاعا ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وفي الصحيحين « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

وقوله (فإن اتبوا فلا عدوان إلا على الظالمين) يقول تعالى فإن اتبوا مما هم فيه من الشرك وقاتلوا المؤمنين فكفوا عنهم فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ولا عدوان إلا على الظالمين وهذا معنى قول مجاهد أن لا يقاتل إلا من قاتل أو يكون تهديرهم فإن اتبوا فقد انفصلوا من الظلم وهو الشرك فلا عدوان عليهم بعد ذلك وللمراد بالعدوان ههنا للمتابعة والمقاتلة كقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (وإن عاقبتهم فمما عاقبوا بمثل ما عاقبتم به) ولهذا فالعكرمة وقادة الظالم الذي أن يقول لا إله إلا الله وقال البخاري قوله (وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة) الآية حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال أنه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فإني نيمك أن تخرج ؟ فقال يميني أن الله حرم دم أخى قالا : ألم يقل الله (وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة) ؟ قال : قاتلنا حتى لا تكون فتنة وكان الدين لله وأتم ترميدون أن قاتلوا حتى تكون فتنة وحتى يكون الدين لغير الله ، وزاد عثمان بن صالح عن ابن وهب أخبرني فلان وحوية بن شرع عن بكر بن عمر الشافعي أن بكر بن عمر عدا عبد الله حرمه عن نافع أن رجلا أتى ابن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن حاملكم على أن تخرج مائما وتقيم مائما وترك الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ فقال يا ابن أخى بنى الاسلام على خمس : الإيمان بالله ورسوله والصلاة الخس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت . قالوا يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما فإن يشت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبنى حتى تقوى إلى أمر الله) (وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة) قال قلنا على عهد رسوله صلى الله عليه وسلم

وكان الاسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه إما قتله أو عذبوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة ، قال لما قولك في على وعثمان ؟ قال أما عثمان فكان الله عفا عنه وأما أنتم فكرهتم أن يفو عنه ، وأما على فابن عم رسول الله ﷺ وخخته فأشار بيده فقال هذا بيته حيث ترون .

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

قال عكرمة عن ابن عباس والضحاك والسدي وقناة ومقسم والربيع بن أنس وعطاء وغيرهم لما سار رسول الله ﷺ ممترا في سنة ست من الهجرة وحجسه للشركون عن الدخول والوصول إلى البيت وصدوه بمن معه من المسلمين في ذي القعدة وهو شهر حرام حتى قام على الدخول من قابل فدخلها في السنة الآتية هو ومن كان من المسلمين وأقصه الله منهم فزلت في ذلك هذه الآية (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى وتغزوا فإذا حضره أقام حتى ينسلخ . هذا إسناد صحيح . ولهذا لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وهو عقيم بالحديبية أن عثمان قتل وكان قد بعث في رسالة إلى الشركين نابع أصحابه وكانوا أئنا وأربعمائة تحت الشجرة على قتال للشركين فلما بلغه أن عثمان لم يقتل كف عن ذلك وجنح إلى السالبة والمصالحة فكان ما كان . وكذلك لما فرغ من قتال هوازن يوم حنين وتحصن فلهم بالطائف عدل إليها فحاصرها ودخل ذو القعدة وهو حاصرها بالمنجنيق واستمر عليها إلى كمال أربعين يوما كما ثبت في الصحيحين عن أنس فلما كثرت القتل في أصحابه انصرف عنها ولم تفتح ثم كر راجعا إلى مكة واعتمر من الجمرات حيث قسم غنائم حنين . وكانت عمره هذه في ذي القعدة أيضا عام ثمان خلوات الله وسلامه عليه : وقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أمر بالعدل حتى في الشركين كما قال (وإن قاتلهم فقاتلوا بمثل ما قاتلهم) وقال (وجزا مائة سيئة مثلها) وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) نزلت بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد ثم نسخ بآية القتال بالمدينة وقد رد هذا القول ابن جرير وقال بل الآية مدنية بعد عمرة القضية وعزا ذلك إلى مجاهد رحمه الله وقوله (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) أمرهم بطاعة الله وتقواه وإخبار بأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة .

﴿ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقُولُوا بِالْأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قال البخاري حدثنا إسحق أخبرنا النضر أخبرنا شعبة عن سليمان سمعت أبواثل عن حذيفة (وأتقوا في سبيل الله ولا تقولوا بأيديكم إلى التهلكة) قال نزلت في النفقة ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن أبي معاوية عن الأعمش به مثله قال وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك والحسن وقناة والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى قُتِلَ ومنا أبو أيوب الأنصاري قال ناس أتى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا : صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه للشاهد ونصرناه فلما نشأ الاسلام ونظر اجتماعنا معشر الأنصار تحيا قلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى نشأ الاسلام وكثر أهلُه وكنا قد أكرناه على الأهلين والأموال والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فخرج إلى أهلنا وأولادنا فنقم فيما نزل فينا (وأتقوا في سبيل الله ولا تقولوا بأيديكم إلى التهلكة) فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد في تفسيره وابن أبي حاتم

وابن جرير وابن مردويه والحافظ أبو يوسلف في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه كلهم من حديث يزيد ابن أبي حبيب به وقال الترمذي حسن صحيح غريب وقال الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ولنفذ أبو داود عن أسلم أبي عمران كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عتبة بن عامر وعلى أهل الشام رجل يزيد بن فضالة بن عبد بن فخر من المدينة صف عظيم من الروم فصفنا لهم فحمل رجل من المسلمين على الروم حتى دخل قهم ثم خرج إلينا فصح الناس إليه فقالوا سبحان الله ألقي يده إلى التهلكة فقال أبو أيوب : يا أيها الناس إنكم لتأولون هذه الآية على غير التأويل وإنما نزلت فينا مضى الأضرار إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قلنا فيا بيتنا . لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها فأنزل الله هذه الآية وقال أبو بكر بن عياش عن أبي إسحق السبيعي قال : قال رجل للبراء بن عازب إن حملت على العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقى يدي إلى التهلكة ؟ قال لا قال الله لرسوله (فقاتل فسيلا لله لا تكلف إلا نفسك) وإعانه في النفقة رواه ابن مردويه وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث إسرائيل عن أبي إسحق وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الترمذي وقيس بن الربيع عن أبي إسحق عن البراء فذكره وقال بعد قوله (لا تكلف إلا نفسك) ولكن التهلكة أن يذنب الرجل الذنب فيلقى يده إلى التهلكة ولا يتوب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن عبد الرحمن الأسود بن عبد نفوس أخبره أنهم حاصروا دمشق فانطلق رجل من أرض شوة فأسرع إلى العدو وحده ليستقبل فصاب ذلك عليه المسلمون ورفقوا حديثه إلى عمرو بن الحارث فأسرع إليه عمرو فرده وقال عمرو قال الله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وقال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (وألقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال ليس ذلك في القتال إنما هو في النفقة أن تحسبك يدك عن النفقة في سبيل الله ولتلقى بيدك إلى التهلكة قال حماد بن سلمة عن داود عن الشعبي عن الضحاک بن أبي جبير قال كانت الأنصار يتصدقون وينفقون من أموالهم فأصابته سنة فأمسكوا عن النفقة في سبيل الله فزنت (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وقال الحسن البصري (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال هو البخل ، وقال سبأ بن حرب عن النعمان بن بشير في قوله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أن يذنب الرجل الذنب فيقول لا ينفر لي فأنزل الله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) رواه ابن مردويه . وقال ابن أبي حاتم وروى عن عبيدة السلماني والحسن وابن سيرين وأبي قلابة نحو ذلك يعني نحو قول النعمان بن بشير أنها في الرجل يذنب الذنب فيقتله أنه لا ينفر له فيلقى يده إلى التهلكة أي يستكثر من الذنوب فهلك . ولهذا روى طي بن أبي طلحة عن ابن عباس التهلكة عذاب الله وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن القرظي [محمد بن كعب] أنه كان يقول في هذه الآية (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال كان القوم في سبيل الله فيزود الرجل فكان أفضل زادا من الآخر أشقى البائس ^(١) من زاده حتى لا يبق من زاده شيء وأحب أن يواسي صاحبه فأنزل الله (وألقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وبه قال ابن وهب أيضا أخبرني عبد الله بن عياش عن زيد ابن أسلم في قول الله (وألقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وذلك أن رجلا كانوا يخرجون في بوث يبعثها رسول الله ﷺ بغير ثقة فلما أن قطع بهم ولما كانوا عيالا فأمرهم الله أن يستفتوا عما رزقهم الله ولا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة والتهلكة أن يهلك رجال من الجوع والمطش أو من لشيء . وقال لمن يده فضل (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) ومضمون الآية الأمر بالانفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على دعومهم والاختيار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن يؤمر واعتاده ثم عطف بالأمر بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة فقال (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

﴿ وَأَيُّوا الْحُجَّ وَالْمُعَرَّةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ

(١) في الدر المنثور البائس ، وفي نسخة الأزهر . والنسخة الأميرية أهوا البائس فليحرو .

تَحِلُّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ تَصَدَّقَ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْمَعْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَلِمَةٌ ذَلِكَ لِيَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَافِرِي السَّجْدِ الْحَرَامِ وَأَتَوْا اللَّهَ وَأَعْلَوْا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦﴾

لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان الناسك فأمر بإتمام الحج والمعرة وظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فهما . ولهذا قال بعده فإن أحصرتم أى صددتم عن الوصول إلى البيت فتمتع من إتمامهما ، ولهذا انفق الطلاء على أن الشروع في الحج والمعرة مالم سواء قيل بوجوب المعرة أو باستيجابها كما هما قولان للعلماء وقد ذكرناهما بدلائلها في كتابنا الأحكام مستقصى والله الحمد ولله : وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي بن أبي حمزة قال في هذه الآية (وأتموا الحج والمعرة لله) قال أن تحرم من ديرة أهلك وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطائفة ، وعن سفيان الثوري أنه قال في هذه الآية إتمامها أن تحرم من أهلك لا تريد إلا الحج والمعرة وتهل من المقات ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى إذا كنت قريباً من مكة قلت لوجهجت أو اعتمرت . وذلك مجزئ ولكن التمام أن تخرج له ولا تخرج لتسيرة : وقال مكحول إنما هما إنشاءهما جميعاً من المقات ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري قال بلغنا أن عمر قال في قول الله (وأتموا الحج والمعرة لله) من تمامها أن تفرد كل واحد منهما من الآخر وأن تستمر في غير أشهر الحج إن الله تعالى يقول (الحج أشهر معلومات) وقال هشام عن ابن عون سمعت القاسم بن محمد يقول إن المعرة في أشهر الحج ليست بتامة فقليل له فالمعرة في الحرم قال كانوا يرون تامة وكذا روى عن قتادة بن دعامه رحمهما الله وهذا القول فيه نظر لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتبر أربع عمر كلها في ذي القعدة حمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست وحمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع وحمرة الجعرانة في ذي القعدة سنة ثمان وحمرة التي مع حجة أحرمت بهما معا في ذي القعدة سنة عشر وما اعتبر في غير ذلك بعد هجرته ولكن قاله هاني « حمرة في رمضان تعدل حجة معي » وماذا إلا لأننا قد فرضت على الحج معه عليه السلام فاعتقت عن ذلك بسبب الطهر كما هو مبسوط في الحديث عند البخاري ونس سعيد بن جبير على أنه من خصائصها والله أعلم .

وقال السدي في قوله (وأتموا الحج والمعرة لله) أى أتموا الحج والمعرة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وأتموا الحج والمعرة لله) يقول من أحرمت بحج أو بعمره فليس له أن يحل حتى يتمهما تمام الحج يوم النحر إذا رمى جمره العقبة وطاف بالبيت وبالصفاء والمروة فقد حل . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس أنه قال الحج عرفة والمعرة الطواف وكذا روى الأعمش عن إبراهيم عن علقمة في قوله (وأتموا الحج والمعرة لله) قال هي قراءة عبده وأتموا الحج والمعرة إلى البيت لا يجاوز (١) بالمعرة البيت . قال إبراهيم فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال كذلك قال ابن عباس : وقال سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه قال : وأتموا الحج والمعرة إلى البيت . وكذا روى الثوري أيضاً عن إبراهيم عن منصور عن إبراهيم أنه قرأ وأتموا الحج والمعرة إلى البيت . وقرأ الشعبي (وأتموا الحج والمعرة لله) برفع المعرة وقال ليست بواجبة . وروى عنه خلاف ذلك وقد وردت أحاديث كثيرة من طرق متعددة عن أنس وجماعة أن رسول الله ﷺ جمع في إحرامه بحج وعمره وبنت عنه في الصحيح أنه قال لأصحابه « من كان معه هدى فليلبس بحج وعمره » وقال في الصحيح أيضاً « دخلت المعرة في الحج إلى يوم القيامة » .

وقد روى الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية حديثاً غريباً فقال حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عبد الله الهروي حدثنا عيسى الهروي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن صفوان بن أمية أنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم متضمخ بالزعفران عليه جبة فقال كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي ؟ قال فأنزله الله (١) في لفة الأزهر تجاوز بالثلاثة القوية .

(وأما الحج والعمرة لله) فقال رسول الله ﷺ « أين السائل عن العمرة » قال ها أنا ذا فقال له « ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق ما استطعت ثم ما كنت صائما في حجب فاضنه في عمرتك » هذا حديث غريب وسياق عجيب والذي ورد في الصحيحين عن علي بن أبي حمزة في قصة الرجل الذي سأله النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجرانة فقال كيف ترى في رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة وخلق فسكت رسول الله ﷺ ثم جاءه الرحي ثم رفع رأسه فقال أين السائل قال ها أنا ذا فقال « أما الجبة فانزعها وأما الطيب الذي بك فاضله ثم ما كنت صائما في حجبك فاضنه في عمرتك » ولم يذكر فيه الغسل والاستنشق ولا ذكر نزول هذه الآية وهو عن علي بن أبي حمزة عن ابن أبي عمير قال علم . وقوله (فإن أحصرتم لها استيسر من الهدى) ذكروا أن هذه الآية نزلت في سنة ست أي عام الحديبية حين حال الشركون بين رسول الله ﷺ وبين الرسول إلى البيت وأنزل الله في ذلك سورة الفتح بكاملها وأنزل لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدى وكان سبعين بدنة وأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحلوا من إحرامهم فعند ذلك أمرهم عليه السلام بأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحلوا فلم يفعلوا انتظارا للتسحق حتى خرج فحلق رأسه ففعل الناس وكان منهم من قصر رأسه ولم يحلق فذلك قال ﷺ « رحم الله الحلقين » قالوا وللتصرين يا رسول الله . فقال في الثالثة « وللتصرين » وقد كانوا اشتروا في هديهم ذلك كل سبعة في بدنة وكانوا ألفا وأربعمائة وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم وقيل بل كانوا على طرف الحرم فأنه أعلم . ولهذا اختلف العلماء هل يغتسل الحصر بالعدو فلا يتحلل إلا من حصره عدو لأمراض ولا غيره على قولين فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد اللقي حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس ، وابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ، وابن أبي عمير عن ابن عباس أنه قال لا حصر إلا حصر العدو فأما من أمابه مرض أو وجع أو ضلال فليس عليه شيء إنما قال الله تعالى (فإذا أمتن) فليس الأمن حصرًا قال : وروى عن ابن عمر وطاوس والزهري وزيد بن أسلم نحو ذلك . والقول الثاني أن الحصر أمر من أن يكون بسوء أو مرض أو ضلال وهو التوهان عن الطريق أي نحو قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حجاج بن الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كسر أو وجع أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى » قال فذكرت ذلك لابن عباس وأبي هريرة فقالا صدق ^(١) وأخرجه أصحاب الكتب الأربعة من حديث يحيى بن أبي كثير به وفي رواية لأبي داود وابن ماجه من عرج أو كسر أو مرض فذكر معناه . ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن علي عن الحجاج ابن أبي عثمان الصواف به ثم قال وروى عن ابن مسعود وابن الزبير وعلمة وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ومجاهد والنضى وعطاء ومقاتل بن حيان أنهم قالوا الإحصار من عدو أو مرض أو كسر ، وقال الثوري الإحصار من كل شيء آذاه وثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ دخل على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب فقالت يا رسول الله إني أريد الحج وأنا شاكية فقال « حبي واشترطي أن على حيث حسنتي » ورواه مسلم عن ابن عباس بنحوه فلنهب من ذهب من العلماء إلى حجة الاشتراط في الحج لهذا الحديث وقد علق الإمام محمد بن إدريس الشافعي القول بسبعة هذا للذهب على صحة هذا الحديث ، قال البيهقي وغيره من الحفاظ وقصصه وهه الحد . وقوله (فما استيسر من الهدى) قال الإمام مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول (فما استيسر من الهدى) شاة وقال ابن عباس الهدى من الأزواج الثمانية من الإبل والبقر والتمر والضأن : وقال الثوري عن حبيب بن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (فما استيسر من الهدى) قال شاة وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وأبو المالبة ومحمد بن علي بن الحسين وعبد الرحمن بن القاسم والشامي والنضى والجثن وقادة والضحاك ومقاتل ابن حيان وغيرهم مثل ذلك وهو مذهب الأئمة الأربعة : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة وابن عمر أنهما كانا لا يريان ما استيسر من الهدى إلا من الإبل والبقر

قال وروى عن سالم والقاسم وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير نحو ذلك (قلت) والظاهر أن مستند هؤلاء فيما ذهبوا إليه قصة الحديبية أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه ذبح في تحلة ذلك شاة وإنما ذهبوا إلى الإبل والبقر في الصحيحين عن جابر قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نتترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بقرة : وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس في قوله (فما استيسر من الهدى) قال فهدى يسارته ، وقال العوفي عن ابن عباس إن كان موسرا فمن الإبل وإلا فمن البقر وإلا فمن الغنم ، وقال هشام بن عروة عن أبيه (فما استيسر من الهدى) قال إنما ذلك فيما بين الرخص والغلاء والذليل على صحة قول الجمهور فيما ذهبوا إليه من إجزاء الشاة في الإحصار أن الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدى أى مها تيسر مما يسمى هديا والهدى من بهيمة الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم كما قاله الحبر البحر ترجمان القرآن وابن عم رسول الله ﷺ وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت أهدى النبي ﷺ مرة شاة .

وقوله (ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى حله) معطوف على قوله (وأعوا الحج والعمرة لله) وليس معطوفا على قوله (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى) كما زعمه ابن جرير رحمه الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حلقوا وذهبوا هديهم خارج الحرم فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم فلا يجوز الحلق (حتى يبلغ الهدى حله) ويفرغ الناسك من أعمال الحج والعمرة إن كان قارنا أو من فعل أحدهما إن كان مفردا أو متمتعا كما ثبت في الصحيحين عن حفصة أنها قالت : يارسول الله ما شأن الناس حلو من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال . « إني لبئت رأسى وقلت هدى فلا أجل حتى أحر » وقوله (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال البخارى : حدثنا آدم حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الأصماني سمعت عبد الله بن معقل قال قدمت إلى كعب بن جعفة في هذا المسجد يعنى مسجد الكوفة فسألت عن فدية من صيام فقال : حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال . « ما كنت أرى أن المجد يبلغ بك هذا أما تجد شاة ؟ » قلت : لا قال : « صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك » فنزلت في خاصة وهى لك عامة وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى عن أبيه عن جده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن جعفة قال : أتى عليّ النبي ﷺ وأنا أوقد تحت قدمي والقمل يتناثر على وجهي أوقال حاجبي فقال « يؤذيك هوام رأسك ؟ » قلت نعم قال « فاحلقه وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك نسكة » قال أيوب لا أدري بأيهن بدأ وقال أحمد أيضا حدثنا هشام حدثنا أبو بشر عن مجاهد عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن كعب ابن جعفة قال : كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ونحن عرمون وقد حصره المشركون وكانت لي وفرة ففضلت الهوام تساقط على وجهي ففرغ عليّ النبي ﷺ فقال : « يؤذيك هوام رأسك » فأمره أن يحلق قال : ونزلت هذه الآية (لئن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وكذا رواه عثمان عن شعبة عن أبي بشر وهو جعفر بن أبيه ، وعن شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به . وعن شعبة عن داود عن الشعبي عن كعب بن جعفة نحوه ، ورواه الإمام مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن جعفة فذكر نحوه وقال سعد بن إسحاق بن كعب بن جعفة عن أبيان بن صالح عن الحسن البصري أنه مع كعب بن جعفة يقول فذبحت شاة ورواه ابن مردويه ، وروى أيضا من حديث عمر ابن قيس وهو ضعيف عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « النسك شاة والصيام ثلاثة أيام والطعام فرق بين ستة » وكذا روى عن عليّ وعبد بن كعب وعقلمة وإبراهيم ومجاهد وعطاء والسدي والريبع بن أنس وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا عبد الله بن وهب أن مالك بن أنس حدثه عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن جعفة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذاه القمل في رأسه فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق رأسه وقال « صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين مدين مدين لكل إنسان

أو انك شاة أى ذلك فلت أجزأ عنك » وهكذا روى ليث ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (قفدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال إذا كان أو ، فأية أخذت أجزأ عنك قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعكرمة وعطاء وطاوس والحسن وحيد الأعرج وإبراهيم النخعي والشافعية نحو ذلك (قلت) وهو مذهب الأئمة الأربعة وعامة العلماء أنه يخير في هذا اللقار إن شاء صام وإن شاء تصدق بفرق وهو ثلاثة أصح لكل مسكين نصف صاع وهو مدان وإن شاء ذبح شاة وتصدق بها على الفقراء أى ذلك فعل أجزأه ولما كان لفظ القرآن في بيان الرخصة جاء بالأسهل فالأسهل (قفدية من صيام أو صدقة أو نسك) ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة بذلك أُرشدته إلى الأفضل فالأفضل فقال : انك شاة أو ألحم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام فكل حسن في مقامه وفي الحمد ولله . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش قال : ذكر الأعمش قال : سأل إبراهيم سعيد بن جبير عن هذه الآية (قفدية من صيام أو صدقة أو نسك) فأجابه بقول يحكم عليه طعام فإن كان عنده اشترى شاة وإن لم يكن قومت الشاة دراهم وجعل مكانها طعام فتصدق ولا صام لكل نصف صاع يوما قال إبراهيم كذلك سمعت طعنة يذكر قال : لما قال لي سعيد بن جبير من هذا ما أظرفه ؟ قال : قلت هذا إبراهيم فقال ما أظرفه كان يجالسنا قال : فذكرت ذلك لإبراهيم قال : فلما قلت يجالسنا انتفض منها وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن أبي عمير حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن أشعث عن الحسن في قوله (قفدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال إذا كان بالهجرم أذى من رأسه حلق واتدى بأى هذه الثلاثة شاة والصيام عشرة أيام والصدقة على عشرة مساكين كل مسكين مكوكن مكوكا من تمر ومكوكا من بر والنسك شاة وقال قتادة عن الحسن وعكرمة في قوله (قفدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال : إطعام عشرة مساكين وهذا القولان من سعيد بن جبير وعكرمة قولان غريبان فهما نظر لأنه قد ثبتت السنة في حديث كعب بن عجرة الصيام ثلاثة أيام لاسية أو إطعام ستة مساكين أو نسك شاة وأن ذلك على التخيير كأدل عليه سياق القرآن وأما هذا الترتيب فلأنما هو معروف في قول الصديق كما هو نص القرآن وعليه أجمع الفقهاء هناك بخلاف هذا والله أعلم . وقال هشام . أخبرنا ليث عن طاوس أنه كان يقول ما كان من دم أو طعام فبمكة وما كان من صام فحيث شاء ، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن ، وقال هشام أخبرنا حجاج وعبد الله وغيرهما عن عطاء أنه كان يقول : ما كان من دم فبمكة وما كان من طعام وصيام فحيث شاء ، وقال هشام أخبرنا يحيى بن سعيد عن يعقوب بن خالد أخبرنا أبو أسباط مولى ابن جعفر قال حج عثان بن عفان ومعه على والحسين بن على فارتحل عثان قال أبو أسباط وكنت مع ابن جعفر فلما نحن برجل نائم وثاقه عند رأسه قال قتلنا أيها النائم فاستيقظ فإذا الحسين بن على قال فحمله ابن جعفر حتى أتينا به النخيلة قال : فأرسل إلى على ومعه أسباط بنت حميس قال : فمرضناه نحوًا من عشرين ليلة قال : قال على للحسين ما الذى نجد ؟ قال فأومأ بيده إلى رأسه قال : فأمر به على فحلق رأسه ثم دعا ببدنة ففحرها فان كانت هذه الناقة عن الحلق فقيه أنه فحرها دون مكة .. وإن كانت عن التحلل فواضح

وقوله (فإذا أنتم فتنتم بالمرءة إلى الحج فاستسروا من الهدى) أى فإذا تمتكنتم من أداء للناسك فمن كان منكم متمتعًا بالمرءة إلى الحج وهو يشمل من أحرم بها أو أحرم بالمرءة أولا فلما فرغ منها أحرم بالحج وهذا هو التمتع الخاص وهو للزوجة في كلام الفقهاء والتمتع العام يشمل القسمين كأدلت عليه الأحاديث الصحاح فان من الرواة من يقول تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر يقول قرن ولا خلاف أنه ساقى هديا وقال تعالى فمن (تمتع بالمرءة إلى الحج فاستسروا من الهدى) أى فلْيُذبح ما قدر عليه من الهدى وأقله شاة وله أن يذبح البقر لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عن نسائه البقر ، وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح البقر عن نسائه وعن متمتع رواه أبو بكر بن مردويه وفي هذا دليل على مشروعية التمتع كما جاء في الصحيحين عن عمران بن حصين قال : نزلت آية للتمتع في كتاب الله فقلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل قرآن يجرمها ولم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء . قال البخارى يقال إنه عمر

بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان هو الثوري قال : قال ابن عباس
 هم أهل الحرم وكذا روى ابن المبارك عن الثوري وزاد الجلعة عليه وقال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس كان
 يقول يا أهل مكة لا تمتعوا لكم أحلت لأهل الآفاق وحرمت عليكم إنما يقطع أحلكم وأدايا أو قال يجمل بينه وبين الحرم وأدايا
 ثم يهل بعمرة وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال : للتمة للناس لا لأهل مكة من لم يكن أهله
 من الحرم . وكذا قول الله عز وجل (ذلك لأن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قال وبلغني عن ابن عباس مثل
 قول طاوس وقال آخرون هم أهل الحرم ومن بينه وبينه للواقيت كما قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن عطاء قال :
 من كان أهله دون الواقيت فهو كأهل مكة لا يتمتع وقال عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن
 مكحول في قوله (ذلك لأن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قال من كان دون الليثات وقال ابن جريج عن عطاء ذلك
 لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام قال عرفتموز دلفة وعرة والرجيع وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر سمعت الزهري
 يقول من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع وفي رواية عنه اليوم واليومين واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي
 أنهم أهل الحرم ومن كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة لأن من كان كذلك يد حاضرا لا مسافرا والله أعلم
 وقوله (وأخو الله) أي فبا أمركم ونهاكم (واعلموا أن الله شديد العقاب) أي لمن خالف أمره وارتكب ما نهى عنه
 ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
 يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

اختلف أهل العربية في قوله (الحج أشهر معلومات) فقال بعضهم تقديره الحج حج أشهر معلومات فلهذا التقدير
 يكون الاحرام بالحج فيها أكل من الاحرام فيها عداها وإن كان ذلك صحيحا والقول بصحة الاحرام بالحج في جميع
 السنة مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وبه يقول إبراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد
 واحتج لهم بقوله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) وبأنه أحد النكسين ففسح الاحرام به
 في جميع السنة كالعمرة . وذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه لا يصح الاحرام بالحج إلا في أشهره فلو أحرم به قبلها لم
 ينعد إحرامه به وهل ينقد حمره ، فيه قولان عنه . والقول بأنه لا يصح الاحرام بالحج إلا في أشهره مروى عن
 ابن عباس وجابر وبه يقول عطاء وطاوس وجماعة رحمهم الله والدليل عليه قوله (الحج أشهر معلومات) وظاهره
 التقدير الآخر الذي ذهب إليه النحاة وهو أن وقت الحج أشهر معلومات فخصه بها من بين سائر شهور السنة فدل
 على أنه لا يصح قبلها كبقية الصلاة : وقال الشافعي رحمه الله أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء
 عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في شهور الحج من أجل قول الله تعالى (الحج
 أشهر معلومات) وكذا رواه ابن أبي ساتم عن أحمد بن يحيى بن مالك السوسي^(١) عن حجاج بن محمد الأعمور عن ابن جريج
 به ورواه ابن مردويه في تفسيره من طريقين عن حجاج بن أرطاة عن الحاكم بن عتبة عن مقسم عن ابن عباس أنه
 قال من السنن أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج وقال ابن خزيمة في صحيحه حدثنا أبو كريب حدثنا أبو خالد الأحمر
 عن شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج فإن من سنة الحج أن يحرم بالحج
 في أشهر الحج وهذا سند صحيح وقول الصحابي من السنة كلها في حكم الرفوع عند الأكثرين ولا سيما قول ابن عباس
 تفسيرا للقرآن وهو ترجمته . وقد ورد فيه حديث مرفوع ، قال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي حدثنا نافع حدثنا الحسن
 ابن المنثري حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا ينبغي لأحد
 أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج » وإسناده لا بأس به لكن رواه الشافعي والبيهقي من طرق عن ابن جريج عن أبي الزبير
 أنه ميع جابر بن عبد الله يسأل أهل بالحج قبل أشهر الحج ؟ فقال لا وهذا الوقوف أصح وأثبت من الرفوع ويقي

حينئذ مذهب صحابي يتقوى بقول ابن عباس من السنة أن لا يحرم الحج إلا في أشهره والله أعلم
وقوله (أشهر معلومات) قال البخاري قال ابن عمر هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وهذا الذي علمه
البخاري بصيغة الجزم رواه ابن جرير موصولا . حدثنا أحمد بن حازم بن أبي زغبة حدثنا أبو نعم تحدثنا وراقه عن
عبد الله بن دينار عن ابن عمر (الحج أشهر معلومات) قال شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، إسناده صحيح
وقد رواه الحاكم أيضاً في مستدركه عن الأصم عن الحسن بن علي بن عفان عن عبد الله بن نعيم عن عبيد الله عن نافع
عن ابن عمر فذكره وقال هو على شرط الشيخين (قلت) وهو مروى عن عمر وعلى وابن مسعود وعبد الله بن الزبير
وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي والشعبي والحسن وابن سيرين ومكحول وقناة والضحاك بن
مزاحم والريبع بن أنس ومقاتل بن حيان وهو مذهب الثنائي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأبي يوسف وأبي ثور رحمهم
الله واختار هذا القول ابن جرير قال وصح إطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتبليغ كما تقول العرب رأيت العام
ورأيت اليوم وإنما وقع ذلك في بعض العام واليوم (فمن تجل في يومين فلا إثم عليه) وإنما تجل في يوم ونصف يوم ، وقال
الإمام مالك بن أنس والثنايفي في القديم هي شوال وذو القعدة وذو الحجة بكافة وهو رواية عن ابن عمر أيضاً قال ابن
جرير حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قاله : شوال
وذو القعدة وذو الحجة وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني ابن جريج قال
قلت لنافع أصمت عبد الله بن عمر يسمى شعور الحج قال نعم كان عبد الله يسمى شوالا وذو القعدة وذو الحجة قال
ابن جريج وقال ذلك ابن شهاب وعطاء وجابر بن عبد الله صاحب النبي ﷺ وهذا إسناده صحيح إلى ابن جريج وقد
حكى هذا أيضاً عن طاوس ومجاهد وعروة بن الزبير والريبع بن أنس وقناة وجاء فيه حديث مرفوع لكنه
موضوع ، رواه الحافظ بن مردويه من طريق حسين بن عمار وهو منهم بالوضع عن يونس بن عبيد عن شهر بن
حوشب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « الحج أشهر معلومات شوال وذو القعدة وذو الحجة » وهذا كما
رأيت لا يصح رفعه والله أعلم . وقائدة مذهب مالك أنه إلى آخر ذي الحجة بمعنى أنه يختص بالحج فبكره الاعتناء في
بقية ذي الحجة لأنه يصح إبداء النحر قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن قيس
ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله الحج أشهر معلومات ليس فيها حمرة وهذا إسناده صحيح . قال ابن جرير ،
وأما أراد من ذهب إلى أن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة وإنما
هي للحج وإن كان عمل الحج قد انتهى باثنتي عشرة يوماً منى كما قال محمد بن سيرين ما أحد من أهل العلم يشك في أن العمرة في
غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج وقال ابن عوف . سألت القاسم بن محمد عن العمرة في أشهر الحج
فقال كانوا لا يرونها تامة (قلت) وقد ثبت عن عمر وعثمان رضي الله عنهما أنها كان يجبان الاعتناء في غير أشهر الحج
وبنيان عند ذلك في أشهر الحج والله أعلم

وقوله (فمن فرض فيهن الحج) أي أوجب بإحرامه حجاجه دلالة على لزوم الإحرام بالحج والمضى فيه قال ابن جرير .
أجموا على أن للراد من الفرض ههنا الإيجاب والأزام وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فمن فرض فيهن
الحج) يقول من أحرم صبيح أو عمرة أو عطاء . القرض الإحرام . وكذا قال إبراهيم والضحاك وغيرهم
وقال ابن جريج . أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال (فمن فرض فيهن الحج) فلا ينبغي أن
يلبس بالحج ثم يقيم بأرض قال ابن أبي حاتم . وروى عن ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي
وعكرمة والضحاك وقناة وسفيان الثوري والزهري ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال طاوس والقاسم بن محمد
هو التلبية وقوله (فلا رقت) أي من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرقت وهو الجماع كما قال تعالى (أحل لكم
ليلة الصيام الرقت إلى نسائكم) وكذلك يحرم تماطي دواعيه من الباشرة والتفصيل ونحو ذلك وكذلك التكلم به بخصرة
النساء قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا بن وهب أخبرني يونس أن نافعا أخبره أن عبد الله بن عمر كان يقول الرقت
إتيان النساء والتكلم بذلك للرجال والنساء إذا ذكروا ذلك بأقوالهم قال ابن وهب وأخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب

مثله قال ابن جرير وحدثننا محمد بن يشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن رجل عن أبي العالية الرياحي عن ابن عباس أنه كان يحدو وهو محرم وهو يقول : **وهنّ بمشيتن بنا هميسا** * **إن تصدق الطير نك لميسا** قال أبو العالية : قلت تكلم بالرفث وأنت محرم ؟ قال : إنما الرفث ما قيل عند النساء . ورواه الأعمشي عن زياد ابن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد بن يشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف حدثني زياد بن حصين حدثني أبي حصين بن قيس قال : أصعبت مع ابن عباس في الحاج وكنت خيلاله فلما كان بعد إحرامنا قال ابن عباس : فأخذ بذنب بيهر ففعل بيوه ويريجز ويقول :

وهنّ بمشيتن بنا هميسا * **إن تصدق الطير نك لميسا**

قال : قلت أترث وأنت محرم ؟ فقال إنما الرفث ما قيل عند النساء . وقال عبد الله بن طاوس عن أبيه سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل (فلا ترث ولا فسوق) قال الرفث التريض بذكر الجناح وهي العراة في كلام العرب وهو أدنى الرفث وقال عطاء بن أبي رباح الرفث الجناح وما دونه من قول النخعي وكذا قال عمرو بن دينار وقال عطاء كانوا يكرهون العراة وهو التريض وهو محرم وقال طاوس : هو أن يقول للمرأة إذا حلت أمبتك وكذا قال أبو العالية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفث غشيان النساء والقبلة والنمز وأن تعرض لها بالفضح من السلام ونحو ذلك وقال ابن عباس أيضا وابن عمر الرفث غشيان النساء وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وإبراهيم وأبو العالية عن عطاء ومكحول وعطاء الخراساني وعطاء بن يسار وعطية وإبراهيم النخعي والربيع والزهري والسدي ومالك بن أنس ومقاتل بن حيان وعبد الكريم بن مالك والحسن وقاتدة والضحاك وغيرهم

وقوله (ولا فسوق) قال مفسر وغير واحد عن ابن عباس هي المأوى وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقاتدة وإبراهيم النخعي والزهري والربيع بن أنس وعطاء بن يسار وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وقال محمد بن إسحق عن نافع عن ابن عمر قال : الفسوق ما أصيب من معاصي الله سيذا أو غيره وكذا روى ابن وهب عن يونس عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول : القسوق إثبات معاصي الله في الحرم وقال آخرون الفسوق ههنا السباب قاله ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومجاهد والسدي وإبراهيم النخعي والحسن وقد تيسر لهؤلاء بما ثبت في الصحيح « سباب المسلم فسوق وقاله كفر » ولهذا رواه ههنا الجليل أبو محمد بن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « سباب المسلم فسوق وقاله كفر » وروى من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ومن حديث أبي إسحق عن محمد بن سعد عن أبيه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القسوق ههنا الذبح للأصنام قال الله تعالى (أوفسما أهل لئير الله به) وقال الضحاك : الفسوق التنابز بالألقاب . والله بن قالوا الفسوق ههنا هو جميع المعاصي الصواب منهم كما نهى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم وإن كان في جميع السنة منها عنه إلا أنه في الأشهر الحرم أكد ولهذا قال : (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وقال في الحرم : (ومن يرد فيه يلجأ بذنوبه من عذاب أليم) واختار ابن جرير أن القسوق ههنا هو ارتكاب ما نهى عنه في الأحرام من قتل الصيد وحلق الشعر وقطع الأظفار ونحو ذلك كما تقدم عن ابن عمر وما ذكرنا مأولى والله أعلم : وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج هذا البيت فله برهان ولم يفسق خراج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(١) » .

وقوله (ولا جدال في الحج) فيه قولان : (أحدهما) ولا مجادلة في وقت الحج في مناسكه وقد بينه الله ثم بيان ووضحه أكل إضاح قال قال وكعب عن السلاء بن عبد الكريم صحت مجاهد يقول (ولا جدال في الحج) قد بين الله أشهر الحج فليس فيه جدال بين الناس وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد (ولا جدال في الحج) قال لأشهر أيضا ولا جدال في الحج قد بين ثم ذكر كيفية ما كان للشركون يصنعون في النسيء الذي فهم الله به . وقال الثوري عن عبد العزيز ابن ربيع عن مجاهد في قوله (ولا جدال في الحج) قال قد استقام الحج فلا جدال فيه وكذا قال السدي وقال هشام :

(١) رواية الصحيحين « رجع كيوم ولدته أمه » وليس فيها خراج من ذنوبه فقط سلم في أوله « من أتى هذا البيت » وفرواية البخاري « من حج لله » .

أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس (ولا جدال في الحج) قال للراء في الحج وقال عبدالله بن وهب قال مالك قال الله تعالى (ولا جدال في الحج) فالجدال في الحج والله أعلم أن قرشاً كانت تحف عند الشعر الحرام بالزدلفة وكانت العرب وغيرهم يقفون برفة وكانوا يتجادلون يقول هؤلاء : نحن أصوب ، ويقول هؤلاء : نحن أصوب فهذا فيما نرى والله أعلم وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعي أن موقفه موقف إبراهيم قطعه الله حين أعلم نبيه بالناسك . وقال ابن وهب عن أبي صخر عن محمد بن كعب قال كانت قرش إذا اجتمعت بمعنى قال هؤلاء حجتنا أتم من حجكم وقال هؤلاء حجتنا أتم من حجكم . وقال حماد بن سلمة عن جبير ابن حبيب عن القاسم بن محمد أنه قال : الجدال في الحج أن يقول بعضهم الحج غداً ويقول بعضهم الحج اليوم وقد اختار ابن جرير مضمون هذه الأقوال وهو قطع التنازع في مناسك الحج والله أعلم .

(والقول الثاني) أن للراء بالجدال هنا الخاصة قال ابن جرير : حدثنا عبد المجيد بن حسان حدثنا إسحق عن شريك عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود في قوله (ولا جدال في الحج) قال أن تماري صاحبك حتى تنضب وبهذا الإسناد إلى أبي إسحق عن التميمي : سألت ابن عباس عن الجدال قال : للراء تماري صاحبك حتى تنضب . وكذلك روى مقسم والضحاك عن ابن عباس وكذا قال أبو العالية وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وجابر ابن زيد وعطاء الخراساني ومكحول والسدي ومقاتل بن حيان وعمرو بن دينار والضحاك والريبع بن أنس وإبراهيم النخعي وعطاء بن يسار والحسن وقادة والأزهري ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا جدال في الحج للراء وللإحالة حتى تنضب أخاك وصاحبك فيمضي الله عن ذلك ، وقال إبراهيم النخعي (ولا جدال في الحج) قال كانوا يكرهون الجدال ، وقال محمد بن إسحق عن نافع عن ابن عمر ، قال الجدال في الحج السباب والمنازعة وكذا روى ابن وهب عن يونس عن نافع أن ابن عمر كان يقول الجدال في الحج السباب والراء والحصومات ، وقال ابن أبي حاتم وروى عن ابن الأثير والحسن وإبراهيم وطائوس ومحمد بن كعب قالوا الجدال للراء : وقال عبدالله بن المبارك عن يحيى بن بشير عن عكرمة (ولا جدال في الحج) والجدال النضب أن تنضب عليك مسلماً إلا أن تستبعت بملوكا فنضبت من غير أن تضربه فلا بأس عليك إن شاء الله (قلت) ولو ضربه لكان جائزاً سائماً . والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حدثنا عبدالله بن إدريس حدثنا محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الأثير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت خرجنا مع رسول الله ﷺ حجاجاً حتى إذا كنا بالبرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست عائشة إلى جنب رسول الله ﷺ وجلست إلى جنب أبي وكانت زمالة أبي بكر وزمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة مع غلام أبي بكر فجلس أبو بكر ينتظره إلى أن يطلع عليه فاطلع وليس معه غيره فقال : أين بسيرك ؟ فقال أنطلقت الباردة ، فقال أبو بكر بغير واحد فضله ، فطلق يضربه ورسول الله ﷺ يتبسم ويقول « انظروا إلى هذا الحرم ما يسع » وهكذا أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن إسحق ومن هذا الحديث حتى بعضهم عن بعض السلف أنه قال من تمام الحج ضرب الجبال ولكن يستغفر من قول النبي ﷺ عن أبي بكر رضي الله عنه « انظروا إلى هذا الحرم ما يسع » كهيئة الانسكار اللطيف أن الأولى ترك ذلك واقدهم .

وقد قال الإمام عبد بن حميد في مسنده حدثنا عبدالله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيد الله عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قضى نسكه وسلم للسلون من لسانه وبده غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وقوله (وما تضلوا من خير يلهي الله) لما نهام عن إتيان القسيح قولاً وفعلاً حثهم على فعل الجليل وأخبرهم أنه عالمهم وسيجزئهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة : وقوله (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) قال الموفى عن ابن عباس كان أناس يخرجون من أهلهم ليست معهم أزوجة يقولون نخرج بيت الله ولا يطمعنا ؟ فقال الله تزودوا ما يكف وجوهكم عن الناس . وقال بن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد القرني حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن

عكرمة أن ناسا كانوا يحجون بغير زاد فأُنزل الله (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) وكذا رواه ابن جرير عن عمرو وهو القناس عن ابن عينة قال ابن أبي حاتم : وقد روى هذا الحديث ورفاه عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ، قال وما يرويه عن ابن عينة أصح (قلت) قد رواه النسائي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان بن عينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس كان ناس يحجون بغير زاد فأُنزل الله (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) وأما حديث ورفاه فأخرجه البخاري عن يحيى بن جبر عن شبابة وأخرجه أبو داود عن أبي مسعود أحمد بن الفرات الرازي ومحمد بن عبد الله المخزومي عن شبابة عن ورفاه عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن للتيكولون فأُنزل الله (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) ورواه عبد بن حميد في خصمه عن شبابة . ورواه ابن جبان في صحيحه من حديث شبابة ، وروى ابن جرير وابن مردويه من حديث عمرو بن عبد القفار عن نافع عن ابن عمر قال كانوا إذا أحرموا ومعهم أزوادهم رموا بها ولستأنفوا زادا آخر فأُنزل الله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) فنها عن ذلك وأمروا أن يتزودوا الدقيق والسويق والسمك . وكذا قال ابن الزبير وأبو المالية ومجاهد وعكرمة والثبي والنخعي وسالم بن عبد الله وعطاء الخراساني وثلاثة والرياح بن أنس ومقاتل بن حيان : وقال سعيد بن جبر قزودوا الدقيق والسويق والسمك . وقال وكيع بن الجراح في خصمه حدثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبر (وتزودوا) قال الخشكناج والسويق وقال وكيع أيضا حدثنا إبراهيم السكي عن ابن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن عمر قال إن من كرم الرجل طيب زاده في السفر وزاد فيه حماد بن سلمة عن أبي ربحانة أن ابن عمر كان يشترط على من صحبه الجوده١

وقوله (فإن خير الزاد التقوى) لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى اليها كما قال (ورشاً وليأس التقوى ذلك خير) لما ذكر اللباس الحسى به مرشدا إلى اللباس للنوى وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكر أنه خير من هذا وأضع قال عطاء الخراساني في قوله (فإن خير الزاد التقوى) يني زاد الآخرة . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبيد بن حماد حدثنا هشام بن حمار حدثنا مروان بن معاوية عن إسماعيل عن قيس عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يزود في الدنيا بنفمه في الآخرة » وقال مقاتل بن حيان لما نزلت هذه الآية (وتزودوا) قام رجل من قراء السليين فقال يا رسول الله ما نجد ما نزوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تزودوا ما تكف به وجهك عن الناس وخير ما تزودون التقوى » رواه ابن أبي حاتم وقوله (واخزون يا أولى الألباب) يقول واخزون عتاق ونسكالي وعدائي لمن خالفني ولم يأمر بأمرى ياذي القول والأنعام .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَوْمٍ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

قال البخاري حدثنا محمد أخبرني ابن عينة عن عمرو عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذوالحجاز أسواقا في الجاهلية فتأتوا أن يتجروا في اللوسم فزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج . وهكذا رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وغير واحد عن سفيان بن عينة وبلعضم فلما جاء الاسلام تأتمروا أن يتجروا فسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأُنزل الله هذه الآية وكذا رواه ابن جرير عن عمرو ابن دينار عن ابن عباس قال كان مشجر الناس في الجاهلية عكاظ ومجنة وذوالحجاز فلما كان الاسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت هذه الآية وروى أبو داود وغيره من حديث يزيد بن أبي زياد . عن مجاهد عن ابن عباس قال . كانوا يتقون البيوع والتجارة في اللوسم والحج يقولون أيام ذكر فأُنزل الله (ليس جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)

وقال ابن جرير . حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشام أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه قال (ليس عليكم جناح أن تبتنوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبهذه وهكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال وكيع . حدثنا طلحة بن عمرو المضرعي عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ (ليس عليكم جناح أن تبتنوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج وقال عبد الرحمن عن ابن عينة عن عبد الله بن أبي يزيد . سمعت ابن الزبير يقرأ (ليس عليكم جناح أن تبتنوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج وهكذا فسرها مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومنصور بن الضمر وقائدة وإبراهيم النخعي والريث بن أنس وغيرهم . وقال ابن جرير . حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا شبابة بن سوار حدثنا شعبه عن أبي أمية قال . سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحج ومعه تجارة فقرأ ابن عمر (ليس عليكم جناح أن تبتنوا فضلا من ربكم) وهذا موقوف وهو قوي جيد . وقد روى مرفوعا قال أحمد حدثنا أسباط حدثنا الحسن بن عمرو التميمي عن أبي أمامة التيمي قال . قلت لابن عمر إنا نكرى فهل لنا من حج ؟ قال أليس تطوفون بالبيت وتأتون المرف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم قال قلنا بلى فقال ابن عمر جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني فريجه حتى نزل عليه جبرائيل بهذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتنوا فضلا من ربكم) فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أتم حجاج » وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن العلاء بن السائب عن رجل من بني نعيم قال . جاء رجل إلى عبد الله بن عمر فقال . يا أبا عبد الرحمن إنا قوم نكرى ويزعمون أنه ليس لنا حج قال ألسنتم تحرمون كما تحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون قال . بلى قال فأت حجاج ثم قال ابن عمر . جاء رسول إلى النبي ﷺ فسأله عما سألت عنه فأنزلت هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتنوا فضلا من ربكم) ورواه عبد ابن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق به . وهكذا روى هذا الحديث أبو حذيفة عن الثوري مرفوعا وهكذا روى من غير هذا الوجه مرفوعا فقال ابن أبي حاتم . حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد بن العوام عن العلاء بن السائب عن أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر : إنا أناس نكرى في هذا الوجه إلى مكة وإن أناسا يزعمون أنه لا حج لنا فهل نرى لنا حجا ؟ قال ألسنتم تحرمون وتطوفون بالبيت وتحضون التماسك قال : قلت بلى . قال « فأتتم حجاج » ثم قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألت فلم يدر ما يقول عليه أو قال . فلم يدر عليه شيئا حتى نزلت (ليس عليكم جناح أن تبتنوا فضلا من ربكم) فدعا الرجل ففلاها عليه وقال « أتم حجاج » وكذا رواه مسعود بن سعد وعبد الواحد بن زياد وشريك القاضي عن العلاء بن السائب مرفوعا . وقال ابن جرير . حدثني طليق بن محمد الواسطي حدثنا أسباط هو ابن محمد أخبرنا الحسن بن عمر وهو التميمي عن أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر إنا قوم نكرى فهل لنا من حج ؟ فقال : أليس تطوفون بالبيت وتأتون المرف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم ؟ قلنا بلى . قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه فليدر ما يقول له حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتنوا فضلا من ربكم) إلى آخر الآية . وقال النبي ﷺ « أتم حجاج » وقال ابن جرير حدثني أحمد ابن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا غندر عن عبد الرحمن بن المهاجر عن أبي صالح مولى عمر قال . قلت يا أمير المؤمنين كنتم تتجرون في الحج ؟ قال . وهل كانت معايشهم إلا في الحج ؟

وقوله تعالى (فإذا أنفتم من عرفات فاذكروا الله عند الشعر الحرام) إنما صرف عرفات وإن كان علما على مؤث لأنه في الأصل جمع كسلمات ومؤنات يمي به بقعة معينة فروعى فيه الأصل فصرف اختاره ابن جرير وعرفة موضع الوقوف في الحج وهي عمدة أفعال الحج ولهذا روى الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح عن الثوري عن بكير عن عطاء عن عبد الرحمن بن يسم الجيلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « الحج عرفات - ثلاثا - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك . وأيام منى ثلاثة فمن تبجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ووقت الوقوف من الزوال يوم عرفة إلى طلوع النجرات الثاني من يوم النحر لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف

في حبة الوداع بعد أن صلى الظهر إلى أن غربت الشمس وقال : « لتأخذوا عني مناسككم » وقال في هذا الحديث « فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر قد أدرك » وهذا من ذهب مالك وأبي حنيفة والثاني رحمه الله وذهب الإمام أحمد إلى أن وقت الوقوف من أول يوم عرفة واحتجوا بحديث الشعبي عن عروة بن مفرس بن حارثة بن لام الطائي قال : أتيت رسول الله ﷺ بالزدلفة حين خرج إلى الصلاة فقلت يا رسول الله إني جئت من جبل طي* أكلت راحتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل إلا وقتت عليه فهل لي من حج ؟ قال رسول الله ﷺ « من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى تدفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى نفيه » رواه الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي ثم قيل إنما سميت عرفات لما رواه عبد الرزاق أخبرني ابن جريج قال : قال ابن المسيب قال علي بن أبي طالب بعث الله جبريل عليه السلام إلى إبراهيم ﷺ نحيج به حتى إذا أتى عرفة قال عرفتك وكان قد أتاهها مرة قبل ذلك فلذلك سميت عرفة وقال ابن المبارك عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال : إنما سميت عرفة أن جبريل كان يرى إبراهيم للناس فيقول عرفتك فسميت عرفات وروى نحوه عن ابن عباس وابن عمر وأبي جابر فأنه أعلم وتسمى عرفات للشعر الحرام وللشعر الأقصى وإلا لعل وزن هلال ويقال للجليل في وسطها جبل الرحمة قال أبو طالب في قصيدته المشهورة .

والشعر الأقصى إذا قصدوا له • إلا إلى تلك الشراج القوابل • وقال ابن أبي حاتم . حدثنا حماد بن الحسن بن عيينة حدثنا أبو عامر عن زمة هو ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يتفنون بعرفة حتى إذا كانت الشمس على ردوس الجبال كأنها المأمن على ردوس الرجال دفقوا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدفعة من عرفة حتى غربت الشمس ورواه ابن مردويه من حديث زمة بن صالح وزاد ثم وقف بالزدلفة وصلى الفجر بغلس حتى إذا أسفر كل شيء وكان في الوقت الآخر دفع وهذا أحسن الإسناد وقال ابن جريج عن محمد بن قيس عن السور بن حرمة قال . خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرفأ فسميت عرفات عليه السلام قال « أما بعد - وكان إذا خطب خطبة قال أما بعد - فإن هذا اليوم الحج الأكبر ألا وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تتيب الشمس إذا كانت الشمس يدفعون من الشعر الحرام بعد أن تطلع الشمس إذا كانت الشمس يدفعون وانا ندفع بعد أن تتيب الشمس وكانوا يدفعون من الشعر الحرام بعد أن تطلع الشمس إذا كانت الشمس يدفعون الجبال كأنها عمائم الرجال في هذا اليوم وأنا ندفع قبل أن تطلع الشمس خلفا هدينا هدى أهل الشرك » هكذا رواه ابن مردويه وهذا لفظه والحاكم في مستدركه كلامه من حديث عبد الرحمن بن المبارك البجلي عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن جريج وقال الحاكم . صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد صح وثبت بما ذكرناه بمبلغ السور من رسول الله ﷺ لا كما يتوهمه رعا أصحابنا أنه ممن له رؤية بسلام ، وقال وكيع عن شعبة عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي عن الرور بن سويد قال . رأيت عمر رضي الله عنه حين دفع من عرفة كأنني أنظر إليه رجل أصلع على يمينه له يوضع وهو يقول إنا وجدنا الإفاضة هي الإضاغ وفي حديث جابر بن عبد الله الطويل الذي في صحيح مسلم قال فيه - فلم يزل واقفا يعني بعرفة حتى غربت الشمس وبدأت الصفرة قليلا حتى غاب القوس وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله ﷺ لا كما يسير الضيق وقد شق للقواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول يده اليمنى « أيها الناس السكينة السكينة » كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فسل بها للرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اطمطج حتى طلع الفجر فسل الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القواء حتى أتى الشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه سئل كيف كان يسير رسول الله ﷺ حين دفع ؟ قال . كان يسير الضيق فإذا وجد فجوة نص . والنقص هو انبساط السير والنقص فوته وقال ابن أبي حاتم . أخبرنا أبو محمد بن بنت الشافعي فها كتب إلى عن أبيه أو عنه عن سفيان بن عيينة قوله (فإذا أقصمت من عرفات فإذا كروا الله عند الشعر الحرام) وهي الصلواتين (١) جميعا وقال أبو إسحق السبيعي عن عمرو بن ميمون سألت عبد الله بن عمرو عن الشعر الحرام فسكت حتى

(١) كذا في الشيخين ولعل أصله جمع الصلوات

إذا هبطت أيدي روحنا بالزلفة قال : أين السائل عن الشعر الحرام ، هذا الشعر الحرام وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم قال : قال ابن عمر . للشعر الحرام الزلفة كلها وقال هشام عن حجاج عن نافع عن ابن عمر أنه سئل عن قوله (فاذكروا لله عند الشعر الحرام) قال : فقال هذا الجبل وما حوله وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الثوري عن إبراهيم قال رآهم بن عمر يزدحمون على قرح قال طي ما (١) يزدحم هؤلاء كل ما هنا مشعر وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والسدي والريعي بن أنس والحسن وقادة أنهم قالوا . هو ما بين الجبلين وقال ابن جرير . قلت لطاء أين الزلفة ؟ قال . إذا أنفت من مأزعي عرفة فذلك إلى عسر قال وليس للأزمان مأزما عرفة من الزلفة ولكن مفضاها قال . قف بينهما إن شئت قال وأحب أن تقف دون قرح هلم إلينا من أجل طريق الناس (قلت) والشاعر هي المالم الظاهرة وإنما سميت للزلفة للشعر الحرام لأنها داخل الحرم وهل الوقوف بهاركن في الحج لا يصح إلا به كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض أصحاب الشافعي منهم القفال وابن خزيمة لحديث عروة بن مفرس . أو واجب كما هو أحد قولي الشافعي يجب بهم ! أو مستحب لا يجب بتركه شيء كما هو القول الآخر ؟ في ذلك ثلاثة أقوال للعلماء لبسطها موضع آخر غير هذا والله أعلم . وقال عبد الله ابن المبارك عن سفيان الثوري عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عرفة كلها موقف وارفعوا عن عرفة وجمع كلها موقف إلا عسرا » هذا حديث مرسل وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو الثوري حدثنا سعيد ابن عبد العزيز حدثني سليمان بن موسى عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال . « كل عرفات موقف وارفعوا عن عرفات وكل مزدلفة موقف وارفعوا عن عسرة وكل فجاج مكة منحر وكل أيام التشريق ذبح » وهذا أيضاً منقطع فإن سليمان بن موسى هذا وهو الأشدق لم يدرك جبير بن مطعم ولكن رواه الوليد بن مسلم وسويد بن عبد العزيز عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال الوليد عن جبير بن مطعم عن أبيه وقال سويد بن جبير عن أبيه عن النبي ﷺ فذكره والله أعلم .

وقوله (واذكروا ما كذاكم) تنبيه لهم على ما أنتم الله به عليهم من الهداية والبيان والإرشاد إلى مشاعر الحج على ما كان عليه من الهداية إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال (وإن كنتم من قبله لمن الضالين) قيل من قبل هذا الهدى وقيل القرآن وقيل الرسول والكل مقارب ومتلازم وصحيح

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

ثم هنا لطف خبر على خبر وترتيبه عليه كأنه تعالى أمر الواقف بمرفات أن يدفع إلى الزلفة لذكر الله عند الشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بمرفات كما كان جمهور الناس يصنعون يقفون بها إلا قريشاً فانهم لم يكونوا يخرجون من الحرم يقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون نحن أهل الله ببلدته وقطان بيته قال البخاري . حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن حازم حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت كان قريش ومن داند فيها يقفون بلزلفة وكانوا يسمون الحس وسائر العرب يقفون بمرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله (من حيث أفاض الناس) وكذا قال ابن عباس ومجاهد وطاء والسدي وغيرهم واختاره ابن جرير وحكى عليه الإجماع . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن مجاهد عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال أشملت بعبراً إلى برفة فنهبت أطليه فانا النبي ﷺ واقف قلت إن هذا من الحس ما شأنه هنا ؟ أخرجه في الصحيحين ثم رواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس ما يقتضي أن الراد بالإفاضة - ههنا هي الإفاضة من الزلفة إلى مقي لرمي الجمار فلهذا أعلم . وحكا ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم فقط . قال وللراد بالناس إبراهيم عليه السلام ، وفي رواية عند الإمام ، قال ابن جرير ولولا إجماع الحجة على خلافه لكان هو الأرجح وقوله (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) كثيراً ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات ولهذا ثبت في صحيح

مكنا في النسخة الأممية ولكن التصحيح حذف ألف للاستغماية إن جرت وأن تكذب مكنا (علام) اه

مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثاً وفي الصحيحين أنه ندب إلى التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين . وقد روى ابن جرير هذا حديث ابن عباس بن مرداس السلي في استغفاره صلى الله عليه وسلم لأمنته عشية عرفة وقد أوردناه في جزء . جمعناه في فضل يوم عرفة وأورد ابن مردويه هذا الحديث الذي رواه البخاري عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ « سيد الاستغفار أن يقول العبد . اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بمعتك على وأبوء بذنبي فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها في ليلة فاته في ليلته دخل الجنة ومن قالها في يومه فاته دخل الجنة » وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن أباً بكر قال يا رسول الله علني دعاء أدعو به في صلاتي فقال « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم » والأحاديث في الاستغفار كثيرة

﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ مَسْئَلَتُكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا بِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ • وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا بِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ • أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء الناسك وفراغها وقوله (كذكركم آباءكم) اخلقوا في معناه فقال ابن جرير عن عطاء هو كقول الصبي أبه أمه يعني كما يلج الصبي بذكر أبيه وأمّه فكذلك أنت طالمجبوا بذكر الله بعد قضاء النساك وكذا قال الضحاك والرياح بن أنس ، وروى ابن جرير عن طريق العوفي عن ابن عباس نحوه . وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس : لأن أهل الجاهلية يفتون في الوسم فيقول الرجل منهم كان أبي يطمع ويحمل الحملات وعمل الديات ليس لهم ذكر غير حمل آبائهم فأنزل الله على محمد ﷺ (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) قال ابن أبي حاتم : وروى السدي عن أنس بن مالك وأبي وائل وعطاء بن أبي رباح في أحد قوله وسعيد بن جبير وعكرمة في أحد رواياته ومجاهد والسدي وعطاء الحارثي والرياح بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب ومقاتل ابن حيان نحوه ذلك ، وهكذا حكاه ابن جرير عن جماعة والله أعلم . والقصود منه الحث على كثرة الذكر لله عز وجل ولهذا كان انتصاب قوله أو أشد ذكراً على التخيير تقديره كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً وأوهنا لتحقيق المائة في الخبر كقوله (فهي كالجارية أو أشد قسوة) وقوله (يخشون الناس خشية الله أو أشد خشية) (فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) (فكان قاب قوسين أو أدنى) فليست هنا للشك قطعاً وإنما هي لتحقيق الخبر عنه كذلك أو أزيد منه ثم إنه تعالى أرشد إلى معناه بعد كثرة ذكره فانه مظنة الإجابة ودم من لا يسأله إلا في أمر دنياه وهو معرض عن آخره فقال (فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) أي من نصيب ولا حظ وتضمن هذا الهم والتنكير عن التشبيه هو كذلك قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الوقف فيقولون اللهم اجعل عام غيث و عام خصب و عام ولاء حسن لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً فأنزل الله فهم (فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق) وكان يجيء بسدوم آخرون من المؤمنين فيقولون (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار) فأنزل الله (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) ولهذا مدح من يسأله الدنيا والآخرة فقال (ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار) فجعلت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فان الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رجة وزوجة حسنة ورزق واسع وعمل نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات التفسيرين ولا منافاة بينها فانها كلها مندرجة

في الجنة في الدنيا . وأما الحسنة في الآخرة فأقل ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة وأما النجاة من النار فهو يقضى بتيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب الحرام والآثام وترك الشبهات والحرام . وقال القاسم أبو عبد الرحمن : من أعطى قلباً شاكراً ولساناً ذاكرةً وجسداً صابراً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وفي عذاب النار . ولهذا وردت السنة بالرغبة في هذا الدماء . فقال البخاري : حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وقال أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب قال : سألت قتادة أنساً أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول « اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه ورواه مسلم وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن شداد يعني أبا جابر قال كنت عند أنس بن مالك فقال له ثابت بن إخوانك يحبون أن تدعو لهم ، فقال « اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وتحدثوا ساعة حتى إذا أرادوا القيام قال يأبى حمزة : إن إخوانك يريدون القيام فادع الله لهم فقال : أتريدون أن أشقق لكم الأمور إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار فقد آتاكم الخير كله وقال أحمد أيضاً حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد صار مثل الفرج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدعو الله بشيء أو تسأله إياه » قال نعم : كنت أتول اللهم ما كنت مماتني به في الآخرة فمجهل لي في الدنيا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطفئه أولاً تستطيعه فبلا قلت (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) قال فبما الله شفاه أقره بإخراجه مسلم فرواه من حديث ابن أبي عدي به . وقال الإمام الشافعي : أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب أنه سمع النبي ﷺ يقول فبا بين ركني بي جمع والركن الأسود (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ورواه الثوري عن ابن جريج كذلك وروى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحو ذلك وفي سننه ضعف والله أعلم وقال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي أخبرنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا سعيد بن سليمان عن عبد الله بن هرم عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مررت على الركن إلا رأيت عليه ملكاً يقول آمين فلذا مررت عليه فقولوا (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) » وقال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو زكريا العنبري حدثنا محمد بن عبد السلام حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا جرير عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إني أجرت نفسي من قوم على أن يحملوني ووضعت لهم من أجرني على أن يدعوني أحج معهم أفجزى ذلك ؟ فقال أنت من الذين قال الله (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّذْذُودَةٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لَيْنِ أَنْتُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنْفَكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

قال ابن عباس : الأيام للمدودات أيام التشريق . والأيام للعلومات أيام العشر وقال عكرمة (وادكروا الله في أيام معدودات) يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات الله أكبر الله أكبر . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا موسى بن علي عن أبيه قال : سمعت عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم عرفه يوم الحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب » وقال أحمد أيضاً . حدثنا هشام أخبرنا

خاله عن أبي الليث عن نبيشة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله »
ورواه مسلم أيضا وتقدم حديث جبير بن مطعم « عرفة كلها موقف وأيام التشريق كلها ذبح » وتقدم أيضا حديث
عبد الرحمن بن يعمر الديلي « وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » وقال ابن
جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم وخالد بن أسلم قال حدثنا هشام عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة أن
رسول الله ﷺ قال « أيام التشريق أيام طعم وذكر الله » وحدثنا خالد بن أسلم حدثنا روح حدثنا صالح حدثني
ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة يظوف في منى
« لا تصوموا هذه الأيام فاتها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وحدثنا يعقوب حدثنا هشام عن سفيان بن
حسين عن الزهري قال بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة فنادى في أيام التشريق فقال « إن هذه أيام
أكل وشرب وذكر الله إلا من كان عليه صوم من هدى » زيادة حسنة ولكن مرسة . وبه قال هشام عن عبد الملك
ابن أبي سليمان عن عمرو بن دينار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جبير بن سحيم فنادى في أيام التشريق
فقال « إن هذه أيام أكل وشرب وذكر الله » وقال هشام عن ابن أبي ليلى عن عطاء عن عائشة قالت : نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم أيام التشريق قال « وحى أيام أكل وشرب وذكر الله » وقال محمد بن إسحق
عن حكيم بن حكيم عن مسعود بن الحكم الزرق عن أمه قالت : لكانت أنظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام يشاء
حق وقف على شعب الأنصار وهو يقول : يا أيها الناس إنها ليست بأيام صيام إنما هي أيام أكل وشرب وذكر
الله . وقال مقسم عن ابن عباس . الأيام للدودات أيام التشريق أربعة أيام يوم النحر وثلاثة بعده ، وروى
عن ابن عمر وابن الزبير وأبي موسى وعطاء ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك وإبراهيم النخعي وعبيد
ابن أبي كثير والحسن وقادة والسدي والزهري والربيع بن أنس والضحاك ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني
ومالك بن أنس وغيرهم مثلك ، وقال علي بن أبي طالب هي ثلاثة يوم النحر ويومان بعده أذبح في أيمن شئت وأضلها
أولها والقول الأول هو المشهور وعليه دل ظاهر الآية الكريمة حيث قال (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن
تأخر فلا إثم عليه) فدل على ثلاثة بعد النحر ويتعلق بقوله (واذكروا الله في أيام معدودات) ذكر الله على الأصحاح
وقد تقدم أن الراجح في ذلك مذهب الشافعي رحمه الله وهو أن وقت الأضحية من يوم النحر إلى آخر أيام التشريق ،
ويتعلق به أيضا الذكر المؤقت خلف الصلوات والطلاق في سائر الأحوال وفي وقت أقوال العلماء أشهرها الذي عليه العمل
أنه من صلاة الصبح يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق وهو آخر النفر الآخر وقد جاء فيه حديث رواه
الدارقطني ولكن لا يصح مرفوعا والله أعلم . وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكبر في قبة فيكبر أهل
السوق بتكبيره حتى ترجع من تكبيرا ويتعلق بذلك أيضا التكبير وذكر الله عند رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق
وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار
لإقامة ذكر الله عز وجل . ولا ذكر الله تعالى النفر الأول والثاني وهو غرق الناس من موسم الحج إلى سائر
الأقاليم والآفاق بعد اجتماعهم في للشاعر والواقف قال (واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون) كما قال (وهو الذي
ذراكم في الأرض وإلى تحشرون) .

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِيبُكَ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَشِّرُهُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَمَوْءَدُّكَ الْغُلَامُ . وَإِذَا تَوَلَّى
سَوَى فِي الْأَرْضِ لِنَفْسِهِ قِيَامًا وَيَبْهَلُكَ الْحَرُثُ وَانْقَلَبَ وَأَلَّهُ لَا يَجِبُ الْفَسَادُ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِأَلْقَمِهِ فَهَبْهُمُ الْجَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلَهُكَ . وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْغَاتٍ وَاللَّهُ زَبُونُ الْبَالِدِ)
قال السدي . نزلت في الأخنس بن شريق التميمي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام وفي بطنه

خلاف ذلك وعن ابن عباس أنها نزلت في نفر من المنافقين تسكلموا في خييب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم فأبذل الله في ذل المنافقين ومدح خييب وأصحابه (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) وقيل بذلك عام في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم وهذا قول قتادة ومجاهد والريث بن أنس وغير واحد وهو الصحيح : وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن القرظي عن نوف وهو البكالي وكان ممن يقرأ الكتب قال إني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل : قوم يختالون على الدنيا بالدين ، ألتهم أحلى من الصل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، يلبسون للناس مسوك الضأن ، وقلوبهم قلوب الدئاب ، يقول الله تعالى : فعلى يجترئون ويفترون حلفت بنفسى لأبعثن عليهم فتنة ترك الحليم فيها حيران ، قال القرظي تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون فوجدتها (ومن الناس من يصيبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه) الآية وحدثني محمد بن أبي مشر أخبرني أبو مشر نجيح قال سمعت سعيدا القبري يذكر محمد بن كعب القرظي فقال سعيد إن في بعض الكتب : إن عبدا ألتهم أحلى من الصل وقلوبهم أمر من الصبر لبسوا للناس مسوك الضأن من اللين ، يجترون الدنيا بالدين . قال الله تعالى : على يجترئون ويفترون ؟ وعزى لأبعثن عليهم فتنة ترك الحليم منهم حيران فقال محمد بن كعب هذا في كتاب الله فقال سعيد وأين هو من كتاب الله قال قول الله (ومن الناس من يصيبك قوله في الحياة الدنيا) الآية فقال سعيد . قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية فقال محمد بن كعب إن الآية نزلت في الرجل ثم تكون عامة بعد وهذا الذي قاله القرظي حسن صحيح . وأما قوله (ويشهد الله على ما في قلبه) فقرأه ابن عيسى (ويشهد الله) بفتح الياء وضم الجلالة (على ما في قلبه) ومعناها أن هذا وإن أظهر لكم الحيل لكن الله يعلم من قلبه الصريح كقوله تعالى (إن أجابكم المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) وقراءة الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة (ويشهد الله على ما في قلبه) ومعناها أنه يظهر للناس الإسلام ويراز الله بما في قلبه من الكفر والتناقى كقوله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) الآية هذا معنى ما رواه ابن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل معناه أنه إذا أظهر للناس الإسلام حلف وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق لسانه وهذا المعنى صحيح ، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وعزه إلى ابن عباس وحكاه عن مجاهد والله أعلم .

وقوله (وهو الله الخصم) الألف في اللغة الأعوج (وتندر به قوما لها) أى عوجا وهكذا المنافق في حال خصوصته يكذب ويوزر عن الحق ولا يستقيم معه بل يفتري ويفسر كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « آفة المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » وقال البخاري . حدثنا قيسة حدثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة ترفعه . قال . « إن أبغض الرجال إلى الله الألف الخصم » قال : وقال عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أبغض الرجال إلى الله الألف الخصم » وهكذا رواه عبد الرزاق عن معمر في قوله (وهو الله الخصم) عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي ﷺ قال « إن أبغض الرجال إلى الله الألف الخصم »

وقوله (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) أى هو أعوج القفال سعى القفال فذلك قوله وهذا فعله ، كلامه كذب ، واعتقاده فاسد ، وأفعاله قبيحة ، والسعى هنا هو الصدا كما قال إخبارا عن فرعون (ثم أدبر يسي ففسد فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذته الله نكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يعنى) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أى اتصدوا واعبدوا تاونس بذلك صلاة الجمعة فإن السعى الحسى إلى الصلاة منه عنه بالنسبة النبوية « إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وأتتم تسعون وأتموها وعليكم السكينة والوقار » فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث وهو محل نماء الزروع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما . وقال مجاهد إذا

سعى في الأرض لإفساد منعه الله القطر فهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد) أى لا يجب من هذه صفته ولا من يصدر منه ذلك .

وقوله (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) أى إذا وعظ هذا الناجر في مقاله وقماله وقيل له اتق الله وانزع عن قولك وقمك وارجع إلى الحق امتنع وأبى وأخذته الحجة والنصب بالإثم أى بسبب ما اغتمل عليه من الآثام وهذه الآية شبهة بقوله تعالى (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا للذكر يكادون يستطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أنا نبشركم بشر من ذلك النار وعددها الله الذين كفروا وبئس اللصير) ولهذا قال في هذه الآية (فحسبه جهنم وبئس المهاد) أى هي كافيته عقوبة في ذلك .

وقوله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) لما أخبر عن الناقضين بصفاتهم الإجمية ذكر صفات المؤمنين الحميدة فقال (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان التهذي وعكرمة وجماعة نزلت في صهيب بن سنان الرومي وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منه الناس أن يهاجر بماله وإن أحب أن يتجر منه ويهاجر فعل فخلص منهم وأعطاهم ماله فأنزل الله فيه هذه الآية فخلقه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له ربح البيع فقال وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذلك فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « ربح البيع صهيب » قال ابن مردويه حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الله بن رسته حدثنا سليمان بن داود حدثنا جعفر بن سليمان الضبي حدثنا عوف عن أبي عثمان التهذي عن صهيب قال لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي ﷺ قالت لي قريش يا صهيب قممت البنا ولا مال لك وتخرج أنت ومالك والله لا يكون ذلك أبداً فقلت لهم أرايتم إن دفعت إليكم مالي تخلون عني ؟ قالوا نعم ، فدفعت إليهم مالي فخلوا عني فخرجت حتى قممت للدينة فبلغ ذلك النبي ﷺ قال « ربح صهيب ربح صهيب » مرتين وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته واتل ما في كتابته ثم قال يا صهيب قريش قد علمت أني من أربماكم رجلاً وأنت والله لاتصلون إلى حتى أرمى بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بين يدي منه شيء ثم أضلوا ما شتم وإن شتمت ذلكم على مالي وقتيت بمكة وخليت سبيل قالوا نعم فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال « ربح البيع » قال ونزلت (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) وأما الأكثرون فعملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن) ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستشروا بينكم الذي يأمركم به وذلك هو الفوز العظيم) ولما حمل هشام بن عامر بين الصقيع أنكر عليه بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلوا هذه الآية (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ • فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَدَلٍ مَا بَلَغَتْكُمْ الْبَيْتَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

يقول الله تعالى آمروا عباده المؤمنين به للصديقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك . قال الصوفي عن ابن عباس ومجاهد وطاوس والشعك وعكرمة وثقافة والسدي وابن زيد في قوله (ادخلوا في السلم) يعني الإسلام وقال الشعك عن ابن عباس وأبو العالية والربيع بن أنس (ادخلوا في السلم) يعني الطاعة . وقال ثقافة أيضاً الوادة وقوله (كافة) قال ابن عباس ومجاهد

وأبو العالية وعكرمة والريبع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وقنادة والضحاك جميعا ، وقال مجاهد أي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه ثلث .

وزعم عكرمة أنها زلت في شر من أسلم من اليهود وغيرهم كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة وطائفة استأذنوا رسول الله ﷺ في أن يستبوا وأن يقوموا بالتوراة لئلا فامرهم الله بإقامة شعائر الإسلام والاشتغال بها عما عداها وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر إذ يعد أن يستأذن في إقامة السبت وهو مع تمام إيمانه يتحقق نسخه ورفع وبطلانه والتوضيح عنه بأعياد الإسلام .

ومن المفسرين من يجعل قوله (كافة) حالا من الله اخلين أي ادخلوا في الإسلام كلهم والصحيح الأول وهو أنهم أمروا كلهم أن يصلوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام وهي كثيرة جدا ما استطاعوا منها كما قال ابن أبي حاتم أخبرنا علي بن الحسين أخبرنا أحمد بن الصلاح أخبرني الميموني بن بيان حدثنا إسحاق بن زكريا حدثني محمد بن عون عن عكرمة عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) كذا قرأها بالنصب حتى مؤمن أهل الكتاب فانهم كانوا مع الإيمان بالله مستمسكين ببعض أمور التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم فقال الله (ادخلوا في السلم كافة) يقول ادخلوا في شرائع دين محمد ﷺ ولا تدعوا منها شيئا وحسبكم الإيمان بالتوراة وما فيها . وقوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي اعملوا بالطاعات واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان فإنا يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) و (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) ، ولهذا قال (إنه لكم عذوبين) : قاله مطرف : أغشى عبادة الله لعبد الله الشيطان ؟ وقوله (فإن زلتم من بعد ما جاءكم اليينات) أي عدلتن عن الحق بعد ما قامت عليكم الحجج فاعلموا أن الله عزز أي في انتقامه لاغوته هارب ولا يثلبه غالب حكيم في أحكامه ونهضه وإبرامه ولهذا قال أبو العالية وقنادة والريبع بن أنس : عزز في قسمة حكيم في أمره وقال محمد بن إسحق : العز في نصره عن كفر به إذا شاء الحكيم في قدره وحجته إلى عباده .

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)

يقول تعالى مهديا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين فيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولهذا قال تعالى (وقضى الأمر إلى الله ترجع الأمور) كما قال الله تعالى (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا • وجاء ربك والملك صفا صفا • وسجى يومئذ بجهنم يومئذ يذكّر الإنسان وأنى له الذكرى) وقال (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الآية . وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير ههنا حديث الصور بطوله من أوله عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب السانيد وغيرهم وفيه - أن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدا واحدا من آدم فمن بعده فكلمهم بعيد عنها حتى يتهاوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا جاءوا إليه قال « أنا لها أنا لها » فيذهب فيسجد لله تحت العرش ويضع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة وينزل حملة العرش والمكروبيون قال وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسميهم يقولون : سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان الهى الذى لا يموت ، سبحان الذى يبيت الخلائق ولا يموت ، سبحان قدوس رب الملائكة والروح ، سبحان قدوس سبحان ربنا الأعلى ، سبحان ذي السلطان والعظمة سبحان سبحان أبدا أبدا . وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه ههنا أحاديث فيها غرابة والله أعلم . فيها ما رواه من حديث التتال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله بن ميسرة عن مسروق عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الأولين

والآخرين لمقات يوم معلوم قياما خاصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء ونزل الله في ظلم من التهام من العرش إلى الكرسي » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن عطاء بن مقدم حدثنا معتمر بن سليمان سمعت عبد الجليل القيسي يحدث عن عبد الله بن عمرو (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلم من التهام) الآية . قال يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة ولله فصوص للام في تلك الظلمة سوتا تنخلع له القلوب . قال : وحدثنا أبو حاتم محمد بن الزبير المصنف حدثنا الوليد قال . سألت زهير بن محمد عن قول الله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلم من التهام) قال . ظلم من التهام منظوم من اليقوت مكلل بالجواهر والبرجد وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في ظلم من التهام قال . هو غير السحاب ولم يكن قط إلا لئله إسرائيل في تبهم حين تاهوا وقال : أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية . (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلم من التهام ولللائكة) يقول ولللائكة يمشون في ظلم من التهام والله تعالى يحيى فيها يشاء وهي في بعض القرعات (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ولللائكة في ظلم من التهام) وهي كقوله (ويوم تشقق السماء بالنهار ونزل الللائكة تنزيلا)

﴿ سَلِّ يَا إِسْرَآئِيلُ كَلِمَةً وَأَتَيْنَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْخَيْرُ أَلَدُنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

يقول تعالى خبراً عن بني إسرائيل كم شاهدوا مع موسى من آية بينة أي حجة قاطعة بصدقه فيما جاءهم به كيداً وعصاه وقلقه البحر وضربه الحجر وما كان من تضليل التهام عليهم في شدة الحر ومن إزال للن والساوى وغير ذلك من الآيات الدالات على وجود الفاعل المختار وصدق من جرت هذه الحوارق على يديه ومع هذا أعرض كثير منهم عنها وبدلوا نعمة الله كفرأ أي استبدلوا بالإيمان بها الكفر بها والأعراض عنها (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جآته فان الله شديد العقاب) كما قال تعالى إخباراً عن كفار قريش (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار) جهنم يصلونها وبس القرار) ثم أخبر تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رضوا بها وأطمأنوا إليها وجمعوا الأموال ومنعوها عن مصارفها التي أمروا بها مما رضى الله عنهم وسخروا من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها وأفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربه وبدلوه ابتغاء وجه الله فلها فازوا بالمقام الأسمد والحظ الأوفر يوم معادهم فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنصرهم ومسيرهم وأوامهم فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين وخلد أولئك في الدركات في أسفل سافلين ؟ ولهذا قال تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي يرزق من يشاء من خلقه ويطهه عطاء كثيراً جزيلاً بلا حصر ولا تعداد في الدنيا والآخرة كما جاء في الحديث « ابن آدم أشق أشق عليك » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أتق بلاء ولا تخف من ذي العرش إقلالا » وقال تعالى (وما أنتمم من شيء فهو يخلفه) وفي الصحيح « أن ملكين يزلان من السماء صبيحة كل يوم فيقول أحدهما اللهم أعط متقاً خلاقاً ويقول الآخر . اللهم أعط ممكاً تلفاً » وفي الصحيح « يقول ابن آدم . مالي مالي . وهل لك من مال إلا ما أكلت فأنتن وبالبست فألبت وما تصدقت فأمنيت وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس » وفي مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولما يجمع من لا عقل له »

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأُزِّلَ عَنْهُمْ الْكِتَابَ فَأَلْفَوْا لَبِئْسَ لِنَاسٍ آتَايَا مَا أَخْلَقُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا سَيُفْهَى اللَّهُ الَّذِينَ

«أَمُونُوا لِيَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ آلْحَقِّ يَإِذْنَهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

قال ابن جرير . حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان بين نوح وأدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلَفوا فبعث الله التبيين مبشرين ومنذرين قال . وكذلك هي في قراءة عبد الله (كان الناس أمة واحدة فاختلَفوا) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث بنابر عن محمد بن بشار ثم قال . صحيح الإسناد ولم يخرجاه وكذا روى أبو جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرأها (كان الناس أمة واحدة فاختلَفوا فبعث الله التبيين مبشرين ومنذرين) وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (كان الناس أمة واحدة) قال . كانوا على الهدى جميعاً (فاختلَفوا فبعث الله التبيين) فكان أول من بعث نوحا . وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس أولا . وقال الموفى عن ابن عباس (كان الناس أمة واحدة) يقول . كانوا كفارا (فبعث الله التبيين مبشرين ومنذرين) والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ولهذا قال تعالى (وأزول معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بينا بينهم) أي من بعد ما قامت الحجج عليهم وما حملهم على ذلك إلا البنى من بعدهم على بسن (فهدى الله الدين آمنوا لا اختلفوا فيه من الحق يَإِذْنَهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله (فهدى الله الدين آمنوا لا اختلفوا فيه من الحق يَإِذْنَهُ) الآية قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذان الله لا اختلفوا فيه من الحق يَإِذْنَهُ فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهذان الله لا فائس لنا فيه تبع فذا اليهود وبعدهم غدا للنصارى» ثم روى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة . وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله (فهدى الله الدين آمنوا لا اختلفوا فيه من الحق يَإِذْنَهُ) فاختلَفوا في يوم الجمعة فدخلوا اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد فهدى الله أمة محمد (ﷺ) ليوم الجمعة واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى للشرق واليهود بيت القدس فهدى الله أمة محمد القبلة واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع ومنهم من يسلم ومنهم من يسلم وهو يمشي فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك واختلفوا في الصيام فمنهم من يصوم بعض النهار ومنهم من يصوم عن بعض الطعام فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك واختلفوا في إبراهيم عليه السلام فقالت اليهود كان يهودياً وقالت النصارى كان نصرياً وجعله الله حنيفاً مسلماً فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك واختلفوا في عيسى عليه السلام فكلدت به اليهود وقالوا أنه بهتاناً عظيماً وجعلته النصارى إلهاً وولداً وجعلته روحه وكلته فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم للحق من ذلك وقال الربيع بن أنس في قوله (فهدى الله الدين آمنوا لا اختلفوا فيه من الحق يَإِذْنَهُ) أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جادبت به الرسل قبل الاختلاف أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فآلفوا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف وأعزوا الاختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شيب وآل فرعون أن رسولهم قد بلغهم وأنهم قد كذبوا ورسلمهم وفي قراءة أبي بن كعب وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وكان أبو العالية يقول في هذه الآية المخرج من الضلالت والفتن

وقوله (يَإِذْنَهُ) أي بملهمهم وبما هداهم له قاله ابن جرير (والله يهدي من يشاء) أي من خلقه (إلى صراط مستقيم) أي وله الحكمة والحجة الباقية وفي صحيح البخارى ومسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قام من الليل يسلم يقول . «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة

أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون لهدى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » وفي الدعاء للأتور « اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل واجعلنا للدين إماما »

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْهُمُ الْأَسَافَةِ وَالْغُرَاهِ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

يقول تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) قبل أن تتلوا وتختبروا وتمتحنوا كما فصل بالدين من قبلكم من الأمم ولهذا قال (ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسهم البأساء والضراء) وهي الأمراض والألأم وللصائب والنواب . قال ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير ومرة الحمداني والحسن وقادة والضحاك والربيع والسدي ومقاتل بن حيان (البأساء) الفقر (والضراء) السقم (وزلوا) خوفوا من الأعداء زلزالا شديداً وامتحنوا امتحاناً عظيماً كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال : قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال « إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع الليث على مفرق رأسه فيخلص إلى قديمه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين ظهره وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه » ثم قال « والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والدين على غنمه ولكنكم قوم تستجلبون » وقال الله تعالى (ألم) . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله تعالى عنهم في يوم الأحزاب كما قال الله تعالى (إذ جاءكم من فوقكم من فوجكم ومن آفستكم) وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا « هنا لك ابتي المؤمنين وزلوا وزلوا لا شديداً » وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) الآيات . ولما سأل هرقل أبا سفيان هل قاتلتموه قال : نعم . قال فكيف كانت الحرب بينكم ؟ قال سجالا يدال علينا ونдал عليه قال : كذلك الرسل يتولى ثم تكون لها العاقبة . وقوله (مثل الذين خلوا من قبلكم) أي ستمكم كما قال تعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين) وقوله (وزلوا حتى يقول الرسل والذين آمنوا معه متى نصر الله) أي يستفتحون على أعدائهم ويدعون قرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة ، قال الله تعالى (ألا إن نصر الله قريب) كما قال (فان مع الصر يسراً إن مع الصر يسراً) وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها ولهذا قال (ألا إن نصر الله قريب) وفي حديث أبي رزین « عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيظه فينظر إليهم فتبين فيظن يضحك يعلم أن فرجهم قريب » الحديث

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَفْقَحْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الْإِقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَقَمَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

قال مقاتل بن حيان : هذه الآية في حق التطوع . وقال السدي : نسختها الزكاة وفيه نظر ومعنى الآية . يسألونك كيف تنفقون ؟ قاله ابن عباس ومجاهد فين لم تعالى ذلك فقال (قل ما أفقحت من خير فلول الدين والأقربين واليتامى والسالكين وأبن السبيل) أي اصرفوها في هذه الوجوه . كما جاء الحديث « أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » وتلاميذ بن مهران هذه الآية ثم قال . هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طيلاً ولا مزاراً ولا تصاور الحبش ولا كسوة الحيطان . ثم قال تعالى (وما تعلموا من خير فإن الله به عليم) أي مهما صدر منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيبزيكم على ذلك أوفر الجزاء فإنه لا ينظم أحداً مثقال ذرة

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الإسلام وقال الزهري : الجهاد واجب على كل أحد غزا أو قعدا لقاعد عليه إذا استعين أن يمين وإذا استعيت أن ينيث وإذا استغفر أن يفر وإن لم يخرج إليه قعد (قلت) ولهذا ثبت في الصحيح « من مات ولم يفر ولم يحدث نفسه بالفزوات ميتة جاهلية » وقال عليه السلام يوم الفتح « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استغفرتم فانفروا » وقوله (وهو كره لكم) أي شديد عليكم ومشقة وهو كذلك فإنه لما أن قتل أو يجرى مع مشقة السفر وبجالة الأعداء . ثم قال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) أي لأن القتال يقيه الضر والظفر على الأعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم وذرياتهم وأولادهم (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهذا عام في الأمور كلها قد يجب الرء شيئا وليس له فيه خيرة ولا مصلحة ومن ذلك القعود عن القتال قد يقيه استيلاء العدو على البلاد والحكم . ثم قال تعالى (والله يعلم وأنت لا تعلمون) أي هو أعلم بواقب الأمور منكم وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم فاستجيبوا له واحذروا لأمره لحكم ترعدون

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالسَّبْحُ لِلْحَرَامِ وَالْإِجْرَاجُ أَهْلُهُ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَزِيدَ كُفْرُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَزِيدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَبَّحُوا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ طَائِفًا لِّأُولَئِكَ مَا لَكُمْ مِنْ دِينٍ وَلَا آخِرَةٍ وَلَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر القدي حدثنا الثعلبي عن سلمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بث رهطا وبث عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما ذهب ينطلق بكى صابئة إلى رسول الله ﷺ فحبه فبث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال « لا تكرهن أحدا على السير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : مما وطاعة لله ورسوله فخيرهم الحمر وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلا وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى قال الشراكون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام فأنزله الله (يستلثونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية : وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود (يستلثونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي وفهم عمار ابن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان السلمي حليف لبي نوفل وسهيل ابن يشاء وطامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله البربوعي حليف لعمرو بن الخطاب وكتب لابن جحش كتابا وأمره أن لا يقرأ حتى ينزل بطن نخلة فلما نزل بطن نخلة قال الكتاب فاذا فيه « أن سر حتى تنزل بطن نخلة » قال لأصحابه من كان يريد الموت فليعض ويلبوس فأتى موسى وماس لأمر رسول الله ﷺ فصار فخلف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة أسرا راحلة لما فخلقا بطنها وسار ابن جحش إلى بطن نخلة فاذا هو بالحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن

الثيرة واقتل عمرو قتله واقد بن عبد الله فكانت أولى غنيمة غنمها أصحاب رسول الله ﷺ فلما رجعوا إلى المدينة بأسيرين وما أصابوا من المال أراد أهل مكة أن ينادوا الأسيرين عليه للشركون^(١) وقالوا إن محمدا يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب فقال للسلون إنما قتناه في جمادى وقتل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى وعهد للسلون سيوفهم حين دخل شهر رجب وأنزل الله بغير أهل مكة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) لا يعلل وما صنعتم أتم يا معشر الشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام حين كفرتم بالله وصددتم عن محمد ﷺ وأصحابه وإخراج أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمدا ﷺ وأصحابه أكبر من القتل عند الله.

وقال الموقى عن ابن عباس (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن الشركين صدوا رسول الله ﷺ وردوه عن المسجد في شهر حرام قال ففتح الله على نبيه في شهر حرام من العام القبل فغاب للشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال في شهر حرام فقال الله (وصد عن سبيل الله وكفر به وللشجر الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) من القتال فيه وأن محمدا صلى الله عليه وسلم بث سريه فقتلوا عمرو بن الحضرمي وهو مقبل من الطائف في آخر ليلة من جمادى وأول ليلة من رجب وأن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يظنون أن تلك الليلة من جمادى وكانت أول رجب ولم يشعروا بقتله رجل منهم وأخذوا ما كان معه وأن الشركين أرسلوا يبيرونه بذلك فقال الله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به وللشجر الحرام وإخراج أهله منه) إخراج أهل المسجد الحرام أكبر من الذي أصاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والشرك أشد منه وهكذا روى أبو سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في سرية عبد الله بن جعش وقتل عمرو ابن الحضرمي وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن السائب الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزل فيما كان من مصاب عمرو بن الحضرمي (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) إلى آخر الآية وقال عبد الملك بن هشام رأى السيرة عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق بن يسار للذي رحمه الله في كتاب السيرة له أنه قال وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جعش بن رباب الأسدي في رجب مقلعه من بدر الأولى وبث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي كما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا وكان أصحاب عبد الله بن جعش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد قيس بن عبد مناف ومن حلفائهم عبد الله بن جعش وهو أمير القوم وعكاشة بن محسن أحد بني أسد بن خزيمه حليف لهم ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم ومن بني زهرة ابن كلاب سعد بن أبي وقاص ومن بني كعب عدى بن عامر بن ربيعة حليف لهم من غير ابن وائل وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرس بن ثعلبة بن ربوع أحد بني تميم حليف لهم وختان بن الكبير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم ومن بني الحارث بن فهر سويل بن يضاء فلما سار عبد الله بن جعش يومين فتح الكتاب فنظر فإذا فيه (إذا نظرت في كتابي في هذا فامض حتى تتزل نخلة بين مكة والطائف ترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جعش الكتاب قال (سمما وطاعة ثم قال لأصحابه (قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أمضي إلى نخلة أرسد بها قريشا حتى آتيه منهم خبر وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم فريد الشهادة وبرغبها فليطلق ومن كره ذلك فليرجع فاما أنا فامض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد فسلك على الجواز حتى إذا كان بعدد فوق الفرع قال له نجران أحسل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان يبينان لها كانا يتخلفا فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جعش وبتة أصحابه حتى نزل نخلة فمرت به غير قريش تحمل زينا وأدما وتجارة وتجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عبد أحد السدفي وعغان بن عبد الله بن الثيرة وأخوه نوفل بن عبد الله الخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن الثيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا

(١) قوله أن ينادوا الأسيرين عليه المرمكون كذا بالنسخ التي يأيدنا وفيما سقط بين الأسيرين وبين عليا لم يعلم من سياق القصة فليحذر.

قريبا منهم فأشرف لهم عكاشة بن حصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه آمنوا وقالوا : عمار لا بأس عليكم منهم وتناور القوم فهم وذلك في آخر يوم من رجب قال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليقتلن منكم ولئن قتلتموهن لقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ مامعهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأثر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأقلت القوم نوئل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة قال ابن إسحق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخس وذلك قبل أن يرضى الله الخس من الغنائم فعزل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه قال ابن إسحق : فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : « ما أمرتكم بتال في الشهر الحرام » فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط أبدا القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنهم إخوانهم من المسلمين فبا صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين من كان بكفة إنما أسابوا ما أسابوا في شعبان وقالت اليهود ضاموا بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتلوا واد بن عبد الله . عمرو، عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد بن عبد الله وقدت الحرب، فبصل الله عليهم ذلك لاهم فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله ﷺ (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به وللمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والقتلة أكبر من القتل) أي إن كنتم تقاتلون في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأثم أهله (أكبر عند الله) من قتل من قتلتم منهم (والقتلة أكبر من القتل) أي قد كانوا يفتنون السلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فلذلك أكبر عند الله من القتل (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير ثابتين ولا نازعين قال ابن إسحق : فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشدة قبض رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم العير والأسيرين وبشت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ « لا تهديكموها حتى يقدم صاحبانا » يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليها فإن قتلوها قتل صاحبكم تقدم سعد وعتبة ففداهما رسول الله ﷺ منهم فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فعلق بكفة فثابت بها كافرا قال ابن إسحق . فلما تجمل عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كان حين نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا يارسول الله أنطع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل (إن الذين آمنوا والله ينهاجروا وجهادوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) فوضع الله من ذلك على أعظم الرجاء قال ابن إسحق . والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة وقد روى يونس بن بكير عن محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قريمان هذا السباق وروى موسى بن عتبة عن الزهري قصة نحو ذلك وروى شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن عروة بن الزبير نحو ما من هذا أيضا وفيه فكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين فركب وفد من كفار قريش حتى قدموا على رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا . أبطل القتال في الشهر الحرام ؟ فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام) الآية وقد استقصى ذلك الحافظ أبو بكر البهي في كتاب دلائل النبوة ثم قال ابن هشام عن زيد عن ابن إسحق وقد ذكر عن بعض آل عبد الله أن عبد الله قسم الفتي بين أهله فبصل أربعة أخماسه لمن أوفاه وخمس إلى الله ورسوله فوقع على ما كان عبد الله ابن جحش صنع في تلك العير قال ابن هشام . وهي أول غنيمة غنمها للمسلمون وعمر بن الحضرمي أول من قتل المسلمون وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون قال ابن إسحق : فقال أبو بكر الصديق

رضى الله عنه بغزوة عبدالله بن جحش ويقال بل عبدالله بن جحش قالما حين ذلت قريش قد أحل محمد وأصحابه الشجر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال قال ابن هشام : حى لعبد الله بن جحش .

تعدون قتلا في الحرام عظيمة * وأعلمته لورى الشراشد * مدودكم عما يقول محمد وكفريه والله راء وشاهد * وإخراجكم من مسجد الله أهله * ثلاثرى لله فى البيت ساجد فانا وإن عبرتمونا بقتله * وأرجف لاسانهم بلغ وحشد * سقينا من ابن الحضرمى رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب وائد * دما وابن عبدالله عثان بيننا * ينازعه غل من القيد عائد

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنْ أَنْتُمْ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيمَا إِنْكُمْ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ النَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ شَعْرَيْكَ وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْغَوْ كَذَلِكَ بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فى الدنيا والآخرة وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَسْرِ قُلْ يَصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلَاخُونَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ الْفَيْسِدُ مِنَ الْمَصْلُوحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَسَمَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿

قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي ميسرة عن عمر أنه قال : لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم بين لنا فى الخمر يانا شافيا فنزلت هذه الآية التى فى البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير) فدعى عمر فقرفت عليه فقال : اللهم بين لنا فى الخمر يانا شافيا فنزلت الآية التى فى النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تهرقوا الصلاة وأتم سكرارى) فكان نادى رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى : أن لا يقرن الصلاة سكران فدعى عمر فقرفت عليه فقال : اللهم بين لنا فى الخمر يانا شافيا فنزلت الآية التى فى المائدة فدعى عمر فقرفت عليه فلما بلغ (فهل أنتم متهونون ؟) قال عمر انتبهنا انتبهنا . وهكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى من طريق عن إسرائيل عن أبي إسحق وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق الثورى عن أبي إسحق عن أبي ميسرة بوجهه عمرو ابن شريحيل الممدانى الكوفى عن عمر وليس له عنه سواه لكن قد قال أبو زرعة لمسمع منه والله أعلم . وكأل على ابن اللذين هذا إسناد صالح صحيح وصححه الترمذى وزاد ابن أبي حاتم بعد قوله انتبهنا انتبهنا تذهب لئال وتذهب العقل ، وسيأتى هذا الحديث أيضا مع ما رواه أحمد من طريق أبي هريرة أيضا عند قوله فى سورة المائدة (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) الآيات بقوله (يسألونك عن الخمر والميسر) أما الخمر فسكا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كل ما خامر العقل كما سيأتى يانه فى سورة المائدة وكذا الميسر وهو القمار .

وقوله (قل فيها إثم كبير ومنافع الناس) أما إثمهما فهو فى الدين وأما النافع فدنوية من حيث إن فيها شع البدن ونهضهم الطعام وإخراج الفضلات وتشجذ بعض الأذهان وثقة الشدة المطربة التى فيها كما قال حسان بن ثابت فى جاهليته وتخيرها فتتركنا ملوكا * وأسدا لا يهتبنها القاء

وكذا يميها والاتضاع بشمها وما كان يمشه بعضهم من الميسر فينفقه على شسه أو عياله . ولكن هذه المصالح لا توازى مضرتها ومفسدته الراحة لتعلقها بالعقل والدين ولهذا قال الله تعالى (وإثمها أكبر من نفعها) ولهذا كانت هذه الآية ممة لتحريم الخمر على التبات ولم تكن مصرحة بل معرصة ولهذا قال عمر رضى الله عنه لما قرئت عليه : اللهم بين لنا فى الخمر يانا شافيا حتى نزل الصريح بتحريمها فى سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متهونون) وسيأتى الكلام على ذلك فى سورة المائدة

إن شاء الله تعالى وبه الثقة قال ابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إن هذه أول آية نزلت في الحجر (يسألونك عن الحجر والميسر قل فيهما إثم كبير) ثم نزلت الآية التي في سورة النساء ثم نزلت الآية التي في المائدة فحرمت الحجر.

وقوله (ويسألونك ماذا ينفقون قل النفق) قرئ بالنصب وبالرفع وكلاهما حسن متجه قريب قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبان حدثنا يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أبا رسول الله ﷺ قالا يارسول الله إن لنا أرقاء وأهلين من أموالنا فأنزل الله (ويسألونك ماذا ينفقون) وقال الحكم عن مقسم عن ابن عباس (ويسألونك ماذا ينفقون قل النفق) قال ما يفضل عن أهلك وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والقاسم وسالم وعطاء الخراساني والربيع بن أنس وغير واحد أنهم قالوا في قوله (قل النفق) يعني الفضل وعن طاوس اليسر من كل شيء وعن الربيع أيضا أفضل ماله وأطيبه والكل يرجع إلى الفضل. وقال عبد بن حميد في تفسيره . حدثنا هوزة بن خليفة عن عوف عن الحسن في الآية (يسألونك ماذا ينفقون قل النفق) قال ذلك ألا يجهد مالك ثم تعد تسأل الناس ويدل على ذلك ما رواه ابن جرير حدثنا علي بن مسلم حدثنا أبو عاصم عن ابن عجلان عن القبري عن أبي هريرة قال : قال رجل يارسول الله عندي دينار قال « أشقته على نفسك » قال : عندي آخر قال « أشقته على أهلك » قال عندي آخر قال « أشقته على ولدك » قال : عندي آخر قال . « فأنت أبصر » وقدرناه مسلم في صحيحه وأخرجه مسلم أيضا عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لرجل « أبدا بنفسك تصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل شيء عن أهلك فلذئ قربانك فإن فضل عن ذئ قربانك شيء فهلكنا وهكذا » وعنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خير الصدقة ما كان من ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وأبداً بمن تمول » وفي الحديث أيضا « ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تملح على كفاف » ثم قد قيل إنها منسوخة بآية الزكاة كما رواه علي بن أبي طلحة والموثق عن ابن عباس وقالة عطاء الخراساني والسدي وقيل مبنية بآية الزكاة قاله مجاهد وغيره وهو أوجه .

وقوله (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي كما فصل لكم هذه الأحكام وبينها وأوضحها كذلك يبين لكم سائر الآيات في أحكامه ووعدته ووعدكم لتفكرون في الدنيا والآخرة . قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني في ذوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقيائها . وقال بن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي ابن محمد الطنافسي حدثنا أبو أسامة عن الصمقي التميمي قال شهدت الحسن وقرأ هذه الآية من البقرة (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) قاله والله لمن شكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء . ولعل أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وهكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا . وفردوا به عن قتادة فأثروا الآخرة على الأولى .

وقوله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم للقدس من الصلح ولوشاء الله لأعتكم) الآية . قال ابن جرير . حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (ولا تقرّبوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) (وإن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) إنما يكون في بطونهم نارا ويسمّون سميراً) انطلق من كان عنده يتم فبذل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به فبذل يفضل له الشيء من طعامه ليحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأُنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم) فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرا بهم بشراهم . وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن عطاء بن السائب به . وكذا رواه علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وكذا رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود بنكه وهكذا ذكر غير واحد في سبب نزول هذه الآية كمجاهد وعطاء والشعبي وابن أبي ليلى وقتادة وغير واحد من

السلف والخلف قال وكيع بن الجراح : حدثنا هشام صاحب الدستوان عن حماد عن إبراهيم قال : قالت عائشة رضي الله عنها إنى لأكره أن يكون مال اليتيم عندى على حدة حتى أخلط طعامه بطعامى وشرايى بشرائى قوله (قل لإصلاح لهم خير) أى على حدة (وإن تخالطوهم فإخوانكم) أى وإن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرايىكم بشرائىهم فلا بأس عليكم لأتيمهم إخوانكم فى الدين ولهذا قال (والله يعلم القصد من الصلح) أى يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح وقوله (ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) أى ولو شاء الله لضيق عليكم وأحرجكم ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم وأباح لكم مخالطهم بالى هى أحسن قال تعالى (ولا تهربوا مال اليتيم إلى بالى هى أحسن) بل جواز الأكل منه للفقير المعروف إما بشرط ضمان البدل لمن أيسر أو مجاناً كما سيأتى بيانه فى سورة النساء إن شاء الله وبه الثقة

﴿ وَلَا تَسْكَبُوا الْأَشْرِكَ حَتَّىٰ يَؤْمِنَ وَلَكُمْ مَوْئِدَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مَّشْرِكِهِ وَلَا أَعْجِبْكُمْ وَلَا تُنْكِبُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَؤْمِنُوا وَلَعَدَّ الْمُؤْمِنُ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْجِبْكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْرِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا للشركات من عبدة الأولان ثم إن كان عمومها مراداً وأنه يدخل فيها كل مشركة من كناية ووثنية فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله (والمحسنات من الدين أنونا الكتاب من قبلكم إذا أتيتوهن أجورهن محسنين غير مسافحين) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (ولا تيكحوا للشركات حتى يؤمن) استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب وهكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومكحول والحسن والضحاك وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وغيرهم وقيل : بل المراد بذلك للشركون من عبدة الأولان ولم يرد أهل الكتاب بالكيفية وللعنى قرب من الأول والله أعلم . فأما ما رواه ابن جرير حدثنى عبيد بن آدم بن أبى إياس السقلاوى حدثنا أبى حدثنى عبد الحميد بن بهرام القزارى حدثنا شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عباس يقول نهى رسول الله ﷺ عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات وحرم كل ذات دين غير الإسلام . قال الله عز وجل (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) وقد نكح طلحة بن عبد الله يهودية ونكح حذيفة بن الحان نصرانية فنضب عمر بن الخطاب غضباً هديداً حتى م أن يسطو عليهما فقالا : نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تنضب فقال : لأن حل طلاقين لقد حل نكاحين ولكنى أترعهن منكم صفرة لئلا — فهو حديث غريب جداً وهذا الأثر غريب عن عمر أيضاً ، قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله بسند حكايته الإجماع على إباحة تزويج الكنانيات وإنما كره عمر ذلك لئلا يزهى الناس فى السلطات أو لغير ذلك من المعانى كما حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس حدثنا الصلت بن بهرام عن شقيق قال تزوج حذيفة يهودية فكسب إليه عمر . خل سبيلها ، فكسب إليه أترعهم أنها حرام فأخلى سبيلها ١ قال . لا أترعهم أنها حرام ولكنى أخاف أن تماطرو المؤمنات منهن (١) وهذا إسناد صحيح وروى الحلال بن محمد بن إسماعيل عن وكيع عن الصلت نحوه . وقال ابن جرير حدثنى موسى بن عبد الرحمن السروقى حدثنا محمد بن بشر حدثنا سفيان بن سعيد عن يزيد بن أبى زناد عن زيد بن وهب قال . قال عمر بن الخطاب : للسلم تزويج النصرانية ولا يتزوج النصارى للسلمة قال : وهذا أصح إسناداً من الأول ثم قال : وقد حدثنا تميم بن التمر أخيراً إسحق الأزرقى عن شريك عن أشعث بن سوار عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « تزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجن نساءنا » ثم قال وهذا الخبر وإن كان فى إسناده ما فيه فالقول به لا جامع الجميع من الأمة عليه كذا قال ابن جرير رحمه الله وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان عن ميمون بن بهران عن

(١) كذا فى النسخ التى بإيدىنا فعور الرواية اهـ

ابن عمر أنه كره نكاح أهل الكتاب وتأول (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال البخاري : وقال ابن عمر لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول : ربها عيسى وقال أبو بكر الحلال الحنبلي حدثنا محمد بن هرون حدثنا إسحق ابن إبراهيم ح وأخبرني محمد بن علي حدثنا صالح بن أحمد أنهما سألا أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن قول الله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) قال مشركات العرب الذين يبدون الأسماء . وقوله (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) قال السدي : نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء ففصب عليها فاطمها ثم فزع فأتى رسول الله ﷺ فأخبره خبرها فقال له « ما هي ؟ » قال تصوم وتصل وتحنن الوضوء وتشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ﷺ قال « يا أبا عبد الله هذه مؤمنة » فقال والدي بشك بالحق لأعتقها ولأنزوجها ، ففعل ففعلن عليه ناس من المسلمين وقالوا نكح أمته وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى للشركين وينكحهم رغبة في أحسابهم فأنزل الله (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) (ولبيد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) وقال عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا عبد الرحمن بن زياد الأفرنجي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال « لا تنكحوا النساء الحسنن فمسي حسنن أن يردن ولا تنكحهن على أموالهن فمسي أموالهن أن تظنهن وانكحوهن على الدين فلائمة سوداء جرداء ذات دين أفضل » والإفرنجي ضعيف وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « تنكح المرأة لأربع . لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » ولمسلم عن جابر مثله وله عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا للمرأة الصالحة » وقوله (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) أي لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات كما قال تعالى (لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) ثم قال تعالى (ولبيد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) أي ولرجل مؤمن ولو كان عبدا حبشيا خير من مشرك ، وإن كان رئيسا سرا (أولئك يدعون إلى النار) أي معاشرتهم ومخالطتهم يثبت على حب الدنيا واقتنائها وإشراكها على الدار الآخرة وعاقبة ذلك وخيمة (والله يدعو إلى الجنة وللنصرة بإذنه) أي يشرعه وما أمر به وما نهى عنه (وبين الله آياته للناس لعلهم يتذكرون)

﴿ وَيَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْحَيْضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْحَيْضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَرْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُقْبُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا جهماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت (١) فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل (ويستأذنك عن الحيض قل هو أذى فاعزلوا النساء في الحيض ولا تهربوهن حتى يطهرن) حتى فرغ من الآية فقال رسول الله ﷺ « استنوا كل شيء إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهود فقالوا . ما يريد هذا الرجل أن يبع من أمرنا عينا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله إن اليهود قالت كذا وكذا أفلا نجاهن ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما فرجنا فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فأرسل في آثارهما فسقطهما فصرخا أن لم يجد عليهما رواه مسلم من حديث محمد بن زيد بن سلمة قوله (فاعزلوا النساء في الحيض) يعني التفرج بقوله « استنوا كل شيء إلا النكاح » ولهذا ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم إلى أنه يجوز مباشرة الحائض فبا عدا التفرج . قال أبو داود أيضا . حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة عن بعض أزواج النبي ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئا أتى على فرجها ثوبا وقال أبو داود أيضا حدثنا الشعبي حدثنا عبد الله بن عمر بن غانم عن عبد الرحمن بن عمار عن عمار بن

(١) المراد بالجماعة هنا الاجتماع بين لا الرفق وهو الذي الحق واستعمله بالنبي الآخر كناية له

غراب أن حمة له حدثته أنها سألت عائشة قالت : إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها فراش إلا فراش واحد قالت
أخرجك بما صنع رسول الله ﷺ دخل ففضى إلى مسجده قال أبو داود : تقي مسجد بينهما فما انصرف حتى غلبتني عيني
فأوجه البرد فقال : « ادنى مني » قلت إني حائض فقال : « اكثني عن فخذيك » فكشفت فخذى
فوضع خده وصدره على فخذى وحيث عليه حتى دفعه ونام صلى الله عليه وسلم وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا
ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن كتاب أبي قتادة أن مسروقاً ركب إلى عائشة فقال : السلام على النبي
وعلى أهله ، فقالت عائشة مرحباً مرحباً فأذنوا له فدخل : فقال إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي فقالت
إنما أنا أمك وأنت ابني فقال : ما للرجل من امرأته وهي حائض فقالت له : كل شيء إلا فرجها . ورواه أيضاً عن
حميد بن مسعدة عن يزيد بن زريع عن عينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن مروان الأصغر عن مسروق قال قلت
لعائشة ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً ؟ قالت : كل شيء إلا الجماع . وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن
وعكرمة وروى ابن جرير أيضاً عن أبي كريب عن ابن أبي زائدة عن حجاج عن ميمون بن مهران عن عائشة قالت له
ما فوق الإزار (قلت) وحل مغاسلتها ومواكبتها بلا خاف قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني
فأغسل رأسه وأنا حائض وكان يتكلم في حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن وفي الصحيح عنها قالت : كنت أتمرق
الرق (١) وأنا حائض فأعطيه النبي ﷺ فيضع فيه في الوضع الذي وضعت فيه فيه وأشرب الشراب فأناؤه
فيضع فيه في الوضع الذي كنت أشرب منه وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن جابر بن صبح سمعت خلافا
المجمرى قال سمعت عائشة تقول كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشتاء الواحد وأنا حائض طابت فأنأى به
من شيء غسل مكانه لم يده (٢) وإن أأباه - يعني ثوبه - شيء غسل مكانه لم يده صلى الله عليه وسلم فأنأى به ما رواه أبو داود حدثنا
سعيد بن الجبار حدثنا عبد العزيز بن ابن محمد عن أبي الجمان عن أم ذرة عن عائشة أنها قالت كنت إذا حضت نزلت عن
للثال (٣) على الحصر فلم يهرب رسول الله ﷺ ولم تدن منه حتى تطهر فهو محمول على التنزه والاحتياط
- وقال آخرون إنما نحل له مباشرتها فيما عدا ما حرم الإزار كما ثبت في الصحيحين عن ميمونة بنت الحارث الهلالية
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يبشر امرأة من نسائه أمرها فأتت وهي حائض وهذا لفظ البخارى
ولها عن عائشة نحوه وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث العلاء عن حزام بن حكيم عن
عمه عبد الله بن سعد الأنصارى أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتى وهي حائض ؟ قال
« ما فوق الإزار » ولأبي داود أيضاً عن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتى
وهي حائض قال : « ما فوق الإزار والتنف عن ذلك أفضل » وهو رواية عن عائشة كما تقدم وابن عباس وسعيد بن
السيب وشرح فهذه الأحاديث وما شابهها حجة من ذهب إلى أنه يحل ما فوق الإزار منها وهو أحد القولين في مذهب
الشافعى رحمه الله الذي رجحه كثير من العراقيين وغيرهم وأما حرم الفرج فهو حرام ثلاثاً يتوصل إلى تعاطى
ما حرم الله عز وجل الذي أجمع العلماء على تحريمه وهو للبشارة في الفرج ثم من قبل ذلك فقد أُمِّم فيستغفر الله ويتوب
إليه وهل ياتزم مع ذلك كفارة أم لا ؟ فيه قولان (أحدهما) نعم لما رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يأتي امرأته وهي حائض تصدق بدينار أو نصف دينار وفي لفظ للترمذى « إذا
كان ما أحمر فدينار وإن كان كما أصفر نصف دينار » وللإمام أحمد أيضاً عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبل في الحائض تصاب ديناراً فإن أصابها وقد أدرى الله منها ولم تقتل نصف دينار (والقول الثانى) وهو الصحيح
الجديد من مذهب الشافعى وقول الجمهور أنه لا شيء في ذلك بل يستغفر الله عز وجل لأنه لم يصح عندهم رفع هذا
الحديث فإنه قد روى مرفوعاً كما تقدم وموقوفاً وهو الصحيح عند كثير من أئمة الحديث قوله تعالى (ولا تمربوهن
حتى يطهرن) فغير قوله (فاعتزلوا النساء في الحيض) ونهى عن قربانهن بالجماع مادام الحيض موجوداً ومفهومه
حله إذا اشطع قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فيما أملاه في الطاعة وقوله (ويسألونك عن الحيض قل

(١) عرق اللحم وفترقه واعتزله حاوله فيه من العظم (٢) لم يجاوزه (٣) هو الفرائش

هو أدى فاعتزلوا النساء في الخيف ولا تهربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث (الآية الطهر يدل على أن يقربها فلما قالت ميمونه وعائشة كانت إحداها إذا حاضت انزرت ودخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعاره دل ذلك على أنه إنما أراد الجماع

وقوله (فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) فيه نيب وإرشاد إلى غشيانها بعد الاغتسال وذهب ابن حزم إلى وجوب الجماع بعد كل حيفة لقوله (فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) وليس له في ذلك مستند لأن هذا أمر بعد الحظر وفيه أقوال للعلماء الأصول منهم من يقول إنه على الوجوب كالطلاق وهؤلاء يحتاجون إلى جواب ابن حزم ومنهم من يقول إنه للإباحة ويصلون تقدم النبي عليه قرينة صارفة له عن الوجوب وفيه نظر والذي ينهض عليه الدليل أنه يرد عليه الحكم إلى ما كان عليه الأمر قبل النهي فإن كان واجبا فواجب كقوله (فإذا انسلف الأشهر الحرم فأتوا المشركين) أو مباحا فباح كقوله (وإذا حلتم فاصطادوا) (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) وعلى هذا القول تجتمع الأدلة وقد حكاه الزمالي وغيره فاختاره بعض أئمة التأخرين وهو الصحيح وقد اتفق العلماء على أن المرأة إذا انقطع حبضا لا تحمل حتى تقسم بلأه أو تتيم إن تمدد ذلك عليها بشرطه إلا أن أبا حنيفة رحمه الله يقول فبا إذا انقطع معها لأكثر الخيف وهو عشرة أيام عنده إنها تحمل بمجرد الانقطاع ولا تنظر إلى غسل والله أعلم . وقال ابن عباس (حتى يطهرن) أي من الدم (فإذا تطهرن) أي بالماء وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن ومقاتل بن حيان واليث بن سعد وغيرهم

وقوله (من حيث أمركم الله) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني الفرج قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فأتوهن من حيث أمركم الله) يقول في الفرج ولا تمدوه إلى غيره فمن فعل شيئا من ذلك فقد اعتدى وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة (من حيث أمركم الله) أي أن تمتزلهن وفيه دلالة حيثن على تحريم الوطء في الدبر كما سيأتي تقريره قريبا إن شاء الله تعالى وقال أبو رزين وعكرمة والضحاك وغير واحد (فأتوهن من حيث أمركم الله) يعني طاهرات غير خيف ولهذا قال (إن الله يحب المتوازين) أي من الذنب وإن تكرر غشياه (ويجب للتطهرين) أي المتزهي عن الأقذار والأذى وهو ما نهوا عنه من إتيان الخافض أو في غير اللأني

وقوله (نسأؤكم حرث لكم) قال ابن عباس : الحراث موضع الولد (فأتوا حرثكم أي شتم) أي كيف شتم مقبلة ومديرة في صام واحد كما ثبت بذلك الأحاديث قال البخاري : حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابرا قال : كانت اليهود تقول : إذا جامعا من ورائها جاء الولد أحول فنزلت (نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أي شتم) ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان الثوري به وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس وابن جريج وسفيان بن سعيد الثوري أن محمد بن المنكدر حدثهم أن جابر بن عبد الله أخبره أن اليهود قالوا للمسلمين من أتى امرأة وهي مديرة جاء الولد أحول فأنزل الله (نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أي شتم) قال ابن جريج في الحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مقبلة ومديرة إذا كان ذلك في الفرج » وفي حديث يهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أنه قال يا رسول الله : نسأؤنا ما تأتي منها وما نذر قال : « حرثك أمت حرثك أي شمت غير أن لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت » الحديث رواه أحمد وأهل السنن ، حديث آخر قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عامر بن يحيى عن عبد الله بن حنن عن عبد الله بن عباس قال : أتى ناس من حمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوهم عن أشياء فقال له رجل إني أحب النساء فكيف ترى في فأنزل الله (نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أي شتم) ورواه الإمام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثني الحسن بن ثوبان عن عامر بن يحيى القافري عن حنن عن ابن عباس قال : انزلت هذه الآية (نسأؤكم حرث لكم) في أناس من الأنصار أتوا النبي ﷺ فسألوهم فقال النبي ﷺ « أتاهم على كل حال إذا كان في الفرج » (حديث) آخر قال أبو جعفر الطحاوي في كتابه مشكل الحديث

حدثنا أحمد بن داود بن موسى حدثنا يعقوب بن كلب حدثنا عبد الله بن نافع عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً أصاب امرأة في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزله الله (نساءكم حرث لكم) الآية ورواه ابن جرير عن يونس عن يعقوب ورواه الحافظ أبو يعلى اللؤلؤ عن الحارث بن سريج عن عبد الله بن نافع به (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن سابط قال : دخلت على حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فقلت إني لسألك عن أمر وأنا أستحي أن أسألك قالت : فلا تستحي يا ابن أخي قال عن إتيان النساء في أدبارهن قالت : حدثتني أم سلمة أن الأنصار كانوا يجنون النساء وكانت اليهود يقول : إنه من أحي امرأته كان ولده أحوال فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار فأجوبهن فأبت امرأة أن تطيع زوجها وقالت : لن تفعل ذلك حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خلت على أم سلمة فذكرت لها ذلك فقالت : اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استبحت الأنصارية أن تسأل رسول الله ﷺ فخرجت فسأله أم سلمة فقال ادعي « الأنصارية » فدعته فلا عليها هذه الآية (نساءكم حرث لكم فاتوا حرثكم أني شئتم) « صلباً واحداً » ورواه الترمذي عن نندار عن ابن مهدي عن سفيان عن أبي خثيم به وقال حسن (قلت) وقد روى من طريق حماد بن أبي حنيفة عن أبيه عن ابن خثيم عن يوسف ابن ماهك عن حفصة أم المؤمنين أنها قالت : إن زوجي يأتيني بحبيبة ومستقبلة فكرهته ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا بأس إذا كان في صلب واحد » (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا حسن حدثنا يعقوب بن يحيى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال . جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال ما الذي أهلكك ؟ قال حولت رجلى البارحة قال فلم يرد عليه شيئاً قال فأوحى الله إلى رسول الله ﷺ هذه الآية (نساءكم حرث لكم فاتوا حرثكم أني شئتم) « أقبل وأدبر واتق الدبر والحيفة » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن حسن بن موسى الأشيب به وقال حسن غريب وقال الحافظ أبو يعلى . حدثنا الحارث بن سريج حدثنا عبد الله بن نافع حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال . أضر رجل امرأته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا . أضر فلان امرأته فأنزله الله عز وجل (نساءكم حرث لكم فاتوا حرثكم أني شئتم) قال أبو داود . حدثنا عبد المزي بن يحيى أبو الأصم قال حدثني محمد بن أبي سلمة عن محمد بن إسحق عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس قال . إن ابن عمر قال - والله يفره له - أوم وإمما كان هذا الحى من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون كثير^(١) من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحى من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرعون للنساء شرعاً منكراً ويتلذذون بهن مقلات ومدبرات ومستقبلات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت إمّا كنا نؤتى على حرف فاضع ذلك وإلا فاجتنبى فسرى أمرها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (نساءكم حرث لكم فاتوا حرثكم أني شئتم) أى مقلات ومدبرات ومستقبلات يعنى بذلك موضع الولد فنفر به أبو داود وشهد له بالصحة ما تقدم لمن الأحاديث ولا سيما رواية أم سلمة فإنها مشبهة لهذا السياق وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو القاسم الطبراني من طريق محمد بن إسحق عن أبان بن صالح عن مجاهد قال . عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها حتى انتهت إلى هذه الآية (نساءكم حرث لكم فاتوا حرثكم أني شئتم) فقال ابن عباس . إن هذا الحى من قريش كانوا يشرعون للنساء بمكة ويتلذذون بهن فذكر القصة بتمامها وقول ابن عباس إن ابن عمر - والله يفره له - أوم كأنه يشير إلى ما رواه البخاري حدثنا إسحق حدثنا النضر بن سميئيل أخبرنا ابن عوف عن نافع قال كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عنده يوماً قرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان قال - أتندري فيم أنزلت ؟ قلت لا قال : أنزلت في كذا وكذا ثم مضى

وعن عبد الصمد قال: حدثني أبي حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر (فأتوا حرثكم أني شتمتم) قال: أن يأتيها في (١) ؟
هكذا رواه البخاري، وقد خرد به من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علي حدثنا ابن عون عن نافع
قال قرأت ذات يوم (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شتمتم) فقال ابن عمر أندر فيم نزلت ؟ قلت لا قال
نزلت في إتيان النساء في أدبارهن . وحدثني أبو قتادة حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي عن أيوب عن نافع عن
ابن عمر (فأتوا حرثكم أني شتمتم) قال : في الله بر . وروى من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر ولا يصح وروى النسائي عن
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي بكر بن أبي أوس عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أن رجلا أتى امرأته
في دبرها فوجد في نفسه من ذلك وجدا شديدا فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شتمتم) قال أبو حاتم
الرازي . لو كان هذا عند زيد بن أسلم عن ابن عمر لما أولع الناس بنافع وهذا تغليل منه لهذا الحديث وقد رواه عبد الله
ابن نافع عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عمر فذكره وهذا الحديث محمول على ما تقدم
وهو أنه يأتيها في قبلها من دبرها لما رواه النسائي عن طي بن عثمان الثقفي عن سعيد بن عيسى عن الفضل بن فضالة
عبد الله بن سليمان الطويل عن كعب بن علقمة عن أبي النضر أنه أخبره أنه قال لنافع مولى ابن عمر أنه قد أكثر عليك
القول أنك تقول عن ابن عمر إنه أتني أن تؤتي النساء في أدبارهن قال . كذبوا علي ولكن سأحدثك كيف
كان الأمر . إن ابن عمر عرض الصحف يوما وأنا عندهم حتى بلغ (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شتمتم)
فقال يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية ؟ قلت . لا قال . إنا كنا مضطربين نجيء النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا
نساء الأنصار أردنا منهن مثل ما كنا نريد فكأذهن فكرهن ذلك وأعظمهن وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال
اليهود إنما يؤتين على جنوبهن فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شتمتم) وهذا إسناد صحيح وقد رواه
ابن مردويه عن الطبراني عن الحسين بن إسحق عن زكريا بن يحيى الكاتب العمري عن مفضل بن فضالة عن عبد الله بن عباس
عن كعب بن علقمة فذكره وقد روي عن ابن عمر خلاف ذلك صرحا وأنه لا يلح ولا يحل كسائي وإن كان قد نسب هذا
القول إلى طائفة من فقهاء المدينة وغيرهم وعزه يعضهم إلى الإمام مالك في كتاب السر وأكثر الناس ينكر أن يصح ذلك عن
الإمام مالك رحمه الله وقد وردت الأحاديث الروية من طرق متعددة بالرجوع عن فضله وتماطيه فقال الحسن بن عرفة
حدثنا إسماعيل بن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن التيسر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « استحيوا إن الله لا يستحي من الحق لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن » وقال الإمام أحمد . حدثنا عبد الرحمن
حدثنا سفيان عن عبد بن شداد عن خزيمة بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يأتي الرجل امرأته في دبرها (طريق
أخرى) قال أحمد . حدثنا يعقوب سمعت أبي يحدث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد أن عبيد الله بن الحصين الوالي
حدثه أن عبد الله الوافي حدثه أن خزيمة بن ثابت الخطمي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « استحيوا
إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن » ورواه النسائي وابن ماجه من طرق عن خزيمة بن ثابت وفي إسناده
اختلاف كثير (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي والنسائي حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خازم الأحمري عن
الضحاك بن عثمان عن عذمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله
إلى رجل أقرجلا أو امرأة في الدبر » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وهكذا أخرجه ابن حبان في صحيحه
وصححه ابن حزم أيضا ولكن رواه النسائي أيضا عن هناد عن وكيع عن الضحاك به موقوفا . وقال عبد أخبرنا
عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه أن رجلا سأله ابن عباس عن إتيان المرأة في دبرها قال . تسألني عن
الشكر إسناده صحيح وكذا رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن معمر به نحوه وقال عبد أيضا في تفسيره
حدثنا إبراهيم بن الحاكم عن أبيه عن بكرمة قال . جاء رجل إلى ابن عباس وقال . كنت أتني أملي في دبرها وصمت
قول الله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شتمتم فظننت أن ذلك لي حلال فقال . يا لك إنما قولهم فأتوا حرثكم أني شتمتم
قائمة وقاعدة ومبدية في آياتهم لا تمدوا ذلك إلى غيره (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد

(١) لم يذكر المبرور نزعها وهو جائز فلم به وفي نسخة الأزهر قطة في دائرة وهي تصلح إشارة إلى الكلمة السابقة

حدثنا همام حدثنا قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الذي يأتي امرأته في دبرها هي الزانية الصغرى » وقال عبد الله بن أحمد : حدثني هدية حدثنا همام قال : مثل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها قال قتادة أخبرنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هي الزانية الصغرى » قال قتادة وحدثني عقبة بن وساج عن أبي الرداءة قال . وهل يفعل ذلك إلا كافر ؟ وقد روى هذا الحديث يحيى بن سعيد القطان عن سيبين أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله (١) وهذا أصح والله أعلم وكذلك رواه عبد بن حميد عن يزيد بن هرون عن حميد الأعرج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بن عمرو موقوفا من قوله (طريق أخرى) قال جعفر الثوري حدثنا قتيبة حدثنا ابن لمية عن عبد الرحمن بن زياد بن أنس عن أبي عبد الرحمن الجلي عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ويقول ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به والناكح يده وناكح البهيمة وناكح المرأة في دبرها وجامع بين المرأة وابنتها والزاني بحليلة جاره ومؤذي جاره حتى يلصقه » ابن لمية وشيخه ضيفان (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن عاصم عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن علي بن طلق قال نهى رسول الله ﷺ أن تؤتى النساء في أدبارهن فإن الله لا يستحي من الحق ، وأخرجه أحمد أيضا عن أبي معاوية وأبي عيسى الترمذي من طريق أبي معاوية أيضا عن عاصم الأحول به وفيه زيادة وقال : هو حديث حسن ومن الناس من يورد هذا الحديث في مسند علي بن أبي طالب كما وقع في مسند الإمام أحمد بن حنبل والصحيح أنه علي بن طلق (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سويل بن أبي صالح عن الحارث بن عجل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الذي يأتي امرأته في دبرها لا ينظر الله إليه » وقال أحمد أيضا : حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا سويل عن الحارث بن عجل عن أبي هريرة يرضه قال « لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها » وكذا رواه ابن ماجه من طريق سويل ، وقال أحمد أيضا . حدثنا وكيع عن سويل بن أبي صالح عن الحارث بن عجل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ملعون من أتى امرأته في دبرها » وهكذا رواه أبو داود والنسائي من طريق وكيع به « طريق أخرى » قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ، أخبرنا أحمد بن القاسم بن الريان ، حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا هناد ومحمد ابن إسحاق واللفظ له قال : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سويل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ملعون من أتى امرأة في دبرها » ليس هذا الحديث هكذا في سنن النسائي وإنما الذي فيه عن سويل عن الحارث بن عجل كما تقدم : قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي . ورواية أحمد بن القاسم بن الريان هذا الحديث بهذا السند وهم منه وقد ضعفوه (طريق أخرى) رواها مسلم بن خالد الزنجي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ملعون من أتى النساء في أدبارهن » ومسلم بن خالد فيه كلام والله أعلم (طريق أخرى) رواها الإمام أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن حكم الأثرم عن أبي تيمية المجيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » وقال الترمذي ضعف البخاري هذا الحديث والذي قاله البخاري في حكم الترمذي عن أبي تيمية لا يتابع على حديثه (طريق أخرى) قال النسائي . حدثنا عثمان بن عبد الله حدثنا سليمان بن عبد الرحمن من كتابه عن عبد الملك بن محمد الصنعاني عن سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة رضى الله عنه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « استخروا من الله حق الحياء لا تأتوا النساء في أدبارهن » فخرده النسائي من هذا الوجه . قال حمزة بن محمد الكنانى الحافظ هذا حديث منكرو باطل من حديث الزهري ومن حديث أبي سلمة ومن حديث سعيد فإن كان عبد الملك نفسه من سعيد فأما همه بعد الاختلاط وقد رواه الترمذي عن أبي سلمة أنه كان ينهى عن ذلك فأما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا انتهى كلامه وقد أجاد وأحسن الانتقاد إلا أن عبد الملك بن محمد الصنعاني لا يعرف أنه اختلط ولم يذكر ذلك أحد غير حمزة عن الكنانى وهو ثقة

(١) لعلنا من قوله كالرواية التي بعدها وقوله : وهذا أصح يعني أن الوقوف عليه أصح سننا من الرفع .

ولكن تكلم فيه حليم وأبو حاتم وابن حبان وقال : لا يجوز الاحتجاج به والله أعلم . وقد تابعه زيد بن يحيى بن عبيد عن سعيد بن عمار العيصي . وروى من طريقين آخرين عن أبي سلمة ولا يصح منها شيء (طريق أخرى) قال النسائي : حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سلم عن مجاهد عن أبي هريرة قال : إتيان الرجال النساء في أدبارهن كفر ثم رواه عن بندار عن عبد الرحمن بن عوف قال : من أتى امرأة في دبرها وتلك كفر ، هكذا رواه النسائي من طريق الثوري عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفاً وكذا رواه من طريق علي بن نديعة عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفاً ورواه بكر بن خنيس عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من أتى شيئاً من الرجال والنساء في الأدبار فقد كفر » وللوقوف أصح وبكر بن خنيس ضعفه غير واحد من الأئمة وتركه آخرون (حديث آخر) قال محمد بن أبان البلخي حدثنا وكيع حدثنا زعمة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه وعن عمرو بن دينار عن عبد الله بن يزيد بن المهدي قال : قال عمر بن الخطاب . قال رسول الله ﷺ « إن الله لا يستحي من الحق لأناتوا النساء في أدبارهن » وقد رواه النسائي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني عن عثمان بن الجيان عن زعمة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن الهادي عن عمر قال : لأناتوا النساء في أدبارهن . وحدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا زيد بن أبي حكيم عن زعمة بن صالح عن عمرو بن دينار عن طاوس عن عبد الله بن المهدي قال : قال عمر رضي الله عنه . استحيوا من الله فإن الله لا يستحي من الحق لأناتوا النساء في أدبارهن وللوقوف أصح (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا غندر ومعاذ بن معاذ قال . حدثنا شعبة عن عاصم الأحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن طارق بن يزيد أبو يزيد بن طلق عن النبي ﷺ قال « إن الله لا يستحي من الحق لأناتوا النساء في أدبارهن » وكذا رواه غير واحد عن شعبة ورواه عبد الرزاق عن معمر عن عاصم الأحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن طارق بن علق الأشجبه أنه طلق عن أبيه الأشجبه أنه طلق كاتمه والله أعلم (حديث آخر) قال أبو بكر الأثرقي سننه . حدثنا أبو مسلم الجرمي حدثنا أخو أنيس بن إبراهيم أن أباه إبراهيم بن عبد الرحمن بن القعقاع أخبره عن أبيه أبي القعقاع عن أبي مسعود عن النبي ﷺ قال « محاش النساء حرام » وقد رواه إسماعيل بن علي وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم عن أبي عبد الله الثوري وإسماعيل بن تمام هـ عن أبي القعقاع عن ابن مسعود موقوفاً وهو أصح (طريق أخرى) قال ابن عدي حدثنا أبو عبد الله المحاملي حدثنا سعيد بن يحيى الثوري حدثنا محمد بن حمزة عن زيد بن ربيع عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لأناتوا النساء في أعجازهن » محمد بن حمزة هو الجزري وشيخه فيها مقال . وقد روى من حديث أبي بن كعب والبراء بن عازب وعقبة بن عامر وأبي ذر وغيرهم وفي كل منها مقال لا يصح معه الحديث والله أعلم هـ . وقال الثوري عن الصلت بن بهرام عن أبي الصنم عن أبي جويرة قال : سألت رجلاً علياً عن إتيان المرأة في دبرها فقال . سفلت سفل الله بك ألم تسمع قول الله عز وجل (أناتون القاحشة ما سبقكم بها من آدمين السابقين) ، وقد تقدم قول ابن مسعود وأبي البراء وأبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو في تحريم ذلك وهو الثابت بلا شك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه يحرمه . قال أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله الناري في مسنده حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار أبي الجواب قال . قلت لابن عمر ما قول في الجوارى أمحضهن لمن ؟ قال وما التحميص ؟ فذكر الكبر فقال وهل يفضل ذلك أحد من المسلمين ؟ وكذا رواه ابن وهب وكتيبة عن الليث به وهذا إسناد صحيح ونسب صريح منه بتحريم ذلك فكل ما ورد عنه مما يحتمل ويحتمل فهو مردود إلى هذا الحكم ، قال ابن جرير . حدثني عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبو زيد أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي العمر حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس أنه قيل له يا أبا عبد الله إن الناس يروون عن سالم بن عبد الله أنه قال : كذب البعد أو السليج على أبي عبد الله ، قال مالك . أشهد على يزيد بن رومان أنه أخبرني عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر مثل ما قال نافع . فقيل له فإن الحارث بن يعقوب يروى عن أبي الجواب سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر فقال له يا أبا

عبد الرحمن إنا نشترى الجوارى أنحنض لمن قال وما التحميص ؟ فذكر له الدبر فقال ابن عمر : أفأف وهل يفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم ؟ قال مالك أشهد على ربيعة لأخبرني عن أبي الحباب عن ابن عمر مثل ما قال نافع . وروى النسائي عن الربيع بن سلمان عن أصبغ بن الفرج الفقيه حدثنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قلت لمالك إن عندنا بمصر الليث بن سعد يحدث عن الحارث بن يقوب عن سعيد بن يسار قال قلت لابن عمر إنا نشترى الجوارى أنحنض لمن ؟ قال : وما التحميص ؟ قلت تأتبهن في أدبارهن فقال . أف أف أو يعمل هنذا مسلم ؟ فقال لي مالك فأشهد على ربيعة لحديثي عن سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر فقال لا بأس به وروى النسائي أيضاً من طريق يزيد بن رومان عن عبد الله ابن عبد الله أن ابن عمر كان لا يرى بأساً أن يأتي الرجل المرأة في دبرها . وروى معمر بن عيسى عن مالك أن ذلك حرام . وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري حدثني إسماعيل بن حسين حدثني إسرائيل بن رويس سألت مالك بن أنس ما تقول في إتيان النساء في أدبارهن قال . ما أتم إلا قوم عرب يعمل يكون الحرث إلا موضع الزرع ، لا تعدوا الفرج ، قلت يا أبا عبد الله إنهم يقولون إنك تقول ذلك . قال يكذبون على يكذبون على فهذا هو الثابت عنه وهو قول أبي حنيفة والثامني وأحمد بن حنبل وأصحابهم قاطبة وهو قول سعيد بن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وطاوس وعطاء وسعيد بن جبيرة وعروة بن الزبير ومجاهد بن جبر والحسن وغيرهم من السلف أنهم أنكروا ذلك أشد الانكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو منذهب جمهور العلماء ، وقد حكى في هذا شيء عن بعض فقهاء المدينة حتى حكوه عن الإمام مالك وفي مسنده نظر قال الطحاوي روى أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال ما أدركت أحداً أفتدى به في ديني يشك أنه حلال يعني وطء المرأة في دبرها ثم قرأ (نسائك حرت لكم) ثم قال فأى شيء أئين من هذا ؟ هذه حكاية الطحاوي وقد روى الحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي عن الإمام مالك من طرق ما يقتضي إباحة ذلك ولكن في الأسانيد ضعف شديد وقد استقصاها شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي في جزء جمعه في ذلك والله أعلم وقال الطحاوي : حكى لنا محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم أنه سمع الشافعي يقول ما سمع عن النبي ﷺ في تحليله ولا تحريره شيء والقياس أنه حلال وقد روى ذلك أبو بكر الخطيب عن أبي سعيد الصيرفي عن أبي القاسم الأصم سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول فذكره قال أبو نصر الصباغ . كان الربيع يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد كتب — يعني ابن عبد الحكم — على الشافعي في ذلك لأن الشافعي نص على تحريره في ستة كتب من كتبه والله أعلم

وقوله (وقدموا لأفسمكم) أي من فعل الطاعات مع امتثال ما أمركم عنه من ترك المحرمات ولهذا قال (واضوا الله واعلموا أنكم ملائكة) أي فيحاسبكم على أعمالكم جميعها (وبشر المؤمنين) أي المؤمنين لله فيما أمرهم التاركين ما عنه زجرهم وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن عطاء قال . أراه عن ابن عباس (وقدموا لأفسمكم) قال . تقول باسم الله التسمية عند الجماع وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقناه فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً »

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْدِيكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَابِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْسِيكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَتَبَ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿

يقول تعالى لتجعلوا آياتناكم بالله تعالى مائة لكم من البر وصلة الرحم إذا حلتم على تركها كقوله تعالى (ولا تأتوا أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى وللبائسين والمهاجرين في سبيل الله وليضعوا وليضعوا ولا تحبون أن يغفر الله لكم) فالاستمرار على الجبن آثم لصاحبها من الخروج منها بالتكفير كما قال البخاري . حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال . هذا ما حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ قال « نحن

الآخرون السابقون يوم القيامة » وقال رسول الله ﷺ « والله لأن يلع أحدكم يمينه في أهله آثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي اقترض الله عليه » وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الزاق بن مورو أنه سمعه به ثم قال البخاري . حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا يحيى بن صالح حدثنا معاوية بن ابن سلام عن يحيى وهو ابن أبي كثير عن عكرمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من استلح في أهله يمين فهو أعظم إثماً ليس تنفي الكفارة » وقال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله « ولا تجعلوا الله عرضة ليمينكم » قال لا تجعل عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير . ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير وكذا قال مسروق والشعبي وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومكحول والزهري والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي رحمهم الله ويؤيد ما قاله هؤلاء الجمهور ما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرأى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها » وثبت فيها أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبيد الرحمن بن مرة « يا عبد الرحمن ابن مرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها من مسألة وكلت إليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك » وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفضل الذي هو خير » . وقال الإمام أحمد . حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا خليفة بن خياط حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فتركها كفارتها » ورواه أبو داود من طريق أبي عبيد الله بن الأحنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تذر ولا يمين قبلاً ولا يميناً إلا يكفركم الله ولا في معصية الله ولا في قطيعة رحم ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليدعها وليأت الذي هو خير فإن تركها كفارتها » ثم قال أبو داود والأحاديث عن النبي ﷺ كلها « فليكفر عن يمينه » وهي الصالح

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سعيد الكندي حدثنا علي بن مسهر عن حارثة بن محمد عن عمره عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « من حلف على يمين قطيعة رحم ومعصية فيه أن يحنث فيها ويرجع عن يمينه » وهذا حديث ضعيف لأن حارثة هذا هو ابن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن متروك الحديث ضعيف عند الجميع ثم روى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ومسروق والشعبي أنهم قالوا لا يمين في معصية ولا كفارة عليها وقوله « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » أي لا يعاقبكم ولا يأنزلكم بما صدر منكم من الأيمان اللغو وهي التي لا يقصدها الخائف بل تجرى على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف فقال في حلقه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » فهذا قاله لقوم حديث عهد بجاهلية قد أسلموا وأسلمت قد ألفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد فأمرهم أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص كما تلتفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هديتهم ولهذا قال تعالى « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » الآية وفي الآية الأخرى « بما قدمت الأيمان » قال أبو داود . « باب لم يمين » حدثنا حميد بن مسعدة الشامي حدثنا حيان يعني ابن إبراهيم حدثنا إبراهيم يعني الصائغ عن عطاء . اللغو في اليمين قال قالت عائشة إن رسول الله ﷺ قال : « اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته كلاً والله وبلى والله » ثم قال أبو داود رواه داود بن القزويني عن إبراهيم الصائغ عن عطاء عن عائشة موقوفاً ورواه الزهري وعبد الملك ومالك بن مغول كلهم عن عطاء عن عائشة موقوفاً أيضاً « قلت » وكذا رواه ابن جريج وابن أبي ليلى عن عطاء عن عائشة موقوفاً ورواه ابن جرير عن هناد عن وكيع وعبدية وأبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قوله « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » لا والله وبلى والله ثم رواه عن محمد بن حميد عن سلمة (١) وفي رواية لير موضع ليس وهو أمر من البر وبهذه يني الكفارة وهو تيسر لبر الأمور به لحاقه .

عن ابن إسحق عن هشام عن أبيه عن ابن إسحق عن الزهري عن القاسم عنها وبه عن ابن إسحق عن ابن أبي نجیح عن عطاء عنها وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة في قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) قالت هم القوم يتدارسون في الأمر فيقول هذا لا والله وبلى والله يتدارسون في الأمر لا تمتد عليه قلوبهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هرون بن إسحق الحمداي حدثنا عبدة يعني ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قول الله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) قالت : هو قول الرجل لا والله وبلى والله . وحديثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال كانت عائشة تقول إنما اللغو في الزحاة والمزحل وهو قول الرجل لا والله وبلى والله فذلك لا كفارة فيه إنما الكفارة فيما عقد عليه قلبه أن يفعله ثم لا يفعله ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وابن عباس في أحد قوله والشعي وعكرمة في أحد قوله وعروة بن الزبير وأبي صالح والضحك في أحد قوله وأبي قتادة والزهري نحو ذلك (الوجه الثاني) قرئ على يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني الثقة عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها كانت تتأول هذه الآية في قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) ويقول هو الشيء يحلف عليه أحدكم لا يريد منه إلا الصدق فيصكون على غير ما حلف عليه ثم قال وروى عن أبي هريرة وابن عباس في أحد قوله وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد في أحد قوله وإبراهيم النخعي في أحد قوله والحسن وزرارة بن أوفى وأبي مالك وعطاء الخراساني وبكر بن عبد الله وأحد قولي عكرمة وحيب بن أبي ثابت والسدي ومكحول ومقاتل وطلوس وقادة والريعي بن أنس وربي بن سعيد وربيعة نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنا محمد بن موسى الجريشي حدثنا عبد الله بن ميمون للرازي حدثنا عوف الأعرابي عن الحسن ابن أبي الحسن قال مر رسول الله ﷺ يقوم يتشاورون يعني يرسون ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه قام رجل من القوم فقال أصبت والله وأخطأت والله فقال الذي مع النبي ﷺ للنبي ﷺ حدث الرجل يارسول الله قال « كلا أيمان الرماة لقو لا كفارة فيها ولا عقوبة » هذا مرسل حسن عن الحسن وقال ابن أبي حاتم وروى عن عائشة القولان جميعا حدثنا عصام بن رواد أنبأنا آدم حدثنا شيبان عن جابر عن عطاء ابن أبي رباح عن عائشة قالت : هو قوله لا والله وبلى والله وهو يرى أنه صادق ولا يكون كذلك (أقوال أخر) قال عبد الرزاق عن هشام عن مغيرة عن إبراهيم هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينساه وقال زيد بن أسلم هو قول الرجل أعمى الله بصرى إن لم أقبل كذا وكذا أخرجه الله من مالي إن لم آتاك غدا فهو هذا قال ابن أبي حاتم وحدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد بن خالد حدثنا خالد حدثنا عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : لقو الجين أن تحلف وأنت غضبان وأخبرني أبي حدثنا أبو الجاهل حدثنا سعيد بن بشير حدثني أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لقو الجين أن تحرم ما أحل الله لك فذلك السب عليك فيه كفارة وكذا روى عن سعيد بن جبير . وقال أبو داود (باب الجين في النصب) حدثنا محمد بن المنهال أنبأنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب اللطع عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب أن أخوين من الأنصار كان بينهما ميراث فقال أحدهما صاحبه القسمة فقال : إن عدت تسألني عن القسمة فسل مالي فدرتاج الكعبة فقال له عمر : إن الكعبة غنية عن مالك كفر عن يمينك وكلم أخاك سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يمين عليك ولا نذر في مصيبة الرب عز وجل ولا في قطيعة الرحم ولا فيما لا تملك » وقوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هو أن يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب قال مجاهد وغيره . وهي كقولته تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) الآية (والله غفور حلیم) أي غفور لعباده حلیم عليهم .

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿

الإبلاء الحلف فإذا حلف الرجل أن يجامع زوجته فلا يخلو إما أن يكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء للدة ثم يجامع امرأته وعليها أن تصبر وليس لها مطالبة بالفدية في هذه اللة وهذا كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ أتى من نائته شهرا فقبل لتسع وعشرين وقتل « الشهر تسع وعشرون » ولهما عن عمر بن الخطاب نحوه فأما إن زادت اللة على أربعة أشهر فالزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن ينفى أى يجامع وإما أن يطلق فيجبره الحاكم على هذا وهذا فلا يضر بها ولهذا قال تعالى (للذين يؤلون من نسائهم) أى يحلفون على ترك الجماع من نسائهم فيه دلالة على أن الإبلاء يخص بالزوجات دون الإماء كما هو منذهب الجمهور (تريس أربعة أشهر) أى ينتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطلب بالفدية أو الطلاق ولهذا قال (فإن فاؤا) أى رجعوا إلى ما كانوا عليه وهو كناية عن الجماع قاله ابن عباس ومسروق والشعبي وسعيد بن جبير وغير واحد ومنهم ابن جرير رحمه الله (فإن الله غفور رحيم) لما سلف من التقصير في حقهن بسبب اليقين وقوله (فإن فاؤا فإن الله غفور رحيم) فيه دلالة لأحد قولي العلماء وهو القديم عن الشافعي أن الولي إذا فاء بعد الأربعة الأشهر أنه لا كفارة عليه ويستند بما تقدم في الحديث عند آية التي قباهما عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على عین فرأى غيرها خيرا منها فتركها كفارتها » كما رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي على الجمهور وهو الجديد من مذهب الشافعي أن عليه التكفير لعموم وجوب التكفير على كل حالف كما تقدم أيضا في الأحاديث الصالح والله أعلم .

وقوله (وإن عزموا الطلاق) فيه دلالة على أن الطلاق لا يقع بمجرد مضي الأربعة أشهر كقول الجمهور من التأخيرين وذهب آخرون إلى أنه يقع بمضي أربعة أشهر تطليقة وهو مروي بأسانيد صحيحة عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه يقول ابن سيرين ومسروق والقاسم وسالم والحسن وأبو سلمة وقائدة وشرع القاضي وقيصة بن ذؤيب وعطاء وأبو سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن طرخان التيمي وإبراهيم التيمي والريعي بن أنس والسدي ثم قيل أنها تقتل بمضي الأربعة أشهر طلقة رجعية قاله سعيد بن السيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ومكحول وريصة والزهرى ومروان بن الحكم وقيل أنها تطلق طلقة بآنة روى عن علي بن وابن مسعود وعثمان وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه يقول عطاء وجابر بن زيد ومسروق وعكرمة والحسن وابن سيرين ومحمد بن الحنفية وإبراهيم وقيصة بن ذؤيب وأبو حنيفة والثوري والحسن بن صالح فكل من قال إنها تطلق بمضي الأربعة أشهر أوجب عليها العدة لإماراوى عن ابن عباس وأبي الشعثاء إنها إن كانت حاضت ثلاث حيض فلا عدة عليها وهو قول الشافعي والذي عليه الجمهور من للتأخيرين أن يوقف فيطالب إما بهذا وإما بذلك يقع عليها بمجرد مضى طلاق وروى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه قال . إذا أتى الرجل من امرأته لم يقع عليه طلاق وإن مضت أربعة أشهر حتى يوقف فلما إن يطلق وإما أن ينفى وأخرجه البخارى وقال الشافعي رحمه الله أخبرنا سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار قال أوردت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يوقف الولي . قال الشافعي وأقل ذلك ثلاثة عشر ورواه الشافعي عن علي بن رضى الله عنه أنه يوقف الولي ثم قال وهكذا قول وهو موافق لما روينا عن عمر وابن عمر وعائشة وعثمان وزيد بن ثابت وبضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . هكذا قال الشافعي رحمه الله قال ابن جرير حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال سألت اثني عشر رجلا من الصحابة عن الرجل يولى من امرأته فكلمهم يقول ليس عليه شيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر فيوقف فإن فاء وإلا طلق ورواه النصارى عن طريق سهيل (قلت) وهو يروى عن عمر وعثمان وعلى وأبي البرداء وعائشة أم المؤمنين وابن عمر وابن عباس وبه يقول سعيد بن السيب وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وطاوس ومحمد بن كعب والقاسم وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم رحمهم الله وهو اختيار ابن جرير أيضا وهو قول الليث وإسحق بن راهويه وأبي عبيد وأبي ثور وداود وكل هؤلاء قالوا إن لم ينفى

أُزِمَ بالطلاق فإن لم يطلق طلق عليه الحاكم والطالقة تكون رجعية له رجعتها في العدة وانفرد مالك بأن قال : لا يجوز له رجعتها حتى يجامعها في العدة وهذا غريب جداً

وقد ذكر الفقهاء وغيرهم في مناسبة تأجيل اللولي بأربعة أشهر الأثر الذي رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في الوطأ عن عبد الله بن دينار قال : خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تهول :

تطاول هذا الليل واسود جانبيه وأرتقى أن لا خليل الأعبة
فوالله لولا الله أنى أراقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة رضى الله عنها كم أكثر ما تصبر للراءة عن زوجها ؟ قالت : ستة أشهر أو أربعة أشهر فقال عمر لا أجس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك وقال محمد بن إسحق عن السائب بن جبير مولى ابن عباس وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ قال : ما زلت أسمع حديث عمر أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيراً إذ مر بأمرأة من نساء العرب متعلقة بابها تقول :

تطاول هذا الليل وازورّ جانبيه * وأرتقى أن لا ضجيع الأعبة * الأعبة طورا ووطورا كأنما
بدا قرأ في ظلمة الليل حاجبه * يسر به من كان يلهو بقربه * لطيف الحشا لا يحتويه أقرابه
فوالله لولا الله لا شيء غيره * لنقص من هذا السرير جوانبه * وأكنى أخشى رقيقا موكلا
بأفاسنا لا يغتر البهر كانيه * عفاقة ربى والحياء يصدنى * وأكرام بلى أن تال المراكبه^(١)
ثم ذكر بقية ذلك كما تقدم أو نحوه وقد روى هذا من طرق وهو من للشهورات

﴿ وَالطَّلَاقُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ مَخْلُوقَاتٍ لِلَّهِ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُؤْسُهُنَّ أَخْبَرُ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرَّجُلِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للطلقات للدخول بهن من ذوات الأقراء بأن يتربصن بأفسن ثلاث قروء أى بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تزوج إن شئت وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم الأمة إذا طلقت فاتها تعدد عندم بقرأين لأنها على النصف من الحرة والقرء لا يتبعض فكمك لها قرآن ولما رواه ابن جرير عن مظاهر بن أسلم الخزرجي الذي عن القاسم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ولكن مظاهر هذا ضعيف بالكلية وقال الحافظ الدارقطني وغيره الصحيح أنه من قول القاسم بن محمد نفسه ورواه ابن ماجه من طريق عطية العوفي عن ابن عمر مرفوعا قال الدارقطني والصحيح ما رواه سالم ونافع عن ابن عمر قوله^(٢) وهكذا روى عن عمر بن الخطاب قالوا . ولم يعرف بين الصحابة خلاف وقال بعض السلف : بل عدتها كعدة الحرة لعموم الآية ولأن هذا أمر جبلي فكان الحرار والإماء في هذا سواء حكى هذا القول الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن محمد بن سيرين وبعض أهل الظاهر وضعفه وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو النعمان حدثنا إسماعيل بن ابن عياش عن عمرو بن مہاجر عن أبيه أن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت : طلقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للطلقة عدة فأنزله الله عز وجل حين طلقت أسماء العدة للطلاق فكانت أول من نزلت فيها العدة للطلاق يعني (والطلقات يتربصن بأفسن ثلاث قروء) وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقد اختلف السلف والخلف والأئمة في الراد بالأقراء ما هو على قولين . (أحدهما) أن الراد بها الأطهار وقال مالك في الوطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة فذكرت ذلك لعمرة

(١) وفي نسخة مراتبه (٢) أى من قوله لا مرفوعا .

بنت عبد الرحمن قتالت صدق عروة وقد جادلها في ذلك ناس فقالوا : إن الله تعالى يقول في كتابه (ثلاثة قروء) قتالت عائشة صدقهم وتدرن ما الأقرء ؟ إنما الأقرء الأطهار وقال مالك عن ابن شهاب سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول ما أدركت أحداً من قهاتنا إلا وهو يقول ذلك يريد قول عائشة وقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول إذا طلق الرجل امرأته فدخلت في البوم من الحيفة الثالثة قد برئت منه وبرئ منها وقال مالك وهو الأمر عندنا وروى مثله عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسالم بن الأكوع وعروة وسليمان بن يسار وأبي بكر بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري وبقية الفقهاء السبعة وهو مذهب مالك والشافعي وغير واحد وداود وأبي ثور وهو رواية عن أحمد واستدلوا عليه بقوله تعالى (فطلقوهن لمدتهن) أي في الأطهار ولما كان الطهر الذي يطلق فيه عتسباً دل على أنه أحد الأقرء الثلاثة للأمور بها ولهذا قال هؤلاء . إن المدة تنقضي عدتها وتبين من زوجها بالطمع في الحيفة الثالثة وأقل مدة تصدق فيها المرأة في انقضاء عدتها اثنتان وثلاثون يوماً ولحظتان واستشهد أبو عبيد وغيره على ذلك بقول الشاعر وهو الأعشى

ففي كل عام أنت جاثم غزوة تشد لأخصاها عزم عزائك
مورثة مالا وفي الأصل رفة لما ضاع فيها من قروء نساءك

يخرج أميراً من أمراء العرب أثر الغزو على اللقاع حتى ضاعت أيام الطهر من نسائه لم يواظبن فيها . (والقول الثاني) أن المراد بالأقرء الحيفين فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيفة الثالثة زاد آخرون وتقتل منها وأقل وقت تصدق فيه المرأة في انقضاء عدتها ثلاثة وثلاثون يوماً ولحظة قال الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءته امرأة قتالت إن زوجي فارقتي بواحدة أو اثنتين فجاءني وقد زرت ثيابي وأغلقت بابي فقال عمر لعبد الله بن مسعود : أراها امرأته مادون أن تحمل لها الصلاة قال وأنا أرى ذلك وهكذا روى عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى وأبي السرداء وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك وابن مسعود ومعاذ وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب وعلقمة والأسود وإبراهيم ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة وعهد بن سيرين والحسن وقتادة والشعي والريبع ومقاتل بن حيان والسدي ومكحول والضحاك وعطاء الخراساني أنهم قالوا . الأقرء : الحيفين وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايات عن الإمام أحمد بن حنبل وحكى عنه الأثر أنه قال الأكبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون الأقرء الحيفين وهو مذهب الثوري والأوزاعي . وابن أبي ليلى وابن شبرمة والحسن بن صالح بن حي وأبي عبيد وإسحق ابن راهويه ويؤيد هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي من طريق للنذر بن القيرع عن عروة بن الزبير عن فاطمة بنت أبي حنيفة أن رسول الله ﷺ قال لها « دعي الصلاة أيام أقرأك » فهذا لو صح لكان صريحاً في أن القروء هو الحيفين ولكن النذر هذا قال فيه أبو حاتم مجهول ليس بشهر وذكرة ابن حبان في الثقات وقال ابن جرير أصل القروء في كلام العرب الوقت الذي انتهى الفداء جميعه في وقت معلوم ولإدبار الشئ الفداء إدباره لوقت معلوم وهله العبارة تنقضي أن يكون مشتركاً بين هذا وهذا وقد ذهب إليه بعض الأصوليين والله أعلم . وهذا قول الأصمعي أن القروء هو الوقت . وقال أبو عمرو بن العلاء . العرب تسمى الحيفين قروءاً وتسمى الطهر قروءاً وتسمى الطهر والحيفين جميعاً قروءاً . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء أن القروء يراد به الحيفين ويراد به الطهر وإنما اختلفوا في المراد من الآية ما هو على قولين

وقوله (ولا يحل لمن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) أي من حبل أو حيض . قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعي والحكم بن عيينة والريبع بن أنس والضحاك وغير واحد وقوله (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) تهديد لمن على خلاف الحق ودل هذا على أن المرجع في هذا إلهاً لأنه لا يعلم إلا من جهن ويتدر إقامة البينة غالباً على ذلك فرد الأمر إلهاً وتوعدن فيه ثلاثاً غيرن بغير الحق إما استعجالاً منها لانقضاء العدة أو رغبتهن في تطويلها للمخافي

ذلك من المقاصد فأمرت أن تخبر بالحق في ذلك من غير زيادة ولا نقصان وقوله (ويؤلفن أحق برعن في ذلك إن أرادوا إصلاحا) أي وزوجها الذي طلقها أحق بردها مادامت في عذتها إذا كان مراده بردها الإصلاح والخير وهذا في الرجعات فأما للطلقات البوائن فلم يكن حال نزول هذه الآية مطلقة بانن وإنما كان ذلك لما حصرها في الطلاق (١) الثلاث فأما حال نزول هذه الآية فكان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة فلما قصروا في الآية التي بعدها على ثلاث تطلقات صار للناس مطلقة بانن وغير بانن وإذا تأملت هذا تبين لك ضعف ما سلكه بعض الأصوليين من استنهادهم على مسئلة عود الضمير هل يكون مخصصا لما تضمنه من لفظ العموم أم لا بهذه الآية السكرية فإن التخييل بها غير مطلق لما ذكره والله أعلم

وقوله (ولمن مثل الذي عليهن بالمعروف) أي ولمن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن فليؤد كل واحد منها إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع « فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » وفي حديث ابن بكين عن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أنه قال يارسول الله ما حق زوجة أحدنا قال « أن تطعمها إذا طمعت وتكسوها إذا اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت » وقال وكيع عن بشر بن سليمان عن عكرمة عن ابن عباس قال : إني لأحب أن أتزين للمرأة كأحب أن أتزين لي للمرأة لأن الله يقول (ولمن مثل الذي عليهن بالمعروف) (رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقوله (والرجال عليهن درجة) أي في الفضيلة في الخلق والخلق والترفعة الأم والأخوات والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أفضوا من أموالهم)

وقوله (والله عزيز حكيم) أي عزيز في انتقامه عن عصاه وخالف أمره حكم في أمره وشمره وقدره

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِيسَازٌ بِمَعْرِفٍ أَوْ تَسْرِيعٌ بِأَحْسَنِ وَلَا يَجِزُ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا أَنْتُمْ مَعَهُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١٠ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَدْحٍ شَيْءٌ تَسْكِحُ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١١﴾

هذه الآية السكرية رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وأنت طلقها مائة مرة مادامت في العدة فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرم الله إلى ثلاث طلقات وأباح الرجعة في المرة والثنتين وأبأها بالكلية في الثالثة . فقال (الطلاق مرتان فإيساز بمعروف أو تسريع بإحسان) قال أبو داود رحمه الله في سننه (باب نسخ للرجعة بعد الطلقات الثلاث) حدثنا أحمد بن محمد الروزي حدثني عن ابن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد التحوي عن عكرمة عن ابن عباس (ع) والطلقات يترتبن بأحسن ثلاثة قروء ولا يحل لمن أن يكمن ما خلق الله في أرحامهن) الآية وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثا فنسخ ذلك فقال (الطلاق مرتان) الآية ورواه النسائي عن ذكرين بن يحيى عن إسحق بن إبراهيم عن علي بن الحسين به وقال ابن أبي حاتم حدثنا هرون بن إسحق حدثنا عبد بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا قال لامرأته : لا أطلقك أبدا ولا آورك أبدا قالت : وكيف ذلك؟ قال : أطلق حتى إذا دنأ بجلك راجعتك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله عز وجل (الطلاق مرتان) وهكذا رواه ابن جرير في تفسيره من طريق جرير بن عبد الحميد وابن إدريس ورواه

عبد بن حميد في تفسيره عن جعفر بن عون كلهم عن هشام عن أبيه قال . كان الرجل أحق برجة امرأته وإن طلقها ما شاء مادامت في السنة وإن رجلا من الأنصار غضب على امرأته فقال : والله لا أتركك ولا أفارقك قالت وكيف ذلك قال أطلقك فإذا دنا أجلك واجتكت ثم أطلقك فإذا دنا أجلك واجتكت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن الله عز وجل (الطلاق مرتان) قال فاستقبل الناس الطلاق من كان طلق ومن لم يكن طلق وقد روى أبو بكر بن مردويه عن طريق محمد بن سليمان عن يعلى بن شبيب عن أبيه عن عائشة فذكره بنحو ما تقدم ورواه الترمذي عن قتبية عن يعلى بن شبيب به ثم رواه عن أبي كريب عن ابن إدريس عن هشام عن أبيه مرسلًا وقال هذا أصح ورواه الحاكم في مستدرکه من طريق يعقوب بن حميد بن كليب عن يعلى بن شبيب به وقال صحيح الإسناد ثم قال ابن مردويه . حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لم يكن للطلاق وقت يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها ما لم تنقض العدة وكان بين رجل من الأنصار وبين أهله بعض ما يكون بين الناس فقال والله لأتركك لا أبدا ولا ذات زوج ، فجعل يطلقها حتى إذا كادت المنقضاء تنقض راجعها فصل ذلك مرارا فأذن الله عز وجل فيه (الطلاق مرتان فإسكاه معروف أو تسريح بإحسان) فوقت الطلاق ثلاثا لاروجة فيه بعد الثالثة حتى تسبح زوجها غيره وهكذا روى عن قتادة مرسلًا ذكره السدي وابن زيد وابن جرير كذلك واختار أن هذا تخسير هذه الآية وقوله (فإسكاه معروف أو تسريح بإحسان) أي إذا طلقها واحدة أو اثنتين فانت غير فيها ما دامت عديتها باقية بين أن تردا إليك ناويا للإصلاح بها والإحسان إليها وبين أن تتركها حتى تنقض عديتها وتطلق سراحها بحسنا إليها لا تطلقها من خفا شيئا ولا تضاربها . وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال إذا طلق الرجل امرأته تطلقتين فليكن الأولى في الثالثة فإما أن يسكها معروف فيحسن صاحبها أو يسرحها بإحسان فلا يظلمها من حقها شيئا وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني سفيان الثوري حدثني إسماعيل بن سميع قال سمعت أبا رزین يقول جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل (فإسكاه معروف أو تسريح بإحسان) أين الثالثة قال . «التسريح بإحسان» ورواه عبد بن حميد في تفسيره ولفظه أخبرنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان عن إسماعيل بن سميع أن أبا رزین الأسدي يقول : قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله (الطلاق مرتان) فأين الثالثة؟ قال «التسريح بإحسان الثالثة» ورواه الإمام أحمد أيضا . وهكذا رواه سعيد بن منصور عن خالد بن عبد الله عن إسماعيل ابن زكريا وأبي معاوية عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزین به وكذا رواه ابن مردويه أيضا من طريق قيس بن الربيع عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزین به مرسلًا ورواه ابن مردويه أيضا من طريق عبد الواحد بن زياد عن إسماعيل بن سميع عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ثم قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحيم حدثنا أحمد ابن يحيى حدثنا عبد الله بن جرير بن جيلة حدثنا ابن عائشة حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس بن مالك قال . جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة ؟ قال « (إسكاه معروف أو تسريح بإحسان) »

وقوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) أي لا يحل لكم أن تضاربوهن وقضوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتنهم من الأصدقة ويضعه كما قال تعالى (ولا تضاربوهن لتنهوا بيهن ما آتيتموهن إلا أن يأتين فاحشة مينة) فأما إن وهبه المرأة شيئا عن طيب نفس منها فقد قال تعالى (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) وأما إذا تشاقق الزوجان ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبضت ولم تقدر على معاشرة فلها أن تفتدي منه بما أعطاهها ولا حرج عليها في بذلها ولا يخرج عليه في قبول ذلك منها ولهذا قال تعالى (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اتقتد به) الآية فأما إذا لم يكن لها عذر وسألت الانتداء منه فقد قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب وحديث يعقوب بن

إبراهيم حدثنا ابن علي قال جميعا : حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن حمدة عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» وهكذا رواه الترمذي عن بندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي به وقال حسن قال وروى عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان ورواه بعضهم عن أيوب بهذا الإسناد ولم يرفعه : وقال الإمام أحمد . حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة قال وذكر أبو أسماء وذكر ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ «أما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه وابن جرير من حديث حماد بن زيد به (طريق أخرى) قال ابن جرير . حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا الحسن بن سليمان عن ليث بن أبي إدريس عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال «أما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس حرم الله عليها رائحة الجنة» وقال «المتعلقات هن اللناقات» ثم رواه ابن جرير والترمذي جميعا عن أبي كريب عن مزاحم بن داود بن علي عن أبيه عن ليث هوان بن أبي سلم عن أبي الخطاب عن أبي زرعة عن أبي إدريس عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ «المتعلقات هن اللناقات» : ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه وليس إسناد بالقوى (حديث آخر) قال ابن جرير . حدثنا أيوب حدثنا حفص بن بصر حدثنا قيس بن الربيع عن أشعث ابن سوار عن الحسن بن ثابت بن زيد عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المتعلقات اللناقات هن اللناقات» غريب من هذا الوجه ضعيف (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا أيوب عن الحسن بن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «المتعلقات واللناقات» (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا بكر بن خلف أبو بشر حدثنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى بن ثوبان عن عمه عمارة بن ثوبان عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تسأل امرأة زوجها الطلاق في غيركنه فتجد رجح الجنة وإن رجمها ليوجد من سيرة أربعين عاما» ثم قد قال طائفة كثيرة من السلف وأئمة الخلفاء لا يجوز الخلع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة فيجوز للرجل حينئذ قبول القدية واحتجوا بقوله تعالى (ولاجل لكم أن تأخذوا مما آتيتهم شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) قالوا : فلم يشرع الخلع إلا في هذه الحالة فلا يجوز في غيرها إلا بدليل والأصل عدمه ومن ذهب إلى هذا ابن عباس وطاوس وإبراهيم وعطاء والحسن والجمهور حتى قال مالك والأوزاعي . لو أخذ منها شيئا وهو مضار لها وجب رده إليها وكان الطلاق رجيا قال مالك وهو الأمر الذي أدركت الناس عليه وذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجوز الخلع في حال الشقاق وعند الاتفاق بطريق الأولى والأخرى وهذا قول جميع أصحابه فاطبة وحكى الشيخ أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستدكار له عن بكر بن عبد الله المزني أنه ذهب إلى أن الخلع منسوخ بقوله (وآتيتهم إحداهن قسطا فلا تأخذوا منه شيئا) ورواه ابن جرير عنه وهذا قول ضعيف ومأخذ مردود على قوله وقد ذكر ابن جرير رحمه الله أن هذه الآية نزلت في شأن ثابت بن قيس بن شماس وامرأته حبيبة بنت عبد الله بن أبي اسحاق ولذا ذكر طرق حديثها واختلاف ألفاظه : قال الإمام مالك في موطنه عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة أنها أخبرت عن حبيبة بنت سهل الأنصاري أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند باب في التمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من هذه ؟» قالت أنا حبيبة بنت سهل «فقال ما شأنك» قالت . لا أنا ولا ثابت بن قيس زوجها فلما جاء زوجها ثابت بن قيس قال له رسول الله ﷺ «هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله أن تذكر» قالت حبيبة . يا رسول الله كل ما أعطاني عندي فقال رسول الله ﷺ «خذ منها» فأخذ منها وجلست في أهلها . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن مالك بإسناد عنه ورواه أبو داود عن القضي عن مالك والنسائي عن محمد بن مسلمة عن ابن القاسم عن مالك (حديث آخر) عن عائشة قال أبو داود وابن جرير حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو عامر

حدثنا أبو عمرو السدوسي عن عبد الله بن أبي بكر عن حمزة عن عائشة أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس فضرها فانكسر (١) بضها فأمت رسول الله ﷺ بعد الصبح فاشتكت إليه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا فقال « خذ بض من مالها وفارقها » قال وصلى ذلك يا رسول الله ؟ قال « نعم » قال « إني أصدقها حديثين فيما بيدها فقال النبي ﷺ « خذها وفارقها » ففعل وهذا لفظ ابن جرير وأبو عمرو السدوسي هو سعيد بن سفة بن أبي الحسام (حديث آخر) فيه عن ابن عباس رضى الله عنه . قال البخاري : حدثنا أزهر بن جيل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أمت النبي صلى الله عليه وسلم قتلت يا رسول الله . ما أعيب عليه في خلق ولا دين ولكن أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتريدن عليه حديثه » قالت : نعم قال رسول الله ﷺ « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » وكذا رواه النسائي عن أزهر بن جيل بإسناده مثله ورواه البخاري أيضاً به عن إسحاق الواسطي عن خاله هو ابن عبد الله الطحاوي عن خاله هو ابن مهزبان الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس به نحوه . وهكذا واما البخاري أيضاً من طرق عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس وفي بعضها أنها قالت لا أطيقه مني بضاً . وهذا الحديث من إفراء البخاري من هذا الوجه . ثم قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة أن حبيبة رضى الله عنها - كذا قال - والمشهور أن اسمها حبيبة كاتمة لكن قال الإمام أبو عبد الله بن بطه حدثني أبو يوسف يعقوب بن يوسف الطباطغ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثني عبد الأعلى حدثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن حبيبة بنت سلول أمت النبي صلى الله عليه وسلم قتلت : والله ما أعتب على ثابت بن قيس في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام لا أطيقه بضاً فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم « تردين عليه حديثه ؟ » قالت نعم . فأمره النبي ﷺ أن يأخذ ما ساق ولا يرداد وقد رواه ابن مردويه في تفسيره عن موسى بن هرون حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الأعلى مثله وهكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان بإسناده مثله سواء وهو إسناده جيد مستقيم وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن حبيبة بنت عبد الله بن أبي بن سلول أنها كانت تحت ثابت بن قيس فنشزت عليه فأرسل إليها النبي ﷺ فقال « يا حبيبة ما كرهت من ثابت ؟ » قالت . والله ما كرهت منه دنساً ولا خلقاً إلا أني كرهت دمايته فقال لها : « أتريدن عليه الحديث » قالت نعم فردت الحديقة وفرق بينهما . وقال ابن جرير أيضاً حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا العنبر بن سليمان قال قرأت على فضيل عن أبي جرير أنه سأل عكرمة هل كان للخلع أصل قال . كان ابن عباس يقول إن أول خلق كان في الإسلام في أخت عبد الله بن أبي أنها أمت رسول الله ﷺ قتلت يا رسول الله لا يجمع رأسى ورأسه شيء أبداً إني رفضت جانب الحياء فرأيت قد أقبلتني عدداً فإذا هو أشدهم سواداً وأضرهم قاماً وأقبحهم وجهاً فقال زوجها يا رسول الله إني قد أعطيتك أفضل مالى حديقته في أن ردت على حديثي قال « ما تقولين ؟ » قالت نعم وإن شاء ردت . قال ففرق بينهما (حديث آخر) قال ابن ماجه : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو خالد الأحمر عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال . كانت حبيبة بنت سهل تحت ثابت بن قيس بن شماس وكان رجلاً فمما قتلت . يا رسول الله والله لو لا عانة الله إذا دخل على بصفت في وجهه فقال رسول الله ﷺ « أتريدن عليه حديثه ؟ » قالت نعم فردت عليه حديثه قال ففرق بينهما رسول الله ﷺ .

وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في أنه هل يجوز للرجل أن يفادها بأكثر مما أعطاهما فذهب الجمهور إلى جواز ذلك لعموم قوله تعالى (فلا جناح عليهما فيما اقتدت به) وقال ابن جرير . حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علي أخبرنا أيوب عن كثير مولى ابن مرة أن عمر أتى بأمرأة ناشز فأمر بها إلى بيت كثير الزيل ثم دعا بها فقال كيف وجدت فقالت ما وجدت راحة منذ كنت عنده إلا هذه الليلة التي كنت حبستى فقال لزوجها اخلها ولو من قرطها ورواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن كثير مولى ابن مرة فذكر مثله وزاد فعصها فيه ثلاثة أيام قال سعيد بن أبي عروبة

عن قتادة عن حيد بن عبد الرحمن أن امرأة أمت عمر بن الخطاب فصكت زوجها فأبتهى في بيت الزبل فلما أصبحت قال لها كيف وجدت مكانك ؟ قالت ما كنت عنده ليلة أقر ليني من هذه الليلة . فقال خذ ولو عقاصها ، وقال البخاري وأجاز عثمان الخلع دون عقاص رأسها ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل أن الربيع بنت معوذ ابن عفراء حدثته قالت : كان لي زوج قل على الخير إذا حضرن وعمرني إذا طلب عني قالت فكنت متى زلة يوما قتلته أخلع منك بكل شيء أسلكه قال . نعم قالت فقلت قالت فخاصم عني بماء بن عفراء إلى عثمان بن عفراء فأجاز الخلع وأمره أن يأخذ عقاص رأسي لما دونه أو قالت مادون عقاص الرأس ومعنى هذا أنه يجوز أن يأخذ منها كل ما يدها من قليل وكثير ولا يترك لها سوى عقاص شعرها وبه يقول ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وقصة بن ذؤيب والحسن بن صالح وعثمان بن عطاء وهذا مذهب مالك والليث والشافعي وأبي ثور واختاره ابن جرير وقال أصحاب أبي حنيفة إن كان الاضرار من قبلها جاز أن يأخذ منها ما أعطاه ولا يجوز الزيادة عليه فإن ازداد جاز في القضاء وإن كان الاضرار من جهة لم يجوز أن يأخذ منها شيئا فإن أخذ جاز في القضاء وقال الإمام أحمد وأبو عبيد وإسحق بن راهويه لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاه وهذا قول سعيد بن السيب وعطاء وعمر بن شعيب والزهرى وطاوس والحسن والشعبي وحاد بن أبي سليمان والربيع بن أنس وقال معمر والحكم كان على يقول لا يأخذ من المختلة فوق ما أعطاه وقال الأوزاعي القضاء لا يجوز أن يأخذ منها أكثر مما ساق إليها (قلت) ويستدل لهذا القول بما تقدم من رواية قتادة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة ثابت بن قيس فأمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها الحديقة ولا يزداد وما روى عبد بن حيد حيث قال : أخبرنا قيسة عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاه يعني المختلة وحملوا معنى الآية على معنى (فلا جناح عليهما فيها اقتصد) أي من الذي أعطاه لضم قوله (ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئا إلا أن يخالا أو يبايعا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتصد به) منه) رواه ابن جرير ولهذا قال بعده (تلك حدود الله فلا تتعدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) (فصل) قال الشافعي : اختلف أصحابنا في الخلع فأخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس في رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه بعد ، يتزوجها إن شاء لأن الله تعالى يقول (الطلاق مرتان - قرأ إلى - أن يتراجعا) قال الشافعي : وأخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص سأله فقال رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه أتزوجها ؟ قال : نعم ليس الخلع بطلاق ذكر الله الطلاق في أول الآية وأخبرها والخلع فيها بين ذلك فليس الخلع بهي ثم قرأ (الطلاق مرتان فإمساكهم بعد ذلك أو تسريحهم بإحسان) وقرأ (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) وهذا الذي ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما من أن الخلع ليس بطلاق وإنما هو نسخ هو رواية عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان وابن عمر وهو قول طاوس وعكرمة وبه يقول أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وأبو ثور وداود بن علي الظاهري وهو مذهب الشافعي في القديم وهو ظاهر الآية الكريمة والقول الثاني في الخلع أنه طلاق بائن إلا أن ينوي أكثر من ذلك قال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن جهمان مولى الأسلميين عن أبي بكر الأسلمي أنها اختلعت من زوجها عبدالله بن خالد بن أمية فأبى عثمان بن عفان في ذلك فقال تطليقة إلا أن تكون ميتة شيئا فهو ما حيت قال الشافعي ولا أعرف جهمان وكذا ضبط أحمد بن حنبل هذا الأمر والله أعلم . وقد روى نحوه عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عمر وبه يقول سعيد بن السيب والحسن وعطاء وشريح والشعبي وإبراهيم وجابر بن زيد وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي وأبو عثمان البتي والشافعي في الجديد غير أن الحنفية عندهم أنه متى نوى الخالغ حمله تطليقة أو اثنتين أو أطلق فهو واحدة بائنة وإن نوى ثلاثا ثلاث والشافعي قول آخر في الخلع وهو أنه متى لم يكن بلغظ الطلاق وعري عن البينة فليس هو بشيء بالكسبة

(مسألة) وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحق بن راهويه في رواية عنهما وهي المشهورة إلى أن المختلعة عدتها عدة النافقة بثلاثة قروء إن كانت ممن تحيض وروى ذلك عن عمر وعلي وابن عمر وبه يقول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة وسالم وأبو سلمة وعمر بن عبد العزيز وابن شهاب والحسن والشعبي وإبراهيم النخعي وأبو عياض وخلاس بن عمر وثقافة وسفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وأبو المي�د قال الترمذي وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم ومأخذهم في هذا أن الخلع طلاق فتعدد كسائر الطلقات والقول الثاني أنها تعد بحصة واحدة تستبرأ بها زوجها قال ابن أبي شيبة حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن الربيع اختلعت من زوجها فأتى عمها عثمان رضي الله عنه فقال تعد بحصة قال وكان ابن عمر يقول تعدد ثلاث حيض حتى قال هذا عثمان فكان ابن عمر يقف به ويقول عثمان خيرنا وأعلمنا . وحدثنا عبد بن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : عدة المختلعة حيضة . وحدثنا عبد الرحمن بن محمد الهاربي عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : عدتها حيضة وبه يقول عكرمة وأبان بن عثمان وكل من تقدم ذكره ممن يقول إن الخلع فسخ يؤوله القول بهذا واحتجوا بذلك بما رواه أبو داود والترمذي حيث قال كل منهما حدثنا محمد بن عبد الرحمن البغدادي ، حدثنا علي بن يحيى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر بن عمرو ابن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعد بحصة ثم قال الترمذي حسن غريب وقدرناه عبد الرزاق عن معمر بن عمرو ابن مسلم عن عكرمة مرسل (حديث آخر) قال الترمذي حدثنا محمود بن غيلان حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان حدثنا محمد بن عبد الرحمن وهو مولى آل طلحة عن سليمان بن يسار عن الربيع بنت معوذ بن عفراء أنها اختلعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أو أمرت أن تعد بحصة قال الترمذي . الصحيح أنها أمرت أن تعد بحصة (طريق أخرى) قال ابن ماجه . حدثنا علي بن سلمة التيسابوري حدثنا يعقوب بن إبراهيم ابن سعد حدثنا أبي عن ابن إسحاق أخبرني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قال . قلت لها حدثيني حديثك قالت . اختلعت من زوجي ثم جث عثمان فسلت عثمان ماذا علي من العدة ؟ قال لا عدة عليك إلا أن يكون حديث عهد بك فتمكثين عنده حتى تحيض حيضة قالت . وإنا أتبع في ذلك قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مريم المثالية وكانت تحت ثابت بن قيس فاختلعت منه وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن أبي سلمة ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن الربيع بنت معوذ قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر امرأة ثابت ابن قيس حين اختلعت منه أن تعد بحصة .

(مسألة) وليس للمخالعة أن يراجع المختلعة في المدة بشر رضاها عند الأئمة الأربعة وجهور العلماء لأنها قد ملكت نفسها بما بذلت له من الملاء وروى عن عبد الله بن أبي أوفى ومالهان الحنفي وسعيد بن المسيب والزهري أنهم قالوا . إن رد إليها الأني أعطاها جاز له رجعتها في المدة بشر رضاها وهو اختيار أبي ثور رحمه الله وقال سفيان الثوري . إن كان الخلع بشر لفظ الطلاق فهو فرقة ولا سبيل له عليها . وإن كان يسمى طلاقا فهو أملك لرجعتها مادامت في المدة وبه يقول داود بن علي الظاهري وأحق الجميع على أن للمختلعة أن يتزوجها في المدة وحكى الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن فرقة أنه لا يجوز له ذلك كما لا يجوز لغيره وهو قول شاذ مردود .

(مسألة) وهل له أن يوقع عليها طلاقا آخر في المدة ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء . (أحدها) ليس بذلك لأنها قد ملكت نفسها وبانت منه وبه يقول ابن عباس وابن الزبير وعكرمة وجابر بن زيد والحسن البصري والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه وأبو ثور ، (والثاني) قال مالك . إن أتبع الخلع طلاقا من غير سكوت بينهما وقع وإن سكوت بينهما لم يقع قال ابن عبد البر : وهذا يشبه ملزوى عن عثمان رضي الله عنه . والثالث أنه يقع عليها الطلاق بكل حال مادامت في المدة وهو قول أبي حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح وطاوس وإبراهيم والزهري والحاكم والمحكم وحده بن أبي سليمان وروى ذلك عن ابن مسعود وأبي الهيثم قال ابن عبد البر : وليس ذلك بجائز عنها

وقوله (تلك حدود الله فلا تتعدوها ومن يمتد حدود الله فأولئك هم الظالمون) أي هذه الضرائع التي شرعها لكم هي حدوده فلا تتجاوزوها كما ثبت في الحديث الصحيح « إن الله حد حدوداً فلا تتعدوها وفرض فرائض فلا تقسموها وحرم عظام فلا تنكحوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » وقد يستدل بهذه الآية من ذهب إلى أن جمع الطلقات الثلاث بكلمة واحدة حرام كما هو مذهب المالكية ومن وافقهم وإما السنة عندهم أن يطلق واحدة لقوله (الطلاق مرتان) ثم قال (تلك حدود الله فلا تتعدوها ومن يمتد حدود الله فأولئك هم الظالمون) ويقولون ذلك بحديث محمود بن لبيد الذي رواه النسائي في سننه حيث قال : حدثنا سليمان بن داود أخبرنا ابن وهب عن حمزة بن بكر عن أبيه عن محمود بن لبيد قال : أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاثاً تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال : « أيلب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » حتى قام رجل فقال يا رسول الله ألا آتته ؟ - فيه اضطعا - وقوله تعالى (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) أي أنه إذا طلق الرجل امرأته طلقة ثالثة بعد ما أرسل عليها الطلاق مرتين فإنها تحرم عليه حتى تنكح زوجاً غيره أي حتى يطأها زوج آخر في نكاح صحيح فلو وطأها وأطى في غير نكاح ولو في ملك الخمين لم تحل للأول لأنه ليس بزواج وهكذا لو تزوجت ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للأول واشترى بين كثير من الفقهاء أن^(١) سعيد بن المسيب رحمه الله أنه يقول : يحصل القسود من تحليلها للأول بمجرد القصد على الثاني وفي صحته عنه نظر على أن الشيخ أباعمر بن عبد البر قدحكه عنه في الاستدكار والله أعلم . وقد قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن سالم بن رزين عن سالم بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها البتة فيتزوجها زوج آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أخرج إلى الأول ؟ قال « لا حتى تدوق عيلته وتدوق عيلتها » هكذا وقع في رواية ابن جرير وقد رواه الإمام أحمد فقال : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال : سمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد الله يقول ابن عمر عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها ثم يتزوجها رجل فيطلقها قبل أن يدخل بها فترجع إلى زوجها الأول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حتى تدوق المسيلة » وهكذا رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس وابن ماجه عن محمد بن بشار بن دار كلاًهما عن محمد ابن جعفر غنفر عن شعبة به كذلك فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعاً على خلاف ما يحكي عنه فبعد أن يخالف ما رواه غيره مستند والله أعلم . وقد روى أحمد أيضاً والنسائي وابن جرير هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن رزين بن سليمان الأحمري عن ابن عمر قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلاثاً فيتزوجها آخر فينقلق الباب ويرخي الستر ثم يطلقها قبل أن يدخل بها هل تحل للأول ؟ قال : « لا حتى تدوق المسيلة » وهذا لفظ أحمد وفي رواية لأحمد سليمان بن رزين (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا محمد ابن دينار حدثنا يحيى بن يزيد الهنائي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثاً فتزوجت بعده رجلاً فطلقها قبل أن يدخل بها أحل زوجها الأول ؟ قال رسول الله ﷺ « لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عيلتها وذات من عيلته » وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن إبراهيم الأنطاقي عن هشام بن عبد الملك حدثنا محمد بن دينار فذكره (قلت) ومحمد بن دينار بن سند أبو بكر الأزدي ثم الطائي البصري ويقال له ابن أبي الفرات اختلفوا فيه فمنهم من ضعفه ومنهم من قواه وقيله وحسن له وذكر أبو داود أنه تغير قبل موته فأنه أعلم . (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إلياس السعدي حدثنا أبي حدثنا شيبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي الحارث الثفاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة يطلقها زوجها ثلاثاً فتزوج غيره فيطلقها قبل أن يدخل بها فيريده الأول أن يراجعها قال : « لا حتى يدوق الآخر

عسيتها » ثم رواه من وجه آخر عن شيان وهو ابن عبد الرحمن به - وأبو الحارث غير معروف - (حديث آخر)
قال ابن جرير : حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثنا القاسم عن عائشة أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فتزوجت زوجاً فطلقها
قبل أن يمسا فقتل رسول الله ﷺ أملاً للأول ؟ قال « لا حتى يذوق من عسيتها كما فاق الأول » أخرجه
البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن عبيد الله بن عمر العمري عن القاسم بن أبي بكر عن عمته عائشة به (طريق
أخرى) قال ابن جرير : حدثنا عبيد الله بن إسحاق المباري وسفيان بن وكيع وأبو هشام الرافعي قالوا : حدثنا أبو
معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : سئل النبي ﷺ عن رجل طلق امرأته فتزوجت رجلاً
غيره فدخل بها ثم طلقها قبل أن يواقها أملاً لزوجها الأول ؟ قال رسول الله ﷺ : « لا تحل لزوجها
الأول حتى يذوق الآخر عسيتها وتذوق عسيتها » وكذا رواه أبو داود عن مسدد والنسائي عن أبي كريب كلاهما
عن أبي معاوية وهو محمد بن حازم الضرير به (طريق أخرى) قال مسلم في صحيحه : حدثنا محمد بن العلاء المحدث
حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ سئل عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها
فتزوج رجلاً آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أملاً لزوجها الأول قال : « لا حتى يذوق عسيتها » قال مسلم : وحدثنا
أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو فضيل وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية جميعاً عن هشام بهذا الإسناد وقدرناه
البخاري من طريق أبي معاوية محمد بن حازم عن هشام به وتخرجه به مسلم من الوجوهين الآخرين وهكذا رواه ابن
جرير من طريق عبد الله بن المبارك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً بنحوه أم مثله - وهذا إسناد جيد -
وكذا رواه ابن جرير أيضاً من طريق علي بن زيد بن جدعان عن امرأة أبيه أمينة أم محمد عن عائشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم مثله وهذا السياق مختصر من الحديث الذي رواه البخاري حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى
عن هشام بن عروة حدثني أبي عن عائشة مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا
عبد بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رفاعاً القرظي تزوج امرأة ثم طلقها فأثمت النبي ﷺ فذكرت له أنه
لا يأثمها وأنه ليس معه إلا مثل حبة التوب قال . « لا حتى تذوق عسيتها ويذوق عسيتك » تخرجه به من هذا
الوجه (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : دخلت امرأة
رفاعاً القرظي وأنا وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن رفاعاً طلقني البتة وإن عبد الرحمن بن
الزبير تزوجني وأنا عنده مثل الهدية وأخذت هدية من جلبابها وخالد بن سعيد بن العاص بالباب لم يؤذن له فقال : يا أبا بكر
ألا تنهى هذه عما تحب به بين يدي رسول الله ﷺ فما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبس قال
رسول الله ﷺ « كأنك تريدني أن ترجى إلى رفاعاً ، لا حتى تذوق عسيتها ويذوق عسيتك » وهكذا
رواه البخاري من حديث عبد الله بن المبارك ومسلم من حديث عبد الرزاق والنسائي من حديث يزيد بن زريع
ثلاثهم عن معمر به وفي حديث عبد الرزاق عن معمر أن رفاعاً طلقها آخر ثلاث تطليقات وقدرناه الجملة إلا أبو داود
من طريق سفيان بن عيينة والبخاري من طريق عقيل ومسلم من طريق يونس بن يزيد وعنده آخر ثلاث تطليقات
والنسائي من طريق أيوب بن موسى ورواه صالح بن أبي الأخضر كلهم عن الزهري عن عروة عن عائشة به . وقال
مالك عن المسور بن رفاع القرظي عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير أن رفاعاً بن موال طلق امرأته ثمجة بنت
وهب في عهد رسول الله ﷺ ثلاثاً فنكحت عبد الرحمن بن الزبير فاعترض عنها فلم يستطع أن يمسا ففارقها
فأراد رفاعاً بن موال أن ينكحها وهو زوجها الأول الذي كان طلقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنهاه عن تزويجها وقال « لا تحل لك حتى تذوق المسية » هكذا رواه أصحاب اللواط عن مالك وفيه انقطاع وقد
رواه إبراهيم بن طهمان وعبد الله بن وهب عن مالك عن رفاعاً عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير عن أبيه فوصله
(فصل) والمقصود من الزوج الثاني أن يكون رافعاً في المرأة قاصداً لملوأم عشرتها كما هو الشرع من التزويج
واشترط الإمام مالك مع ذلك أن يتأها الثاني ملأً ملبساً فلو وطئها وهي حرة أو سائمة أو متكئة أو حائض

أو نساء أو الزوج صام أو عزم أو مكث لم تحل للأول بهذا الوطء . وكذا لو كان الزوج الثاني قنيا لم تحل
للسلم بكاحه لأن أنكحة الكفار باطلة عنده وانقطع الحسن البصري فيما حكاه عنه الشيخ أبو هريرة عن عبد البر
أن ينزل الزوج الثاني وكأنه تمسك بما فهمه من قوله عليه الصلاة والسلام « حتى يتدق عسلته ويندق عسلتك » ولهم على هذا أن
تنزل للمرأة أيضا وليس للراد بالصبة التي لما رواه الإمام أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ
قال « ألا إن الصبة الجائع » فلما إذا كان الثاني إنما قصده أن عليها للأول فهذا هو الحل الذي وردت الأحاديث بنسبه
ولعله وفي صرح بمقصوده في القدر بطل النكاح عند جمهور الأمة

(ذكر الأحاديث الواردة في ذلك)

(الحديث الأول) عن ابن مسعود رضي الله عنه . قال الإمام أحمد : حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن
أبي قيس عن المزيل عن عبد الله قال : لمن رسول الله ﷺ : الواشيعة والستوية والواصة والستوصة والحلل
والحلل له وأكل الربا وموكله . ثم رواه أحمد والترمذي والنسائي من غير وجه عن سفيان وهو الثوري عن أبي قيس
واسمه عبد الرحمن بن ثروان الأودي عن هذيل بن شرحبيل الأودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ به ثم قال
الترمذي هذا حديث حسن صحيح . قال . والعمل على هذا عند أهل العلم من الصحابة منهم عمر وعثمان وابن عمر وهو
قول الفقهاء من التابعين ويروي ذلك عن علي بن مسعود وابن عباس (طريق أخرى) عن ابن مسعود . قال الإمام أحمد
حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبد الله عن عبد الكريم عن أبي الواصل عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال « ولعن
الله المحلل والمحلل له » (طريق أخرى) روى الإمام أحمد والنسائي من حديث الأشعث عن عبد الله بن مرة عن الحارث
الأعور عن عبد الله بن مسعود قال . أكل الربا وموكله وشاهداه وكتبه إنما علموا به والواصة والستوصة ولاوي
الصدقة والمتدي فيها ولتردد على عتيبة أعرابيا بعد هجرته والحلل والمحلل له ملمونون في لسان محمد بن يوم القيامة
(الحديث الثاني) عن علي رضي الله عنه قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عفيان عن جابر عن النبي عن
الحارث عن علي قال . لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله وغلشه وكتبه والواشيعة
وللستوية والحسن ومائع الصدقة والحلل والمحلل له وكان ينهى عن النوح وكذا رواه عن غندر عن شعبة عن جابر
وهو ابن يزيد الجعفي عن النبي عن الحارث عن علي به وكذا رواه من حديث إسماعيل بن أبي خالد وحسين بن عبد الرحمن
وعجله بن سعيد وابن عون عن جابر النبي به وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث النبي به . ثم قال
أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحق عن الحارث عن علي قال لمن رسول الله ﷺ صاحب الربا
وأكله وكتبه وشاهداه والحلل والمحلل له

(الحديث الثالث) عن جابر رضي الله عنه قال الترمذي . أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أمث بن عبد الرحمن
ابن يزيد الأيمى حدثنا عجله عن النبي عن جابر بن عبد الله وعن الحارث عن علي أن رسول الله ﷺ لمن
الله المحلل والمحلل له ثم قال . وليس يستأده بالقائم وعجله خضعه غير واحد من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل قال .
ورواه ابن نمير عن عجله عن النبي عن جابر بن عبد الله عن علي قال : وهذا وهم من ابن نمير والحديث الأول أصح
(الحديث الرابع) عن عتبة بن عامر رضي الله عنه . قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حدثنا يحيى بن عثمان
ابن صالح البصري أخبرنا أبي سمعت الليث بن سعد يقول : قال أبو الصب مسرج هو ابن عاصم قال عتبة بن عامر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بالتيس للستار » قالوا . بلى يا رسول الله قال « هو المحلل » لمن الله
الحلل والمحلل له « نزه به ابن ماجه وكذا رواه إبراهيم بن يقوب الجوزجاني عن عثمان بن صالح عن الليث به ثم
قال : كانوا يتكروا على عثمان في هذا الحديث إنكاراً شديداً (قلت) عثمان ههنا أحد الثقات روى عنه البخاري

صحيحة ثم قد تابعه غيره فرواه جعفر التريائي عن العباس المعروف بابن فرقة عن أبي صالح عبد الله بن صالح عن الليث بن أبي حمزة عن أبيه عن جده **والله أعلم**

(الحديث الخامس) عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو عامر عن زمة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة بن ابن عباس قال : لمن رسول الله ﷺ الحلل والحلل له (طريق أخرى) قال الإمام الحافظ خطيب دمشق أبو إسحق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني السدي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حنيفة عن داود بن الحصين عن عكرمة بن ابن عباس قال . مثل رسول الله ﷺ عن نكاح الحلل قال « لا ، إلا نكاح رغبة لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله ثم يذوق عسيتها » ويتقوى هذان الإسنادان بما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن حميد بن عبد الرحمن عن موسى بن أبي القرات عن عمرو بن دينار عن النبي ﷺ بنحو من هذا فيتقوى كل من هذا للرسول والله قبله **والآخر والله أعلم**

(الحديث السادس) عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد القبري عن أبي هريرة قال : لمن رسول الله ﷺ عليه وسلم الحلل والحلل له . وهكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني البيهقي من طريق عبد الله بن جعفر القرشي وقد وثقه أحمد بن حنبل وعلي بن الليث ويحيى ابن معين وغيرهم وأخرج له مسلم في صحيحه عن عثمان بن محمد الأخنسي ورواه ابن معين عن سعيد القبري وهو متفق عليه (الحديث السابع) عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو العباس الأصبهاني حدثنا محمد بن إسحق الصنعاني حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو يان محمد بن مطرف اللدني عن عمر بن نافع عن أبيه أنه قال : جابر رجل إلى ابن عمر سأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فتزوجها أع له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه هل تحل للأول فقال : لا إلا نكاح رغبة كذا نكاح هذا سفاحا في عهد رسول الله ﷺ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه الثوري عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر به وهذه الصيغة مشعرة بالرفع وهكذا روى أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني وحرب الكرماني وأبو بكر الأنرم من حديث الأعمش عن السيب بن رافع عن قبيصة بن جابر عن عمر أنه قال لا أوتي بمحل ولا عجله ولا رجعتما وروى البيهقي من حديث ابن لهيعة عن بكير بن الأشج عن سليمان بن يسار أن عثمان بن عفان رفع إليه رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها ففرق بينهما وكذا روى عن علي وابن عباس وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم

وقوله (فإن طلقها) أي الزوج الثاني بعد الدخول بها (فلا جناح عليهما أن يراجعا) أي للمرأة والزوج الأول (إن طلقاها قبل حدود الله) أي يتعاشرا بالمعروف . قال مجاهد : إن طلقا أن نكاحها في غير دلسة (وتلك حدود الله) أي شرائعه وأحكامه (بينها) أي يوضحها (تقوم بطلون)

وقد اختلف الأئمة رحمهم الله فيها إذا طلق الرجل امرأته طليقة أو طليقتين وتركها حتى فاضت عدتها ثم تزوجت بآخر فدخل بها ثم طلقها فاضت عدتها ثم تزوجها الأول هل تعود إليه بما بقي من الثلاث كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وهو قول طائفة من الصحابة رضي الله عنهم أو يكون الزوج الثاني قد هدم ما قبله من الطلاق فإذا عادت إلى الأول تعود بجميع الثلاث كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وحجتهم أن الزوج الثاني إذا هدم الثلاث فلا بد يهدم مادونها بطريق الأولى والأخرى **والله أعلم**

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَانْكَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهِنَّ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَهُ ظَلمٌ مِّنْهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَآيَتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَأَحْكَمِ بَيْعُكُمْ بِهِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءَهُ عِلْمٌ

هذا أمر من الله عز وجل للرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقاً له عليها فيه رجعة أن يحسن في أمرها إذا احتضت عدتها ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها ، فلما أن يمكها أي يرتجها إلى عصمة نكاحه معروف وهو أن يشهد على رجعتها وينوي عشرتها بالمعروف أو يسرحها أي يتركها حتى تنقض عدتها وغرضها من منزلها الباقى هو أحسن من غير شقاق ولا عاصمة ولا تقايح قال الله تعالى (ولا تمسكوهن ضرراً لتنتدوا) قال ابن عباس ومجاهد ومسروق والحسن وقادة والضحاك والربيع ومقاتل بن حيان وغير واحد : كان الرجل يطلق المرأة فلذا قاربت انقضاء المدة راجعاً ضرراً لثلاث تنعيب إلى غيره ثم يطلقها فتتد فلذا شارفت على انقضاء المدة طلق لتطول عليها المدة فنهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أي بمخالفته أمر الله تعالى

وقوله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) قال ابن جرير : عند هذه الآية أخبرنا أبو كريب أخبرنا إسحاق ابن منصور عن عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن أبي العلاء الأودى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ غضب على الأشعرين فأنه أبو موسى فقال يا رسول الله أغضبت على الأشعرين ؟ فقال « يقول أحدكم قد طلقت قد راجعت ليس هذا طلاق للمسلمين طلقوا المرأة في قبل عدتها » ثم رواه من وجه آخر عن أبي خالد الدلال وهو يزيد بن عبد الرحمن وفيه كلام . وقال مسروق : هو الذي يطلق في غير كنهه ويضار امرأته بطلاقها وارتجاعها لتطول عليها المدة . وقال الحسن وقادة وعطاء الخراساني والربيع ومقاتل بن حيان : هو الرجل يطلق ويقول : كنت لأعاب أو يتق أو ينكح ويقول كنت لأعاب فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) فأثم الله بذلك : وقال ابن مردويه : حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا أبو أحمد الصيرفي حدثني جعفر بن محمد السمسار عن إسماعيل بن يحيى عن صفوان بن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال : طلق رجل امرأته وهو يلعب لا يريد الطلاق فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) فأثم رسول الله ﷺ الطلاق . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عاصم بن رواد حدثنا آدم حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن هو البصري قال كان الرجل يطلق ويقول : كنت لأعاب ويعتق ويقول : كنت لأعاب وينكح ويقول : كنت لأعاب فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلق أو أعتق أو نكح أو أنكح جادا أو لأعاب قد جاز عليه » وهكذا رواه ابن جرير من طريق الزهري عن سليمان بن أرقم عن الحسن مثله وهذا مرسل . وقد رواه ابن مردويه من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي البرداء موقوفا عليه . وقال أيضاً حدثنا أحمد بن الحسن بن أيوب حدثنا أيوب بن أبي يعقوب حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن علفة عن الحسن عن عباد بن الصامت في قول الله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) قال : كان الرجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقول للرجل زوجتك ابنتي ثم يقول : كنت لأعاب ويقول : قد أعتقت ويقول : كنت لأعاب فأنزل الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من أظلمن لأعاب أو غير لأعاب فهن جائزات عليه الطلاق والتناق والنكاح » والمشهور في هذا الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق عبد الرحمن ابن حبيب بن آدم عن عطاء عن ابن مالهك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث يجدهن جد وهن جد النكح والطلاق والرجعة » وقال الترمذي . حسن غريب

وقوله (واذكروا نعمة الله عليكم) أي في إرساله الرسول بالهدى والبيان إليكم (وما أزل عليكم من الكتاب والحكمة) أي السنة (يطعمكم) أي يأمركم ونهاكم وتوعدكم على ارتكاب الحرام (واتقوا الله) أي فيما تأتون وفيما تنرون (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) أي فلا يخفى عليه شيء من أمورك السرية والجهرية وسجارتكم على ذلك (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْنَبِّئَنَّ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْسُوهُنَّ أَنْ يَتَّخِذْنَ أَرْزُوجَهُنَّ إِذَا تَرَصُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ

يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته المطلقة أو طلقته تنقضي عدتها ثم يبدو له أن
يتزوجها وأن يرأسها وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك فهي الله أن يمنعهما . وكذا روى العوفي
عنه عن ابن عباس أيضاً ، وكذا قال مسروق وإبراهيم النخعي والزهري والشافعي أنها أنزلت في ذلك وهذا
الذي قاله ظاهر من الآية وفيها دلالة على أن المرأة لا تملك أن تزوج نفسها وأنه لابد في النكاح من ولي كما قاله الترمذي
وابن جرير عند هذه الآية كما جاء في الحديث « لا تزوج المرأة للمرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي لا تزوج
نفسها » وفي الأثر الآخر « لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل » وفي هذه المسألة نزاع بين العلماء محرو في موطنه
من كتب الفروع وقد قررنا ذلك في كتاب الأحكام وفيه الحمد والمنة

وقد روي أن هذه الآية نزلت في مقل بن يسار الذي وأخته قتال البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح عند تفسير
هذه الآية : حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو عامر القدي حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن قال حدثني مقل بن
يسار قال : كانت لي أخت تخطب إلى قال البخاري وقال إبراهيم عن يونس عن الحسن حدثني مقل بن يسار
وحدثنا أبو معمر وحدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن الحسن أن أخت مقل بن يسار طلقها زوجها فتركها
حتى اقتضت عدتها فخطبها فأبى مقل فزالت (فلا تمضوهن أن يتكهن أزواجهن) وهكذا رواه أبو داود
والترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه من طرق متعددة عن الحسن عن مقل بن يسار به
وصححه الترمذي أيضاً وقطعه عن مقل بن يسار أنه تزوج أخته رجلاً من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت
عنده ما كانت ثم طلقها فطلقته لم يرأسها حتى اقتضت عدتها فزوجها وهو ثم خطبها مع الخطاب فقال له إلى الكع
ابن لكع أكرمك بها وزوجتكها فطلقها والله لا يرجع إليك أبداً أترما عليك قال فعلم الله حاجته إليها
وحاجتها إلى بطلها فأقر الله (وإن اطلقتم النساء فليكن أجلهن) إلى قوله (وأنتم لا تعلمون) فلا سمحها مقل قال : سمع
لري وطاعة من دعاه ، فقال أزواجكم وأكرمك زاد ابن مردويه ، وكفرت عن يحيى . وروى ابن جرير عن ابن جريج
قال : هي جميل (١) بنت يسار كانت تحت أبي البلعج . وقال سفيان الثوري . عن أبي إسحق السبيعي قال هي طامعة بنت يسار
وهكذا ذكر غير واحد من السلف أن هذه الآية نزلت في مقل بن يسار وأخته . وقال السدي نزلت في جابر بن
عبد الله وابنة حم له والصحيح الأول والله أعلم

وقوله (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) أي هذا الذي نهيتم عنه من منع الولايا أن
يتزوجن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف يأمر به ويمنع به ويضبط به (من كان منكم) أي الناس (يؤمن بالله
واليوم الآخر) أي يؤمن بشعر الله وخاف الله وعذابه في الدار الآخرة وما فيها من الجزاء (ذلكم أذكى لكم
وأطهر) أي اتباعكم شرع الله في رد الوليات إلى أزواجهن وترك الحيلة في ذلك أذكى لكم وأطهر قلوبكم
(والله يعلم) أي من الصالح فيما يأمر به ونهى عنه (وأنتم لا تعلمون) أي الحيرة فيها تأتون ولا فيها تدرسون .

(وَأَلْزَمْتُ يَرْزُقُنَّ أَوْلَئِهِنَّ حَتَّى يَكُونُوا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِقَ أَرْزَاقَهُ وَعَلَى الْوَلَدِ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعًا لَا تَضَارُ وَالِدَةٌ بَوْلَدًا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلَدٌ وَعَلَى الْوَالِدِ رِزْقُهُنَّ ذَلِكَ فَإِنْ
أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضَوْا أَوْلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَطْرَأَ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كالأرضاء وهي ستان فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ولهذا قال (لمن أراد أن يرضع أكل الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين فلو ارتضع للولود وعمره فوقهما لم يحرم . قال الترمذي . (باب ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين)) حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحرم من الرضاع إلا ما تنق الأماء في الثدي وكان قبل القطام » هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئا وفاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام وهي امرأة هشام بن عروة (قلت) تفرد الترمذي برواية هذا الحديث ورجاله على شرط الصحيحين ومعنى قوله « إلا ما كان في الثدي » أي في حال الرضاعة قبل الحولين كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن وكيع وغندر عن شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : لما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن ابني مات في الثدي وإن له مرضعا في الجنة » وهكذا أخرجه البخاري من حديث شعبة وإنما قال عليه السلام ذلك لأن ابنه إبراهيم عليه السلام مات وله سنة وعشرة أشهر فقال إن له مرضعا يعني تكمل رضاعه ويؤيده ما رواه الدارقطني من طريق الهيثم بن جميل عن سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين » ثم قال ولم يستند عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل وهو ثقة حافظ (قلت) وقد رواه الإمام مالك في الموطأ عن ثور بن يزيد عن ابن عباس مرفوعا ورواه الدارودي عن ثور عن عكرمة عن ابن عباس وزاد « وما كان بعد الحولين فليس شيء » وهذا أصح وقال أبو داود الطيالسي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا رضاع بعد فصال ولا يتم بعد احتلام » وتماثل الدلالة من هذا الحديث في قوله تعالى (وفصاله في عامين أن اشكر لي) وقال (وحمله وفضاله ثلاثون شهرا) والقول بأن الرضاعة لا تحرم بعد الحولين يروي عن علي وابن عباس وجماعة وأبو هريرة وابن عمر وأسماء وسعيد بن المسيب وعطاء والجمهور وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحق والثوري وأبي يوسف ومحمد ومالك في رواية وعنه أن مدته ستان وشهران وفي رواية وثلاثة أشهر وقال أبو حنيفة ستان وستة أشهر وقال زفر بن الهذيل مادام يرضع فإني ثلاث سنين وهذا رواية عن الأوزاعي قال مالك : ولو قطع الصبي دون الحولين فأرضته امرأة بعد فصاله لم يحرم لأنه قد صار بمنزلة الطعام وهو رواية عن الأوزاعي وقد روى عن عمر وعلى أنها قالا : لا رضاع بعد فصال فيحتمل أنهما أرادا الحولين كقول الجمهور سواء قطع أول فطم ويحتمل أنهما أرادا الفطم كقول مالك والله أعلم . وقد روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترى رضاع الكبير يؤثر في التحريم وهو قول عطاء بن أبي رباح واليثم بن سعد وكانت عائشة تأمر بمن تختار أن يدخل عليها من الرجال لبعض نسايتها فترضه وتخرج في ذلك بحديث سالم مولى أبي حنيفة حيث أمر النبي ﷺ امرأة أبي حنيفة أن ترضعه وكان كبيرا فكان يدخل عليها بذلك الرضاعة وأبي ذلك سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورأين ذلك من الخاصص وهو قول الجمهور وحجة الجمهور وهم الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة والأكابر من الصحابة وسائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى عائشة ثابتة في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انظرن من إخوانكن فأما الرضاعة من المجاعة » وسيأتي الكلام على مسائل الرضاع وفيما يتعلق برضاع الكبير عند قوله تعالى (وأما هنكم إلا أن أرضنكم) وقوله (وعلى الولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) أي وعلى والد الطفال نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف أي بما جرت به عادة الأمثالين في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره كما قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله شيئا إلا ما أتاه سبحانه الله بعد عسر يسرا) قال الضحاک : إذا طلق زوجته وله منها ولد فأرضت له ولده وجب على الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف .

وقوله (لا تضار والله بولسها) أى بأن تدفنه عنها لتضر أهل بتريته ولكن ليس لها دفنه إذا ولدته حتى تستقيبه
اللبأ لا يبيس بدون تناوله غالباً ثم بعد هذا لما دفنه عنها إذا شئت ولكن إن كانت مضارة لأيه فلا يحل لها ذلك
كما لا يحل له انتزاعه منها ليجرد الضرر لها ولهذا قال (ولا مولود له بولده) أى بأن يريد أن ينزع الولد منها اضراً
بها قاله مجاهد وقادة والضحاك والزهري والسدي والثوري وابن زيد وغيرهم .

وقوله تعالى (وطي الوارث مثل ذلك) قيل في عدم الضرر تقريه قاله مجاهد والشعي والضحاك وقيل عليه مثل
ما على والد الطفل من الإيقاع على والدته الطفل والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها وهو قول الجمهور وقد استقصى ذلك
ابن جرير في تفسيره وقد استدل بذلك من ذهب من الحنفية والحنابلة إلى وجوب نفقة الأقارب بعضهم على بعض وهو
مروي عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف ويرشح ذلك بحديث الحسن عن سمرة مرفوعاً « من ملك ذارحم محرم
عتق عليه » وقد ذكر أن الرضاة بعد الحولين ربما ضرت الولد إما في بدنه أو في عقله وقال سفيان الثوري عن الأعمش
عن إبراهيم عن علقمة أنه رأى امرأة ترضع بعد الحولين فقال لا ترضيه .

وقوله (فإن أرادوا فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) أى فإن اتفق والده الطفل على فطامه قبل
الحولين ورأى في ذلك مصلحة له وتشاور في ذلك وأجما عليه فلا جناح عليهما في ذلك فيؤخذ منه أن انفرد أحدهما
بذلك دون الآخر لا يكفي ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر قاله الثوري وغيره وهذا
فيه احتياط للطفل وإلزام للنظر في أمره وهو من رحمة الله بعباده حيث حجب عن الوالدين في تربية طفلها وأرشدتهما
إلى ما يصلحهما ويصلحه كما قال في سورة الطلاق (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) وأتمروا بينكم بمعروف وإن
تأسرتم فسترضع له أخرى) .

وقوله تعالى (وإن أردت أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف) أى إذا انفقت
الوالدة والوالد على أن يسترضع منها الولد إما لغير منها أو لغيره فلا جناح عليهما في بدله ولا عليه في قبوله منها إذا سلمها
أجرتها للماضية بالتي هي أحسن واسترضع لولده غيرها بالأجرة بالمعروف قاله غير واحد . وقوله (واضروا الله) أى في جميع
أحوالكم (واعلموا أن الله يمتحنكم بسيرة) أى فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم .

﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَسْئَلُكُمْ وَيَذَرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِمْ أَرَبَّمَهُ أَشْهُرٌ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا قَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

هذا أمر من الله للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن أن يتصدن أربعة أشهر وعشر ليال وهذا الحكم يشمل الزوجات
المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع ومستنده في غير المدخول بهن عموم الآية الكريمة وهذا الحديث الذي رواه
الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم
يفرض لها فترددوا إليه مراراً في ذلك فقال أقول فيها برأى فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فني ومن الشيطان
والله ورسوله بريئان منه : لها الصداق كاملاً وفي لفظ لها صداق مثلها لاوكس ولا شطط وعليها العدة ولما ليراث
فقام معقل بن يسار الأشجعي فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به في بروع بنت واشق ففرض عبد الله
بذلك فرحاً شديداً وفي رواية قام رجل من أشجع فقالوا : نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به
في بروع بنت واشق . ولا يخرج من ذلك إلا التوفى عنها زوجها وهي حامل فإن عدتها بوضع الحمل ولو لم يمسك
ببده سوى لحظة لمعوم قوله (وأولات الأحمال أجلهن أن يضمن حملهن) وكان ابن عباس يرى أن عليها أن ترضع
بأبده الأجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشر للجمع بين الآيتين وهذا مأخذ جيد ومسلط قوي لولا ما ثبتت به
السنة في حديث سبيعة الأسلمية المخرج في الصحيحين من غير وجه أنها توفي عنها زوجها سبعة من خولة وهي حامل
فلم تمتسب أن وضعت حملها بعد وفاته وفي رواية فوضعت حملها بعده ليال فلما تملت من قاسها تجملت للخطاب فدخل

عليها أبو السنايل بن بكك قال لها : مالي أراك متجعة لعلك ترجين النكاح ؟ والله ما أنت بنا كح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبعة ، فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أُمِيت فأُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فأفتاني بآني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالزواج إن بدلي ، قال أبو عمر بن عبد البر : وقد روى أن ابن عباس رجع إلى حديث سبعة يعني لما احتج عليه به قال وصح ذلك عنه أن أصحابه أفتوا بحديث سبعة كما هو قول أهل العلم تأطبه . وكذلك يستثنى من ذلك الزوجة إذا كانت أمة فإن عدتها على النصف من عدة الحرة شهران وخمس ليل على قول الجمهور لأنها لما كانت على النصف من الحرة في الحد فكذلك فلتكن على النصف منها في السنة . ومن العلماء كحميد بن سيرين وبعض الظاهرية من يسوي بين الزوجات الحرات والإماء في هذا المقام لعموم الآية ولأن السدة من باب الأمور الجبلية التي تستوي فيها الخلقة وقد ذكر سعيد بن السيب وأبو العالية وغيرهما أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا لاحتال اشتغال الرحم على حمل فإذا انتظر به هذه المدة ظهر إن كان موجودًا كما جاء في حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وغيرهما « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغه مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح » فهذه ثلاث أربعينات بأربعة أشهر والاحتياط بشر بعدها لما قد يتقص بعض الشهور ثم لظهور الحركة بعد نفع الروح فيه والله أعلم . قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة سألت سعيد بن السيب ما بال امرء ؟ قال : فيه ينفع الروح وقال الربيع بن أنس : قلت لأبي العالية لم سارت هذه الشرع الأشهر الأربعة ؟ قال : لأنه ينفع فيه الروح رواها ابن جرير . ومن هنا ذهب الإمام أحمد في رواية عنه إلى أن عدة أم الولد عدة الحرة ههنا لأنها صارت فرائضا كالحرات وللحديث الذي رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هرون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجاء بن حيوة عن قبيصة ابن ذؤيب عن عمرو بن عمرو بن العاص أنه قال : لا تلبسوا علينا سنة نينا : عدة أم الولد إذا توفي عنها سيدها أربعة أشهر وعشر ورواه أبو داود عن قتيبة عن غندر وعن ابن أبي عمير ، وابن ماجه عن علي بن محمد عن الربيع ثلاثهم عن سعيد بن أبي عروبة عن مطر الوراق عن رجاء بن حيوة عن قبيصة عن عمرو بن العاص فذكره وقد روى عن الإمام أحمد أنه أنكر هذا الحديث وقيل إن قبيصة لم يسمع همرا وقد ذهب إلى القول بهذا الحديث طائفة من السلف منهم سعيد بن السيب ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وأبو عياض والزهري وعمر بن عبد العزيز وبه كان يأمر يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو أمير المؤمنين وبه يقول الأوزاعي وإسحق بن راهويه وأحمد بن حنبل في رواية عنه وقال طائفة : عدة أم الولد إذا توفي عنها سيدها نصف عدة الحرة شهران وخمس ليل وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن صالح بن حمي تمتد ثلاث حين وهو قول علي وابن مسعود وعطاء وإبراهيم النخعي وقال مالك والشافعي وأحمد في للشهور عنه عدتها حصة وبه يقول ابن عمر والنسبي ومكحول والليث وأبو عبيد وأبو ثور والجمهور وقال الليث : ولو مات وهي حائض أجزأها وقال مالك : فلو كانت حين لا تحيض ثلاثة أشهر وقال الشافعي والجمهور : شهر وثلاثة أحب إلى والله أعلم . وقوله (فإذا بطن أجهلن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن للعرف والله بما تعملون خير) يستفاد من هذا وجوب الإحصاء على التوفى عنها زوجها مدة عدتها لما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن أم حبيبة وزينب بنت جحش أي المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يعمل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحل على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا » وفي الصحيحين أيضًا عن أم سلمة أن امرأة قالت يا رسول الله إن ابني توفي عنها زوجها وقد اشتكت فيها أفنكها ؟ فقال « لا » كل ذلك يقول - لا - مرتين أو ثلاثًا ثم قال « إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحصاء في الجاهلية تمكث سنة » قالت زينب بنت أم سلمة : كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفصا ولبست ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تخرج تقطع بمرة فترمي بها ثم تأتي بلباء حمار أو شاة أو طير فتغتنس به فتغتنس بغيره إلاما^(١) ومن هنا ذهب كثيرون من

الملاء إلى أن هذه الآية ناسخة للآية التي بعدها وهي قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج) الآية كما قاله ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما سيأتي تحريره . والفرس أت الإحداد هو عبارة عن ترك الزينة من الطيب وليس ما يصنعها إلى الأزواج من ثياب وحلى وغير ذلك وهو واجب في عدة الوفاة قولاً واحداً ولا يجب في عدة الرجعية قولاً واحداً وهل يجب في عدة البائن فيه قولان . ويجب الإحداد على جميع الزوجات التوف عنهن أزواجهن سواء في ذلك الصغيرة والآيسة والحرة والأمة والسلمة والكافرة لعموم الآية وقال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه لا إحداد على الكافرة وبه يقول أشهب وابن نافع من أصحاب مالك وحجة قائل هذه المقالة قوله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » قالوا فصله تبديلاً والحق أبو حنيفة وأصحابه والثوري الصغيرة بها لعدم التكليف والحق أبو حنيفة وأصحابه الأمة المسلمة لنفسها وعمل تقرير ذلك كله في كتب الأحكام والفروع والله للوفق للصواب

وقوله (فلذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن قاله الضحاك والربيع بن أنس (فلا جناح عليكم) قال الزهري أي على أولياتها (فيا فلن) يعني النساء اللاتي انقضت عدتهن قال الوقي عن ابن عباس إذا طلقت المرأة أو مات عنها زوجها فلذا انقضت عدتها فلا جناح عليها أن تزني وتصنع وتعرض للتزويج فذلك للمرء وروى عن مقاتل بن حيان نحوه وقال ابن جريج عن مجاهد (فلا جناح عليكم فيا فلن في أنفسهن بالمعروف) قال النكاح الحلال الطيب وروى عن الحسن والزهري والسدي ونحو ذلك

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ عَذَابُكُمْ سَتَرْتُمْ عَنْ زَوَّجِهِنَّ وَالْكَافِرُونَ لَا تَأْوِيَهُمْ وَلَا يَأْتِيهِمْ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَزْنُوا عَهْدَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى (ولا جناح عليكم) أن تعرضوا خطبة النساء في عدتهن من وفاة أزواجهن من غير تصريح قال الثوري وشعبة وجريز وغيرهم عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ولا جناح عليكم فيا عرضتم به من خطبة النساء) قال الترمذي أن يقول إلى أريد التزويج وإلى أحب امرأة من امرأها ومن امرأها - يرض لها بالقول بالمعروف - وفي رواية ووددت أن الله رزقني امرأة ونحو هذا ولا يتصحب للخطبة وفي رواية إلى لا أريد أن أزوج غيرك إن شاء الله ولوددت أني وجدت امرأة سالحة ولا يتصحب لها ما دامت في عدتها ورواه البخاري تعليقاً وقال في طلق بن غنم عن زائدة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس (ولا جناح عليكم فيا عرضتم به من خطبة النساء) هو أن يقول إلى أريد التزويج وإن النساء لمن حاجتي ولوددت أن يسر لي امرأة سالحة وهكذا قال مجاهد وطاوس وعكرمة وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والشعي والحسن وقائدة والزهري وزيد بن قسيط ومقاتل بن حيان والقاسم بن محمد وغير واحد من السلف والأئمة في الترخيص إنه يجوز للتوف عنها زوجها من غير تصريح لها بالخطبة وهكذا حكم المطلقة البتة يجوز الترخيص لها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاطماعة بنت نيس حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات فأمرها أن تمتد في بيت ابن أم مكتوم وقال لها فإذا حلت فكاذبي فلما حلت خطب عليها أسامة بن زيد مولاه فزوجها إليه فأما المطلقة فلا خلاف في أنه لا يجوز لتبر زوجها التصريح بخطبتها ولا الترخيص لها والله أعلم

وقوله (أو أكننتم في أنفسكم) أي أضمرتم في أنفسكم من خطبتهن وهذا كقوله تعالى (وبك يعلم ما تكن سدورهم وما يبطنون) وكقوله (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنت) ولهذا قال (علم الله أنكم ستكرهن) أي

في أنفسكم فرج الحرج عنكم في ذلك ثم قال (ولكن لاتواعدوهن سرا) قال أبو جابر وأبو النعمان جابر بن زيد والحسن البصري وإبراهيم النخعي وقادة والضحاك والريبع بن أنس وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان والسدي يعني الزنا وهو معنى رواية الموفى عن ابن عباس واختاره ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولكن لاتواعدوهن سرا) لانقل لما لنا عاشق وماهدين أن لاتزوجي غيري ونحو هذا وكذا روى عن سعيد بن جبير والشعبي وعكرمة وأبي الضحى والضحاك والزهرى ومجاهد والثوري هو أن يأخذ ميثاقها أن لاتزوج غيره وعن مجاهد هو قول الرجل للمرأة لاخوتيني بنفسك فاني ناكحك وقال قتادة : هو أن يأخذ عهد للمرأة وهي لعدها أن لاتنكح غيره فهي الله عن ذلك وقدم فيه وأحل الخطبة والقول بالمعروف وقال ابن زيد (ولكن لاتواعدوهن سرا) هو أن يتزوجها في العدة سرا فإذا حلت أظهر ذلك وقد يحتمل أن تكون الآية عامة في جميع ذلك ولهذا قال (إلا أن تقولوا قولنا معروفا) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي والثوري وابن زيد : يعني به ما تقدم من إباحة التعريض كقوله : إني نيك لأرغب ونحو ذلك وقال محمد بن سيرين قلت لعبدية : مامضى قوله (إلا أن تقولوا قولنا معروفا) قال : يقول لوليا : لاتسبقني بها ، يعني لاتزوجها حتى تطلقى ، ورواه ابن أبي جهم .

وقوله (ولا تمزوا عقد النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني ولا تقعدوا العقد بالنكاح حتى تنقضى العدة . قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وقادة والريبع بن أنس وأبو مالك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان والزهرى وعطاء الخراساني والسدي والثوري والضحاك (حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني ولا تقعدوا العقد بالنكاح حتى تنقضى العدة وقد أجمع العلماء على أنه لا يصح العقد في مدة العدة . واختلفوا فيمن تزوج امرأة في عدها فدخل بها فانه يفرق بينهما وهل تحرم عليه أبدا ؟ على قولين : الجمهور على أنها لا تحرم عليه بل له أن يخطبها إذا انقضت عدها . وذهب الإمام مالك إلى أنها تحرم عليه على التأيد واحتج في ذلك بما رواه عن ابن شهاب وسليمان بن يسار أن عمر رضي الله عنه قال : أما امرأة نكحت في عدها فان كان زوجها الذي تزوج بها لم يدخل بها ففرق بينهما ثم اعتدت بقية عدها من زوجها الأول وكان خاطبا من الخطباء وإن كان دخل بها ففرق بينهما ثم اعتدت بقية عدها من زوجها الأول ثم اعتدت من الآخر ثم لم ينكحها أبدا ، قالوا . وماخذ هذا أن الزوج لما استكمل ما أجل الله عوقب ببقين قصده فحرمت عليه على التأيد كالمقاتل يحرم للبراث . وقد روى الشافعي هذا الأثر عن مالك . قال البيهقي . وذهب اليه في القدم ورجع عنه في الجديد لقول علي أنها تحل له (قلت) قال . ثم هو منقطع عن عمر . وقد روى الثوري عن أشعث عن الشعبي عن مسروق أن عمر رجع عن ذلك وجعل لها مهرها وجعلها يجتمعان .

وقوله (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) توعدهم على ما يقع في منامهم من أمور النساء وأرشدهم إلى إظهار الخير دون الشر ثم لم يؤسهم من رحمة ولم يقتلهم من عاقبته فقال (واعلموا أن الله غفور رحيم) .

﴿الْأَجْنَاحُ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّوَهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُتَّقِرِ قَدَرُهُ مِمَّا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾

أولح تبارك وتعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها . قال ابن عباس وطاوس وإبراهيم والحسن البصري : ليس النكاح بل ويجوز أن يطلقها قبل الدخول بها والفرض لها إن كانت مفوضة وإن كان في هذا انكسار قلبها ولهذا أمر تعالى بامتاعها وهو تزويجها مما طابها بشيء تنعمه من زوجها بحسب حاله على الوسع قدره وعلى المتقتر قدره . وقال سفيان الثوري عن إسماعيل بن أمية عن عكرمة عن ابن عباس قال . متعة الطلاق أعلاما لخدم ودون ذلك الورق ودون ذلك الكسوة . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . إن كان موسرا امتعها بخادم أو نحو ذلك وإن كان مسرا امتعها بثلاثة أثواب . وقال الشعبي أوسط ذلك درع وخمار وملخة وجلباب قال . وكان شرع يمتع

بحسبانه . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب بن سيرين قال . كان يمتع بالخدم أو بالنفقة أو بالكسوة . قال . وامتع الحسن بن علي بشرة آلاف ويروى أن المرأة قالت * متاع قليل من حبيب مفارق * وذهب أبو حنيفة إلى أنه متى تنازع الزوجان في مقدار النعمة وجب لها عليه نصف مهر مثلها . وقال الشافعي في الجديد . لا يجبر الزوج على قدر معلوم إلا على أهل مايقع عليه اسم النعمة وأحب ذلك إلى أن يكون أئفه مايجزئ فيه السلاة وقال في القديم لا أعرف في النعمة قدراً إلا أني أمتحن ثلاثين درهما كما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما . وقد اختلف العلماء أيضاً هل يجب النعمة لكل مطلقة أو إنما يجب النعمة لغير الدخول بها التي لم يفرض لها على أقوال : أحدها أنها يجب للتمتع لكل مطلقة لمعوم قوله تعالى (والمطلقات متاع بالمعروف حقا على اللثمين) وقوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتكن وأسرحن سراحا جيمعا) وقد كن مفروضا لهن ومدخولا بهن وهذا قول سعيد بن جبير وأبي المالية والحسن البصري وهو أحد قولي الشافعي . ومنهم من جعله الجديد الصحيح والله أعلم .

(والقول الثاني) أنها يجب للمطلقة إذا طلقت قبل اللبس وإن كانت مفروضا لها لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لکم عليهن من عدة تعتدونها فتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) قال شعبة وغيره عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال نسخت هذه الآية التي في الأحزاب الآية التي في البقرة وقد روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد وأبي أسيد أنهما قالا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمية بنت شرحبيل فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين أزرقين (والقول الثالث) أن النعمة إنما يجب للمطلقة إذا لم يدخل بها ولم يفرض لها فإن كان قد دخل بها وجب لها مهر مثلها إذا كانت مفوضة وإن كان قد فرض لها وطلقها قبل الدخول وجب لها عليه شرطه فإن دخل بها استقر الجميع وكان ذلك عوضا لها عن النعمة وإنما المصابة التي لم يفرض لها ولم يدخل بها فهذه التي دلت هذه الآية الكريمة على وجوب متعتها وهذا قول ابن عمر ومجاهد ومن العلماء من استحبها لكل مطلقة بمن عدا القوضه المتارة قبل الدخول وهذا ليس بمنكور وعليه تحمل آية التخيير في الأحزاب ولهذا قال تعالى (على الوسع قدره وعلى القتر قدره متاعا بالمعروف حقا على الحسنيين * والمطلقات متاع بالمعروف حقا على اللثمين) ومن العلماء من يقول إنها مستحبة مطلقا . قال ابن أبي حاتم . حدثنا كثير بن شهاب القزويني حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو - يعني ابن أبي قيس - عن أبي إسحق عن الشعبي قال . ذكروا له النعمة أيجب فيها قفراً (على الوسع قدره وعلى القتر قدره) قال الشعبي . والله مارأيت أحدا جئس فيها والله لو كانت واجبة لجئس فيها القضاة .

(وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَقُولُنَّ أَوْ يَمُوتُوا)

أَلَّذِي بِيَدِهِ عَذَابُ النَّكَّاحِ . وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

وهذه الآية الكريمة بما يدل على اختصاص النعمة بما دلت عليه الآية الأولى حيث إنما أوجب في هذه الآية نصف المهر المفروض إذا طلق الزوج قبل الدخول فإنه لو كان ثم واجب آخر من مئة لينها لاسبا وقد قرنهما بما قبلها من اختصاص النعمة بتلك الآية والله أعلم وتظهر الصداق والحالة هذه أمر جمع عليه بين العلماء لاختلاف بينهم في ذلك فإنه متى كان قد مسمى لها صداقا ثم فارقها قبل دخوله بها فإنه يجب لها نصف مسمى من الصداق إلا أن عند الثلاثة أنه يجب جميع الصداق إذا خلا بها الزوج وإن لم يدخل بها وهو مذهب الشافعي في القديم وبه حكم الخلفاء الراشدين لكن قال الشافعي : أخبرنا مسلم بن خالد أخبرنا ابن جريج عن ليث بن أبي سليم عن طلوس عن ابن عباس أنه قال في الرجل يتزوج المرأة فيخلوها ولا يمسها ثم يطلقها . ليس لها إلا نصف الصداق لأن الله يقول (وإن طلقتموهن من قبل تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) قال الشافعي بهذا أقول وهو ظاهر الكتاب قال البيهقي وليث بن

أبي سلم وإن كان غير محتج به فقد رواه من حديث ابن أبي طلحة عن ابن عباس فهو مقوله .

وقوله (إلا أن يفنون) أي النساء محابوب لها على زوجها فلا يجب لها عليه شيء . قال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله (إلا أن يفنون) قال : إلا أن تسفوا الثيب فتدع عنها . قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله وروى عن شريح وسعيد بن السيب وعكرمة ومجاهد والشعي والحسن ونافع وقتادة وجابر بن زيد وعطاء الخراساني والضحاك والزهرى ومقاتل بن حيان وابن سيرين والريبع بن أنس والسدي نحو ذلك . قال : وخالفهم محمد بن كعب القرظي فقال (إلا أن يفنون) يعني الرجال وهو قول شاذ لم يتابع عليه انتهى كلامه .

وقوله (أويصو الذي يده عقدة النكاح) قال ابن أبي حاتم . ذكر عن ابن لهيعة حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « ولي عقدة النكاح الزوج » وهكذا أسنده ابن مردويه من حديث عبد الله بن لهيعة به وقد أسنده ابن جرير عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكره ولم يقل عن أبيه عن جده والله أعلم ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا جابر يعني ابن أبي حازم عن عيسى يعني ابن عاصم قال : سمعت شريحاً يقول سألت علي بن أبي طالب عن الذي يده عقدة النكاح فقلت له هو ولي المرأة فقال لي : لا بل هو الزوج ثم قال وفي إحدى الروايات عن ابن عباس وجبير بن مطعم وسعيد بن السيب وشريح في أحد قوله وسعيد بن جبير ومجاهد والشعي وعكرمة ونافع ومحمد بن سيرين والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وجابر بن زيد وأبي جابر والريبع بن أنس وإياس بن معاوية ومكحول ومقاتل بن حيان أنه الزوج (قلت) وهذا هو الجديد من قول الشافعي ومنه أبو حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والأوزاعي واختاره ابن جرير ومأخذه هذا القول أن الذي يده عقدة النكاح حقيقة الزوج فإن يده عقدها وإبرامها ونقضها وانتهادها وكأنه لا يجوز للولي أن يهب شيئاً من مال اللولية للغير فكذلك في الصداق قال والوجه الثاني حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا عمرو بن دينار عن ابن عباس - في الذي ذكر الله يده عقدة النكاح - قال ذلك أبوها أو أخوها أو من لا تنكح إلا بإذنه وروى عن علقمة والحسن وعطاء وطلوس والزهرى وربيعة وزيد بن أسلم وإبراهيم النخعي وعكرمة في أحد قوله ومحمد بن سيرين في أحد قوله أنه الولي وهذا مذهب مالك وقول الشافعي في القديم ومأخذه أن الولي هو الذي أكسبها إياه فله التصرف فيه بخلاف سائر مالها وقال ابن جرير : حدثنا سعيد بن الريبع الرازي حدثنا سفیان عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : أذن الله في الفو وأمر به فأى امرأة عفت جازعفوها فان شئت وضئت عفاولها (١) جازعفوه وهذا يقتضى مسحة عفوا الولي وإن كانت شديدة وهو مروى عن شريح لكن أنكر عليه الشعبي فرجع عن ذلك وصار إلى أنه الزوج وكان يباهل عليه .

وقوله (وأن تفنوا أقرب للتقوى) قال ابن جرير قال بعضهم : خوطب به الرجال والنساء حدثني يونس أنبأنا ابن وهب سمعت ابن جريج يحدث عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس (وأن تفنوا أقرب للتقوى) قال أخرجهما للتقوى الذي يفنو وكذا روى عن الشعبي وغيره وقال مجاهد والنخعي والضحاك ومقاتل بن حيان والريبع بن أنس والثوري : الفضل ههنا أن تفنو للمرأة عن شطرها أو إتمام الرجل الصداق لها ولهذا قال (ولا تفنوا الفضل بينكم) أي الإحسان قاله سعيد وقال الضحاك وقتادة والسدي وأبو وائل اللخروي يعني لا تهملوه بل استعملوه بينهم وقد قال أبو بكر ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا موسى بن إسحق حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير حدثنا عبد الله بن الوليد الرصافي عن عبد الله بن عبيد عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال لا تأمن على الناس زمان عضوض بعض المؤمن على ماني يديه ويشي الفضل وقد قال الله تعالى (ولا تفنوا الفضل بينكم) « شرار يابعون كل مضطر » وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر وعن بيع التمر فإن كان عندك خير فصد به على أخيك ولا تزده هلاكاً إلى هلاكه فإن للسلم أخو السلم لا يحزنه ولا يهرمه . وقال سفیان عن أبي هريرة قال رأيت عون بن عبد الله في مجلس القرظي فكان عون يحدثنا ولحيته ترش من البكاء ويقول صحبت الأغنياء فكنت من

(١) الطاهر أناسه : وعفا وليها - ونسخة الأظهر : عفا وليها وجزع عفوه .

أكثرهم ما حين رأيتهم أحسن ثياباً وأطيب ريحاً وأحسن مركباً وجالساً للقراء فاسترحبهم وقال (ولا تنسوا الفضل بينكم) إذا أتاه السائل وليس عنده شيء فليعده لرواه ابن أبي حاتم (إن الله ينامسون بصير) أي لا ينجي عليه شيء من أموركم وأحوالكم وسيجزى كل عامل بماله .

(حَفَظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدِّكُمْرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)

يأمر تعالى بالحفاظ على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة في وقتها » قلت ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » قلت ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قال : حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استبدته لزدني وقال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن عبد الله بن عمر بن حصن بن عاصم عن القاسم بن غنم عن جدته أم أبيه الدنيا عن جدته أم فروة وكانت عن بايع رسول الله ﷺ أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الأعمال فقال (إن أحب الأعمال إلى الله تسجيل الصلاة لأول وقتها » وهكذا رواه أبو داود والترمذي وقال لا نفره إلا من طريق العمري وليس بالقوي عند أهل الحديث وخس تعالى من بينها يزيد التأكيد الصلاة الوسطى وقد اختلف السلف والخلف فيها أي صلاة هي قبيل إنها الصبح حكاه مالك في اللوط بلاغا عن علي وابن عباس وقال هشيم وابن عليه وغندر وابن أبي عدي وعبد الوهاب وشريك وغيرهم عن عوف الاعرابي عن أبي رجاء العطاردي قال : صليت خلف ابن عباس الصبح فقلت فيها ورفع يديه ثم قال : هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين رواه ابن جرير ورواه أيضا من حديث عوف عن خلاص بن عمرو عن ابن عباس مثله سواء وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا عوف عن أبي النخاع عن أبي العالقة عن ابن عباس أنه صلى الغداة في مسجد البصرة فقلت قبل الركوع وقال هذه الصلاة الوسطى التي ذكرها الله في كتابه فقال (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال أيضا حدثنا محمد بن عيسى الدامغانى أخبرنا ابن المبارك أخبرنا الربيع بن أنس عن أبي العالقة قال : صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة صلاة الغداة فقلت لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جاني ما الصلاة الوسطى قال : هذه الصلاة . وروى من طريق أخرى عن الربيع عن أبي العالقة أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة فلما فرغوا قال قلت لهم أيهن الصلاة الوسطى ؟ قالوا التي قد صليتها قبل . وقال أيضا حدثنا ابن بشار حدثنا ابن شعبة عن سعيد بن بشر عن قتادة عن جابر بن عبد الله قال : الصلاة الوسطى صلاة الصبح وحكاها ابن أبي حاتم عن ابن عمر وأبي أمامة وأنس وأبي العالقة وعبيد بن عمير وعطاء ومجاهد وجابر بن زيد وعكرمة والربيع بن أنس ورواه ابن جرير عن عبد الله بن شدد بن الهاد أيضا وهو الذي نص عليه الشافعي رحمه الله بحجابه قوله تعالى (وقوموا لله قانتين) والقوت عنده في صلاة الصبح ومنهم من قال هي وسطى باعتبار أنها لا تقصر وهي بين صلاتين ربايعيتين متصورتين وترد القرب وقيل لأنها بين صلاتي ليل جهريتين وصلاتي نهاريين وقيل إنها صلاة الظهر قال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا ابن أبي ذئب عن الزبرقان بن بدر بن عمرو عن زهرة بن ابن معبد قال : كنا جلوسا عند زيد بن ثابت فأرسلوا إلى أسامة فسألوه عن الصلاة الوسطى فقال هي الظهر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالمحجر وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم سمعت الزبرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالمحجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فزلت (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين . ورواه أبو داود في سنته من حديث شعبة به وقال أحمد أيضا : حدثنا يزيد بن عبد الله بن وهب عن الزبرقان أن رجلا من قريش مر بهم زبدين ثابت وهم مجتمعون فأرسلوا إليه غلامين لهم يسألانه عن الصلاة الوسطى فقال هي

المصر فقام إليه رجلان منهم فسأله فقال . هي الظهر . ثم انصرفا إلى أسامة بن زيد فسأله فقال : هي الظهر إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الظهر بالمجبر فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس في قائلهم وفي تجارتهم فأنزل الله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليتبين رجال أو لأحرقن يومهم » والزريقان هو ابن عمرو بن أمية الضمري لم يدرك أحداً من الصحابة والصحيح ما تقدم من روايته عن زهرة بن معبد وعروة بن الزبير وقال شعبة وهمام عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال : الصلاة الوسطى صلاة الظهر ، وقال أبو داود الطيالسي وغيره عن شعبة أخبرني عمر ابن سليمان من ولد عمر بن الخطاب قال سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال : الصلاة الوسطى هي الظهر ورواه ابن جرير عن زكريا بن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الصمد عن شعبة عن عمر بن سليمان عن زيد بن ثابت في حديث رفعه قال « الصلاة الوسطى صلاة الظهر » وعن روى عنه أنها الظهر ابن عمر وأبو سعيد وعائشة على اختلاف عنهم وهو قول عروة بن الزبير وعبد الله بن شداد بن الحاد ورواية عن أبي حنيفة رحمهم الله وقيل إنها صلاة العصر قال الترمذي والبيهقي رحمهما الله وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم وقال القاضي للماوردي هو قول جمهور التابعين وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر هو قول أكثر أهل الأثر وقال أبو محمد بن عطية في تنزيهه وهو قول جمهور الناس وقال الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الشيباني في كتابه المسمى بكشف الغطاء بين الصلاة الوسطى وقد نص فيه أنها العصر وحكا عن عمر وعلى وابن مسعود وأبي أيوب وعبد الله بن عمرو وممرة بن جندب وأبي هريرة وأبي سعيد وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وعن ابن عمر وابن عباس وعائشة على الصحيح عنهم وبه قال عبيدة وإبراهيم النخعي وزياد بن جبير وابن سيرين والحسن وقتادة والشافعي والليثي ومقاتل وعبيد بن مريم وغيرهم وهو مذهب أحمد بن حنبل قال القاضي للماوردي والشافعي قال ابن النضر وهو الصحيح عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد واختاره ابن حبيب للشافعي رحمهم الله

ذكر الدليل على ذلك — قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن شتير بن شكل عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة قلوبهم ويوتهم ناراً » ثم صلاها بين العشائين للغرب والعشاء ، وكذا رواه مسلم من حديث أبي معاوية محمد بن حازم الضرير والنسائي من طريق عيسى بن يونس كلاهما عن الأعمش عن مسلم بن مسبيع عن أبي الضحى عن شتير بن شكل بن حميد عن علي ابن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وقد رواه مسلم أيضاً من طريق شعبة عن الحكم بن عتيبة عن يحيى ابن الجزار عن علي بن أبي طالب وأخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وغير واحد من أصحاب السان والسنن والصالح من طرق يطول ذكرها عن عبيدة السلماني عن علي بن يونس ورواه الترمذي والنسائي من طريق الحسن البصري عن علي بن يونس قال الترمذي : ولا يعرف بجماعه منه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عاصم عن زر قال قلت لمبيدة سل علياً عن الصلاة الوسطى فسأله فقال : كنا نراها العصر أو الصبح حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأحزاب « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة قلوبهم وأجوابهم أي يوتهم ناراً » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي به . وحديث يوم الأحزاب وشغل الشركيين رسول الله ﷺ وأصحابه عن أداء الصلاة العصر يومئذ مروى عن جماعة من الصحابة يطول ذكرهم وإنما المقصود رواية من نص منهم في روايته أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر . وقد رواه مسلم أيضاً من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب رضي الله عنهما (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن قتادة عن الحسن عن مرة أن رسول الله ﷺ قال « صلاة الوسطى صلاة العصر » وحديث يهز وغفان قالا . حدثنا أبان حدثنا قتادة عن الحسن عن مرة أن رسول الله ﷺ قال (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) ومما لنا أنها هي صلاة العصر وحدثنا محمد بن جعفر وروح قالا : حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن مرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال « هي

العصر » قال ابن جعفر : سئل عن صلاة الوسطى ورواه الترمذى من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن ممرة وقال : حسن صحيح : وقد سمع منه حديث آخر وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن التيمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الصلاة الوسطى صلاة العصر » (طريق أخرى بل حديث آخر) قال ابن جرير وحدثني الثني حدثنا سليمان بن أحمد الجرشى الواسطى حدثنا الوليد بن مسلم قال أخبرني صدقة بن خالد حدثني خالد بن دهقان عن خالد بن سيلان عن كهيل بن حرملة قال سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى فقال : اختلفنا فيها كما اختلفتم فيها ونحن بفناء بيت رسول الله ﷺ وفيما الرجل الصالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فقال : أنا أعلم لكم ذلك فاستأذن على رسول الله ﷺ فدخل عليه ثم خرج إلينا فقال أخبرنا أنها صلاة العصر . غريب من هذا الوجه جداً (حديث آخر) قال ابن جرير . حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام عن مسلم مولى أبي جبير حدثني إبراهيم بن يزيد الشامي قال : كنت جالساً عند عبد العزيز بن مروان فقال يا فلان اذهب إلى فلان فقل له : أي شيء سمعت من رسول الله ﷺ في الصلاة الوسطى ؟ فقال رجل جالس : أرسلني أبو بكر وعمر وأنا غلام صغير أسأله عن الصلاة الوسطى فأخذ اصبعي الصغيرة فقال « هذه صلاة الفجر » وقبض التي تليها فقال « هذه الظهر » ثم قبض الإبهام فقال « هذه المغرب » ثم قبض التي تليها فقال « هذه المساء » ثم قال « أي ما يملك بقيت » فقلت الوسطى فقال « أي الصلاة بقيت ؟ » فقلت العصر فقال « هي العصر » غريب أيضاً جداً (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا محمد بن إسحاق بن عياش حدثني أبي حدثني أبو ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة الوسطى صلاة العصر » إسناده لا بأس به (حديث آخر) قال أبو حاتم بن حبان في صحيحه حدثنا أحمد بن يحيى بن زهير حدثنا الجراح بن علف حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام بن موري العجلي عن أبي الأحوس عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « صلاة الوسطى صلاة العصر » وقد روى الترمذى من حديث محمد بن طلحة بن مصرف عن زيد البجلي عن مرة الحمدي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « صلاة الوسطى صلاة العصر » ثم قال حسن صحيح وأخرجه مسلم في صحيحه من طريق محمد بن طلحة به ولفظه « شغلنا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر » الحديث فهذه نصوص في السأله لا تختم شيئاً يؤكد ذلك الأمر بالحفاظة عليها وقوله ﷺ في الحديث الصحيح من رواية الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » وفي الصحيح أيضاً من حديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي كثير عن أبي الجاهر عن بريدة بن الحصيب عن النبي ﷺ قال « بكروا بالصلاة في يوم النعم فانه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق أخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هيرة عن أبي تميم عن أبي نضرة الفزاري قال : صلى بنا رسول الله ﷺ في واد من أوديته يقال له الجحش (١) صلاة العصر فقال « إن هذه الصلاة عرضت على الذين من قبلكم فضعوها ألا ومن صلاها ضعف له أجره مريمين ألا ولا صلاة بعدها حتى تروا الشاهد » ثم قال رواه عن يحيى بن إسحاق عن الليث عن جابر بن نعيم عن عبد الله بن هيرة به وهكذا رواه مسلم والنسائي جميعاً عن ثقيفة عن الليث ورواه مسلم أيضاً من حديث محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن أبي حبيب كلاهما عن جابر بن نعيم الحضرمي عن عبد الله بن هيرة السبائي به فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد أيضاً حدثنا إسحاق أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً قالت : إذا بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فأذن قلباً بلفتها أكدتها فأملت على (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) قالت سمعتها من رسول الله ﷺ وهكذا رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك به . وقال ابن جرير . حدثني ابن لثني حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه قال . كان في مصحف عائشة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي

(١) في نسخة الأثر قال له : الخمص .

صلاة العصر) وهكذا رواه من طريق الحسن البصري أن رسول الله ﷺ قرأها كذلك وقد روى
 الامام مالك أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن رافع قال كنت أكتب مصحفا لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
 فقالت إذا بلغت هذه الآية فاذن (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) فلما بلغت آيتها فأملت على (حافظوا على
 الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) وهكذا رواه محمد بن إسحق بن يسار فقال حدثني
 أبو جعفر محمد بن علي بن واثق مولى بن عمر أن عمر بن نافع قال فذكر مثله وزاد كما حفظنا من النبي ﷺ
 (طريق أخرى عن حفصة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن يشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن عبد الله
 ابن يزيد الأزدي عن سالم بن عبد الله أن حفصة أمرت إنسانا أن يكتب لها مصحفا فقالت إذا بلغت هذه الآية (حافظوا على
 الصلوات والصلوة الوسطى) فأذن فلما بلغ آيتها فقالت اكتب (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر)
 (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثني ابن لثمي حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع أن حفصة أمرت مولى لها أن
 يكتب لها مصحفا فقالت إذ بلغت هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما
 سمعت رسول الله ﷺ يقرأها فلما بلغت أمرته فكتبها (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا
 لله قانتين) قال نافع فقرأت ذلك للصف فوجدت فيه الواو وكذا روى ابن جرير عن ابن عباس وعبيد بن عمير أنها قرأت
 كذلك وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيدة حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو سلمة عن عمرو بن رافع مولى
 عمر قال كان في مصحف حفصة (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) وتقرير
 الممارسة أنه عطف صلاة العصر على الصلاة الوسطى بواو العطف التي تقتضي التنايرة فدل ذلك على أنها غيرها
 وأجيب عن ذلك بوجوه (أحدها) أن هذا إن روى على أنه خبر حديث على أصح وأصرح منه وهذا يحتمل أن
 تكون الواو زائدة كما في قوله (وكذلك فصل الآيات ولتستبين سبل المجربين * وكذلك نرى إِبْرَاهِيمَ ملكوت
 السموات والأرض وليكون من الموقنين) أو تكون لعطف الصفات لالعطف الذي كونه (ولكن رسول الله
 وخاتم النبيين) وكقوله (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى) وأشباه
 ذلك كثيرة وقال الشاعر : إلى الملك القرم وابن الهمام وليث السكتية في المزدحم
 وقال أبو داود الأدي : سلط الموت والموتون عليهم فلهم في صدى القابر هام

والموت هو اللون قال عدى بن زيد^(١) العبادي : قد دنت الأديم لراحميه فألقي قولها كذبا ومينا
 والكذب هو اللين وقد نسى سيويه شيخ النحاة على جواز قول القائل مررت بأخيك وصاحبك ويكون
 صاحب هو الأخ نفسه والله أعلم وأما إن روى على أنه قرآن فانه لم يواتر فلا يثبت بمثل خبر الواحد قرآن ولهذا
 لم يثبت أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في المصحف ولا قرأ بذلك أحد من القراء الذين ثبتت الحجة
 بقراءتهم لامن السبعة ولا من غيرهم . ثم قد روى ما يدل على نسخ هذه التلاوة المذكورة في هذا الحديث قال
 مسلم : حدثنا إسحق بن راهويه أخبرنا يحيى بن آدم عن فضيل بن مرزوق عن شقيق بن عتبة عن البراء بن عازب قال :
 نزلت (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها على رسول الله ﷺ ماشاء الله ثم نسخها الله
 عز وجل فأزل (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) فقال له زاهر رجل كان مع شقيق : أفهي العصر ؟ قال
 قد حدثتك كيف نزلت وكيف نسخها الله عز وجل قال مسلم : ورواه الأشجعي عن الثوري عن الأسود عن شقيق
 قلت وشقيق هنا لم يرو له مسلم سوى هذا الحديث الواحد والله أعلم فلي هذا تكون هذه التلاوة وهي تلاوة
 الجادة ناسخة لفظ رواية عائشة وحفصة ولماها إن كانت الواو دالة على التنايرة وإلا فلفظها قطع والله أعلم .
 وقيل إن الصلاة الوسطى هي صلاة الترتيب رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وفي إسناده نظر فانه رواه عن
 أبيه عن أبي الجاهر عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي الخليل عن عمه عن ابن عباس قال . صلاة الوسطى الترتيب

(١) في نسخة الأزهري زيد بن هدي .

وحكى هذا القول ابن جرير عن قبيصة بن ذؤيب وحكى أيضا عن قتادة على اختلاف عنه وجه هذا القول بعضهم بأنها وسطى في العدد بين الرباعية والثنائية وبأنها وتر للقروضات وما جاء فيها من الفضيلة والله أعلم .

وقيل إنها العشاء الأخيرة اختاره على بن أحمد الواحدى في تفسيره للشهور وقيل هى واحدة من الخمس لا يعبأ وأبهت فبين كما بهت ليله القدر في الحول أو الشهر أو العشر وحكى هذا القول عن سعيد بن سعيد بن السيب وشرى القاضي ونافع مولى ابن عمر والرياح بن خيثم وهل أيضا عن زيد بن ثابت واختاره إمام الحرمين الجوينى في نهايته

وقيل بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس رواه ابن أبى حاتم عن ابن عمر وفي صحته أيضا نظر والمجب أن هذا القول اختاره الشيخ أبو عمرو بن عبد البر الحزرى إمام ماوراء البحر وإنها لاحدى الكبر إذ اختاره مع اطلاع وحفظه ما لم يتم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر وقيل إنها صلاة العشاء وصلاة العصر . وقيل بل هى صلاة الجمعة وقيل صلاة الجمعة وقيل صلاة الخوف وقيل بل صلاة عيد الفطر وقيل بل صلاة الأضحية وقيل

الوتر وقيل الضحى وتوقف فيها آخرون لما تعارضت عندهم الأدلة ولم يظهر لهم وجه الترجيح ولم يقع الإجماع على قول واحد بل لم يزل النزاع فيها موجودا من زمان الصحابة وإلى الآن قال ابن جرير . حدثني محمد بن يشار وابن مثنى

قالا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال : سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن السيب قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ مختلفين في الصلاة الوسطى هكذا وشك بين أصابعه وكل هذه الأقوال فيها ضعف بالنسبة إلى القى

قبلها وإنما للدار ومعتزك النزاع في الصبح والعصر وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعين الصبر إليها . وقد روى الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى رحمه الله في كتاب الشافعى رحمه الله حدثنا أبى سمعت حرمة

ابن يحيى اللخمي يقول قال الشافعى كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ بخلاف قولى مما يصح فحدثني النبي ﷺ أولى ولا تقلدونى وكذا روى الريح والأثر عن أبى حاتم عن الشافعى وقال موسى أبو الوليد بن أبى الجارود

عن الشافعى إذا صح الحديث قلت قولنا فأننا راجع عن قولى وقائل بذلك فهذا من سيادته وأمانته وهذا نفس إخوانه من الأمة رحمه الله ورضى عنهم أجمعين كآين ومن ههنا قطع القاضي للماوردى بأن مذهب الشافعى رحمه الله أن صلاة

الوسطى هى صلاة العصر وإن كان قد نص في الجديد وغيره أنها الصبح لصحة الأحاديث أنها العصر وقد وافقه على ههنا الطريقة جماعة من محدثي المذهب والله الحمد والملة : ومن القمهاء في المذهب من ينكر أن تكون هى العصر مذهب (١)

الشافعى وصموا على أنها الصبح قولوا واحدا . قال للماوردى : ومنهم من حكى في المسألة قولين ولتقرير الماراضات والجوابات موضع آخر غير هذا وقد أفردناه على حدة والله الحمد والملة .

وقوله تعالى (وقوموا له قاتنين) أى خاضعين ذليين مستكينين بين يديه وهذا الأمر مستلزم ترك الكلام في الصلاة لشفاعة إياها ولهذا لما امتنع النبي ﷺ من الرد على ابن مسعود حين سلم عليه وهو في الصلاة

اعتذر إليه بذلك وقال « إن في الصلاة لشغلا » وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال لمساوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هى التسبيح والتكبير وذكر الله » وقال

الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل حدثني الحارث بن شيبان عن أبى عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال : كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي ﷺ في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية (وقوموا لله

قاتنين) فأمر بال سكوت رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن إسماعيل به وقد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء حيث ثبت عندهم أن تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلى المدينة . وبعد الهجرة إلى أرض الحبشة

كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال : كنا نسلم على النبي ﷺ قبل أن نهجر إلى الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا قال فلا قد سلمت عليه فلم يرد على فأخذنى ما قريب وما بعد فلما سلم قال لا إلى لم

أرد عليك إلا أنى كنت في الصلاة وإن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدثنا أن لا تكلموا في الصلاة » وقد كان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم قدم منها إلى مكة مع من قدم فهاجر إلى المدينة وهذه الآية

(وقوموا لله قانتين) مدينة بلا خلاف فقال قائلون إنما أراد زيد بن أرقم بقوله كان الرجل يكلم أئمة في حاجته في الصلاة الاخبار عن جنس الكلام واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما فهم منها والله أعلم . وقال آخرون إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها ويكون ذلك قد أسع مرتين وجرم مرتين كما اختار ذلك قوم من أصحابنا وغيرهم والأول أظهر والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى : أخبرنا بشر بن الوليد أخبرنا إسحاق بن يحيى عن السيب عن ابن مسعود قال : كنا يلم بيشنا على بعض في الصلاة فثرت برسول الله ﷺ فسلمت عليه فلم يرد على فوقع في نفسي أنه نزل في شيء فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال « عليك السلام أيها السلم ورحمة الله إن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء فلذا كنتم في الصلاة فاقفوا ولا تكلموا » وقوله (فإن ختمتم فرجالا أو ركبانا فإذا آمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) لما أمر تعالى عباده بالمحافظة على الصلوات والقيام بمحودها وشدد الأمر بتأكيدها ذكر الحال الذي يشتمل الشخص فيها عن أدائها على الوجه الأكمل وهي حال القتال والتجاهل بالحرب فقال (فإن ختمتم فرجالا أو ركبانا) أي فصلوا على أي حال كان رجالا أو ركبانا يعني مستقبل القبلة وغير مستقبلها كما قال مالك عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها قال فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا على أقدامهم أو ركبانا مستقبل القبلة أو غير مستقبلها . قال نافع : لا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي ﷺ ورواه البخاري وهذا لفظ مسلم ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحو ما قريباً منه ، وسلم أيضاً من ابن عمر قال : فإن كان خوف أشد من ذلك فصل ركباً أو قائماً نوى إيماء . وفي حديث عبد الله بن أنس الجبني لما بعث النبي ﷺ إلى خالد بن سفيان المهذلي ليقبضه وكان نحو عرفة أو عرفات فلما واجهه حانت صلاة العصر قال فخشيت أن تقوتني فجلست أصلي وأنا أومئ إيماء - الحديث بطوله رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيد وهذا من رخص الله التي رخص لعباده ووضعه الأسرار والأغلال عنهم ، وقد روى ابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال : في هذه الآية يصلي الركب على دابته والراجل على رجله . قال وروى عن الحسن ومجاهد ومكحول والسدّي والحكم وملك والأوزاعي والثوري والحسن بن صالح نحو ذلك - وزاد ويومئ برأسه أيما توجه ثم قال : حدثنا أبي حدثنا غسان حدثنا داود بن أبي علي عن مطرف عن عطية عن جابر بن عبد الله قال : إذا كانت السابعة فيلوي برأسه إيماء حيث كان وجهه فذلك قوله (فرجالا أو ركبانا) وروى عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعطية والحكم وحماة وقادة نحو ذلك وقد ذهب الإمام أحمد فيما نص عليه إلى أن صلاة الخوف تضم في بعض الأحيان ركعة واحدة إذا تلاحم الجيشان وعلى ذلك ينزل الحديث الذي رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري - زاد مسلم والنسائي وأبو يونس - كلاهما عن بكير بن الأختس السكوني عن مجاهد عن ابن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعة وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وبه قال الحسن البصري وقادة والضحاك وغيرهم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي عن شعبة قال : سألت الحكم وحماة وقادة عن صلاة للسابعة فقالوا : ركعة وهكذا روى الثوري عنهم سواء . وقال ابن جرير أيضاً حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا جبة بن الوليد حدثنا السعدي حدثنا يزيد القنبر عن جابر بن عبد الله قال : صلاة الخوف ركعة . واختار هذا القول ابن جرير وقال البخاري (باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو) وقال الأوزاعي : إن كان تهما الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا إيماء كل امرئ لنفسه فإن لم يقدروا على الإيماء أخروا الصلاة حتى يكثف القتال ويأمنوا فيصلوا ركعتين فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين فإن لم يقدروا لا يجزئهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك : حضرت مناهضة حصن شتر عند إضاءة النجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارضاع التمار فصلبناها ونحن مع أبي موسى فقتض لنا قال أنس : وما يسرى بتلك الصلاة الدنيا وما فيها . هذا لفظ البخاري ثم استشهد على ذلك بحديث تأخيره صلى الله

عليه وسلم صلاة الصبر يوم الحندق لعذر الحاربة إلى غيبة الشمس ، وبقوله عليه السلام بعد ذلك لأصحابه لما جهزم إلى بني قريظة « لا يمان أحد منكم الصبر إلا في بني قريظة » ففهم من أدركته الصلاة في الطريق فسلوا وقالوا لم يردنا رسول الله عليه السلام إلا لتعجيل السير ومنهم من أدركته فلم يصل إلى أن غربت الشمس في بني قريظة فلم يصف واحداً من الفريقين وهذا يدل على اختيار البخاري لهذا القول والجهور على خلافه ويصلون على أن صلاة الخوف على الصفة التي ورد بها القرآن في سورة النساء ووردت بها الأحاديث لم تكن مشروعة في غزوة الحندق وإنما شرعت بعد ذلك وقد جاء مصرحاً بهذا في حديث أبي سعيد وغيره وأما مكحول والأوزاعي والبخاري فيجيبون بأن مشروعية صلاة الخوف بعد ذلك لا تنافي جواز ذلك لأن هذا حال نادر خاص فيجوز فيه مثل ما قلنا بدليل منيع الصحابة زمن عمر في فتح كثر وقد استهزئوا ولم ينكر والله أعلم

وقوله (فإذا أمنتُم فلاذكروا الله) أى أتمموا صلاتكم كما أمرتم فأتموا ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها وخشوعها ومجودها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) أى مثل ما أنتم عليكم وهذا كم الإيمان وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة فقابلوه بالشكر والله كركت قوله بعد ذكر صلاة الخوف (فإذا أطمأنتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وستأتي الأحاديث الواردة في صلاة الخوف وصفاتها في سورة النساء عند قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأولت لهم الصلاة) الآية

وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَدْعُونَ أَزْوَاجًا وَوَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْخُلُوفِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلَمْ تَلَقُوا مَتَعَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ

قال الأكثرون هذه الآية منسوخة بالتي قبلها وهي قوله (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) قال البخاري حدثنا أمية حدثنا يزيد بن زريع عن جيب بن عبد الله قال ابن الزبير : قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويدعون أزواجاً) قد نسخنا الآية الأخرى فلم تكتبها أو قدما قال . يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه . ومعنى هذا الاشكال الذي قاله ابن الزبير لعثمان إذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة الأشهر لما الحكمه في إبقاء رسمها مع زوال حكمها ، وبقاء رسمها بعد التي نسخها يوم جاء حكمها ؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي وأنا وجدتها مثبتة في الصحف كذلك بعدها فأثبتها حيث وجدتها : قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج ابن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله (والذين يتوفون منكم ويدعون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الخول غير إخراج) فكان للتوفي عنها زوجها نفقةا وسكنها في الدار سنة فنسخنا آية الوارث فصلهن الثمن أو الأربع ما تمرك الزوج ثم قال : وروى عن أبي موسى الأشعري وابن الزبير ومجاهد وإبراهيم وعطاء والحسن وعكرمة وقادة والضحاك وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني والريبع بن أنس أنها منسوخة وروى من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله ثم أنزل الله بعد (والذين يتوفون منكم ويدعون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) فهذه عدة للتوفي عنها زوجها إلا أن تكون حاملاً فعدتها أن تضع مافي بطنها وقال (ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلهن الثمن مما تركن) فبين ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة قال : وروى عن مجاهد والحسن وعكرمة وقادة والضحاك والريبع ومقاتل بن حيان قالوا نسخها (أربعة أشهر وعشراً) قال : وروى عن سعيد ابن المسيب قال نسخها التي في الأعراب (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات) الآية (قلت) وروى عن مقاتل وقادة أنها منسوخة بآية التراث وقال البخاري حدثنا إسحق بن منصور حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن

عاجده (والذين يتوفون منكم ويغفرون أزواجاً) قال كانت هذه المدة تمتد عند أهل زوجها واجب فأقول الله (والذين يتوفون منكم ويغفرون أزواجاً) وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف) قال : جسد الله تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شئت سكنت في وصيتها وإن شئت خرجت وهو قول الله (غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم) فالدة كلهن واجب عليها زعم ذلك عن عاجده رحمه الله وقال عطاء قال ابن عباس نسخت هذه الآية عند أهلها فتعدت حيث شئت وهو قول الله تعالى (غير إخراج) قال عطاء : إن شئت اعتدت عند أهلها وسكنت في وصيتها وإن شئت خرجت لقول الله (فلا جناح عليكم فيما فعلن) قال عطاء . ثم جاء للبراء ففسخ السكنى فتعدت حيث شئت ولا سكنى لها ثم أسند البخاري عن ابن عباس مثل ما تقدم منه بهذا القول الذي عول عليه عاجده وعطاء من أن هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد سنة كإحصاء الجهور حتى يكون ذلك منسوخاً بالأربعة الأشهر وعشر وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاية بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حوالاً كاملاً إن اخترن ذلك ولهذا قال (وصية لأزواجهن) أي يوصيكم الله بين وصية كقولها (يوصيكم الله في أولادكم) الآية وقوله (وصية من الله) وقيل إنما انصب على معنى فلتوصوا لمن وصية وقرأ آخرون بالرفع وصية على معنى كتب عليكم وصية واختارها ابن جرير ولا يمنع من ذلك لقوله (غير إخراج) فأما إذا أفضت عدتهن بالأربعة أشهر والشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك للزلاتين لا يمنع من ذلك لقوله (فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) وهذا القول له أنجاه وفي اللفظ مساعدة له وقد اختاره جماعة منهم الإمام أبو العباس بن تيمية ورده آخرون منهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر وقول عطاء ومن تأييده على أن ذلك منسوخ بآية البراءة إن أرادوا ما زاد على الأربعة أشهر والشر فسلم وإن أرادوا أن سكنى الأربعة أشهر وعشر لا تجب في تركه لبيت فهذا محل خلاف بين الأئمة وهما قولان للشافعي رحمه الله وقد استدلوا على وجوب السكنى في منزل الزوج بما رواه مالك في موطنه عن سعد بن إسحق ابن كعب بن جحزة عن حمته زيب بنت كعب بن جحزة أن القرية بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري رضى الله عنهما أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بيتي خدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف التدوم لحقهم فقتلوه قالت : فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهل في بيتي خدرة فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا حقاً ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت فأنصرفت حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله ﷺ أو أمرني فتوديت له فقال « كيف قلت ؟ » فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال « امسكي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً قالت : فلما كان عتبان بن عفان أرسل إلى فسأني عن ذلك فأخبرته فأنبئه وقضى به وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك به . ورواه النسائي أيضاً وابن ماجه من طرق عن سعد بن إسحق به وقال الترمذي حسن صحيح .

وقوله (والملقات متاع بالمعروف حقاً على التتبعين) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما نزل قوله تعالى (متاعاً بالمعروف حقاً على المستنين) قال الرجل : إن شئت أحضت ففعلت وإن شئت لم أفعل فأقول الله هذه الآية (والملقات متاع بالمعروف حقاً على التتبعين) وقد استدلت بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى وجوب للمدة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة أو مفروضا لها أو مطلقة قبل السيس أو مدخولاً بها وهو قول عن الشافعي رحمه الله وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير ومن لم يوجبها مطلقاً يخص من هذا الموم مفهوم قوله تعالى (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفضوا لهن) فريضة ومتوهن على اللوس قدره وعلى للقر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المستنين) وأجاب الأولون بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد الموم فلا تخصيص على الشهر والنور والله أعلم .

وقوله (كذلك بين الله لكم آياته) أى فى إجلاله وتجرّبه وفروشه وحدوده فيها أمركم به ونهاكم عنه بينه ووضحه
 وفسره ولما تركه جلا فى وقت احتياجكم إليه (لعلكم تتقون) أى تقيمون وتديرون
 ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أُنشِرَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
 مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْصًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿

روى عن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف وقال أبو صالح . تسعة آلاف وعن ابن عباس
 أربعةون ألفا . وقال وهب بن منبه وأبو مالك . كانوا بضعة وثلاثين ألفا . وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس
 قال : كانوا أهل قرية يقال لها ذاوردان . وكذا قال السدى وأبو صالح وزاد من قبل واسط ، وقال سعيد بن عبد العزيز
 كانوا من أهل أنذعات ، وقال ابن جرير عن عطاء قال : هذا مثل ^(١) وقال على بن عاصم . كانوا من أهل ذاوردان قرية على
 فرسخ من قبل واسط . وقال وكيع بن الجراح فى قصيره ، حدثنا سفيان عن ميمرة بن حبيب النهدي عن النبال بن عمرو
 الأسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (أُمِرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ) قال . كانوا
 أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون قالوا : نأى أرضاً ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا
 قال الله لهم (موتوا) فماتوا فمر عليهم نبي من الأنبياء فناداه أن يحيمهم فأحيام فذلك قوله عز وجل (أُمِرَ إِلَى الَّذِينَ
 خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ) الآية . وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة فى
 زمان بنى إسرائيل استوخوا أرضهم وأصابهم بها ولاء شديد فخرجوا فرارا من الموت هارئين إلى البرية فزلزلوا واديا
 أنجح فلأوا ما بين عدوتيهم فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادى والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة
 واحدة فشانوا عن آخرهم مائة رجل واحد فحيزوا إلى حظائر وبنى عليهم جدران وفنوا وتمزقوا وتفرقوا ففسا كان
 بعد دهر من بهم نبي من أنبياء بنى إسرائيل يقال له حزقيل فسأل الله أن يحيمهم على يديه فأجاب به إلى ذلك وأمره أن
 يقول : أيها العظام البالية إن الله يأمركم أن تجتمعى ، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض ، ثم أمره فنادى أيها
 العظام إن الله يأمركم أن تكتسى لحاً وعصياً وجلدا ، فكان ذلك وهو يشاهده ، ثم أمره فنادى أيها الأرواح
 إن الله يأمركم أن ترجع كل روح إلى الجسد الذى كانت تعمه فقاموا أحياء ينظرون . قد أحيام الله بعد رقدتهم
 الطويلة وهم يقولون . سبحانك لا إله إلا أنت . وكان فى إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع اللعاب الجسائى
 يوم القيامة ولهذا قال (إن الله لودفضل على الناس) أى فيها يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات
 الدامغة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم فى دينهم ودنياهم . وفى هذه
 القصة عبرة ودليل على أنه لن ينهى حذر من قدر وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه فان هؤلاء خرجوا فرارا من الواء
 طلباً لعل الحياة قوموا بقبض قصدهم وجاءهم الموت سريعا فى آن واحد . ومن هذا القبيل الحديث الصحيح
 الذى رواه الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى أخبرنا مالك وعبد الرزاق أخبرنا معمر كلاهما عن الزهري عن عبد
 الحيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب
 خرج إلى الشام حتى إذا كان بصرى لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الواء قد وقع بالشام
 فذكر الحديث فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متنيا لبعض حاجته فقال : إن عندى من هذا علما ، سمعت رسول الله
 ﷺ يقول . « إذا كان بأرض وأمتها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم بأرض فلا تقدموا عليه » فحمد الله عزه ثم
 انصرف ، وأخرجاه للصحيحين من حديث الزهري به بطريق أخرى لبعضه قال أحمد حدثنا حجاج بن يزيد العمى
 فلا أخبرنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبره وهو فى

(١) بنى أنها ضرب مثل لاقصة وقت .

الشام عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً » قال فرجع عمر من الشام ، وأخرجاه في الصحيتين من حديث مالك عن الزهري بنحوه . وقوله (وقالتوا في سبيل الله واعلموا أن الله مبيح علم) أي كما أن الحذر لا يفي من القدر كذلك القرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلاً ولا يبعد بل الأجل المحترم والرزق المقسوم مقدر مقين لا يزداد فيه ولا ينقص منه كما قال تعالى (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا : لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) وقال تعالى (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً) « أينا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وروينا عن أمير الجيوش ومقدم المسافر وحامي حوزة الاسلام وسيف الله للسلوك على أعدائه أبي سليمان خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه قال وهو في سياق الموت : لقد شهدت كذا وكذا موقفاً وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا تامت أعين الجناء - يعني أنه يتألم لكونه مامت قليلاً في الحرب ويتأسف على ذلك ويتألم أن يموت على فراشه . وقوله (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) بحث تعالى عباده على الاتفاق في سبيل الله وقد كرر تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع ، وفي حديث التزول أنه يقول تعالى « من يقرض غير عدم ولا ظلم » وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) قال أبو السدحاح الأنصاري : يارسول الله وإن الله عز وجل ليريد منا القرض ؟ قال : نعم يا أبا السدحاح ؟ قال أرني يدك يارسول الله . قال فتأوله يده قال : فاني قد أقرضت ربّي عز وجل حاطلي قال وحاطط له فيه سائة نخلة وأم السدحاح فيه وعيها قال فجاء أبو السدحاح فناداهما يا أم السدحاح قالت ليك قال أخرجني قد أقرضتني عز وجل وقد رواه ابن مردويه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه مروياً بنحوه وقوله (قرضاً حسناً) روى عن عمر وغيره من السلف هو النفقة في سبيل الله وقبل هو النفقة في المال وقيل هو التسبيح والتغديس وقوله (فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) كما قال تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع) وقوله (فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) الآية وسأني الكلام عليها وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء . الآية وسأني الكلام عليها وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا مباركة بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عتيان التدي قال أتيت أبا هريرة رضى الله عنه فقلت له إنه يلقي أنك تقول إن الحسنه تضاعف ألف ألف حسنة قال وما أعجبك من ذلك لقد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنه ألفي ألف حسنة » هذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدهما عنده من كبر لكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا أبو خالد سليمان بن خالد اللؤب حدثنا يونس بن محمد اللؤب حدثنا محمد بن عتبة الرطاعي (١) عن زياد الجصاص عن أبي عتيان التدي قال لم يكن أحد أكثر مجالسة لأبي هريرة مني فقدم قبلى حاجاً قال وقدمت بده فإذا أهل البصرة يأمرون أنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنه ألف ألف حسنة » فقلت وحسبكم والله ما كان أحد أكثر مجالسة لأبي هريرة مني فإسمعت هذا الحديث قال فتحملت أريد أن ألقه فوجدته قد انطلق حاجاً فانطلقت إلى الحج أن ألقاه في هذا الحديث فلقيت لهذا فقلت يا أبا هريرة ما حديث سمعت أهل البصرة يأمرون عنك ؟ قال ما هو قلت زعموا أنك تقول إن الله يضاعف الحسنه ألف ألف حسنة قال يا أبا عتيان وما تعجب من ذا والله يقول (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) ويقول (وامتاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنه ألفي ألف حسنة » وفيمنى هذا الحديث ما رواه الترمذي وغيره من طريق عمرو بن دينار عن سالم عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال « من دخل سوقاً من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير - كتب الله له ألف ألف حسنة ومعه عنه ألف ألف حسنة » الحديث وقال

ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن يسلم حدثنا أبو إسحاق اللؤبي عن عيسى بن السبيعي نافع عن ابن عمر قال لما نزلت (مثل الذين يفتنون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) إلى آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رب زد أمي» فنزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قال «رب زد أمي» فنزلت (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وروى ابن أبي حاتم أيضا عن كعب الأحبار أنه جاءه رجل فقال إني سمعت رجلا يقول من قرأ (قل هو الله أحد) مرة واحدة بني الله له عشرة آلاف ألف غرفة من در ويقوت في الجنة أناسدق بذلك ؟ قال نعم أو عجت من ذلك ؟ قال نعم وعشرين ألف ألف وثلاثين ألف ألف وما لا يحصى ذلك إلا الله ثم قرأ (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فالكثير من الله لا يحصى وقوله (والله قبض ويبسط) أي اتقوا ولا تبالوا بالله هو الرزاق يضيّق على من يشاء من عباده في الرزق ويوسع على الآخرين، له الحكمة البالغة في ذلك (والله ترجون) أي يوم القيامة

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَيَّنَّا لَإِبْرَاهِيمَ آيَاتِهِ إِذْ قَالَوا لَتَنِيَ لَهُمْ آيَاتُ لَنَا مَلَكًا فَقَتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا؟ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

قال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة: هذا النبي هو: يوشع بن نون قال ابن جرير يعني ابن أرقام بن يوسف بن يعقوب وهذا القول بعيد لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل وكان ذلك في زمان داود عليه السلام كما هو مصرح به في القصة وقد كان بين داود وموسى ما ينفى عن ألف سنة والله أعلم . وقال السدي هو شعون وقال مجاهد هو شعول عليه السلام وكذا قال محمد بن إسحق عن وهب بن منبه هو شعول بن بالي بن علقمة بن ترحام بن البهد^(١) بن هرث بن علقمة ابن ماجين هرما بن عزري بن صفية بن علقمة بن أبي ياشف بن قارون بن يسهري فاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقال وهب بن منبه وغيره كان بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان ثم أحدثوا الأحداث وعبد بعضهم الأصنام ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقمهم على منهج التوراة إلى أن ضلوا ما ضلوا فسلط الله عليهم أعداءهم قتلوا منهم قتلة عظيمة وأسروا خلقا كثيرا وأخذوا منهم بلادا كثيرة ولم يكن أحد يقاثلهم إلا غلبوه وذلك أنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قديم الزمان وكان ذلك موروثا لحلفهم عن سلفهم إلى موسى السكيم عليه الصلاة والسلام فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض اللوكة في بعض الحروب وأخذ التوراة من أيديهم ولم يبق من يحفظها فيهم إلا القليل وانقطعت النبوة من أسباطهم ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حامل من بعلها وقد قتل فأخذوها فحبسوها في بيت واحتفظوا بها لئلا الله يرزقها غلاما يكون نبيا لهم ولم تنزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاما فسمع الله لها وهبها غلاما فسمته شعول أي سمع الله دعائي ومنهم من يقول شعون وهو بجماعة فقب ذلك الغلام ونشأ فيهم وأبنته الله بناتا حسنا فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه وأمره بالدعوة إليه وتوحيد فطبا بني إسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم وكان للملك أيضا قد باد فيهم فقال لهم النبي : فهل عسيت إن أمم الله لكم ملكا الاتحاثوا ونشوا بالترزيم من القتال معه (قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أي وقد أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد قال الله تعالى . (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) أي ماوفوا بما وعدوا بل نكل عن الجهاد أكثرهم والله عليهم بهم

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدِ ابْتَعَدَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾

وَلَمْ يَأْتِ سَمَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾

أى لا طلبوا من نبيهم أن يبين لهم ملكا منهم فينبى لهم طالوت وكان رجلا من أجدادهم ولم يكن من بيت الملك فيهم لأن الملك كان في سبط يهوذا ولم يكن هذا من ذلك السبط فقلنا قالوا (أنى يكون له الملك علينا) أى كيف يكون ملكا علينا (ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سمة من المال) أى هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك وقد ذكر بعضهم أنه كان سقاء وقيل دباغا وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتمنت وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف ثم قد أجابهم النبي قائلا (إن الله اصطفاه عليكم) أى اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منك يقول لست أنا الذى عينته من تلقاء نفسى بل الله أمرنى به لا طلبتم منى ذلك (وزاده بسطة في العلم والجسم) أى وهو مع هذا أعلم منك وأنبل وأشمل منك وأشد قوة وصبرا في الحرب ومعرفة بها أى أتم علما وقامة منك ومن ههنا يبنى أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه ثم قال (والله يؤتى ملكه من يشاء) أى هو الحاكم الذى ما شاء فعل ولا يشعرا يفعل وهم يستأثرون لملته وحكمته ورأفته بخلقه ولهذا قال (والله واسع عليم) أى هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء ، عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

يقول لهم نبيهم إن علامة بركة ملك طالوت عليكم أن يرد الله عليكم التابوت الذى كان أخذ منكم (فيه سكينة من ربكم) قيل معناه فيه وقار وجلالة قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (فيه سكينة) أى وقار وقال الربيع : رحمة وكذا روى عن الموقى عن ابن عباس وقال ابن جريج : سألت عطاء عن قوله (فيه سكينة من ربكم) قالما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه وكذا قال الحسن البصرى وقيل السكينة طست من ذهب كانت تقفل فيه قلوب الأنبياء أعطاه الله موسى عليه السلام فوضع فيها الألواح ورواه السدى عن أبى مالك عن ابن عباس وقال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى الأحوص من على قال : السكينة لها وجه كوجه الإنسان ثم هى روح هفاة وقال ابن جرير : حدثنى الثنى حدثنا أبو داود حدثنا شعبة وحماد بن سلمة وأبو الأحوص كلهم عن سماك عن خلف بن عرعرة عن على قال : السكينة ريح خجوج ولها راسان وقال مجاهد لها جناحان وذنب وقال محمد بن إسحق عن وهب بن منبه السكينة رأس هرة مبيت إذا صرخت في التابوت بصراخ هرايقنا بالنصر وجاءه التفتح وقال عبد الرزاق : أخبرنا بكابر بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول السكينة روح من الله تكلم إذا اختلفوا في شيء تكلم فتخبرهم ببيان ما يريدون

وقوله (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) قال ابن جرير أخبرنا ابن مثنى حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد عن داود ابن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) قال عصام ورضاض الألواح وكذا قال قتادة والسدى والربيع بن أنس وعكرمة وزاد والنوراة وقال أبو صالح (وبقية مما ترك آل موسى) يبنى عصا موسى وعصا هرون ولوحين من التوراة واللن وقال عطية بن سعد : عصا موسى وعصا هرون وثياب موسى وثياب هرون ورضاض الألواح وقال عبد الرزاق : سألت الثورى عن قوله (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) فقال منهم من يقول قفيز من من ورضاض الألواح ومنهم من يقول العصا والتملان

وقوله (تحمله للملائكة) قال ابن جريج : قال ابن عباس : جاءت للملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعت بين يدى طالوت والناس ينظرون ، وقال السدى : أصبح التابوت في دار طالوت فقاموا بنوة شمعون وأطاعوا

طالوت ، وقال عبد الرزاق عن الثوري عن بعض أشياخه جاءت به اللاتكة تسوقه على عجلة على بكرة وقيل على بقرتين وذكر غيره أن التابوت كان بأرجحها وكان الشركون لما أخذوه وضموه في بيت آلهتهم تحت صنمهم الكبير فأصبح التابوت على رأس الصنم فأنزله فوضعه تحت فأصبح كذلك فسروه تحته فأصبح الصنم مكسور القوائم ملقى بعيداً فعلموا أن هذا أمر من الله لا قبل لهم به فأخرجوا التابوت من بلدهم فوضعه في بعض القرى فأصاب أهلها داء في رقابهم فلم يدرهم جارية من سبي بني إسرائيل أن يردوه إلى بني إسرائيل حتى يخلصوا من هذا الداء فنحلوهم على بقرتين فسارتا به لا يقربه أحد إلا مات حتى اقتربتا من بلد بني إسرائيل فكسرتا التيرين ورجستا وجاء بنو إسرائيل فأخذوه فقيل إنه تسله داود عليه السلام وإنه لما قام إليهما خجل من فرحه بذلك وقيل شابهان منهم فلهذا أعلم وقيل كانت التابوت بقرية من قرى فلسطين يقال لها أزدود^(١)

(وقوله إن في ذلك لآية لكم) أي على صدق فيما جشتم به من النبوة وفيما أمرتم به من طاعة طالوت (إن كنتم مؤمنين) أي بالله واليوم الآخر

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ يَاجُوجَ وَقَاظَهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مَبْتَليكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّقِمْوْا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

يقول تعالى غيراً عن طالوت ملك بني إسرائيل حين خرج في جنوده ومن أطاعه من ملأ بني إسرائيل وكان جيشه يومئذ في ذكره السدي ثمانين ألفاً فلهذا أعلم أنه قال (إن الله مبتليكم) أي يختبركم بهر قال ابن عباس وغيره : وهو نهر بين الأردن وفلسطين يسمى نهر الشريعة للشهور (فن شرب منه فليس مني) أي فلا يصحني اليوم في هذا الوجه (ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده) أي فلا بأس عليه قال الله تعالى (فشربوا منه إلا قليلاً منهم) قال ابن جريج قال ابن عباس : من اغترف منه بيده روى ومن شرب منه لم يرو . وكذا رواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وكذا قال قتادة وابن شاذب ، وقال السدي . كان الجيش ثمانين ألفاً فشرب منه ستة وسبعون ألفاً وتبقى معه أربعة آلاف كذا قال وقد روى ابن جرير من طريق إسرائيل وسفيان الثوري ومسمر بن كدام عن أبي إسحق السبيعي عن البراء بن عازب قال : كنا نتحدث أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر على عتدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه والتهر وما جازمهم إلا مؤمن ورواه البخاري عن عبد الله بن رجاء عن إسرائيل بن يونس عن أبي إسحق عن جده عن البراء بنحوه ولهذا قال تعالى (فلما جاوزوه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أي استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماءهم الملون بأن وعد الله حق فإن النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولا عدد . ولهذا قالوا (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) (إن الله مع الصابرين)

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَرًا وَتَبَّتْ أَعْدَانَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾
فَهَزَمُوهُمُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَهَاتَهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحَكْمَةُ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ

وَإِنَّكَ لَئِنْ أَلْمَسْتَيْنِ ﴿١﴾

أى لما واجه حزب الإيعان وهم قليل من أصحاب طالوت لمدوم أصحاب جالوت وهم عدد كثير (قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً) أى أنزل علينا صبراً من عندك (وثبت أقداسنا) أى فى لقاء الأعداء وجنبنا القرار والعجز (وانصرنا على القوم الكافرين)

قال الله تعالى (فهزموهم يائذين الله) أى غلبوهم وقهروهم بصر الله لهم (وقتل داود جالوت) ذكروا فى الإسراء إيليات أنه قتله بمقلاع كان فى يده رماه به فأصابه فقتله وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته وبشاطره نعمته وشركه فى أمره فوفى له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ملامحه الله به من النبوة العظيمة ولهذا قال تعالى (وآتاه الله الملك) الذى كان بيد طالوت (والحكمة) أى النبوة بيد شمويل (وعله ما يشاء) أى بما يشاء الله من العلم الذى اختص به ﷺ ثم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) أى لولا الله يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا كما قال تعالى (ولو دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصوامع ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) الآية . وقال ابن جرير . حدثني أبو حميد الحمصي أحد بني القيرة حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال : قال الرسول الله ﷺ « إن الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيانه البلاء » ثم قرأ ابن عمر (ولو دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) وهذا إسناد ضعيف فان يحيى بن سعيد حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن الكسندر عن جابر بن عبد الله قال : قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يصلح صلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله عز وجل مادام فهم » وهذا أيضاً غريب ضعيف لما تقدم أيضاً وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد ابن إبراهيم حدثنا علي بن إسماعيل بن حماد أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد أخبرنا زيد بن الحباب حدثني حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي السنان عن ثوبان رفع الحديث قال : « لا يزال فيكم سبعة بهم تصرون وبهم تحطرون وبهم تترزقون حتى يأتى أمر الله » ، وقال ابن مردويه أيضاً وحدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن جرير بن يزيد حدثنا أبو معاذ نهار بن معاذ بن عثمان الليثي أخبرنا زيد بن الحباب أخبرني عمر الزباز عن عتبة الخواص عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الضماني عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « الأبدال فى أمي ثلاثون . بهم تترزقون وبهم تحطرون وبهم تصرون » قال قتادة . إني لأرجو أن يكون الحسن منهم

وقوله (ولكن الله ذو الفضل على العالمين) أى ذو المن من عليهم ورحمة بهم يدفع عنهم بعضهم بعضاً وله الحكم والحكمة والحجة على خلقه على جميع أمثاله وأقواله ثم قال تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين) أى هذه آيات الله التى قصصناها عليك من أمر الذين ذكرناهم بالحق أى بالواقع الذى كان عليه الأمر للناطق لما بأيدى أهل الكتاب من الحق الذى يملئه علماء بني إسرائيل (وإنك) يا محمد (لمن المرسلين) وهذا يؤكد وتوطئة للقسم

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ فَتُحْصِنُ عَلَيْهَا مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَدْرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مِنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا وَلَكِنْ اللَّهُ يَقَعُ مَا يُرِيدُ ﴾

يُخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً) وقال مهنا (تلك الرسل فضلنا بينهم على بعض منهم من كلم الله) يعني موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وكذلك آدم كما ورد به الحديث الروى في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضى الله عنه (ورفع بعضهم درجات) كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في السماوات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل (فان قيل) فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : استقر رجل من المسلمين ورجل من اليهود قتال اليهودى فى قسم جسمه . لا واللهى اصطفى موسى على الملائين . فرفع للسلم يده فسلم بها وجه اليهودى فقال . أى خيبت ؟ وعلى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فجاء اليهودى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستكى على السلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تضايقوا على الأنبياء فان الناس يصنعون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باسطاً ياتمة العرش فلا أدري أفاق قبل أم جوزى بصفة الطور ؟ فلا تضايقوا على الأنبياء » وفى رواية « لا تضايقوا بين الأنبياء » فالجواب من وجوه (أحدها) أن هذا كان قبل أن يعلم بالترفضيل وفى هذا نظر (الثانى) أن هذا قاله من باب المضم والتواضع (الثالث) أن هذا نهى عن التفضيل فى مثل هذه الحال التى تحاكوا فيها عند التخاصم والتشاجر (الرابع) لا تضايقوا بمجرد الآراء والعصية (الخامس) ليس مقام التفضيل إلا بسبب وإنما هو إلى الله عز وجل وعليكم الأقياد والتسليم له والإيمان به

وقوله (وآتيناه عيسى ابن مريم البينات) أى الحجج والادلة القاطعات على صحة ما جاء به إسرائيل به من أنه عبد الله ورسوله إليهم (وأيدناه بروح القدس) يعنى أن الله أيدى مجبريل عليه السلام ثم قال تعالى (ولو شاء الله ما اقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتلوا) أى كل ذلك عن قضاء الله وقدره ولهذا قالوا (ولكن الله يفعل ما يريد)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَهْبُوا مَا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شُفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

بأمر تعالى عباده بالاتفاق بما رزقهم سبيله سبيل الخير ليخرجوا ثواب ذلك عند ربهم ومليكمهم وليادروا إلى ذلك فى هذه الحياة الدنيا (من قبل أن يأتى يوم) يعنى يوم القيامة (لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أى لا يباع أحدهم من شقه ولا يغادى بئال لو بذله ولو جاء بميله الأرض ذبها ولا تنفخ خلة أحد يعنى صداقته بل ولا نسابته كما قال (فلماذا شفع فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ولا شفاعة . أى ولا تنفعهم شفاعة الشافعين

وقوله (والكاكفرون هم الظالمون) مبتدأ محصور فى خبره أى ولا ظالم أظلم ممن وفى الله يومئذ كافراً وقد روى ابن أبى حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال . الحمد لله الذى قال (والكاكفرون هم الظالمون) ولم يقل والظالمون هم الكاكفرون **﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾**

هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل آية فى كتاب الله قال الإمام أحمد . حدثنا عبد الرزاق حدثنا شفيان عن سعيد الجري عن أبى السليل عن عبد الله بن رباح عن أبى هو ابن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله « أى آية فى كتاب الله أعظم ؟ قال الله ورسوله أعلم فرددها مراراً ثم قال : آية الكرسي قال : « ليهك السلم أبى للنذر والذى تسمى يده إن لها لساناً وشفعتين تسمى الملك عند ساق

العرش » وقد رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن الجريري به وليس عنده زيادة والذي تقييده الخ

(حديث آخر) عن أبي أيضا في فضل آية الكرسي قال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤي حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا مبصرة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبيدة بن أبي لبابة عن عبد الله بن أبي نجيح أن أباه أخبره أنه كان له جرن فيه نمر قال فكان أي يتأهده فوجده يتقمص قال فخرسه ذات ليلة فأنما هو بداية شيه القمام المحتمل قال : فسلمت عليه فرد السلام قال : قلت ما أنت ؟ جنى أم إنسى قال . جنى قال : قلت ناولني يدك قال فتناولني يده فأنما يد كلب وشعر كلب بقلت هكذا خلق الجن ؟ قال لقد علمت الجن ما فهم أشد مني ، قلت لما حملك على ما صنعت ؟ قال بلنى أنك رجل تحب الصدقة فأحبينا أن نصيب من طعامك قال : فقال له أي لنا الذي يجرنا منك ؟ قال هذه الآية آية الكرسي ثم غدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي ﷺ « صدق الحديث » وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي داود الطيالسي عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن الحضرى بن لاحق عن عن محمد بن عمرو بن أبي نجيح عن جده به وقال الحاكم صحيح الاستاد ولم يخرجاه (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عثمان بن عتب قال سمعت أبا السليل قال : كان رجل من أصحاب النبي ﷺ يحدث الناس حتى يتكروا عليه فيصعد على سطح بيت فيحدث الناس قال : قال رسول الله ﷺ « أى آية في القرآن أعظم ؟ » فقال جل (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) قال فوضع يده بين كفتي فوجدت بردها بين يدي أو قال فوضع يده بين يدي فوجدت بردها بين كفتي (حديث آخر) عن الأسقع البقرى قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو يزيد القزويني حدثنا يعقوب بن أبي عباد للكي حدثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء أن مولى ابن الأسقع رجل صدق أخبره عن الأسقع البكرى أنه سمعه يقول إن النبي ﷺ جاءهم في صفة المهاجرين فأنه إنسان : أى آية في القرآن أعظم ؟ فقال النبي ﷺ (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) تأخذونه سنة ولأنهم) حتى اخضت الآية

(حديث آخر) عن أنس - قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن الحارث حدثني سلمة بن وردان أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله ﷺ سأل رجلا من صحابته فقال « أى فلان هل تزوجت ؟ » قال : لا وليس عندي ما أتزوج به قال « أوليس معك . قل هو الله أحد » قال بلى قال « ربيع القرآن » قال « أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ » قال : بلى قال : « ربيع القرآن » قال : « أليس معك إذا نزلت ؟ » قال : بلى قال : « ربيع القرآن » قال : « أليس معك إذا جاء نصر الله » قال بلى قال « ربيع القرآن » قال « أليس معك آية الكرسي لا إله إلا هو » قال بلى قال « ربيع القرآن »

(حديث آخر) عن أبي ذر جندب بن جندب قال الإمام أحمد . حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا المسعودي أنبأني أبو عمر السمعاني عن عبيد بن الحنفية عن أبي ذر رضى الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال فقممت فصليت ثم جلست فقال : « يا أبا ذر تمود بالله من شر شياطين الانس والجن » قال : قلت يارسول الله أو للانس شياطين ؟ قال نعم قال : قلت يارسول الله الصلاة قال : « خير موضوع من شاء أقل ومن هاء أكثر » قال قلت يارسول الله فالصوم ؟ قال « فرض مجزئ وعند الله مزيد » قلت يارسول الله فالصدقة ، قال « وأنصف مضاغة » قلت يارسول الله فأبأ أضل ، قال « جهد من مقل أوسر إلى قبر » قلت يارسول الله أى الأنبياء كان أول ، قال « آدم » قلت يارسول الله ونى كان ، قال « نعم نبى مكلم » قلت يارسول الله كم المرسلون ، قال « ثلثمائة وخمسة عشر رجلا غفيرا » وقال مرة « وخمسة عشر » قلت يارسول الله أى ما أنزل عليك أعظم ، قال « آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) » ورواه النسائي

(حديث آخر) عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضى الله عنه وأرضاه قال الإمام أحمد . حدثنا سفیان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب أنه كان في سهوة له وكانت النول تحبى فتأخذ فنسكها إلى

الذي عليه السلام قال « فإذا رأيتم قتل باسم الله أحبي رسول الله » قال فجاوت فقال لها فأخذتها فقال إني لا أعود فأرسلها فجاوت فقال له النبي عليه السلام « ما فعل أسيرك ؟ » قال أخذتها فقالت إني لا أعود فأرسلتها فقال إنها عائدة فأخذتها مرتين أو ثلاثا كل ذلك تقول لا أعود وأجبي ، إلى النبي عليه السلام « فبقول ما فعل أسيرك » فأقول أخذتها فتقول لا أعود فيقول « إنها عائدة » فأخذتها فقالت أرسلني وأعلمك شيئا نقوله فلا يقربك شيء : آية الكرسي . فأتى النبي عليه السلام فأخبره فقال « صدقت وهي كذوب » ورواه الترمذي في فضائل القرآن عن بشار عن أبي أحمد الزبيري به وقال حسن غريب والقول في لغة العرب : الجان إذا تبدي في الليل

وقد ذكر البخاري هذه القصة عن أبي هريرة فقال في كتاب فضائل القرآن وفي كتاب الوكالة وفي صفة إبليس من صحيحه ، قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال وكفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذه وقلت لأرسلتك إلى رسول الله عليه السلام قال دعني فإني محتاج وعلى عيالي ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي عليه السلام « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارة » قال : قلت يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال « أما إنه قد كذبك وسيعود » فرمته أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه سيعود » فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذه فقلت ولأرسلتك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فإني محتاج وعلى عيالي لا أعود . فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله عليه السلام « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارة » قلت يا رسول الله شكنا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال « أما إنه قد كذبك وسيعود » فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذه فقلت لأرسلتك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال . دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت وما هي . قال إذا أوتيت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما فعل أسيرك البارة . » قلت يا رسول الله زعم أنه يملئ كلمات ينفعني الله بها فخلت سبيله قال : « بها هي . » قال لي إذا أوتيت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة » قلت لا قال : « ذلك شيطان » كذا رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب عن عثمان بن الهيثم فذكره - وقد روى من وجه آخر عن أبي هريرة بباقي آخر قريب من هذا فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرو بن الصغار حدثنا أحمد بن زهير بن حرب أنبأنا مسلم بن إبراهيم أنبأنا إسرائيل بن مسلم العبدى أنبأنا أبو التوكل الناجي أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه خر فذهب يوما ففتح الباب فوجد الخمر قد أخذ منه مئة كف ودخل يوما آخر فاذا قد أخذ منه مئة كف ثم دخل يوما آخر ثالثا فاذا قد أخذ منه مثل ذلك فشكفك أبا هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تحب أن تأخذ صاحبك هذا ؟ قال نعم قال « فإذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك محمد » فذهب ففتح الباب فقال سبحان من سخرك محمد . فاذا هو قائم بين يديه قال يا عبد الله أنت صاحب هذا . قال نعم دعني فإني لا أعود ما كنت أخذ إلا لأهل بيت من الجن فقرأ فخلني عنه ثم عاد الثانية ثم عاد الثالثة فقلت أليس قد عاهدتني ألا تعود . لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبي صلى الله عليه وسلم . قال لا تفعل فانك . إن تدعني علمتك كلمات إذا أتت قلتها لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى ، قال له فاعملن ، قال نعم ، قال ما هن قال (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) قرأ آية الكرسي حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد فذكر ذلك أبا هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما علمت أن ذلك كذلك » وقد رواه النسائي عن أحمد بن محمد بن عبيد الله عن شعيب بن حرب عن

إسماعيل بن مسلم عن أبي التوكل عن أبي هريرة به وقد قدم لأبي بن كعب كاتبة مثل هذه أيضاً فهذه ثلاث وقائع
(قصة أخرى) قال أبو عبيد في كتاب التريب : حدثنا أبو معاوية عن أبي عاصم الثقفى عن الشعبي عن عبد الله بن
مسعود قال : خرج رجل من الإنس فلقى رجلاً من الجن فقال : هل لك أن تصارعنى ؟ فان صرعتى غلبتك آية إذا قرأتها
حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصارعه فقال : إني أراك ضللاً شيطاناً كأن ذراعك ذراعاً كلب أفهكذا أنتم
أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم ؟ فقال إني بينهم فاضلع فداودى فصارعه فصارعه فالتقى فقال ثمر آية الكرسي فانه
لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خيش وخيش الحمار قليل لابن مسعود أهو عمر ؟ فقال من عسى
أن يكون إلا عمر قال أبو عبيد : الفيل الحنف الجهم والخيش بالخاء المعجمة وقال بإلقاء المعجمة الضراط

(حديث آخر) عن أبي هريرة قال الحاكم أبو عبد الله في مستدركه حدثنا علي بن حشاد حدثنا بشر بن موسى حدثنا
الحميدى حدثنا مفيان حدثني حكيم بن جبير الأسدي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى عليه وسلم قال :
« سورة البقرة آية فيها سبعة آتى القرآن لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه : آية الكرسي » وكذا رواه من طريق
آخر عن زائدة عن حكيم بن جبير ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه كذا قال وقد رواه الترمذى من حديث زائدة
ولفظه « لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سبعة آتى القرآن : آية الكرسي » ثم قال غرب لا نعرفه
إلا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم فيه شعبة وضعفه (قلت) وكذا ضعفه أحمد ومحيي بن معين وغير واحد من
الأئمة وتركه ابن مهدي وكذبه السعدي

(حديث آخر) قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن نافع أخبرنا عيسى بن محمد للروزي أخبرنا عمر بن محمد البخاري أخبرنا
عيسى بن موسى فنجار عن عبد الله بن كيسان حدثنا يحيى بن عمار بن عيسى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر بن عمر
ابن الخطاب أنه خرج ذات يوم إلى الناس وهم ساطلت فقال : أليكم خبرني بأعظم آية في القرآن . فقال ابن مسعود
على الخبر سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أعظم آية في القرآن (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) »
(حديث آخر) في اشتغال على اسم الله الأعظم . قال الإمام أحمد . حدثنا محمد بن بكر أنبأنا عبد الله بن أبي زياد
حدثنا شهر بن حوشب عن أسامة بنت يزيد بن السكن قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين
(الله لا إله إلا هو الحى القيوم) و(الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) « إن فيهما اسم الله الأعظم » وكذا رواه أبو داود
عن مسدد والترمذى عن علي بن خنسم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثهم عن عيسى بن يونس عن عبد الله
بن أبي زياد به وقال الترمذى . حسن صحيح

(حديث آخر) في معنى هذا عن أبي أمامة رضى الله عنه قال ابن مردويه . أخبرنا عبد الله بن نعيم أخبرنا إسحق
ابن إبراهيم بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أنبأنا الوليد بن مسلم أخبرنا عبد الله بن الملاء بن زيد أنه سمع القاسم
ابن عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه قال « اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب في ثلاث : سورة البقرة
وآل عمران وطه » وقال هشام وهو ابن عمار خطيب دمشق : أما البقرة فآية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفي آل عمران
(الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفي طه (وعنت الوجوه للحى القيوم)

(حديث آخر) عن أبي أمامة في فضل قراءتها بعد الصلاة للكتبى قال أبو بكر بن مردويه . حدثنا محمد بن عمر
ابن يناور الأدي أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن أخبرنا الحسن بن بشر بطرسوس أخبرنا محمد بن حمير أخبرنا محمد
ابن زياد عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمتعه
من دخول الجنة إلا أن يموت » وهكذا رواه النسائي في اليوم والليالي عن الحسن بن بشر به وأخرجه ابن حبان في صحيحه
من حديث محمد بن حمير وهو الحمصي من رجال البخاري أيضاً فهو إسناد على شرط البخاري وقد زعم أبو الفرج
ابن الجوزي أنه حديث موضوع والله أعلم . وقد روى ابن مردويه من حديث علي بن النخعي بن شعبة وجابر بن عبد الله
نحو هذا الحديث ولكن في إسناد كل منهما ضعف . وقال ابن مردويه أيضاً حدثنا محمد بن الحسن بن زياد القرى

أخبرنا يحيى بن درستويه للروزي أخبرنا زياد بن إبراهيم أخبرنا أبو حمزة السكري عن الثقي عن قتادة عن الحسن عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام أن اقرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة فانه من يقرأها في دبر كل صلاة مكتوبة أجعل له قلب الشاكرين ولسان الداكرين وتواب التائبين وأعمال الصديقين ولا يواطى على ذلك إلا نبي أو صديق أو عبد امتنحت قلبه للإيمان أو أريد قتله في سبيل الله » وهذا حديث منكر جداً

(حديث آخر) في أنها تحفظ من قرأها في أول النهار وأول الليل . قال أبو عيسى الترمذي . حدثنا يحيى بن المغيرة أبو سلمة الخزازي الذي أخبرنا ابن أبي فديك عن عبد الرحمن الليثي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ » حم المؤمن « إلى آية الكرسي » يصبح يحفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي يحفظ بهما حتى يصبح » ثم قال هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة الليثي من قبل حفظه وقد ورد في فضلها أحاديث أخر تركناها اختصاراً لعدم ما وضح أسانيدنا كحديث طي في قراءتها عند الحجابة إنها تقوم مقام حجتين وحديث أبي هريرة في كتابتها في اليد اليسرى بالزعران سبع مرات وتلخص بالحفظ وعدم النسيان أوردناها ابن مردويه وغير ذلك .

(وهذه الآية مشتقة على عشر جمل مستقلة)

قوله (الله لا إله إلا هو) إخبار بأنه التفرّد بالإلّية لجميع الخلق (الحى القيوم) أى الحى في نفسه الذى لا يموت أبداً القيم لغيره ، وكان عمره يقرأ القيام فجسم للوجودات مقترة إليه وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) وقوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) أى لا يستره نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كتبت شهيد على كل شئ . لا ينيب عنه شئ . ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية أنه لا يستره سنة ولا نوم كقوله (لا تأخذه) أى لا تغلبه سنة وهى الوسن والنعاس ولهذا قال ولا نوم لأنه أقوى من السنة وفى الصحيح عن أبي موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال « إنا لله لا ينাম ولا يئبى له أن ينام يخفف القسط ويرفقه ، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار حجاب به النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) أن موسى عليه السلام سأل اللاتكة هل ينام الله عز وجل ؟ فأوحى الله تعالى إلى اللاتكة وأمرهم أن يؤزقوه ثلاثاً فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرها قال فجعل ينس ومما في يده في كل يد واحدة قال فجعل ينس وينبى وينس وينبى حتى نفس نومة ففزع إحداهما بالأخرى فكسرها . قال معمر إنما هو مثل ضربه الله عز وجل يقول فكذلك السموات والأرض في يده . وهكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق ذكره وهو من أخبار بني إسرائيل وهو مما يعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل وأنه مزه عنه وأغرب من هذا كله الحديث الذى رواه ابن جرير : حدثنا إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى عليه السلام على النبر قال « وقع في نفس موسى هل ينام الله ؟ فأرسل إليه ملكاً فأرآه ثلاثاً ثم أعطاه قارورين في كل يد قارورة وأمره أن يحفظ بهما . قال فجعل ينام وكادت يدها يلتقيان فيستقيظ فيجسب إحداهما على الأخرى حتى نام نومة فاستيقظت يدها فأكسرت القارورتان فقال ضرب الله عز وجل مثلاً أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض » وهذا حديث غريب جداً والأظهر أنه إسرائيل لا مرفوع والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن القاسم ابن عطية حدثنا أحمد بن عبد الرحمن البستي حدثني أبي عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي التيرة عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا : يا موسى هل ينام ربك ؟ قال اتقوا الله فناداهم عز وجل يا موسى سألوكم هل ينام ربك فخذ زجاجتين في يدك قم الليلة فقل موسى فلما ذهب من الليل ثلث نص فوقع لركبته ثم انتش فغطهما حتى إذا كان آخر الليل نص فغطت الزجاجتان فانكسرتا فقال يا موسى لو كنت أمام لسقطت السموات والأرض فهلكت كما هلكت الزجاجتان في يدك . فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ آية الكرسي وقوله (له ما في السموات وما في الأرض) إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه ومحت قهره وسلطانه كقوله (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً * لقد أحصاهم عدداً * وكلهم آتاه يوم القيامة فرداً) وقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) كقوله (وكل من ملك في السموات لا تنفع شفاعتهم شيئاً) إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وكقوله (ولا يشفون إلا لمن ارتضى) وهذا من عظمت وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة « آتى تحت العرش فأمر ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني . ثم يقال ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيجذبني حذافاً يدخلهم الجنة » وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضياً وحاضراً ومستقبلاً كقوله إخباراً عن اللائكة (وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً) وقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أي لا يتطالع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعله الله عز وجل وأطلعه عليه . ويحتمل أن يكون الراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلهم الله عليه كقوله (ولا يحيطون به علماً)

وقوله (وسع كرسيه السموات والأرض) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأذنج حدثنا ابن إدريس عن مطرف ابن طريف عن جعفر بن أبي الثغرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وسع كرسيه السموات والأرض) قال علمه وكذا رواه ابن جرير من حديث عبدالله بن إدريس وهشيم كلاهما عن مطرف بن طريف به قال ابن أبي حاتم : وروى عن سعيد بن جبير مثله : ثم قال ابن جرير : وقال آخرون الكرسي موضع القدمين ثم رواه عن أبي موسى والسدي والضحاك ومسلم البطين . وقال شعاع بن مخلد في تفسيره : أخبرنا أبو عاصم عن سفيان عن سمير التيمي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل (وسع كرسيه السموات والأرض) قال : « كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل » كذا أورده هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شعاع بن مخلد التميمي فذكره وهو غلط ، وقد رواه وكيع في تفسيره حدثنا سفيان عن عمار القتيبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره . وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي العباس محمد بن أحمد الهروي عن محمد بن معاذ عن أبي عاصم عن سفيان وهو الثوري بإسناده عن ابن عباس موقوفاً مثله وقال : صحح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير الفزاري الكوفي وهو متروك عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ولا يصح أيضاً . وقال السدي عن أبي مالك : الكرسي تحت العرش . وقال السدي : السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش . وقال الضحاك عن ابن عباس : لو أن السموات السبع والأرضين السبع بطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن في مسعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في القارة . ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرني ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدرهم سبعة أقيت في ترس » قال وقال أبوذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أقيت بين ظهري فلاة من الأرض »

وقال أبو بكر بن مردويه أخبرنا سليمان بن أحمد أخبرنا عبدالله بن وهيب القرني أخبرنا محمد بن أبي اليسرى السفلائي أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد التميمي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي نذر القفاري أنه سأل النبي

صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحافة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحقة » وقال الحافظ أبو يعلى الوصلى في مسنده حدثنا زهير حدثنا ابن أبي بكر حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله عنه قال : أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة قال فظلم الرب تبارك وتعالى وقال « إن كرسيه وسع السموات والأرض وإن له أطيطا كأطيط الرجل الجديد من قله » وقد رواه الحافظ البراء في مسنده للشهور وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيرهما والطبراني وابن أبي عاصم في كتابي السنة لهما والحافظ الضياء في كتابه المختار من حديث أبي إسحق السبيعي عن عبد الله بن خليفة وليس بذلك المشهور وفي سماعه من عمر بن الخطاب ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفا ومنهم من يرويه عنه مراسلا ومنهم من يزيد في مثته زيادة غريبة ومنهم من يحذفها . وأغرب من هذا حديث جبير بن مطعم في صفة العرش كما رواه أبو داود في كتابه السنة من سننه والله أعلم . وقد روى ابن مردويه وغيره أحاديث عن بريدة وجابر وغيرهما في وضع الكرسي يوم القيامة لفصل القضاء والظاهر أن ذلك غير المذكور في هذه الآية وقد زعم بعض التكميلى على علم الهيئة من الاسلاميين أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو فلك الثواب الذى فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الأثير ويقال له الأطلس وقد رد ذلك عليهم آخرون وروى ابن خزيمة عن طريق جوير عن الحسن البصري أنه كان يقول : الكرسي هو العرش والصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والأخبار وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك وعندى في ضحفة نظر والله أعلم

وقوله (ولا يؤوده حفظهما) أى لا يتعبه ولا يكثره حفظ السموات والأرض ومن فهمها ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء ولا ينيب عنه شيء والأشياء كلها صغيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة ، وهو الذى الجيد ، فقال لما يريد الذى لا يسل عما يفعل وهم يسألون ، وهو القاهر لكل شيء الحبيب على كل شيء . الرقيب العلى العظيم لا إله غيره ولا رب سواه ، وقوله (وهو العلى العظيم) كقول (وهو الكبير المتعال) وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمروها^(١) كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى (لا إكراه في الدين) أى لا تتركوا أحدا على الدخول في دين الاسلام فانه بين واضح جلى دلالته وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداة الله للاسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فانه لا يفيد الدخول في الدين مكرها مقسورا وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار وإن كان حكمها عاما وقال ابن جرير : حدثنا ابن يسار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت للراءة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها وله أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار قتالوا . لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقد رواه أبو داود والنسائي جميعا عن بنديار به ومن وجوه أخر عن شعبة به نحوه وقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه من حديث شعبة به وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم أنها نزلت في ذلك وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد الجرجسي عن زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قوله (لا إكراه في الدين) قال : نزلت في رجل من الأنصار من (١) في نسخة الأثر امرأها إلى والى عدم أولها بأراء الناس بل يؤمن بها مع تنزيه الله تعالى عن الشبه بغير من خلقه .

بنى سالم بن عوف . يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال للبي عليه السلام ألا استكرههما فانهما قد آليا الا النصرانية فأقول الله فيه ذلك رواه ابن جرير وروى السدي نحو ذلك وزاد وكانا قد تصبرا على أبدي تجار قدما من الشام يعملون زيبا فلما عزموا على الذهاب معهم أراد أبوهما أن يستكرههما وطلب من رسول الله عليه السلام أن يبعث في آثارهما فزلت هذه الآية وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف أخبرنا شريك عن أبي هلال عن أبي سفيان قال . كنت في دينهم بمكة نصرانيا لعمر بن الخطاب فكان يمرض على الاسلام فأتني فيقول (لا إكراه في الدين) ويقول يا أسبق لو أسلت لاستنابك على بعض أمور المسلمين وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بدلوا الجزية وقال آخرون . بل هي منسوخة بآية القتال وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الاسلام فإن أتى أحد منهم الدخول فيه ولم يقبله أو ينقله أو ينزل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى الاكراه قال الله تعالى (استدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقال تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) وفي الصحيح « هجر ربك من قوم يخادون إلى الجنة في السلاسل » يعني الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الاسلام في الوثاق والأغلال والقيود والأكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرايرهم فيكونون من أهل الجنة . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل « أسلم » قال إني أجدني كارها قال « وإن كنت كارها » فإنه ثلاثي صحيح ولكن ليس من هذا القليل فإنه لم يكرهه الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام بل دعاه إليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له بل هي كارها فقال له أسلم وإن كنت كارها فإن الله سيرزقك حسن الثبة والإخلاص

وقوله (فمن يكره بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله مبيح عليهم) أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووجد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي قد ثبت في أهره واستقام على الطريقة للنيل والصلوات المستقيم قال أبو القاسم النبوي . حدثنا أبو روح البلدي حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن أبي إسحق عن حسان هو ابن قائد العبيسي قال : قال عمر رضي الله عنه إن الجبوت السحر والطاغوت والشيطان وإن الشجاعة والجن غرائز تكون في الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف وأخر الجبان من أمه وإن كرم الرجل دينه، وحسبه خلقه وإن كان فارسيا أو نبطيا. وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن أبي إسحق عن حسان بن قائد العبيسي عن عمر فذكره ومعنى قوله في الطاغوت إنه الشيطان قوى جدا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستئصال بها

وقوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبصرة قوية وربطها قوى شديد ولهذا قال (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) الآية ، قال مجاهد : العروة الوثقى يعني الإيمان وقال السدي : هو الاسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك يعني لا إله إلا الله وعن أنس بن مالك العروة الوثقى القرآن وعن سالم بن أبي الجعد قال هو الحب في الله والبغض في الله وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها وقال معاذ بن جبل في قوله (لا انفصام لها) دون دخول الجنة وقال مجاهد وسعيد بن جبير (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) ثم قرأ (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يشيروا ما بأنفسهم) وقال الإمام أحمد . أنبأنا إسحق بن يوسف حدثنا ابن عوف عن محمد بن قيس بن عبادة قال . كنت في المسجد فبأ رجل في وجهه أثر من خشوع فصرى ركنين أوجز فيهما فقال القوم هذا رجل من أهل الجنة فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته فلما استأنس قلت له إن القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا

قال سبحانه الله ما ينشئ لأحد أن يقول ما لا يعلم وأحدك لم : إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصصتها عليه رأيت كأنني في روضة خضراء - قال ابن عون فذكر من خضرها وسعها - وفي وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة قبيل لي اصعد عليه قفلت لا أستطيع فيأبى منصف - قال ابن عون هو الوصف - فرجع ثيابي من خلفي فقال اصعد فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال استمسك بالعروة فاستيقظت وإنها لني يدي فأثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قصصتها عليه قال « أما الروضة فروضة الاسلام وأما العمود فعمود الاسلام وأما العروة فهي العروة الوثقى أنت على الاسلام حتى تموت » قال وهو عبد الله ابن سلام . أخرجهما الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قعمت إليه^(١) وأخرجه البخاري من وجه آخر عن محمد بن سيرين به

(طريق أخرى وسياق آخر) قال الإمام أحمد : أنبأنا حسن بن موسى وعثمان قالا أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم ابن بهدلة عن السبب بن رافع عن خرشة بن الحر قال : قدمت المدينة فجلست إلى مشيخة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجاء شيخ يتوكأ على عصاه فقال القوم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا . فقام خلف سارية فجلس ركنين قفلة له : قال بعض القوم كذا وكذا فقال الجنة لله يدخلها من يشاء وإني رأيت على عهد رسول الله ﷺ رؤيا كأن رجلا أتاني فقال انطلق فذهبت معه فلك في منهاجا عظيما فرضت لي طريق عن يساري فأردت أن أسلكها فقال : إنك لست من أهلها ثم عرضت لي طريق عن يميني فأسلكها حتى انتهيت إلى جبل زلق فأخذ يدي فدحاني فإذا أنا على ذروته فلم أقدر ولم آتسكس فإذا عمود حديد في ذروته حلقة من ذهب فأخذ يدي فدحاني حتى أخذت بالعروة فقال : استمسك قفلة نعم ففرض العمود برجلي فاستمسك بالعروة قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « رأيت خيرا أما للتبع العظيم فالمحشر وأما الطريق التي عرضت عن يسارك فطريق أهل النار ولست من أهلها وأما الطريق التي عرضت عن يمينك فطريق أهل الجنة وأما الجبل الزلق فنزل الشهداء ، وأما العروة التي استمسكت بها فعروة الاسلام فاستمسك بها حتى تموت » قال فأنما أرجو أن أكون من أهل الجنة . قال وإذا هو عبد الله بن سلام وهكذا رواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عفان وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن الحسن بن موسى الأشيب كلاهما عن حماد بن سلمة به نحوه وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر الفزاري به

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَظُلُومٌ يُخْرِجُهُمُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

يخرج تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبيل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي اللبين السهل المير وأن الكافرين إنما ولهم الشيطان يزبن^(٢) لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولهذا وحده . إلى لفظ النور وجمع الظلمات لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة كما قال (وأن هذا صراطي مستقيم فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وما كره لكم تنقون) وقال تعالى (وجعل الظلمات والنور) وقال تعالى (عن البين وعن الشمال) إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرق الحق وانتشار الباطل وفرده وتمجيده وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا علي بن ميسرة حدثنا عبد العزيز بن أبي عثمان عن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد قال يمت أهل الأهواء أو قال يمت أهل الفتن فمن كان هو له الإيمان كانت فتنه يضاء مضية ومن كان هو الكفر كانت فتنه سوداء مظلمة ، ثم قرأ هذه الآية (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أُولَئِكَ لَظُلُومٌ) الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

(١) هذه الجملة المعروضة ليست في نسخة الأزهر والله أعلم بأسفلها (٢) في نسخة الأزهر : الشياطين تزين الخ .

﴿ أَمْ نَرَىٰ إِلَى اللَّهِ حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ لِإِسْحَاقَ رَبِّي أَلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الشَّرْقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ قَبِيتُ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمrod بن كنان بن كوش بن سام بن نوح ويقال نمrod بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح والأول قول مجاهد وغيره . قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقا ومغارها أربعة مؤمنان وكافران ، فالؤمنان سليمان بن داود وذوالقرنين والكافران نمrod ومجتمصر والله أعلم ومعنى قوله (أَمْ نَرَى) أى بقلبك يا محمد (إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) أى وجود ربه وذلك أنه انكر أن يكون ثم إليه غيره كما قال بعده فرعون للسه (ما علمت لكم من إله غيرى) وما حمل على هذا الطغيان والكفر التليظ والمائدة الشديدة إلا تجبره وطول مدته في الملك وذلك أنه يقال أنه مكث أربعين سنة في ملكه ولهذا قال (أن آتاه الله الملك) وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم (ربى الذي يحيى ويميت) أى إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أو جدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له . فعند ذلك قال الحاج وهو النمrod (أنا حيي وأميت) قال قتادة وعمر بن إسحق والسدى وغير واحد ، وذلك أن أوتى بالرجاء قد استحقا القتل فكسر يقتل أحدهما فيقتل وأمر بالموء عن الآخر فلا يقتل فذلك معنى الإحياء والإماتة والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هنا لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم ولا في معناه لأنه غير مانع لوجود الصانع وإنما أراد أن يدعى لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوم أنه الفاعل لذلك وأنه هو الذي يحيى ويميت كما اقتدى به فرعون في قوله (ما علمت لكم من إله غيرى) ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه الكابرة (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أى إذا كنت كما تدعى من أنك يحيى ويميت فأتى يحيى ويميت هو الذي يصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكب وحركاته فهذه الشمس تدور كل يوم من المشرق فإن كنت إلها كما ادعيت يحيى ويميت فأت بها من المغرب ؟ فلما علم بحجزه واقطعاه وأنه لا يقدر على الكابرة في هذا المقام بهت أى أغرس فلا يتكلم عليه الحجة قال الله تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يلهيهم حجة ولا برهان بل حجبهم داحضة عند ربهم وعامهم غضب ولهم عذاب شديد وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من اللطائف أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه ومنهم من قد يطلق عبارة ترديه^(١) وليس كما قالوه بل المقام الأول يكون كالقدمة للثاني وبين بطلان ما ادعاه نمrod في الأول والثاني وفي الحمد والثناء وذكر السدى أن هذه الناطرة كانت بين إبراهيم ونمrod بعد خروج إبراهيم من النار ولم يكن اجتماع الملك إلا في ذلك اليوم فحرت بينهما هذه الناطرة وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أن النمrod كان عنده طعام وكان الناس يشدون إليه للمرة فوفد إبراهيم في جملة من وفد للمرة فكان بينهما هذه الناطرة ولا يعط إبراهيم من الطعام كما أعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام فلما قرب من أهله عمد إلى كتيب من التراب فلأ منه عدليه وقال أشعل أهلى عني إذا قدمت عليهم فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام فقامت امرأته سارة إلى الصداين فوجدتهما ملائيين طعاما طيبا فصمتا طعاما فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أسلحوه فقال : أتى لكم هذا ؟ قالت : من الذي جئت به فلم أنعم رزق رزقه الله عز وجل قال زيد بن أسلم وبعت الله إلى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ثم دعاه الثانية فأبى ثم الثالثة فأبى وقال : اجمع جموعك وأجمع جموعى فجمع النمrod جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس وأرسل الله عليهم بآيا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطان الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركهم عظاما بادية ودخلت واحدة منها في منخرى الملك فكنت

(١) وفي نسخة الأزهر ردية .

في منخرى الملك أربع مائة سنة عذبه الله بها فكان يشرب برأسه ^(١) بالمراب في هذه اللذة حتى أهلكه الله بها

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَيَّثَهُ قَالَ كَمْ لَيْثٌ قَالَ لَيْثٌ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْثٌ مِائَةً عَامٍ فَأَنظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنْهْ وَأَنظَرُ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنظَرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَفْسُهَا ثُمَّ نَكَّوْهَا لَهَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

تقدم قوله تعالى (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) وهو في قوة قوله هل رأيت مثل الذي حاج إبراهيم في ربه ولهذا عطف عليه بقوله (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها) اختلقوا في هذا المار من هوروى ابن أبي حاتم عن عصام بن دأود عن آدم بن أبي إياس عن إسرائيل عن أبي إسحق عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو عزير ، ورواه ابن جرير عن ناجية بن كعب وحكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان بن بريدة وهذا القول هو المشهور وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد هو أرميا بن حلقيا قال محمد بن إسحاق عمنهم لا يسمونهم عن وهب بن منبه أنه قال : هو اسم الحضر عليه السلام وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبي قال سمعت سليمان ابن عبد اليسرى الجارى من أهل الجارى ابن عم مطرف قال سمعت سلمان يقول إن رجلا من أهل الشام يقول إن الذي أماته الله مائة عام ثم بيثه اسمه حزقيل بن بوار وقال مجاهد بن جبر هو رجل من بني إسرائيل وأما القرية فالمنهوز أنها بيت القدس من عليها بعد تخريب مختصر لها وقتل أهلها (وهي خاوية) أي ليس فيها أحد من قومه خوتها الدار تخوي خوي

وقوله (على عروشها) أي باقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها فوقفت متفكرا فيما آل أمرها إليه بعد العارضة العظيمة وقال (أي يحيي هذه المائة بعد موتها) وذلك لما رأى من دنورها وشدة خرابها وبعدها عن العود إلى ما كانت عليه قال الله تعالى (فأما الله مائة مائة عام ثم بيثه) قال وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته وتكامل ما كنوها ثم رجع بنو إسرائيل إليها فلما بيثه الله عز وجل بعد موته كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيي بدنه فلما استقل سوا (قال) الله له أي بواسطة الملك (كم لبيث ؟ قال لبيث يوما أو بعض يوم) قال وذلك أنه مات أول النهار ثم بيثه الله في آخر النهار فلما رأى الشمس باقية ظن أنها تمس ذلك اليوم فقال (أو بعض يوم قال بل لبيث مائة عام فأناظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) وذلك أنه كان معه فيها ذكر عنب وتين وعصير فوجده كما تقدم لم يتغير منه شيء ، لا الصير استحلال ، ولا التين حمض ولا أنثى ولا العنب قصب (وأناظر إلى حمارك) أي كيف يحيي الله عز وجل وأنت تنظر (ولتجعل آية للناس) أي دليلا على العاد (وأناظر إلى العظام كيف ننشرها) أي نرفها فيركب بعضها على بعض وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث نافع بن أبي نعم عن إسماعيل بن حكيم عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (كيف ننشرها) بأبى ثم قال صحيح الاستدلال يخرجاه وقرئ (ننشرها) أي يحيا قاله مجاهد (ثم نكسوها لحما) وقال السدي وغيره تفرقت عظام حمارة حوله عينا ويسارا فأنظر إليها وهي تلوح من ياضها فيث الله رعاها فجمعها من كل موضع من تلك الحلة ثم ركب كل عظم في موضعه حتى صار حمارة قائما من عظامها لم يحياها ثم كساها اللحم وأعيا وعروقا وجلدا وبهت الله ملكا فنفخ في منخرى الحمار فنفخ كله فإذن الله عز وجل وذلك كله برأى من العزيز فمئذ لك لما تبين لهذا كله (قال أعل أن الله على كل شيء قدير) أي أنا عالم بهذا وقد رأيته عينا فأتا أعل أهل زمانك بذلك وقرأ آخرون (قال أعل) على أنه أمر له بالعلم

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَنَظَرْنَا ثُمَّ انقلبنا على أعقابنا فَاثْبَتْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴾

فذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسبابا منها أنه لما قال لخرود (ربي الذي يحيي ويميت) أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال (رب أرنى كيف يحيى الموتى) قال أولم تؤمن . قال بلى ولكن ليطمئن قلبي (فأما الحديث الذي رواه البخارى عند هذه الآية حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرنى كيف يحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » وكذا رواه مسلم عن جرمة بن يحيى عن وهب بن قيس المراد ههنا بالشك ما قد فهمه من لاعلم . عنه بلا خلاف وقد أجيب عن هذا الحديث بأجوبة أحدها (١)

وقوله : (قال فَنَظَرْنَا أربعة من الطير فصرهن إليك) اختلفوا للفرس في هذه الأربعة ما هي وإن كان لا طائل تحت تعيينها إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن فروى عن ابن عباس أنه قال هي الفروخ والطاوس والديك والحمامة وعنه أيضاً أنه أخذ وزاً ورأى أنه فروخ النعام وديكا وطاوساً وقال بجاهد وعكرمة كانت حمامة وديكا وطاوساً وغراباً وقوله (فصرهن إليك) أى وقطعن أذى عن ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو الأسود الدؤلى ووهب ابن منبه والحسن والسدى وغيرهم وقال الموقى عن ابن عباس (فصرهن إليك) أوتقن ، قلنا أوتقن ذبحن ثم جسل على كل جبل منهن جزءاً فذكروا أنه حمد إلى أربعة من الطير فذبحهن ثم قطعن وتب ريشهن ومزقن وخلط بفضهن بيض ثم جزأهن أجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءاً قبل أربعة أجبل وقيل سبعة قاله ابن عباس : وأخذ رءوسهن بيده ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل ينظر إلى الریش يطير إلى الریش وإلى اللحم وإلى اللحم وإلى اللحم والأجزاء من كل طائر يصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على معدته وأتبعه عشرين سمياً ليكون له في الرؤية التي سألها وجعل كل طائر يحىء ليأخذ رأسه الذى في يد إبراهيم عليه السلام فإذا قدمه غير رأسه يأتاه فإذا قدم إليه رأسه ترك مع بقية جسده بحول الله وقوته ولهذا قال (واعلم أن الله عزيز حكيم) أى عزيز لا يفتبه شيء ولا ينته من شيء وما شاء كان بلا مانع لأنه القاهر لكل شيء حكيم في أقواله وأفعاله وبشره وقدره قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن أيوب في قوله (ولكن ليطمئن قلبي) قال : قال ابن عباس . ما في القرآن آية أرجى

(١) هنا يباين بالنسخ التي بأيدنا ، ونذكر ما قاله البغوى إنصافاً للقائده . قال . حكى محمد بن إسحق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى الزنى أنه قال على هذا الحديث لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيى الموتى وإنما شكوا في أنه هل يجيئها في ما سألوا . وقال أبو سليمان الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على شيء ولا على إبراهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فلإبراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والمضغ من النفس وكذلك قوله « لو ألبست في السجن طول مالب يوسف لأجبت الدعاء » . وفيه الإعلام أن السأله من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ولكن من قبل زيادة العلم بالبيان فإن البيان يفيد المعرفة والطمأنينة فلا يفيد الاستدلال ، وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول تواضعا منه وتقدبعا لإبراهيم على شيء اهـ

عندي منها وقال ابن جرير : حدثني محمد بن الثني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل عن سعيد بن السبب قال : اتفق عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص أن يجتمعا قال : ونحن شعبة . فقال أحدهما لصاحبه أي آية في كتاب الله أرجى عندك لهذه الأمة فقال عبد الله بن عمرو قول الله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) الآية فقال ابن عباس أما إن كنت تقول هذا فانا أقول أرجى منها لهذه الأمة قول إبراهيم (رب أرني كيف نجى للوحي ؟ قال أولؤمن قال بلى ولكن ليطعنن قلبي) وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني محمد بن أبي سلمة عن عمرو حدثني بن السكدر أنه قال : التقي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص فقال ابن عباس لابن عمرو بن العاص أي آية في القرآن أرجى عندك ، فقال عبد الله بن عمرو : قول الله عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا) الآية فقال ابن عباس : لكن أنا أقول قول الله عز وجل (وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف نجى للوحي قال أولؤمن قال بلى) فرضي من إبراهيم قوله (بلى) قال فهذا لما يترضى في النفوس ويوسوس به الشيطان وهكذا رواه الحاكم في المستدرک عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن الأحرز عن إبراهيم بن عبد الله السعدي عن بشر بن عمر الزهراني عن عبد العزيز بن أبي سلمة بإسناده مثله ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجناه

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُبْنِفُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلٍ مِائَةَ حَبَّةٍ ۚ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

هذا مثل ضرب به الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وإتباع مرضاته وأن الحسنه تضاعف بشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فقال (مثل الذين يبنيون أموالهم في سبيل الله) قال سعيد بن جبير يعني في طاعة الله وقال مكحول يعني به الاتفاق في الجهاد من روابط الحيل وإعداد السلاح وغير ذلك وقال شيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس الجهاد والحج يضعف درهم فيها إلى سبعمائة ضعف ولهذا قال تعالى (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعائة فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينمى الله عز وجل لأصحابها كما ينمى الزرع لمن يذره في الأرض الطيبة وقد وردت السنة بتضعيف الحسنه إلى سبعمائة ضعف قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الرعيص أبو خديش حدثنا واصل مولى ابن عيينة عن بشار بن أبي سيف الجرمي عن عياض ابن غطفان قال : دخلنا على أبي عبيدة نعوذ من شكوى أصابه بجنبه وامرأته بحجة قاعدة عند رأسه قلنا كيف بات أبو عبيدة . قالت : والله لقد بات بأجر قال أبو عبيدة مايت بأجر وكان مقبلا بوجهه على الحائط فأقبل على القوم بوجهه وقال ألا تسألوني عما قلت . قالوا ما أعجبنا ماقلت فنسألك عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فسيبعائة ومن أنفق على نفسه وأهله أو عاد مرضا أو ماز أذى فالحسنه بشر أمثالها والصوم حنة مالم يخرجها ومن ابتلاه الله عز وجل بلاء في جسده فهو له حطة » وقد روى النسائي في الصوم بضمه من حديث واصل به ومن وجه آخر موقوفا

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا عمرو والشياحي عن ابن مسعود أن رجلا تصدق بناقطة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ « لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقطة مخطومة » ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن مهران عن الأعمش به ولفظ مسلم جاء رجل بناقطة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله قال « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقطة »

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا عمرو بن محمد أبو النضر الكندي أخبرنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله جعل حسنة ابن آدم إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة

ضعف إلا الصوم والصوم لى وأنا أجزى به وللصائم فرحتان فرحة عند إبطاره وفرحة يوم القيامة ولخولف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك

(حديث آخر) قال أحمد أخبرنا وكيع أخبرنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بشر أمثالها إلى سبعة ضعف إلى ما شاء الله يقول الله ﷻ إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به بدع طعامه وشرا به من أجل ، وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخولف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، الصوم جنة الصوم جنة » وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبو سعيد الأشج كلاهما عن وكيع به

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن أبي الكين عن بشر بن عمارة عن حرم بن وائل قال: قال رسول الله ﷺ «من أتق حقة في سبيل الله تضاعف بسبعة (١) ضعف»

(حديث آخر) قال أبو داود أنا محمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن يحيى بن أيوب وسعيد بن أبي أيوب عن زيان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف على التفة في سبيل الله بسبعة ضعف (٢)»

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم: أنانا أبو حدثنا هارون بن عبد الله بن مروان حدثنا ابن أبي فديك عن الخليل بن عبد الله عن الحسن بن عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أرسل بنفقة في سبيل وأقام في بيته فله بكل درهم سبعة درم ومن غزا في سبيل الله وأتق في جهنم فله بكل درهم سبعة آلاف درهم» ثم تلا هذه الآية (والله يضاعف لمن يشاء) وهذا حديث غريب وقد تقدم حديث أبي عثمان التدي عن أبي هريرة في تضيف الحسنة إلى ألف حسنة عند قوله (من الذى يقرب الله قرصا حسنا يضاعفه له أضفا كثيرة) الآية (حديث آخر) قال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن الصكرى البزاز أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب أخبرنا محمود بن خالد السمشق أخبرنا أبي عن عيسى بن السيب عن نافع عن ابن عمر لما نزلت هذه الآية (مثل الذى ينفقون أموالهم في سبيل الله) قال النبي ﷺ «رب زد أمق» قال فأزل الله (من ذا الذى يقرب الله قرصا حسنا) قال «رب زد أمق» قال فأزل الله (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقد رواه أبو حاتم وابن جبان في صحيحه عن حاجب بن اركين عن أبي عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز القرى عن أبي إسماعيل اللؤب عن عيسى بن السيب عن نافع عن ابن عمر فذكره وقوله ههنا (والله يضاعف لمن يشاء) أى بحسب إخلاسه في عمله (والله واسع عليم) أى فضله واسع كثير أكثر من خلقه عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه ومحمد

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُدْمِنُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ يَفْقَهُ حَسْمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ يَاللَّذِي كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَنَسُوهُ كَشَلِّ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ رَبُّهُ فَاصْبِرْ وَاصْبِرْ لَهُ وَلَا تَقْرَ كَهْ صَدَقَةً لَا يَقْبَلُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ فَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

يصدق تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله ثم لا يديمون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات من على من أعطوه فلا يحنون على أحد ولا يحنون به لا يقول ولا فعل

وقوله (ولأذى) أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكرها ومحطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال: (لم أجرهم عند ربهم) أي ثوابهم على الله لا على أحد سواه (ولا خوف عليهم) أي بما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة (ولا هم يحزنون) أي على ما خلقوه من الأولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا بأسون عليها لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك

ثم قال تعالى (قول معروف) أي من كلمة طيبة ودعاء لئلم (ومغفرة) أي عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعل (خير من صدقة يتبعها أذى) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل قال: قرأت على معقل بن عبد الله عن عمرو ابن دينار قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف لم تسع قوله (قول معروف) ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غي) عن خلقه (حليم) أي يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم وقد وردت الأحاديث بالنهي عن اللئى في الصدقة ففي صحيح مسلم من حديث شعبة عن الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خزشة ابن الحر عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولم يذهب عنهم ألم: اللئى بما أعطى والسلب لإزاره والتفك ساعته بالخلف والكاذب» وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى أخبرنا عثمان بن محمد الدوري أخبرنا هشيم بن خارجة أخبرنا سليمان بن عتبة عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي البرداء عن النبي ﷺ قال «لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر» وروى أحمد وابن ماجه من حديث يونس بن ميسرة نحوه ثم روى ابن مردويه وابن جبان والحاكم في مستدركه والنسائي من حديث عبد الله بن يسار الأعرج عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ومدمن الخمر واللئى بما أعطى» وقد روى النسائي عن مالك بن سعد عن عمه روى عن عبادة عن عتاب بن بشير عن خفيف الجرازي عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا منان» وقد رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن الهيثم عن محمد بن عبد الله بن عمار اللؤلؤي عن عتاب عن خفيف عن مجاهد عن ابن عباس ورواه النسائي من حديث عبد الكريم بن مالك الحوري عن مجاهد قوله وقدرى عن مجاهد عن أبي سعيد وعن مجاهد عن أبي هريرة نحوه ولهذا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باللئى والأذى) فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من اللئى والأذى فما بيني ثواب الصدقة: خطيئة للئى والأذى ثم قال تعالى (كأنه ينفق ماله رثاء الناس) أي لا تبطلوا صدقاتكم باللئى والأذى كما تبطل صدقة من رأى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإتباعه فصدح الناس له أو شهرته بالصفات الجلية ليثكر بين الناس أو يقال إنه كرمه ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وإتباع مرضاته وجزيل ثوابه ولهذا قال (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) ثم ضرب تعالى مثل ذلك للرأى فافاه قال الضحاك: والذي يتبع ثقته منا أو أذى فقال (فثله كذل صفوان) وهو جمع صفوان فهم من يقول الصفوان يستعمل مفرداً أيضاً وهو الصفا وهو الصخر الأملس (عليه تراب فأصابه وابل) وهو اللطر الشديد (فتركه صلداً) أي ترك الوابل ذلك الصفوان صلداً أي أملس يابس أي لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أي وكذلك أعمال الرأى تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيها يرى الناس كالتراب ولهذا قال (لا تجددون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين)

﴿وَسَلِّ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْنَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَوْبَتِمْ مِنْ أَسْهَمِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ يَرْوَاهُ أَصَابُهَا وَابِلٌ قَاتٍ أَكَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصْبِحُوا يَأْكُلْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

وهذا مثل المؤمنين التقيين أموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم في ذلك (وتوبت من أسهمهم) أي وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ونظير هذا في معنى قوله عليه السلام في الحديث الصحيح للفق على محته «من صام رمضان إيماناً واحتساباً» أي يؤمن أن الله شرعه ويعتسب عند الله ثوابه قال الشعبي: (وتوبتاً

من أشبههم) أى صديقاً وثيقاً وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيدواختاره ابن جرير وقال مجاهد والحسن أى يتشبثون
أين يمشون صدقاتهم

وقوله (كنل جنة بربوة) أى كنل بستان بربوة وهو عند الجمهور للكان الارتفاع من الأرض وزاد ابن عباس
والضحك ونجى فيه الأنهار . قال ابن جرير رحمه الله . وفى البروة ثلاث ثلاث من ثلاث قراءات بضم الراء وبهاقرأ
عامة أهل المدينة والحجاز والعراق وفتحها وهى قراءة بعض أهل الشام والكوفة وقال أنها لغة تميم وكسر الراء ويذكر
أنها قراءة ابن عباس

وقوله (أصاها وإبل) وهو اللط الشديداً كما تقدم فأتت (أكلها) أى عثرها (ضفين) أى بالنسبة إلى غيرها من
الجنان (فان لم يصبا وإبل فطل) قال الضحاك هو الرزاذ وهو الإبل من اللط أى هذه الجنة بهذه البروة لا تمحل أبداً
لأنها إن لم يصبا وإبل فطل وأيا ما كان فهو كفايتها وكذلك عمل المؤمن لا يور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينبئه بكل
شأن يحبه ولهذا قال (والله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء

(أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ
وَأَسَافَةُ الْكِبَرِ وَلَهُ ذُرِّيَةُ ضَعُفَاءُ فَاصْبَا فِيهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ)

قال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن ابن جريج سمعت
عبد الله بن أبى مليكة يحدث عن ابن عباس وسمعت أخاه أبا بكر بن أبى مليكة يحدث عن عبيد بن عمر قال : قال عمر
ابن الخطاب يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ (أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ
نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ) قالوا : الله أعلم فضبط عمر فقال : قولوا نعم أولاً نعم ، فقال ابن عباس : فى قسى منها شيء . أى أمير
المؤمنين فقال عمر : يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس رضى الله عنهما ضربت مثلاً بعمل قال عمر : أى
عمل ؟ قال ابن عباس لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم يشاء الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله ثم رواه
البخارى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج فذكره . وهو من أفراد البخارى
رحمه الله وفى هذا الحديث كفاية فى تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً ثم بعد ذلك
انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عباداً بالله من ذلك فأبطل بعمله الثانى ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج
إلى شيء من الأول فى أشيق الأحوال فلم يحصل منه شيء وخاته أحوج ما كان إليه ولهذا قال تعالى (وأسافه الكبر
وله ذرية ضعفاء فاصباها إعصار) وهو الريح الشديد (فيه نار فاحترقت) أى أحرق مزارها وأباد أشجارها فأبى حال
يكون حاله ؟ وقد روى ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال . ضرب الله مثلاً حسناً وكل أمثاله حسن
قال (أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) يقول صنعه فى
شيئته (وأسافه الكبر) وولده وذريته ضعفاء عند آخر عمره فجاه إعصار فيه نار فاحترقت بستانه فلم يكن عنده
قوة أن يفرس مثله ولم يكن عند نسله خير يمودون به عليه وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا رد إلى الله عز وجل
ليس له خير فيستعجب كما ليس لهذا قوة يفرس مثل بستانه ولا يجده قدم نفسه خيراً يود عليه كما لم يكن عن هذا
ولده وحرم أجره عند أقرب ما كان إليه كما حرم هذا جنته عند ما كان أقرب ما كان إليها عند كبره وضعف قوته .
وهكذا روى الحاكم فى مستدركه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعائه « اللهم اجعل أوسع رزقك على عند كبرىي
واضعاء عمرى » ولهذا قال تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) أى تتدبرون ويهتمون بالأشياء والمعاني
وتزولونها على المراد منها كما قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا مَن طَيَّبْتُمَا كَسَبْتُمْ وَمَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ شَيْءٍ مِّنْهُ تُتَفَقَّهُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُخَمِّصُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنَىٰ حَيْدُ الشَّيْطَانِ يَدُكُمْ أَلَمْ تَفْقَهُوا تَبَرُّكُمْ بِالْفَتْهَاءِ وَاللَّهُ يَدُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسَّعَ عِلْمُهُ يُولُتِ الْحِكْمَةُ مَن يَشَاءُ وَمَن يُولُتِ الْحِكْمَةُ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالاتفاق والمراد به الصدقة هنا قاله ابن عباس من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها قال مجاهد : يعني التجارة بغيره إياها لم وقال طي والبدى (من طيبات ما كسبت) يعني الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتهمها من الأرض قال ابن عباس أمرهم بالاهتاق من أطيب المال وأجوده وأشبهه ونههم عن التصدق برذالة المال ودنيته وهو خبيثه فان الله طيب لا يقبل إلا طيباً ولهذا قال (ولا تيمموا الخبيث) أى تصدقوا الخبيث (منه) تتفقون ولستم بآخذيهِ) أى لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تفاضوا فيه فله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون وقيل معناه (ولا تيمموا الخبيث منه تتفقون) أى لاتمدلوا عن المال الحلال وتصدقوا إلى الحرام فتجسوا وتفكك منه . ويذكر هنا الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا إسحق عن الصالح بن محمد عن مرة الحميداني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرواقيكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفس يده لا يسلم عبد حتى يعلم قلبه وسأله ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائه . قالوا : وما بوائه يا نبي الله ؟ قال : « عشه وظله ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيأرك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار » إن الله لا يعجو السبي بالسبي ولكن يعجو السي الحسن إلى الخبيث لا يعجو الخبيث « والصحيح القول الأول قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا الحسين بن عمر المقرئ حدثني أبى عن أسباط عن السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب رضى الله عنه في قول الله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا مَن طيبات ما كسبت) وما أخرجالكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تتفقون) الآية قال . نزلت في الأنصار كانت الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها البسر فلقوه على حل بين الاسطوايتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأ كل قفراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع أقفاء البسر يظن أن ذلك جائز فأنزله الله فيمن فعل ذلك (ولا تيمموا الخبيث منه تتفقون) ثم رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب وقال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن البدى عن أبى مالك عن البراء رضى الله عنه (ولا تيمموا الخبيث منهم تتفقون ولستم بآخذيهِ إِلَّا أَنْ تُخَمِّصُوا فِيهِ) قال : نزلت فينا كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله بقدر كثرته وقتله فيأتى الرجل بالقتو فيملقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بجماء فسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون في الخيرات بالقتو بالحشف والشيش فيأتى بالقتو قد انكسر فيملقه فزلت (ولا تيمموا الخبيث منه تتفقون ولستم بآخذيهِ إِلَّا أَنْ تُخَمِّصُوا فِيهِ) قال لو أن أحداً أهدى له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على اغماض وحياء فكان بعد ذلك يحجى الرجل منا يصلح ماعنده وكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن السامري عن عبيد الله هو ابن موسى العيسى عن اسرائيل عن السدى وهو إسماعيل بن عبد الرحمن عن أبى مالك الفخارى واسمه غزوان عن البراء فذكر نحوه ثم قال وهذا حديث حسن غريب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا سليمان بن كثير عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم نهى عن لوئين من التمر الجورور والحقيق^(١) وكان الناس يقيمون شرار تمارهم ثم خرجونها في الصدقة فنزلت (ولا تيمموا الحيت منه تتقون) ورواه أبو داود من حديث سفيان بن حسين عن الزهري ثم قال أسنده أبو الوليد عن سليمان بن كثير عن الزهري وقلته نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجورور ولون الحقيق أن يؤخذ في الصدقة وقد روى النسائي هنا الحديث من طريق عبد الجليل بن حميد البصري عن الزهري عن أبي أمامة ولم يقل عن أبيه فذكر نحوه وكذا رواه ابن وهب عن عبد الجليل وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن التبرية حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن مغفل في هذه الآية (ولا تيمموا الحيت منه تتقون) قال كسب السلم لا يكون خبيثا ولكن لا يصدق بالحشف والمهرم الخريف وما لا خريفه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن حماد بن عمار عن ابن سليمان عن إبراهيم بن الأسود عن عائشة قالت أن رسول الله ﷺ يصب نعل بأكله ولم ينه عنه قلت: يا رسول الله نطمة السالكين قال «لا تطعموهما لا تأكلوه» ثم روى عن عثمان عن حماد بن سلمة بن سلمة به قتل يا رسول الله ألا تطعمه السالكين؟ قال «لا تطعموهما لا تأكلوه» وقال الثوري: عن السدي عن أبي مالك عن البراء (ولستم بأخذيه إلا أن تمضوا فيه) يقول لو كان لرجل على رجل رجل^(٢) فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد قصه من حقه؟ ورواه ابن جرير وقال ط بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولستم بأخذيه إلا أن تمضوا فيه) يقول لو كان لكم على أحد حق فبادكم بحق دون حقه لم تأخذوه بحسب الجيد حتى تنقصوه قال ذلك قوله (إلا أن تمضوا فيه) فكيف ترضون في ما ترضون لأنفسكم وحق عليكم من أطيب أموالكم وأغنى؟ ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد وهو قوله (لن تتألفوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ثم روى من طريق العوفي وغيره عن ابن عباس نحوه ذلك وكذا ذكره غير واحد

وقوله (واعلموا أن الله غني حديد) أي وإن أمركم بالصدقات والطبعتها فهو غني عنها وما ذاك إلا أن يساوي التي الفقير كقولها (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء إليه وهو واسع الفضل لا ينفد ماله فيمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع الطاء كريم جواد وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعاف كثيرة من يقرض غيره عديم ولا ظلم وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأفعاله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه

وقوله (الشیطان يمدكم بالفقر ويأمركم بالفحشاء والله يمدكم بمفرته وفضلا والله واسع علم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «إن للشیطان له بابن آدم ولللك له، فأما له الشيطان فلا يدا بالشر وتكذيب بالحق وأما له الملك فلا يدا بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان» ثم قرأ (الشیطان يمدكم بالفقر ويأمركم بالفحشاء والله يمدكم بمفرته وفضلا) الآية وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من مستها جميعا عن هناد بن السرى وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يلى اللؤلؤ عن هناد به وقال الترمذي حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص يعني سلام بن سليم لا نعرفه مرفوعا إلا من حديثه، كذا قال وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسمر عن عطاء بن السائب عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن ابن مسعود فبجمله من قوله والله أعلم، ومعنى قوله تعالى (الشیطان يمدكم بالفقر) أي يخوفكم الفقر لتحسبوا ما بأيديكم فلا تففقوه في مرضاة الله (ويأمركم بالفحشاء) أي مع نهيه إياكم عن الاتحاق بخيبة الاملاق، يأمركم بالمعاصي والآثام والممارم وعقائفة الخلاق قال تعالى (والله يمدكم بمفرته) أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء (وفضلا) أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر (والله واسع علم)

(١) الجورور ضم الجيم . والحقيق بمنزلة اللبنة : نوعان من الدقل وهو بالتحريك : التمر الرديء اليابس (٢) كذا وللهاد حق .

وقوله (يؤتى الحكمة من يشاء) قال طبري أن طلبة عن ابن عباس يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه وحكمه ومثابه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « الحكمة القرآن » يعني تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والقاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبي نجیح عن عباد بن الحكمة الأساية في القول وقال ليث بن أبي سالم عن جاهد (يؤتى الحكمة من يشاء) ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية . الحكمة خيفة الله فان خشيته رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه عن طريق بقة عن عثمان بن زفر الجهني عن أبي حمزة الأسدي عن ابن مسعود مرفوعا « رأس الحكمة خافة الله » وقال أبو العالية في رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعي : الحكمة الفهم وقال أبو مالك : الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك : وإنه يقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وقضه وما بين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا في أمر دينه علما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه في دين الله وقال السدي الحكمة النبوة . والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تخص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلها النبوة والرسالة أخص ولكن لا يتابع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في بعض الأحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوصى إليه » رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبد الله بن عمرو قوله وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع وزيد قال : حدثنا إسماعيل يعني بن أبي خالد عن قيس وهو ابن أبي حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة^(١) فهو يقضي بها ويعلمها » وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متصلة عن إسماعيل بن أبي خالد به

وقوله (وما يذكر إلا أولي الألباب) أي وما ينتفع بالموعظة والتذكير إلا من له لب وعقل يعني به الخطاب ومعنى الكلام ﴿ وَمَا أَفْقَحْتُمْ مِّنْ قَوْلٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا لِّلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۚ إِنَّ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُوْتُوهُمَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠٤ ﴾ غير تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله المأمون من الحيرات من التفقات وللتدورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للمعاملين لذلك ابتداء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أي يوم القيامة يتقذرونهم من عذاب الله وحمته

وقوله (إن تبوءوا الصدقات فتعالموا) أي إن أظهرتموها فتم شيء هي وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهل خير لكم) فيدلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يرتب على الإظهار مصلحة راجحة من اتقاء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيلة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالقرآن كالسر بالصدقة » والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية . ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجلان غلبا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه : ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تيمم فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت

فصيحبت اللاتكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل في خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد قالت : يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار . قال : نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء . قال : نعم الرمح قالت : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الرمح . قال : نعم إن آدم يصدق يبعينه فيخفها من شبابه « وقد ذكرنا في فضل آية الكرسي عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل . قال « سر إلى قبر أو جهد من مقل » رواه أحمد ورواه ابن أبي حاتم من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي ذر فذكره وزاد ثم شرع في هذه الآية (إن تبدوا الصدقات فنعماي وإن تحفظوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفي الحديث الروي « صدقة السر تطفى غضب الربيع ورجل » وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا الحسين بن زياد المحاربي مؤدب محارب أنا موسى بن حمير عن عامر الشعبي في قوله (إن تبدوا الصدقات فنعماي وإن تحفظوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال أنزلت في أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أما عمر فعجا نصف ماله حتى دفعه إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ « ما خلفت ورايك لأهلك يا عمر » قال خلفت لم نصف مالى وأما أبو بكر فعجا ماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ « ما خلفت ورايك لأهلك يا أبا بكر » فقال عدة الله وعدة رسوله . فبكى عمر رضي الله عنه وقال أبني أنت وأمي يا أبا بكر والله ما سبقنا إلى باب خير قط إلا كتب سابقا . وهذا الحديث روى من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه وإمّا أوردها هنا لقول الشعبي إن الآية نزلت في ذلك ثم إن الآية عامة في أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال . جل الله صدقة السر في التطوع فضل علانياتها يقال (١) بسمين ضفا وجعل صدقة الفريضة علانياتها أفضل من سرها يقال خمسة وعشرين ضفا

وقوله (ويكره عنكم من سيئاتكم) أي بدل الصدقات ولا سبأ إذا كانت سرا يحصل لكم الخير في رفع الدرجات ويكره عنكم السيئات وقد قرئ ويكره بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله (فنعماي) كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله (والله بما تعملون خير) أي لا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لَا يُسْتَطَاعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّمَنِّيِّ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ حِطَاءً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُوا أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِدَّةَ رَبْعٍ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قال أبو عبد الرحمن النسائي أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن أنبأنا القرياني حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن مسيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من الشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلا تسكن وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) وكذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو أحمد الزيري وأبو داود الحضرى عن سفيان وهو الثوري وقال ابن أبي حاتم : أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثني أحمد ابن عبد الرحمن بن أبي الشوكي حدثني أبي عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي الثيرة عن معبد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بأن لا يصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هدام) إلى

(١) ليس في خبر ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيها بده سقط .

آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين وسأق عند قوله تعالى (لا ينالكم اتقن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآية حديث أساءت الصديق في ذلك

وقوله (وما تفقوا من خير فلا تأخذوا) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه) ونظارها في القرآن كثيرة .
وقوله (وما تفقوا إلا ابتغاء وجه الله) قال الحسن البصري : ثقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن إذا أشق إلا ابتغاء وجه الله وقال عطاء الخراساني : يعني إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن وحاصل أن التصديق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب قبل أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على تصدقه ومستند هذا تمام الآية (وما تفقوا من خير يوف إليكم) وأنتم لا تظلمون) والحديث المخرج في الصحيحين من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال رجل لأصدقني الله بصدقة فخرج بصدقة فوضمها في يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية ، لأصدقني الله بصدقة فوضمها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تصدق الله على غني قال : اللهم لك الحمد على غني ، لأصدقني الله بصدقة فخرج فوضمها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الله على سارق فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق فأتى بقليله أمامه فقبلت وأما الزانية فلعلها أن تستغف بها عن زنا ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق أن يستغف بها عن سرقة »

وقوله (لفقراء الدين أحسروا في سبيل الله) يعني للهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا للدين وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما ينضمهم (ولا يستطيعون ضربا في الأرض) يعني سفا للقتل في طلب الماش والغرب في الأرض هو السفر قال الله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) الآية

وقوله (يحسم الجاهل أغنياء من التففق) أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسم أغنياء من تففقهم في لباسهم وحالهم ومقامهم وفي هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليس للمكسب بهذا الطواف الذي ترده الحمرة والتمران والقمعة واللقمة والأكل والكلتان ولكن المكسب الذي لا يجد غنى فيه ولا يظن له فيصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا » وقدرناه أحمد من حديث ابن مسعود أيضا

وقوله (ترمهم بسياح) أي بما يظهر لدوى الألباب من صفاتهم كما قال تعالى (سياح في وجوههم) وقال (ولترنهم في لحن القول) وفي الحديث الذي في السنن « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ثم قرأ (إن في ذلك لآيات للمتوسمين)

وقوله (لا يسألون الناس إلحافا) أي لا يلحون في المسئلة ويكلفون الناس مالا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما ينضمه عن المسئلة فقد ألحف في المسئلة قال البخاري : حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أنس عن أنس عن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قالا : سمنا أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « ليس للمكسب الذي ترده الحمرة والتمران واللقمة والقمعة واللقمة إنما المكسب الذي يتفق اقروا إن شئتم يعني قوله (لا يسألون الناس إلحافا) وقدرناه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر الدبني عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء بن يسار وحده عن أبي هريرة به ، وقال أبو عبد الرحمن النسائي : أخبرنا علي بن حجر حدثنا إسماعيل أخبرنا شريك وهو ابن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس للمكسب الذي ترده الحمرة والتمران واللقمة والقمعة إنما المكسب لتفق اقروا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وروى البخاري من حديث شعبة عن محمد بن أبي زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال ابن أبي حاتم . أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن أبي الوليد عن أبي هريرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس المسكين بالطواف عليكم تطعمونه لعة لعة إنما المسكين التمتع الذي لا يسأل الناس إلخافا » وقال ابن جرير : حدثني معتمر عن الحسن بن مالك عن صالح بن سويد عن أبي هريرة قال : ليس المسكين بالطواف الذي تردده الأكلة والأكتان ولكن المسكين التمتع في بيته لا يسأل الناس شيئا تصييه الحاجة أقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلخافا) وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مريضة أنه قالت له أمه ألا تطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائما يحلب وهو يقول « ومن استغف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن يسأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل الناس إلخافا » قلت بيني وبينه شيء (١) لناقلتي خير من خمس أواق ولعلامة ناقة أخرى فهي خير من خمس أواق فرجعت ولم أسأل وقال الإمام أحمد : حدثنا قتبية حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال عن عمارة ابن عرفة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال ، سرحني أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فأنتبهت فقلت قال : فاستبلي فقال « من استغنى أغناه الله ومن استغف أعفه الله ومن استكف كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف » قال قلت ناقتي يا أبا القاسم خير من أوقية فرجعت فلم أسأله وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتبية زاد أبو داود وهشام بن عمار كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الرجال بإسناده نحوه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو الجاهل حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد قال قال أبو سعيد الحمدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله قيمة أوقية فهو ملحف » والأوقية أربعون درهما وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلخافا » وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وله ما ينه جامت مسئلته يوم القيامة خدوشا أو كدوحا في وجهه » قالوا يا رسول الله وما غناه ؟ قال : « خسون درهما أو حسابا من الذهب » وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حكيم بن جبير الأسدي الكوفي وقد تركه شعبة بن الحجاج ووضعه غير واحد من الأئمة من جراء هذا الحديث ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أبو حسين عبد الله بن أحمد بن يونس حدثني أبي حدثنا أبو بكر بن عيش عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال : بلغ الحارث رجلا كان بالشام من قرشي أن أباه كان به عوز فيعت إليه ثلاثة دينار فقال ما وجد عبد الله رجلا أهون عليه مني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سأل وله أربعون درهما فقد ألحف » ولآل أبي ذر أربعون درهما وأربعون شاة وماهتان قال أبو بكر بن عيش : يعني خادمين وقال ابن مردويه . حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أخبرنا إبراهيم بن محمد أنبأنا عبد الجبار أخبرنا سفيان عن داود بن سابور عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أربعون درهما فهو ملحف وهو مثل سف للله » يعني الرمل ، ورواه النسائي عن أحمد بن سنان عن أحمد بن آدم عن سفيان وهو ابن عيينة بإسناده نحوه قوله (وما تتفقوا من خير فإن الله به عليم) أي لا يخفى عليه شيء منه وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأعه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه

وقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف ولا هم يحزنون) هذا مدح منه تعالى للنفقين في سبيله وإبناؤه مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار والأحوال من سروجها حتى إن النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضا كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضا عام التحن ، وفي رواية عام حجة الوداع « وإنك لن تتفق ثقة بتبني بها وجهه الله إلا ازدادت بها درجة ورفعة حتى ما تجهل في أمرأتك » ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وبه قال : حدثنا شعبة عن عدى ابن ثابت قال : سمعت عبد الله بن زيد الأنصاري يحدث عن أبي مسعود رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حكنا في النسخ ولله لنا فقه لم أو نحو ذلك وقوله ولعلامة لنا فقه كذا في النسخ وحرر الرواية

أنه قال « إن المسلم إذا أتقى على أهله ثقة يحسبها كانت له صدقة » أخرجاه من حديث شعبة به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شبيب قال سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب اللبكي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » في أصحاب الحيل. وقال حشاش الصنفاني : عن ابن شهاب عن ابن عباس في هذه الآية قال هم الذي ينفقون الحيل في سبيل الله ، رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى عن أبي أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج أجرونا بحسب ما عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه قال : كان لملأ أربعة دراهم فأحق درهما ليلاً ودرهما نهاراً ودرهما سرّاً ودرهما علانية فنزلت (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية) وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب ، وقوله (فلهم أجرهم عند ربهم) أي يوم القيامة على ما فعلوا من الاتقاي في الطاعات (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فتم تفسيره :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقَ اللَّهَ فَمَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

ما ذكر تعالى الأبرار المؤدين النفقات الفرجين الزكوات للتضليلين بالرب والصداقات لدى الحاجات والقرابات في جميع الأحوال والأوقات شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات . بر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بينهم ونشورهم فقال (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من اللس) أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتحيط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياماً منكراً ، وقال ابن عباس . أكل الربا يبعث يوم القيامة جنونا يخفق ، رواه ابن أبي حاتم قال روى عن عوف ابن مالك وسعيد بن جبير والسدي والريسي بن أنس وقادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وحسن عن عبد الله بن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا . في قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من اللس) يعني لا يقومون يوم القيامة ، وكذا قال ابن أبي نجيع عن مجاهد والضحاك وابن زيد ، وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حنيف عن أبي عبد الله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ - الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من اللس يوم القيامة - وقال ابن جرير حدثني التي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا ربيعة بن كلثوم حدثنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لأكل الربا خذ سلاحك للحرب وقرأ (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من اللس) وذلك حين يقوم من قبره وفي حديث أبي سعيد الإسراء كما هو مذكور في سورة سبحان أنه عليه السلام مر ليلتين يقوم لهم أجواف مثل البيوت فقال عنهم قيل : هؤلاء أكلة الربا . رواه البيهقي مطولاً ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أُميت ليلة أسرى بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحياة تجرى من خارج بطونهم فقلت . من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا » ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد ابن سلمة به ، وفي إسناده ضعف وقد روى البخاري عن سمرة بن جندب في حديث اللثام الطويل فأنتها على نهر حسبته أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل ساج يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك الساج يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة عنده فينثر له فاه فيلقعه حجراً وذكر في تفسيره أنه أكل الربا

وقال الثوري عن عاصم عن الشعبي عن ابن عباس قال : آخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا رواه البخاري عن قيس بن عتبة عن أبي عروة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عمر قال من آخر ما نزل آية الربا وإن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يسرها لنا فدعوا الربا والريسة وقال رواه ابن ماجه وابن مردويه عن طريق هياج بن بسطام عن داود بن أبي هند عن أبي أنسرة عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال إني لعلى أنها كم عن أشياء تصلح لكم وأمركم بأشياء لاتصلح لكم وإن من آخر القرآن نزولا آية الربا وإنه قد مات رسول الله ﷺ ولم يبينه لنا فدعوا ما يريكم إلى ملا يريكم وقد قال ابن أبي عدي بالاسناد موقوفاً فذكره ورد الحاك في مستدركه وقد قال ابن ماجه حدثنا عمرو بن علي الصيرفي حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن زيد عن إبراهيم عن مسروق عن عبد الله هو ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الربا ثلاثة وسبعون باباً » ورواه الحاك في مستدركه من حديث عمرو بن علي القلاس بسناد مثله وزاد أسرها أن ينكح الرجل أمه وإن أربي الربا عرض الرجل للسلم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال ابن ماجه حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبي معشر عن سعيد القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الربا سبعون جزءاً أسرها أن ينكح الرجل أمه » وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم عن عباد بن راشد عن سعيد بن أبي خيرة حدثنا الحسن منذ نحو من أربعين أو خمسين سنة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا » قال قيل له الناس كلهم ؟ قال « من لم يأكل منهم ناله من غباره » وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن سعيد بن أبي خيرة عن الحسن به ومن هذا القبيل تحريم الوسائل القضية إلى الهرمات الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة قالت : لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقرأهن فحرم التجارة في الحر وقد أخرج الجماعة سوى الترمذي من طرق عن الأعمش به وهكذا لفظ رواية البخاري عند تفسير هذه الآية فحرم التجارة وفي لفظ له عن عائشة قالت : لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ثم حرم التجارة في الحر قال بعض من تكلم على هذا الحديث من الأئمة : لما حرم الربا ووسائله حرم الحر وما يفضي إليه من تجارة ونحو ذلك كما قال عليه السلام في الحديث المتفق عليه « لمن الله اليهود حرمت عليهم الشحون فحبلوها فباعوها وأكلوا أموالها » وقد تقدم في حديث علي وابن مسعود وغيرهما عند لمن المحلل في تفسير قوله (حتى تنكح زوجاً غيره) قوله ﷺ « لمن الله أكل الربا وموكله وشاهديه وكتابه » قالوا وما يشهد عليه ويكتب إلا إذا أظهر في صورة عقد شرعى ويكون داخله فاسداً فلا اعتبار بمثله لا بصورته لأن الأعمال بالنيات وفي الصحيح « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وقد صنف الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية كتاباً في إبطال التحليل تضمن النبي عن تمامی الوسائل القضية إلى كل باطل وقد كنى في ذلك وشفى فرحه الله ورضى عنه

﴿ يَخْشَى اللَّهَ ارْتَبَا وَيَرْزُقِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِمٍ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

غير تعالى أنه يحق الرباى ينهب إيماناً بنهبه بالسكية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله فلا يتنفع به بل يدمره به في الدنيا ويماثبه عليه يوم القيامة كما قال تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) وقال تعالى (ويجعل الخبيث بضه على بعض فكره جعماً فيجعل في جهنم) وقال (وما آتيت من رب ليريو في أموال الناس فاليربو عند الله) الآية وقال ابن جرير : في قوله (يحق الله الربا) وهذا نظير الخبر الذي روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال

الربا وإن كثرت فأن عاقبته تصير إلى قل وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا حجاج حدثنا شريك عن الركين بن الربيع عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الربا وإن كثرت فأن عاقبته تصير إلى قل » وقد رواه ابن ماجه عن العباس بن جعفر عن عمرو بن عون عن يحيى بن أيمن عن أنس عن إسرائيل عن الركين بن الربيع بن عبيدة القزاري عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قل » وهذا من باب العامة يقيض القصد كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا الميثم بن نافع الظاهري حدثني أبو يحيى رجل من أهل مكة عن فروخ مولى عثمان ابن عمرو وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج من المسجد فرأى طعاما منشورا قال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جلب إلينا قال بارك الله فيه وفيمن جلبه قبل يا أمير المؤمنين إنه قد احتكر قال من احتكره ؟ قالوا فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر فأرسل إليهما فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قال : يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع قال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس أو بجدام » فقال فروخ عند ذلك أعاهد الله وأعاهدكم لا لأعود في طعام أبدا وأما مولى عمر فقال إنما نشترى بأموالنا ونبيع قال أبو يحيى فلقد رأيت مولى عمر بجدوما ورواه ابن ماجه من حديث الميثم بن نافع بوقظه « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس والجدام » وقوله (ويربى الصدقات) قرئ بضم الياء والتخفيف من ربا الشيء يروى وأرأه يريه أى كثره ونهه ونهه وقرئ يربى بالضم والتشديد من التربة قال البخاري حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير مع أبي النضر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صدق بديل غرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها يمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فوله حتى يكون مثل الجبل » كذا رواه في كتاب الزكاة وقال في كتاب التوحيد وقال خاله بن علف بن سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار فذكر بإسناده نحوه وقد رواه مسلم في الزكاة عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن خاله بن علف فذكره قال البخاري ورواه مسلم بن أبي مريم وزيد بن أسلم وسيل عن أبي صالح عن أبي هريرة عث النبي ﷺ قلت أما رواية مسلم ابن أبي مريم فقد نهد البخاري بذكرها وأما طريق زيد بن أسلم فرواه مسلم في صحيحه عن أبي الطاهر بن السرح عن أبي وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم به وأما حديث سهيل فرواه مسلم عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل به والله أعلم قال البخاري وقال ورقاء عن ابن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسند هذا الحديث من هذا الوجه الحافظ أبو بكر البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأعمش عن العباس المروزي عن أبي الزناد هاشم بن القاسم عن ورقاء وهو ابن عمر اليشكري عن عبد الله بن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من صدق بديل غرة من كسب طيب ولا يصد إلى الله إلا الطيب فإن الله يقبلها يمينه فيربها لصاحبها كما يربى أحدكم فوله حتى يكون مثل أحد » وهكذا روى هذا الحديث مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن سعيد القمري وأخرجه النسائي من روايته عن يحيى بن سعيد الأنصاري ومن طريق يحيى القطان عن محمد بن عجلان ثلاثهم عن سعيد بن يسار أبي الحبيب اللذان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره وقد روى عن أبي هريرة من وجه آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن عباد بن منصور حدثنا القاسم بن محمد قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها يمينه فيربها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره أو فوله حتى إن القصة لصير مثل أحد » وتصديق ذلك في كتاب الله (يفتح الله الربا ويربى الصدقات) وكذا رواه أحمد عن وكيع وهو في تفسير وكيع ورواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع به وقال حسن صحيح وكذا رواه الترمذي عن عباد بن منصور به ورواه أحمد أيضا عن خلف بن الوليد عن ابن المبارك عن عبد الواحد بن ضمرة وعباد بن منصور كلاهما عن أبي نضر عن القاسم به وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الملك بن إسحق عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن القاسم

ابن محمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا تصدق من طيب قبلها الله منه فيأخذها يمينه ويربها كما يربي أحدكم مهره أو فضله وإن الرجل ليتصدق بالقمعة تقربوا إلى الله أو قال في كف الله حتى تكون مثل أحد قصدقوا وهكذا رواه أحمد عن عبد الرزاق وهذا طريق غريب صحيح الإسناد ولكن لفظه عريب والمخوف ما تهدم وروى عن عائشة أم المؤمنين قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن ثابت عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يربي لأحدكم النمرة واللقمة كما يربي أحدكم فله أو فضله حتى يكون مثل أحد » فترد به أحمد من هذا الوجه وقال البزار حدثنا يحيى بن لملي بن منصور حدثنا إسماعيل حدثني أبي عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الضحاك بن عثمان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب فلتأفها الرحمن بيده فيربها كما يربي أحدكم فله أو وصيه » أو قال فضله ثم قال لا نعلم أحدا رواه عن يحيى بن سعيد عن حمزة إلا بأبواب

وقوله (والله لا يحب كل كفار أثيم) أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة وهي أن الراي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من الكسب للباح فهو يسمى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكسب الحثيثة فهو جحد لا عليه من النعمة ظالم أثيم بأكل أموال الناس بالباطل - ثم قال تعالى مادحا للمؤمنين يربهم للطيبين أمره للؤدين شكره المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة عبرا عما أعد لهم من السكامة وأنهم يوم القيامة من التبعات آمنون فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُنْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أُنَاسِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه ناهيا لهم عما يربهم إلى سخطه ويعدم عن رضاه فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اخْضَوْا اللَّهَ) أي خافوه وراقبوه فيما تعملون (وذرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا) أي اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الانذار (إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) أي بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك . وقد ذكر زيد بن أسلم وابن جرير ومقاتل بن حيان والسدي أن هذا السياق نزل في بني عمرو بن عفر من هيف وبني النيرة من بني مخزوم كان بينهم ربا في الجاهلية فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه طلبت هيف أن تأخذهم منهم فقتلوا وقال بنو النيرة لا تؤدى الربا في الإسلام بكسب الإسلام فكذب في ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فكذب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) فقالوا توب إلى الله ونذر ما بقي من الربا فتركوه كلهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعامل الربا بعد الانذار قال ابن جرير قال ابن عباس فأذنوا بحرب أي استبقوا بحرب من الله ورسوله فهدم من ربيعة بن كلالوم عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يقال يوم القيامة لأك الربا خذ سلاحك للحرب ثم قرأ (فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) فمن كان مقبلا على الربا لا ينزع عنه كان حقا على إمام المسلمين أن يستبته فان نزع وإلا ضرب عنقه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد

ابن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا هشام بن حسان عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا : والله إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا وإثمهم قد أخذوا بحرج من الله ورسوله ولو كان على الناس إمام عادل لاستتابهم فإن تابوا وإلا وضع فيهم السلاح وقال قتادة أوعدهم الله بالقتل كما يسمعون وجعلهم بهرجا أين ما أتوا فلما كنتم ومخالطة هذه البيوع من الربا فإن الله قد أوسع الحلال وأطابها فلا يلجئكم إلى مصيبتها فاقة . رواه ابن أبي حاتم ، وقال الربيع بن أنس : أوعدهم الله أكل الربا بالقتل رواه ابن جرير وقال السهيلي : ولهذا قالت عائشة لأُم حجة مولاة زيد بن أرقم في مسئلة العينة أخبره أن جهاده مع النبي ﷺ قد أبطل إلا أن يتوب فخصت الجهاد لأنه ضد قوله (فأخذوا بحرج من الله ورسوله) قال وهذا للغي ذكره كثير قال ولكن هذا إسناده إلى عائشة ضعيف

ثم قال تعالى (وإن تبتم فلکم رهوس أموالکم لا تظلمون) أي بأخذ الزيادة (ولا تظلمون) أي بوضع رهوس الأموال أيضا بل لكم ما بذلت من غير زيادة عليه ولا نقص منه وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحسين بن اشكاب حدثنا عبد الله بن موسى عن شيخان عن شبيب بن غرقدة البارقي عن سلمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال : خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال « ألا إن كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم لکم رهوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول رب موضوع الربا الباس بن عبد المطلب موضوع كله » وكذا وجد سلمان بن الأحوص وقد قال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا معاذ بن الثني أخبرنا مسدد أخبرنا أبو الأحوص حدثنا شبيب بن غرقدة عن سلمان بن عمرو عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع فلکم رهوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » وكذا رواه من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حمزة الرقائي عن عمرو هو ابن خارجة قد ذكره

وقوله (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لکم إن كنتم تعلمون) يأمر تعالى بالصبر على العسر الذي لا يجد وفاء فقال (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدم لمديته إذ حال عليه الدين إيمان أن تقضى وإما أن ترفى ، ثم ينبد إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال (وأن تصدقوا خير لکم إن كنتم تعلمون) أي وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن الدين ، وقد وردت الأحاديث من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك (الحديث الأول) عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن شبيب للرجائي حدثنا يحيى بن حكيم للقوم حدثنا محمد بن بكر البرساني حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثني حاصم بن عبيد الله عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال : قال رسول الله ﷺ « من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فليسر على مصر أو ليضع عنه » (حديث آخر) عن بريدة قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا محمد بن جعاده عن سلمان بن بريدة عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقول « من أنظر مصرا فله بكل يوم مثله صدقة » قال ثم سمعته يقول « من أنظر مصرا فله بكل يوم مثله صدقة » قلت سمعت يارسل الله يقول « من أنظر مصرا فله بكل يوم مثله صدقة » ثم سمعت قول « من أنظر مصرا فله بكل يوم مثله صدقة » قال « له بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثله صدقة » (حديث آخر) عن أبي قتادة الخارث بن رمي الأنصاري قال أحمد حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا أبو جعفر الخطمي عن محمد بن كعب القرظي أن أبان قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه بتقاضاه فيخشي منه فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال نعم هو في البيت يأكل خزيرة فناداه فقال يا فلان اخرج فقد أخبرت أنك هاهنا فخرج إليه فقال ما بيك عني ؟ فقال إني مصرى وليس عندي شيء ، قال آله إنك مصرى ؟ قال نعم فبكى أبو قتادة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نس عن غيره أو عا عا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة » ورواه مسلم في صحيحه (حديث آخر) عن حذيفة بن اليمان قال الحافظ أبو يعلى اللوصلي حدثنا الأئمن أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن رمي بن حراش عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الله يبعد من عييده يوم القيامة قال ماذا عملت لي في الدنيا ؟

فقال ما عملت لك يارب مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها - قالها ثلاث مرات - قال العبد عند آخرها يارب إنك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلا أبايع الناس وكان من خلق الجواز فكنت أسير على الوسر وأنظر للسر ، قال يقول الله عز وجل أنا أحق من يسير داخل الجنة » وقد أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه من طرق عن ربي ابن حراش عن حذيفة زاد مسلم وعقبة بن عامر وأبي مسعود البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ولفظ البخاري^(١) حدثنا هشام بن عمار حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الزهري عن عبد الله بن عبد الله أبا هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « كان تاجر يداين الناس فلذا رأى مصراً قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه » (حديث آخر) عن سهل بن حنيف قال الحاكم في مستدركه حدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك حدثنا عمرو بن ثابت حدثنا عبدالله بن محمد بن عقيل عن عبدالله بن سهل ابن حنيف أن سهلاً حدثه أن رسول الله ﷺ قال « من أعان مجاهداً في سبيل الله أو غزاه أو غلما في عسره أو مكاتباً فدرجته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(حديث آخر) عن عبدالله بن عمر قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن يوسف بن صهيب عن زيد المعلى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن مصر » أخرجه به أحمد (حديث آخر) عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا أبو مالك عن ربي ابن حراش عن حذيفة أن رجلاً أتى به الله عز وجل فقال ماذا عملت في الدنيا ؟ فقال له الرجل ما عملت مثقال ذرة من خير فقال له ثلاثاً وقال في الثالثة إلى كنت أعطيتني فضلاً من المال في الدنيا فكنت أبايع الناس فكنت أسير على الوسر وأنظر للسر فقال تبارك وتعالى نحن أولى بذلك منك تجاوزوا عن عبدي ، فنفروه قال أبو مسعود هكذا سمعت من النبي ﷺ وهكذا رواه مسلم من حديث أبي مالك سعد بن طارق به

(حديث آخر) عن عمران بن حصين قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي داود عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « من كان له على رجل حق فأخذه كان له بكل يوم صدقة » غريب من هذا الوجه وقد تقدم عن بريدة نحوه

(حديث آخر) عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عبد الملك بن صمير عن ربي قال حدثنا أبو اليسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أنظر مصراً أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله » وقد أخرجه مسلم في صحيحه من وجه آخر من حديث عباد بن الوليد ابن عباد بن الصامت قال خرجت أنا وأبي نطلب المسلم في هذا الحى من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غلام له معه ضلعة من ضلع أبي اليسر برودة ومعارى وعلى غلامه برودة ومعارى فقال له أبى ياعم إلى أرى في وجهك سفة من غضب قال أجل كان لى على فلان بن فلان الرامى مال فأيتت أهله فسلت فقلت أنهم قالوا لا تخرج على ابن له جفر فقلت أين أبوك فقال سمع صوتك فدخل أريكه أمى فقلت اخرج إلى فقد علت أين أنت فخرج فقلت ما حملك على أن اختبأت منى ؟ قال أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك خشيت والله أن أحدثك فأكذبك أو أعتدك فأخلفك وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله مصراً قال قلت آله قال قلت آله ؟ الله ثم قال فأني بسجفته فلعها يديه ثم قال فإن وجدت قضاء فاقضى وإلا فأنت في حل ، فأشهد أبصر عيناى هاتان - ووضع اصبعيه على عينيه - وسمع أدناى هاتان ووعاه قلبي - وأشار إلى نياط قلبي - رسول الله ﷺ وهو يقول « من أنظر مصراً أو وضع عنه أظله الله في ظله » وذكر غام الحديث (حديث آخر) عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني أبو يحيى البرزاني عن ابن عبد الرحمن حدثنا الحسن بن أسيد بن سالم البكوفي حدثنا العباس بن الفضل الأنصاري عن هشام بن زياد القرشي عن أبيه عن عبيد بن محمد بن مولى عثمان عن عثمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أظله الله عيناى ظله يوم لا ظل

(١) هنا يابى فى الحديثين الأمرين والخطوط طووقت هذه اللفظة من قوله حدثنا إلى آخر الحديث في نسخة أخرى ولها تلت من صحيح البخاري وإن شاء الله.

إلا ظله من أنظر مصراً أو ترك لغارم.

(حديث آخر) عن ابن عباس قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن زيد حدثنا نوح بن جوع قال سألني الحراساني عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد هو يقول يده هكذا وأما أبو عبد الرحمن يده إلى الأرض «من أنظر مسيراً أو وضع عنه وقاه الله من فسخ جهنم إلا أن عمل الجنة حزن يروقه ثلاثاً ألا إن عمل النار سهل يسوة» والسيد من وقى التفتن وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة يغليظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا ملائكة الله جوفه إيماناً ثمرد به أحمد ،

(طريق آخر) قال الطبراني حدثنا أحمد بن محمد البوراني قاضي الحديبية^(١) من طريق ربيعة حدثنا الحسن بن علي الضدائي حدثنا الحكم بن الجارود حدثنا ابن أبي المنذر الخال بن عيينة عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من أنظر مصراً إلى ميسرته أنظره الله ذمته إلى يومته»

ثم قال تعالى يظن عباده ويدكرهم زوال الدنيا وإنما ما فيها من الأموال وغيرها وإثبات الآخرة والرجوع إليها تعالى ومحاسنته تعالى خلقه على ما علموا وعجزاته إياهم بما كانوا من خير وشر وعجزهم عقوبته فقال (واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون) وقد روى أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم فقال ابن أبي عمير حدثني عطاء بن ديار عن سعيد بن جبير قال آخر ما نزل من القرآن كله (واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون) ومثل التي بالحديث بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الاثنين اليثين خلتا من ربيع الأول رواه ابن أبي حاتم وزاده وابن مردويه من حديث السعدي عن جيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال آخر آية نزلت (واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) وقد رواه الترمذي من حديث يزيد النحوي عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قال آخر شيء نزل من القرآن (واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون) وكذا رواه الضحاك والوفعي عن ابن عباس وروى الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت (واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) فكان بين نزولها وموت النبي ﷺ واحد وثلاثون يوما وقال ابن جرير قال ابن عباس آخر آية نزلت (واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) الآية قال ابن جرير يقولون إن النبي ﷺ عاش بعدها تسع ليال وبعث يوم السبت ومات يوم الاثنين رواه ابن جرير ورواه ابن عطاء عن أبي سعيد قال آخر آية نزلت (واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَحَدٍ مَسْمًى فَأَكْتُبُوهُ وَلِكُتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَوَقَّ اللَّهُ رَهْ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمْلَئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشِيعِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَةِ أَنْ تَقِيلَ أَحَدُهُمَا فَقَدْ كَرِهَ أَحَدُهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّاهِدَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَلُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صِغَرًا أَوْ كِبَرًا إِلَى أَجَلٍ ذَلِكُمْ أَفْسَدُ عِدَّتِهِ وَأَقْوَمُ الشَّهَادَةُ وَأَدْنَى الْأَلْتَرَاتِبِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَحَرُّةً غَيْرَةً تُدْرِكُهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ بَصَارُ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقَلَّوْا فَإِنَّهُ سُوءٌ بِكُمْ وَاقْعُوا اللَّهُ وَبِعْتُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ عَمَلَكُمْ)

(١) وفي نسخة الأزهر (المدينة) ولعلها الصواب والرجل ليس من رواية الجماعة.

الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة ففقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحفة معها إلى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر ثم قال اللهم إني قد علمت أني استسلفت فلاناً ألف دينار فسأني كفيلاً قلت كني بالله كفيلاً فرضى بذلك وسأني شهيداً قلت كني بالله شهيداً فرضى بذلك وإني قد جهدت أن أجد مركباً أبث بها إلى الله الذي أعطاني فلم أجد مركباً وإنني استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركباً إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لمل مركباً يجيئه بماله فلذا بالخشب التي فيها اللال فأخذها لأهلها خطياً فلما كسرهما وجد اللال والصحفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال والله ما زلت جاهدك في طلب مركب لأتيك بملاك فلما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه . قال هل كنت بشت إلى شيء ؟ قال أم أخبرك أني لم أجد مركباً قبل هذا الذي جئت فيه ؟ قال فإن الله قد أدى عنك الذي بشت به في الخشب فأنصرف بألفك راشداً . وهذا إسناد صحيح وقد رواه البخاري فيسمة مواضع من طرق صحيحة معلقاً بصيغة الجزم فقال وقال الليث بن سعيد ذكره ويقال إن رواه في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه

وقوله تعالى (فليكتب بينكم كاتب بالعدل) أي بالقسط والحق ولا يحز في كتابته على أحد ولا يكتب إلا ما أحقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان وقوله (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) أي ولا يمنع من صرف الكتابة إذا سئل أن يكتب للناس ولا ضرورة عليه في ذلك فكما علمه الله ما لم يكن يعلم فليصدق على غيره ممن لأحسن الكتابة وليكتب كاجاب في الحديث « إن من الصدقة أن تعين صانها أو تصنع لأخرق » وفي الحديث الآخر « من كتم علماً علمه الجحيم يوم القيامة بلجام من نار » وقال مجاهد وعطاء واجب على الكاتب أن يكتب وقوله (ولجلل الله عليه الحق وليتق الله) أي ولجلل الذين على الكاتب ما في نعمة من الله وليتق الله في ذلك (ولا يخس منه شيئاً) أي لا يكتم منه شيئاً (فإن كان الذي عليه الحق سفياً) مجبوراً عليه بقدير ونحوه (أضعيفاً) أي ضيراً أو مجنوناً (أو لا يستطيع أن يل هو) إما لمي أو جهل بموضع صواب ذلك من خطه (فليعلم وليبالعدل)

وقوله (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أمر بالاشهاد مع الكتابة لزيادة التوثق (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وهذا إما أن يكون في الأموال وما يقصد به للال وإنما أقيمت للرائان مقام الرجل لتقصان عقل المرأة كما قال مسلم في صحيحه حدثنا قتادة بن أنس عن عمرو بن أبي عمرو عن القري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يلعن النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار ؟ قال « تكفرن بالله وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي ليكن منكن » قالت يارسول الله ما نقصان العقل والدين : قال « أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث البالي لا تصلي وتطرق رمضان فهذا نقصان الدين »

وقوله (ممن ترضون من الشهداء) فيمدلالة على اشتراط العدالة في الشهود وهذا مفيد حكم به الشافعي على كل مطلق في القرآن من الأمر بالاشهاد من غير اشتراط وقد استدلل من رد الاستور بهذه الآية المدالة على أن يكون الشاهد عدلاً مرضياً . وقوله (أن تفضل إحداها) يعني الرأيتين إذا نسيت الشهادة (فتذكر إحداها الأخرى) أي تحصل لها ذكر بما وقع به من الاشهاد وهذا قرأ آخرون فتذكر بالتشديد من التذكرون قال إن شهادتها معها يجعلها كشهادة ذكر قد أبد والصحيح الأول والله أعلم

وقوله (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) قبل مثله إذا دعوا لتحمل فطهم الإجابة وهو قول قتادة والريبع بن أنس وهذا كقولهم (ولا يأب كاتب لأن يكتب كما علمه الله فليكتب) ومن هنا استفيد أن تحمل الشهادة فرض كفاية قبل وهو مذهب الجمهور والمراد بقوله (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) للاداء لحقيقة قوله الشهداء والشاهد حقيقة فيمن تحمل فلذا دعي لأدائها فعليه الإجابة إذا تمت وإلا فهو فرض كفاية والله أعلم . وقال مجاهد وأبو عمار وغير واحد إذا دعيت لتشهد فأنت بالخيار وإذا شهدت فدعيت فأجب وقد ثبت في صحيح مسلم والسنن من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عبد الله بن عمرو بن عثمان

عن عبد الرحمن بن أي حمزة عن زيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بحجج الشهداء ؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها » فأما الحديث الآخر في الصحيحين « ألا أخبركم بحجج الشهداء ؟ الذين يشهدون قبل أن يستشهدوا » وكذا قوله « ثم يأتي قوم تنقب أيمانهم وشهادتهم وتنبق شهادتهم بأيمانهم » وفي رواية « ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون » وهؤلاء (١) شهود الزور وقد روى عن ابن عباس والحسن البصري أنها تم الحالين التحمل والأداء وقوله (ولا تسأمو أن تكتبوه صفرا أو كبرا إلى أجل) هذا من عام الإرشاد وهو الأمر بكتابة الحق صفرا كان أو كبرا فقال ولا تسأمو أي لا تمألو أن تكتبوا الحق على أي حال كان من القلة والكثرة إلى أجل وقوله (ذلكم أقتط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا) أي هذا الذي أمرناكم به من الكتابة للحق إذا كان مؤجلا هو أقتط عند الله أي أعدل وأقوم للشهادة أي أثبت للشاهد إذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة لاحتمال أنه لو لم يكتبه أن ينساه كما هو الواقع غالبا (وأدنى أن لا ترتابوا) وأقرب إلى عدم الزية بل ترجحون عند التنازع إلى الكتاب الذي كتبتموه فيفصل بينكم بالرية

وقوله (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي إذا كان البيع بالحاضر يدايد فلا بأس بضم الكتابة لاتقاء الخدور في تركها

فأما الشهاد على البيع فقد قال تعالى (وأشهدوا إذا تباعتم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد الله ابن بكر حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (وأشهدوا إذا تباعتم) يعني أشهدوا على حكم إذا كان فيه أجل أول يمكن فيه أجل فأشهدوا على حكم على كل حال قال وروى عن جابر بن زيد ومجاهد وعطاء والضحاك نحو ذلك وقال الشعبي والحسن هذا الأمر منسوخ بقوله (فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته) وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والندب لاعلى الوجوب والدليل على ذلك حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري وقدره الإمام أحمد حدثنا أبو الحيات حدثنا شيب عن الزهري حدثني عمار بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع قرنا من أعرابي فاستقبه النبي صلى الله عليه وسلم ليقتضيه ثمن فرسه فأرسل النبي ﷺ وأبطأ الأعرابي فطلق رجال يعترضون الأعرابي فيسأموه بالفرس ولا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ فنادى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت ميتا هذا الفرس فاتمه وإلا يته قدام النبي ﷺ حين مع نداء الأعرابي قال أوليس قد ابتعت منك قال الأعرابي لا والله ما يبتك فقال النبي ﷺ « بل قد ابتعت منك » فطلق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وما يتراجان فطلق الأعرابي يقول هلم شهيدا يشهد أي يابتك فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي ولك إن النبي ﷺ لم يكن يقول إلا حقا حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي يقول هلم شهيدا يشهد أي يابتك قال خزيمة أنا أشهد أنك قد يابسته فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال « بئ تشهد » فقال تصديقك يارسول الله فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين وهكذا رواه أبو داود من حديث شعب والنسائي من رواية محمد بن الوليد الزبيدي كلاهما عن الزهري به نحوه ولكن الاحتياط هو الإرشاد لما رواه الإمامان الحافظ أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه من رواية معاذ بن معاذ الصنبري عن شعب عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم : رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل دفع مال يتيم قبل أن يبلغ ورجل أقرض رجلا مالا فلم يشهد » ثم قال الحاكم صحيح الاستناد على شرط الشيخين قال ولم يخرجناه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى وإنما أجمعوا على سند حديث شعبة بهذا الاستناد « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين » وقوله تعالى (ولا يضر كاتب ولا شهد) قيل معناه لا يضر الكاتب ولا الشاهد فيكتب هذا خلاف ما يلبى وشهد هذا بخلاف ما مع أو يكتبها بالكلية وهو قول الحسن وقادة وغيرها وقيل معناه لا يضر بهما قال ابن أبي حاتم حدثنا

أسيد بن عاصم حدثنا الحسين يعني ابن حفص حدثنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس في هذه الآية (ولا يضار كاتب ولا شهيد) قال يأتي الرجل فيدعوهما إلى الكتاب والشهادة فيقولان إناطي حاجة فيقول إنك قد أمرت أن تعجبا، فليس له أن يضارهما، ثم قال وروى عن عكرمة ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير والضحاك وعطية ومقاتل ابن حيان والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك وقوله (وإن فعلوا فانه فسوق بكم) أي إن خالفتم ما أمرتم به أو فعلتم ما نهيتهم عنه فانه فسق كلن بكم أي لازم لكم لا تخيدون عنه ولا تفكون عنه وقوله (واتقوا الله) أي خافوه وراقبوه واتبعوا أمره واتركوا زجره (ومسلمكم الله) كقولهم (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) وكقولهم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله برسوله يؤثكم كفلين من رحمته ويعمل لكم نورا) عشون (هـ) وقوله (واقبل شيء علم) أي هو عالم بحقائق الأمور ومصالحها وعواقبها فلا يخفى عليه شيء من الأشياء بل على محط جميع الكائنات

[illegible]

يقول تعالى (وإن كنتم على سفر) أى مسافرين وتديتكم إلى أجل مسمى (ولم تجدوا كتابا) يكتب لكم قال ابن عباس أو وجدوه ولم يجدوا قرطاسا أو دواة أو قلأ فرهن مقبوضة أى فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة أى فى يد صاحب الحق وقد استدل بقوله (فرهن مقبوضة) على أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض كما هو مذهب الشافعى والجمهور واستدل بها آخرون على أنه لا بد أن يكون الرهن مقبوضا فى يد الرهن وهو رواية عن الإمام أحمد وذهب إليه طائفة واستدل آخرون من السلف بهذه الآية على أنه لا يكون الرهن مشروعا إلا فى السفر قاله مجاهد وغيره وقد ثبت فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى ودرعه مروهة عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير رهنا قوتا لأهله وفى رواية من يهود المدينة . وفى رواية الشافعى عند أبى النعمان اليهودى وتقرير هذه للسائل فى كتاب الأحكام الكبرى وفى الحمد ولله وبه التسلط

[illegible]

وقوله (ولا تكفروا بالمشاهدة) أى لا تخفوها وتلوهوا ولا تظهروها قال ابن عباس وغيره : شهادة الزور من أكبر الكبائر وكتبنا فيها كذلك ولهذا قال (ومن يكفها فإنه آثم قلبه) قال السدي يثني فاجر قلبه وهذه كقولته تعالى (ولا تكفروا بشهادة الله) إننا إنما إنا إيمان (الآيتين) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم أو آوال الدين والأخريين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) وهكذا قال ههنا (ولا تكفروا بالمشاهدة ومن يكفها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم)

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْا بِمُحْسِنِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَنْفِرَ لَكُمْ سَخَابٌ مِّنْ سَخَابِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

يُخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض وما فيهن وأنه الطلع على ما فيهن لا غنى عليه الظواهر ولا السررات والضاير وإن دقت وخفيت ، وأخبر أنه سيطلب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال تعالى (قل إن غفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم الله فاعل ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير) وقال (يعلم السر

وأخى (والآيات في ذلك كثيرة جداً وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة رضى الله عنهم وناقوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيها وهذا من شدة إعانتهم وإعانتهم قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثني أبو عبد الرحمن يعني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله مافى السموات ومافى الأرض وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب وقالوا يا رسول الله كلنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرسون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وسمعنا ! بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك الصبر» فلما أمر بها أقوم وذلت بها ألتصم أنزل الله في أثرها (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك الصبر) فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله .

(لا يكلف الله شئاً إلا وسعها لما كتب وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) إلى آخره ورواه مسلم متفقاً به من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة فذكر مثله ولفظه . فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله (لا يكلف الله شئاً إلا وسعها لما كتب وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال ثم (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا) قال نعم (ربنا ولا تحملنا مالا طاعة لنا به) قال نعم (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال نعم (حديث ابن عباس في ذلك) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن آدم بن سليمان سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) قال دخل قلوبهم منها شئ لم يسلخ قلوبهم من شئ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا سمعنا وأطعنا وسلما » فأتى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك الصبر) إلى قوله (فانصرنا على القوم الكافرين) وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب وإسحق بن إبراهيم ثلاثتهم عن وكيع بن مزاد (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحملنا مالا طاعة لنا به) قال قد فعلت (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال قد فعلت (طريق أخرى) عن ابن عباس قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن حميد الأعرابي عن مجاهد قال دخلت على ابن عباس فقلت يا أبا عباس كنت عند ابن عمر قرأ هذه الآية فيك قال : أية آية ؟ قلت : (وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه) قال ابن عباس إن هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غمماً شديداً وظالمهم غيظاً شديداً يعني وقالوا يا رسول الله هلكتنا إن كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما فعلنا فأما قلوبنا فليست بأيدينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا سمعنا وأطعنا » فقالوا سمعنا وأطعنا ، قال ففسختها هذه الآية (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون كل آمن بالله) إلى (لا يكلف الله شئاً إلا وسعها لما كتب وعليها ما اكتسبت) فتجاوز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالأعمال (طريق أخرى) عنه قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة سمعته يحدث أنه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر تلاعنه الآية (لله مافى السموات ومافى الأرض وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) الآية فقال والله لئن واذعنا الله بهذا لهلكن ، ثم بكى ابن عمر حتى سمع نسيجه قال ابن مرجانة فقامت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاعنا فقال ابن عباس يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري لقد وجد السلون منها حين أنزلت مثل ما وجد

عبد الله بن عمر فأقول الله بعدها (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) إلى آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة بما لا طاقة للمسلمين بها وسار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أن النفس ما كتبت وعليها ما اكتسبت في القول والعمل (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثني النبي حدثنا إسحق حدثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سالم أن أباه قرأ (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فدمعت عيناه فلغص صفيه ابن عباس فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد صنع كاصنع أصحاب رسول الله ﷺ حين أنزلت فاستخيا الآية التي بعدها (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس ، وقد ثبت عن ابن عمر كائنت عن ابن عباس قال البخاري حدثنا إسحق حدثنا روح حدثنا شعبه عن خالد الحذاء عن مروان الأصغر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أحسبه ابن عمر (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) قال نسخها الآية التي بعدها وهكذا روى عن علي وابن مسعود وكعب الأحبار والشعبي والنخعي ومحمد بن كعب القرظي وعكرمة وسعيد بن جبير وقناة أنها منسوخة بالتي بعدها ، وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة من طريق قتادة عن زرارة بن أبي أدنى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لي من أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل »

وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله إذا هم عبدي بيسئة فلا يكتبوها عليه فإن عملها فلا يكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فلا يكتبوها حسنة فإن عملها فلا يكتبوها عسراً » . فقط مسلم وهو في إفراده من طريق إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « قال الله : إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبنا له حسنة فإن عملها كتبنا له عشر حسنات إلى سبعائة ضعف وإذا هم بيسئة فلم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبنا سيئة واحدة » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ قال : « قال الله إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل فإذا عملها فأنا أكتبها بشر أمثلها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإن عملها فأنا أكتبها له بئله » وقال رسول الله ﷺ : « قالت للملائكة رب وذاك أن عبداً (١) يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال لارتبوه فإن عملها فلا يكتبوها له بئله وإن تركها فلا يكتبوها له حسنة وإنما تركها من جرائ » وقال رسول الله ﷺ : « إذا أحسن أحد إسلامه فإن له بكل حسنة يعملها تكتب له بشر أمثلها إلى سبعائة ضعف وكل سيئة تكتب بئله حتى يلقي الله عز وجل » فترد به مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق بهذا السياق واللفظ وبه في صحيح البخاري وقال مسلم أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا خالد الأحمر عن هشام بن ابن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من هم بحسنة فلم يعملها كتبنا له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبنا له عسراً إلى سبعائة ومن هم بيسئة فلم يعملها لم تكتب له وإن عملها كتبت » فترد به مسلم دون غيره من أصحاب الكتب وقال مسلم أيضاً حدثنا شيان بن فروخ حدثنا عبد الوارث عن الجعدى عن عثمان حدثنا أبو رجاء العطاردي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « بما يروى عن ربه تعالى قال « وإن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبنا الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبنا الله عنده عشر حسنات إلى سبعائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بيسئة فلم يعملها كتبنا الله عنده حسنة واحدة » ثم رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن جعفر بن سليمان عن الجعدى عن عثمان في هذا الاستناد بمعنى حديث عبد الرزاق زاد « ومحاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك » وفي حديث سهل عن أبيه عن أبي هريرة قال جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه فقالوا إنا نغفر أنفسنا ما يتعامل أحدنا أن يتكلم به قال « وقد وجدتموه ؟ » قالوا نعم قال « ذلك صريح الإيمان » فقط مسلم وهو عند مسلم أيضاً من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ به وروى مسلم أيضاً من حديث مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ عن الوسوسة قال « تلك صريح الإيمان »

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فإتيا لم تنسخ ولكن الله إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول إني أخبركم بما أخفيت في أنفسكم مما لم يطلع عليه ملائكتي فأما المؤمنون فيخبرهم وينفخ لهم مآخذوا به أنفسهم وهو قوله (يحاسبكم به الله) يقول يخبركم وأما أهل الشرك والرب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله (فنفخ لمن يشاء وينفخ من يشاء) وهو قوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي من الشرك والنفاق وقد روى الموفى والضحاك عنه قريباً من هذا

وروى ابن جرير عن مجاهد والضحاك نحوه وعن الحسن البصري أنه قال هي عكة لم تنسخ واختار ابن جرير ذلك واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة للمعاقبة وأنه تعالى قد محاسب وينفخ وقد محاسب ويعاقب بالحديث الذي رواه عند هذه الآية قالوا حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد بن هشام (ح) وحديث يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علي حدثنا ابن هشام قال جميعاً في حديثهما عن قتادة عن صفوان بن محرز قال سئنا نحن نطوف بالبيت مع عبد الله ابن عمر وهو يطوف إذ عرض له رجل فقال يا ابن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يشع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول له هل تعرف كذا فيقول رب أعرف مرتين حتى إذا بلغ بمأشأه الله أن يبلغ قال فينقسط عنها عليك في الدنيا وإن أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسنته أو كتابه يمينه وأما الكفار وللناقصون فينادي بهم على رؤوس الأشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألأنا الله على الظالمين) وهذا الحديث خرج في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة عن قتادة به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبيه قال سألت عائشة عن هذه الآية (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فقالت لمأني أحد أهد منذ سألت رسول الله ﷺ عنها قالت هل من رواية عن أبيه من الحديث وما يصح من الحديث والنسبة والبضاعة يضها في يده فيفقدوها فيخرج لها ثم يبعها في ضبتها (١) حتى لا يؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر وكذا رواه الترمذي وابن جرير من طريق حماد بن سلمة به وقال الترمذي غريب لا يعرف إلا من حديثه (قلت) وشيخه علي بن زيد بن جدهان ضعيف يرب في رواياته وهو يروى هذا الحديث عن امرأة أبيه أم محمد أمية بنت عبد الله عن عائشة وليس لها عنها في الكتب سواء

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَرَفُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا وَطَعْنَا غُرَابَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ التَّصِيرُ ﴾ لَا يَكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن سَبِّحْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْصِ غَاً وَآخِرُ لَنَا وَأَوْفَرْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿

﴿ ذكر الأحاديث الواردة في فضل هاتين الآيتين الكريمتين فمن الله بهما ﴾

﴿ الحديث الأول ﴾ قال البخاري حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن عبد الرحمن عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « من قرأ الآيتين - وحديثنا أبو نعم حدثنا صفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين - من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » وقد أخرجه بقية الجماعة من طريق سليمان بن مهران الأعمش بإسناده مثله وهو في الصحيحين من طريق الثوري عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن عنه به وهو في الصحيحين أيضاً عن عبد الرحمن عن علقمة عن ابن مسعود قال عبد الرحمن ثم لقيت أبا مسعود فحدثني به وهكذا رواه أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك

(١) قوله ثم يبعها في ضبتها ، هذا ليس في رواية الترمذي وقوله التبر الأحمر في النسخة الأثرية (البسر) والظاهر أنه تحريف

عن عاصم عن السيب بن رافع عن قلعة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد حدثنا حبان عن منصور عن ربيع عن خرفة بن الحر عن العروء ابن سويد عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يظن نبي قبلي » وقد رواه ابن مردويه من حديث الأشجعي عن الثوري عن منصور عن ربيع عن زيد بن طيان عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش »

(الحديث الثالث) قال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة حدثنا مالك بن مغول (ح) وحدثنا ابن نمير وزهير بن حرب جميعاً عن عبد الله بن نمير وألفاظهم متقاربة قال ابن نمير حدثنا أبي حدثنا مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة عن عبد الله قال لما أسرى برسول الله ﷺ أتته به إلى سدرة للنتهى وهى فى السماء السابعة إليها يتهى ما يرج من الأرض فيقبض منها وإلها يتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال (إذ ينشئ السدرة ما ينشئ) قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً أعطى الصلوات الحسن وأعطى خواتم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً للصحاح

(الحديث الرابع) قال أحمد حدثنا إسحق بن إبراهيم الرازى حدثنا سلمة بن الفضل حدثني محمد بن إسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله الزبي عن ثقفية عن طاهر الجعفي قال : قال رسول الله ﷺ « اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فإني أعطيهما من كنز تحت العرش » هذا إسناد حسن ولم يخرجوه فى كتبهم

(الحديث الخامس) قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا إبراهيم بن إسحق الحارثي أخبرنا مروان أنبأنا ابن عوانة عن أبي مالك عن ربيع بن خديفة قال : قال رسول الله ﷺ « فضلاً على الناس ثلاث أوليت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من بيت كنز تحت العرش لم يعطها أحد قبلى ولا يعطها أحد بعدى » ثم رواه من حديث نعم بن أبي هند عن ربيع بن خديفة بنحوه

(الحديث السادس) قال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي بن قانع أنبأنا إسماعيل بن الفضل أخبرنا محمد بن حاتم بن بزيع أخبرنا جعفر بن عون عن مالك بن مغول عن أبي إسحق عن الحارث عن علي قال : لا أرى أحداً عقداً للإسلام ينال حتى يقرأ آية الكرسي وخواتم سورة البقرة فاتها من كنز أعطيه نبيكم ﷺ من تحت العرش ورواه وكيع فى تفسيره عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عمر بن عمرو المخارقى عن علي قال ما أرى أحداً يقل بلغة الإسلام ينال حتى يقرأ آية الكرسي وخواتم سورة البقرة فاتها من كنز تحت العرش

(الحديث السابع) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا بندار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن أشعث ابن عبد الرحمن الحرشي عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن الثعلب بن بشير عن النبي ﷺ قال « إني والله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرأ بهن فى دار ثلاث ليل فيقربها شيطان » ثم قال هذا حديث غريب وهكذا رواه الحاكم فى مستدركه من حديث حماد بن سلمة به وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

(الحديث الثامن) قال ابن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مدين أخبرنا الحسن بن الجهم أخبرنا إسماعيل بن عمرو أخبرنا ابن مريم حدثني يوسف بن أبي الحجاج عن سعيد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ آخر سورة البقرة وآية الكرسي ضحك وقال « إلهام كنز الرحمن تحت العرش » وإذا قرأ (من يعمل سواها يجزيه) (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) استرجع واستكان

(الحديث التاسع) قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن كوفي حدثنا أحمد بن يحيى بن حمزة حدثنا محمد بن بكر حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي ملح عن مقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ

« أعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش والمفضل نافذة »

(الحديث العاشر) قد تقدم في فضائل الفاتحة من رواية عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذ وضع شيئاً فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أيسر بنورين قد أوتيتهما يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته رواه مسلم والنسائي وهذا لفظه

قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) إخبار عن النبي ﷺ بذلك قال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت عليه هذه الآية « وحق له أن يؤمن » وقد روى الحاكم في مستدركه حدثنا أبو النضر الفقيه حدثنا معاذ بن نجرة القرضي حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا أبو عقيل عن يحيى بن أبي كثير عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) قال النبي ﷺ « حق له أن يؤمن » ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه

وقوله (والمؤمنون) عطف على الرسول ثم أخبر عن الجميع فقال (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله) فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ولا رب سواه . ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب للنزلة من السماء على عباد الله للرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون وراشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير ، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين وقوله (وقالوا سمعنا وأطعنا) أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقلنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه (غفرانك ربنا) سؤال للمغفرة والرحمة والاطمأن ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب للموصلي حدثنا ابن فضال عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون - إلى قوله غفرانك ربنا) قال قد غفرت لكم (وإليك الصير) أي الرجوع والمآب يوم الحساب . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن سنان عن حكيم عن جابر قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك الصير) قال جبريل إن الله قد أحسن التاء عليك وعلى أمتك فصل قطعه فسأل (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) إلى آخر الآية وقوله (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) أي لا يكلف أحداً فوق طاقته وهذا من لطفه تعالى يحفظه ورأفته بهم وإحسانه إليهم وهذه هي النسخة الرافعة لما كان أشق منه الصعابة في قوله (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) أي هو وإن حسب وبأس لكن لا يصب إلا بما يهلك الشخص دفعه فأما ما لا يهلك دفعه من وسوسة النفس وجديتها فهذا لا يكلف به الإنسان ، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان ، وقوله (لها ما كسبت) أي من خير (وعليها ما اكتسبت) أي من شر وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف . ثم قال تعالى مرشداً عباده إلى سؤاله وقد تكفل لهم بالإجابة كما أرعدهم وعلمهم أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أي إن تركنا فرضاً على جهة النسيان أو فعلنا حراماً ككذلك أو أخطأنا أي بالصواب في العمل جهلاناً بوجه الشرعي . وقد تقدم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: « قال الله نعم » ولحديث ابن عباس قال الله « قد فعلت » وروى ابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي عمرو والأوزاعي عن عطاء قال ابن ماجه في روايته عن ابن عباس وقال الطبراني وابن حبان عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا

عليه » وقد روى من طريق آخر وأعله أحمد وأبو حاتم والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو بكر الهذلي عن شهر عن أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تجاوز لأمي عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والاستكراه » قال أبو بكر فذكرت ذلك لأحسن فقال أجل أما تجزأ بملك قرآنا (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)

وقوله (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الدين من قبلنا) أي لا تكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أخطأنا كما شرعته لأمم الماضية قبلنا من الأغلال والآصار التي كانت عليهم التي يمث نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة بوضعه (١) في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيفي السهل السميع وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله نم » وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله قد صلت » وجاء في الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال « بشت بالحنيفية السمحة »

وقوله (ربنا ولا تحملنا مالا طاعة لنا به) أي من التكليف والمصائب والبلاء لا تبتلنا بما لا قبل لنا به وقد قال مكحول في قوله (ربنا ولا تحملنا مالا طاعة لنا به) قال العزبة والشلمة رواه ابن أبي حاتم قال الله نم وفي الحديث الآخر قال الله قد صلت وقوله (واعف عنا) أي فإينا وبينك بما تحملنا من قصيرنا وزلنا (واغفر لنا) أي فإينا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة (وارحمنا) أي فإينا يستقبل فلا تؤفنا بتوفيتك في ذنب آخر ولمسدا قالوا إن للذنوب محتاج إلى ثلاثة أشياء أن يغفر الله عنه فإينا وبينه وأن يستره عن عبادنا فلا يفضحه به بينهم وأن يصمه فلا يوقه في نظره . وقد تقدم في الحديث أن الله قال نم وفي الحديث الآخر قال الله قد صلت

وقوله (أنت مولانا) أي أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا وأنت للستان وعليك التكلان ولا حول لنا ولا قوة إلا بك (فانصرنا على القوم الكافرين) أي الدين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك ورسالة نبيك وعبدوا غيرك وأشركوا معك من عبادك : فانصرنا عليهم ، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة قال الله نم وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس قال الله قد صلت . وقال ابن جرير حدثني مثني بن إبراهيم حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي إسحق أن معاذ بن رضى الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة (وانصرنا على القوم الكافرين) قال آمين ورواه وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن رجل عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال آمين

(تفسير سورة آل عمران وهي مدنية)

لأن صدرها إلى ثلاث وعثمان آية منها نزل في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة كما سيأتي بيان ذلك عند تفسير آية المباحة منها إن شاء الله تعالى وقد ذكرنا ما ورد في فضلها مع سورة البقرة أول البقرة

(يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * أَلَمْ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مَن قَبَلَ هَدًى فَلَنَاسٍ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ)

قد ذكرنا الحديث الذي ورد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (والم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) عند تفسير آية الكرسي وقد تقدم الكلام على قوله (الم) في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وتقدم الكلام على قوله (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) في تفسير آية الكرسي وقوله تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق) يعني نزل عليك القرآن يا محمد بالحق أي لاشك فيه ولا ريب بل هو منزل

من عند الله أنزله بعلومه وللأنبياء يشهدون وكفى بالله شديداً وقوله (مصداقاً لما بين يديه) أى من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان وهو يصديقاً لأنه مطابق لما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه. وقوله (وأنزل التوراة) أى على موسى بن عمران (والإنجيل) أى على عيسى بن مريم عليهما السلام (من قبل) أى من قبل هذا القرآن (هدى للناس) أى في زمانهما (وأنزل القرآن) وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل والتي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيانات والدلائل الواضحات ، والبراهين القاطعات ، وبينه ويوضحه ويضمره ويقررره ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك وقال قتادة والربيع بن أنس الفرقان ههنا القرآن واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن في قوله (نزل عليك الكتاب بالحق) وهو القرآن . وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح أن المراد بالفرقان ههنا التوراة فضعيف أيضاً لتقدم ذكر التوراة والله أعلم .

وقوله تعالى (إن الذين كفروا بآيات الله) أى جحدوا بها وأنكروها ورودها بالباطل (لهم عذاب شديد) أى يوم القيامة (والله عزيز) أى منيع الجناب عظيم السلطان (ذوات مقام) أى بمن كذب بآياته وخالف رسله الكرام وأنبياءه العظام

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

غير تعالى أنه يعلم غيب السماء والأرض لا يغني عليه شيء من ذلك (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) أى يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكروا نهي وحسن وتيسر وفق وسعيد (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) أى هو الذي خلق وهو للستحق اللامية وحده لا شريك له وله العزة التي لا ترام ، والحكمة والأحكام ، وهذه الآية فيها تعرض بل تصريح بأن عيسى بن مريم عبد مخلوق كاخلاق الله سائر البشر لأن الله صوره في الرحم وخلقها كما يشاء فكيف يكون لها كما زعمته النصارى عليهم لعائن الله وقد قلب في الأسماء وتنقل من حال إلى حال كما قال تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ثلاث ثلاث)

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَكْتُمُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا إِذْ هَذَا بُنْيَانُنَا رِسَالًا كَمَنْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَلِيلُ النَّاسِ لِيَوْمِ الرِّبِّ فَإِنْ أَلَّا اللَّهُ لَا يَخْلِفُ أَلِيمَادُ)

تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أى بينات واضحات الدلالة لا تلبس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم بحكمه على متشابهه عنده فقد اختدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى (هن أم الكتاب) أى أمهات التي يرجع إليها عند الاشتباه (وأخر متشابهات) أى تختم دلالتها بما وافقه المحكم وقد تختم شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد وقد اختلفوا في الحكم وللشابه فروق عن السلف عبارات كثيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما المحكمات ناسخة وحلائل وسراية وحدودها وأحكامها وما يؤمر به ويعمل به وعن ابن عباس أيضاً أنه قال المحكمات قوله تعالى (قل تعالوا لنملي ما حرم ربكم عليكم ألا تصركموا به شيئاً) والآيات بعدها وقوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) إلى ثلاث آيات بعدها ورواه ابن

أبي حاتم وحكام عن سعيد بن جبير به قال حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن إسحق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبافاخته تراجعا في هذه الآية (هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فقال أبو يافاخته : فواقع السور وقال يحيى بن يعمر : القرائن والأمر والتهى والحلال والحرام . وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير : (هن أم الكتاب) لأنهن مكشوفات في جميع الكتب ، وقال مقاتل بن حيان : لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن . وقيل في المتشابهات : للنسوخة وللقدم والمؤخر والأشكال في الأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هي الحروف للقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان ، وعن عباد للمتشابهات يصدق بعضها بعضها وهذا إما هو في تفسير قوله (كتابا متشابهات) هناك ذكروا أن التشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد والثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال التجار ونحو ذلك . وأما هاهنا فالتشابه هو الذي يقابل الحكم وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص عليه محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله حيث قال (منه آيات محكمات) فمن جهة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لمن تصرف ولا تحريف عما وضعن عليه . قال : وللتشابهات في الصدق ليس لمن تصرف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق

ولهذا قال الله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل (فيحبون ما تاباهم) أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يحكمهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاجتال لفظه لما يصرفونه فأما الحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع (١) لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى (إنشاء الفتنة) أي الاضلال لأبصارهم إيهاما لهم أنهم يحتاجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكنته ألقاه إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله (إن هو إلا عبد أئمتنا عليه) وقوله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وغير ذلك من الآيات المحكمات للفرقة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله

وقوله تعالى (وابتداء تأويله) أي تحرفه على ما يريدون وقال مقاتل بن حيان والسدي يثبتون أنه يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يعقوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) إلى قوله (أولو الأبواب) فقال «إنا رأيت الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فأخبروهم» هكذا وقع هذا الحديث في مسند الإمام أحمد من رواية ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها ليس بينهما أحد وهكذا رواه ابن ماجه من طريق إسماعيل بن عليه وعبد الوهاب التقي كلاهما عن أيوب به ورواه محمد بن يحيى العبدى في مسنده عن عبد الوهاب التقي به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب وكذا رواه غير واحد عن أيوب وقد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أيوب به ورواه أبو بكر بن النضر في تفسيره من طريقين عن أبي النعمان محمد بن الفضل السدوسي وأبو عازم حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة به وتابع أيوب أبو عامر الخزاز وغيره عن ابن أبي مليكة فرواه الترمذي عن بندار عن أبي داود الطيالسي عن أبي عامر الخزاز فذكره ورواه سعيد بن منصور في سننه عن حماد بن يحيى عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة ورواه ابن جرير من حديث روح بن القاسم وتابع من عمر الجحى كلاهما عن ابن أبي مليكة عن عائشة وقال نافع في روايته عن ابن أبي مليكة حدثني عائشة فذكره . وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه الآية ومسلم في كتاب القدر من صحيحه وأبو داود في السنة من سننه ثلاثهم عن العقبى عن يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) إلى قوله (وما يذكر إلا أولو الأبواب) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما رأيت الذين يقيمون

(١) وفي نسخة الأثر (داسخ) وهي أظهر .

ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » لفظ البخارى ، وكذا رواه الترمذى أيضا عن بندار عن أبى داود الطيالسى عن يزيد بن إبراهيم به وقال حسن صحيح وذكر أن يزيد بن إبراهيم التستري خرد يذكر القاسم فى هذا الاسناد وقد رواه غير واحد عن ابن أبى مليكة عن عائشة ولم يذكر القاسم كذا قال وقد رواه ابن أبى حاتم فقال حدثنا أبى الوليد الطيالسى حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري وحامد بن سلمة عن ابن أبى مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وقال ابن جرير حدثنا على بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية يتبعون ما تشابه منه ابتداء الفتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد حذركم الله فإذا رأيتموه فاحذروهم » ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن أبى غالب قال سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) قال « هم الخوارج » وفى قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال « هم الخوارج » وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبى غالب عن أبى أمامة فذكره وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفا من كلام الصحابي ومعناه صحيح فإن أول بدعة وقعت فى الاسلام فتنة الخوارج وكان منبذهم بسبب الدنيا حين قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين فكانهم رأوا فى عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل فى القسمة ففاجأوه بهذه المقالة فقال قائمهم وهو ذوالخوصرة بقر الله خاصرته اعدل فانك لم تعدل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل إياهمنى (١) على أهل الأرض ولا تأمنونى » فلما قالا الرجل استأذن عمر بن الخطاب وفى رواية خالد بن الوليد فى قتله فقال « دعها فانه يخرج من شفىء هذا أى من جنسه قوم يحرق أحدهم سلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية فأبنا لقيتوم فالتقواهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم » ثم كان ظهورهم أيام على بن أبى طالب رضى الله عنه وقتلهم بالهروان ثم تشعب منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ولعل كثيرة منتشرة ثم أبنشنت القدرة ثم المقتلة ثم الجبهة وغير ذلك من البقع التى أخبر عنها الصادق للصدوق عليه السلام فى قوله « وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » قالوا وما هم ؟ يا رسول الله ؟ قال « من كان على ما أنا عليه وأصحابى » أخرجه الحاكم فى مستدركه بهذه الزيادة

وقال الحافظ أبو يونس : حدثنا أبو موسى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا المعتز عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن جندب ابن عبد الله أنه بلغه عن حذيفة أومعه من حديث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر « إن فى أمتي قوما يقرءون القرآن يثرونه ثم لا يقل يتأولونه على غير تأويله » لم يخرجوه وقوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) اختلف القراء فى الوقت ههنا قليل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : التفسير على أربعة أنحاء ، تفسير لا يضر أحد فى فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، وتفسير يعلمه الراسخون فى العلم ، وتفسير لا يسهل إلا الله ؛ ويروى هذا القول عن عائشة وعروة وأبى الشفاء وأبى نهيك وغيرهم وقال الحافظ أبو القاسم فى اللجم الكبير : حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسحاق بن عياض حدثنا أبى حذيفة ضميم بن زرع عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال أن يكفر لهم لئلا يتحاسدوا فيقتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذنه المؤمن يبتنى تأويله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آتاه به) الآية وأن يزداد عليهم فيضيئوه ولا يسألون عنه » غرب جدا وقال ابن مردويه . حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن القرآن لم ينزل ليكتب بهضه (١) فى السخنة الأميرة . أما يأمنى وما هنا فيه تلبق ونقص كما يعلم من روايات الصحيحين وغيرهما (٢) وفى نسخة الأزهر ومن م.

بعضاً لما عرفت منه فاعلموا به وما تشابه منه فآمنوا به » وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: كان ابن عباس يقرأ وما يملأه تأويله إلا الله ويقولون الراسخون آتياه . وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يملكون تأويله . وحكي ابن جرير أن قراءة عبدالله بن مسعود . إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آتياه وكذا عن أبي نعيم وأخبار ابن جرير هذا القول ومنهم من يقف على قوله والراسخون في العلم ويستمع كثير من القسرين وأهل الأصول وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد وقد روى ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذين يملكون تأويله . وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد والراسخون في العلم يملكون تأويله ويقولون آتياه . وكذا قال الربيع بن أنس وقال محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير : وما يملأ تأويله الذي أراد ما أراد إلا الله والراسخون في العلم يقولون آتياه ثم ردوا تأويل للتشابهات على ما عرفوا من تأويل الحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا التأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق به بعضاً فنفقت الحجة وظهر به البطل ودفع به الكفر ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال « اللهم قمه في الدين وعلم التأويل » ومن العلماء من فصل في هذا للتمام وقال : التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) وقوله (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) أي حقيقة ما أخبروا به من أمر للمعاد فإن أريد بالتأويل هذا الطوقف على الجلال لأن حقائق الأمور وكنهها لا يسلم على الجلب إلا الأعز وجل ويكون قوله (والراسخون في العلم) مبتدأ و (يقولون آتياه) خبره ، وأما إن أريد بالتأويل للشيء الآخر وهو التفسير والبيان والتعريف عن الشيء كقوله (نبأنا تأويله) أي تفسيره فإن أريد به هذا التي فالوقف على (والراسخون في العلم) لأنهم يملكون ويضمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما على عليه وعلى هذا فيكون قوله (يقولون آتياه) به) حالاً منهم وساغ هذا وأن يكون من اللطوف دون اللطوف عليه كقوله (لفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - إلى قوله - يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا) الآية ، وقوله تعالى (وجاد بك ولملك صفاتنا) أي وجاء الملك صفواً صفواً

وقوله إخباراً عنهم أنهم يقولون آتياه به أي التشابه كل من عند ربنا أي الجميع من الحكم والتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله يختلف ولا متضاد كقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) ولهذا قال تعالى (وما يذكر إلا أولوا الألباب) أي إنا يفهم ويقبل ويتدبر للمعانى على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم للستقيمة ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا قياض الرقي حدثنا عبيد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ أنسا وأبا أمامة وأبا السرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال « من برت بينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن غف بطنه وفرج فذلك من الراسخين في العلم » . وقال الإمام أحمد حدثنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله ﷺ قوما يتدبرون فقال « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضيروا كتاب الله بشيء يعرض وإنما أنزل كتاب الله ليصدق به بعضاً فلا تكذبوا بشيء يعرض فاعلمتم منه قولوا به . وما جهلتم فكلموه إلى طالع » وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب به ، وقد قال أبو بكر بن الصديق في مسنده حدثنا زهير بن حرب حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة قال : لأعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف والراء في القرآن كفن - قالها ثلاثاً - ما عرفت منه فاعلموا به وما جهلتم منه فردوه إلى طالع جل جلاله » وهذا إسناد صحيح ولكن فيه علة يسبب قول الراوي لأعلمه إلا عن أبي هريرة . وقال ابن النضر في تفسيره : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد قال : قال الراسخون في العلم للتواضع لله للتللوث في مرضاته لا يتعاطمون

على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم . ثم قال تعالى عنهم غيرنا أنهم دعوا ربهم قائلين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أي لاتضلنا عن الهدى بعد إذ ألقينا عليه ولا تجعلنا كالكافرين في قلوبهم زغ الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ولكن تبنتا على صراطك المستقيم ، ودينك القويم (وهب لنا من لذك رحمة) ثبت بها قلوبنا ، وتجمع بها مجملنا ، وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً (إنك أنت الوهاب) قال ابن أبي حاتم . حدثنا عمرو بن عبدالله الأودي وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال جميعاً حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول (ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ثم قرأ (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لذك رحمة إنك أنت الوهاب) ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكر عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن أسباط بنت يزيد ابن السكن سمعتا تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه « اللهم مقبلاً القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت : قلت يا رسول الله وإن القلب لينقلب ؟ قال « نعم ما خلق الله من شيء آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه » ففسأله الله ربنا أن لا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لذك رحمة إنه هو الوهاب - وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام به مثله ورواه أيضاً عن للثي عن الحجاج بن منهل عن عبد الحميد بن بهرام به مثله وزاد قلت يا رسول الله ألا تلعن دعوة أدعو بها لنفسي قال « بلى قولي اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » ثم قال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن هرون بن بكر العسقي حدثنا الباس بن الوليد الحلال أنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله أنا سعيد بن بشير عن قتادة عن حسان الأعرج عن عائشة رضي الله عنها قالت . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يدعو « ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قلت يا رسول الله ما أكره ما تدعوني بهذا الدعاء فقال « ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيم أقامه وإذا شاء أن يزغه أزاعه أما تسمعي قوله (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لذك رحمة إنك أنت الوهاب) » غريب من هذا الوجه ولكن أصله ثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة ، وقد رواه أبو داود والنسائي وابن مردويه من حديث أبي عبد الرحمن القبري زاد النسائي وابن حبان وعبد الله بن وهب كلاهما عن سعيد ابن أبي أيوب حدثني عبد الله بن الوليد الحجبي عن سعيد بن السيب عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من الليل قال « لا إله إلا أنت سبحانك أستغفرك لذني وأسألك رحمتك اللهم زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لذك رحمة إنك أنت الوهاب » لفظ ابن مردويه . وقال عبد الرزاق عن مالك عن أبي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن عبادة بن نسي أنه أخبره أنه سمع قيس بن الحارث يقول أخبرني أبو عبد الله الصنابحي أنه صلى وراء أبي بكر الصديق رضي الله عنه القرب فقرأ أبو بكر في الركعتين الأولين بأمر القرآن وسورتين من قصار الفصول وقرأ في الركعة الثالثة قال فدنوت منه حتى ثيابي لشكاد تمس ثيابه فسمعت يقرأ بأمر القرآن وهذه الآية (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الآية . قال أبو عبيد : وأخبرني عبادة بن نسي أنه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته فقال عمر لقيس : كيف أخبرتني عن أبي عبد الله قال عمر فما تركناها منذ سمعناها منه وإن كنت قبل ذلك لم أغير ذلك ، فقال له رجل على أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك قال كنت أقرأ (قل هو الله أحد) وقد روى هذا الأثر الوليد بن مسلم عن مالك والأوزاعي كلاهما عن أبي عبيد به وروى هذا الأثر الوليد أيضاً عن ابن جابر عن يحيى بن يحيى النسائي عن محمود بن ليد عن الصنابحي أنه صلى خلف أبي بكر القرب فقرأ في الأوليين بآخرة الكتاب وسورة قصيرة يجهر بالقراءة فلما قام إلى الثالثة ابتدأ القراءة فدنوت منه حتى إن ثيابي لمس ثيابه فقرأ هذه الآية (ربنا لاتزغ قلوبنا) الآية

وقوله (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أي يقولون في دعائهم إنك ياربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم وتفصل بينهم ونحرم فيهم فباختلفوا فيه ونجزى كلا بعمله وما كان عليه في الدنيا من خير وشر

يقول تعالى قل يا محمد للكافرين ستغلبون أي في الدنيا وتحشرون أي يوم القيامة إلى جهنم وبئس المهاد . وقد ذكر محمد بن إسحق بن يسار عن عاصم بن عمرو بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة رجع اليهود في سوق بني قينقاع وقال « يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا » قتالوا يا محمد لا يضرنا من نفسك أن تلت شرأ من قريش كانوا أحمار لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلنا لعرفت أنلنح الناس وأنت لم تلق مثلنا فأزل الله في ذلك من قولهم (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد - إلى قوله - لمرة لأولى الأبصار) وقد رواه محمد بن إسحق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن عبيد وعكرمة عن ابن عباس فذكروه ، ولهذا قال تعالى (قد كان لكم آية) أي قد كان لكم أيها اليهود القاتلون ما قلتم آية أي دلالة على أن الله مع دينه ، وناصر رسوله ، ومظهر كلمته ، ومعل أمره (في فتنتين) أي طائفتين (التنتا) أي الفتال (فنة فتال في سبيل الله وأخرى كفرة) وهم مشركو قريش يوم بدر ، وقوله (يرونهم مثلهم رأى العين) قال بعض العلماء فيها حكم ابن جرير يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلهم في العدد رأى أعينهم أي جعل الله ذلك في أروهم سببا لنصرة الإسلام عليهم ، وهذا لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة وهي أن المشركين بشوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحزر لهم المسلمين فأخبرهم بأنهم ثلاثة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، وهكذا كان الأمر . كانوا ثلاثة وبضعة عشر رجلا ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص اللاتكة وساداتهم (والقول الثاني) أن النبي في قوله تعالى (يرونهم مثلهم رأى العين) أي يرى الفنة للصلة الفنة الكفرة مثلهم أي ضيفهم في العدد ومع هذا نصبرم الله عليهم ، وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفي عن ابن عباس : أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلاثة وثلاثة عشر رجلا والمشركين كانوا سبائة وستة وعشرين وكان هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأهل الناس ، وخلاف المعروف عند الجمهور أن للمشركين كانوا مابين تسعمائة إلى ألف كما رواه محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل ذلك العبد الأسدي الجاهل عن عدة قريش قال : كثير قال « كم ينحرون كل يوم » قال يومئذ ما سأل وما عسرا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « القوم مابين تسعمائة إلى ألف » . وروى أبو إسحق السبيعي عن جارية عن علي رضي الله عنه قال : كانوا ألفا ، وكذا قال ابن مسعود والمشهور أنهم كانوا مابين التسعمائة إلى الألف وعلى كل تقدير فقد كانوا ثلاثة أمثال المسلمين ، وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم ، لكن وجه ابن جرير هذا وجه صحيح كما تقول عندى ألف وأنا محتاج إلى مثلها وتكون محتاجا إلى ثلاثة آلاف كذا قال ، وعلى هذا فلا إشكال لكن في سؤال آخر وهو وارد على القولين ، وهو أن يقال ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر (وإذ يريكموهم إذ التقيم في أعينكم قليلا ويقللهم في أعينهم ليقضى الله أمرأ كان مفولا) فالجواب أن هذا كان في جالة والآخر كان في حالة أخرى كما قال السدي عن الطيب عن ابن مسعود في قوله تعالى (قد كان لكم آية في فتنتين) الآية قال . هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود . وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يصفون علينا ثم نظرنا إليهم فرأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قوله تعالى (وإذ يريكموهم إذ التقيم في أعينكم قليلا ويقللهم في أعينهم) الآية : وقال أبو إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جاني تراهم سبعين قال : أراهم مائة قال : فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنت ؟ قال : ألفا ، فعدت ما عين كل من القريش الآخر رأى المسلمون المشركين مثلهم أي أكثرنا منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإغاثة من ربهم عز وجل ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليسلهم لم الرعب والخوف والجزع والملع ثم لما حصل النصف والنقي القريشان قلل الله هؤلاء في أعين هؤلاء وهؤلاء في أعين هؤلاء ليقدم كل منهما على الآخر (ليقضى الله أمرأ كان مفولا) أي ليرق بين الحق والباطل فيظهر كلمة الإيمان على الكفر والطغيان ، ويعز المؤمنين ويذل الكافرين ، كما قال تعالى (وقد نصركم الله يدر وأنتم أنلة) وقالهنا (والله يؤيد بنصره من يشاء) إن في ذلك لمرة لأولى الأبصار) أي إن في ذلك لمرة لمن له بصيرة وفهم ليتهدى به إلى حكم الله وأعماله وقدره الجارى بنصر عباده

للمؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد

﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْمَنْطَرَةِ الْمَغْتَطَرَةِ مِنَ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْثَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ قُلْ أَزِيدُكُمْ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَوَرِثَةٌ مِّنْ أَثَرِ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى حَمَازِينَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ أَنْوَاعِ اللَّذَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ نَبْدًا لِلنِّسَاءِ لِأَنَّ الْقِسْمَةَ بَيْنَ أَشَدِّ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرُّ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ النِّسَاءِ » فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصْدُ بَيْنَ الْإِغْثَافِ وَكَثْرَةِ الْأَوْلَادِ فَهَذَا مَطْلُوبٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ مُنْدُوبٌ إِلَيْهِ كَمَا وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ بِالرَّغْبِ فِي التَّزْوِيجِ وَالِاسْتِكْرَامِ مِنْهُ وَأَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأَمَةِ مَنْ كَانَ أَكْثَرَهَا نِسَاءً وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِهَا لِلرَّأَةِ الصَّالِحَةِ إِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سِرَّةً ، وَإِنْ أَمْرَهَا أَطَاعَتَهُ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا حَفَظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا » وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ « حُبُّ إِلَيَّ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَجِلَّتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا الْخَيْلُ ، وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا النِّسَاءُ : وَحُبُّ الْبَيْنِ تَارَةً يَكُونُ التَّفَاخُرُ وَالزَّيْنَةُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذَا ، وَتَارَةً يَكُونُ تَشْكِيرُ النَّسْلِ وَتَكْتِيرُ أُمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكُمْ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ « وَحُبُّ لَأَشْرِيكَلَهُ ، فِهَذَا لِمُحَمَّدٍ (ص) مَدْحُوحٌ كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ « تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنَّ مَكَاتِرَ بَعْضِ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَحُبُّ لَالِ كَذَلِكَ تَارَةً يَكُونُ لِلْفَخْرِ وَالْخِيَلِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَى الضُّعْفِ وَالتَّجَبُّرِ عَلَى الْفَقْرِ أَفْهَدُ مَدْحُومٌ ، وَتَارَةً يَكُونُ لِلْفَتَاةِ فِي الْقُرْبَاتِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَالْقُرْبَاتِ وَجُودِ الْبِرِّ وَالطَّائِفَاتِ فَهَذَا مَدْحُوحٌ مُحَمَّدٌ شَرْعًا . وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَقْدَارِ الْقَنْطَارِ عَلَى أَقْوَالٍ وَحَاسِلُهَا أَنَّهُ لَالُ الْجَزِيلِ كَمَا قَالَهُ الشُّعَاكُ وَغَيْرُهُ ، وَقِيلَ : سِتُونَ أَلْفًا ، وَقِيلَ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَقِيلَ ثَمَانُونَ أَلْفًا وَمِائَتَا دِينَارٍ ، وَقِيلَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَقِيلَ أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، وَقِيلَ سِتُونَ أَلْفًا ، وَقِيلَ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَقِيلَ ثَمَانُونَ أَلْفًا وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ : وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَمَادُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْقَنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَةٍ كُلُّ أُوقِيَةٍ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّاءِ وَالْأَرْضِ » وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ ، وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ بَنْدَارٍ عَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ (ص) عَنْ حَاضِمِ بْنِ يَهْلَةَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَوْلُهُ كَرِيبَةً وَكَيْفَ فِي تَضْيِيقِهِ حَيْثُ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ حَاضِمِ بْنِ يَهْلَةَ عَنْ ذُكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ « الْقَنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَةٍ الْأُوقِيَةُ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّاءِ وَالْأَرْضِ » وَهَذَا أَصَحُّ ، وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَابْنِ عُمَرَ ، وَحَكَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي الْوَدَّاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا : الْقَنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ ثُمَّ قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا ابْنُ عِجِي الضَّرِيرِي حَدَّثَنَا شَيْبَةُ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ طَيِّبِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ حَبِيشٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْقَنْطَارُ أَلْفٌ وَأُوقِيَةُ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ » وَهَذَا حَدِيثٌ مُتَكَرِّرٌ أَيْضًا وَالْأَقْرَبُ أَنَّ يَكُونُ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي بَكْرٍ كَثِيرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ . وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَرْجُونٍ عَنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ الرُّبَذِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْرَاهِيلَ عَنْ مُوسَى عَنْ أُمِّ الْوَدَّاءِ عَنْ أَبِي الْوَدَّاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ لِكِتَابِ الْمَغَافِلِ وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ إِلَى آتَمِجْهِ قَنْطَارٌ مِنَ الْأَجْرِ عِنْدَ اللَّهِ الْقَنْطَارُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ » وَرَوَاهُ وَكَيْعٌ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْهُ . وَقَالَ الْحَاكِمِيُّ مُسْتَدْرَكُهُ . حَدَّثَنَا أَبُو الْبَاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ الْخَمِّي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا حَمِيدُ الطَّوِيلُ وَرَجُلٌ آخَرُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (الضابط للظنطة) ؟ قال . « القنطار ألفا أوقية » صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وهكذا رواه الحاكم ، وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال ، أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقي أنبأنا عمرو بن أبي سلمة أنبأنا زهير بنى ابن محمد أنبأنا حميد الطويل ورجل آخر قدهما بنى زيد الرقاشي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « قنطار يني ألف دينار » وهكذا رواه الطبراني (١) عن عبد الله بن محمد ابن أبي مريم عن عمرو بن أبي سلمة قد ذكر إستاد مثله سواء . وروى ابن جرير عن الحسن البصري عنه مرسل أو موقوفا عليه القنطار ألف ومائتا دينار ، وهو رواية العوفي عن ابن عباس . وقال الضحاك . من العرب من قول القنطار ألف ومائتا دينار ، ومنهم من يقول . اثنا عشر ألفا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عزم عن حماد عن سعيد الحرسى عن أبي نصره عن أبي سعيد الحدرى قال القنطار مائة مسك الثور ذهب ، قال أبو محمد . ورواه محمد بن موسى الحرسى عن حماد ابن زيد مرقوعا ، وللقوف أصح

« وجب الخيل على ثلاثة أقسام » تارة يكون رطبها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها فهؤلاء يثابون وتارة تربط فخرها ونواء لأهل الإسلام فهذه على صاحبها وزر وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر كما ساقى الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الآية : وأما السومة فمن ابن عباس رضى الله عنهما للسومة الراعية والمطهمة الحسان وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبيزى والسدى والريبع بن أنس وأبي سنان وغيرهم : وقال مكحول . السومة القرة والتحصيل وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد . حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من فرس عربى إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول : اللهم إنك خولتني من خولتني من بنى آدم فأجسني من أحب ماله وأهله إليه أو أحب أهله وماله إليه » وقوله تعالى (والأنعام) يني الأبل والبقر والغنم (والحرث) يني الأرض للثخنة للفراس والزراعة : وقال الإمام أحمد . حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نامة الصدوى عن مسلم ابن عبد بن عباس بن زهير عن سويد بن هيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة » للأبورة الكثرة النسل ، والسكة النخل للصطف والمأبورة للثقة

ثم قال تعالى (ذلك متاع الحياة الدنيا) أى إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها القانية الزائلة (والله عنده حسن الملك) أى حسن للرجع والثواب

وقد قال ابن جرير . حدثنا ابن محمد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال : قال عمر بن الخطاب لما نزلت (زين للناس حب الشهوات) قلت الآن يارب حين زينتها لنا فنزلت (قل أوئيكم خير من ذلك للذين اتقوا) الآية ، ولهذا قال تعالى (قل أوئيكم خير من ذلك) أى قل يا محمد للناس أو خيركم خير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها وتعيمها الذى هو زائل لا محالة ثم أخبر عن ذلك فقال (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أى تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من السبل والبلن والجمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (خالدين فيها) أى ما كئيب فيها أبد الآباد لا ينفون عنها حولا ، (وأزواج مطهرة) أى من الدنس والخبث والأذى والحيف والنفس وغير ذلك مما يقرى نساء الدنيا (ورضوان من الله) أى يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى (الى في برامة) (ورضوان من الله أكبر) أى أعظم مما أعطاهم من النعم للقيم ، ثم قال تعالى (والله بصير العباد) أى يعطى كلا بحسب ما يستحقه من العطاء

« الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ »

(١) وفي نسخة الأثر من ابن مردويه عن الطبراني

يصف تبارك وتعالى عباده للتقوى الذين وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى (الذين يقولون ربنا إنا أنتم) أي بك وبكنابك وبرسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) أي بإعانتك بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا (بغفلك ورحمتك) وقتا عذاب النار) ثم قال تعالى (الصابرين) أي في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات (والصادقين) فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلزمونه من الأعمال النافعة (والقانتين) والقنوت الطاعة والخضوع (وللتقنين) أي من أموالهم في جميع ما أرواه من الطاعات ، وصلة الأرحام والقربات ، وسد الخلات ، ومواساة ذوي الحاجات (وللستغفرين بالأسحار) دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار ، وقد قيل : إن يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه (سوف أستغفر لكم ربي) إنه أخرم إلى وقت السحر . وثبت في الصحيحين وغيرهما من اللسان والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله بركه وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ » الحديث وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الباقضي في ذلك جزءا على عدة فروا من طرق متعددة . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه وآخره فأنشئ وتره إلى السحر . وكان عبد الله بن عمر يسل من الليل ثم يقول : يا نافع هل جاء السحر ؟ فإنا قال : نعم ، أتقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح ، رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا أي عن حرث بن أبي مطر عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال : سمعت رجلا في السحر في ناحية للسجد وهو يقول : يارب امرئتي فألمنك وهذا السحر فاغفري . فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضي الله عنه . وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال كنا نؤمر إذا سلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاللَّهُ شَهِدَ وَأُولُوا الْإِلَهِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيْمَانٌ وَمَا اخْتَلَفُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِنَائِبَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ جَاءَكَ قَوْلُ أَهْلِكَ وَقَبِيحُ اللَّهِ وَمَنْ أَنْبَغَ وَقَوْلُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَشْهَرُ فَإِنْ أَشْكُوا قَدِ افْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعَمَالِ)

شهد تعالى وكفى به شديدا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين (أنه لا إله إلا هو) أي التفرد بالالهية لجميع الخلق وإن الجميع عبده وخلقه وقرأه إليه وهو التي عما سواه كما قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) الآية ثم قرن شهادة ملائكة وأولى العلم بعبادته فقال (شهد الله أنه لا إله إلا هو ولللاشكة وأولو العلم) وهذه خصوصية عظيمة للعالم في هذا المقام (قائما بالقسط) منصوب على الحال وهو في جميع الأحوال كذلك (لا إله إلا هو) تأكيد للمسبق (العزيز الحكيم) العزيز الذي لا يرام جنبه عظمة وكبرياء ، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عدي بن حذاف بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثنا أبو سعيد الأنصاري عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو ولللاشكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وأنا على ذلك من الشاهدين يارب . وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا علي بن حسين حدثنا محمد بن لشوك السقاني حدثنا عمر بن حفص بن ثابت أبو سعيد الأنصاري حدثنا عبد الله بن يحيى بن عبد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عن الزبير قال سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو ولللاشكة) قال قال « وأنا أشهد أي رب » وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبد الله بن أحمد وطى بن سعيد (١) كنا وإذا يعال في الأمر ويصر من فلان أو عن النابية والفرقة .

الرازي قال حدثنا عمار بن عمر المختار حدثني أبي حدثني غالب الطعان قال : أتيت الكوفة في تجارة فزلت قريبا من الأعمش فلما كانت ليلة أردت أن أتعمر فقامت تهجد من الليل فمر بهذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو ولللائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام) ثم قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لدى عند الله ودية (إن الدين عند الله الإسلام) قلنا مرارا ، قلت : لقد سمع فيها شيئا ففدوت إليه فودعته ثم قلت يا أبا محمد إنني صمكت تردده الآية ، قال : أوما بأتك ما فيها قلت : أنا عندك منذ شهر لم تحدثني قال : والله لا أحدثك بها إلى سنة فألفت سنة فكنت على بابها فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قال : حدثني أبو وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل عبيد عهدي إليّ وأنا أحق من وفي بالهدى أدخلوا عبيد الجنة » وقوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) إخبار منه تعالى بأنه لا دين عند الله يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما يشهد الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أتى الله بعد بمكة محمد صلى الله عليه وسلم بدن على غير شريعته فليس بمقبول كما قال تعالى (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) الآية . وقال في هذه الآية مخبرا بأنصار الدين المتقبل منه عند الله في الإسلام (إن الدين عند الله الإسلام) . وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ (شهد الله أنه لا إله إلا هو ولللائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الإسلام) بكسر الهاء وفتح أن الدين عند الله الإسلام أي شهد هو ولللائكة وأولو العلم بأن الدين عند الله الإسلام ، والجمهور قرءوها بالكسر على الجهر وكلا للمعنيين صحيح ، ولكن هذا قول الجمهور أظهر والله أعلم ثم أخبر تعالى بأن الدين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم فقال (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أي بني بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق تجاسداهم وتباغضهم وتدابروهم فحمل بعضهم بعض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقا ، ثم قال تعالى (ومن يكفر بآيات الله) أي من جحد ما أنزل الله في كتابه (فإن الله سريع الحساب) أي قاله سبحانه على ذلك ومحاسبه على تكذيبه ومباغضه على مخالفته كتابه

ثم قال تعالى (فإن حاجوك) أي جادلوك في التوحيد (فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) أي قل أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له ولا ند له ولا ولد له ولا صاحبة له (ومن اتبعن) أي على ديني يقول كعالي قال قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) الآية ثم قال تعالى آمرا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى طريقته ودينه والفتوى في شرعه وما يشهد الله به . الكتابيين من اللين والأمينين من الشركين فقال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإني ما عليكم البلاغ) أي والله عليه حسابهم وإلى مرجعهم ومآبهم وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وله الحسبة البالغة والحجة الدامنة ولهذا قال تعالى (والله بصير العباد) أي هو عليم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الضلالة وهو الذي (لا يسل عما يعمل وهم يشعرون) وما ذلك إلا لحكمته ورحمته ، وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بيشته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث فمن ذلك قوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) وقال تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) . وفي الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بأنواع التمدد أنه ﷺ بث كتبه يدعو إلى الله ملوك الأفاق وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم كتابهم وأمرهم امتثالاً لأمر الله له بذلك . وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن مام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » رواء مسلم . وقال ﷺ « بثت إلى الأحمر والأسود » وقال « كان النبي يعث إلى قومه خاصة ويثت إلى الناس عامة » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه : أن غلاماً يهودياً كان يمشى لى بجانب وضوءه ويأوله نعليه فرض فأثاه النبي ﷺ فسل على أبوه فأعند رأسه فقال له النبي ﷺ « وإفان قل لإله إلا الله » فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه : أطلع أبا القاسم . فقال القاسم : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فخرج النبي ﷺ وهو قول والحمد لله الذى أخرجه في من النار رواء البخارى فى الصحيح ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِمَا بُيِّنَ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾

هذا من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من الآثام والمخارم فى تكذيبهم بآيات الله قديماً وحديثاً التى بلغتهم بإيحاء الرسل استكباراً عليهم وعناداً لهم وتماطلاً على الحق واستكفاً عن اتباعه ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين يلغونهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جرعة منهم اللهم إلا لكونهم دعوم إلى الحق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) وهذا هو غاية الكبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (الكبر بطل الحق وغطت الناس) . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابورى نزيل مكة حدثنى أبو خنيس عمر بن حفص ينى ابن ثابت بن زرارَةَ الأصبهى حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لى أسد عن مكحول عن أبى قيس بن ذئب الخزاعى عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال : قلت لرسول الله أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال « رجل قتل نبياً أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر » ثم قرأ رسول الله ﷺ (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) الآية ثم قال رسول الله ﷺ « يَا أَبَا عبيدة قلت لبني إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول التبار فى ساعة واحدة قتلهم مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهؤم عن المنكر قتلؤهم جميعاً من آخر التبار من ذلك اليوم ، فهم الذين ذكر الله عزوجل » وهكذا رواء ابن جرير عن أبى سعيد الوصافى محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبى الحسن مولى لى أسد عن مكحول به ، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قتل بنو إسرائيل ثلاثة نبى من أول التبار وأقاموا سوق بقلهم من آخره ، رواء ابن أبى حاتم . ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق قاتلهم الله على ذلك بالهالة والسنار فى الدنيا والعذاب الهمين فى الآخرة فقال تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) أى موجع مهين (أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيُقَرَّبَ بِهِمْ ثُمَّ يَأْتُوا بِقُرْبَيْنَ مُضْمَرٍ ۖ وَهُمْ مُتَعِزِّضُونَ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمْسَا نَارُ الْآيَاتِنَا مَعْدُودَاتٍ ۚ وَفَرَّغَتْ فِي ذِيهِمْ مَا كَانُوا يَفْكُرُونَ ۝ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمِ رَبِّبٍ فِيهِ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى منكرآ على اليهود والنصارى للتمكين فيما يزعمون بكتابتهم الذين بأيديهم وهم التوراة والإنجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيها من طاعة الله فيها أمرهم به فيها من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تولوا وهم معرضون عنها ، وهذا فى غاية ما يكون من ذمهم والتوبيخ بذكرهم بالخالفه والعناد ثم قال تعالى (ذلك بأنهم قالوا لن تمسأ النار إلا آياتنا معدودات) أى إنما حملهم وجرائم على مخالفة الحق اقتراؤهم على الله فى ادعوه لأتسمهم أنهم إنما يصدون فى النار سبعة أيام عن كل ألف سنة فى الدنيا يوماً ، وقد تقدم تفسير ذلك فى سورة البقرة . ثم قال تعالى (وغرهم فى

دينهم ما كانوا يفترون) . أى يفتهم على دينهم البطل ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم يذوقهم إلا أياما معدودات وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطانا ، قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا (فكيف إذا جئناهم يوم لا ريب فيه) أى كيف يكون حكمهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم الأميرين بالعروف والنهي عن المنكر والله تعالى سائلهم عن ذلك كله وحاكم عليهم وعمازهم به ، ولهذا قال تعالى (فكيف إذا جئناهم يوم لا ريب فيه) أى لا شك في وقوعه وكونه (وذيت كل همسا مكبت وهم لا يظنون)

﴿ قُلْ أَلَهُمْ مِثْلُ الْكَفْلِ تُوَفَّى الْكَفْلُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْكَفْلَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْغَلَبُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتُزَوِّجُ مَنْ تَشَاءُ بِفِتْرٍ حَسَابٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى (قل) يا محمد معظما لربك وشاكرآ له ومفوضا إليه ومتوكلا عليه (اللهم مالك الملك) أى لك الملك كله (توفى لك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزج من تشاء وتذل من تشاء) أى أنت المولى وأنت المانع وأنت الذى ما شئت كان ومالم تشأ لم يكن . وفى هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمته الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة لأن الله تعالى حول النبوة من بين إسرائيل إلى النبي العربى القرشى الأسمى الذى ختم الأنبياء على الإطلاق ، ورسول الله إلى جميع الخلقين الإنس والجن ، الذى جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخسه بخصائص لم يسبقها نبيا من الأنبياء ولا رسولا من الرسل فى العلم بالله وشريعته وإطلاعه على الثيوب الماضية والآية وكشفه له عن حقائق الآخرة ونشر أسنه فى الآفاق فى مشارق الأرض ومغاربها وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع فصاوت الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ما تقاب الليل والنهار . ولهذا قال تعالى (قل اللهم مالك الملك) الآية أى أنت المتصرف فى خلقك الفاعل لما تريد كما رد تعالى على من حكم^(١) عليه فى أمره حيث قال (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) قال اقتردا عليهم (أم يسمون رحمتك) الآية أى نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا مانع ولا مدافع ولنا الحكمة البالغة والحجة الثامة فى ذلك وهكذا يعطى النبوة لمن يريد كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) الآية^(٢) وقد روى الحافظ بن عساكر فى ترجمة إسحق ابن أحمد من تاريخه عن المأمون الخليفة أنه رأى فى قصر يبلاد الروم مكتوبا بالبحرية فغرب له فإذا هو باسم الله ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء فى القللك إلا ينقل النعم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك . وملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان ولا يمشرك ، وقوله تعالى (تولى الليل فى النهار وتولى النهار فى الليل) أى تأخذ من طول هذا فتزنيه فى قصر هذا فتبدلان ثم تأخذ من هذا فى هذا فيتفاوتان ثم يتبدلان ، وهكذا فى فصول السنة ربيعا وصيفا وخريفا وشتاء ، وقوله تعالى (وتخرج الحى من ليلت وتخرج اللى من الحى) أى تخرج الزرع من الحب ، والحب من الزرع والنخلة من التواة والنواة من النخلة ، وللؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ، والبالغة من البيضاء والبيضة من الببالغة ، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء (وتزوى من تشاء بفتر حساب) أى تعطى من شئت من المال مالا يصد ولا يشتر على إحصائه وتقدر على آخرين للمالك فى ذلك من الحكمة والإرادة والشبهة قال الطبرانى : حدثنا محمد بن زكريا العلانى حدثنا جعفر بن حسن بن فرقد حدثنا أبى عن عمر بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى هذه الآية من آل عمران (قل اللهم مالك الملك توفى لك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزج من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) »

(١) وفى نسخة الأزهر يحكم (٢) قوله وقد روى الحافظ ابن عساكر الى معترك - سقط من النسخة الأميرية فتلقت من نسخة الأزهر .

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً وَيَعِزِّزْكُمْ اللَّهُ فَسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

نهي ببارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالودعة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برى من الله كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوكم أولياء تلقون إليهم بالودعة - إلى أن قال - ومن يفعل ذلك فقد ضل سواد سبيل) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن يجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم) الآية . وقال تعالى بعد ذكر مولاء المؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا يجمعهم في الأرض فساد كبير) وقوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يشتم بظواهره لا يباطنه ويته ، كما قال البخاري عن أبي هريرة أنه قال : «إنا لنكسر في وجوه أقوام وقلوبنا تلثمهم» . وقال الثوري : قال ابن عباس : ليس التقية بالعدل إنما التقية باللسان ، وكذا رواه الموفى عن ابن عباس إنما التقية باللسان ، وكذا قال أبو العباس وأبو الشعثاء والضحاك والريسي بن أسد . ويؤيد ما قاله قول الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلة مطعون بالإيمان) الآية . وقال البخاري : قال الحسن التقي إلى يوم القيامة ، ثم قال تعالى (ومعذركم الله نفسه) أي معذركم نعمته في عاقبته وسخطه وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أوليائه . ثم قال تعالى (وللى الله المصير) أي إليه المرجع والتقلب ليجازى كل عامل بعمله . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن سابط عن عيسى بن مهران قال : قام فينا ما ذقنا : قال يا أي أود إلى رسول رسول الله إليكم تعلمون أن اللاد إلى الله (١) إلى الجنة أو إلى النار

﴿ قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَصَّراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيداً وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ فَسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

يخبر ببارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والظواهر وأنه لا يخفى عليه شيء منهم خافية بل عليه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان والأيام والاحظات وجميع الأوقات وجميع ما في الأرض والسماوات لا ينبغي عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال (والله على كل شيء قدير) أي وقدرته نافذة في جميع ذلك ، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهي عنه وما يفضيه منهم فانه عالم بجميع أمورهم ، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة وإن أنظر من أنظر منهم فانه يعمل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال بعد هذا (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) الآية يني يوم القيامة يحضر للجد جميع أعماله من خير وشركا قال تعالى (يَبْنِى الْإِنْسَانَ يَوْمَذٍ بِنَاءً قَدِمْ وَأَخْرَ) فما رأى من أعماله حسنا سره ذلك وأفرجه ، وما رأى من قبيح ساءه وغضه وود لو أنه تبرا منه وأن يكون بينها أمد بعيد ، كما يقول ليطمان الذي كان مقرونا به في الدنيا وهو الذي جرأه على فعل السوء (يألت) يني وينك بعد الشريق فيبس القرنين) ثم قال تعالى مؤكدا ومهددا ومتوعدا (ومعذركم الله نفسه) أي يخوفكم عقابهم قال جل جلاله مرجيا لعباده لئلا ييسوا من رحمته وغفلوا من لطفه (والله رءوف بالعباد) قال الحسن البصري من رآته

(١) وفي نسخة الأزم أن اللاد إلى الجنة أو إلى النار (١) وفي نسخة الأزم مقترنا .

بهم جندهم نفسه وقال غيره . أى رحيم بخلقه يجب لهم أن يستقيموا على صراطه للستيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

هذه الآية السكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشريع المحمدية والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ولهذا قال (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) أى يحصل لكم نونى ما طلبتم من محبة إياه وهو محبة إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء . ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب . وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاه الله بهذه الآية فقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطائفي حدثنا عبد الله ابن موسى بن عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبى كثير عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم « وهل الدين إلا الحب في الله والبغى في الله » قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) وقال أبو زرعة عبد الأعلى : هذا منكرو الحديث

ثم قال تعالى (وضر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم) أى باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفراته ثم قال تعالى أمراً لكل أحد من خاص وعام (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا) أى تخالفوا عن أمره (فإن الله لا يحب الكافرين) فدل على أن مخالفة في الطريقة كفر والله لا يجب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع التقلين الجن والإنس الذى لو كان الأنبياء بل للرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته كما سيأتى تقريره عند قوله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين) الآية إن شاء الله تعالى

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ • ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

غير تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ، فاصطفى آدم عليه السلام خلقه يده وشفع فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما في ذلك من الحكمة واصطفى نوحاً عليه السلام وجعله أول رسول بشه إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً واتقوا له لما طالت مدته بيث ظهر أن قومه يدعوهم إلى الله ليلا ونهاراً ، سر وأجهاراً ، فلم يردهم ذلك إلا فراراً ، فدعا عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ولم ينج منهم إلا من أتبعه على دينه الذى بشه الله به واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى بن مريم عليه السلام . قال محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله هو عمران بن ياثم ^(١) بن ميثان بن حزيان بن إبراهيم ابن غرابا بن ناوش بن أجر بن يهوذا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن إياذ بن رخيص بن سليمان بن داود عليه السلام ، فمضى عليه السلام من ذرية إبراهيم كما سيأتى ياته في سورة الانعام إن شاء الله تعالى وبه الثقة

﴿ إِذْ قَالَتْ أُمُّ آدَمَ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

امراة عمران هذه هي أم مريم عليها السلام وهي حنة بنت قافوذ . قال محمد بن إسحق : وكانت امرأة لا تحمل فرأت يوما طائرا يزق فرخه فاشتت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولما فاستجاب الله دعائها فواعتها زوجها فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محررا أي خالسا مغررا للعبادة لخدمة بيت المقدس فقالت : يا رب (إن نذرت لك ما يبنى محررا تقبل مني إنك أنت السميع العليم) أي السميع لمعالي العلم يبنى ، ولم تكن تعلماني بطنها أذكر أم أني ؟ فلما وضعتها قالت رب إنني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت (قرئ : يرفع التاء على أنها تاء التكلم وأن ذلك من تمام قولها ، وقرئ : يسكن التاء على أنه من قول الله عز وجل (وليس الذكر كالأنثى) أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة للسجد الأقصى (وإن سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا وقد حكى مقروا وبذلك ثبت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « ولد لي الليلة ولد سميت باسم أبي إبراهيم » أخرجاه ، وكذلك ثبت فيها أن أنس بن مالك ذهب بأخيه حين ولده أنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحكى ومما عبد الله : وفي صحيح البخاري : أن رجلا قال : يا رسول الله ولد لي الليلة ولد فيا أمي ؟ قال « سم ابنك عبد الرحمن » وثبت في الصحيح أيضا . أنه لما جاءه أبو أسيد بأنه ليحكه فهدل عنه فأمر به أبوه فرد إلى منزلهم فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس معاه للتدبر : فأما حديث قاتدة عن الحسن البصري عن امرأة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل غلام مرتين ^(١) بشيته يذبح عنه يوم السابع ويسمى ويخلق رأسه » فقد رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وروى وهو أثبت وأخف وألهم . وكذا ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من مولود يولد إلا معه الشيطان حين يولد فيستل صارخا من مسه إياه إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة إردوا إن شئتم (وإن أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرج عن ثبة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ^(صلى الله عليه وسلم) بنحوه وروى من حديث قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود إلا وقد عصمه الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإن أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ومن حديث الملاعن أبيه عن أبي هريرة ، ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة ، ورواه ابن وهب أيضا عن ابن أبي ذئب عن عجلان مولى الشعمل عن أبي هريرة ورواه محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قيس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأصل الحديث ، وهكذا رواه الألبان بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال : قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بني آدم يطن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى بن مريم ذهب يطن فطن بالحجاب »

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا جَسَدًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَبَرِّمُ أَيْ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

غير ربنا أنه قبلها من أمها نذيرة وأنه أنبتها نباتا حسنا أي جعلها شكلا مليحا ومنظرا يهوجا ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تعلم منهم العلم والخير والهدى فلها قال (وكفلها زكريا) بتشديد القاء ونصب زكريا

(١) في النسخة الألبانية « رحين » وفي نسخة الأزهر « رهينة » وهذه رواية ولفظ الترمذي مرتين (٢) وفي نسخة الأزهر أشهر

على القولية أى جهله كافلا لها . قال ابن إسحق : وما ذلك إلا أنها كانت يقيمة وذكر غيره أن بنى إسرائيل أصابهم سنة جيب فسكن زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم . وإنما قدر الله أن يكون زكريا كفلهما لسعادتهما لتتيسر منه علما جانا فاعمالا صالحا ، ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحق وابن جرير وغيرهما ، وقبل زوج أختها كما ورد في الصحيح «فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة» وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحق ذلك أيضا توسعا فعلى هذا كانت في حضنة خالتها : وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في عمارة^(١) بنت حمزة أن تكون في حضنة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال : «الخالة بمنزلة الأم» ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها في محل عبادتها فقال (كما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشثاء وإبراهيم التيمي والشعكاذ وقائدة والريبع بن أنس وعطية الموفى والسدى يمين وجد عندها فأكهة الصيف في الشتاء وفاكة الشتاء في الصيف وعن مجاهد (وجد عندها رزقا) أى علما ، أوقال . مصنفها علم ، رواه ابن أبي حاتم والأول أصح وفيه دلالة على كرامات الأولياء . وفي السلسلة نال كثيره ، فإذا رأى زكريا هذا عندها (قال يا مريم أتى لك هذا) أى يقول من أين لك هذا ؟ (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال الخافظ أبو يعلى حدثنا سهل بن زبينة حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا عبد الله بن لمية عن محمد بن النكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن عيشا فألقى فاطمة فقال «يا بنية هل عندك شيء آكله فأني جائع ؟» قالت . لا والله - بأبي أنت وأمي - فلما خرج من عندها بثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضته في جفنة لها وقالت . والله لأؤثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي ، وكانوا جميعا محتاجين إلى شربة طعام فبثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع إليها فقالت : بأبي أنت وأمي قد أتى الله بهي . فخبأته لك قال «هلمى يا بنية» قالت فأبنته بالجفنة فكشفت عنها فإذا هي ملوذة خيرا ولما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرأه حمد الله وقال «من أين لك هذا يا بنية ؟» قالت . يا أبت (هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فحمد الله وقال «الحمد لله الذى جعلك يا بنية شعبة بسيدة نساء بنى إسرائيل فانها كانت إذا رزقها الله شيئا وسثلت عنه قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل على فاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعا قالت : وقيت الجفنة كما هي قالت . فأوسمت يقيتها على جميع الجيرات وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَناداهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلَّى فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَانْزَأَنِي عَائِرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَنْ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَآذْكَرُوكَ كَثِيرًا وَسَمِعَ بِالْعَصَى وَالْإِنْكَارِ﴾

لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكة الشتاء في الصيف وفاكة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في أوله وإن كان شيئا كبيرا قد وهن منه العظم واشتغل الرأس شيئا وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرا ، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيا وقال (رب هب لي من لدنك) أى من عندك (ذرية طيبة) أى ولدا صالحا (إنك سميع الدعاء) . قال الله تعالى (فناداه الملك) أى خاطبه الملك فاستجاب لها

(١) في النسخة الأميرية حمزة وهي غلط فاعتدنا نسخة الأزهر وهي إحدى الروايتين في اسمها والرواية الأخرى أملة .

خطأاً أسمىته وهو قائم يصل في محراب عبادته وعمل خلوته وجلس مناجاته وصلاته . ثم أخبر تعالى عما يشتره به للأنبياء (أن الله يشرك يحيى) أى بوله يوجد لك من صلبك اسمه يحيى . قال قتادة وغيره : إنما مى يحيى لأن الله أحياه بالإيمان . وقوله (مصداقاً بكلمة من الله) (١) روى المولى وغيره عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو الشئان والسدى والربيع بن أنس والضحاك وغيره في هذه الآية (مصداقاً بكلمة من الله) أى ييسى بن مريم . وقال الربيع بن أنس : هو أول من صدق ييسى بن مريم . وقال قتادة : وطى سته ومنهاجه . وقال ابن جريج : قال ابن عباس في قوله مصداقاً بكلمة من الله قال : كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أبجد الذي في بطنى يسجد للذى في بطنك فذلك تصديقه له في بطن أمه وهو أول من صدق عيسى وكلمة الله عيسى ، وهو أكبر من عيسى عليه السلام وهكذا قال السدى أيضاً .

وقوله (وسيداً) قال أبو الماتية والربيع بن أنس وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم : الحليم ، وقال قتادة : سيداً في العلم والعبادة . وقال ابن عباس والثوري والضحاك السيد الحليم النقي : قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم ، وقال عطية : السيد في خلقه ودينه ، وقال عكرمة : هو الذى لا يظلمه التنب وقال ابن زيد : هو الشريف ، وقال مجاهد وغيره هو الكريم على الله عز وجل .

وقوله (وحسوراً) روى عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشئان وعطية المولى أنهم قالوا : الذى لا يأتى النساء . وعن أبي الماتية والربيع بن أنس : هو الذى لا يؤلف له ولأما له . وقال ابن أنى حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن كثير أنبأنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس في الحصور : الذى لا يتزل للماء . وقد روى ابن أنى حاتم في هذا حديثاً غريباً جداً فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي حدثني سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن يحيى بن الرواحم عن يحيى بن سعيد عن المسيب عن ابن العاص - لا يدري عبد الله أو عمرو - عن النبي ﷺ في قوله (وسيداً وحسوراً) قال : ثم تناول شيئاً من الأرض فقال « كان ذكره مثل هذا » . وقال ابن أنى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا ثم قرأ سعيد (وسيداً وحسوراً) ثم أخذ شيئاً من الأرض فقال : الحصور من كان ذكره مثلاً ، وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة فهذا موقوف أمح إسناداً من الرفوع ورواه ابن النضر في تفسيره : حدثنا أحمد بن داود السمناني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يلقى الله إلا إذا ذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله يقول (وسيداً وحسوراً) » قال - : وإنما ذكره مثل هذبة الثوب « وأشار بأيمته ، وقال ابن أنى حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى ابن حماد وعبد بن سلمة المرادي قال : حدثنا حجاج بن سليمان القرني عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القشع عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « كل ابن آدم يلقى الله بذنب يذنب عليه إلا شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً وحسوراً ونبيّاً من الصالحين » ثم أهوى النبي ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال : « وكان ذكره مثل هذه القذاة »

وقد قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : أعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان (حسوراً) ليس كما قاله بعضهم إنه كان هيوأً أولاً ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذائق القسرين ، وهاد العلماء وقالوا : هذه هفوة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أى لا يأتها كأنه حصور عنها ، وقيل : ماناؤه من الشهوات ، وقيل ليست له شهوة في النساء وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على التكاح هم ، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنحها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل كعيسى عليه السلام ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تنفضه عن ربه : درجة عليا وهي درجة نبينا ﷺ الذى لم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه ، بل زاده

(١) قوله روى المولى لمي قوله (مصداقاً بكلمة من الله) ساقط من النسخة الأميرية .

ذلك عبادة يتصنيهن وقيامه عليهن وإكسابهن وهديته ليهن بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنياه غيره قال : «جب إلى من دنياكم» هذا لفظه . وللقصود أنه ملج ليحي بأنه حضور ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه كما قاله هو وغيره : أنه معصوم من الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشائهن وإبلاذهن ، بل قد غيهم وجود النسل له من دعاء ذكرها للتقدم حيث قال : (هب لي من ذنبتك ذرية طيبة) كأنه قال ولذا له ذرية ولسل وعقب ، والله سبحانه وتعالى أعلم

قوله (ونبأ من الصالحين) هذه بشارة ثانية بنبوة يحي بعد البشارة بولادته وهي أعلى من الأولى كقوله لأم موسى (إنا رادوه إليك وجعلوه من المرسلين) فلما تحقق ذكرها عليه السلام هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأى عاقر قال) أى للملك (كذلك الله يفعل ما يشاء) أى هكذا أمر الله عظيم لا يميزه شيء ولا يماظمه أمر (قال رب اجعل آية) أى علامة أستدل بها على وجود الولد منى (قال آيتك ألا تكلم ثلاثة أيام إلا مرصفا) أى إشارة لاستطیع النطق مع أمك . وى صحيح كما فى قوله (ثلاث ليال سوا) ثم أمر بكثرة الذكر والتكثير والتبسيح فى هذا الحال فقال تعالى (واذكر ربك كثيرا ويسبح بالحق والابكر) . وسبأى طرف آخر فى بسط هذا المقام فى أول سورة مريم إنشاء الله تعالى

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْلَحَكِ عَلَى نِسَاءِ الْقُلَيْبِ : يَمْرُؤُا أَفَتُنْكِي زَوْجَكَ وَاسْتَحْدَىٰ وَازْكُمِي مَعَ الرَّاكِبِينَ • ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَنَّهُمْ آيُهُمْ يُكْفِلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به للملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك أن الله قد اصطفاها أى اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرافها وطهارتها من الأكدار والواسوس واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين . قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن السيب فى قوله تعالى (إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) قال كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير نساء ركب الإبل نساء قريش أحله على ولد فى صفه ، وأرعاه على زوج فى ذات يده ، ولم تركب مريم بنت عمران بغيراً قط» ولم يخرج من هذا الوجسوى مسلم فانه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد^(١) كلاهما عن عبد الرزاق به وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خير نسائهم مريم بنت عمران وخير نساها خديجة بنت خويلد» أخرجه فى الصحيحين من حديث هشام به مثله . وقال الترمذى : حدثنا أبو بكر بن زنجويه حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» تفرد به الترمذى وصححه . وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازى عن أبيه قال : كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خير نساء العالمين أربع ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت رسول الله» رواه ابن مردويه أيضاً ، ومن طريق شعبة عن معاوية بن قره عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ «كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ، مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» . وقال ابن جرير : حدثني الثنى حدثنا آدم السقلاقي حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ «كل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون» وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود عن طريق عن شعبة به ، ولفظ البخارى «ويكمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية

وقيل لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوى الصلوات برى^١ بإذن الله تعالى وقوله تعالى : (عيسى ابن مريم) نسبة إلى أمه حيث لا أب له (وجها في الدنيا والآخرة ومن القربين) أى له وجهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الثمرة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به ، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولى الزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وقوله (ويكلم الناس في المهد وكهلا) أى يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صفوه ، معجزة وآية ، وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه (ومن الصالحين) أى في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح . قال محمد بن إسحق : عن يزيد بن عبد الله بن قيس عن محمد بن جرير عن ابن شريك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تكلم أحد^(١) في صفوه إلا عيسى وصاحب جريج » وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قرعة حدثنا الحسين بن الروزي حدثنا جرير يعني ابن أبي حازم عن محمد بن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يتكلم في المهد إلا ثلاث ، عيسى وصبي كان في زمن جريج وصبي آخر » فلما سمعت بشارته للأنيسة لما بطلت عن الله عز وجل قالت في مناجاتها : (رب أنى يكون لى ولد ولم يعسى بى ؟) فتول كيف يوجد هذا الولد منى وأنا لست بملكات زوج ولا من عزمى أن أتزوج ولست بنيا حاشا لله فقال لما بطلت عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال (كذلك الله يخلق من يشاء) أى هكذا أمر الله عظيم بل يعجزه شيء ، وصريح هنا بقوله (يخلق ما يشاء) ولم يقل يفعل كما في قصة زكريا ، بل نس هنا على أنه يخلق ثلاثا يبق لمبطل شيء ، وأكد ذلك بقوله (إذا قضى أمرا) فأنا يقول له كن فيكون) أى فلا يتأخر شيئا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقولهم (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أى إما تأمر مرة واحدة لا مشيئة فيها فيكون ذلك الشيء سرعا كلمح البصر

﴿وَيَقْلُمُ الْكُتُبَ وَالْحِسْكَ وَالنُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ • وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَآئَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَا بَإِةَ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا أُخِلَّ لَكُمْ بِمَعْصِيَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَآئَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾

يقول تعالى خبرا عن تمام بشارته للأنيسة لحرم بابنها عيسى عليه السلام . إن الله يملأ الكتاب والحكمة ، الظاهر أن المراد بالكتاب هنا الكتابة ، والحكمة تضم ضميرها في سورة البقرة ، والتوراة والإنجيل فالنوراة هو الكتاب الذى أنزل على موسى بن عمران ، والإنجيل الذى أنزل على عيسى بن مريم عليهما السلام . وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا وقوله (ورسولا إلى بنى إسرائيل) قائلا لهم (أتى قد جئكم بآية من ربكم ، أى أخلق لكم من الطين كهية الطير فأفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله) وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله عز وجل الذى جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله (وأبرئ الأكمه) قيل إنه الذى يصير نهرا ولا يصير ليل ، وقيل بالكمى ، وقيل الأكمى ، وقيل الأعمش ، وقيل هو الذى يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلى في المعجزة وأقوى في التحدى (والأبرص) معروف (وأخى الموتى بإذن الله) قال كثير من العلماء بآية الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ، فكان القالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتظيم السحرة ، فبعث الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار اتحدوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار . وأما عيسى

عليه السلام نبئت في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجادم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجراد ، أو على مداواة الأكمة والأبرص ، وبث من هو في قبره رهين إلى يوم التداد . وكذلك محمد ﷺ بث في زمان الصحابة والمبتهاء وتجريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا الله ، أو يشرور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم ليس بظهوراً ، وماذا لك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً ، وقوله (وأنتم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخره في بيته لقد (إن في ذلك) أي في ذلك كله (لآية لكم) أي على صدق فيما جئكم به (إن كنتم مؤمنين . ومصدقاً لما بين يدي من التوراة) أي مقررأ لما ومثبتاً (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين ، ومن العلماء من قال لم ينسخ منها شيئاً ، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وانكشف لهم عن القلاء (١) في ذلك قال في الآية الأخرى (ولأبين لكم بعض الذي تخفون فيه) والله أعلم . ثم قال (وجئكم بآية من ربكم) أي بحجة ودلالة على صدق ما أتوه لكم (فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربكم فاعبدوه) أي أنا وأمت سواء في الصودية له والخضوع والاستكانة إليه (هذا صراط مستقيم)

﴿ فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ • رَبَّنَا ءَأَمْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ • وَتَكْرَرُوا وَتَكْرَرُوا اللَّهُ ءَأَمَّا اللَّهُ خَيْرَ الْمَكْرُورِينَ ﴾

يقول تعالى (فلما أحسن عيسى) أي استعمر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال (من أنصاري إلى الله) قال مجاهد : أي من يتبنى إلى الله ، وقال سفيان الثوري وغيره : أي من أنصاري مع الله ، وقول مجاهد أقرب . والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله كما كان النبي ﷺ يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر : من رجل يؤديني حتى أبلغ كلام ربى فإن قرىبا قد تمنوني أن أبلغ كلام ربى » حتى وجد الأنصار فأودوه ونصروه وهاجر إليهم فواسموه ومنعوه من الأسود والأحمر رضى الله عنهم وأرضاهم . وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام اتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به ووازره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، ولهذا قال الله تعالى غير عنهم (قال الخواريون : نحن أنصار الله ، أمنا بالله ، وآشهد بآنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزل وأتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) الخواريون قيل : كانوا نصارين ، وقيل سموا بذلك لياش ثابهم ، وقيل صيادين . والصحيح أن الخواري الناصر كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير رضى الله عنه فقال النبي ﷺ « لكل نبي حواري وحواري الزبير » . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) قال : مع أمة محمد ﷺ ، وهذا إسناد جيد . ثم قال تعالى غيرا عن ملائكة بني إسرائيل فيما هموا به من التناك بيسى عليه السلام وإرادته بالسوء والصلب حين تنازلوا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان وكان كافراً أن هنا رجلا يضل الناس ويصد عن طاعة الملك وغسد الرجال ، ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما خلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب وأنه ولد زنية حتى استأثروا غضب الملك فبث في طلبه من يأخذه وصلبه وينكل به فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم ورفضهم وروضة ذلك البيت إلى السماء وألقى الله شبه على رجل ممن كان عنده في التزل فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلة الليل عيسى فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووشوا على رأسه الشوك ، وكان هذا من مكر الله بهم فانه نبى نبيه ورفضه من بين أظهرهم

(١) في نسخة الأخرى فأخاطبوا فكشف لهم من الخلق .

وتركهم في ضلالهم يعمهون يتقدون أنهم قد ظفروا ببلدتهم وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازماتهم وأورثهم ذلة لانفارتهم إلى يوم التناد ولهذا قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير للماكرين)

(إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِقُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ نَازِحَتِكُمْ فَأَخَذْتُ بِبَيْتِكُمْ فَيَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا قَاعَدُ بِهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ لُجُجٍ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ)

اختلف القسرون في قوله تعالى (إني متوفيك ورافقك إلى) فقال قتادة وغيره . هنا من القدم والمؤخر شديد به إني رافقك إلى ومتوفيك يعني بعد ذلك . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . إني متوفيك أي يميتك . وقال محمد ابن إسحق عن لايتهم عن وهب بن منبه قال . توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رصفه إليه . قال ابن إسحق والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه قال إسحق بن بشر عن إدريس عن وهب : أماته الله ثلاثة أيام ثم بيته ثم رصفه . قال مطر الوراق . إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت . وكذا قال ابن جرير توفيه هو رصفه : وقال الأكرمون . للراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) الآية . وقال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها وان لم تمت في منامها) الآية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم . الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا) الحديث وقال تعالى : (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتنا عظيمًا . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم - إلى قوله - وما قتلوه يقينًا بل رصفه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ۝ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) والضمير في قوله قبل موته عائذ على عيسى عليه السلام أي وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سأتى بيانه فيبحث يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه قال في قوله تعالى (إني متوفيك) يعني وفاة التام رصفه الله في منامه قال الحسن : قال رسول الله ﷺ لليهود إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة وقوله تعالى (ومطهركم من الذين كفروا) أي برغمي إليكم إلى السماء (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) وهكذا وقع فان المسيح عليه السلام لما رصفه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيئا بعدة فمنهم من آمن بما بيته الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته . ومنهم من غلب فيه فصبه ابن الله . وآخرون قالوا هو الله وآخرون قالوا هو ناث ثلاثة . وقد حكى الله مقاتلهم في القرآن ورد على كل فريق فاستمروا على ذلك قريبا من ثلثمائة سنة ثم تبع لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل حيلة لفسده فانه كان فيلسوفا . وقيل جهلا منه لأنه أنه يدلك لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه وبعض منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الحياة الحقة . وأحل في زمانه لحم الخنزير . وصاروا له إلى المشرق . وصاروا له الكنائس والمعابد والصوامع . وزاد في صيامهم عشرين قايما من أجل ذنب ارتكبه فيها يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد وفي المدينة المنورة إلى وابجة طائفة للمكية منهم وهم في هذا كله قاهرون لليهود أيده الله عليهم لأنه أقرب إلى الحق منهم . وإن كان الجميع كفارا عليهم لعائن الله . فلما بث الله محمدا ﷺ فكذب من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق . فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض . إذ قد صدقوا الرسول النبي الأبي

العربي خاتم الرسل ومبداً له آدم على الاطلاق الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته بما قد حرفوا وبدلوا ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جيع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة ولا يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين فلماذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها واحتازوا جميع الممالك وكانت لهم جميع الدول وكسروا كسرى وقصروا قيصر وسلبوها كنوزها وأغثت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يبدونني لا يشركون بي شيئاً) الآية فلماذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقاً سلبوا النصارى بلاد الشام والجزيرة إلى الروم فلدجوا إلى مدينتهم القسطنطينية ولا يزال الاسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة . وقد أخبر الصادق للصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيقنون القسطنطينية ويستبيثون ما فيها من الأموال ، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً لم ير الناس مثلاً ولا يرون بعدها نظيرها ، وقد جمعت في هذا جزءاً مفرداً ، ولهذا قال تعالى (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعهم فأنهك بينهم فيها كنعن فيه يتخلفون) فأما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من النصارى عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الأموال وازالة الأيدي عن الممالك وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق (وما لهم من الله من وافي) (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيرفههم أجورهم) أي في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالنصر والظفر ، وفي الآخرة بالجنات العالية (والله لا يحب الظالمين)

ثم قال تعالى (ذلك تناوله عليكم من الآيات والذكر الحكيم) أي هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى ومبداً ميلاده وكيفية أمره هو ما قاله تعالى وأوحاه اليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ فلا مزية فيه ولا شك كقوله تعالى في سورة مريم (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) ما كان له أن يتخذ من ولد سبحانه إنفاضي أمراً فإنما يقول له كن فيكون) وهنا قال تعالى

﴿ إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ • الْجِبْرِيتُ رَبُّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ • قَدْ جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ • إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَنُؤَيِّنُ إِلَيْكَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾

يقول جل وعلا (إن مثل عيسى عند الله في قدرة الله حيث خلقه ^(١) من غير أب (كمثل آدم) حيث خلقه من غير أب ولا أم بل خلقه من تراب ثم قاله كن فيكون) فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى ، وإن جاز ادعاء القوة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب فبجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالافتقار أن ذلك باطل فدعواه في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدره وعلوه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كإخلاق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى في سورة مريم (ولنجسه آياتنا مناس) وقاله هنا (الحق من ربك فلا تسكن من المترين) أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا يحيد عنه ولا صحيح سواء ، وماذا بعد الحق إلا الضلال . ثم قال تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يباهل من طأد الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان (لن حاجك فيه

من بعد ما جاءك من العلم قل قالوا نذع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفوسكم (أي نحضرم في حال البهالة ثم نبتهل) أي نتنهن (فتجبل لنة على الكاذبين) أي منا ومنكم .

وكان سبب نزول هذه البهالة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران أن النصارى لما قدموا فجالوا يحاجون في عيسى ويترجمون فيه ما يزعمون من النبوة والالهية فأزل الله صدر هذه السورة ورأى عليهم كما ذكره الإمام محمد بن إسحق بن يسار وغيره . قال ابن إسحق في سيرته المشهورة وغيره . وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكباً ، فهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم يؤول أمرهم اليهم وهم : العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأويس بن الحارث ، وزيد ، وقيس ، وزيد وابناه وخويلد وعمره ، وخالد ، وعبد الله ، وعمر بن وهب ، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذى لا يصدرون إلا عن رأيهم ، والسيد وكان عليهم وصاحب رحلهم وجمعهم وأبو حارثة بن علقمة وكان استقنهم وصاحب مدرستهم ، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل ولكنه تنصر فظننته الروم ومولوكها وشرفوه وبثوا له الكنائس وأخدموه لما يملونه من صلاته في دينهم ، وقد كان يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعتهم وسمعتهم عما علمه من الكتب القديمة ، ولكن حمله ذلك ^(١) على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجهاء عند أهلها . قال ابن إسحق . وحدثنني محمد بن جعفر بن الزبير قال . قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم للدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى الصلوة عليهم ثياب الجبرات جبب وأردية في جمال رجال بني الحارث ابن كعب قال يقول من رأيكم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا بدمهم وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فتقاموا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « دعوهم » فصاروا إلى المشرق قال : فكلم رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ، ويقولون هو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيى الموتى ويرى الأكمه والأبرص والأسقام وغيره بالتوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً ، وذلك كله بأمر الله . وليجبه الله آية للناس ، ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون : لم يكن له أب يسلم ، وقد تكلم في الهدى . لم يصنعه أحد من بني آدم قبله ، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة يقول الله تعالى فلما وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا فطنت وأمرت وقضيت وخلقته ولكنه هو وعيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتزه عما يقول الظالمون والجاهلون علواً كبيراً . وفي كل ذلك من قولهم : قد نزل القرآن ، فلما كلف الخبران قال لهما رسول صلى الله عليه وسلم « أسلما » قالوا قد أسلمنا قال « إنكما لم تسلما فأسلميا » قالوا : بل قد أسلمنا قبلك قال : « كذبنا بتمكين الإسلام ادعوا كما قالوا وفداً وعبادتكم الصليب أو كل ما كنتم تحذرون » قالوا : فمن أيوه يا محمد ؟ فقصت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجيبا فأزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم مصدر سورة آل عمران إلى بضع وخمسين آية منها ثم تكلم ابن إسحق على تفسيرها إلى أن قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله والعقل من القضاء بينه وبينهم وأمر بأمر به من ملائحته إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم تأمك يا نبي أن نعلم فيما دعوتنا إليه ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم فقالوا . يا عبد المسيح ماذا نرى ؟ فقال : والله يا مشرك النصارى لقد عرفت من محمد أني مرسل ولقد جاءكم بالصل من خير صاحبكم . ولقد علمتم أنه ما لعل قوم نبياً قط فبقى كيرهم ولا ثبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فطنت ، فإن كنتم آيتم إلا إلف دينكم بالاقامة على ما أتت عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ، فأثروا النبي ﷺ فقالوا يا أبا القاسم قدرنا أن لا تلائعنا وتتركنا على دينك وترجع على ديننا . ولكن ابست رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فانك عندنا راضاً ، قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله ﷺ « اتوفوا المشية

(١) في نسخة الأزرع احمله جبه .

أبثت معكم القوى الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أحبت الأمانة قط حي يهاها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى الظهر مهجرا فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت تطاوله ليراني فلم يزل يلتصق يصبر حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعا فقال « أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه » قال عمر : فذهبوا أبو عبيدة رضى الله عنه . وقد روى ابن مردويه عن طريق محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن ليد عن رافع بن خديج : أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ فذكر نحوه إلا أنه قال في الأشراف كانوا اثني عشر ، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق وزادات آخر .

وقال البخارى : حدثنا عباس بن الحسن حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضى الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحب نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعنا قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا تخلع نحن ولا عقبتنا من بعدنا قال : إنا نطفيك مأسألتنا وإبث معنا رجلاً أميناً ولا تبث معنا إلا أميناً فقال « لأبئن معكم رجلاً أميناً حق أمين » فاستشف لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قم يا أبا عبيدة بن الجراح » فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا أمين هذه الأمة » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة بنحوه . وقد رواه أحمد والنسائى وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن مسعود بنحوه . وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد عن أبي قتادة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . وقال الإمام أحمد . حدثنا إسحاق بن يزيد الرقى أبو يزيد حدثنا قرة عن عبد الكريم بن مالك الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل قبحه الله إن رأيت محمداً صلى الله عليه وسلم عند الحكمة لأتينه حتى أطأ على رقبته ^(١) قال : فقال « لو فعل لأخذته للامكة عياناً ، ولو أن اليهود نمتوا للوت لمتوا ولرأوا مقاعدكم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجوا لا يجدون مالا ولا أملاً » وقدرناه البخارى والترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم به ، وقال الترمذى : حسن صحيح

وقد روى البهئى فى دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جداً ، ولذكروه فإن فيه فوائد كثيرة وفيه غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام قال البيهقى : حدثنا أبو عبيد الله الحافظ أبو سعيد ومحمد بن موسى بن الفضل قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس - وكان نصرانياً فأسلم - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سلجان « باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم ^(٢) فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أينهم فالجزية ، فإن أينهم فقد أدتكم بحرب والسلام » - فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظغ به وخرعه ذرعاً شديداً وبث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت مضطراً قبله إلا أنهم ولا السيد ولا العاقب فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه فقال الأسقف : يا أبا مريم ما رأيك قال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسحاق من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لى فى أمر النبوة رأى ولو كان فى أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأى واجتبت لك فقال الأسقف : تتع فاجلس فتحنى شرحبيل فجلس ناحية فبث للأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل فقال له الأسقف . تتع فاجلس فتحنى عبد الله فجلس ناحية فبث للأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحسان فأقرأه

(١) فى نسخة الأزهر عنه وهو لفظ البخارى (٢) فيها زيادة (أتم) وليس فيها يباس كلامية .

الكتاب وسأله عن الرأي فيه ؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله فأمره الأسقف فتحنى فجلس ناحية فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعا أمر الأسقف بالناقوس ف ضرب به ورفقت النيران وللروح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالهلع ، وإذا كان فزعهم لئلا ضربوا بالناقوس ورفقت النيران في الصوامع فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفقت للمسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله . وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن رأيهم فيه فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يمشوا شرحبيل بن وداعة الحمدي وعبد الله بن شرحبيل الأسدي وجابر بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللهم يمحرونها من حبرة وخواتم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه فلم يرد عليهم وتصدوا لسلامه نهرا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلك وخواتم الذهب فانطلقوا يقيمون عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوها في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا يا عثمان وعبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا كتابا فأقبلنا بجيئين له فأقبلنا فسلمنا عليه فلم يرد سلمنا وتصدنا لسلامه نهرا طويلا فأقبلنا أن يكلمنا فما الرأي منكما أن نرجع ؟ فقالا لبي بن أبي طالب وهو في القوم : ماترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال على عثمان وعبد الرحمن : أرى أن يمشوا حللهم هذه وخواتمهم وليلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ثم قال « والذي يشئ بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لهمم » ثم سألهم وسأله فلم تزل به وبهم للسئلة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى فلما نرجع إلى قوما ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبياً أن نسلم ما تقول فيه ؟ فقال رسول الله ﷺ « ما عندي فيه شيء يورى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى » فأصبح الند وقد أنزل الله هذه الآية (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم - إلى قوله - السكاكين) فأبوا أن يقربوا بذلك فلما أصبح رسول الله ﷺ الند بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مستملا على الحسن والحسين في خيل له وفاطمة تنحى عند ظهره للملائكة وله يومئذ عتة نسوة فقال شرحبيل لصاحبه : لقد علمنا أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولا يسدروا إلا عن رأيي ورأي الله أرى أمرا قريبا والله لئن كان هذا الرجل مبعوثا فكنا أول العرب طمنا في عينيه وردا عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصينا بخاصة وأنا لأدنى العرب منهم جوارا ، ولئن كان هذا الرجل نبيا مرسلنا فلا غناه لا يقيمنا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحبه . فما الرأي يا أبا برم ؟ فقال : أرى أن أحكمه فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا فقال له : أنت ذاك قال : فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال له : إني قد رأيت خيرا من ملاعتك فقال « وما هو ؟ » فقال : حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فهما حكمت فينا فوجاز فقال رسول الله ﷺ « لعل وراءك أحدا يرب عليك » فقال شرحبيل . سل صاحبي فسلمهما فقالا : ما يرد الوادي ولا يسدر إلا عن رأيي شرحبيل . فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم حتى إذا كان من الند أنه فكتب لهم هذا الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد ^(١) رسول الله لنجران - إن كان عليهم حكمه - في كل غمرة وكل سفراء ويضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم وترك ذلك كله لهم على ألقى حلة ، في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة »

وذکر تمام الشروط وثيقة السباق

والنرض أن وفودهم كان في سنة تسع لأن الزهري قال : كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح وهي قوله تعالى (فاتوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود المكي حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جابر قال : قدم على النبي ﷺ العاقب والطيب فدعاهما إلى اللعنة فواعدهما على أن يلاعنه القعدة قال : ففدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ يده على فاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يبعيا وأقرا له بالخارج قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي يشئ بالحق لو قال :

(١) في نسخة الأثر : يقدم محمد على النبي .

لا أمطر عليهم الوادي نارا ۛ قال جابر : وفيهم نزلت (نذع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسأكم وأنسأكم وأهسكم) قال جابر (أنسأنا وأهسكم) رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب (وأبنائنا) الحسن والحسين (ونساءنا) فاطمة وهكذا رواه الحاكم في مستدرکه عن طي بن عيسى عن أحمد بن محمد الأزهرى عن طي بن جبر عن طي بن سهر عن داود بن أبي هند به ببناء ، ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه هكذا . قال : وقد رواه أبوداود والطائى عن شعبة عن الثيرة عن الشعبي مرسلا ، وهذا أصح وقد روى عن ابن عباس والبراء نحو ذلك ثم قال الله تعالى (إن هذا هو القصص الحق) أى هذا الذى قصصناه عليك يا محمد فى شأن عيسى هو الحق الذى لا معدل عنه ولا محيد (وما من إله إلا الله ، وإن الله هو العزيز الحكيم ۛ فان تولوا) أى عن هذا إلى غيره (فإن الله علم بالقسدين) أى من عدل عن الحق إلى الباطل فهو للفساد والله أعلم به وسيجزىه على نكث الشر الجزاء وهو القادر الذى لا يخونه شيء سبحانه ومحمده ونعوذ به من حلول همته

(قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَقَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

هذا الخطاب يمس أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجرىهم (قل ياهل الكتاب تآلوا إلى كلمة) والكلمة تطلق على الجملة للبعد كما قال ههنا ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أى عدل ونصف نستوى نحن وأنتم فيها ثم فسرها بقوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) لاوثنا ولا صليا ولا صنا ولا طافوتا ولا نارا ولا شيئا بل قرد العبادة فهو حده لا شريك له وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد يبتلى فى كل أمة رسولا إن أعبدوا الله واخبتوا الطاغوت) ثم قال تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وقال ابن جرير : يعنى يطبع بعضنا بعضا فى مصيبة الله وقال عكرمة يسجد بعضنا لبعض (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أى فان تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذى شرعه الله لكم . وقد ذكرنا فى شرح البخارى عند روايته من طريق الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن أبي سفيان فى قصته حين دخل على قيصر فأنه عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ونمته وما يدعو إليه فأخبره بجميع ذلك على الجلية ، مع أن أباسفيان إذ ذاك كان مشركا لم يسل إلا بعد ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقيل الفتح كما هو مصرح به فى الحديث ، ولأنه لما سأله هل يفسد ؟ قال : قللت لا ونحن منه فى معة لا ندرى ما هو مانع فيها قال ولم يمكن كلمة أزيد فيها شيئا سوى هذه والترض أنه قال ثم جىء بكتيب رسول الله ﷺ فقرأه فأنافه .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأعلم تسلم وأسلم يؤتلك الله أجره مرتين فان توليت فإنا علىك إثم الأريسين و (يا أهل الكتاب تآلوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) » وقد ذكر محمد بن إسحق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وعشرين آية منها نزلت فى وفد نجران وقال الزهرى : ثم أول من نزل الجزية ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح لما أجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل فى جملة الكتاب وبين ما ذكره محمد بن إسحق والزهرى ؟ والجواب من وجوه (أحدها) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الفتح (الثانى) يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل فى وفد نجران إلى هذه الآية وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ويكون قول ابن إسحق إلى بضع وعشرين آية ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبي سفيان (الثالث) يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية وأن الذى بنلوه مصلحة عن المباحلة لا على وجه الجزية بل يكون من باب الهادنة والمصالحة ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك كما جاء فرض

الحس والأربعة أخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش في تلك السرية قبل بدر ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك (الرايع) يحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكتب هذا في كتابه إلى هرقل لم يكن أنزل بعد ثم أنزل القرآن موافقة له صلى الله عليه وسلم كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب وفي الحجاب وفي الأسارى ، وفي عدم الصلاة على المنافقين ، وفي قوله (واخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وفي قوله (عسى ربه إن يدله أزواج خيرا منك) الآية

(يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجِّجْتُمْ فِيَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)

ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم كما قال محمد بن إسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت حدثني سيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا عنده فقالت الأحزاب : ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) الآية أى كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى ، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بعده ، ولما قال تعالى (أفلا تعقلون) ثم قال تعالى (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) الآية . هذا إنكار على من يحاج في ما لا علم له به فإن اليهود والنصارى حاججوا في إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بيته محمد صلى الله عليه وسلم لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لا يعلمون ، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم النبي والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجليتها ، ولما قال تعالى (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ثم قال تعالى (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) أى متحنفا عن الشرك قاصدا إلى الإيمان (وما كان من المشركين) وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) الآية . ثم قال تعالى (إن أولى الناس لإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) يقول تعالى . أحق الناس بتبعية إبراهيم الخليل الذين اتبعوه في دينه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبي ولاية من النبيين ، وإن وليي منهم أبى وخليل بنى عز وجل » ثم قرأ (إن أولى الناس لإبراهيم للذين اتبعوه) الآية ، وقد رواه الترمذى والبزار من حديث أبى أحمد الزبيري عن سفيان الثوري عن أبيه ، ثم قال البزار : ورواه غير أبى أحمد عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن عبد الله ولم يذكر مسروقا وكذا رواه الترمذى من طريق وكيع عن سفيان ثم قال : وهذا أصح ، لكن رواه وكيع في تحفاه فقال : حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى إسحاق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبي ولاية من النبيين وإن وليي منهم أبى وخليل بنى عز وجل إبراهيم عليه السلام » ثم قرأ (إن أولى الناس لإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا) الآية ، وقوله (والله ولي المؤمنين) أى ولي جميع المؤمنين برسه

﴿ وَذَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَهُمْ يُصَلُّونَ وَمَا يُفْلِحُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَسْمُرُونَ ﴾ • يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ • وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هَٰؤُلَاءِ يَأْتِيهِمْ أَتْرَجٌ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَنَّاتُهُمْ كُفْرُهُمْ أَغْيَرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • وَلَا تَوَيْمُوا إِلَيْنَا إِنَّا نَبْعَثُ رِجْسَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهَدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجَّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ • يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿

غير تعالى عن حسد اليهود المؤمنين وبهم أيام الاضلال وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم محكور بهم ، ثم قال تعالى منكرا عليهم (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) أى تملكون صدقها وتحققون حقها (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تملكون) أى تكتمون ما فى كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتحققونه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) الآية ههنا مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار وصلاوا مع المسلمين صلاة السج فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول المجبة من الناس إنما ردكم إلى دينهم اطلاعهم على خبيثة وعيب فى دين المسلمين ولهذا قالوا (لهم يرجعون) وقال ابن أبى نجیح . عن جاهد فى قوله تعالى إخباراً عن اليهود بهذه الآية ينى يهودا صلت مع النبي ﷺ صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرها منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا آمنوه . وقال العوفي عن ابن عباس : قالت طائفة من أهل الكتاب إذا قيم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا ، وهكذا روى عن قتادة والسدى والربيع وأبى مالك وقوله تعالى (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) أى لا تطمئثوا أو تظهروا سرهم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحججوا به عليكم . قال الله تعالى (قل إن الهدى هدى الله) أى هو الذى يهدى قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما يغزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات وإن كنتم منها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبي الأمى فى كتبكم التى تفتسموها عن الأنبياء الأقدمين وقوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاججكم عندكم) يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيعلموه منكم ويساوونكم فيه ويتنازولون به عليكم لشدّة الإيمان به أو يحاججكم به عند ربكم أى يخفوه حجة عليكم بما فى أيديكم تقوم به عليكم الدلالة وترتكب المجبة فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء) أى الأمور كلها تحت تصرفه وهو المعطى للآمن بمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام ، وشئ من يشاء فيسمى بصره وبصرته ويحتم على قلبه وحجمه ويحمل على بصره غشاوة وله المجبة التامة والحكمة البالغة (والله واسع عليم • يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يجد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمد ﷺ على سائر الأنبياء وهذاكم به إلى أكمل الشرائع .

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُ إِذَا تَأْتَتْهُمْ غِظَاتُ يَوْمِهِ إِلَيْكَ تَوَسَّطُ مَنُ إِذَا تَأْتَتْهُمُ الْغِظَاتُ لَا يَوْمُهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا كُنتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَن سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ عَلَىٰ مَنُ

أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾

يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الحقنة ويحذر للمؤمنين من الاعتراجهن فان منهم (من إن تأمنه بقطار) أي من لئال (يؤده إليك) أي وما دونه بطريق الأولى أن يؤده ^(١) إليك ومنهم من إن تأمنه بدنيار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً أي بالمطالبة واللازمة والالحاح في استخلاص حثك وإذا كان هذا صنيعه في الدينار فافقه أولى أن لا يؤديه إليك . وقد تقدم الكلام على القنطار في أول السورة ، وأما الدينار فمرفوف . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية عن زياد بن المهيم حدثني مالك بن دينار قال : إنما سمي الدينار لأنه دين ونازل . وقيل منما من أخذه بجمعه فهو دينه ومن أخذه بغير حقه فله النار . ومناسب أن يذكر ههنا الحديث الذي علقه البخاري في غير موضع من صحيحه ، ومن أحسنها سياقه في كتاب الكفالة حيث قال : وقال الليث حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : اتني بالشهداء أشهدهم فقال كني بالله شهيداً قال : اتني بالكفيل قال : كني بالله كفيلاً قال : صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقصى حاجته ثم اتى التمس مركباً يركبها ليقدم عليه في الأجل . الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فانقراها فأدخل فيها ألف دينار وصفيقته إلى صاحبه ثم رجع موضها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أني استسلفت فلانا ألف دينار فسألني شهيداً فقلت كني بالله شهيداً وسألني كفيلاً فقلت كني بالله كفيلاً فرضى بك وإني جهنت أن أجدر مركباً أبث إليه الذي له فلم أقدر وإنني استودعتهما ، ففري بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو في ذلك يتشمس مركباً يخرج إلى بلده ، ففرض الرجل الذي كان أسلفه لينظر لعل مركباً يجيء بماله فإذا بالخشبة التي فيها لئال فأخذها لأهلها حطباً فلما كسرها وجد لئال والصفيق ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال : والله ما زلت جاهدنا في طلب مركب لأتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه قال : هل كنت بشت إلى شيء ؟ قال : لا ، أخبرك أني لم أجدر مركباً قبل هذا قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بشت في الخشبة فانصرف بألف دينار راشداً ، هكذا رواه البخاري في موضع معلقاً بسبعة الجزم ، وأسند في بعض اللوائح من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه . ورواه الإمام أحمد في مسنده هكذا مطولاً عن يونس بن محمد اللؤب عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ثم قال : لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، وكذا قال وهو خطأ لما تقدم . وقوله (فلما كسرها) أي قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) أي إنما حلهم على وجود الحق أنهم يقولون : ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب فإن الله قد أحلها لنا قال الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أي وقد اختلقوا هذه القالة ، وانتفكوها بهذه الضلالة ، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بغيرها وإنما هم قوم بهت . قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أبي إسحق الحمداي عن أبي عباس بن يزيد أن رجلاً سأل ابن عباس فقال : إنا نصيب من الفرو من أموال أهل البصرة البسجة والشارة قال ابن عباس : فتقولون ماذا ؟ قال : نقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل ، إنهم إذا أدوا الجزية لم نحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم ، وكذا رواه الثوري عن أبي إسحق بن جبير قال لما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل قال النبي صلى الله عليه وسلم « كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فانها مؤداة إلى البر والقاجر » ثم قال تعالى (بل من أوفى بعهد واتي) أي لكن من أوفى بعهد واتي معكم أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بشت كما أخذ العهد واليثاق على الأنبياء وأعمهم بذلك واتي محارم الله واتي طاعته وشريعته التي بشت بها خاتم رسله وسيعهم (فإن الله يحب المتقين)

(١) كذا في النسخين والوجه أن يؤده .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَدْوِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ان الذين يتناشون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد ﷺ وذكر صفته فانس ويان أمره وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآفة بالأمان القليلة الزهيدة وهي عروض هذه الحياة الدنيا القانية الزائلة (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها (ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) أي برحمة منه لهم يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بين الرحمة (ولا يزكهم) أي من الذنوب والأدناس بل يأمرهم إلى النار (ولهم عذاب أليم) . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر .

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا شعبة قال ط بن مدرك أخبرني قال : سمعت أبا زرعة عن خروسة بن الحارث عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « علامة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » قلت يارسول الله . من هم ؟ خسروا وخابوا قال . وأعاد رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال « للسلب » والمنفق سلطه بالخلف الكاذب ، ولثان « ورواه مسلم وأهل السنن من حديث شعبة به (طريق أخرى) قال أحمد : حدثنا إسحاق بن الجريري عن أبي العلاء بن الأشعر عن أبي الأحسن قال : قيت أباندا قتلته به بلغي عنك أنك تحدث حديثا عن رسول الله ﷺ قال أما إنه لا يخفى أن أكذب على رسول الله ﷺ بعدما سمعته منه فما الذي يفتك عنى ؟ قلت بلغي أنك تقول : ثلاثة يصهم الله ، وثلاثة يشنؤم الله ، قال : قلت وسمعت قلت فمن هؤلاء الذين يصهم الله ؟ قال « الرجل يلقي العدو في ثنية فيصيب لهم نحره حتى يقتل أو يشنع لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سرام حتى يجروا أن يمسا الأرض فينزلون فيتبى أحدهم فيصلى حتى يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظنن » قلت : ومن هؤلاء الذين يشنؤم الله ؟ قال « التاجر الخلف - أو قال البائع الخلف - والفقر المحتال والخييل لثان » غريب من هذا الوجه

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد . حدثنا يحيى بن سعيد عن جرير بن حازم حدثنا عدى بن عدى أخبرني رجاء ابن حيوة والمرس بن عميرة عن أبيه عدى هو ابن عميرة الكندي قال خامس رجل من كندة يقال له امرؤ القيس ابن عامر رجلا من حضرموت إلى رسول الله ﷺ في أرض قضى على الحضرمي بالبيعة فلم يكن له بينة قضى على امرؤ القيس باليمين فقال الحضرمي : أمكنته من اليمين يارسول الله ؟ ذهبت ورب الكعبة أرضى ، فقال النبي ﷺ « من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أحد لى الله عز وجل وهو عليه غضبان » قال رجاء وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَدْوِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يارسول الله ؟ قال « الجنة » قال : فاشهد أنى قد تركتها له كلها ، ورواه النسائي من حديث عدى بن عدى به

(الحديث الثالث) قال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لى الله عز وجل وهو عليه غضبان » قال الأشعث : في والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فيجندى أرضى فقدمته إلى رسول الله ﷺ فقال لى رسول الله ﷺ « أنك بينة » ؟ قلت : لا فقال اليهودى احنف . فقلت يارسول الله إذا جلف فيذهب مالى فأزول الله عز وجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية ، أخرجه من حديث الأعمش (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن حاصم بن أبى النجود عن شقيق بن سلمة حدثنا عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لى الله وهو عليه غضبان » قال . قبياء الأثعث ابن قيس فقال : ما عهدكم أبو عبد الرحمن ؟ فحدثناه فقال : كان في هذا الحديث خاصمت ابن عمى إلى رسول الله ﷺ في بئر كانت لى في يده فجندى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبتئك أنها بئرك ولا يمينه » قال :

قلت يا رسول الله مالي بينة ، وإن تجملها بيعته تذهب بئري إن خصمي امرؤ فاجر فقال رسول الله ﷺ « من اتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان » قال : وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا)

(الحديث الرابع) قال أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثنا رشيد بن عمار عن زيد بن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « إن لله تعالى عبدا لا يكلمهم يوم القيامة ولا يركم ولا ينظر إليهم » قيل ومن أولئك يا رسول الله ؟ قال « متبرئ من والديه راغب عنهما ومتبرئ من ولده » ورجل أنتم عليه قوم فكفر نعمتهم وثبرا منهم »

(الحديث الخامس) قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم أنبأنا العوام بنى ابن حوشب عن إبراهيم بن عبد الرحمن بنى السكسكى عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلا أقام سلمة له في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يسله ليقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت هذه الآية (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية ورواه البخاري من غير وجه عن العوام

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم ، رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف على سلمة يمد الممر بين كاذبا ، ورجل بايع إماما فأن أعطاه وفيه وإن لم يسله لم يسله » ورواه أبو داود والترمذي من حديث وكيع وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن اليهود علمهم لعائن الله أن منهم فرقا يحرفون الكلم عن مواضعه ويدلون كلام الله ويزيلونه عن الراديه ليوهما الجهة أنه في كتاب الله كذلك وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا واقتروا في ذلك كله ، ولهذا قال الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقال مجاهد والشامي والحسن وقادة والريعي بن أنس : (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يحرفونه ، وهكذا روى البخاري عن ابن عباس أنهم يحرفون ويزيلون وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله لكتم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله وقال وهب بن منبه : إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكتم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) فأما كتب الله فإنها محفوظة لا تحول رواد ابن أبي حاتم ، فإن عني وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والتقصير . وأما تعريب ذلك للشاهد بالمرية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة وتقصان ووم فاحش ، وهو من باب تفسير العرب الجبر (١) وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد وأما إن عني كتب الله التي هي كتبه من عنده فذلك كما قال محفظة لم يدخلها شيء

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُرْسِنَهُ اللَّهُ أَلْكِتَابَ وَالنَّبِيَّةِ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلْكِتَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَقْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَدَلِ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

وكرها) «أما من في السموات فلا تسلكه، وأما من في الأرض فكن وله على الإسلام. وأما كرهاً فكن أتى به من سبأيا الأمم في السلاسل والأغلال، يقادون إلى الجنة وهم كارهون» وقد ورد في الصحيح «عجبر بك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل» وسيأتى له شاهد من وجه آخر، ولكن للمنى الأول لآية أقوى. وقد قال وكيع في تفسيره حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد (وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرهاً) قال: هو كقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقال أيضاً: حدثنا سفيان عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس (وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرهاً) قال حين أخذ الليثاق (وإليه يرجعون) أى يوم للماد فيجازى كلا بعمله. ثم قال تعالى (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) يعني القرآن (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب) أى من الصف والوحي (والأسباط) وهم بطون بني إسرائيل المنتشرة من أولاد إسرائيل - وهو يعقوب - الاثني عشر (وما أوتى موسى وعيسى) يعني بذلك التوراة والإنجيل (والنبيون من ربهم) وهذا يم جميع الأنبياء جملة لا نفرق بين أحد منهم) يعني بل نؤمن بجميعهم (وعنه مسلمون) فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل، وبكل كتاب أنزل لا يكتفون بشيء من ذلك بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله، وبكل نبي ينشئه الله.

ثم قال تعالى (ومن ينتفع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) الآية أى من سلك طرقاً سوى ما شرعه الله لن يقبل منه (وهو في الآخرة من الخاسرين) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو مرد» وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن حدثنا أبو هريرة إذا ذلك ونحن بالمدينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حجى الأعمال يوم القيامة فتجوز الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة فيقول إنك على خير، وتجوز الصدقة فتقول يارب أنا الصدقة فيقول إنك على خير، ثم يحجى الصيام فيقول يارب أنا الصيام فيقول إنك على خير، ثم يحجى الأعمال فيقول الله تعالى إنك على خير، ثم يحجى الإسلام فيقول يارب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى إنك على خير بك اليوم آخذوك أعطى. قال الله في كتابه (ومن ينتفع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)» فردد به أحمد قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد: عباد بن راشد ثقة ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • أُولَئِكَ جَزَاءُكُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمِينَ • خَلِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ عَنْهُمْ الْمُتَذَابُّ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ • إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولقى بالشرك ثم نعم فأرسل إلى قومه أن سلوا لي رسول الله هل لي من توبة؟ فقلت (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم - إلى قوله - فإن الله غفور رحيم) فأرسل إليه قومه فأسلم، وهكذا رواه النسائي والحاكم وابن حبان من طريق داود بن أبي هند به. وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال عبد الرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان حدثنا حميد الأعرج عن مجاهد قال: جاء الحارث ابن سويد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه فأنزل الله فيه (١) (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم - إلى قوله - غفور رحيم) قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأ عليه فقال الحارث: إنك - والله ما علمت - لصدوق وإن رسول الله لأسدق منك، وإني الله لأسدق الثلاثة قال: فرجع الحارث فأسلم فحس إسلامه فوجهه تعالى (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات) أى قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول، ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى

ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية ولهذا قال تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) ثم قال تعالى (أولئك جزاؤهم أن عليهم لنة الله وللاذكاة والناس أجمعين) أى يلعنهم الله ويلعنهم خلقه (خالدين فيها) أى فى اللنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يقترعهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعادته على خلقه أن من تاب إليه تاب عليه

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَخَرُوا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ)

يقول تعالى متوعداً ومهدداً لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفراً أى استمر عليه إلى المات وعبراً بأنهم لن تقبل لهم توبة عند المات كما قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت) الآية ولهذا قال ههنا (لن تقبل توبتهم وأولئك هم الصالون) أى الخارجون عن التبع الحق إلى طريق النجى قال الحافظ أبو بكر البرزنجي حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) هكذا رواه وإسناده جيد ، ثم قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَخَرُوا بِهِ) أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً ولو كان قد أشفق ملة الأرض ذهباً فيما يراه قرابة كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف وفك العاني ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال « لا إنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » وكذلك لو اتقنى على الأرض أيضاً ذهباً لمقبل منه كما قال تعالى (ولا يقبل منها عدل ولا تقبها شفاعا) وقال (لا يبع فيه ولا خلال) وقال (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَاتُوا الْأَرْضُ حَبِيبًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ولهذا قال تعالى ههنا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَخَرُوا بِهِ) فسلط ولو افتدى به على الأول فدل على أنه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال إن ألوا زائدة والله أعلم ويقتضى ذلك أن لا ينقذه من عذاب الله شيء ولو كان قد أشفق مثل الأرض ذهباً ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعورها وبرها وبحرها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أ رأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أ كنت مفتدياً به قال : فيقول نعم ، فيقول الله قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر أريك آدم أن لا تمسك بي شيئاً فأبيت إلا أن تمسك » وهكذا أخرجه البخاري ومسلم (طريق أخرى) وقال الإمام أحمد . حدثنا روح حدثنا حماد عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلتك فيقول أى رب خير منزل ، فيقول : سل وعمن ، فيقول : ما أسأل ولا أعني إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرار ، ما يري من فضل الشهادة . ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلتك فيقول : يا رب شر منزل فيقول له افتدى مني بطلاع الأرض ذهباً فيقول أى رب نعم فيقول : كذبت قد سألت أهل من ذلك وأيسر فلم تقبل فردد إلى النار » ولهذا قال (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أى وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يغيرهم من أليم عقابه

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)

روى وكيع في خصمه عن شريك عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون (لن تنالوا البر) قال : الجنة . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة سمع أنس بن مالك يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار (١) بالبلدية مالا ، وكان أحب أمواله إليه ربحاه ، وكانت مستقلة للمسجد وكان النبي ﷺ يدخلها ويشر من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال أبو طلحة : يا رسول الله إن الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالي إلي ربحاؤها صدقة فأتوا بها ربحاها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله قال النبي ﷺ «يجع ذلك مال رابع ذلك مال رابع ، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها في الآخرين» فقال أبو طلحة : أفضل يا رسول الله قسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه ، أخرجاه (٢) وفي الصحيحين أن عمر قال : يا رسول الله لم أصب مالا قط هو أغنى عنى من سهمي الذي هو خير لما تأمرني به ؟ قال «حبس الأصل وسبل الثمرة» وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحنفى حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي عمرو بن حسان عن حزة بن عبد الله بن عمر قال : قال عبد الله حضرتي هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطاني الله فلم أجشيت أحب إلي من جارية لي رومية قلت : هي حرة لوجه الله فلما أتى أعود في شيء جعلته لله فكشيتها يعني تزوجتها

(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) * فَمَنْ أَفْتَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قُلْ لَكُمْ الظُّلُمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال : قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبى الله ﷺ فقالوا : حدثنا عن خلال نأكل عن لايملحن إلا نبي : قال «سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يقوب على يديه لأن أنأخذكم شيئا فصرتموه لتأبى على الاسلام» قالوا فذلك لك قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ، أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأُنثى وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الثلاثة ؟ فأخذ عليهم العهد لأن أخبرهم ليتأبى فقال «أنشدكم بالله أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله نذرا لأن يشفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها» فقالوا : اللهم لم نقال «اللهم اشهد عليهم» وقال «أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأبهما علا كان له الولد والشبه يأن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرا يأن الله ، وإن علا ماء المرأة كان أنثى يأن الله» قالوا : نعم قال «اللهم اشهد عليهم» قال «وأنشدكم بالله أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تام عينه ولا ينام قلبه» قالوا : اللهم نعم قال «اللهم اشهد» قال «وإن ولي جبريل وليم الله نياقظ إلا وهو ولي» قالوا : فنذ ذلك شارقك ولو كان وليك غيره لتأبى لك ، فنذ ذلك قال الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) الآية ورواه أحمد أيضا عن حسين بن محمد عن عبد الحميد (طريق أخرى) قال أبو أحمد حدثنا أبو أحمد الأثيرى حدثنا عبد الله بن الوليد السجلى عن بكير بن شهاب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : أتجلبت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نأكل من حسة أشياء فإن أنبأنا بهن عرفنا أنك نبي واتمناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بني إذاقل (والله على ما نهول وكيل) قال

« هاتوا » قالوا أخبرنا عن علامة النبي ؟ « قال تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا أخبرنا كيف تؤثت المرأة وكيف تذكر . قال « يلتقي للماء فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإذا علا ماء المرأة أنثت » قالوا أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال « كان يشتكى عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا » قال أحمد قال بعضهم يعني الإبل - فحرم لحومها قالوا صدقت قالوا أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال « ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب يده - أو في يديه - مخراق من نار يجرز بالسحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل » قالوا لما هذا الصوت الذي يسمع ؟ قال « صوته » قالوا صدقت إنما جيت واحدة وهي التي تنابك إن أخبرتها بها إنه . ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالبحر فأخبرنا نحن صاحبك قال « جبريل عليه السلام » قالوا جبريل ذلك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان ، فأنزله الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدي لملوك المؤمنين) والآية بعدها وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن الوليد الصجلي به نحوه ، وقال الترمذي حسن غريب : وقال ابن جريج والوفى عن ابن عباس . كان إسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - يستره عرق النساء بالليل ، وكان يلقه ويضعه عن النوم ويقطع الوجع عنه بالآثار فنزلته لئن علم الله لا يأكل عرقاً ولا يأكل ولد ماله عرق ، وهكذا قال الضحاك والسدي كذا ورواه حكا ابن جرير في تفسيره قال . فاتبعه بنوه في تحريم ذلك استقنا به واقتداء بطريقه قال : وقوله (من قبل أن تنزل التوراة) أي حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قلت : ولهذا السياق بعد ما تقدم مناسبتان (إحداهما) أن إسرائيل عليه السلام حرم أحب الأشياء إليه وتركها له وكان هذا سابقاً في شريعتهم فله مناسبة بعد قوله (لن تناولوا البر حتى تنفقوا عما تحبون) فهذا هو للشرع عندنا وهو الاتفاق في طاعة الله عما يحبه العبد ويشتهي كما قال تعالى (وآتي المال من حبه) وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية (المناسبة الثانية) لما تقدم بيان^(١) الرد على الصاري واعتقادهم الباطل في المسيح وبين زيف مذهبهم إليه ، وظهور الحق واليقين في عيسى وأمه كيف خلقه الله بقدرة ومشيئته وبه إلى بني إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه ببارك وتعالى ، شرع في الرد على اليهود قبحهم الله تعالى ، ويان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع ، فإن الله تعالى قد نص في كتابهم التوراة أن نوحاً عليه السلام لما خرج من السفينة أبح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها ، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم^(٢) الإبل وألبانها فاتبعه بنوه في ذلك ، وجاءت التوراة بتحريم ذلك ، وأشياء أخرى زيادة على ذلك ، وكان الله عز وجل قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه ، وقد حرم ذلك بعد ذلك ، وكان التبرى على الزوجة مباحاً في شريعة إبراهيم عليه السلام ، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تبرى بها على سارة ، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم ، وكذلك كان الجمع بين الأخنتين سائماً ، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الأخنتين ، ثم حرم عليهم ذلك في التوراة ، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم ، وهذا هو النسخ بينه فكذلك فيمكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله بعض ما حرم في التوراة فأباح لهم لم يتبعوه بل كذبوه وخالفوه ؟ وكذلك ما ثبت الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من الدين القويم ، والصراط المستقيم ، وملة أبيه إبراهيم ، فما بأهلهم لا يؤمنون ؟ ولهذا قال تعالى (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) أي كان حلالاً لهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرمه إسرائيل ثم قال تعالى (قل فأثأوا بالتوراة فانلوها إن كنتم صادقين) فلأنها ناطقة بما قلناه (فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون) أي فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم ألبست والتمسك بالتوراة دائماً وأنه لم يبعث نبياً آخر يدعو إلى الله تعالى بالبراهين والحيجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرنا (فأولئك هم الظالمون) ثم قال تعالى (قل صدق الله) أي أي قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به وبقيا شرعه في القرآن (فاتبوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المبشرين) أي اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مزية وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أنتم كما قال تعالى (قل إني هادي ربي إلى صراط

(١) في نسخة الأزهر السابق في . (٢) وفيها لحان .

مستقيم * دينا قبا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للناسين * فيه آيات بيّنات مِمَّا بُرِّهَ بِهِمْ وَلَمَّا دَخَلُوا كَانُوا عَمَّاتٍ عَلَى النَّاسِ حِجَابٌ أَلْبَسَ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَلِيظٌ)

غير تعالى أن أول بيت وضع للناس أي لمعوم الناس لعبادتهم ونسكهم بطوفون به وصالون اليه ويتكفون عنده (الذي ببكة) يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه ولا يحجون إلى البيت الذي بناه من أمر الله في ذلك ونادى الناس إلى حجه ولهذا قال تعالى (مباركاً) أي وضع مباركاً (وهدياً للناسين) وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام » قلت . ثم أي ؟ قال « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » قلت . ثم أي قال « ثم حيث أدركك الصلاة فصل فكلها مسجد » وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به . وقال ابن أبي حاتم . حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان عن شريك عن مجاهد ^(١) عن الشعبي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً) قال كانت البيوت قبله ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله . وحدثنا أبي حدثنا الحسن ابن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعة قال : قام رجل إلى علي رضي الله عنه فقال : ألا نحدث عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ولكنه ^(٢) أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ، وذكر تمام الخبر في كيفية بناء إبراهيم البيت ، وقد ذكرنا ذلك مستقيماً في أول سورة البقرة فأغنى عن إعادته هنا . وزعم السدي أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقاً ، والصحيح قول علي رضي الله عنه . فأما الحديث الذي رواه الباقون في بناء الكعبة في كتابه دلائل النبوة من طريق ابن أبي حنيفة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص مرفوعاً « بئس الله جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة فبناه آدم ثم أمر بالطواف به وقيل له . أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس » فإنه كما ترى من مفردات ابن أبي حنيفة وهو ضعيف . والأشبه والله أعلم أن يكون هذا موقوفاً على عبد الله بن عمرو ، ويكون من الزامتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب

وقوله تعالى (الذي ببكة) بكة من أسماء مكة على التشهور قبل هجرت بلذك لأنها بئس الله الجبارة بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل : لأن الناس يتباكون فيها أي يذبحون . قال قتادة . إن الله بك به الناس جميعاً فعلى النساء أمم الرجال ولا يفضل ذلك يهبطها وكذا يرى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان . وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال . مكة من الحج إلى التميم ، وبكة من البيت إلى البطحاء وقال شعبة عن القنبر عن إبراهيم : بكة البيت والمسجد وكذا قال الزهري . وقال عكرمة في رواية وميمون بن مهران : البيت وما حوله بكة ، وما وراء ذلك مكة . وقال أبو مالك وأبو صالح وإبراهيم النخعي وعطية العوفي ومقاتل بن حيان بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة وقد ذكرنا لمكة أسماء كثيرة ، مكة ، وبكة ، والبيت الشريف والبيت الحرام ، والبلد الأمين ، واللأخون ، وأم رحم ^(٣) ، وأم القرى ، وسلاخ ، والعرش على وزن بدر ، والقدس لأنها تطهر من الذنوب ، والقدسة ، والثالثة بالثون وبالباء أيضاً والباسة والحاجلة ، والرأس ، وكوثاء والبلدة ، والبنية ، والكعبة

وقوله تعالى (فيه آيات بيّنات) أي دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم ، وأن الله عظمه وشرفه ثم قال تعالى

(١) في نسخة الأزهر جله وهو الصواب (٢) وفيها كان (٣) وفيها هم

(مقام إبراهيم) يعني الذي لا ارفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولله إسماعيل ، وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه في إمارته إلى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ولا يتوشعون على الصلن عند بعد الطواف . لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عند محبت قال (واخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقد قدمنا الأحاديث في ذلك فأغنى عن إعادته هنا والله الحمد ولله وقال السوفى عن ابن عباس في قوله (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) أى فتمم مقام إبراهيم وللشاعر . وقال مجاهد أثر قدميه في المقام آية بينة ، وكذا روى عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقدامة والسدى ، مقاتل بن حيان وغيرهم . وقال أبو طالب في قصيدته اللامية للشهورة وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد ومحمرو الأودى قالا : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (مقام إبراهيم) قال : الحرم كله مقام إبراهيم ، ولقد حمرو : الحبر كله مقام إبراهيم ، وزوى عن سعيد بن جبير أنه قال : الحج مقام إبراهيم . هكذا رأيت في النسخة ولله الحبر كله مقام إبراهيم . وقد صرح بذلك مجاهد وقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) يعني حرم مكة إذا دخلها الخائف يأمن من كل سوء ، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية كما قال الحسن البصرى وغيره : كان الرجل يقتل فيضغ في عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن القتل فلا يهيج حتى يخرج . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التميمي عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) قال : من طأ بالبيت أعاده البيت ، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى فإذا خرج أخذ بذنيه : وقال الله تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) الآية . وقال تعالى (فليجدوا رب هذا البيت الذي أملمهم من جوع وأمهم من خوف) وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اسطياد صيدها وتفريقه عن أوكاره . وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها ، كما ثبتت في الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوف . في الصحيحين واللفظ لسم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استفرغتم فاضروا » وقال يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا في ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يصد شوكة ، ولا ينقر صيده ، ولا يتلطفت لحته إلا من عرفها ، ولا يخلى خلاها » فقال الناس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم فقال « إلا الإذخر » ولها عن أبي هريرة مثله أو نحوه ولها واللفظ لسم أيضا عن أبي شريح المدنى أنه قال : لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم التدم من يوم الفتح سمته أذنانى ووعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلم به إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمة الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما . أو يصد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لأبي شريح ما قال قال لعمرو ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يصد عصيا ولا فارأ بدم ولا فارأ بحجرة وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة » رواه مسلم . وعن عبد الله بن عدى بن الجراء الزهرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحزرة (١) يسوق مكة يقول « والله إنك خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » رواه الإمام أحمد وهذا لفظه والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وكذلك صح من حديث ابن عباس نحوه . وروى أحمد عن أبي هريرة نحوه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أي حدثنا بشر بن آدم بن بنت أضره السنان حدثنا بشر بن عاصم عن زريق بن مسلم الأعمى مولى بنى غزوم حدثني زياد بن أبي عياش عن يحيى بن جعدة بن هيرة في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا)

قال : آتينا من البار . وفي معنى هذا القول الحديث الذي رواه البيهقي . أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله حدثنا أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن سليمان بن الواسطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا ابن الزُّمَل عن ابن عيص عن عطاء عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا له » ثم قال : فهد به عبدالله بن الزُّمَل وليس بالقوى . وقوله (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) هذه آية وجوب الحج عند الجمهور . وقيل بل هي قوله (وآتوا الحج والصمرة لله) والأول أظهر . وقد وردت الأحاديث المتقدمة بأنه أحد أركان الاسلام ودعاؤه وقواعده ، وأجمع المسلمين على ذلك إجماعا ضروريا وإلما يجب على للكلف في العمر مرة واحدة بالنسب والاجماع . قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الربيع ابن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل أكل عام يارسلو الله ؟ فسكت حتى قالوا ثلاثا فقال رسول الله ﷺ « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال « ذروني ما تركتكم فأنا هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » ورواه مسلم عن زهير ابن حرب عن يزيد بن هرون به نحوه . وقدرى سفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد بن أبي خصمة عن الزهري عن أبي سنان التُّوَلِي وأما يزيد بن أُمَيَّة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج » فقال الأقرع بن حابس فقال : يارسلو الله أفى كل عام ؟ فقال « لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تسألوها ولن تستطيعوا أن تسألوها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، والحاكم من حديث الزهري به ، ورواه شريك عن سفيان عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه . وروى من حديث أسامة بن زيد

وقال الإمام أحمد : حدثنا منصور بن وردان عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن أبيه عن البخري عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) قالوا يارسلو الله في كل عام فسكت قالوا يارسلو الله في كل عام ؟ قال « لا ولو قلت نعم لوجبت » فأذن الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آتوا لتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) وكذا رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث منصور بن وردان به ثم قال الترمذي حسن غريب ، وفيها قال نظر لأن البخاري قال : لم يسمع أبو البخري من علي . وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن أبي عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك قال : قالوا يارسلو الله الحج في كل عام ؟ قال « لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقموا بها ولستم تقوموا بها لتدبتم » . وفي الصحيحين من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر عن سراقه بن مالك قال : يارسلو الله متعتنا هذه لعلنا هذا أم لا ؟ قال « لا . بل لا بد » وفي رواية « بل لا بد الأبدي »

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود من حديث واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لساكني في حجة هذه « ثم ظهور الحصر - يعني ثم الزمان ظهور الحصر - ولا تخرجن من البيوت » وأما الاستطاعة فتأثم تارة يكون الشخص مستطيعا بنفسه وتارة بغيره كما هو مقرر في كتب الأحكام : قال أبو يعيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا إبراهيم بن يزيد قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من الحاج يارسلو الله ؟ قال : « ألتفت انزل » فقال آخر فقال أي الحج أفضل يارسلو الله ؟ قال « الحج والتمتع » فقال آخر فقال : ما السبيل يارسلو الله ؟ قال « التزاد والراحة » وهكذا رواه ابن ماجه من حديث إبراهيم بن يزيد وهو الجوزي . قال الترمذي : ولا يرفعه إلا من حديثه وقد تسكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه كذا قال ههنا وقال في كتاب الحج : هذا حديث حسن لا يشك أن هذا الاسناد رجاله كلهم ثقات سوى الجوزي هذا وقد تسكلموا فيه من أجل هذا الحديث لكن قد تابعه غيره فقال ابن (١) في نسخة الأثر ولم .

أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمر الليثي عن محمد بن عباد
ابن جعفر قال : جلست إلى عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة »
وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمر به . ثم قال ابن أبي حاتم : وقد روى عن ابن
عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والربيع بن أنس وقادة نحو ذلك وقد روى هذا الحديث من
طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة ، ولكن في أسانيدھا مقال كما
هو مقرر في كتاب الأحكام والله أعلم . وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث ، ورواه الحاكم
من حديث قتادة عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله عز وجل (من استطاع
إليه سبيلا) فقيل ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال ابن جرير :
حدثني يعقوب حدثنا ابن علي عن يونس عن الحسن قال : قرأ رسول الله ﷺ (والله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلا) فقالوا : يا رسول الله ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ورواه وكيع في تفسيره عن سفيان عن يونس به .
وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أن أبا ثور عن إسماعيل وهو أبو إسرائيل للثاني عن فضيل بن يونس عن عمرو
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن
أحدكم لا يدري ما يمرض له » . وقال أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الحسن بن عمرو القتيبي عن مهران
ابن أبي صفوان عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أراد الحج فليتبطل » ورواه أبو داود عن مسدد
عن أبي معاوية الضرير به . وقد روى وكيع وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى (من استطاع إليه سبيلا)
قال من ملك ثلثة درهم فقد استطاع إليه سبيلا وعن عكرمة مولاة أنه قال : السبيل الصحة . وروى وكيع بن الجراح
عن أبي جناب يعني السكبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : (من استطاع إليه سبيلا) قال « الزاد والبعر »
وقوله تعالى (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أي ومن جحد فريضة الحج
فقد كفر والله غني عنه . وقال سعيد بن منصور عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال : لما نزلت (ومن يتبع
غير الإسلام بيثا فلن يقبل منه) قالت اليهود : فنحن مسلمون قال الله عز وجل فاختصمهم فوجهي يعني فقال لم النبي
صلى الله عليه وسلم « إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلا » فقالوا : لم يكتب علينا وأبوا أن
يجبوا قال الله تعالى (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه . وقال أبو بكر بن مردويه
حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا مسلم بن إبراهيم وشاذ بن قياض قالوا : حدثنا هلال
أبوهائيم الحراساني حدثنا أبو إسحق الحمداني عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « من ملك زادا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديا أو نصرانيا وذلك بأن الله قال (والله على الناس حج
البيت من استطاع إليه سبيلا » ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم به
وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرة الرازي حدثنا هلال بن القياض حدثنا هلال أبوهائيم الحراساني فذكره
ليسانده مثله ، ورواه الترمذي عن محمد بن علي (١) القطعي عن مسلم بن إبراهيم عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو
ابن مسلم الباهلي به وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال ، وهلال مجهول ، والحارث
يضعف في الحديث . وقال البخاري : هلال هذا منكر الحديث . وقال ابن عدي ، هذا الحديث ليس بمحفوظ . وقد
روى أبو بكر الاسعدي الحافظ من حديث أبي عمرو الأوزاعي حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر حدثني
عبد الرحمن بن غنم (٢) أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو
نصرانيا ، وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضي الله عنه . وروى سعيد بن منصور فيمنه عن الحسن البصري قال : قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد همت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم
يجع فيضربوا عليهم الجزية مام بمسلمين مام بمسلمين

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن عَاسٍ تَبْغُونَهَا حِوَجًا وَأَنتُمْ شَهِدَاءُ مَا اللَّهُ بِنَفْلِهِ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

هذا تنبيه من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله من أراد من أهل الإيمان بجهنم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما جروا به ونهوا به من ذكر النبي الأبي الهادي المرتضى عليه السلام ولآدم. وخاتم الأنبياء ورسول رب الأرض والسماء، وقد توعدهم الله على ذلك، وأخبر بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول للبشر به بالكذب والجحود والناد، فأخبر تعالى أنه ليس بنافل مما يصلون أي وسيجزيهم على ذلك (يوم لا ينفع مال ولا بنون)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيْبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بِدِينِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تَكُنْتُمْ عَلَيَّكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَنَسِيَ بِلِلَّهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

يجدر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يفسدون للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من إرسال رسوله كما قال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم) الآية، وهكذا قال هنا (إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) بين أن الكفر بيمينكم وحاشا لكم أنه فإن آيات الله تنزل على رسوله لا ونهاؤه وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم، وهذا قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا ببره. وقد أخذ ميتافق إن كتب مؤمنين (الآية بشدها. وكما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوماً « أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً ؟ » قالوا : للأنبياء قال « وكيف لا يؤمنون بالله والوحي ينزل عليهم » قالوا : فمن قال « وكيف لا يؤمنون وأنا بين أظهرهم » قالوا : فأي الناس أعجب إيماناً ؟ قال « قوم يحيون من بعدكم يحدون صحفاً يؤمنون بما فيها » وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه في أول شرح البخاري وفي الحمد. ثم قال تعالى (ومن يتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) أي ومع هذا فلا اعتصام بالله والتوكل عليه هو العدة في الهداية، والعدة في مباحة التوابة، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَوْنُوا وَلَا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَعْقَذَ كُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

قال ابن أبي حاتم. حدثنا محمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن سفيان وثقة عن زيد الباهي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (اتقوا الله حق تقاته) قال : أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وهذا إسناده صحيح موقوف، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس ابن عبد الأعلى عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن زيد عن مرة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى » وكذا رواه الحاكم في مستدرکه من حديث مسمر عن زيد عن مرة عن ابن مسعود مرفوعاً فذكره ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا

قال . والأظهر أنه موقوف والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم . وروى نحوه عن مرة الهمداني والريعي بن خيثم وعمرو ابن ميمون وإبراهيم النخعي وطائوس والحسن وقتادة وأبي سنان والسدي نحوه ذلك . وروى عن أنس أنه قال لا يلقى الله العبد حتى تقاته حتى يغزى لسانه . وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية . والريعي بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) قال : لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وقوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أي حافظوا على الإسلام في حال صحبكم وسلامتكم لتبوتوا عليه فان الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بئس عليه فيأذا بالله من خلاف ذلك

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا شعبة قال سمعت سليمان بن جهماد : إن الناس كانوا يطوفون بالبيت وإن ابن عباس جالس معه محبين فقال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولو أن قطرة من الرزق قطرت في دار الدنيا لأفندت على أهل الدنيا معاشهم ^(١) فكيف بمن ليس له طعام إلا الرزق » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي حسن صحيح : وقال الحاكم : على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عدي بن الكعبة عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه ميتته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه »

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته ثلاث « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » ورواه مسلم من طريق الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لجة حدثنا يونس عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله قال أنا عند ظن عبدي بي ، فإن ظن لي خيراً فله ، وإن ظن لي شراً فله » وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله أنا عند ظن عبدي بي »

وقال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت وأحسبه عن أنس قال : كان رجل من الأنصار مريضاً فجاهه النبي صلى الله عليه وسلم يعود فواقفه في السوق فسلم عليه فقال له « كيف أنت يا فلان » قال : بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان في قلب عبد في هذا للوطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه بما يخاف » ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديثه ثم قال الترمذي غريب ، وكذا رواه بعضهم عن ثابت مراسلاً فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن حكيم بن حزام قال : بايست رسول صلى الله عليه وسلم أن لا آخر إلا قائماً ، وزواه النسائي في سننه عن إسماعيل ابن مسعود عن خاله بن الحارث عن شعبة به وترجم عليه فقال « باب كيف يغفر للرجوع » ثم ساقه مثله قليل معناه أن لا أموت إلا مسلماً ، وقيل : معناه أن لا أخل إلا مقبلاً غير مدبر وهو يرجع إلى الأول

وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) قيل (بحبل الله) أي بهد الله كما قال في الآية بعدها (ضربت عليهم الذلة أينما تحضوا فلا يؤخذوا بالحبل من الله وحبل من الناس) أي بهد وذمة وقيل بحبل من الله يعني القرآن كما في حديث الحارث الأعور عن علي مرفوعاً في صفة القرآن « هو حبل الله المتين وصراطه للستيم »

وقد ورد في ذلك حديث خاص بهذا المعنى قال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري : حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أسباط بن محمد عن عبد الله بن ^(٢) سليمان العزومي عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في نسخة الأثر : لأمرت على أهل الأرض عيشهم (٢) وفيها : أبي سليمان .

« كتاب الله هو جبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »

وروى ابن مردويه عن طريق إبراهيم بن مسلم المجبري عن أبي الأحوس عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن هو جبل الله للتين ، وهو النور للبين ، وهو الشفاء للنافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه » وروى من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك . وقال وكيع حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال : قال عبد الله : إن هذا الصراط محضر الشياطين . يا عبد الله هذا الطريق ، هلم إلى الطريق فاعتصموا بجبل الله فإن جبل الله القرآن

وقوله (ولا تخرفوا) أمرهم بالجماعة ونهائهم عن التفرقة . وقد وردت الأحاديث للتمسك باللهي عن التفرق والأمر بالاعتصام والاتلاف كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بجبل الله جميعا ولا تتفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا : قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال » وقد ضمنت لهم العصمة عند اهتاقهم من الخطأ ، كما وردت تلك الأحاديث للتمسك أيضا . وخيف عليهم الاتراف والاختلاف فقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلية من عذاب النار وهم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثاب الله بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا) إلى آخر الآية ، وهذا السياق في شأن الأوس والحزج فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، وعداوة شديدة وشقاق وإحسان وحول ، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالاسلام فدخل فيه من دخل منهم صاروا إخوانا متحابين بحلال الله ، متواصلين في ذات الله ، متساوين على البر والتقوى قال الله تعالى (هو الذي أبعد بينهم وبينكم وبين المؤمنين) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) إلى آخر الآية وكانوا على شفاخرة من النار بسبب كفرهم فأغذمهم الله منها أن هدام للإيمان . وقد آمن عليهم بذلك رسول الله ﷺ يوم قسم غنائم خيبر فكتب من كتب منهم بما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله فضيلهم فقال « يا محضر الأنصار ألم أجعلكم خلائفا لهذا الذي ، وكنتم متفرقين فأنفسكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ » فكلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن . وقد ذكر محمد بن إسحق بن يسار وغيره : أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والحزج . وذلك أن رجلا من اليهود مريضا من الأوس والحزج فسماه ما هم عليه من الاضاق والألفة فبث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم يث وتلك الحروب فضل فلم يزل ذلك فأبى حتى خبيت قوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى المرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنام فبصل بينهم ويقول « أبعثوا الجاهلية وأنا بين أظهركم » وتلا عليهم هذه الآية فندموا على ما كان منهم واسلموا وقاموا وألوهو السلاح رضى الله عنهم وذكر عكرمة . أن ذلك نزل فيهم حين تاوروا في قضية الإفك والله أعلم

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْغَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَرَكُوا بِغْيَتِهِمْ وَاسْتَفْهَمُوا مِنْ بَدَلِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ • وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رِجْعٍ إِلَى اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ وَمَا اللَّهُ

يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْمُتَّقِينَ * وَفِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

يقول تعالى ولتكن منكم أمة متبعة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون قال الضحاك : هم خاصة الصحابة وخاصة الزواة بيني المجاهدين والملاء . وقال أبو جعفر الباقر قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) ثم قال « الخير اتباع القرآن ، وسنن » رواه ابن مردويه . وللقصود من هذا الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متبعة لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليأمنه . فإن لم يستطع فليقلبه . وذلك أضعف الإيمان » وفي رواية « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي أنبأنا إسمايل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشجلى عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لأمرن بالمعروف ولنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن ييث عليكم عقابا من عنده ثم لدعنه فلا يستجيب لكم » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن أبي عمرو به ، وقال الترمذي حسن والأحاديث في هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتي تفسيرها في أمّا كتبها . ثم قال تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الآية ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم اللمازين في افتراقهم واختلفهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم .

قال الأمام أحمد : حدثنا أبو الفيرة حدثنا صفوان حدثني أزهر بن عبد الله الغفري عن أبي عامر عبد الله بن يحيى قال : حججتا مع معاوية بن أبي سفيان فقاما مكة فقام حين صلى صلاة الظهر فقال : إن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة - وهي الجماعة - وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجاري بهم الأهواء كاتجار الكلب بصاحبه لا يبيح منه عرق ولا مفصل إلا دخله » والله يأمسح العرب لأن لم يهتوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لترككم من الناس أخرى أن لا يقوم به . وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى كلاهما عن أبي الفيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به ، وقد ورد (١) هذا الحديث من طرق

وقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدع والفرقة قاله ابن عباس رضي الله عنهما (فأما الذين أسودت وجوههم أكرهتم بعد إيمانكم) قال الحسن البصري : وهم المناقون (فتدقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وهذا الوصف يمس كل كافر (وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمته الله هم فيها خالدون) يعني الجنة ما كانوا فيها أبدا لا يبنون عنها حولا . وقد قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الربيع بن صبيح وحامد بن سلم عن أبي غالب قال : رأى أبو أمامة رهوبا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة . كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) إلى آخر الآية قلت : لأبي أمامة أنت سمعت من رسول الله ﷺ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعيا - حتى عسبما - ما حدثتكموه ، ثم قال هذا حديث حسن ، وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبي غالب ، وأخرجه أحمد في مسنده عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي غالب بنحوه وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبي ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا . ثم قال تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك) أي هذه آيات الله وحججه وبياناته نتلوها عليك يا محمد (بالحق) أي نكشف ما الأمر عليه في الدنيا

والآخرة (وما الله يريد ظلماً للمالين) أى ليس بنظام لهم بل هو الحاكم ^(١) العدل الذى لا يجهل ، لأنه القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحدا من خلقه ، ولهذا قال تعالى (وله ما فى السموات وما فى الأرض) أى أى الجسد ملك له وعبد له (ولم يزل الله ترجع الأمور) أى هو الحاكم للتصرف فى الدنيا والآخرة

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمَّا الْأَخِلَّاءُ فَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْ آتَوْهُمُ الْمَالَ فَغَالُوا فِيهِ وَمِمَّنْ يُؤَكِّدُ لَهُمْ أَيْمَانَهُمْ فَهُمْ يُبْذَلُونَ﴾

خبر تعالى عن هذه الأمة الحميدة بأنهم خير الأمم فقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان بن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال: «خير الناس الناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام»، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية البوني وعكرمة وعطاء والريبع بن أنس (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يعنى خير الناس للناس: والمعنى أنهم خير الأمم وأضع الناس للناس، ولهذا قال (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سفيان عن عبد الله بن حمزة عن درة بن عبد الله بن أبي حبيب قال: قال «خير الناس أقرام وأنعام وآدم ورجل إلى النبي ﷺ وهو علي بن أبي طالب قال يا رسول الله أى الناس خير؟» قال «خير الناس أقرام وأنعام وآدم بالمعروف وأنعام عن المنكر وأوصاهم لرحم» ورواه أحمد في مسنده والنسائي في سننه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة. والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونها الذين يث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى خارا (فكنوا شهداء على الناس) الآية.

وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه ومستدرک الحاكم من رواية حكيم بن معاوية بن جندب عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « أتم توفون سبعين أمة خيرها وأكرمها على الله عز وجل » وهو حديث مشهور ، وقد حسنه الترمذي . وروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه . وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله وبه الله شرع كامل عظيم لم يسطر به قبله ولا رسول من الرسل . فالعمل على منهاجه وسيله يقوم القليل منه مالا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم فمما كآل الإمام أحمد حديثا لعبد الرحمن حدثنا ابن زهير عن عبد الله بن أبي بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي وهو ابن الحنفية أنه سمع لي بن أبي طالب رضی الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « أعطيت ما لم يطلب أحد من الأنبياء » قلنا يا رسول الله ما هو ؟ قال « نُفرت بالرب ، وأُعطيَت مفااتيح الأرض ، وصيحت أحمد وجبل التراب لي طهورا ، وجعلت أمي خير الأمم » نردبه أحمد من هذا الوجه وإسناده حسن

وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو العلاء الحسن بن نوار حدثنا ليث عن معاوية بن أبي حشيش⁽⁷⁾ عن يزيد بن ميسرة قال سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم وما سمعته يكتبه قلبها ولا ينسها شوق

« إن الله تعالى يقول يا عيسى إني باعتك بسدك أمة إن أصابهم ما يحزنون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلا ، ولا حل ، قال : يارب كيف هذا لهم ولا حل ولا علم ؟ قال أعطيتهم من حلي وعلى »

وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هنا قال الإمام أحمد حدثنا هشام بن القاسم حدثنا السعدي حدثنا بكير بن الأختس عن رجل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلوب رجل واحد ، فاستزده بن فزاذني مع كل واحد سبعين ألفاً » فقال أبو بكر رضي الله عنه : فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ومصيب من خلقت البوادي

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا هشام بن حسان عن القاسم بن مهران عن موسى بن عبيد عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال « إنني أعطاني سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فقال عمر يا رسول الله قبلنا استزده فقال « استزده فأعطاني مع كل ألف سبعين ألفاً » قال عمر قبلنا استزده قال « قد استزده فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً » قال عمر : فهل استزده قال « قد استزده فأعطاني هكذا » وخرج عبد الرحمن ابن أبي بكر بن يديه ، وقال عبد الله وبسط بأبيه وحاشا عبد الله وقال هشام : وهذا من الله لا يدري ما عنده

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو الجهم حدثنا إسحاق بن عمار عن ضمضم بن زرعة قال : قال شرح بن عبيدة : مرض ثوبان بمصر ، وعليها عبد الله بن قرط الأزدي فلم يدره فدخل على ثوبان رجل من السكاعين عائداً له فقال له ثوبان : أتكتب ؟ قال : نعم قال أكتب فكتب للأمر عبد الله بن قرط من ثوبان مولى رسول الله ﷺ . أما بعد فإنه لو كان لوسى وعيسى عليهما السلام بحضرتك خادم لعدته ، ثم طوى الكتاب وقال له : أئمنه إياه ؟ قال نعم فأنطلق الرجل بكتابه فذهبه إلى ابن قرط فداراه قام فزاعا فقال الناس ماشاً أنه أحدث أمر : فأتى ثوبان فدخل عليه فصاده وجلس عنده ساعة ثم قام فأخذ ثوبان بردائه وقال : اجلس حتى أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول « ليدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً لأحساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً » تخبره أجد من هذا الوجه ، وإستاد رجاله كلهم قتات شاميون محمسون فهو حديث صحيح والله الحمد ولله

(طريق أخرى) قال الطبراني حدثنا عمرو بن إسحاق بن زريق الحمصي حدثنا محمد بن إسحاق بن عمار عن أبي عبيد عن شرح بن زرعة عن شرح بن عبيد عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنني عز وجل وعدني من أمي سبعين ألفاً لأحسابون ، مع كل ألف سبعون ألفاً » هذا له هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الرحبي بن شرح بن زرعة وثوبان والله أعلم

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم غدونا إليه فقال « عرضت على الأنبياء اللية بأعماها ، فحمل النبي يمر ومعه الثلاثة والتي ومعه الصابة ، والتي ومعه النفر ، والتي وليس معه أحد ، حتى مر على موسى عليه السلام ومعه كتيبة من بني إسرائيل فأعجبوني فقلت من هؤلاء ؟ قيل : هذا أخوك موسى ومعه بنو إسرائيل قلت : فأين أمي ؟ فقبل انظر عن عيني فظفرت فإذا الضراب ^(١) قد سد بوجوه الرجال قبيلي أرضيت فقلت . رضيت يارب - قال فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فقال النبي ﷺ « فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفاً فأقول أني أقصرتم فكونوا من أهل الضراب » فان قصرتم فكونوا من أهل الألف فأتى قدرأيت ثم أناسا يتهاوشون » قام عكاشة بن حصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم أمي من السبعين قدعاه ، قام رجل آخر فقال ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال ثم تخذنا فقلنا من نرون هؤلاء السبعين الألف ؟ قوم ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا فبلغ ذلك النبي ﷺ قال « هم الذين لا يسترقون . ولا يكونون ولا يطفرون ، وعلى ربهم يتوكلون » هكذا رواه أحمد بهذا السند وهذا السياق ، ورواه أيضا عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة بإسناده مثله وزاد به قوله « رضيت يارب ، رضيت يارب قال : رضيت . قلت نعم قال : انظر عن يسارك

(١) قوله فإذا الضراب مكاننا في اللذين وفي نسخة في موضع الضراب بالطاء وحرو .

قال - فنظرت فإذا الأنبياء قد سد بوجوه الرجال فقال : رضيت قلت : رضيت وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه ، فخر به أحمد ولم يخرجوه

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد بن عاصم عن زرعة بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « عرضت على الأمم بالوهم فرائت على أمي ، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وحبهم ، قد ملؤا السهل والجبل فقال أرضيت يا محمد ؟ قلت : نعم قال : فان مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بنير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتكفلون » قال عكاشة بن حصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « أنت منهم » فقام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » رواه الحافظ الضياء المقدسي وقال : هذا عندي على شرط مسلم . (حديث آخر) قال الطبراني حدثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا محمد بن أبي عدي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً بنير حساب ولا عذاب » قيل : من هم ، قال « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكونون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتكفلون » ورواه مسلم بن طريق هشام بن حسان وعنده ذكر عكاشة

(حديث آخر) ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل الجنة من أمي زمرة وهم سبعون ألفاً قضى وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » قال أبو هريرة : فقام عكاشة بن حصن الأسدي يرفع نخرة عليه فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال مثله فقال « سبقك بها عكاشة »

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان عن أبي حازم عن السهلي بن سعد أن النبي ﷺ قال « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً — أو سبعمائة ألف — أخذ بعضهم بيض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » أخرجه البخاري ومسلم جميعاً عن قتيبة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل به .

(حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام بن أبيان عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أياكم رأى الكوكب الذي انقض الباربة ، قلت أنا ثم قلت أما إنى لم أكن في صلاة ولكنني لدغت قال فما صنعت ، قلت استرقيت قال فما حملك على ذلك قلت حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم الشعبي قلت حدثنا عن بريدة بن الحبيب الأسلمي أنه قال « لارقية إلا من عين أوحية » قال فدا حسن من انتهى إلى مسمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيب والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد . إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمي ؟ فقيل لي هذا موسى وقومه . ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم . فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمناك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بنير حساب ولا عذاب » ثم نهض فدخل منزله فحاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بنير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فظلمهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فظلمهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يركبوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما الذي تخوضون فيه ؟ » فأخبروه فقال « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكونون ولا يتطيرون . وعلى ربهم يتكفلون » فقام عكاشة بن حصن فقال ادع الله أن يجعلني منهم « قال أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم قال « سبقك بها عكاشة » وأخرجه البخاري عن أسيد بن زيد عن هشام وليس عنده : لا يرقون .

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا روح بن عباد حدثنا بن جرير أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثاً وفيه « تتجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر لا يحاسنون ثم الذين

يولهم كانوا نعيم في السماء » ثم كذلك وذكر قبته ، رواه مسلم من حديث روح غير أنه لم يذكر النبي ﷺ
(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنن له حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن
عياض عن محمد بن زياد سمعت أبا أمامة الباهلي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدني ربّي أن يدخل
الجنة من أمّتي سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً لأحساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حيات من حيات ربّي عز
وجل ، وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياض به ، وهذا إسناد جيد
(طريق أخرى) عن أبي أمامة . قال ابن أبي عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو
عن سلم بن عامر عن أبي الحنان المحروى واسمه عامر بن عبد الله بن عجي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال « إن الله
وعدني أن يدخل الجنة من أمّتي سبعين ألفاً بغير حساب » فقال يزيد بن الأختس ، والله ما أولئك في أمّتك يا رسول
الله إلا مثل الباب الأصهب في الذباب قال رسول الله ﷺ « فإن الله وعدني سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ،
وزادني ثلاث حيات » وهذا أيضاً إسناد حسن

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن خليد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زين بن
سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ « إن ربّي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمّتي سبعين ألفاً بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً
ثم يحقّ ربّي عز وجل بكتفه ثلاث حيات » فكبر عمر وقال : إن السبعين الأول يشفعهم الله في آياتهم وأبنائهم
وعشيرتهم وأرجو أن يعملني الله في إحدى الحيات الأواخر . قال الحافظ الضياء أبو عبد الله القندسي في كتابه صفة الجنة :
لا أعلم لهذا الإسناد علة والله أعلم

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام بن عمار عن أبي الهيثم عن أبي كثير عن
هلال بن أبي ميمونة حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعه الجهني حدثه قال : أتينا مع رسول الله ﷺ حتى إذا
كنا بالكندية — أو قال بقليد — فذكر حديثاً وفيه ثم قال « وعدني ربّي عز وجل أن يدخل الجنة من
أمّتي سبعين ألفاً بغير حساب ، وإنّي لأرجو أن لا يدخلوها حتى يثبوا أتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن
في الجنة » قال الضياء : وهذا عندى على شرط مسلم

(حديث آخر) قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ
« إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمّتي أربع مائة ألف » قال أبو بكر رضي الله عنه . زدنا يا رسول الله قال « والله هكذا »
قال معمر حبك يا أبا بكر قال أبو بكر : دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا . قال عمر : إن الله (١) إن شاء أدخل خلقه
الجنة بكف واحد فقال النبي ﷺ « صدق عمر » هذا الحديث بهذا الإسناد خرد به عبد الرزاق . قال الضياء
وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني قال : حدثنا محمد بن أحمد بن محمد حدثنا إبراهيم بن الهيثم البجلي حدثنا
سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال « وعدني ربّي أن يدخل الجنة من أمّتي
مائة ألف » فقال له أبو بكر يا رسول الله زدنا قال « وهكذا » وأشار سليمان بن حرب بيده كليلك قلت يا رسول الله
زدنا فقال عمر : إن الله قادر على أن يدخل الناس الجنة حفنة واحدة ، قال رسول الله ﷺ « صدق عمر » هذا حديث
غريب من هذا الوجه . وأبو هلال اسمه محمد بن مسلم الراسبي يصرى

(طريق أخرى) عن أنس . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن بكر حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي
حدثنا حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال « يدخل الجنة من أمّتي سبعون ألفاً » قالوا زدنا يا رسول الله قال « لكل
رجل سبعون ألفاً » قالوا زدنا وكان على كتيب فقالوا : فقال « هكذا » وحاشا يده فقالوا يا رسول الله أبعد الله من دخل النار
بمد هذا وهذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، ماعدا عبد القاهر بن السري ، وقد سئل عنه ابن عثيمين . فقال صالح .

(حديث آخر) روى الطبراني من حديث قتادة عن أبي بكر بن عمر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله وعدني أن يدخل من أمي ثمانية ألف الجنة بغير حساب» فقال عمر : يا رسول الله زدنا فقال وهكذا يده فقال عمر يا رسول الله زدنا فقال عمر : حسبك إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة مئة وعشرة وأربعة ، قال نبي الله ﷺ : «صدق عمر» (حديث آخر) قال الطبراني حدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن سلام قول حدثني عبد الله بن عمر أن قيسا السكدي حدثه أن أبا سعيد الأعمري حدثه أن رسول الله ﷺ قال «إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا بغير حساب ويشفع كل ألف لبعين ألفا ، ثم عني ربي ثلاث حبات بكفيه» كذا قال قيس قلت لأبي سعيد آتت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بأذن ووعاء قلبي قال أبو سعيد قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم «وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمي ويوفى الله بعبته من أعبائها» وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده مثله وزاد : قال أبو سعيد ، فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعين ألفا (حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا هشام بن مرثد الطبراني حدثنا محمد بن إسحاق بن عمار حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك قال : قال رسول الله ﷺ «أما والذي نفس محمد بيده ليعين منكم يوم القيامة إلى الجنة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض بقول الثلاثة لحاجهم مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء» وهذا إسناد حسن

(حديث آخر (١)) من الأجداد الله على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل ، وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة : قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا أنه سمع النبي ﷺ يقول «إني لأرجو أن يكون من يبعثني من أمي يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال : فكبرنا ، ثم قال : «أرجو أن يكونوا ثلث الناس» قال : فكبرنا ثم قال : «أرجو أن يكونوا الشطر» وهكذا رواه عن روح عن ابن جريج به وهو على شرط مسلم. وثبت في الصحيحين من حديث أبي إسحق السبيعي عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبرنا ثم قال «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا ، ثم قال «إني لأرجو أن تكونوا عطر أهل الجنة»

(طريق أخرى) عن ابن مسعود : قال الطبراني حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا عاصم بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني الحارث بن حصين حدثني القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «كيف أتور ربع الجنة لكم ولست الناس ثلاثة أرباعها» قالوا الله ورسوله أعلم قال «كيف أتور وثلاثها» قالوا : ذلك أكثر قال «كيف أتور والشطر لكم» قالوا ذلك أكثر فقال رسول الله ﷺ «أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا» قال الطبراني . فخره الحارث بن حصين

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا ضرار بن مرة أبو سنان الشيباني عن محارب بن دثار عن ابن مبردة عن أبيه أن النبي ﷺ قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف . هذه الأمت من ذلك ثمانون صفا» وكذا رواه عن عثمان عن عبد العزيز به ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان به وقال : هذا حديث حسن ، ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن مبردة عن أبيه به

(حديث آخر) روى الطبراني من حديث سليمان بن عبد الرحمن التميمي حدثنا خالد بن يزيد البجلي حدثنا سليمان ابن علي ابن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من أمي» فخره خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه ابن عدي .

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا موسى بن غيلان حدثنا هاشم بن عجله حدثنا

عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبيه عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثمة من الأولين وثمة من الآخرين) قال رسول الله ﷺ : « أتم ربع أهل الجنة ، أتم ثلث أهل الجنة ، أتم نصف أهل الجنة ، أتم ثلث أهل الجنة »

وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر بن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة . يد أيهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيتهم من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه الناس لنا فيه تبع غدا للهود وللنصارى بعد غد » رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا بنحوه ، ورواه مسلم أيضا من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة » وذكر تمام الحديث (حديث آخر) روى المارقلنى فى الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن السيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمي » ثم قال : اشهد به ابن عقيل عن الزهرى ، ولم يرو عنه سواه ، وقدر به زهير بن محمد عن ابن عقيل ، وقدر به عمرو بن أبى سلمة عن زهير . وقدرناه أبو أحمد بن عدى الحافظ فقال : حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحق حدثنا أبو بكر الأغبى بن محمد بن أبي غياث حدثنا أبو خضف التنيسي حدثنا صدقة التمشقى عن زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى . ورواه التلميذ حدثنا أبو عباس المجلدى أنبأنا أبو يوسف عبد الملك بن محمد أنبأنا أحمد ابن عيسى التنيسي حدثنا عمرو بن سلمة حدثنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد بن عقيل به

فهذه الأحاديث فى معنى قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فمن انصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم فى هذا الدرع^(١) كما قال قتادة : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حجة جها رأى من الناس دعة فقرأ هذه الآية (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ثم قال من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها . رواه ابن جرير ، ومن لم ينصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين نهى الله بقوله تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الآية : ولهذا لا منح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع فبهم أهل الكتاب وأتباعهم فقال تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) أى بما أنزل على محمد (لكان خيرا لهم ، منهم للؤمنون) أى أكثرهم القاسقون (أى قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إلهم وما أنزل إلهم ، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والفساد)

ثم قال تعالى يخبرنا عباده للؤمنين ومبشرا لهم أن النصر والتظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة للجددين فقال تعالى (لن يضرركم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) هكذا وقع فإنهم يوم خير أمة أخرجهم الله وأرغم أنوفهم وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بنى قريظة وبنى النضير وبنى قريظة كلهم أذلهم الله ، وكذلك النصارى بالشام كسرم الصحابة فى غير ماموطن وسليوم ملك الشام أبدا الأبدى ودهر الباهرين ، ولا تزال عصاية الاسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى بن مريم وهم كذلك ، ويحكم بعة الاسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الاسلام . ثم قال تعالى (ضربت عليهم البلة أينما تفهوا إلا بحيل من الله وحيل من الناس) أى ألهمهم الله البلة والنصار أينما كانوا فلا يأمنون (إلا بحيل من الله) أى بلمة من الله وهو عقد السنغم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الله (وحيل من الناس) أى أمان منهم لهم كما فى لاهان وللماهد والأسير إذا آمنه واحد من المسلمين ولوامراء ، وكلما عبد على أحد قولى العلماء قال ابن عباس (إلا بحيل من الله وحيل من الناس) أى يهدى من الله وعهد من الناس ، وكذلك قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وثقادة والسدى والربيع بن أنس . وقوله (وادوا بنصب من الله) أى ألهموا : فالتزموا بنصب من الله وهم يستحقونه (وضربت عليهم للسكنة) أى ألهموها قدرا وشرطا . ولهذا قال (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق) أى إنما حملهم على ذلك الكبر والبنى والحد فأنصهم ذلك الله والنصارى والسكنة أبدا متصلا بذل الآخرة ثم قال تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا

يبتدون) اي انما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله ، وقضوا اليك لانهم كانوا يكفرون الصبيان لأوامر الله والفتيان لمعاضى الله والاعتداء على شرع الله ، فهاذا بالله من ذلك ، والله عز وجل للسمان . قال ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن سلمان الأعشى عن ابراهيم عن أبي معمر الأزدي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلثائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار

﴿ لَبَسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَأَنَاءَ اللَّيْلِ هُمْ يَسْجُدُونَ • يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي اتِّعَابَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ • وَمَا يَتَّبِعُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ • إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

قال ابن أبي نجیح : زعم الحسن بن أبي يزيد العجلي عن ابن مسعود في قوله تعالى (ليسوا من أهل الكتاب أمة قائمة) قال : لا يتسوى أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ ، وهكذا قال السدي . ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا ابو النضر وحسن بن موسى قال : حدثنا شيبان عن عاصم بن زرعة عن ابن مسعود قال : أخر رسول الله ﷺ صلاة المشاة ثم خرج إلى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال « أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم » قال فزلبت هذه الآيات (ليسوا من أهل الكتاب - إلى قوله - والله عليم بالمتقين) والشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحق وغيره ، ورواه العوفي عن ابن عباس - أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أجبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم أي لا يتسوى من تقدم ذكرهم بالله من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى (ليسوا سواء) أي ليسوا كلهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة) أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة بنبي الله فهي قائمة بيني مستقيمة (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) أي يقيمون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خضعن لله) الآية ، ولهذا قال تعالى ههنا (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أو فر الجزاء (والله عليم بالمتقين) أي لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا ثم قال تعالى خبراً عن الكفرة للشركين بأنه (لن تفي عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) أي لا نرد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أرادهم (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار في هذه الدار قاله مجاهد والحسن والسدي فقال تعالى (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح في يوم) أي برشد بديد قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والنسائي والريعي بن أنس وغيرهم . وقال عطاء : برود جليل : فوعن ابن عباس أيضاً ومجاهد (فيها صر) أي نار وهو يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد ولاسيما الجليل يحرق الزروع والنار كما يحرق الشيء بالنار (أصابت حرت قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) أي فأحرقته بيني بذلك السفة إذا نزلت على حرت قد آن جذاه أو حساده فدمره وأعادت مافيه من ثم أوزرع فذهب به وأفسدته فسلمه صاحبه أحوج ما كان إليه . وكذلك فكذلك الكفار يحرق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا ونحرها كما يذهب ثمرة هذا الحرت بذنوب صاحبه . وكذلك

هؤلاء ينوها على غير أصل وعلى غير أساس (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِلَانَةِ مَنْ دُونَكُمْ خِيَالًا وَلَا يَأْلُوَكُمْ خِيَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَةُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْثَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَٰئِنْتُمْ أُولَٰءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا عَصَاكُمْ عَلَيْهِمُ الْأَمَلُ مِنَ الْعَظِيمِ قُلْ مُؤْتُوا بَيْنَكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِدَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَسْتَكْسِمُوا حَسَنَةَ تَسْوِمِهِمْ وَإِنْ تَصِيحِبْكُمْ سَيِّئَةُ يَغْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حَيْثُ يَكُونُونَ﴾

يقول تبارك وتعالى ناهيا عبادهم المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أى يطلعونهم على سرائرهم وما يضرهم ولا أعدائهم والمنافقون بمجدهم وطاقهم لا يألوون المؤمنين خيالا أى يسمون فى مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن ، وبما يستطيعون من المكر والجدية ؛ ويودون ما يعتد المؤمنين وعرجهم ويشق عليهم وقوله تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم) أى من غيركم من أهل الأديان وبطانة الرجل هم خاصة أهل الدين يطلعون على داخل أمره . وقد روى البخارى والنسائى وغيرهما من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبى عتيق عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ما بث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانان : بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه ؛ والصوم من عصمه (١) » وقد رواه الأوزاعى ومعاوية بن سلام عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعا بنحوه ؛ فيجمل أن عند الزهرى عن أبى سلمة عنهما وأخرجه النسائى عن الزهرى أيضا ؛ وعلقه البخارى فى صحيحه فقال : وقال عبيد الله بن أبى جعفر عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة عن أبى أيوب الأنصارى مرفوعا فذكره ، فيجمل أنه عند أبى سلمة عن ثلاثة من الصحابة والله أعلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو أيوب محمد بن الزمان حدثنا عيسى بن يونس عن أبى حيان التميمى عن أبى الزناد عن ابن أبى الهيثم قال : قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إن ههنا غلاما من أهل الحيرة حافظ كتاب فلو أخذته كاتبنا فقال : قد أخذت إذا بطانة من دون المؤمنين . ففى هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الامة لا يجوز استمالهم فى الكتابة التى فيها استطلاع على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التى يخشى أن يشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ؛ ولهذا قال تعالى (لا يألوكم خيالا ودوا ما عنتكم) وقال الحافظ : أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسرائيل حدثنا هشيم حدثنا الومام عن الأزهري بن راشد قال : كانوا يأتون أنسا فاذن حديثهم يحدث لا يدرون ماهو أتوا الحسن بنى البصرى فيفسره لهم قال : فحدث ذات يوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تستشيروا بنار المشركين ولا تتشاوروا فى خواتيمكم عريا » فلم يدروا ماهو ؟ فأتوا الحسن فقالوا له : إن أنسا حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تستشيروا بنار المشركين ولا تتشاوروا فى خواتيمكم عريا » فقال الحسن : أما قوله « لا تتشاوروا فى خواتيمكم عريا » محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وأما قوله « لا تستشيروا بنار المشركين » يقول لا تستشيروا المشركين فى أموركم . ثم قال الحسن . تصديق ذلك فى كتاب الله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله تعالى ؛ وقد رواه النسائى عن مجاهد بن موسى عن هشيم ؛ ورواه الإمام أحمد عن هشيم بإسناده مثله من غير ذكر تخيير الحسن البصرى ؛ وهذا التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر « لا تتشاوروا فى خواتيمكم عريا » أى بخط عربى ثلاثا يشابه نفس خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان نقشه محمد رسول الله ؛ ولهذا جاء فى الحديث الصحيح أنه نهى أن ينقش أحد على نفسه . وأما الاستشارة بنار المشركين لغناه لا تضرهم فى النازل بحيث تكونون معهم فى بلادهم بل يتاعدوا منهم وهاجروا من بلادهم ، ولهذا

روى أبو داود « لاترأى نارها » وفي الحديث الآخر « من جامع الشرك أوسكن معه فهو مثله » فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله والاستعداد عليه بالآية فيه نظر والله أعلم .

ثم قال تعالى (قد بدت البضياء من أنفوسهم وما تخفى صدورهم أكبر) أى قد لاح على صفحات وجوههم وفلتات الستم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البضياء للإسلام وأهله ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل ولهذا قال تعالى (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) وقوله تعالى (ها أنتم أولاد تحبونهم ولا يحبونكم) أى أنتم أيها المؤمنون تحبون النافقين بما يظهرون لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا باطنا ولا ظاهراً (وتؤمنون بالكتاب كله) أى ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب وهم عندكم بالشك والريب والحيرة . وقال محمد بن إسحق جديفى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بكتابه وكتابه وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابه فأنتم أحق بالبضياء لهم منهم لكم رواه ابن جرير (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) والأنامل أطراف الأصابع ، قاله قتادة وقال الشاعر .

● وما حملت كفاى أعلى الشرا ●

وقال ابن مسعود والسدى والربيع بن أنس : الأنامل الأصابع ، وهذا شأن النافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه كما قال تعالى (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وذلك أشد الغيظ والحقق قال الله تعالى (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) أى مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين وبغيظكم ذلك منهم فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ، ومكمل كفته ومظهر دينه ، فموتوا أنتم بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) أى هو عليم بما تنطوى عليه خباياكم وتكنه سرايركم من البضياء والحسد والقتل للمؤمنين وهو عازبككم عليه في الدنيا بأن يريك خلاف ما تأملون ، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التى أنتم خائفون فيها لا عهد لكم عنها ، ولا خروج لكم منها . ثم قال تعالى (إن تحسبوا حسنة تسوهم وإن تصبوا حسنة فمحوها بها) وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم ساء ذلك النافقين ، وإن أصاب المسلمين سنة أى جذب أو أديل عليهم الأعداء ، لما لله تعالى في ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد - فرح النافقون بذلك قال الله تعالى غاشيا للمؤمنين (وإن تصبروا وتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) الآية يرشدكم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الشجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به . وهو الذى ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن . ولا يقع في الوجود شيء إلا بقديره ومشيئته ومن توكل عليه كفاه

ثم شرع تعالى في ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده للمؤمنين . والتمييز بين المؤمنين والنافقين ويان الصابرين (١) فقال تعالى .

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَتَقْوُونَ * فَاذْكُرُوا اللَّهَ لَكُمْ كُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

المراد بهذه الروعة يوم أحد عند الجمهور قاله ابن عباس والحسن وقاتلة والسدى وغير واحد . وعن الحسن البصرى المراد بذلك يوم الأحزاب . ورواه ابن جرير . وهو غريب لا يمول عليه . وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال السنة ثلاث من الهجرة . قال قتادة . لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال . وقال عكرمة . يوم السبت لتصف من شوال فالتقى علم وكان سببا أن المشركين حين قتل من قتلهم من أشرافهم يوم بدر وسلبت العير بما فيها من التجارة التى كانت مع أنيسيان (٢) قال

(١) في نسخة الأزهر : صبر الصابرين (٢) وفيها نظار رجب قلم .

أبناء من قتل رؤسًا من بني لبي سفيان ارسد هذه الأموال لقتال محمد فأقتوها في ذلك فجمعوا الجوع والأحياش وأقبلوا في نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريبا من أحد لقاء المدينة فصرى رسول الله ﷺ يوم الجمعة ففرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو واستشار رسول الله ﷺ الناس « أخرج إليهم أم بكت بالدينة » فأشار عبدالله بن أبي بلقاس بالمدينة فان أقاموا أقاموا بجر محبس وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورمم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجوا رجوا خائين . وأشار آخرون من أصحابه بمن لم يشهد بدرا بالخروج إليهم فدخل رسول الله ﷺ قلبس لأمته وخرج عليهم ، وقد ندم بعضهم وقالوا لعنا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن شئت أن نعتك ، فقال رسول الله ﷺ « ما ينبغي لبي إذا ليس لأمته أن يرجع حتى يحكم الله له » فسار رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه فلما كانوا بالشوط رجع عبد الله بن أبي ثلث الجيش غضبا لكونه لم يرجع إلى قوله وقال هو وأصحابه : لو نل اليوم قتالا لاتبناكم ولكننا لا نراكم هاتلون . واستمر رسول الله ﷺ سائرا حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي . وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال « لا يقاتل أحد حتى تأمره بالقتال » وتبأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه . وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو ابن عوف . والرماة يومئذ خمسون رجلا فقال لهم « انضحوا الخيل عنا ولا تؤثبن من قبلكم واترموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتونا تحفظنا الطير فلا ترحوا مكانكم » وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبيد الدار . وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض القليان يومئذ وآخر آخرين حتى أمضاهم يوم الحندق بعد هذا اليوم بقرب من ستين وثبأ قريش وهم ثلاثة آلاف . ومهم مائة فرس قد جنبوها فجهلوا على ميمنة الحيل خالد بن الوليد . وعلى اليسرة عكرمة بن أبي جهل ودفعوا اللواء إلى بني عبد الدار ثم كان بين الفريقين مسابىء تفصيله في موضعه ^(١) إن شاء الله تعالى . ولما قال تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) أي تزلهم منازلهم وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم (والله صميع علم) أي صميع لما يقولون علم يضاهركم وقد أورد ابن جرير هنا سؤالا حاصلا كيف يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد قال الله تعالى (وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) الآية ثم كان جوابه عنه أن غدوه ليؤامهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار . وقوله تعالى (إذ همث طلائعنا منكم أن تفتشلا) الآية قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال : قال عمر سمعت جابر بن عبد الله يقول : فينا نزلت (إذ همث طلائعنا منكم أن تفتشلا) الآية قال نحن الطلائع بنو حارثة وبنو سلمة وما نجب . وقال سفيان مرة - وما يسرى أنها لم تنزل لقوله تعالى (والله وليها) وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وكذا قال غير واحد من السلف إنهم بنو حارثة وبنو سلمة . وقوله تعالى (ولقد نصركم الله يدر) أي يوم بدر ، وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنين من الهجرة وهو يوم القرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ ، فانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، فيهم فارسان وسبعمائة وباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه . وكان العدو يومئذ ما بين التسعة إلى الألف في سوانح الحديد والبيض والدة الكساسة والحيول للسومة والخي الرائد ، فأعز الله رسوله وأظهر وجهه وتزيهه وبيض وجه النبي وقيله وأخرى الشيطان وجهه ، ولما قال تعالى يمينا على عبادة المؤمنين وحزبه المؤمنين (ولقد نصركم الله يدر) وأنتم أثلة) أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكرة العدو والبدد ولما قال تعالى في الآية الأخرى (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تفتح عكم شيئا - إلى - غفور رحيم) . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سفيان قال : سمعت عياضا الأشعري قال شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء أبو عبيدة وزيد بن أبي سفيان وابن حنينة وخالد بن الوليد ، وعياض - وليس عياض هذا الذي حدث سفيان قال : وقال عمر : إذا كان قتالا فتكلم أبو عبيدة ^(٢) قال فتكلمنا إليه أنه قد جأش إلينا اللوت واستمدناه فكذب إلينا أنه قد جأش كتابكم تستمدونني

(١) في نسخة الأزهر عند هذه الآيات . (٢) أي أمير .

وإني أدلكم على من هو أعرى نصراً ، وأحسن جنداً ، الله عز وجل فاستصروه فان محمداً ﷺ قد نصر في يوم بدر في أقل من عتدكم فاذاجاءكم كتابي هذا قاتلوهم ولا تراجعوني قال قاتلناهم فهزمنهم أربع فراعش قال : وأصبنا أموالاً فتشاورنا فأشار علينا عياض أن نطلى عن كل ذي رأس عشرة قال : وقال أبو عبيدة : من يراهنى فقال شاب أنا إن لم تنضب قال : فسبقه فرأيت عقيقتي أني عبيدة يفران وهو خلقه على فرس أعراي . وهذا إسناد صحيح . وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه ، واختاره الحافظ الشافعي للقدسي في كتابه ، وبدر محلة بين مكة والمدينة تعرف بيئها منسوبة إلى رجل خرها يقال له بدر بن النارين ، قال الشعبي : بدر يثر لرجل يسمى بدرأ : وقوله (فاقوا الله لعلكم تنكرون) أي تهومون بطاعته

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِمٍ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوْسِينَ * وَبَايَعَهُ اللَّهُ إِلَّا بِشَرْئٍ لَكُمْ وَتَلَطُّعِينَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَتَا النَّصْرَ الْأَمِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَقًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ فَأَيُّهَا ظَالِمُونَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

اختلف للسرور في هذا الوعد هل كان يوم بدر أو يوم أحد ؟ على قولين (أحدهما) أن قوله (إذ يقول المؤمنون) متعلق بقوله (ولقد نصركم الله بدر) وهذا عن الحسن البصري وعامر الشعبي والريبع بن أنس وغيرهم واختاره ابن جرير قال عباد بن منصور عن الحسن في قوله (إذ يقول المؤمنون) أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) قال : هذا يوم بدر ، رواه ابن أبي حاتم . ثم قال : حدثنا أي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا داود عن عامر بن شعيب الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كر بن جابر عدل الشركين نفق ذلك عليهم فأزله الله تعالى (أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلة - إلى قوله - موسمين) قال : فبطلت كرزا الهزيمة فلم يعد الشركين ولم يعد الله للمسلمين بالخمسة وقال الريبع بن أنس . أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف ، فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله في قصة بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين - إلى قوله - إن الله عزز حكيماً) فالجواب أن التخصيص على الألف هنا لا يناقض الثلاثة الآلاف لما فوقها لقوله (مردفين) بمعنى يردفهم غيرهم ويضمهم ألوف أخر مثلهم . وهذا السياق شيء هذا السياق في سورة آل عمران ، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر والله أعلم . وقال سعيد بن أبي عروبة (١) أمد الله المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف (القول الثاني) إن هذا الوعد متعلق بقوله (وإذ غدت من أهلك تبوء للؤمنين مقاعد لقتال) وذلك يوم أحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهرى وموسى بن عتبة وغيرهم . لكن قالوا لم يحصل الامداد بأخمسة الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ ؟ زاد عكرمة ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى (بل إن تصبروا وتوقوا) فلم يصبروا بل فروا فلم يعدوا بملك واحد . وقوله تعالى (بل إن تصبروا وتوقوا) يعني تصبروا على مصابرة عدوك وتوقوا وتطوى أمرى وقوله تعالى (وإن توكمن فؤرم هذا) قال الحسن وقتادة والريبع والسدي أي من وجههم هذا وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح أي من غضبهم هذا . وقال الضحاك من غضبهم ووجههم . وقال الموفى عن ابن عباس . من سفرهم هذا ، وقال من غضبهم هذا . وقوله تعالى (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة موسمين) أي مسلمين بالسيا وقال أبو إسحق السبيعي عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كان سبأ للملائكة يوم بدر الصوف الأبيض ، وكان سبأهم أيضا في نواصي خيولهم ،

(١) في نسخة الأثر من قتادة (٢) وفيها أمد الله للؤمنين .

رواه ابن أبي حاتم . ثم قال حدثنا أبو زرعة حدثنا هبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية (مسومين) قال : بالهمن الأحمر ، وقال مجاهد : (مسومين) أي مخدقة أعرافها معلقة نواصيا بالوصف الأبيض في أذنان الجبل . وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أتت الملائكة حمدا صلى الله عليه وسلم مسومين بالوصف قسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم ^(١) على سيام بالوصف وقال قتادة وعكرمة (مسومين) أي سبوا القتال : وقال مكحول . مسومين بالهمم . وروى ابن مردويه من حديث عبد القدوس بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ في قوله (مسومين) قال « ملهين » . وكان سبوا الملائكة يوم بدر عمامهم سود ، ويوم حنين عمامهم حمراء ، وروى من حديث حسين ^(٢) بن مخارق عن معبد عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : قال لم تقاتل للملائكة إلا يوم بدر وقال ابن إسحق حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : كان سبوا للملائكة يوم بدر عمامهم بيض قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمامهم حمراء . ولم تضرب للملائكة في يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون عددا ومندا لا يضرهم ، ثم رواه عن الحسن بن عمار عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فذكر نحوه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الأحمسي حدثنا وكيع حدثنا هشام بن عروة عن يحيى بن عباد أن الزبير رضي الله عنه كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتبرا بها قنزات للملائكة عليهم عمام صفراء ، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فذكره . وقوله تعالى (وما جله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به) أي وما أنزل الله للملائكة وأعلمكم بأنزالهم إلا بشارة لكم وتطميناً لقلوبكم وتطمينا ، وإلا فإنما النصر من عند الله الذي لو شاء لاتصم من أعدائه بدونكم ، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم ، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين باقتال (فلك لو يشاء الله لاتصم منهم ولكن ليلو بشكم يمشى والذين قتلوا في سبيل الله قلن يسئل أعمالهم * سيدهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم) ولهذا قال ههنا (وما جله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) أي هو ذو العزة التي لا ترام ، والحكمة في قدره والأحكام ثم قال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا) أي أمرهم بالجهاد والجلاد لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير ولهذا ذكر جميع الأقسام للجنة في الكفار المجاهدين فقال (ليقطع طرفا) أي ليهلك أمة (من الذين كفروا أو يكتبهم فيقيلوا) أي يرجعوا (خالبيين) أي لم يحصلوا على ما أملوا . ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال تعالى (ليس لك من الأمر شيء) أي بل الأمر كله إلى كما قال تعالى (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال محمد بن إسحق في قوله (ليس لك من الأمر شيء) أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فهم ثم ذكر بقية الأقسام فقال (أوتوب عليهم) أي عمامهم فيه من الكفر فيهدىهم بعد الضلالة (أو يهديهم) أي في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ، ولهذا قال (فإنهم ظالمون) أي يستحقون ذلك . وقال البخاري حدثنا حماد بن موسى أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر عن الزهري حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رجع رأسهم من الركوع في الركعة الثانية من الفجر « اللهم المن فلانا وفلانا » بعدما يقول « سمع الله لمن حمده » ربنا ولك الحمد » فأقول الله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) الآية . وهكذا رواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق كلاهما عن معمر بن وهب . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عجيل - قال أحمد . وهو عبد الله بن عجيل صالح الحديث ثقة - حدثنا عمرو بن حمزة عن سالم عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم المن فلانا وفلانا » اللهم المن الحارث بن هشام ، اللهم المن سبيل بن عمرو ، اللهم المن صفوان بن أمية » فنزلت هذه الآية (ليس لك من الأمر شيء) أوتوب عليهم أو يهديهم فإنهم ظالمون) فتب عليهم كلهم : وقال أحمد . حدثنا أبو معاوية العلاءي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا محمد بن عجلان عن نافع عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة قال : فأقول الله (ليس لك من الأمر شيء) إلى آخر الآية قال : وهداهم الله للإسلام : قال البخاري . قال محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان ^(١) في لغة الأزهر : خيلهم ^(٢) وفيها حصن .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على رجال من الشركين يسميهم بأسمائهم حتى أنزل الله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) الآية وقال البخاري أيضاً : حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنيت بعد الركوع وربما قال : إنا قال «سمع الله من حمده ، ربنا ولك الحمد : اللهم أعج الوليد بن الوليد، وسله بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة وللضعفين من المؤمنين . اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلنا عليهم سنين كسفي يوسف » يجهر بذلك . وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر « اللهم المن فلانا وفلانا لأحياء من أحياء العرب حتى أنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية

وقال البخاري : قال حميد وثابت عن أنس بن مالك شخ النبي ﷺ يوم أحد فقال « كيف يفلح قوم شجوا نبياً ؟ » فنزلت (ليس لك من الأمر شيء) وقد أسند هذا الحديث الذي علقه البخاري في صحيحه فقال في غزوة أحد : حدثنا يحيى بن عبد الله السلي أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر « اللهم المن فلانا وفلانا وفلانا » بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية . وعن حنظلة بن أبي سفيان قال : سمعت سالم بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يمدحهم فاتهم ظالمون) هكذا ذكر هذه الرواية البخاري معلقة مرسلة ، وقد خدمت مسندة متصلة في مسند أحمد أختا

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت ربايعته يوم أحد وشج في وجهه حتى سال النهم على وجهه فقال « كيف يفلح قوم ضلوا هذا نبياً وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل » فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يمدحهم فاتهم ظالمون) اقره به مسلم فرواه عن القضي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فذكره

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال : أصيب النبي ﷺ يوم أحد وكسرت ربايعته ، وفرق حاجبه ، فوقع وعليه درعا والدم يسيل من به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول « كيف يقوم ضلوا هذا نبياً وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ؟ » فأنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) الآية وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه ، ولم يقل فأفاق .

ثم قال تعالى (والله ما في السموات وما في الأرض) الآية أي الجميع ملك له ، وأهلها عبيد بين يديه (يفر من ربه وينيب من يشاء) أي هو المتصرف فلا مقب لحكمه ، ولا يستل عما يفعل وهم يسألون والله غفور رحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَهُمْ مَصْفَىٰ وَهُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ وَأَقْرَبُ النَّارِ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ • وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ • وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَعَلُوا عَرْضًا لِّلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْعَاقِبِينَ • الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُلُوبِ الْغَيْظِ وَالْعَاقِبِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ • وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن ثَمَرٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ • أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَن غَفَرَ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَعَلَ تَجَرَّتْهُم مِّن تَحْتِ الْأَنْهَارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافا مضاعفة كما كانوا في الجاهلية يقولون إذا حُلَّ أجل الدين إما أن تقضى وإما أن تربي فإن قضاءه وإلزامه في اللذة وزاده الآخر في القدر وهكذا كل عام فرميا تضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا وأمر تعالى عباده بالتقوى لملمهم يخلصون في الأولى وفي الآخرة ثم توعدهم بالنار وحلّهم منها فقال تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) ثم نذره في الجاهلية إلى فعل الحيرات والسراعة إلى نيل القربات فقال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) أي كما أعدت النار للكافرين وقد قيل إن معنى قوله عرضها السموات والأرض تنبها على اتساع طولها كما قال في صفة فرش الجنة (بطاها من إستبرق) أي لها ظنك بالظواهر وقيل بل عرضها كطولها لأنها فيه تحت العرش والشيء اللقب والمستدير عرضه كطولوه وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح «إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تجزأ أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن» وهذه الآية كقولوه في سورة الحديد (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) الآية وقد روينا في مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ أنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟» وقد رواه ابن جرير فقال حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن أبي خزيمة عن سعيد بن أبي راشد عن يعل بن مرة قال لقيت التنوخى رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بمحضر شيخا كبيرا قد قدس فقال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فتناول الصحيفة رجل عن يساره قال قلت من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا معاوية فإذا كتاب صاحبي. إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض (١) فأين النار قال؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟» وقال الأعمش وسفيان الثوري وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال لهم عمر. رأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار فقالوا لقد نزعتم مثلها من التوراة؟ رواه ابن جرير من ثلاث طرق. ثم قال حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعم حدثنا جعفر بن برقان أنبأنا يزيد بن الأصم: أن رجلا من أهل الكتاب قال: يقولون (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل وقد روى هذا امرؤ القيس فقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا الليث بن سعد أبو هاشم حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم عن حماد بن زيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال. أ رأيت قوله تعالى (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار قال: «أ رأيت الليل إذا جاء ليس كل شيء فأين النهار؟» قال حيث شاء الله قال «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل» وهذا يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكون للنار في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتها الليل إذا جاء النهار أن لا يكون في مكان. وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل، وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البزار (الثاني) أن يكون للنار أن النهار إذا تقضى وجه العالم من هذا الجانب فإن الليل يكون من الجانب الآخر فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال الله عز وجل (كرمض السموات والأرض) والنار في أسفل سافلين فلا تافى بين كونها كرمض السموات والأرض وبين وجود النار والله أعلم

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال (الذين ينفقون في السراء والضراء) أي في الشدة والرخاء والنفقة والمكره والصحة والمرضى وفي جميع الأحوال كما قال (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) والنعى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والالتفاف في مراضيه. والإحسان إلى خلقه من قرباتهم وغيرهم بأنواع البر. وقوله تعالى (والكاظمين الفيت والصابغين عن الناس) أي إذا غار بهم الفيت كظموه بمعنى كتموه فلم يملوه، وعفوا عن ذلك عن أساء إليهم. وقد ورد في بعض الآثار «يقول الله تعالى يا ابن آدم إذا كرتني إذا غضبت، إذا كرتني إذا غضبت فلا أهلك فيمن أهلك»

رواه ابن أبي حاتم . وقد قال أبو بيل في مسنده : حدثنا أبو موسى الزمى حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل
 حدثني الربيع بن سليمان التبري عن أبي عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « من كَفَّ غَضَبَهُ
 كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ وَمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ اعْتَدَلَ إِلَى اللَّهِ قَبَلَ اللَّهُ عَفْوَهُ » وهذا حديث غريب
 وفي إسناده نظر . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة
 رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ (١) وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ »
 وقد رواه الشيخان من حديث مالك : وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي
 عن الحارث بن سويد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَيْكُم
 مَالٌ وَارْتَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ » قالوا : يا رسول الله ما لنا أحب إليه من مال وارتَهُ قال « اَعْلَمُوا
 أَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا مَالٌ وَارْتَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ مَالِكٌ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا مَا قَدِمْتُ وَمَا لَوَارِثُكَ إِلَّا مَا أَخَّرْتُ » قال :
 وقال رسول الله ﷺ « مَا تَصُدُّونَ الصُّرْعَةَ فَيَكُمُ الْغَضَبُ لَتَصْرَعَهُ الرِّجَالُ قَالَ « لَا ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ
 عِنْدَ الْغَضَبِ » قال : وقال رسول الله ﷺ « أَنْتُمْ وَمَا الرُّقُوبُ » قلنا الذي لا ولد له قال « لَا ، وَلَكِنَّ الرُّقُوبَ
 الَّذِي لَا يَدِمُ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا » أخرج البخاري الفصل الأول منه وأخرج مسلم أصل هذا الحديث من رواية الأعمش به
 (حديث آخر) . قال الإمام أحمد . حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبد الله الجمحي يحدث عن أبي حصبة
 أو ابن أبي حصين عن رجل شهد النبي ﷺ يخطب فقال « أَنْتُمْ وَمَا الرُّقُوبُ (٢) » قلنا الذي لا ولد له قال « الرُّقُوبُ
 كُلُّ الرُّقُوبِ الَّذِي لَهُ وَلَدٌ فَتَمَّ مِنْهُمْ شَيْئًا » قال « أَنْتُمْ وَمِنَ الصُّلُوكِ » قالوا الذي ليس له مال فقال النبي ﷺ
 « الصُّلُوكُ كُلُّ الصُّلُوكِ الَّذِي لَهُ مَالٌ فَتَمَّ مِنْهُمْ شَيْئًا » قال : ثم قال النبي ﷺ « مَا الصُّرْعَةُ » ! قالوا :
 الصُّرْعُ الَّذِي لَا تَصْرَعُهُ الرِّجَالُ : فقال ﷺ « الصُّرْعَةُ كُلُّ الصُّرْعَةِ الَّذِي يَغْضِبُ فَيَسْتَدْغِيهِ وَيَجْمُرُ وَجْهَهُ وَيَقْشَعِرُ
 شَعْرَهُ فَيَمْرَعُ غَضَبَهُ » (حديث آخر) : قال الإمام أحمد . حدثنا ابن نمير حدثنا هشام هو ابن عروة عن أبيه عن
 الأحنف بن قيس عن عم له يقال له حارثة بن قدامة السدسي أنه سأله رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله قل لي قولا
 ينفعني وأتقِلُ لِي أَعْيِدَ : فقال رسول الله ﷺ : « لَا تَغْضَبْ » فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى أَمَادَ عَلَيْهِ مَرَارًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ
 « لَا تَغْضَبْ » وهكذا رواه عن أبي معاوية عن هشام به ، ورواه أيضا عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به . أن رجلا قال :
 يا رسول الله قل لي قولا وأتقِلُ لِي أَعْقِلَ : فقال « لَا تَغْضَبْ » الحديث أنشده به أحمد (حديث آخر) قال أحمد حدثنا
 عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رجل
 يا رسول الله أوصني قال : « لَا تَغْضَبْ » قال الزجل . فسكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فلذا غضب
 يجمع الشر كله ، أنشده به أحمد (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي
 الأسود عن أبي الأسود عن أبي ذر رضى الله عنه : قال كان يسقى على حوض له فجاؤ قوم فقالوا : أَيْكُم يورِدُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ
 وَيَحْبِسُ شِعْرَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ ، فقال رجل : أَنُفَاجُءُ فَأَوْدَى عَلَى (٣) الْحَوْضِ فَذَقَهُ ، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَائِمًا فَبَسَّسَ ثُمَّ اضْطَجَعَ فَقِيلَ
 لَهُ ، يَا أَبَا ذَرٍّ لِمَ جَلَسْتَ ثُمَّ اضْطَجَعْتَ : فقال . إِنْ رَسُوهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ
 فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ » ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل بإسناده إلا أنه وقع في روايته
 عن أبي حرب عن أبي ذر والصحيح ابن أبي حرب عن أبيه عن أبي ذر كإرواء عبد الله بن أحمد عن أبيه (حديث آخر)
 قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا أبو وائل الصنعاني قال : كنا جلوسا عند عروة بن محمد إذ دخل عليه رجل
 فكلَّمه بكلام أغضبهُ فلما أن أغضبهُ قام ثم عاد إلينا وقد توسَّأ فقال : حدثني أبي عن جدِّي عطية هو ابن سعد السدسي . وقد
 كانت له صيحة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنْ الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خَلَقَ مِنَ النَّارِ ،
 وَإِنَّمَا تَلْفَأُ النَّارُ بِمَاءٍ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَسَّأْ » وهكذا رواه أبو داود من حديث إبراهيم بن خالد الصنعاني عن أبي وائل
 القاسم للرازي الصنعاني قال أبو داود . أَرَأَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعِيَرٍ (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن

(١) الصُّرْعَةُ بِضَمِّ نَفْعٍ . (٢) فِي لَفْظِ الْأَظْهَرِ : مَا تَصُدُّونَ فَيَكُمُ (٣) وَفِيهَا عَلَيْهِ : (٤) وَفِيهَا : غَضِبَ .

يوكم . ولو لم تدينوا لجاه الله قوم يذنبون كي يفر لهم « قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ » قال « ولجنة ذهب ولينة فضة ، وملأها للسك الأذقر وحسبواها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يأس ؛ وغله لا يموت لا تلبث ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الإمام السائل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم ترحم على التام وتفتح لها أبواب السماء ، وقوله الرب وعزى لأصرتك ولو يبد حين » ورواه الترمذي وابن ماجه من وجه آخر من حديث سمع به . وثنا كذا الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الإمام أحمد بن حنبل حدثنا وكيع حدثنا مسعر وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن زيعة عن أسماء بن الحكم القزاري عن علي رضي الله عنه قال كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا فغنى الله بما شاء منه . وإذا حدثني عنه غيره استقبلته فإذا حلف لي صدقته ؛ وإن أبى بكر رضي الله عنه حدثني وصديق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من رجل يذنب ذنبا فيتوبوا ويحسن الوضوء - قال مسعر - فيصلي - وقال سفيان - ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له » وهكذا رواه بن أبي الدنيا والبيهقي وأبو بكر بن أبي شيبة وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والبخاري والدارقطني من طرق عن عثمان بن المغيرة به ، وقال الترمذي . هو حديث حسن ، وقد ذكرنا طرقا في السلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبالجملة فهو حديث حسن وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خليفة النبي ﷺ أبي بكر رضي الله عنهما ، يوما شهد لصحة هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ما منكم من أحد يتوبوا فيلج - أو فيسبح - الوضوء ، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه تولى وضوء النبي ﷺ ثم قال . سمعت النبي ﷺ يقول « من توبوا نحو وضوء هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين وعن سيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، كما دل عليه الكتاب اللين بمن أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين ، وقد قال عبد الرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية (والذين إذا فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) الآية بكى وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا حمز بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد التفور عن أبي نضرة عن أبي رجاء عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثرتموها فإن إبليس قال أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلككم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون » عثمان ابن مطر وشيخه ضيفان وروى الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الهيثم الثوري عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال إبليس : يارب وعزتك لأزال الأغوى بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى . وعزى وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » وقال الحافظ أبو بكر البزار . حدثنا محمد بن اللثمي حدثنا عمر بن خليفة (رحمته الله) سمعت أبا بكر يحدث عن ثابت عن أنس قال جاء رجل فقال يا رسول الله إني أذنبت ذنبا قال رسول الله ﷺ « إذا أذنبت فاستغفر ربك قال فإني استغفرت أعود فأذنب قال فإذا أذنبت فعد فاستغفر ربك قال فما لي بالرابية قال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور » وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (ومن يفر الذنوب إلا الله) أي لا يفرها أحد سواه كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا سلام بن مسكين والبارك (رحمته الله) عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتى بأسير فقال : اللهم إني أنوب إليك ولا أنوب إلى محمد فقال النبي ﷺ « عرف الحق لأهله » وقوله (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب ، ولم يستعروا على اللصبة وصرخوا عليها غير مقلعين عنها ، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه كما قال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤ في مسنده . حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وغيره قالوا : حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد عن أبي نصر عن مولى أبي بكر عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » ورواه أبو داود

والترمذى والبخارى في مسنده من حديث عثمان بن واقد - وقد وجه يحيى بن معين به - وشيخه أبو نصر التماسى واسمه سالم بن عبد الله الإمام أحمد وابن حبان، وقول علي بن الدبى والترمذى: ليس إسناد هذا الحديث بذلك الظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تابعى كبير ويكتفى بنسبته إلى أبي بكر فهو حديث حسن والله أعلم . وقوله (وم يعلمون) وقال مجاهد وعبد الله بن عيينة بن عمير (وهم يعلمون) أن من تاب تاب الله عليه وهذا كقوله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو غلب التوبة عن عباده) وكقوله (ومن سلسوا أو يظلم شهته يستغفر الله يجد الله غفورا رحما) ونظائر هذا كثيرة جداً . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أننا جري حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو على النبر « ارحموا ترحموا ، واغفروا يفر لكم ، وليل لايام القول ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » تفرد به أحمد . ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) أى جزاؤهم على هذه الصفات مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار (أى من أنواع الشرابات) (خالدين فيها) أى ما كثر فيها (ونعم أجر الصالحين) يمدح تعالى الجنة .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ۚ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۚ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ إِنْ يَسْتَسْكِمُ قَرْحٌ قَدْ مَنَّ الْقَوْمُ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۚ وَلَيَحْصَحَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ۚ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا أَلْجَنَةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۚ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمُوتُونَ مِنَ الْقَوْلِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ قَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۚ ﴾

يقول تعالى مخاطباً عباده المؤمنين لما (١) أصبوا يوماً أحد وقتل منهم سبعون (قد خلت من قبلكم) أى قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ثم كانت العاقبة لهم والداررة على الكافرين ولهذا قال تعالى (فسيروا) في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ثم قال تعالى (هذا بيان للناس) يعنى القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم (وهدى وموعظة) يعنى القرآن فيه خبر ما قبلكم وهدى قلوبكم وموعظة أى زاجر عن المحارم ولما تم . ثم قال تعالى مسلماً للمؤمنين (ولا تهنوا) أى لا تضعفوا بسبب ما جرى (ولا تحزنوا) وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) أى العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون (إن يمسك قرح قمقمس القوم قرح مثله) أى إن كنتم قدماصكم جراح وقتل منكم طائفة قد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح (وتلك الأيام نداولها بين الناس) أى نديل عليكم أعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة لانا في ذلك من الحكمة، ولهذا قال تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) قال ابن عباس : في مثل هذا لرى من يصبر على المناجزة (أعداء) يعنى يقتلون في سبيله ويذلون مهجهم في مرضاته (والله لا يحب الظالمين) ويعلم الله الذين آمنوا) أى يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب . ولا ترفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصبوا به . وقوله (ويعمق الكافرين) أى طاعتهم إذا ظفروا وبنا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم قال تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) أى أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تتبوا بالقتال والشهادت ، كما قال تعالى في سورة البقرة (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِلِينَ) الآية . وقال تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) الآية ولهذا قال هنا (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) أى لا يحصل لكم دخول الجنة (١) فيها الذين .

حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله ، والصابرين على مقاومة الأعداء . وقوله (وقد كنتم تتنون للوثنين قبل أن تلتقوه فقد رأيتموه وأنتم تطرون) أي قد كنتم أيها اللوثنون قبل هذا اليوم تتنون أمام العدو وتغترون عليه وتوتون مناجرتهم ومعاربهم فيها قد حصل لكم إلهي تفتيموه وطلبتموه فلوكنم قاتلوا وصابروا . وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « ولا تنزلوا لقاء العدو ، وسأول الله العاقبة ، فإننا ليقومن فاصبروا وأعدوا أنالجنة تحت ظلال السيف » ولما قال تعالى (قد رأيتموه) يعني الوثناء فدعوه وقت^(١) حد الأنة واشتباك الرماح وصفوف الرجال القتال وللتكلمون يبرون عن هذا بالتخييل . وهو مشاهدة مايلي محسوس كالمحسوس كما تتخييل الشاة صداقة الكشي ، وعداوة إلهي

[illegible]

لما أتهم ما أتهم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم ، نادى الشيطان : ألا إن محمداً قتل ، ورجع ابن
لبيبة إلى المشركين فقال لهم : قتل محمداً ، وإنما كان قد ضرب رسول الله نضجة في رأسه ، فوقع ذلك في قلوب بعض
الناس واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وجوزوا عليه ذلك كاقصد الله عن كثير من الأنبياء عليهم
السلام فصل ضعيف ووهن وتأخر عن القتال في ذلك أنزل الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أي له
أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه قال ابن أبي نجيب عن أبيه : أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو
يتشمط في دمه فقال له : يا فلان أشعرت أن محمداً عليه السلام قتل ، فقال الأنصاري : إن كان محمد قتل فقد بلغ قتالوا عن
دينكم فنزل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) رواه الحافظ أبو بكر البهيقي في دلائل النبوة . ثم قال تعالى منكر
على من حصل له ضعف (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أي رجعت القهقري (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً
وسيجزي الله الشاكرين) أي الذين قاموا بإطاعته وقتالوا عن دينه ، واتبوا رسوله حيالوتاً . وكذلك ثبت في الصحيح
والسائد والسنن وغيرها من كتب الإسلام من طرق متعددة تحيد القطع وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين أبي بكر
وعمر رضي الله عنهما أن الصديق رضي الله عنه تلا هذه الآية لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال البخاري : حدثنا يحيى
ابن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخرني أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن أباً بكر رضي الله عنه
أقبل على فرس من مسكنه بالنسج حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
منطوي ^(١) بوجه جرة : فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي والله لا يجمع عليك موتين :
أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها وقال الزهري : وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أباً بكر خرج وعمر يكلم ^(٢) الناس
وقال : اجلس يا عمر قال أبو بكر : أما بعد من كان يبس محمداً فلان محمد قُتِل ، ومن كان يبس الله فلان الله حي لا يموت قال الله تعالى
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) إلى قوله وسيجزي الله الشاكرين قال : فلو أنه كان الناس لم يملوا أن الله نزل هذه
أما هو إلا أن سمعت أباً بكر تلاها فمرت حتى ما خلف رجلاي ، وحتى هويت إلى الأرض . وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا علي

(١) فيها : لمان اليرف . (٢) وفيها : منفي . (٣) وفيها : يحدث . (٤) وفيها : فاسمها بفر من الناس إلا تلاها .

ابن عبد العزيز حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن سالك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ (أفان مات أوتلت اهليلج على أعقابكم) والله لا تنقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله إن مات أوتلت لأقاتلن على مقاتل عليه حتى أموت ، والله إن لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه قرن أحق بهي . وقوله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) أي لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفى للمدائني ضريبة الله له ، ولهذا قال (كتاباً مؤجلاً) كقوله (وما يسر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) وكقوله (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده) وهذه الآية فيها تشجيع الجبناء وترغيب لهم في القتال فإن الإقدام والأحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه كما قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد البغدادي قال : سمعت أبا معاوية عن الأعمش عن حبيب بن ظبيان قال : قال رجل من المسلمين وهو جريح عدى : ما ينتم أن تمروا إلى هؤلاء المدهونة النطفة - يعني دجلة - ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً . ثم أقحم فرسه دجلة ، فلما أقحم أقحم الناس ، فلما أرام العدو قالوا : ديوان قهروا . وقوله (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) أي من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدره الله له ، ولم يكن له في الآخرة من نصيب ، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له في الدنيا كما قال تعالى (من كان يريد خزب الآخرة نذره في حرمة ، ومن كان يريد خزب الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) وقال تعالى (من كان يريد المصلحة جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومة مدحوراً) * ومن أراد الآخرة وسمى لها مسمى وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً) ولهذا قال ههنا (وسنجزى الشاكرين) أي سنعطهم من فضلكم ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم ثم قال تعالى سلباً للمؤمنين ما كان وقع في قوسهم يوم أحد (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير) قيل : معناه كمن نبى قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير . وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال : وأما الذين قرأوا (قتل معه ربيون كثير) فاتهم قالوا إنا عصى بالقتل انهي وبعض من معه من الربين دون جميعهم ، وإنما نفي الوهن والضعف عن بقى من الربين بمن لم يقتل ، قال : ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك لأنه قال : لوقتوا لم يكن قول الله (فما وهنوا) وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهتوا ولم يصفوا بعد ما قاتلوا ، ثم اختار قراءة من قرأ (قتل معه ربيون كثير) لأن الله طاب بهذه الآيات واتى قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قتل فندبهم الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم (أفان مات أوتلت) أيها المؤمنون ارتدتم عن دينكم واهلجتم على أعقابكم) وقيل : وكمن من نبى قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير ، وكلام ابن إسحق في السيرة يقتضى قولاً آخر فإنه قال (وكأين من نبى أصابه القتل ومعه ربيون أي جاءت فما وهنوا بسدينهم ، وما صفوا عن عدوم ، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر (والله يحب الصابرين) فجعل قوله (معه ربيون كثير) حالاً ، وقد نصر هذا القول السبلى وبالغ فيه ، وله اتجاه لقوله (فما وهنوا لما أصابهم) الآية ، وكذا حكا الأُموي في مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم ولم يحك غيره ، وقرأ بعضهم (قاتل مع ربيون كثير) أي ألوف ، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقادة والسدي والربيع وعطاء الخراساني : الريون الجوع الكثير . وقال عبد الرزاق عن معمر بن الحسن (ريون كثير أي علماء كثير ، وعنه أيضاً : علماء صرأى أربار أقباه . وحكى ابن جرير عن بعض نفاة البصرة أن الربين هم الذين يبعدون الرب عز وجل ، قال : ورد بعضهم عليه فقال : لو كان كذلك لقل الريون بفتح الراء ، وقال ابن زيد . الريون الأتباع والرية والربايون الولاة (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما صفوا وما استكانوا) قال قتادة والربيع ابن أنس . (وما صفوا) بقتل بينهم (وما استكانوا) يقول : فإرتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم أن قاتلوا على مقاتل عليه نبى الله حتى خلفوا بالله ، وقال ابن عباس (وما استكانوا) تخضعوا ، وقال ابن زيد : وما ذلوا لعدومهم وقال محمد بن إسحق والسدي وكادة : أيما أصابهم ذلك حين قتل بينهم (والله يحب الصابرين) * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدارنا وانصرنا على القوم الكافرين) أي لم يكن لهم هجير (١) إلا ذلك (فما تآلم الله ثواب

(١) الهجر والمجيئة ، والمهجرى بكسر الماء وتشديد الجيم : اللأب والمادة كاللوى يكثر جريانه على اللسان .

الدنيا) أى النصر والتفخر والعاقبة (وحسن ثواب الآخرة) أى جمع لهم ذلك مع هذا (والله يحب المحسنين)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي طَعِيبُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُودُكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَخَنَقُوا خَيْرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَتَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الشَّكَّاءَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمُ ابْدَاءً بِمَا فَشَلْتُمْ وَتَنْزَغْتُمُ فِي الْأُمُورِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ * وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ * وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تَصِيدُونَ وَلَا تَلْوَنُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ عَفَا بَيْنَ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

يُحَدِّثُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ طَاعَةِ الْكَافِرِينَ وَالنَّاقِثِينَ فَإِنْ طَاعَتِهِمُ تَوَرَّثَ الرَّدَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (إِنِّي طَعِيبُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُودُكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَخَنَقُوا خَيْرِينَ) ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَمَوَالِيهِ وَالِاسْتَعَانَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَى (بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) ثُمَّ بَشَّرَهُمْ بِأَنَّهُ سَيَلْقَى فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمُ الْخَوْفَ مِنْهُمْ وَالذُّلَّ لَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ مَعَ مَا أَفْرَحَهُ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَ الْمَذَابِ وَالنَّكَالِ فَقَالَ (سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الشَّكَّاءَ) وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «أَعْطِيتُ خَسَامًا لِمُسْطَهْنٍ أَحَدِ النَّبِيِّينَ قَبْلِي فَصُرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعَلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطُهْرًا، وَأُحِلَّتْ لِي النَّفَامُ، وَأَعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ. وَكَانَ النَّبِيُّ يَبِيتُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَةً وَيَبِيتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدَى عَنْ سُلَيْمَانَ التَّبِيِّ عَنْ سَيَّارٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «فَضَّلَنِي اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ - أَوْ قَالَ عَلَى الْأُمَمِ - بِأَرْبَعٍ، أَرْحَلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجُعَلَتْ لِي الْأَرْضُ كُلُّهَا وَلاَمَتِي مَسْجِدًا وَطُهْرًا فَأَيُّمَا أَدْرَكَتْ رَجُلًا مِنْ أُمَّةٍ أَصَلَاةً فَصَلَّاهُ مَسْجِدًا وَطُهْرًا، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ يَقْدَفُ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِي، وَأُحِلَّتْ لِي النَّفَامُ» وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ التَّبِيِّ عَنْ سَيَّارِ الْقُرَشِيِّ الْأَسَدِيِّ عَنْ أَبِي عَدَى عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ أَبِي عَدَى عَنْ عِجْلَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ وَقَالَ، حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: أَبَانَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا يُونُسَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ» وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ وَهْبٍ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي بَرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَعْطِيتُ خَسَامًا يَبِيتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَجُعَلَتْ لِي الْأَرْضُ طُهْرًا وَمَسْجِدًا وَأُحِلَّتْ لِي النَّفَامُ وَلَمْ يَحْلُلْ كَانَ قَبْلِي وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأَعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَلَيْسَ مِنِّي إِلَّا وَقَسَالُ الشَّفَاعَةِ» (١) وَإِنِّي قَدْ اخْتَبَيْتُ شَفَاعَتَهُ لِمَنْ مَاتَ لِأَشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا فَرَدَّ بِهِ أَحْمَدُ. وَرَوَى الْكُوفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ تَعَالَى (سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ) قَالَ قُتَيْبُ اللَّهِ فِي قَلْبِ أَبِي سَفْيَانَ الرَّعْبُ فَرَجُّهُ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ قَدْ أَصَابَ مِنْكُمْ طَرَفًا، وَقَدْ رَجَعَ وَقَفَّ اللَّهُ فِي قَلْبِ الرَّعْبِ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمُ ابْدَاءً بِمَا فَشَلْتُمْ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَدَّهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ وَقَدْ يَسْتَدِلُّ بِهَذَا الْآيَةِ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ الْقَدِيمَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (إِذْ تَحْمِلُونَ) لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَّنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يَدْعُوكُمْ بِكُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ كَمَثَلِ ابْنِ أَبِي تَصْبَرُوا وَتَتَوَاتَرُوا تَوْكُمُ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يَمْدِدْكُمْ بِكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ مَسْمُومِينَ) أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ لِأَنَّ عَدُوَّهُمْ كَانَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مَقَاتِلًا فَلَمَّا وَاجَهُوهُمْ كَانَ الظَّفَرُ وَالنَّصْرُ أَوَّلُ الْتِهَارِ لِلإِسْلَامِ فَلَمَّا حَصَلَ مَا حَصَلَ مِنْ عَصِيَانِ الرِّمَاءِ وَفُشِلَ بِشَرِّ الْمَقَاتِلَةِ تَأَخَّرَ الْوَعْدُ الَّذِي كَانَ مَشْرُوعًا بِالنَّبَاتِ

والطاعة ولهذا قال (ولقد صدقكم الله وعده) أي أول النهار (إذ نحوهم) أي تقتلوهم (يأذنه) أي بتسليطه إليكم عليهم (حتى إذا قُتِلتم) وقال ابن جرير، قال ابن عباس القتل الجلب (وتأزعت في الأمر وعصيت) كما وقع للرماة (من يعلم أراكم ما يحبون) وهو القتر بهم (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين يرغبوا في اللعن حين رأوا الهزيمة (ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليتليكم) ثم أداهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم (ولقد عفا عنكم) أي غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم قال ابن جرير: قوله (ولقد عفا عنكم) قال لم يتأملكم وكذا قال محمد بن إسحق رواهما ابن جرير (والله وفضل على المؤمنين) قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله (ع) عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله النبي (ص) في موطن كما نصره يوم أحد فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس: يني وبين من أنكر ذلك كتاب الله إن الله يقول في يوم أحد (ولقد صدقكم الله وعده إذ نحوهم يأذنه) يقول ابن عباس والحسن القشل (ع) حتى إذا قُتِلتم وتأزعت في الأمر وعصيت من يعلم أراكم ما يحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الآية وإنما عني بهذا الرماة، وذلك أن النبي (ص) أقامهم في موضع وقال «احفظوا رماة فان رأيتوا قتل فلا تصروا، وإن رأيتوا نفع فلا تتركوا» فلما غم النبي (ص) وأنشأوا (عسكر للشركين أكب الرماة جميعا في المسكر يبهون، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله (ص) عليه وسلم فهم هكذا - وشبك بين يديه - وانتشروا فلما أخل الرماة تلك الحلة التي كانوا فيها دخلت الحيل من ذلك الوضع على أصحاب رسول الله (ص) عليه وسلم يضرب بعضهم بضاً والتسبوا وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان النصر لرسول الله (ص) أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء الشركين سبعة أو تسعة، وجال الشركون جولة نحو الجبل ولم يلحقوا حيث يقول الناس القار إنما كانوا تحت الهراس، وصاح الشيطان قتل محمد فلم يشكوا به أنه حق، فلما رأوا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله (ص) صلى الله عليه وسلم بين السدين عرفه بكفيه إذا مشى قال: فخرنا حتى كأنه لم يصبنا ما سأنا قال: فرقي نخونا وهو يقول «اشتد غضب الله على قوم دعوا وجه رسول الله (ص) ويقول مرة أخرى (ليس لهم أن يلعنوا)» حتى انتهى إلينا فكش ساعة فلما أبوسفان يصيح في أسفل الجبل اعل هبل - مرتين يعني الهما - ابن أبي كبشة ابن ابن أبي قحافة ابن ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ألا أجيبه قال «بلى» فلما قال: اعل هبل قال عمر: الله أظلي وأجل فقال أبوسفان قد أمنت قال عنها قال ابن أبي كبشة ابن ابن أبي قحافة ابن ابن الخطاب؟ فقال عمر هذا رسول الله (ص) عليه وسلم وهذا أبو بكر وما أنا عمر. قال: فقال أبوسفان يوم يوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال قال: فقال عمر لا سواء قتلتا في الجنة وقتلاكم في النار قال: أنكم تزعمون ذلك قد ضلنا وخسرنا إذن قال أبو سفيان أنكم ستجدون في قتلاكم مثلاً لم يكن ذلك عن رأي سرائنا قال: ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أماته إن كان ذلك لم تذكره هذا حديث غريب وسياق عجيب وهو من مراسلات ابن عباس فانه لم يشهد أحدا ولا أبوه وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي النضر الفقيه عن عثمان بن سعيد عن سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس به وهكذا رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الحمصي به ولبعضه شواهد في الصحيح وغيره. قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن عطاء ابن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحي للشركين فلو سلفت يومئذ رجوت أن أبرأته ليس منا أحد يريد الدنيا حتى أنزل الله (ع) منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليتليكم) فلما خالف أصحاب رسول الله (ص) عصوا ما أمروا به أفرد النبي (ص) في تسعة، سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهو عاترهم (ص) فلما أرتقوه قال «رحم الله رجلا ردهم عنا» قال ققام رجل من الأنصار قاتلت ساعة حتى قتل، فلما أرتقوه أيضا قال «رحم الله رجلا ردهم عنا» فلم يزل يقول ذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله (ص) لصاحبه «ما أضفنا أصحابنا» فجااب أبو سفيان فقال اعل هبل فقال رسول الله (ص) «قولوا الله أظلي وأجل» فقالوا: الله أظلي وأجل فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله (ص) «قولوا: الله مولانا والكافرون لا حول لهم» فقال أبو سفيان: يوم يوم بدر - فيوم علينا ويوم لنا - ويوم نساء ويوم نسر: حنظلة بحنظلة (١) في نسخة الأزهر: أي عبد الله (٢) كذا بالنسخ (٣) في نسخة الأزهر: أزالوا (٤) فيها اللهم انه .

وفلان بفلان : قال رسول الله ﷺ : « لاسواء : أما قلنا فأجاء رزقون ؟ وأما قلنا كمن في النار يذوقون » قال أبو سفيان : لقد كان في القوم منة وإن كانت لمن غير ملان ما أمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا سادني ولا سرفي ، قال : فنظروا فلما حزة قد قر بطنه ، وأخذت هند كبدته فلا كتبها فلم تستطع أن تأكلها قال رسول الله ﷺ : « أكلت شيئاً ؟ » قالوا : لا قال « ما كان الله ليخل شيئاً من حزة في النار » قال : فوضع رسول الله ﷺ حزة فصرى عليه وجرى به رجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حزة حتى جرى ، بأخر فوضع إلى جنب حزة فصلى عليه ، ثم رفع وترك حزة ، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة ، نفرد به أحمد أيضاً وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال : لقينا الشريكين يومئذ وأجلس للنبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال « لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تمينونا » فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتدن في الجبل رفعن عن سوقهن . قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون : التنية التنية فقال عبد الله بن جبير : عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتلاً فأشرف أبو سفيان فقال : ألى القوم عهد ، فقال « لا تجيبوه » قال أبي القوم ابن أبي قحافة قال : « لا تجيبوه » . قال : ألى القوم ابن الخطاب ، قال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يكلمهم عمر فنهى فقال له كذبت يا عذو الله أبق لك ما يهزئك ؟ قال أبو سفيان : اعل هبل فقال النبي ﷺ « أجيبوه » قالوا : ما قول ؟ قال « قولوا : الله أعلى وأجل » قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أجيبوه » قالوا : ما قول ؟ قال « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » قال أبو سفيان يوم يوم بدر ، والحرب سجال ، وستجدون مثقلتم أثرها ولم تسوفى ؟ تخربد البخاري من هذا الوجه ؟ ثم رواه عن عمرو بن خالد عن زهير بن معاوية عن أبي إسحق عن البراء بنحوه ؟ وسباني بأيسر من هذا - وقال البخاري أيضاً : حدثنا عبد الله بن مسعود حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما كان يوم أحد هزم للمشركون فصرخ إبليس . أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجلست هي وأخراهم فبصر حذيفة فلما هبوا إليه الجبان قال : أي عباد الله أنى قال : قالت فوائه ما احتجوا حتى قتلوه فقال حذيفة ينفر الله لكم قال عروة : فوائه ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل . وقال محمد بن إسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن جده أن الزبير بن العوام قال : والله لقد رأيته أنظر إلى خنم هند وصواحبها مشعرات هوارب مادن أخذهن كثير ولا قليل ، ومالت الرماة إلى المسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون التهب واخلوا ظهورنا للنخيل فأوثينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعددنا أسبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منا أحد من القوم . قال محمد بن إسحق . فلم يزل لواء المشركين صريماً حتى أخذته حمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش ففلاوها . وقال السدي عن عبيد بن جراح عن علي بن عبد الله بن مسعود قال ما كنت أرى إن أحدنا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الله نيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وقد روى من غير وجه عن ابن مسعود وكذا روى عن عبد الرحمن بن عوس وأبي طلحة ، رواه ابن مردويه في فضيله وقوله تعالى (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) قال ابن إسحق حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أحد بني عدي بن الجار قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم قتال ما يحلهم ؟ فقالوا : قتل رسول الله ﷺ قال فانصنعت بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ؟ ثم استقبل القوم قتال حتى قتل رضي الله عنه - وقال البخاري حدثنا حسان بن حبان حدثنا محمد بن طلحة حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن عمه يحيى بن أنس بن النضر طلب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدني الله مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أجد فلقى يوم أحد فهزم الناس فقال : اللهم إني أعتذر إليك عما صنع هؤلاء - يعني للسليين - وأبرأ إليك عما جاء به المشركون ؟ فقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ فقال : أين يا سعد إني أجد ربح الجنة دون أحد فمضى

قتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو بيناته وبه بضع وثمانون من طمعة وضربة ورمية بهم ، هذا لفظ البخاري ؛ وأخرجه مسلم من حديث ثابت بن أنس بنحوه - وقال البخاري أيضا : حدثنا عبدان حدثنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال : جابر بن حجاج البيت فرأى قوما جلوسا فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريش قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر فأتاه فقال إني سألتك عن شيء فحدثني قال سل قال : أنشدك بحرمة هذا البيت أعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم قال : قطعته قتيب عن بدر فلم يشهدنا قال : نعم قال قطعتم أنه تخلف عن يمة الرضوان فلم يشهدنا قال نعم فكبر فقال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ؛ وأما قتيبه عن بدر فإنه كان تحت بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسجده » وأما قتيبه عن يمة الرضوان فلو كان أحد أعز يبطن مكة من عثمان لبشه مكانه فبعت عثمان فكانت يمة الرضوان بمد مذهب عثمان إلى مكة فقال النبي ﷺ بيده اليمنى « هذه يد عثمان » ففرض بها على يده فقال « هذه يد عثمان اذهب بها الآن مملك » ثم رواه البخاري من وجه آخر عن أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب

وقوله تعالى (إذ تصمدون ولا تلونون على أحد) أي صرفكم عنهم إذ تصمدون أي في الجبل هاربين من أعدائكم . وقرأ الحسن وقناة (إذ تصمدون) أي في الجبل (ولا تلونون على أحد) أي وأنتم لا تلونون على أحد من الهوى والخوف والرعب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك القرار من الأعداء ، وإلى الرجعة والعودة والكرية . قال السدي لما اشتد للشركون على المسلمين بأحد فمزوم دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة قاموا عليها . فجعل الرسول ﷺ يدعو الناس «إلى عباد الله» إلى عباد الله» فذكر الله صومهم إلى الجبل ، ثم ذكر دعا النبي ﷺ إليهم فقال (إذ تصمدون ولا تلونون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) وكذا قال ابن عباس وقناة والربيع وابن زيد . وقال عبد الله بن الزبير : يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد في قصيدته وهو مشرك بعد الإسلام التي يقول في أولها

يا غراب البين أمتت قتل * إنا تطوق شيئا قد فعل * إن للخير وللشر مدى * وكلا ذلك وجه وقيل

إلى أن قال : ليت أشيأى يدر يشهدوا * جزع الخوارج من وقع الأسل

حين حلت قباه بركا * واسترح القتل في عبد الأهل * ثم خفوا عندنا كم رخصا

رخص الحفان يملو في الجبل * قتلنا الضعف من أشرافهم * وعدنا ميل بدر فاعتدل

الحفان سفار النعم . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أفرد في اثني عشر رجلا من أصحابه كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحق عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد - وكانوا أحسن رجلا - عبدالله بن جبير قال : ووضعهم موضا وقال « إن أريتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم » قال فمزوم قال : فلقد والله رأيت النساء يشتدن على الجبل وقد بدت أسواقهن وخالهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب الله : التهمة أي قوم التهمة ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبدالله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا إنا والله لثابتين الناس فلتنصين من التهمة . فلما أتوهم صرف وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين ، سبعين أسيرا وسبعين قتلا . قال أبو سفيان : أتى القوم محمد أتى القوم محمد في القوم محمد - ثلاثا - قال . فنهام رسول الله ﷺ أن يعيجه ، ثم قال : أتى القوم ابن أبي حنيفة . أتى القوم ابن أبي حنيفة ؟ أتى القوم ابن الخطاب في القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفتموهم ، فإملاكم عمر نفسه إن قال : كذبت والله ياعدوا إن الذين عدت أحياء كلهم ، وقد أتى الله لك ما سوؤك فقال : يوم يوم بدر ، والحرب سجال . إنكم ستجدون في القوم مثله

لم أمر بها ولم تسؤى . ثم أخذ يرتجز يقول اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تحبوه ؟ » قالوا : يا رسول الله ما تقول ؟ قال « قولوا الله أعل وأجل » قال لنا المزني ولا عزي لك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تحبوه ؟ » قالوا يا رسول الله وما تقول ؟ قال « قولوا الله مولانا ولا مولى لك » وقد رواه البخاري من حديث زهير بن معاوية مختصراً ، ورواه من حديث إسرائيل عن أبي إسحق بأبسط من هذا كما تقدم والله أعلم . وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال : اتهم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد ويقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصمد في الجبل ، فلحقهم للشركون فقال « ألا أحد لهؤلاء » فقال : طلحة أنا يا رسول الله فقال « كأنت باطلعة » ، قال رجل من الأنصار : فأننا يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ثم قتل الأنصاري فلحقوه فقال « ألا رجل لهؤلاء » فقال طلحة مثل قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : فأننا يا رسول الله ، فقاتل عنه وأصحابه يسدون ثم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الأول فيقول طلحة فأننا يا رسول الله فيجيبه فيستأذنه رجل من الأنصار لقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة فنشوهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لهؤلاء ؟ » فقال طلحة : أنا فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصابت أمه فقال حس (١) : فقال رسول الله « لو قتلت باسم الله وذكرت اسم الله لرفعتك لللائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء » ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون . وقد روى البخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاءوق بها التي صلى الله عليه وسلم يسي يوم أحد — وفي الصحيحين من حديث معمر بن سلان عن أبيه عن أبي عتيان الهذلي قال : لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا طلحة بن عبيد الله وسعد بن حديج (٢) . وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هشام بن هشام الزهري قال سمعت سعد بن السبيط يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : تلى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنهاته يوم أحد وقال « ارم فذلك أبي وأمي » ، وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد بن مروان بن معاوية وقال محمد بن إسحق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد بن سعد بن أبي وقاص أنه روى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناول التبل ويقول « ارم فذلك أبي وأمي » حتى إنه ليناولي السهم ليس له فصل فأرني به — وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : رأيت يوم أحد عن عيين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشداً لقتالهما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده ، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام — وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد وثابت عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار والذين من قريش ، فلما أرقهوه قال « من يردم عنا وله الجنة أو وهو رفيق في الجنة » فقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم أرقهوه أيضاً فقال « من يردم عنا وله الجنة » فقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه « ما أنصنا أصحابنا » ورواه مسلم عن هبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال : كان أبي بن خلفاً عن بني جح قد دخلت وهو بمكة ليقنن رسول الله ﷺ فلما بلغت رسول الله ﷺ حلقته قال « بل أنا أنته إن شاء الله » فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنن وهو يقول : لا يموت إن نجى محمد ، فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بنى رسول الله ﷺ بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سائفة الدرع والبيضة وطمعها بحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طمته دم فأنادى أصحابه فاحملوه وهو غور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك إنما هو خنفس ؟ فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل أنا أكل أياها » ثم قال ، وإلى نسي يده لو كان هذا الذي يباهلني الجازل لما نوا أجمعون

(١) فحسن بكسر الماء وتشديد الهمزة كلمة قولها من أسأله على غفلة ما آله أو أخرته فيها (٢) هنا يابن بالنسخة الأثرية

فأبى إلى النار (فسحقاً لأصحاب السعير) وقد روى موسى بن عتبة في منازعته عن الزهري عن سعيد بن المسيب بنحوه وذكر محمد بن إسحق قال : لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لأنجوت إن نجوت فقال القوم : يا رسول الله يطفئ عليه رجل منا قال رسول الله ﷺ « دعوه » فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بمنى القوم كما ذكر لي فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرت عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا اقتضى ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعته في عنقه طعنة تداومها عن فرسه مراراً سوذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد ^(١) بن إسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه نحوه ذلك . وقال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات أبي بن خلف يطعن رافع ، فإني لأسير يطعن رافع بعد هوى من الليل فإذا أنا بنار تأجج لي فنهبتا ، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتهد بها يسبح بالعطش ، وإذا رجل يقول لا تسفه ، فإن هذا قليل رسول الله ﷺ ، هذا أبي بن خلف - وثبت في الصحيحين من رواية عبد الرزاق عن معمر بن عمار بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على قوم قتلوا رسول الله ﷺ » وهو حيثما يشير إلى رابعته - واشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله « وأخرجه البخاري أيضا من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال اشتد غضب الله على من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في سبيل الله واشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ - وقال ابن إسحق : أصيبت رباعية رسول الله ﷺ ، وشج في وجهه ، وكنت فخته ، وكان الذي أصابه عتبة ابن أبي وقاص . فحدثني صالح بن كيسان عن من حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمته لسيء الخلق منبضا في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على من دعى وجه رسول الله ﷺ » - وقال عبد الرزاق أنا ما معمر عن الزهري عن عطاء بن الحريري عن مسم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ودعى وجهه فقال « اللهم لا تحل عليه الخلود حتى يموت كافرا » فما حال عليه الخلود حتى مات كافرا إلى النار - وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروق عن أبي الجورث عن نافع بن جبير قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحدا فنظرت إلى التلب يأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ في وسطها كل ذلك يصرف عنه ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد لأنجوت إن نجوا ورسول الله ﷺ إلى جنته ليس معه أحد ثم جاوزه فتابه في ذلك صفوان فقال : والله ما رأيته أحلف بالله أنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك . قال الواقدي : والذي ثبت عندنا أن الذي دعى وجه رسول الله ﷺ ابن قيس ، والذي دعى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص : وقال أبو داود الطيالسي حدثنا ابن المبارك عن إسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كلد للطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من قام يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه وأراه قال حية قتلت : كن طلحة حيث طاقني فاقني فقلت يكون رجلا من قومي أحب إلي ويغني ويغن للشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يخطف الذي خطفنا لا أعرفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فأتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه ، وقد دخل في وجهه حلق من حلق اللفر فقال رسول الله ﷺ « عليك كما سجدنا يريد طلحة » وقد نرفق فلم نلتفت إلى قوله لا أعرفه ولا نزع ذلك من وجهه ، فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحق لا تركتني فركته ، ففكر ما ن يتناولها يده فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليه ولم يأنه عليها فيه فاستخرج إحدى الحليتين ، ووقت فنتيه مع الحلقة وذهبت لأضع ما صنع فقال : أقسمت عليك بحق لا تركتني ، قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، ووقت فنتيه الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هنا فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجوار ، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت أصابعه ،

فأسلخنا من شأنه، ورواه المصنف بن كليب والطبراني من حديث إسحق بن عيسى. وعند المصنف قال أبو عبيدة أنشدك الله يا بكر
الأتركني؟ فأخذ أبو عبيدة السهم فيه فجعل ينفضه كراهية أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استل السهم فيه
فبدرت نية أبي عبيدة، وذكر تامة، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه، وقد ضعف علي بن المديني هذا الحديث
من جهة إسحق بن عيسى هذا فإنه تحكم فيه عيسى بن سعيد القطن وأحمد وعيسى بن معين والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم
ومحمد بن سعد والنسائي وغيرهم - وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن مالكا
أبا أبي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد مص الجرح حتى أضاءه ولاح أبيض قيل له عه
فقال، لا والله لا أجهه أبدا، ثم أدبر يقاتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة
فلينظر إلى هذا» فاستشهد - وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد أنه سئل
عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباطه وهشمت
البشفة على رأسه صلى الله عليه وسلم فكانت فاطمة تغسل الله وكان على يسكب عليه الماء بلجن فلما رأت فاطمة أن
للساء لا يزيد الله إلا كثرة أخذت قطعة من حبر فأحرقتها حتى إذا صارت رمادا أضفته بالرح فاستمسك الله
وقوله تعالى (فأتيناكم غما بنم) أي فجزاكم غما على غم كما تحول العرب نزلت بيني فلان، ونزلت على بني فلان. وقال
ابن جرير: وكذا قوله (ولأسلمكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل قال ابن عباس: التمس الأول بسبب الهزيمة
وحين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم، والثاني حين علامهم المشركون فوق الجبل، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم
ليس لهم أن يقولوا». وعن عبد الرحمن بن عوف: التمس الأول بسبب الهزيمة، والثاني حين قيل قتل محمد صلى الله عليه
وسلم كان ذلك عندهم أمدا وأعظم من الهزيمة، رواها ابن مردويه. وروى عن عمر بن الخطاب نحو ذلك وذكر ابن
أبي حاتم عن قتادة نحوه أيضا. وقال السدي: التمس الأول بسبب ما فاتهم من الغنمة والقتل، والثاني بإشراق العدو
عليهم. وقال محمد بن إسحاق (فأتيناكم غما بنم) أي كريا بعد كرب قتل من قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم،
وما وقع في أنفسكم من قول: قتل نبيكم، فكان ذلك متتابعا عليكم غما بنم. وقال مجاهد وقادة. التمس الأول ما صاعهم
قتل محمد، والثاني ما أصابهم من القتل والجراح. وعن قتادة والرياح بن أنس عكس. الأول ما فاتهم
من الظفر والغنمة، والثاني إشراق العدو عليهم وقد تقدم هذا القول عن السدي. قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال
بالصواب قول من قال (فأتيناكم غما بنم) فأتيناكم نتمكم أي المؤمنين بحرمان الله إياكم غنمة الشريكين والظفر بهم
والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بيد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما يحبون بمصيبتكم أمر بكم،
وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم، غم ظنكم أن نبيكم قد قتل وميل العدو عليكم ونبوكم منهم. وقوله تعالى
(لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) أي على ما فاتكم من الغنمة والظفر بدوكم (ولما أصابكم) من الجراح والقتل قاله ابن عباس
وعبد الرحمن بن عوف والحسن وقادة والسدي (والله خير بما تعملون) سبحانه وعنده لا إله إلا هو جل وعلا

(ثُمَّ أَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ الْيَوْمِ أَمْنَةً نَاصَا نَفْسِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ
غَيْرَ الْخَلْقِ ظَنًّا بِلَهِيَّةٍ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَوِّنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ
لَهُ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ
إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا
مِنْكُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ الْجَعَمَانِ إِنَّهُمَا سَأَرْتَهُمَا أَنْتَ لَتَبِغْتَ لَهُمَا نَاصِيحَتَهُمَا وَقَدْ مَكَرَ اللَّهُ عَقَبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَلِيمٌ

يقول تعالى ممثنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمانة وهو الناس الذي غشبهم وهم مشتملون السلاح في حال
همهم وغمهم والناس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال في سورة الاغاث في قصة بدر (إذ ينشكع الناس أمانة
منه) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم ووكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي زرير عن
عبد الله بن مسعود قال الناس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان وقال البخاري وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن
زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن نضاه الناس يوم أحد حتى سقط سفي من يدي
مرارا يسقط وآخذه ويسقط وآخذه. هكذا رواه في التنازي معلقا ورواه في كتاب التفسير مسندا عن شيان عن قتادة
عن أنس عن أبي طلحة قال غشينا الناس ونحن في مصافنا يوم أحد قال فصل سفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط
وآخذه وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت
رأسي يوم أحد وجعلت أنظر ومامنهم يومئذ أحد إلا يميل تحت حجبته من الناس لفظ الترمذي وقال حسن صحيح
ورواه النسائي أيضا عن محمد بن المنقر عن خالد بن الحارث عن أبي قتية عن ابن أبي عدي كلاهما عن حميد بن أنس قال قال
أبو طلحة كنت فيمن ألقى عليه الناس الحديث وهكذا رواه عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله
الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحق الثقفي حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك الخزرجي حدثنا يونس
ابن محمد حدثنا شيان عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن أباطحة قال غشينا الناس ونحن في مصافنا يوم أحد فجل سفي يسقط
من يدي وآخذه ويسقط وآخذه والطائفة الأخرى المناقون ليس لهم إلا أنفسهم أبج قوم وأربعه وآخذه الحق
(يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أي إنا هم أهل شك ورب في الله عز وجل هكذا رواه ابنه الزيادة وكانهم من كلام قتادة رحمه
الله وهو كما قال فان الله عز وجل يقول (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نفايا ينشئ طائفة منكم) يعني أهل الإيمان
واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سيمصر رسوله وينجز له مأموله ولهذا قال (وطائفة قد
أهتهم أنفسهم) يعني لا يشاهم الناس من القلق والجزع والحوف (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) كما قال في الآية
الأخرى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا) إلى آخر الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن الشركين
لما ظهروا تلك الساعة أنها البصلة وأن الاسلام قد باد وأهله وهذا شأن أهل الرب والشك إذا حصل أمر من الأمور
الغريبة تحصل لهم هذه الظنون الشقية ثم أخبر تعالى عنهم أنهم (يقولون) في تلك الحال (هل لنا من الأمر من شيء) فقال تعالى
(قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) ثم فرما أخفوه في أنفسهم بقوله (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء
ما قلنا ههنا) أي يسيرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ قال ابن إسحق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال قال الزبير لقد رأيته مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله
علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقته في صدره قال فو الله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما سمع إلا كالحلم يقول (لو كان لنا من
الأمر شيء ما قلنا ههنا) فضغطها منه وفي ذلك أزل الله (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا ههنا) يقول معتبر رواه
ابن أبي حاتم قال الله تعالى (قل لو كنتم في يوتكم لبرذا الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) أي هذا أقدر من الله عز وجل
: حكم حكم لا يحيد عنه ولا مناص منه وقوله تعالى (وليتلى الله ما في صدوركم ولنجس ما في قلوبكم) أي يخبركم بما جري عليكم
ليز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المناق للناس في الأقوال والأفعال (والله علم بذات الصدور) أي بما يختلج في الصدور
من السرائر والضاير ثم قال تعالى (إن الدين تولا منكم يوم التقى الجمعان) أي استسلم الشيطان يعض ما كسبوا أي بعض
ذنوبهم السالفة قال قال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنه بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال تعالى (وقد
عفا الله عنهم) أي عفا عنهم من القرار (إن الله غفور رحيم) أي يفرق الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم وقد تقدم
حديث ابن عمر في شأن عثمان وتولية يوم أحد وأن الله قد عفا عنهم من عفا عنهم عند قوله (وقد عفا عنكم) ومناسب ذكره
ههنا قال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا النعمان عن عاصم عن شقيق قال قال لي عبد الرحمن بن عوف الواليد بن عتبة قال
له الوليد مالي أراكم جنود أمير المؤمنين عثمان قتاله عبد الرحمن أبلغه أني لم أفر يوم حين قال عاصم يقول يوم أحد لم أختلف

عن بدر ولم أترك سنة عمر قال فانطلق فأخبر بذلك عثمان قال : فقال عثمان أما قوله إني لم أفر يوم حنين فكيف يعبرني بذلك ولقد عفا الله عنه فقال تعالى (إن الدين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنا استزلهم الشيطان بعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) وأما قوله إني خلفت يوم بدر فإني كنت أمرت ربيعة بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهد وأما قوله إني تركت سنة عمر فإني لا أطبقها ولا هو فاتممه بذلك

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى
لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاتُوا قَتْلًا يُجِبُّ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ * وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَكُمُغْرَةٌ مِّنْ أَثَرِ رَحْمَةِ خَيْرٍ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ
لَكُلِّ اللَّهِ تَحْشُرُونَ)

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم القاسد الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) أي عن إخوانهم (إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ) أي سافروا للتجارة ونحوها (أَوْ كَانُوا غُرًى) أي كانوا في الغزو (لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا) أي في البلد (مَا مَاتُوا وَمَاتُوا قَتْلًا يُجِبُّ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً) أي ما ماتوا في السفر وما قتلوا في الغزو وقوله تعالى (لِيُجِبَّ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ) أي خلق هذا الاعتقاد في قلوبهم ليزدادوا حسرة على موتهم وقتلهم ثم قال تعالى (ردا عليهم) والله يحيي ويميت أي بيده الخلق وإليه يرجع الأمر ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ولا يزداد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أي علمه بصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه من أمورهم شيء وقوله تعالى (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَكُمُغْرَةٌ مِّنْ أَثَرِ رَحْمَةِ خَيْرٍ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والوفاة وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه وذلك خير من البقاء في الدنيا وجميع خطاياها الثاني ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فصيروه ومرجه إلى الله عز وجل فيجزيه بسمله أن خير أضيروا ن شرا نشر فقال تعالى (وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تُعْشَرُونَ)

(قَبِيلاً رَّحْمَةً مِّنْ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُفِتْ فَظُلْمًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا يَقْضُوا مِنْ حَوَالِكُ فَاعْبُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَهُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَغَدَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَيْنِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَنْزُلْ يَأْتِ بِآيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَنَسِيَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَايَعَ بِسَخَطٍ مِّنْ اللَّهِ وَمَاؤُهُ جَهَنَّمَ * وَبَنَسَ الْمَيِّدُ * هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَثَّ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ وَأَنبَاهُ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنَّى ضَلُّوا سُبُلًا)

يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا عليه وعلى المؤمنين قبا الآن به قلبه على أمته التبعية لأمره التاركين لجزعه وأطاب لهم

لفظه (فبارحة من اللهنت لم) أي بأى شيء جلتك اللهم لنا لولا رحمة الله بك وبهم ، وقال قتادة (فبارحة من الله لتعلم) يقول بفرحة من الله لتعلم وما صلة ، والعرب تصلها بالمرقة كقولهم (فبارحة من الله لتعلم) وبالنسبة كقولهم (عما قليل) وهكذا هنا قال (فبارحة من الله لتعلم) أي برحة من الله ، وقال الحسن البصري هذا خلق محمد ﷺ بمشيئة الله به ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (قد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم المؤمنين رؤوف رحيم) وقال الإمام أحمد حدثنا حيوة حدثنا بقة حدثنا محمد بن زياد حدثني أبو راشد الخزازي قال : أخذ يدي أبو أمامة الباهلي وقال : أخذ يدي رسول الله ﷺ فقال « يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبه » فخره به أحمد ثم قال تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفثوا من حولك) والفظ الغليظ اللزاد به هنا غليظ الكلام قوله بعد ذلك (غليظ القلب) أي لو كنت سوء الكلام قاسى القلب عليهم لا نفثوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، ولأن جانبك لم تألفا قلوبهم ، كما قال عبد الله بن عمرو إلى أرى صفه رسول الله ﷺ في الكتب للخدمة أنه ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا مصابى الأسواق ، ولا يجزى بالسيف والسيئة ، ولكن يفو وفسح . وقال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي أنبأنا بشر بن عبيد حدثنا عمار بن عبد الرحمن عن السعدي عن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أمرني بمداواة الناس كأمرني بالقامة القرائن » حديث غريب . ولهذا قال تعالى (طاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطييبا قلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقالوا يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعنا منك ، ولو سرت بنا إلى بركة لعناد لسرنا منك ، ولا حول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن قول اذهب فنعن معك وبين يديك وعن بينك وعن عمالك مقاتلون . وشاورهم أيضا أين يكون للزلزل حتى أشار للنذر بن عمرو بالقدم أمام القوم . وشاورهم في أحد في أن يبعد في المدينة أو يخرج إلى المدو ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم . وشاورهم يوم الحندق في مصالحة الأحزاب بثك ثمار المدينة فأتى ذلك عليه السعدان ، سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فترك ذلك . وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري للشركين . فقال له الصديق . فقال له أحد وإنا جئنا متمتعين ، فأجابهم إلى ما قال وقال صلى الله عليه وسلم في قصة الأثك « أشيروا عليّ مشر للمسلمين في قوم أنبأوا أهلي ورموهم ، وأبى الله ما علمت على أهلي من سوء وأبوه مني والله أعلمت عليه إلا خيرا » واستشار عليا وأسماء في فراق عائشة رضي الله عنها . فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجبا عليه أو من باب التنبه تطييبا قلوبهم ؟ على قولين وقد روى الحاكم في مستدركه : أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد البندادي حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر حدثنا سعيد بن أيوب عن أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وكذا رواه السكوني عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت في أبي بكر وعمر ، وكانا حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وأبوي المسلمين وقد روى الإمام أحمد . حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر « لو اجتمعا في مشورة ما خالفكما » وروى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : سئل رسول الله ﷺ عن العزم ؟ فقال « مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم » وقد قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي عبيدة حدثنا يحيى بن بكير عن سفیان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « للاستشارة مؤمنين » ورواه أبو داود والترمذي وحسنه النسائي من حديث عبد الملك بأبسط من هذا . ثم قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أسود بن عامر عن شريك عن الأعمش عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للاستشارة مؤمنين » فخره به . وقال أيضا حدثنا أبو بكر حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وطي بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » فخره به أيضا

وقوله تعالى (فإذا عزمت فتوكل على الله) أي إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه (إن الله يحب المتوكلين) وقوله تعالى (إن ينصرك الله فلا غالب لك وإن يخذلك فخذلك) أي ينصرك من يمد ويعل الله فليتوكل المؤمنون) وهذه الآية كما تقدم من قوله (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ثم أمرهم بالتوكل عليه فقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أو قوله تعالى (وما كان لبي أن يفل) : قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد : ما ينبغي لبي أن يفل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا السيب بن واضح حدثنا أبو إسحق القرظي عن سفيان بن خفيف عن عكرمة عن ابن عباس قال : قد دأوا قطيفة يوم بدر فقالوا : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأزله (وما كان لبي أن يفل) أي يفل . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا خفيف حدثنا مقسم حدثني ابن عباس أن هذه الآية (وما كان لبي أن يفل) نزلت في قطيفة حمراء سقطت يوم بدر فقال بعض الناس : لعل رسول الله أخذها ، فأكثروا في ذلك فأزله الله (وما كان لبي أن يفل) ومن يفل بأبى بخل يوم القيامة) وكذا رواه أبو داود والترمذي جميعا عن تقيية عن عبد الواحد بن زياد به وقال الترمذي حسن غريب ، ورواه بعضهم عن خفيف عن مقسم يعني مرسلا ، ورواه ابن مردويه عن طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال اتهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بغيره . فقد فأزله الله تعالى (وما كان لبي أن يفل) وروى من غير وجه عن ابن عباس نحو ما تقدم ، وهذا تزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجه الحيانة في أداء الأمانة وقسم التسمية وغير ذلك . وقال العوفي عن ابن عباس (وما كان لبي أن يفل) أي بأن يضم لبعض السرايا ويترك بعضها ، وكذا قال الضحاك . وقال محمد بن إسحق (وما كان لبي أن يفل) بأن يترك بعض ما أزل إليه فلا يبلغ أمته . وقرأ الحسن البصري وطاوس ومجاهد والضحاك (وما كان لبي أن يفل) يضم الياء أي يخاف وقال قتادة والريعي بن أنس : نزلت هذه الآية يوم بدر ، وقد غلب بعض أصحابه ، ورواه ابن جرير عنهما ، ثم حكى عن بعضهم أنه فسر هذه القراءة بمعنى يهتم بالحيانة ثم قال تعالى (ومن يفل يأت بها غلب يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وهذا تهديد شديد ووعد أكيد وقد وردت السنة بالتي عن ذلك أيضا في أحاديث متعددة قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك حدثنا زهير يعني ابن محمد عن عبد الله بن محمد بن عجيل عن عطاه بن يسار عن أبي مالك الأشعبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعظم النول عندنا ذراع من الأرض يحدون الرجلين جارين في الأرض - أوفى الله - فقطع أحدهما من حظ صاحبه خراعا فلما قطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن عمر حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت للستورد بن شداد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ولي لنا عملا وليس له منزل فليخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليزوج ، أو ليس له خادم فليخذ خادما ، أو ليس له دابة فليخذ دابة ، ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال » هكذا رواه الإمام أحمد وقد رواه أبو داود بسند آخر وساق آخر فقال : حدثنا موسى بن مروان الرقي حدثنا العوفي حدثنا الأوزاعي عن الحارث ابن يزيد عن جبير بن بقر عن الستورد بن شداد : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان لنا عملا فليكتب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتب خادما فإن لم يكن له مسكن فليكتب مسكنا » قال : قال أبو بكر أخبرني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اتخذ غير ذلك فهو غال - أو سارق - قال شيخنا الحافظ للزي رحمه الله رواه أبو جعفر بن محمد القزويني عن موسى بن مروان فقال : عن عبد الرحمن بن جبير ببلجدير بن قيس وهو أشبه بالصواب (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا حفص بن بمر حدثنا يعقوب القمي حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لهاتما ينادي يا محمد يا محمد فأقول : لأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جلا له رفاة يقول : يا محمد يا محمد فأقول لأملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرس له سمحة ينادي يا محمد يا محمد فأقول لأملك لك من الله شيئا قد بلغتك » ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قسا من آدم ينادي يا محمد يا محمد فأقول لأملك لك من الله شيئا قد بلغتك » لم يروه أحد من أهل الكتب الستة

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهري سمع عروة يقول : حدثنا أبو حميد الساعدي قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتية على الصدقة فجاءه فقال : هذا لك وهذا أهدي لي . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على النبر فقال « ما بال عامل نبته على عمل فيقول : هذا لك وهذا أهدي لي . أنلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أهدي اليه أم لا ؟ » والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحدكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته ، إن كان بييرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تير » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ، ثم قال « اللهم هل بلغت » ثلاثا ، وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد . بصرته عيني وصمته أذني وأسألو زيد بن ثابت ، أخرجاه من حديث سفيان بن عينة ، وعند البخاري وأسألو زيد بن ثابت ، ومن غير وجه عن الزهري ، ومن طرق عن هشام بن عروة ، كلاهما عن عروة به . (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبي حميد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هذا يا عامل غلوك » وهذا الحديث من أفراد أحمد ، وهو ضعيف الإسناد ، وكأنه مختصر من الذي قبله والله أعلم ، (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي في كتاب الأحكام : حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن داود بن زبدي الأودي عن القسيرة بن شبل عن قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل قال : يثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النبي فلما سرت أرسل في أثرى فرددت فقال « أتدري لم يثنى إليك ؟ لانهين شيئا بغير إذني فإنه غلوك (ومن يغل بأت ماغل يوم القيامة) لهذا دعوتك فامض لملكك » هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي الباب عن عدي بن حميرة وبريدة ولسنورد بن شداد وأبي حميد وابن عمر ؟ (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا إسماعيل بن علي حدثنا أبو حيان يحيى بن سعيد التيمي عن أبي زرعة عن ابن عمر وابن جرير عن أبي هريرة قال . قام فبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر النفل ففضله وعظم أمره ثم قال « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بيير له رغاء فيقول : يا رسول الله أغنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لما حمله فيقول : يا رسول الله أغنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت . فيقول : يا رسول الله أغنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك » أخرجاه من حديث أبي حيان به . (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد حدثني قيس عن عدي بن حميرة السكندی قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس من عمل لنا منك عملا فكتمنا منه غيظا فما فوقه فهو غل يأتي به يوم القيامة » قال : فقام رجل من الأنصار أسود . قال مجاهد : هو سعد بن عبادة كأي أنظر إليه . فقال يا رسول الله اقبل مني عملا قال « وما ذلك ؟ » قال سمعتك تقول كذا وكذا قال « وأنا أقول ذاك الآن ، من استعملناه على عمل فليجده بقلبه وكثيره ، فما أوتي منه أخذه ، ومانه عن أتى » وكذا رواه مسلم وأبو داود من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا أبو معاوية عن أبي إسحق الفزاري عن ابن جريج حدثني منبوذ رجل من آل أبي رافع عن الفضل بن عبد الله بن أبي رافع عن أبي رافع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضام الصبر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل فيحدث معهم حتى يحدروا إلى القرب قال أبو رافع : فبينا ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرا إلى القرب إذ مر بالبيع فقال « أفألك أفألك » فلق في درعي وتأخرت وظننت أنه يريدني فقال « مالك ؟ » قلت أحدثت حدثا يا رسول الله : قال « وما ذلك ؟ » قال : إنك قلت لي قال « ولا ولكن هذا قبر فلان يشتت ساعيا لي آل فلان فضل مرة فخرج الآن مثلها من نار » (حديث آخر) قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن سالم السكوني للفتوح - وكان تفتت حدثنا عبيد بن الأسود عن القاسم بن الوليد عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجية عن عباد بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ البورة من ظهر البعير من اللثم ثم يقول « مالي فيه لا مثل مال أحدكم ، إياكم والنفل فان النفل خزي على صاحبه يوم القيامة ، أدوا الخيط والخيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد ، في الحضر والسفر فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، إنه ليحيى الله به من المم والمم ؟ وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم

في الله لومة لائم» وقد روى ابن ماجه بسنه عن القنوج به . (حديث آخر) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوا الحياط والحيط ، فإن القنول عار ونار وشار على أهله يوم القيامة » (حديث آخر) قال أبو داود . حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن مطرف عن أبي الجهم عن أبي مسعود الأنصاري قال : بعثني رسول الله ﷺ ساعيا ثم قال : « انطلق أبا مسعود لآلئيك يوم القيامة نجى . على ظرك بعير من إبل الصدقة لا رغاء قد غلته » قال إذا لا انطلق قال « إذا لا أكرهك » فردد به أبو داود . (حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه . أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أنبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنبأنا عبد الحميد بن صالح أنبأنا أحمد ابن أبان عن علقمة بن مرثد عن أبي بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الحجير يرمى في جهنم فبؤس يمين خرجا ما يبلغ قعرها وبؤى بالقنول فيقذف معه ثم يقال لمن غل به اثنتان به فذلك قوله (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) » (حديث آخر) قال الإمام أحمد . حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا ممالك الحنفى أبو زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم خير أقبل نعر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد ، حتى أتوا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلا إن رأيته في النار في بردة غلها - أوعياها - » ثم قال رسول الله ﷺ « اذهب فتأذي الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » قال فخرجت فتأذيته إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وكذا رواه مسلم والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به وقال الترمذي حسن صحيح (حديث آخر عن عمر رضي الله عنه) قال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثني عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن موسى بن جبير حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري حدثه أن عبد الله بن أنيس حدثه أنه تذكر هو وعمر بن الخطاب يوما الصدقة فقال ألم تسمع قول رسول الله ﷺ ذكر غلول الصدقة « من غل منها بعيرا أو شاة فانه يجمله يوم القيامة » قال عبد الله بن أنيس . بل يرواه ابن ماجه عن عمرو بن سوار عن عبد الله بن وهب به (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا يحيى بن سعيد الأسدي حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بث سبعين عبادة مصداق فقال « يا أيها الناس اليوم القيامة بعير تحمله ليرغاه » قال لا أخذه ولا أجبه . فأنفذه ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه (حديث آخر) قال أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن سالم بن عبد الله أن كان مع مسلمة بن عبد الملك في أرض الروم فوجدني متاع رجل غلولا قال فسال سالم بن عبد الله فقال حدثني أبي عبد الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من وجدتم في متاعه غلولا فأحرقوه - قال وأحسبه قال - واضربوه » قال فأخرج متاعه في السوق فوجدني مصصفا فسال سالما فقال بهم وتصدق بشئته وكذا رواه علي بن المديني وأبو داود والترمذي من حديث عبد العزيز بن محمد السراي وروى زاد أبو داود وأبو إسحق الفزاري كلاهما عن أبي واقد الليثي السعدي صالح بن محمد بن زائدة وقال علي بن المديني والبخاري وغيرهما هذا حديث متكرر من رواية أبي واقد هذا وقال الفارقي الصحيح أنه من فتوى سالم فقط وقد ذهب إلى القول بتقصي هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل ومن تابعه من أصحابه وقد رواه الأموي عن معاوية عن أبي إسحق عن يونس بن عبيد عن الحسن قال : عقوبة الثالوث أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه . ثم روى عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن علي قال التال يجمع رحله فيحرق ويحصد دون حد للملوك ويحرق نصيبه ويخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور فقالوا لا يحرق متاع التال بل يمزق تحزير منه وقد قال البخاري وقد امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة على التال ولم يحرق متاعه والله أعلم - وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحق عن جبير بن مالك قال : أمر بالمصاحف أن تثير قال : فقال ابن مسعود من استطاعت منكم أن يغل مصحفا فليغله فانه من غل شيئا جاء به يوم القيامة ثم قال قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين مرة أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم - وروى وكيع في تفسيره عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم قال لا أمر بتحريق المصاحف قال هب الله بن مسعود رضي الله عنه : أيها الناس غلوا المصاحف فانه من غل يأت بما غل يوم القيامة ، ونعم اللع المصحف يأتي به أحكم يوم القيامة - وقال أبو داود

عن مرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غم غنيمه أمر بلالا فينادي في الناس فيجوزوا بقتلهم فيخمسهم ويقسمه فجاء رجل يوما بعد النداء بزمان من شعر فقال : يا رسول الله هذا كان مما أصبنا من الفتيمة فقالوا أصحت بلالا بتادى « ثلاثا قال : نعم قال « ثا منعت أن نجى » فاعتذر إليه فقال « كلا أنت نجى » يوم القيامة قلن أقبلهم منك » وقوله تعالى (أفن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) أى لا يستوى من اتبع رضوان الله فيها شره فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه ، وأجبر من وبل عقابه ومن استحق غضب الله وأثمه به فلا يحده عنه ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير ، وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن كقوله تعالى (أفن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) كقوله (أفن وعدناه وعدا حسنا فهو لآقيه كمن متناه متاع الحياة الدنيا) الآية . ثم قال تعالى (ثم درجات عند الله) قال الحسن البصرى ومحمد بن إسحق : يعنى أهل الخير وأهل الشر درجات ، وقال أبو عبيدة والكسائى : منازل يعنى متفاوتون في منازلهم ، درجاتهم في الجنة ودرجاتهم في النار ، كقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) الآية ، ولهذا قال تعالى (والله بصير بما يعملون) أى وسوفهم إياها ، لا يظلمهم خيرا ولا يزيدهم شرا ، بل يجازى كل عامل بعمله . وقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والاتفاق به ، كما قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) أى من جنسكم وقال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما الحكم إله واحد) الآية . وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من الرسلين إلا أنهم لياكون العظام وعشون في الأسواق) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) وقال تعالى (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) فهذا أبغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجسته في فهم السلام عنه ولهذا قال تعالى (يتلو عليهم آياته) يعنى القرآن (ويذكركم) أى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو قلوبهم وتطهر من الدنس والغيب الذى كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم (ويصلحهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة (وإن كانوا من قبل) أى من قبل هذا الرسول (لئى ضلال مبين) أى لئى ضل وجعل ظاهر جلى بين لكل أحد

﴿ أُولَئِكَ أَصَبْتُكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِيهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَهْبِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصَبْتُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ أَنَّ الْقِيَامَ اللَّهُ وَلَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيَعْلَمُ الَّذِينَ نَاقَوْا وَقِيلَ لَهُمْ تَكَلَّمُوا قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أُذْفِقُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمْ قَتَلْنَا لَأَنبَغُكُمْ هُمْ لَكُفْرٌ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ يَا أَيُّهُمْ بِأَلْوَنٍ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَكْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝ الَّذِينَ قَالُوا الْإِخْوَانُ أَنَهُمْ وَقَدَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَتَلْنَا قُلْنَ قَاتُوا عَنَّا هُنَا أَهْبِكُمْ التَّوْتُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى (أولا أصابكم مصيبة) وهى ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم قدام مصيبة مثلها) يعنى يوم بدر فانهم قتلوا من لشركين سبعين قتيلا وأسروا سبعين أسيرا قتلتم أنى هذا أى من أين جرى علينا هذا (قل هو من عند أنفسكم) قال ابن عباس : حدثنا أنى أنبأنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا قراة بن نوح حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا حماد بن الحنفى أبو ذميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : لا كان يوم أحد من العالم القبل عوجوا عاصنوا يوم بدر من أخذهم القداء ، وقتل منهم سبعون وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وكسرت ربابيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الله على وجهه ، فأنزله الله (أولا أصابكم مصيبة قدام مصيبة مثلها قتلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) يأخذكم القداء . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غزوان وهو قراة بن نوح باسناده ولكن بأطول منه ، وهكذا قال الحسن البصرى وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا إسماعيل بن علية عن ابن

عن ح قال سئد وهو حسين وحديث حجاج عن جريح عن محمد بن عبيدة عن علي قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى ، وقد أمرك أن تخبرهم بين أمرين ، إما أن يقدموا تضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال : فدعا رسول الله ﷺ الناس فذكر لهم ذلك فقالوا : يا رسول الله عشائرتنا وإخواننا ألا تأخذ فداءهم فتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس في ذلك مانع ؟ قال قتل منهم يوم أحد سبعون رجلا ، عدة أسارى أهل بدر ، وهكذا رواه النسائي والترمذي من حديث أبي داود الحفري عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن سفيان بن سعيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين به ، ثم قال الترمذي حسن غريب لا يخرجه إلا من حديث ابن أبي زائدة : وروى أبو أسامة عن هشام نحوه وروى عن ابن سيرين عن عبيدة عن النبي ﷺ مرسل . وقال محمد بن إسحق وابن جرير والريبع بن أنس والسدي (قل هو من عندنا فكم) أي بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فصبتم بين ذلك الرماة (إن الله على كل شيء قدير) أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يعقب لحكمه ، ثم قال تعالى (وما أصابكم يوم اتقى إيمان فإذن الله) أي فإذنكم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحهم لآخرين كان بقضاء الله وقدره ، وله الحكمة في ذلك (ولعلم المؤمنين) أي الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلوا (ولعلم الذين ناقضوا وقيل لهم ماتوا قالوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لانتبناكم) يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول الذين رجسوا معه في أثناء الطريق فاتبهم رجال من المؤمنين يحرضونهم على الاتيان والقتال والساعدة ، ولهذا قال (أو ادفعوا) قائلين بن حباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو صالح والحسن والسدي : يعني كثروا سواد المسلمين ، وقال الحسن بن صالح ادفعوا بالعماء ، وقال غيره رابطوا ، فماتوا قائلين (لو لم نعلم قتالا لانتبناكم) قال مجاهد يمتنون لو نعلم أنكم تقتلون حربا لجئناكم ؟ ولكن لا نتلقون قتالا . قال محمد بن إسحق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ : وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال : خرج علي بن رسول الله ﷺ يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كان بالشوط بين أحد والدينية أجاز عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس قال : أطاعهم فخرج وعصا والله ما ندرى علام قتل أنتم هنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل الفائق وأهل الرب واتبهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة بفون : يا قوم أذكركم الله أن نخذلوا بنيكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسعناكم ولكن لا نرى أن يكون قتال : فلما استحصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيئ الله عنكم ومضى رسول الله ﷺ . قال الله عز وجل (هم لكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) استدعوا به على أن الشخص قد تقلب به الأحوال فيكون في حال أقرب إلى الكفر ، وفي حال أقرب إلى الإيمان لقوله (هم لكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) ثم قال تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) يعني أنهم يقولون القول ولا يشعرون صحته ، ومنه قولهم هذا (لو نعلم قتالا لانتبناكم) فأنهم يشعرون أن جندا من الشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر . ومضافا للمسلمين أنه كانوا بينهم قتال لا محالة . ولهذا قال تعالى (والله أعلم بما يكتمون) ثم قال تعالى (الذين قالوا لإخوانهم وقصدوا لو أطاعونا ماقتلوا) أي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ماقتلوا مع من قتل ، قال الله تعالى (قل فادعوا عن أشكم للوث إن كنتم صادقين) أي إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والوث فينبغي أنكم لاتعوتون ، وللوث لا يد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة ، فادعوا عن أشكم للوث إن كنتم صادقين . قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : زلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ * فَرِحِينَ بِمَا عَمِلْتُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ

مَنْ اللَّهِ وَفَضَّلَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَاهُمْ الْقَرْحُ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَتْ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَاتَّقَبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضَّلَ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ وَأَنَّ اللَّهَ
ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّا ذَلِكُمْ السَّيْفُ الْمَخْشِيُّ أَوَّلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار . قال محمد بن
جيرر : حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة حدثنا إسحاق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك في أصحاب
رسول الله ﷺ الذين أرسلهم نبي الله إلى أهل بئر معونة قال : لا أدري أربيعين أو سبعين ، وعلى ذلك للماء
عامر بن الطفيل الجسفرى فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوا غارا مشرقا على الماء
فقدموا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال - أرماد أبو
ملحان الأنصاري - أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ (١) فخرج حتى أتى حول بيتهم فاجتى (٢) أمام البيوت ثم قال يا أهل
بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله
فخرج اليربعل من كسر البيت برمع فضر به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة
فأتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل وقال ابن إسحق : حدثني أنس بن مالك أن الله
أنزل فيهم قرآنا بلنوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ثم نسخت فرفست بعد ما قرأناها زمانا وأنزل
الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا
محمد بن عبد الله بن نعيم حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : إنا سألنا عبدا لله عن هذه
الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال : أما إننا قد سألنا عن ذلك رسول
الله ﷺ فقال (وأرواحهم في جوف طير خضر لها فتاويل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك
الفتاويل ، فاطلع عليهم ربهم الملائكة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أى شيء تشتهي ونحن نسرح من الجنة
حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا
في أجسادنا حتى تقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا . وقد روى نحوه من حديث أنس
وأبي سعيد (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد فإنه يسره أن يرجع
إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة » فضر به مسلم من طريق حماد (حديث آخر) قال الإمام
أحمد حدثنا علي بن عبد الله الدبيني حدثنا سفيان بن محمد بن طي بن ربيعة السلمي عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلمت أن الله أحيا أباك فقال له : بئس فقال له أرد إلى
الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى قال إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون » فضر به أحمد من هذا الوجه وقد ثبت في الصحيحين .
وغيرهما أن أبا جابر وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضى الله عنه قتل يوم أحد عبيدا . قال البخاري
وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن النكسر سمعت جابرا قال لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه
فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لم ينه فقال النبي ﷺ « لا تبكيه - أو ما تبكيه - ما زالت الملائكة
تظله بأجنحتها حتى رفع » وقد أسنده هو ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة عن محمد بن النكسر عن جابر قال :
لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي وذكركم به بنحوه : (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا
(١) قوله هذا الماء للانساقط من السخنة وتركه ليعانق الأميرة وقتله من نفس ابن جيرر . (٢) في نسخة الأزهر فاجتأ .

يقوب حدثنا أني عن أبي إسحق حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير السكي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومتبرهم، وحسن مقيلمه قالوا يا ليت إخواننا يملكون ما صنع الله بنا ثلاثاً يهدوا في الجهاد، ولا يتكلموا عن الحرب فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) وما بعدها، وهكذا رواه أحمد، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن إسماعيل بن عباس عن محمد بن إسحق به. ورواه أبو داود والحاكم في مستدركم من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحق به، ورواه أبو داود والحاكم عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وهذا أثبت. وكذا رواه سفيان الثوري عن سالم الأفضلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - وروى في الحديث في إسماعيل بن إسحق القزاري عن سفيان عن إسماعيل^(١) بن أبي خالدة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) ثم قال: صحح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وكذلك قال قتادة والربيع والفضلك أنها نزلت في قتلى أحد. (حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا هارون بن سليمان أن أبا علي بن عبد الله الذي أنبأنا موسى بن إبراهيم ابن كثير بن بشر بن الفاكه الأنصاري سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمت الأنصاري قال سمعت جابر بن عبد الله قال: نظرت إلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال «يا جابر مالي أراك مهتما؟» قلت يا رسول الله استشهدني وترك ديناً وعيلاً قال: فقال «ألا أخبرك ما كرم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإنه كرم أباك كفاحاً» قال علي والكفاح للواجهة «قال سلفي أعطك قال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الربيع وجل إنه ينسقي من القول أنهم إله لا يرجعون قال أي رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) الآية» ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليل الأنصاري عن أبيه عن جابر به نحوه، وكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق علي ابن أبي حمزة، وقد رواه البيهقي أيضاً من حديث أبي عبادة الأنصاري وهو عيسى بن عبد الله^(٢) بن إياه الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ لجابر «يا جابر ألا أخبرك قال: بلى بشرتك بالخير قال: «عمرت بأن الله أحيا أباك فقال من علي» عدي ما شئت أعطك قال يا رب ما عبادتك حق عبادتك آتني عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نيك وأقتل فيك مرة أخرى قال إنه سلف مني أنه إله لا يرجع» (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن يسع عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «الشهداء على أبواب نرياب الجنة فيه قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» فردد به أحمد، وقد رواه ابن جرير^(٣) عن أبي كريب حدثنا عبد الرحمن بن سليمان وعبيدة عن محمد بن إسحق به وهو إسناد جيد؛ وكان الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ومنهم من يكون على هذا النرياب الجنة وقد يمشي أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هناك ويؤدى عليهم برزقهم هناك ويراح والله أعلم - وقد روي في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضاً فيها وتأكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب للجنة فإن الإمام أحمد رحمه الله رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله عن مالك بن أنس الأصبغي رحمه الله عن الزهري عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نسمة المؤمن طائر يلقى في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قوله «يلقى» أي يأكل وفي هذا الحديث «إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة» وأما أرواح الشهداء فكما هدم في حواصل طير خضر فهي كالسكاوك بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فأنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم اللتان أن يعطينا إلى الإيعان - وقوله تعالى (فرحين بما آتاهم الله) إلى آخر الآية أي الشهداء

(١) في نسخة الأزهر: من أبي سفيان عن إسماعيل (٢) وفيها: ابن عبد الرحمن (٣) وفيها: ابن جرير.

الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والفيضة ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بدمهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم ، وأنهم لا يخافون بما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم نسأل الله الجنة . وقال محمد بن إسحق (ويستبشرون) أى ويسرون بلهوق من لحظهم ^(١) من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيها هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قال السدى يؤتى الشهيد كتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بقاتلهم إذا قدم قال سعيد بن جبير : لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا : يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يملكون ما عرفناه من الكرامة ، فإذا شهدوا القتال بأشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصابنا من الخير فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم ومأمرهم فيهم من الكرامة ، وأخبرهم أى ربهم أى قد أنزلت على نبيك وأخبرته بأمركم وما أتم فيه فاستبشروا بذلك فذلك قوله (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) الآية وقد ثبت في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة ، وقت رسول الله ﷺ يدعو على الذين قتلهم ويلعنهم قال أنس ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع « أن يلقوا عنا قوماً أننا قد قتلنا ربنا فرضى عنا وأرضا » ثم قال تعالى (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) قال محمد بن إسحق : استبشروا أى سروا لما عاينوا من وفاء الموعد وجزيل الثواب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم ، وقيل ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم الله إياه إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بدمهم ، وقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) هذا كان يوم حراء الأسد وذلك أن للشركيين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم ندموا لم لا تموا على أهل المدينة وجعلوها الفيلة ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعهم ويرهبهم أن بهم قوة وجلبا ، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الوقت يوم أحد سوى جابر بن عبد الله رضى الله عنه لما سذكركم فالتفت السملوت على ما بهم من الجراح والإيثار طاعة لله عز وجل ورسوله ﷺ . قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال : لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتم ، ولا الكواعب أردقم ، بشيا صنعتم . ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب للمسلمين فالتفتوا حتى بلغوا حراء الأسد - أو بئر أبى عينة - الشك من سفيان - فقال للمشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تمد غزوة فأنزله الله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) وروى ابن مردويه من حديث محمد بن منصور عن سفيان ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فذكره - وكان محمد بن إسحق : كان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الند من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأسلم فكلهم جابر بن عبد الله بن عمرو ابن حرام فقال يا رسول الله إن أبى كان خلفي على أخوات لى سبع وقال : يا بنى إنه لا ينبغي لى ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على أخواتك فتخلف عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليكنهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لى يومهن عن عدوهم قال محمد بن إسحق فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل ، كان قد شهد أحدا قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخى رجسنا جريعين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو وقتل لأخى - أو قال لى - أثورتا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والله ما لنا من دابة تركها ، وما لنا إلا جريح هبيل فخرجنا مع رسول

الله ﷺ ، وكنت أيسر جراحاته ؛ فكان إذا غلب حملته عقبة ؛ حتى اتينا إلى ما انتهى إليه السلمون . وقال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قلت لعروة : يا ابن أخي كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه الشركون خاف أن يرجعوا فقال « من يرجع في أئرم ؟ فأتدب منهم سبعون رجلا فهم أبو بكر والزبير هكذا رواه البخاري منفردا بهذا السياق ، وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الأصم عن أبي العباس (١) الهوري عن أبي الضر عن أبي سعيد اللؤب عن هشام بن عروة به ، ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه كذا قال ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وهدية بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة به وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحلي في مسنده عن سفيان به وقد رواه الحاكم أيضا من حديث إسماعيل بن أبي خالصة عن التيمي عن عروة وقال : قالت لي عائشة إن أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه - وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه أنبا عسوية أنبا عبد الله بن الزبير أنبا سفيان أنبا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ « إن كان أبوك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أبو بكر والزبير » ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لحاقته رواية التقات من وقته على عائشة رضي الله عنها كما قدمناه ، ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هومن آباء عائشة ، وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير لأنه ابن أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم - وقال ابن جرير ، حدثني محمد بن سعد حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوما أحديهما كان منهما ما كان فرج إلى مكة قال النبي ﷺ « إن أبي سفيان قد أصابكم طرأ ، وقد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب » وكانت وقته أحد في خوال وكان التجار يقدمون المدينة فيؤي القعدة فيتركون يدور الصغرى في كل سنة مرة وأنهم قدموا بعد وقته أحد ، وكان أصاب للؤمنين القرح واشتكوا ذلك إلى النبي ﷺ واشتد عليهم الذي أصابهم وإن رسول الله ﷺ نذب الناس ليطفئوا معه ويثبوا ما كانوا متبعين وقال « إنما يرغنون الآن فيأتون الحبح ولا يقدرُونَ على مثلها حتى علم قبيل » فبأن الشيطان يخوف أوليائه فقال : إن الناس قد جموا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه وقال « إني ذاهب وإن لم يبق أحد لأحضر الناس » فأتدبهم الصديق وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطه وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) الآية . ثم قال ابن إسحق فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة ، وقدمه كاحدني عبد الله بن أبي بكر معدي بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عية تصعب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة مفتقم معه لا يخفون عنه شيئا كانوا ، ومبعد يومئذ كان مشركا قتال : يا محمد أما والله لقد عجز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله فاكك فهم ثم خرج رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا : أصبت محمدا وأصحابه وقادتهم وأشرانهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ لشركن على بيته ثم لنفرغن منهم فلما رأى يوسف بن مبدال : ما وراءك يا معبد ؟ قال حمدوا أصحابه بطلبك في جمع لأمرته يتحرقون عليك تحرقا ، قد اجتمع مع من كان تخلف عنه في يومك وندموا على ما صنعوا ، فهم من الحق عليكم شيء لأمر مثله قط قال : وبذلك ما هو له قال والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الحبل قال فوالله لقد أجمنا السكرة عليهم لنستأصل جبينهم قال فإني أتملك عن ذلك والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فهم أبا من شعر قال وما قلت : قال قلت كادت تهدي من الأسوات راحتي • إذ سالت الأرض بالجرم الأبايل • تردى بأسد كرام لا تلباة عند اللقاء ولا ميل معازيل • فظلت أعدو أظن (٢) الأرض مائة • لامموا برئيس غير غخذول

قلت ويل ابن حرب من قاتلك * إذا تعطمط البطحاء بالخليل * إلى نذير لأهل السبل ضاحية لكل ذي إبرة منهم ومعتول * من جيش أحمدا وخش تابة * وليس يوسفنا أنذرت بالليل قالفتي ذلك أبا سفيان ومن معه ومربه ركب من عبد القيس فقال أين تريدون ، قالوا نريد المدينة قال ولم ، قالوا نريد البصرة ، قال فهل أتم ميلتون عن محمد رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غدا زيبا بكملا إذ وافقتمونا ، قالوا نعم قال فلذا وافقتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا للسير إليه وإلى أصحابه لتستأصل بقيتهم فراكب رسول الله ﷺ وهو بجمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل. وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة قال : قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوعهم «والذي نفسي بيده لقد سمعتم لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأس الداهب» وقال الحسن البصري في قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرع) أن أبا سفيان وأصحابه أسابوا من المسلمين ما أسابوا ورجعوا فقال رسول الله ﷺ إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب فن يتندب في طلبه فقام النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعهم فبلغ أبا سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم يظله فلقى عيرا من التجار فقال ردوا عمدا ولكم من الجمل كذا وكذا وأخبرهم أني قد جمعت جموعا وأتى راجع إليهم فجاء التجار فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «حسبنا الله ونعم الوكيل» فأنزل الله هذه الآية ، وهكذا قال عكرمة وقادة وغير واحد أن هذا السباق نزل في شأن غزوة حمراء الأسد وقيل نزلت في بدر للوعد والصحيح الأول ، وقوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن هذا الذي كنتم توكلوا على الله واستعانوا به) وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال البخاري حدثنا أحمد بن يونس قال أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حسين عن أبي الضحى عن ابن عباس (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين أتى في النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاشحوم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . وقدرناه للناس عن محمد بن إسحاق بن إبراهيم وهرون بن عبد الله كلاهما عن يحيى بن أبي بكر عن أبي بكر وهو ابن عباس به والجب أن الحاكم أبا عبد الله رواه من حديث أحمد بن يونس به ثم قال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ثم روى البخاري عن أبي غسان مالك بن إسحاق عن إسرائيل عن أبي حسين عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين أتى في النار : حسبنا الله ونعم الوكيل وقال عبد الرزاق قال ابن عينة وأخبرني زكريا عن الضحى عن عبد الله بن عمرو قال: هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين أتى في النار رواه ابن جرير وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا إبراهيم بن موسى الثوري حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن زياد السكري أنبأنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قبله يوم أحد إن الناس قد جمعوا لكم فاشحوم فأنزل الله هذه الآية وروى أيضا بسنده عن محمد بن عبد الله الرافعي عن أبيه عن جده أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه عليا بن ثمرمة في طلب أبي سفيان فقصهم أعرابي من خزاعة فقال إن القوم قد جمعوا لكم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزلت فيهم هذه الآية ثم قال ابن مردويه حدثنا دلعج بن أحمد حدثنا الحسن بن سفيان أنبأنا أبو خثيمة بن مصعب بن سعد أنبأنا موسى بن عسكين عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إذا وقستم في الأمر العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل» هذا حديث غريب من هذا الوجه - وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حيوة بن شريح وإبراهيم بن أبي الباس قالوا : حدثنا بقة حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن سيف عن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال للقضى عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل ، قال النبي ﷺ «ردوا على الرجل» فقال «ما قلت؟» قال قلت حسبي الله ونعم الوكيل» فقال النبي ﷺ «إن الله يأمركم على المعجز ولكن عليكم بالكيس فإذا غلبك أمر قل حسبي الله ونعم الوكيل» وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث بقة عن يحيى بن خالد عن سيف وهو الشامي ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه - وقال الإمام

أحمد حدثنا أسباط حدثنا مطرف عن عتيق عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم أصحاب القرن قد انتم القرن وحى جبهته يستمع متى يؤمر فينفع » قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قول ؟ قال « قولوا حسنا لله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقد روى هذا من غير وجه وهو حديث جيد وقدرونا عن أم المؤمنين زينب وعائشة رضى الله عنهما أنهما تفاخرا قالت زينب زوجتي الله وزوجكن أهاليكن وقالت عائشة نزلت برأى من السماء في القرآن فسلت لها زينب ثم قالت كيف قلت حين ركبتي راحلة صفوان بن العطل قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت زينب قلت كلمة للمؤمنين ولهذا قال تعالى (فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء) أى لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم (بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء) بما أضرهم عدوهم (واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر بن داود أن أبا عبد الله حدثنا محمد بن نعيم حدثنا بشر بن الحكم حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين حدثنا سفيان بن حسين عن علي بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله (فاقبلوا بنعمة من الله وفضل) قال النعمه أنهم سئلوا والفضل أن عمر أقرت في أيام اللوم فاستترها رسول الله ﷺ فبرح فيها مالا يقسمه بين أصحابه وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قول الله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) قال هذا أبو سفيان قال الحمد صلى الله عليه وسلم موعدهم بدر حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد ﷺ « عسى » فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدوا فوافقوا السوق فيها فابتاعوا فذلك قول الله عز وجل (فاقبلوا بنعمة الله وفضل لم يمسهم سوء) الآية قال وهى غزوة بدر الصغرى روى ابن جرير وروى أيضا عن القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج قال لما عهد رسول الله ﷺ لموعده أبى سفيان فاجلوا يقولون الشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم كيدهم فبذلك يريدون أن يربوهم فيقول المؤمنون حسبي الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرا فوجدوا أسواقها غالية لم يزلهم فيها أحد قال قدم رجل من الشركين فأخبر أهل مكة بخيل محمد وقال في ذلك

فترت قلوبى من خيول محمد وعجوة مشورة كالنجد
وأخلفت ماء قديد موعدى

قال ابن جرير هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ إنما هو

قد فترت من رقتى محمد وعجوة من يثرب كالنجد
ففى طى دين أبها الألد . قد جعلت ماء قديد موعده
وماء ضجنان لما ضحى القد

ثم قال تعالى (إنما ذلك الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة قال الله تعالى (فلا تخافوه وخافون إن كنتم مؤمنين) إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا على والجاؤا إلى فاني كانيكم وناصركم عليهم كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده وخوفناك بالدين من دونه) (قل حسبي الله عليه يتوكل للتوكلون) وقال تعالى (فتاتوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال تعالى (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) وقال (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال (ولينصرن الله من ينصره) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) الآية وقال تعالى (إنا لننصر رسلنا والله ينصره) آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولم العنة ولهم سوء العذاب)

﴿ وَلَا يَمُزُّكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَبَصَّرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ خَطْفًا يَأْخُذُ بِهِ وَلَا يَمُزُّكَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَكُفْرٌ بِالْإِيمَانِ لَنَبَصَّرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَتَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَا يَمُزُّكَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾

(١) الظاهر أن يقال : عن أم المؤمنين عائشة .

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطِيْلُ لَهُمْ حَيَرَ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُطِيْلُ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ • مَا كَانَ اللَّهُ لِيُزِيلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْغَيْبِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى النَّبِيِّ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيْ مِنْ دُونِهِ مَنْ يَّشَاءُ فَتَقَالِمُونَا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَتَقَرَّبُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ هُوَ لَا يَحْسِبُ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ بِمَا ءَاتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَقَدْ مِدَّتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ بِمَا تَصْلَوْنَ خَبِيرٌ ﴿١﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مبادرة الكفار إلى الخالفه والناد والشفاق ، فقال تعالى : ولا يحزنك ذلك (إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يعمل لهم حظا في الآخرة) أى حكته فيهم أنه يريد بعثيته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة (ولم عذاب عظيم) : ثم قال تعالى خبرا عن ذلك إخبارا مقررًا (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) أى استبدلوا هذا بهذا (لن يضروا الله شيئا) أى ولكن يضرون أنفسهم (ولم عذاب أليم) : ثم قال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما على لهم خير لأنفسهم إنما على لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) كقوله (أيعسبون أنما نمدهم به من مال وبئس نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وكقوله (فقلن ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يحيطون) وكقوله (ولا تسبكم أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يذمهم بها في الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون) . ثم قال تعالى (ما كان الله ليزل المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أى لا بد أن يميز شيئا (١) من الجنة ، يظهر فيه وليه ويضع به عدوه . يعرف به المؤمن الصابر ، وللتائق الناجر ، يعنى بذلك يوم أحد الذى امتحن الله به للمؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ورسوله ﷺ ، وهتك به ستار المنافقين . فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (ما كان الله ليزل المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) قال مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : ميز بينهم بالجهاد والمجبرة ، وقال السدي : قالوا إن كان محمد صادقًا فليخبرنا نحن يؤمن به منا ومن يكفر به فأنزل الله تعالى (ما كان الله ليزل المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أى حتى يخرج المؤمن من الكافر روى ذلك كله ابن جرير . ثم قال تعالى (وما كان الله ليطالعكم على النيب) أى أتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما تقدمه من الأسباب الكاشفة عن ذلك . ثم قال تعالى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) كقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) ثم قال تعالى (فأمسوا بالله ورسوله) أى أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فباشروا لكم (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) . وقوله تعالى (ولا يحسبن الذين يخفون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم) أى لا يحسبن البخل أن جملة المال ينفعه بل هو مضرة عليه في دينه ، وربما كان في دينه . ثم أخبر بما أمر ماله يوم القيامة فقال سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) ، قال البخارى : حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من آتاه الله مالا فليؤدركه مثل له سبحانه أقرع له زيتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه - يعنى بشدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا هذه الآية (ولا يحسبن الذين يخفون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) إلى آخر الآية : فترد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القشع بن حكيم عن أبي صالح به

الآية ؟ رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم . وقال محمد بن إسحق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق بيت المقدس (١) فوجد من يهودنا كثيرا فاجتمعوا على رجل منهم فقال له ففحصنا ، وكان من علمائهم وأجبارهم ، وبه خبر يقال له أشيع فقال له أبو بكر : وعليك يا ففحصنا اتق الله وأسلم قولا إنك تعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل . فقال ففحصنا : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من قدر ، وإنه إلنا فقير ، ما نضرم إليه كما نضرم نحن ، وإننا نحن أغنياء ، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبك ، بها كم عن الربا وسطينا ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجه ففحصنا ضربا شديدا ، وقال : والله نسي يده لولا الذي بيننا وبينك من المهدل ضربت عنقك يا عبد الله فأكدبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب ففحصنا إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله ﷺ « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر » فقال : يا رسول الله إن غدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله قدير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت له مما قال فضربت وجهه فجدد ففحصنا ذلك وقال : ما قلت ذلك ، فأمر الله نيا قال ففحصنا (٢) (قد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) الآية . رواه ابن أبي حاتم وقوله (سنكتب ما قالوا) تهديد ووعد ، ولهذا قرنه تعالى بقوله (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أى هذا قولهم في الله ، وهذه مما كتبهم رسل الله وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى (وقول ذوقوا عذاب الحريق) ذلك بما قمتم أيديكم وأن الله ليس بظالم للعبيد) أى يقال لهم ذلك خريما وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا وقوله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلنا أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتينا بقرآن تأكله النار) يقول تعالى تكذبا لهُؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . قال الله عز وجل (قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) أى بالحجج والبراهين (وبالذي قلتم) أى وينار تأكل القرابين للثبية (فلم تلتزموا) أى فلم تأبى لهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلهم (وإن كنتم صادقين) أنكم تبغون الحق وتتقادون للرسل - ثم قال تعالى مسلما لنبيه محمد ﷺ (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والبراهين والكتاب اللئير) أى ليوهنك تكذيب هؤلاء ، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاءوا به من البينات وحجج البراهين القاطعة (والزر) وهى الكتب للثبوت من السماء كالصحف للزلا على الرسلين (والكتاب اللئير) أى الواضع الجلى

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورَ كُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ * لَتَبْلُوَنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أَدْوُوا إِلَيْكَ مِنَ قَبْلِكَ * وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ)

غير تعالى إخبارا عاما يعم جميع الخلق بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى (كل من عليها فان ويبق وجهه ربك ذو الجلال والإكرام) فهو تعالى وخدمه الخى الذى لا يموت والجن والإنس يموتون وكذلك الملائكة وحملات العرش وينفرد الواحد الأحد القهار بالعمومة والبقاء فيكون آخر كما كان أولا . وهذه الآية فيها تمزية لجميع الناس فإنه لا يبق أحد على وجه الأرض حتى يموت فإذا انقضت الدة وقرغت النطفة التى قدر الله وجودها من سلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليها وخيرها كثيرها وقليها كبرها وصغيرها فلا يظلم أحد مثقال ذرة ولهذا قال تعالى (وإنا نتوفون أجوركم يوم القيامة) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد العزيز الأوسى حدثنا على بن أبى على الهاشمى عن جعفر بن محمد بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما تولى النى صلى الله عليه وسلم وجاءت التمزية جاءهم آت يسمعون نحه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته (كل نفس

ذاقة الموت ، وإنما تعرفون أجوركم يوم القيامة) إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركامن كل فائت فباله فتقوا وإياه فارجوا فإن للصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قال جعفر بن محمد فأخبرني أي أن طي بن أبي طالب قال أتدرون من هذا ؟ هذا الحضرة عليه السلام . وقوله (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم » (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) « هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة : وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن عمرو . هذا ورواه ابن مردويه من وجه آخر فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى أنبأنا محمد بن مسعدة أنبأنا عمرو بن علي عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها » قال ثم تلا هذه الآية (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وتقدم عند قوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ما رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن وكيع به وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) تفسير لشان الدنيا ، وتخفى لأمرها ، وأنها دينية فانية قليلة زائلة كما قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال (وما أوتيت من شيء فتناج الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى) وفي الحديث « والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمس أحدكم أصبعه في المم فليظفر به ترجع إليه » وقال قتادة في قوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) قال : هي متاع متروكة أو شئت والله الذي لا إله إلا هو أن تضطلع عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة إلى أن استطعتم وقوة إلا بالله وقوله تعالى (لتبوءن في أموالكم وأنتم) كقوله تعالى (ولتبوءنكم بشيء من الخوف والجوع ونفس من الأموال والأنفس والغرات) إلى آخر الآيتين . أي لا بد أن ينزل اللؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله وينزل اللؤمن على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلاة زيد في البلاد (ولتسمن من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الدين أشركوا أذى كثيراً) يقول تعالى للؤمنين عند مقدمهم للمدينة قبل وقعة بدر مسلماً لم يحاربهم من الأذى من أهل الكتاب ولشركين وأمرأ لم بالصنع والعسر والعفو حتى يخرج الله فقال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجمان حدثنا شعب بن أبي حمزة عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال : كان النبي ﷺ وأصحابه يمفون عن لشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى قال الله تعالى (ولتسمن من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الدين أشركوا أذى كثيراً) قال : وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فهم ، هكذا ذكره مختصراً . وقد ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولاً فقال : حدثنا أبو الجمان أنبأنا شعب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد حدثه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدية وأردف أسامة بن زيد وزأبه مودع بن عباد بن أبي الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سائل ، وذلك قبل أن يسلم ابن أبي الحارث إلى أبي الجلس أخطأ من المسلمين ولشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عصابة خمر عبد الله بن أبي نعيم برأته وقال : استبرأ علينا ، فلم رسول الله ﷺ ، ثم وقف ، فنزل ودمام إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي الجلس إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا . ارجع إلى رسلك فمن جاهدك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بي إلى رسول الله ﷺ فاعفنا به في مجالسنا فإننا نجح ذلك ، فاستب للمسلمون ولشركون واليهود

حتى كادوا يثأورون ، فلم يزل النبي ﷺ يخضعهم حتى سكنوا ، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد فقال له النبي ﷺ « يا سعد ألم نسمع إلى ما قال أبو حباب » يريد عبد الله بن أبي ، قال كذا وكذا فقال سعد يا رسول الله اغض عنه واصفح فوالله أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل عليك ، ولقد اسطلع أهل هذه البيرة على أن يتوجه فيصوبوا بالصواب فلما أتى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك ، فذلك الذي فعل به ما رأيت ، ففعا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينفون عن الشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ونصبرون على الأذى قال الله تعالى (ولتسمن من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) الآية - وقال تعالى (وكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) الآية وكان النبي ﷺ يتأول في العفو مأمراً الله به حتى أذن الله له ففهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرأ قتل الله به مناديد كفار قريش ، قال عبد الله بن أبي ابن سؤل ومن مهنه للشركين وعبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام فبايعوا وأسلموا فخل من قام بحق أمر أو مجرد ، وأنهى عن منكر فلا بد أن يؤدي لما له دواء إلا الصبر على الله ، والاستمانة بالله . والرجوع إلى الله

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُوتُ فِتْنَةً وَرَاضِعُوتِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ نَمَافاً قَلِيلاً فَبَيِّنْ مَا يَشْكُرُونَ • لَا تَحْبِسَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْبِسْهُمْ يُغَادَرُ مِنَ الْغَدَابِ وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأتية أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ينهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبتهن أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكنتموا ذلك وتوسنوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة باليون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبست الصفقة صفقتهم ، وبست البيعة بينهم . وفي هذا تحذير للمسلم أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم فلي السلماء أن ينلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على السبل الصالح ، ولا يكتفوا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث للروى من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سئل عن علم فكتمه ألجمه يوم القيامة بلجام من نار » وقوله تعالى (لا تحبس الذين يفرحون بما آتوا ويعجبون أن يحمدوا بسلام يفعلوا) الآية ، يعني بذلك المرائين للشكرين بما لم يعطوا كما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « من ادعى دعوى كاذبة ليكثر بها لم يزد الله إلا قلة » وفي الصحيحين أيضاً « للتبجح بما لم يسل كلابس ثوبي زور » وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبرني مروان قال : اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس قتل : إن كان كل امرئ منا فرح بما آتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذب لئذ بن أجمعين يقال ابن عباس مالك وهذه ، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبهوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشتركون • لا تحبس الذين يفرحون بما آتوا ويعجبون أن يحمدوا بسلام يفعلوا) الآية . وقال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه بإياه وأخبروه بشيء فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستخدموا بذلك إليه وفرحوا بما آتوا من كتابهم ما سألهم عنه ، وهكذا رواه البخاري في الضمير ومسلم والترمذي والنسائي في ضميرها ، وابن أبي حاتم ، وابن خزيمة ، والحاكم في مستدرکه وابن مردويه ، كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه . ورواه البخاري أيضاً من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فذكره . وقال البخاري : حدثنا سعيد بن

أبي مريم أنبانا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري : أن رجلا من التابعين في عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى القزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقدمه خلاف رسول الله ﷺ فلذا قدم رسول الله ﷺ من القزو اعتذروا إليه وحلقوا ، وأحبوا أن يحمدا بما لم يشعروا ، فزلت (لأحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يشعروا) الآية وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال : قال أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت : كنا عند مروان فقال : يا أبا سعيد أرايت قوله تعالى (لأحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يشعروا) ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن يحمدا بما لم يشعروا ؟ فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذلك ، إنما ذلك أن ناسا من المنافقين يتخلفون إذا ثبت رسول الله ﷺ بنا ، فإن كان فيهم نكبة فرحوا بتخلفهم ، وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلقوا لهم ليرضوهم ويحمدوهم على سرورهم بالنصر والفتح ، فقال مروان : أين هذا من هذا ؟ فقال أبو سعيد : وهذا يعلم هذا ؟ فقال مروان : أكن ذلك يا زيد ؟ قال نعم صدق أبو سعيد : ثم قال أبو سعيد ، وهذا يعلم ذلك - يعني رافع بن خديج ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع فلاحه في الصدقة ، فلا خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري : ألا تحمدي على ما شهدت لك ؟ فقال له أبو سعيد : شهدت الحق قال زيد : وألا تحمدي على ما شهدت الحق ؟ ثم رواه من حديث مالك عن زيد بن أسلم عن رافع بن خديج أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة ، فقال مروان : يارافع في أي شيء نزلت هذه الآية ؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رضي الله عنهم ، وكان مروان يبعث بذلك يسأل ابن عباس كما تقدم ؟ فقال له ما ذكرته : ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس ومأثله هؤلاء لأن الآية عامة في جميع ما ذكر والله أعلم وقد روى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري عن محمد بن ثابت الأنصاري أن ثابت بن قيس الأنصاري قال : يارسول الله والله لقد خشيت أن أكون هلكت قال «لم ؟» قال ، نهى الله الله أن يحب أن يحمدا بما لم يفعل وأجدي أحب الحمد ، ونهى الله عن الجلاء وأجدي أحب الجلال : ونهى الله أن ترفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهر الصوت ، فقال رسول الله ﷺ «أما ترضى أن تميت حيدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة» فقال بلى يارسول الله فاعش حيدا وتقتل شهيدا يوم سبيلة الكذاب - وقوله تعالى (فلا تحسبن عفاة من المذاب) قرأنا الله على مخاطبة المفرد ، وبأيا ، على الأخبار عنهم أي لا تحسب أنهم ناجون من المذاب ، بل لا بد لهم منه ، ولهذا قال تعالى (ولهم عذاب أليم) ثم قال تعالى (وله ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير) أي هو مالك كل شيء ، والقادر على كل شيء فلا يسجزه شيء ، فها هو ولا تحالفوه ، واحذروا غضبه وشمته ، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه القدير الذي لا أقدر منه

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ أَتَاهُ قِيَمًا وَقُوْدًا وَمَعَىٰ جُودِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَطِلًا مُّبِينًا ۚ فَهَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا وَلَّيْتَهُ مِنۢ بَرٍّ إِلَّا غُتَابًا ۚ رَبَّنَا إِنَّا أَمَتْنَا مُتَاكِدًا يَبْدَايَ لِلْإِنسَانِ أَنۢ أَمِينًا ۚ بِرَبِّكُمْ كُنَّا ۖ إِنَّا دُوبْنَا وَكَفَرْنَا عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَلَّيْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۚ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝﴾

قال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا يحيى الخفاف حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي القبرية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : به جاءكم موسى ؟ قالوا عاصم ويده يضاء فلناظرن وأتوا النصارى

فقالوا كيف كان عيسى ؟ قالوا كان يرى الأكمة والأبرص ويحيى الموتى فأثنا النبي ﷺ فقالوا : ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً ، فدعا ربه فنزلت هذه الآية (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب) فليفتكروا فيها . وهذا مشكل ، فإن هذه الآية مدنية . وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بركة والله أعلم وبمعنى الآية أن الله تعالى يقول (إن في خلق السموات والأرض) أي هذه في أرضها واتساعها ، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتساعها . وما فيها من الآيات للشاهدة العظيمة من كواكب سيارات ، وثوابت وجار ، وجبال وقفار وأشجار ونبت وزروع وغار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص (واختلاف الليل والنهار) أي تماثلها وتماثلها الطول والقصر . فتارة يطول هذا وقصر هذا . ثم يستدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً ، وقصر الذي كان طويلاً وكل ذلك تقدير العزيز العليم . ولهذا قال تعالى (آيات لأولى الألباب) أي القبول التامة الزكية التي تترك الأعياء بمخافتها على جليتها . وليسوا كالمسلم اليك الذين لا يقولون ، الذين قال الله فيهم (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ثم وصف تعالى أولى الألباب فقال (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) كآية في الصالحين عن عمران بن حصين : أن رسول الله ﷺ قال « صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنبك » أي لا يطمعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضالهم وألستهم (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) أي يفهمون ما فيها من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته . وقال الشيخ أبو سليمان الداراني : إنني لأخرج من منزلي فيأفخ بصري على شيء إلا رأيت الله على فيه نعمة ولى فيه عزة . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل والاعتبار . وعن الحسن البصري أنه قال : تفسر ساعة خير من قيام ليلة . وقال الفضيل : قال الحسن الفكرة مرة تركت حسناك وسيئانك وقال سفيان بن عيينة : الفكرة نور يدخل قلبك ويرجمعتل بهذا البيت :

إذا للره كانت لفكرة • ففي كل شيء له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : طوبى لمن كان قلبه تذكر . وصمته تفكراً ونظره عبراً . قال لقمان الحكيم : إن طول الوحدة أظم للفكرة ، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة . وقال عويص بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ، ولا فهم امرئ قط إلا علم ، ولا علم امرئ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : السلام بذكر الله عز وجل حسن . والفكرة في نعم الله أفضل العبادة ، وقال عفيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكرتم . وشاهدوا الموقف فتوبكم . وانظروا إلى النصارى بالقرنين إلى الجنة أو النار . وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامها وأطباها . وكان يبيى عند ذلك حتى يرفع صرماً من بين أصحابه قد ذهب عقله . وقال عبد الله بن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزلة فناداه فقال : ياراهب إن عندك كنز من كنوز الدنيا لك فيها معتبر . كنز الرجال وكنز الأموال . وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتجاهد قلبه . يأتي الحرية فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : (كل شيء هالك إلا وجهه) وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقبساء . وقال الحسن البصري : يا ابن آدم كل في ثلث بطنك . واشرب في ثلثه . ودع ثلثه الآخر تنفث للفكرة . وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بشير العبرة انطمس من صر قلبه بقدر تلك الفلفة . وقال جرير بن الحارث الحافي : لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لا عصوه . وقال الحسن بن عامر بن عبد قيس قال : صمت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون : إن شاء الإيمان أونور الإيمان التفكير . وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يا ابن آدم الضيف اتق الله حيث ما كنت . وكن في الدنيا ضيفاً . واتخذ للساجد بيتاً . وعلم عنيك البكاء . وجسدك الصبر وقلبك الفكر . ولاتهم برزق غد . وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه بكى يوماً بين أصحابه فقتل عن ذلك ، فقال فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بهائم كاد شهواتها تنقض حتى تذكرها مرارتها ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواضع لمن أذكر . وقال ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

فتوضاً منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلّي قال ابن عباس رضي الله عنهما : قممت فصنعت مثل ما صنعت ثم ذهبت قممت إلى جنبه ، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى فقتلها فبقي ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ، ثم خرج فصلّي الصبح . وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به . ورواه مسلم أيضاً وأبو داود من وجوه أخر عن عذمة بن سليمان به (طريق أخرى) لهذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن حدثنا أبو يحيى عن أبي بصيرة أن أبا خالد بن يحيى أنبأنا يونس عن أبي إسحق عن التهامي بن عمرو عن علي بن عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس قال : أمرني الباس أن أبيت بآل رسول الله ﷺ وأخفظ صلاته . قال : فصلّي رسول الله ﷺ بالناس صلاة المشاء الأخيرة حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيري قام فقرأ فقال من هذا ؟ عبد الله قلت : نعم ، قال له : اقلعت مني الباس أن أبيت بكم الليلة . قال : « فالحق الحق » فمادخل قال : افرس ^(١) عبد الله ؟ قال : فأتى بوسادة من مسوح قال فقام رسول الله ﷺ عليها حتى صحت غطيته ثم استوى على فراشه فأعاد قال : فرفع رأسه إلى السماء فقال « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها . وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه حديثاً في ذلك أيضاً (طريق أخرى) رواها ابن مردويه من حديث حاصم بن بهدلة عن بعض أصحابه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بسلامة ليلى فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب) إلى آخر السورة . ثم قال « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً ومن بين يدي نوراً ومن خلفي نوراً ومن فوقني نوراً ومن تحتي نوراً وأعظم لي نوراً يوم القيامة » وهذا الحديث ثابت في بعض طرق الصحيح من رواية كريب عن ابن عباس رضي الله عنه . ثم روى ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث جعفر بن أبي الليرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أمت قريش اليهود فقالوا : به جاءكم موسى من الآيات ؟ قالوا عاصم وبديعاً فلناظرن . وأما النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم ؟ فقالوا كان يرى الأكمة والأبرس ويحيى اللوى . فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادم لنا ربك أن يصل لنا الصفاذها فدماربه عز وجل ، فنزلت (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب) قال فليشكروا فيها ؟ فلفظ ابن مردويه . وقد تقدم هذا الحديث من رواية الطبراني في أول الآية وهذا يقتضي أن تكون هذه الآيات مكية وللشهور أنها مدنية ودليله الحديث الآخر . قال ابن مردويه : حدثنا علي بن إسحاق حدثنا أحمد بن علي الحارثي حدثنا شعيب بن أسرى حدثنا حخرج بن نباتة الواسطي حدثنا أبو بكر عن السكبي وهو ابن جناب ^(٢) عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمر إلى عائشة رضي الله عنها ، فدخلنا عليها وبيننا حجاب ، فقالت يا عبيد ما عنكم من زيارتنا . قال : قول الشاعر * زرعنا تزدد حبا * فقال ابن عمر ذرنا أخبرنا بأعجب ما رآيتيه من رسول الله ﷺ ، فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أناني في ليلي حتى مس جلده جلدي ثم قال « ذريني أمجداري عز وجل » قالت : قلت واقفاني لأحبرك وإني أحب أن تعبد ربك أقام إلى القربة قوضاً ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلّي فيكي حتى بل لحيت ثم سجد فيكي حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه فيكي حتى إذا أتى بلال يؤذنه بسلامة الصبح قالت فقال : يا رسول الله ما يريك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال « وعجك يا بلال وما عنيني أن أنبكي » وقد أنزل الله عليّ في هذه الآية (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب) ثم قال « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » وقدر وادعبد بن حميد في تفسيره عن جعفر بن عوف ^(٣) السكبي عن أبي حباب عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمر على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي في خدرها ، فسلمنا عليها فقالت من هؤلاء ؟ قال قلنا هذا عبد الله بن عمر وعبيد بن عمر . قالت يا عبيد بن عمر ما عنكم من زيارتنا . قال قال الأول * زرعنا تزدد حبا * قالت إنا لنحب زيارتك وغشيانك . قال عبد الله بن عمر دعينا من بطالتكما هذه . أخبرنا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ قال فبكت ثم قالت كل أمره كان عجبا . أناني في ليلي حتى دخل معي في فراشي حتى لصق جلده بجلدي ثم قال « يا عائشة

(١) فيها : افرسا (٢) الصواب : أبو جناب (٣) الصواب : ابن عون عن أبي جناب .

انفذ لي أميد لري » قالت إني لأحب قريك وأحب هواك، قالت فقام إلى قربة في البيت فأخذ كرسب الماء، ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقوه ؟ قالت ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره قالت ثم ابتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فأذنه بسلامة النجر ثم قال الصلاة يارسول الله فلما رآه بلال يبكي قال يارسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال « يا بلال أفلا أكون عبداً شكورا ؟ وما لي لا أبكي وقد نزل علي الآية (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب) إني قوله (سبحانك تعذب النار ثم قالد ويل لمن قرأهنم الآيات ثم يفكر فيها) وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عمران بن موسى عن عثمان بن أبي شيعة عن يحيى بن زكريا عن إبراهيم بن سويد النخعي عن عبد الملك بن أبي سليمان بن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمر على عائشة فذكر نحوه وهكذا رواه عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار عن شعيب بن أسرى ثم قال حدثني الحسن بن عبد العزيز : سمعت سيدي أبا عبد الله عليه السلام يقول : من قرأ آخر آل عمران فلم يفكر فيها ولم يذكر ما بعده عشر أسفارا الحسن بن عبد العزيز فأخبرني عبيد بن السائب قال : قيل للأوزاعي ما غاية التفكير فبين : قال يقرؤون وهو يفتلن . قال ابن أبي الدنيا . وحدثني قاسم بن هاشم حدثنا علي بن عيسى حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال : سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق بالتفكير من الفكر فبين وما ينبجيه من هذا الولد ؟ فأطرق هنيئاً ثم قال : يقرؤون وهو يفتلن (حديث آخر) فيه غرابة . قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن نعيم حدثنا إسحق بن إبراهيم البستي (ح) قال وحدثنا إسحق بن إبراهيم بن زبدي حدثنا أحمد بن عمرو قال أنا ناهشام بن عمار أنا سليمان بن موسى الأزهرى أنا ناهشام بن أسلم الخزرجى أنا ناهشام بن سعيد بن أبي سعيد البكري عن أبي هريرة قال ، كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة . مظهر بن أسلم ضعيف

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَىٰ بِمَقْصُودٍ مِّنْ بَعْضِ آيَاتِنَا فَاجْتَنِبُوا وَأَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَادُّوهُ فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا تَكْفُرْ عَنْهُمْ سَبًّا نَّهْمٌ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ التَّوَابِ ﴾

يقول تعالى (فاستجاب لهم ربهم) أي فأجابهم بهم كما قال الشاعر :

وداع دعا : يامن يجيب إلى ندا قلم يستجبه عند ذاك عجيب

قال سعيد بن منصور حدثنا سفیان عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل أم سلمة قال : قالت أم سلمة يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء . فأئذ الله تعالى (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أني) إلى آخر الآية . وقالت الأنصار هي أول طليعة قدمت علينا ، وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفیان ابن عيينة . ثم قال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقد روى ابن أبي نجيب عن مجاهد عن أم سلمة قالت : آخر آية نزلت هذه الآية . (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أني يصح من بعض) إلى آخرها . رواه ابن مردويه ، ومعنى الآية أن المؤمنين ذوى الألباب لما سألوها ما سألوها مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التثنية كما قال تعالى (وإذا سألت عبادي عن فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) وقوله تعالى (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أني) هذا تفسير للإجابة أي قال لهم غيراً (أنه لا يضيع عمل عامل منكم) لديه ، بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أني وقوله (بسكم من بعض) أي جميعكم في نواحي سواء (فالبين هاجروا) أي تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وطارقوا الأحباب والإخوان والحلن والخييران (وأخرجوا من ديارهم) أي ضاهقهم للشركون بالأذى حتى الجأؤهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهمنا قال (وأودوا في سبيل) أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده كما قال تعالى (يخرجون الرسول وإلياً أن تؤمنوا بالله ربكم) وقال تعالى (وما هموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

(١) في نسخة الأزهر : عجيب لهم (٢) الظاهر أن يقول : منهم أو تحذف كاف في نسخة الأزهر .

وقوله تعالى (وقاتلو وقتلو) وهذا أعلى القامات أن يقاتل في سبيل الله فيقتل جواده ويفر وجهه بدمه وتراه ، وقد ثبت في الصحيحين أن رجلا قال يا رسول الله أ رأيت إن قتلت في سبيل الله مايرا حسبا مقبلا غير مدبر ، أبكر الله مني خطاي ؟ قال « نعم » ثم قال كيف قلت ؟ فأعاد عليه ما قال . فقال « نعم . » إلا الذي قاله لي جبريل أتيا ؟ ولهذا قال تعالى (لا تكفرن عنهم ميثقاتهم ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي تجري في خلالها الأنهار من أنواع اللشارب من لبن وعسل وسحر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله (ثوابهم عند الله) أضافه إليه ونسب إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزيل كثيرا كما قال الشاعر :

إن يذهب يكن غراما وإن يه سط جزيلاً فإنه لا يتالي

وقوله تعالى (والله عنده حسن الثواب) أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا . قال ابن أبي حاتم ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال حدثنا الوليد بن مسلم أخبرني جرير بن عثمان أن شداد بن أوس كان يقول أيها الناس لا تهموا الله في قضائهم فانه لا يبيح على مؤمن ، فإذا أنزل بأحكم شيئا مما يحب فليحمد الله وإذا أنزل به شيئا مما يكره فليصبر وليحتسب فان الله عنده حسن الثواب

﴿ لَا يَفْرَأُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ • مَتَعَ قَلِيلٌ لِّمَن مَّاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَمِنَ الْيَهُودِ • لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴾

يقول تعالى لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار متفرون فيه من النعمة والبطقة والسرور ، فما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتدين بأعالم السيئة ، وإنما عذبهم فيهاهم فيه استدرجاو جميع ما هم فيه (متاع قليل ثم ماؤهم جهنم وبئس المهاد) وهذه الآية كقوله تعالى (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يفرحك تخلفهم في البلاد) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون • متاع في الدنيا ثم إلنا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال تعالى (نعذبهم قليلا ثم نصرطهم إلى عذاب عظيم) وقال تعالى (فهل الكافرين أمهلهم يوما) أي قليلا وقال تعالى (أئن وعدنا وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) وهكذا ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر أن ما لهم في النار قال بعده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلنا من عند الله وما عند الله خير للأبرار) وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن نصر حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله أنبأنا هشام بن عمار أنبأنا سعيد أنبأنا يحيى أنبأنا عبيد الله ابن الوليد الرصافي عن حارب بن دثار عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال « إنما هموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالدك عليك حقا كذا لولدك عليك حق » كذا رواه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص مرفوعا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن الوليد الرصافي عن حارب بن دثار عن عبد الله بن عمرو قال « إنما هم الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالدك عليك حقا كذا لولدك عليك حق ، وهذا أشبه والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن رجل عن الحسن قال الأبرار الذين لا يؤذون الله . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خثيمة عن الأسود قال : قال عبد الله يعني ابن مسعود ما من نفس برة ولا فاجرة إلا ألوت خير لها لأن كان برا لقد قال الله تعالى (وما عند الله خير للأبرار) وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش بهو قرأ (ولا يحسن الذين كفروا إنما على لهم خير لأنفسهم إنما على لهم ليزدادوا إنما لهم عذاب مهين) وقال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا إسحق حدثنا ابن أبي جعفر عن نوح بن فضالة عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول لما من مؤمن إلا ولوت خير له ، وما من كافر إلا ولوت خير له ، ومن لم يصدق فإن الله يقول (وما عند الله خير للأبرار) ويقول (ولا يحسن الذين كفروا إنما على لهم خير لأنفسهم إنما على لهم ليزدادوا إنما لهم عذاب مهين)

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

يَبَايَئُ اللَّهُ مَعَنَا قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * يَبَايَئُ الَّذِينَ آمَنُوا أَصْفَرُوا
وَصَارُوا قَوْمًا يَكُونُ لَهُمْ عِلْقٌ مِنَ اللَّهِ وَالْعَلَى لَكُمُ الْفِتْنَةُ

نحبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب القديمة وأهم خاشعون لله أي مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لا يشترتون بآيات الله ثمنا قليلا أي لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته وبعثه وصفة أمته ، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفتهم سواء كانوا هودا أو نصارى . وقد قال تعالى في سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتُونَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) الآية . وقد قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) الآية . وقد قال تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أنما الليل وهم يسجدون) وقال تعالى (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا السبل من قبله إنا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لم ينصروا * ويخرون للأذقان يكونون يزبدهم خشوعاً) وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أخبار اليهود ولم يلقوا عشرة أشوس ، وأما النصارى فكثير منهم يتدون ويتنادون للحق كما قال تعالى (لتجدن أئدة الناس عداوة للذين آمنوا والذين أشركوا ولتجدن أقرهمودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) إلى قوله تعالى (فأجابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) الآية وهكذا قال ههنا (أولئك لهم أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) الآية وقد ثبت في الحديث أن جضر بن أبي طالب رضى الله عنه لما قرأ سورة كهيعص بحضرة النجاشي ملك الحبشة وعنده البطركة والقاسية بكى وبكوا معه حتى أخذوا لحامه وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات لعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وقال « إن أخاكم بالحبيشة قد مات فصلاوا عليه » فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه . وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ « استغفروا لأخيكم » فقال بعض الناس يا أمراؤنا أن نستغفر لمعلج مات بأرض الحبشة فزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليه ليسكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الآية ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي ﷺ ثم رواه ابن مردويه من طريق عن حميد عن أنس بن مالك نحو ما تقدم . ورواه أيضا ابن جرير من حديث أبي بكر المذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر قال : قال لنا رسول الله ﷺ حين مات النجاشي « إن أخاكم أحمصة قد مات » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى كما صلى على الخنازير فكبر أربعاً . فقال للناظرون صلى على علج مات بأرض الحبشة فأُنزل الله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن عمرو الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عرضت الله عنها قالت للمات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقد روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه أنبأنا أبو العباس السيارى يروى حدثنا عبد الله بن علي الفزالي حدثنا علي بن الحسن بن هبة عن حقيق حدثنا ابن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال نزل بالنجاشي عدو من أرضهم فجاهد المهاجرين فقالوا إنا نحب أن نخرج إليهم حتى نقاتل معك وترى جراً ونخرج بك بما صنعت بنا فقال لعاء (١) بصر الله عز وجل خير من دواء بصرة الناس قال وفيه نزلت (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليه خاشعين لله) الآية . ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد (وإن من أهل الكتاب) يعني مسلمة أهل الكتاب وقال عباد بن منصور سألت الحسن البصري عن قول الله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية قال هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم تابعوه وعرفوا الإسلام

(١) في نسخة الأثر : لادواء بصرة الله الخ وهو موافق في المتن المذكور للطبع .

فأعظم الله تعالى أجر التين للذي كانوا عليه من الإيمان قبل محمد صلى الله عليه وسلم وإتباعهم محمداً صلى الله عليه وسلم
رواه ابن أبي حاتم ، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يؤتون أجرهم
مرتين » فذكر منهم رجلاً من أهل الكتاب آمن بنية وآمن في وقوله تعالى (لا يشتركون بآيات الله شيئاً قليلاً) أي
لا يكتفون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفة للرذولة منهم بل يبدلون ذلك مجاناً ولهذا قال تعالى (أولئك لهم أجرهم
عند ربهم إن الله سريع الحساب) قال مجاهد سريع الحساب يعني سريع الإحصاء رواه ابن أبي حاتم وغيره وقوله تعالى
(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قال الحسن البصري أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم
وهو الإسلام ، فلا يدعوه لسراء ولا لسراء ولا لشدة ولا لرخاء ، حتى يموتوا مسلمين ، وأن يصابروا الأعداء الذين
يكتفون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف ، وأما للرابطه فهي للداومة في مكان العبادة والثبات وقيل
انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم وروى ابن أبي حاتم هنا
الحديث الذي رواه مسلم والنسائي من حديث مالك بن أنس عن الصادق بن عبد الرحمن عن يعقوب مولى الخرقعة عن أبيه
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط
فذلكم الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبو جعفر طي بن يزيد الكوفي أنبأنا
ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : أقبل على أبو هريرة يوم قال أنسدي يا ابن أخي فم نزلت
هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قلت لا قال أما إنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو
يرابطون فيه ولكنها نزلت في قوم يصرون المساجد وصالون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله بها فليعلم أنزلت
(اصبروا) أي على الصلوات الحسن (وصابروا) أتمسك وهو أكبر (ورابطوا) في مساجدكم (واتقوا الله) فيا عليم (لعلكم
تفلحون) وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب بن ثابت عن داود بن صالح عن
أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه وقال ابن جرير حدثني أبو السائب خديجي عن ابن فضال عن عبد الله بن سعيد البصري عن
جده عن شرحبيل عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب
والخطايا ؟ إسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » وقال ابن جرير أيضاً حدثني موسى
ابن سهل الرمي حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا محمد بن مهاجر حدثني يحيى بن زيد عن زيد بن أبي أنيسة عن شرحبيل عن
جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب ؟ »
قلنا بلى يا رسول الله قال « إسباغ الوضوء في أماكنها وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم
الرباط » وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي أنبأنا محمد بن عبد الله بن سلام البرنوقي (١) أنبأنا محمد بن غالب الانطاكي
أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن أنبأنا الوازع بن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي أيوب قال وقد علينا رسول الله
ﷺ فقال « هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويظلم به الأجر ؟ » قلنا نعم يا رسول الله وما هو ؟ قال « إسباغ
الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة » قال وهو قول الله (يا أيها الذين آمنوا
اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فذلك هو الرباط في المساجد ، وهذا حديث غريب من
هذا الوجه جداً . وقال عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير حدثني داود بن صالح قال : قال لي
أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية (اصبروا وصابروا ورابطوا) قال قلت لا قال
إنه لم يكن في ابن أخي في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة رواه
ابن جرير ، وقد تقدم سياق ابن مردويه له وأنه من كلام أبي هريرة رضي الله عنه والله أعلم وقيل المراد بالرباطة
هنا مرابطة التزو في نحو (٢) العدو وحفظ ثمرور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين وقد
وردت الأخبار بالترغيب في ذلك وذكر كثرة الثواب فيه فروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي أن

(١) في نسخة الأثر : ابن عبد السلام البيهقي (٢) وفيها : نحو .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (حديث آخر) روى مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « رباط يوم ولية خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح أخبرني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الحنفي أخبره أنه سمع فضالة ابن عبيد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل ميت يغمط على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينوله عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر » وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هانئ الخولاني . وقال الترمذي حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضاً (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا حسن بن موسى وأبو سعيد وعبد الله بن يزيد كلهم عن عبد الله بن لهيعة حدثنا مشرَح ابن هاشم سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل ميت يغمط له على عمله إلا للرابط في سبيل الله يجري عليه عمله خير بيت ويأمن الفتان » رواه الحارث بن محمد بن أبي الحفصة (١) في مسنده عن القبري وهو عبد الله بن يزيد إلى قوله « حتى يبيت » دون ذكر « الفتان » وابن لهيعة إذا صرح بالتحدث فهو حسن ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد (حديث آخر) قال ابن ماجه في مسنده حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى عليه عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبشئ الله يوم القيامة آمناً من القرمز الأكبر » (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا موسى أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « من مات مرابطاً وفي فتنة القبر وأمن من القرمز الأكبر وغدا عليه ربح برزقه من الجنة وكتب له أجر الرابط إلى يوم القيامة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن حنبل عن أبيه عن إسحق بن عبد الله عن أم الدرداء (٢) ترفع الحديث قالت « من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان وهو خطيب على منبره إنني محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يعني أن أحدثكم به إلا الظن (٣) بك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام لها وصام نهارها » وهكذا رواه أحمد عن روح عن كهمس عن مصعب بن ثابت عن عثمان ، وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال : خطب عثمان الناس فقال أيها الناس إنني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لم يعني أن أحدثكم به إلا الظن (٤) بك وبصحابكم فليختر عتار لنفسه أوليهم » سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رابط ليلة في سبيل الله كانت كالف ليلة قيامها وصيامها » (طريق أخرى) عن عثمان رضي الله عنه قال الترمذي حدثنا الحسن بن علي الحلال حدثنا هشام ابن عبد الملك حدثنا الليث بن سعد حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول إنني كنت سمعت حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهية خرقكم عنى يمد إلى أن أحدثكموه لاختار امرؤ لنفسه ما بدا له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فبا سواه من النازل » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال محمد بن البخاري أبو صالح مولى عثمان اسمه بركان ، وذكر غير الترمذي أن اسمه الحارث والثقة أعظم وهكذا رواه الإمام أحمد عن حديث الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وعنده زيادة في آخره فقال ينى عثمان فليرابط امرؤ كيف شاء هل بلغت ؟ قالوا بلى قال اللهم اشهد (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان حدثنا محمد بن النكدر قال مرسلان الفارسي يشرحيل بن السمط وهو في مرابطته وقد شق عليه وعلى أصحابه قال : ألا أحدثكم ابن السمط حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال بلى : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله أفضل - أو قال خير - من صيام شهر وقيامه ومن فاته وفي فتنة القبر ونمى له عمله إلى يوم القيامة » ثم رده الترمذي من هذا الوجه ، وقال هذا حديث حسن ، وفي بعض النسخ زيادة وليس إنسانه يتمصل :

(١) في نسخة الأثر : ابن أبي أسامة . (٢) في الدور اللثور : عن أبي الدرداء برقم الحديث . (٣) فيها : إلا الظن . (٤) وفيها : إلا الظن أيضاً

وابن النكدر لم يدركه سلمان (قلت) الظاهر ان محمد بن النكدر سمعه من شرح بن السط وقدر وامسلم والنسائي من حديث مكحول وأبي عبيدة بن عقبة كلاهما عن شرح بن السط وله حجة عن سلمان القارسي عن رسول الله ﷺ أن قال «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه الذي كان يصله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» وقد تقدم سياق مسلم غيره (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا محمد بن اسماعيل بن ميمونة حدثنا محمد بن علي السلمي حدثنا عمرو بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ «حرس ليلة وراء عورق المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً» أرواه قال: من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها فإن رده الله تعالى إلى أهله سألما لم يكتب عليه سيئة ألف سنة، وتكتب له الحسنات. ويحرق عليه أجر الرباط إلى يوم القيامة» هذا حديث غريب من هذا الوجه. بل منكر. وعمر بن صبيح منهم (حديث آخر) قال ابن ماجه: حدثنا عيسى بن يونس الرمي حدثنا محمد بن شعيب بن خازم عن سعيد بن خالد بن أبي طويل سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «حرس ليلة في سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة. السنة ثلثمائة يوم، اليوم كالف سنة» وهذا حديث غريب أيضاً وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة وغير واحد من الأئمة. وقال القليل: لا يتابع على حديثه: وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقال الحاكم روى عن أنس أحاديث موضوعة

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا محمد بن الصباح أنبأنا عبد العزيز بن محمد عن صالح بن محمد بن زائدة عن عمر بن عبد العزيز عن (١) عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله حارس الحرس» فيه إقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر فإنه لم يدركه والله أعلم (حديث آخر) قال أبو داود: حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية يعني ابن سلام (٢) حدثني السائي أنه حدثني سهل بن الحنظلة أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين حتى كانت عشة فضضت الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رجل فارس فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم يظلمون ونعمهم وشيهم، فقبضتني حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «تلك غنيمة للمسلمين غداً إن شاء الله» ثم قال «من يحرسنا الليلة» قال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله قال «فاركب» فركب فرسه، فقام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله ﷺ «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تمز من قبلك الليلة» فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معلاة فركب ركبتين فقال «هل أحسنتم فارسكم» فقال رجل: يا رسول الله ما أحسنناه ثوب بالصلاة فبصل النبي ﷺ وهو يسعى يلتفت إلى الشعب، حتى إذا قضى صلاته قال «أبشروا فقد جادكم فارسكم» فجعلنا ننظر في خلخال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرتني. فلما أصبحنا طلعت الشمسين كليهما، فنظرت فلم أر أحداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل نزلت الليلة؟» قال: لا إلا صلياً أو قاضى حاجة، فقال له «أوجبت فلا عليك أن لا تصلي بعدها» ورواه النسائي عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحارثي عن أبي توبة وهو الربيع بن نافع به (حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الجباب حدثنا عبد الرحمن بن شريح سمعت محمد بن شمير الرعي يقول سمعت أبا عامر الجبني (٣) قال الإمام أحمد: وقال غيرنا إذا أبا على الحنفى يقول: سمعت أبا رجانة يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فأبنا ذات ليلة إلى شرف فبتنا عليه فأصابنا برد شديد حتى رأيت من جفري في الأرض يدخل فيها ويلقي عليه الحديقة يسي الترس، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى «من يحرسنا هذه الليلة فأدعوه له بدعاء يكون له فيه فضل؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله قال «ادن» فدنا منه، فقال «من أنت؟» فقصي له الأنصاري ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبداء فأكثر منه «قال أبو رجانة: فلما سمعت مادعاه قلت أنا رجل آخر فقال «ادن» فدنوت فقال «من أنت؟» قال: قلت أبو رجانة، فدعا بدعاء دون مادعاه للأصاري ثم قال: «حزمت النار على

(١) في نسخة الأثر: لرباط يوم في سبيل الله بن وراء الخ (٢) وفيها عن عمرو بن عبد الرحمن عن عقبة (٣) وفيها من زيد بن سلام

(٤) انظر الكلام عنه في الصفحة التالية.

عين دمت - أو بكت - من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله » وروى النسائي منه « حرمت النار » إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به ، وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن ابن شريح به وأتم وقال في الروايتين عن أبي طي الجبني ^(١) . (حديث آخر) قال الترمذي حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا بشر بن عمار وحدثنا شعب بن زريق أبو شيعة عن عطاء الحارثي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عياناً لا تمسها النار ، عين بك من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » ثم قال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث شعب بن زريق ، قال وفي الباب عن عثمان وأبي ربحانة (قلت) وقد تقدم ما في الحمد وللة . (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين عن زياد عن سهل ابن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال « من حرس من وراء المسلمين متطوعاً لا بأجرة سلطان لم ير النار بينه إلا نخلة القسم ، فإن الله يقول (وإن كنتم إلا وادها) » فخر به أحمد رحمه الله . (حديث آخر) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تس عبد البتار وعبد الهرم وعبد الخصة . إن أعطى رضى ، وإن لم يسط سخط ، تس وانكس ، وإذا شك فلا انتش ، طوبى لعبد أخذ بئنان فرسه في سبيل الله أشمت رأسه ، مشيرة قدمه إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقاة كان في الساقاة إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام ، وفي الحمد على جزيل الأنعام على تعاقب الأعمام والأيام . وقال ابن جرير . حدثني الثوري حدثنا مطرف بن عبد الله اللدني حدثنا مالك بن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر أما بعد فإنه مها ينزل بميد مؤمن من منزلة شدة يجل الله له بعدها فرجا ، وإنه لن يظلم عسر يسرين وإن الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا) وأخو الله للملك ضلحون (وهكذا روى الحافظ ابن عساکر في ترجمة عبد الله ابن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه قال : أُمي على عبد الله بن المبارك هذه الآيات بطرسوس وودعته للخروج ، وانتدعها مني إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ، ومائة وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة بإمام الحرمين لو أبصرنا • لمليت أنك في العبادة تلب • من كان غضب خدع بدموعه فحورنا بدمائنا تنضب • أو كان يتب خيله في باطل • فحورنا يوم الصبيحة تصب ربح العير لك ومن عيرنا • ربح السنايك والنبار الأليب • ولقد أنانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب • لا يستوى غير خيل الله في • أعضامى وودخان تار تلهب هذا كتاب الله ينطق بيننا • ليس الشهيد يميت لا يكذب

قال فليت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى ثم قال . أنت ممن يكتب الحديث ؟ قال : قلت نعم قال فاكتب هذا الحديث كراهك كتاباً في عبد الرحمن لنا وأملى على الفضيل بن عياض . حدثنا منصور بن العنبر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله علني عملاً أتال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال « هل تستطيع أن تصلي فلا تفتن ، وتصوم فلا تظفر ؟ » فقال يا رسول الله أنا أضف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي ﷺ « فوالله نسي يمدو لو طو فت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله ، أو ما علمت أن القرس المجاهد ليست في طوله فيكسب له بذلك الحسنات » وقوله تعالى (واتقوا الله) أي في جميع أموركم وأحوالكم كما قال النبي ﷺ لماذا حين يشه إلى المن • اتق الله حيناً كنت • وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » (للملك ضلحون) أي في الدنيا والآخرة - وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو سحر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قول الله عز وجل (واتقوا الله للملك ضلحون) يقول اتقوني فما بيني وبينكم للملك ضلحون غدا إذا قيمتوني - انتهى تفسير سورة آل عمران ، وفي الحمد وللة ، نأله اللوت على الكتاب والسنة آمين

(١) هنا وما قبله حرف والموافق التبعي وفي ترجمة محمد بن شمير بالعين المسجمة وقال للبهمة أنه روى عن أبي طي التبعي .

﴿ سورة النساء ﴾

قال الموفى عن ابن عباس : نزلت سورة النساء بالمدينة . وكذا روى ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير بن عاتق
وروى من طريق عبد الله بن لهيعة عن أخيه عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت سورة النساء قال رسول الله ﷺ
« لا حبس » وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو الصباس محمد بن يعقوب حدثنا أبو البخترى عبد الله بن محمد بن عاكر حدثنا
محمد بن بشر العبدي حدثنا مسعر بن كدام عن معمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال : إن في سورة النساء لحس آيات
ما يسرفان إلى بها الدنيا وما فيها (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) الآية (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) الآية و (إن الله
لا يفر أن يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء) و (لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ثم قال : هذا إسناد صحيح إن كان
عبد الرحمن مع من أتاه فقد اختلف في ذلك . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن ابن مسعود قال : خمس آيات من
النساء لمن أحب إلى من الله ناسجعا (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقوله (وإن تك حسنة يضاعفها)
وقوله (إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء) وقوله (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد
الله غفورا رحيم) رواه ابن جرير . ثم روى من طريق صالح المري عن قتادة عن ابن عباس قال : غافى آيات نزلت في سورة
النساء خبر لهذه الأمة ما طالت عليه الشمس وغربت ، أولهن (يريد الله ليعين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
الله عليكم والله علم حكيم) والثانية (والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما)
والثالثة (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) ثم ذكر قول ابن مسعود سواء يعني في الخمسة الباقية - وروى
الحاكم من طريق أبي نعم عن سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي زيد عن ابن أبي ليثة عن ابن عباس يقول لاسوني عن
سورة النساء فاني قرأت القرآن وأنا صغير . ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وَبَنَاتًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

يقول تعالى أمرآ خلقه بقواه ، وهي عباده وحده لا شريك له ، ومنها لهم على قدرته التي خلقهم بهامن نفس واحدة ،
وهي آدم عليه السلام (وخلق منها زوجها) وهي حواء عليها السلام خلقت من ضله الأيسر (١) من خلقه وهو نائم فاستيقظ
فراها فأعجبته ، فأنس إليها وأنس إليه وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا وكيع عن أبي هلال عن
قتادة عن ابن عباس قال خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهتها في الرجل وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهتها في الأرض
فاحسبوا نساءكم . وفي الحديث الصحيح « إن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فان ذهبت تقصيه
كسرته ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفها عوج » وقوله (وبث منها رجلا كثيرا ونساء) أي وذرأ منها أي من آدم
وحواء رجلا كثيرا ونساء ، وتشرم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولقائهم ثم إليه يبدد ذلك
للحاد والمغتر . ثم قال تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) أي واتقوا الله بطاعتكم إليه ، قال إبراهيم ومجاهد
والحسن (الذي تساءلون به) أي كما يقال أسألك بالله وبالرحم وقال الضحاك واتقوا الله الذي تعادون وتعاهدون به
واتقوا الأرحام أن تعظموها ولكن بروها وصلوها قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن والضحاك والربيع
 وغير واحد . وقرأ بهمهم (والأرحام) بالخفض على العطف في الضمير في بدأ تساءلون بالله والأرحام كاتال مجاهد
 وغيره . وقوله (إن الله كان عليكم رقيبا) أي هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم كما قال (واقطع كل شيء شهيدا) . وفي
الحديث الصحيح « اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرب . ولهذا ذكر تعالى
أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة لمطف بهمهم على بعض وجههم على ضمتهم وقد ثبت في صحيح مسلم من
(١) في لسان الأعر : الأعر .

حديث جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ حين قدم عليه أولئك النفر من مضر - ومجنابو التجار أى من عربهم وقمرهم - قام فخطب الناس بمدعاة النظر فقال في خطبته (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) حتى ختم الآية . ثم قال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وتلتزموا نفس ما قدمت لقد) ثم صههم على الصدقة فقال (تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من صاع برده ، من صاع عمره) وذكر تمام الحديث ، وهكذا رواه أحمد وأهل السنن عن ابن مسعود في خطبة الحاجة ، وفيها ثمرة ثلاث آيات هذه منها (يا أيها الناس اتقوا ربكم) الآية

(وَاتَّقُوا الْيَسْبَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَقْبَلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْضُوا فِي الْيَسْبَى فَاذْكُرُوا مَا طَلَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَقَى وَتِلْكَ وَرَبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْدِرُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا تَمْلِكْتُمْ أَيْسَرُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَمُوتُوا * وَاتَّقُوا النَّسَاءَ صَدَقْتُنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طَلَّقَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)

بأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كلمة موفرة ، ونهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم ، ولهذا قال (ولا تقبلوا الخبيث بالطيب) قال سفيان الثوري عن أبي صالح : لا تسجل بالربح الحرام قبل أن يأتيك الربح الحلال الذى قدر لك ، وقال سعيد بن جبير : لا تقبلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم ، يقول : لا تبدلوا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام . وقال سعيد بن المسيب والسبب والزهرى : لا تصط مهزولا وتأخذ مبيتا . وقال إبراهيم النخعي والضحك : لا تصط زيفا وتأخذ جيدا . وقال السدى : كان أحدم يأخذ الشاة السمية من غنم اليتيم . ويجعل مكانها الشاة الهزولة ويقول : شاة بشاة ، وبأخذ الهرم الجيد ويطرح مكانه الأرف ويقول درهم بدرهم . وقوله أى لا تخطوها فتأكلوها جيما . وقوله (إنه كان حوبا كبيرا) قال ابن عباس : أى إنما عطا . وروى ابن مردويه عن أنس عن حميرة قال : مثل رسول الله ﷺ عن قوله (حوبا كبيرا) قال «إنما كبيرا» ولكن فى إسناده محمد بن يوسف الكندي (١) وهو ضعيف وروى هكذا عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وقادة ومقاتل بن حيان والضحاك وأبى مالك وزيد بن أسلم وأبى سنان مثل قول ابن عباس . وفى الحديث للروى فى سنن أبى داود «اغفر لنا حوبنا وخطايانا» وروى ابن مردويه بإسناده إلى واصل مولى أبى عيينة عن ابن سيرين عن ابن عباس أن أبى أيوب طلق امرأته فقال له النبي ﷺ «يا أيبا أيوب إن طلاق أم أيوب كان حوبا» قال ابن سيرين : الحوب الائم . ثم قال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي حدثنا بشر بن موسى حدثنا هود بن خليفة حدثنا عوف عن أنس أن أبى أيوب أراد طلاق أم أيوب ، فاستأذن النبي ﷺ فقال «إن طلاق أم أيوب لحوب» فأمسكها ، ثم روى ابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث طبن على بن عاصم عن حميد الطويل سمعت أنس بن مالك أيضا يقول : أراد أبو طلحة أن يطلق أم سلمة امرأته فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن طلاق أم سلمة لحوب» فكف . وللقى : إننا كلكم أموالهم مع أموالكم ثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه . وقوله (وإن خفتم ألا تقضوا في اليتامى فاذكروا ما طلب لكم من النساء منى) أى إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف أن لا يسطيعها مهر مثلها فليعدل إلى ما سواها من النساء ، فإنهم كثير ولم يضيئ الله عليه . وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج أخبرني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أن رجلا كانت له يتيمة فكسها وكان لها علق . وكان يسكنها عليه ، ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه (وإن خفتم ألا تقضوا) أحسبه قال : كانت شريكته فى ذلك العلق وفيما له . ثم قال البخارى : حدثنا عبد الزبير بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن سالم بن كيسان عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى (وإن خفتم ألا تقضوا في اليتامى) قالت يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون فى حجر ولها تمسك فى ماله وسببه ماله وجماله ،

(١) فى نسخة الأثر : الكرمى أو الكدى .

فريد ولها أن يزوجه بغير أن يسطر في صداقها فيعطها مثل ما يسطر غيره ، فهو أن يشكوهن إلا أن يسطروا
 البهن . ويلتوا بين أهل ستن في الصداق ، وأمرأ أن يشكوها ما طلب لهم من النساء سواهن . قال عروة : قالت
 عائشة : وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بهذه الآية فأنزل الله (ويستفتونك في النساء) قالت عائشة : وقول
 الله في الآية الأخرى (وترغبون أن تشكوهن) رغبة أحدكم عن بيتته إذا كانت قليلة المال والجمال ، فهو أن
 يشكوهن من رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن إذا كن قليلات المال والجمال وقوله
 (مني وثلاث ورباع) أي إنكم ما شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم ثنتين ، وإن شاء ثلاثا ، وإن شاء أربعاً ، كما
 قال الله تعالى (جاعل للثلاثة رسلاً أولى أجنحة مني وثلاث ورباع) أي منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم
 من له أربعة ، ولا ينبغي ما عدا ذلك في الثلاثة لدلالة الدليل عليه ، بخلاف قصر الرجال على أربع ، فمن هذه الآية كما
 قال ابن عباس ومجمهور العلماء ، لأن المقام مقام امتنان وإباحة فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لم يكره . قال الشافعي
 وقد دلت سنة رسول الله ﷺ البينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر
 من أربع نسوة ، وهذا الذي قاله الشافعي جمع عليه بين العلماء ، إلا ما حكى عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر
 من أربع إلى تسع . وقال بعضهم : بلا حصر . وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله ﷺ في جمعه بين أكثر من
 أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيح ، وأما إحدى عشرة كما قد جاء في بعض ألفاظ البخاري . وقد علقه البخاري وقد
 روينا عن أنس أن رسول الله ﷺ تزوج بخمس عشرة امرأة ، ودخل منهن ثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدى
 عشرة ، ومات من تسع . وهذا عند العلماء من خصائصه دون غيره من الأمة لما سذكروه من الأحاديث الواردة على
 الحصر في أربع ، ولندكر الأحاديث في ذلك : قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن محمد بن جعفر قال : حدثنا معمر عن
 الزهري ، قال ابن جعفر في حديثه ، أنبأنا ابن شهاب عن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة التقي أسلم ونحته عشر
 نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « اختر منهن أربعاً » فلما كان في عهد عمر طلق نساءه ، وقسم ماله بين بني ، فبلغ
 ذلك عمر فقال : (إن لأظن الشيطان فيما يستر من السمع مع عورتك قذفه في نكاح . ولعلك لا تلبث إلا قليلاً . وإم الله
 لتراجعن نساءه وترجعن ماله وأولادهن منك ولأمرن بغيرك فيرجعن كما رجع قسراً في رغال . وهكذا رواه الشافعي
 والترمذي وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وغيرهم من طرق عن إسحاق بن علي وغندر وزيد بن زريع وسعيد بن
 أبي عروبة وسفيان الثوري وعيسى بن يونس وعبد الرحمن بن محمد الحاربي والنضل بن موسى وغيرهم من الحفاظ عن
 معمر بأسناده مثله إلى قوله « اختر منهن أربعاً » وباقى الحديث في قصة عمر من أفراد أحمد ، وهي زيادة حسنة وهي
 مضاعفة لا علل به البخاري هذا الحديث فيما حكاه عنه الترمذي حيث قال بعد روايته له سمعت البخاري يقول : هذا
 الحديث غير محفوظ والصحيح ما روى شبيب وغيره عن الزهري حدثت عن محمد بن أبي سويد بن التقي أن غيلان بن
 سلمة - فذكره . قال البخاري : وإنما حديث الزهري عن سالم عن أبيه أن رجلاً من تجف طلق نساءه فقال له جمر .
 لتراجعن نساءه وأولادهم بغيرك كما رجع قسراً في رغال . وهذا التعليل فيه نظر والله أعلم - وقد رواه عبد الرزاق
 عن معمر عن الزهري مرسلًا وهكذا رواه مالك عن الزهري مرسلًا . وقال أبو زرعة . هو أصح . وقال البيهقي ورواه
 عقيل عن الزهري : بلغنا عن عثمان بن محمد بن أبي سويد عن محمد بن يزيد . وقال أبو حاتم وهذا وهم إنما هو الزهري
 عن محمد بن أبي سويد بلغنا أن رسول الله ﷺ - فذكره . قال البيهقي : ورواه يونس وابن عيينة عن الزهري عن محمد
 بن أبي سويد . وهذا كاعله البخاري والاسناد الذي قدمناه من مسند الإمام أحمد رجاله ثقات على شرط الشيخين ثم روى
 من غير طريق معمر بن الزهري . قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو علي الحافظ حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي
 وزيد بن عمر بن يزيد الجرمي أخبرنا يوسف بن عبيد الله حدثنا سرار بن جحش عن أيوب عن نافع عن سالم عن ابن عمر أن
 غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة فأسلم وأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعاً . هكذا
 أخرجه النسائي في سننه . قال أبو طي بن السكن : فخر به سرار بن جحش وهو ثقة . وكذا وثقة ابن معين قال

أبو علي . وكذا رواه السميع بن وهب عن سرار . قال البيهقي : وروينا من حديث قيس بن الحارث أو الحارث بن قيس وعروة بن مسعود الثقفي وصفان بن أمية يعني حديث غيلان بن سلفة فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرهن في بقاء الشرة وقد أسلمن ، فلما أمره بإسكاف أربع وفراق سائرهن دل على أنه لا يجوز الجمع بين أربع بحال ، فلذا كان هذا في الدوام ، ففي الاستئناف بطريق الأولى والأخرى ، والله سبحانه أعلم بالصواب (حديث آخر في ذلك) روى أبو داود وابن ماجه في سننهما من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن خيمعة بن الشمرل وعنده ابن ماجه بن الشمرل ، وحكي أبو داود أن منهم من يقول الشمرل بالذال للجمعة عن قيس بن الحارث ، وعنده أبي داود في رواية الحارث بن قيس أن حميرة الأسدي قال أسبلت وعندي ثمان نسوة فذكرت لثني صلى الله عليه وسلم فقال « اختر منهن أربعا » وهذا الإسناد حسن : وهذا الاختلاف لا يضر مثله لا للحديث من الشواهد (حديث آخر في ذلك) . قال الشافعي في مسنده أخبرني من معي أن أبي الزناد يقول أخبرني عبد الحميد عن ابن سهل بن عبد الرحمن عن عوف بن الحارث عن نوفل بن معاوية الذي قال أسلمت وعندي خمس نسوة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اختر أربعا أيهن شئت وفارق الأخرى » فمضت إلى أقدمهن سبعة عجوز فامر معي منسختين سنقطقتها . فنهت كلها شواهد لحديث غيلان كما قاله البيهقي . وقوله (فإن ختمت ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) أي إن ختمت من تعدل النساء أن لا تعدلوا يبين كما قال تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجوارى السرايى فإنه لا يجب قسم يبين ، ولكن يستحب من فعل فحسن ومن لا فلا حرج ، وقوله (ذلك أدنى ألا تعدلوا) قال بعضهم ذلك أدنى أن لا تذكر عيالك قاله زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة والشافعي وهو مأخوذ من قوله تعالى (وإن ختمت عليه) أي قفرا (سوف ينفيكم الله من فضله إن شاء) وقال الشاعر
لما يدرى القفير متى خناه وما يدرى التني متى يميل
وقول العرب عالج الرجل يميل عية إذا خفر . ولكن في هذا التفسير هنا نظر ، فإنه كما يخفى كثرة العائلة من تعدل الحرائر كذلك يخفى من تعدل السرايى أيضا والصحيح قول الجمهور (ذلك أدنى ألا تعدلوا) أي لا تجوزوا يقال حال في الحكم إذا قسط وظلم وجار ، وقال أبو طالب في قصيدته المشهورة
بميزان قسط لا يغيث شعيرة له شاهد من نفسه غير مائل
وقال هشيم عن أبي إسحق كتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه : إن لست بميزان أعول . رواه ابن جرير وقد روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن حبان في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن أبي إبراهيم وختم حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن محمد بن زيد عن عبد الله بن حمير عن هشام بن عروة عن أمية عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم (ذلك أدنى ألا تعدلوا) قال « لا تجوزوا » قال ابن أبي حاتم قال أبي هذا خطأ والصحيح عن عائشة موقوف ، قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وعائشة وعجابه وعكرمة والحسن وأبي مالك وابن زريق والنضى والسعي والضحاك وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان أنهم قالوا لا تميزوا وقد استشهد عكرمة ببيت أبي طالب الذي قبلناه ، ولكن ما أنشدناه كاهو الروي في السيرة وقد رواه ابن جرير ثم أنشدنا جيدا واختار ذلك . وقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النحلة : للهر وقال محمد بن إسحق عن الزهري عن عروة عن عائشة نحلة : فريضة ، وقال مقاتل وقتادة وابن جريج نحلة أي فريضة زاد ابن جريج مسماة وقال ابن زيد النحلة في كلام العرب الواجب يقول : لا تنكحها إلا بشيء واجب لها ، وليس ينبغي لأحد بعد النبي ﷺ أن ينكح امرأة إلا بصدق واجب ، ولا ينبغي أن يكون نسمة الصداق كلبا بغير حق ومضمون كلامهم أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتى ، وأن يكون طبيب النفس بذلك كما يمنح للنيحة ويصلى للنحلة طيبا ، كذلك يجب أن يسطي المرأة صدقاتها بثلث فان طابت هي له به بد نسمة أو عن شيء منه فليأكله حلالا طيبا ، ولهذا قال (فإن طابت لهن من شيء منه نسما فكلوه هنيئا مريئا) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن السدي عن يعقوب بن الليثية بن شعبة عن علي قال : إذا شئ

أحدكم شيئا فليسال امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك فليتنع بها عسلا ثم يأخذ ماء السقاء فيجتمع هنثا مرثيا شفاه مباركا .
وقال هشيم عن سيار عن أبي صالح كان الرجل إذا زوج بته أخذ صداقها دوتها فنهاهم الله عن ذلك ونزل (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الحمدي حدثنا وكيع عن سفيان عن حمير الحنصلي عن عبد الملك بن النيرة الطائي عن عبد الرحمن بن مالك السدوسي قال : قال رسول الله ﷺ (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قالوا يا رسول الله فما الملاقى بينهم قال « ما تراضى عليه أهلوم » وقدرى ابن مردويه عن طريق حجاج بن أرطاة عن عبد الملك بن النيرة عن عبد الرحمن بن السدوسي عن عمر بن الخطاب قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال « أنكحوا الأيامى - ثلاثه - » قالوا يا رسول الله فما الملاقى بينهم ؟ قال « ما تراضى عليه أهلوم » ابن السدوسي ضيف ثم فيه اعطاع أيضا

(وَلَا تَوْنُوا السَّهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَنُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَتَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعِفَّ وَتَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَنْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)

ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما أي تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها . ومن هنا يؤخذ الجبر على السفهاء وهم أقسام فتارة يكون الجبر للصغر فإن الصغير مملوك العبرة وتارة يكون الجبر للجنون وتارة لسوء التصرف لتقص العقل أو الدين وتارة للفلس وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وشاق ماله عن وفائها فإذا سأل الغرماء الحاكم الجبر عليه جبر عليه . وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (ولا تَوْنُوا السفهاء أموالكم) قال هم ثروك والنساء وكذا قال ابن مسعود والحكم بن عيينة والحسن والضحاك والنساء والصبيان وقال سعيد بن جبير هم اليائس وقال مجاهد وعكرمة وقاعدة هم النساء . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي الماتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ (وإن النساء سفهاء إلا التي أطاعت قبحها) ورواه ابن مردويه مطولا . وقال ابن أبي حاتم ذكر عن مسلم بن إبراهيم حدثنا حرب بن شرهم عن معاوية بن قره عن أبي هريرة (ولا تَوْنُوا السفهاء أموالكم) قال هم الجند وهم شياطين الإنس وقوله (وارزقوهم فيها وَاكْسُوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : لا تمسك إلى مالك وماخولك الله وجهه لك معيشة تعطيه امرأتك أو بنتك ثم تنظر إلى ماله أيديهم ، ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومقوتهم ورزقهم . وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى قال : ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم ، رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفها وقد قال (ولا تَوْنُوا السفهاء أموالكم) ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه وقال مجاهد (وقولوا لهم قولا معروفا) يعني في البر والصلة * وهذه الآية الكريمة تضمنت الإحسان إلى العائلة ومن تحت الجبر بالنقل من الاثاق في الكسوى والأرزاق بالكلام الطيب وتحسين الأخلاق . وقوله تعالى (وابتلوا اليائس) قال ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي ومقاتل أي اختبروهم (حتى إذا بلغوا النكاح) قال مجاهد يعني الحلم . قال الجمهور من العلماء البلوغ في التلام تارة يكون بالحلم وهو أن يرى في منامه ما ينزل به الله الدائق الذي يكون منه الولد . وفي سنن أبي داود عن علي قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتم بعد احتلام ولا صلات يوم إلى الليل » وفي الحديث الآخر عن عائشة وغيرها من الصحابة عن النبي ﷺ قال « رفع القلم عن ثلاثة عن السبي حتى يحتمل أو يستكمل خمس عشرة سنة وعن التامم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يثيق » وأخذوا

ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن ابن عمر قال : عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فاجازني . قال عمر بن عبد العزيز لما بلغه هذا الحديث ان هذا الفرق بين الصغير والكبير واختلقوا في نبات الشجر الحسن حول الفرج وهي الشجرة هل يدل على بلوغه أم لا ؟ على ثلاثة أقوال يفرق في الثالث بين سيان للسليمان فلا يدل على ذلك لاحتياج المألج ، وبين سيان أهل السنة فيكون بلوغاً في حقهم لأنه لا يتصل بها إلى ضرب الجزية عليه فلا يسلحها والصحيح أنها بلوغ في الجميع لأن هذا أمر جلي يستوي فيه الناس واحتمال المألج بعيد ، ثم قد قلت السنة على ذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عطية القرظي قال عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فأمر من ينظر (١) من أنبت فكان من أنبت قتل ومن لم ينبت خلى سبيله فكنت فيمن لم ينبت فخل سبيل وقد أخرجه أهل السنن الأربعة بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح وإنما كان كذلك لأن سعد بن معاذ كان قد حكم فيه بقتل القاتلة وسمي البقرة . وقال أبو عبيد في التريب حدثنا ابن علية عن إسماعيل بن أمية عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمر أن غلاماً ابتهرج في مشعر فقال عمر انظروا إليه فلم يوجد أنبت فدرأ عنه الحد قال أبو عبيدة ابتهرأ أي قذفها والابتهار أن يقول فلبت بها وهو كاذب . فان كان صادقاً فهو الإتيار قال الكشي في مشعره

قيس يثلى تحت القنات * إما ابتهاراً وإما إتياراً

وقوله عز وجل (فلما نسم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) قال سعيد بن جبير يعني صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري وغير واحد من الأئمة وهكذا قال الفقهاء إذا بلغ الغلام مصلحاً لدينه وماله انتكح الحبر عنه فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه وقوله (ولا تأكلوا أموالكم سراً) أي بكمراً (ويهيئ تعالى عن كل أموال الناس في غير حاجة ضرورية) إسراراً وبداراً أي مبادرة قبل بلوغهم . ثم قال تعالى (ومن كان غنياً فليستغف) عنه ولا يأكل منه شيئاً . وقال الشعبي : هو عليه كالميتة والدم (ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف) قال ابن أبي حاتم حدثنا الأشج حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة (ومن كان غنياً فليستغف) نزلت في مال اليتيم : وحدثنا الأشج وهرون بن إسحق قالا : حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام عن أبيه عن عائشة (ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف) نزلت في مال اليتيم الذي شؤم عليه ووصلحه إذا كان محتاجاً أن يأكل منه : وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سعيد الأسبغاني حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : أنزلت هذه الآية في مال اليتيم (ومن كان غنياً فليستغف) ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف (بقدر قيامه عليه . ورواه البخاري عن إسحق بن عبد الله بن عمر عن هشام . قال الفقهاء له أن يأكل من أقل الأمرين أجره مثله أو قدر حاجته . واختلفوا هل يرد إذا أيسر ؟ على قولين (أحدهما) لا لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً ، وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي ، لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل . قال أحمد حدثنا عبد الوهاب حدثنا حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لي مال سوى يتيمة ؟ فقال « كل من مال يتيمة غير مسرف ولا مبسر ولا متأمل مالا ومن غير أن يتي مالك » أو قال يتي مالك بماله » شك حسين . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالصة الأشعر حدثنا حسين المسك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عندني يتيمة عند مال وليس لي مال (٢) أكل من ماله : قال « كل بالمعروف غير مسرف » ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين اللهم وروى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره من حديث يعلى بن مهيدي عن جعفر بن سليمان عن أبي عامر الخزاز عن عمرو بن دينار عن جابر أن رجلاً قال : يا رسول الله (٣) أضرب يتيمة : قال (٤) كنت كنت صابراً منه ولست غيروا مالك بماله ولا متأمل منه مالا » وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن عبيد بن سعيد عن القاسم بن محمد قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال إن في حجرتي أيتاماً وإن لهم إبلاً وإبل إلى ، وأنا أنسخ من إبلي قراءاً فماذا يحل من إبائنا فقال : إن كنت تبغى ضالتها وتبغى جربها وتغلو حوضها وتسمى عليها فاشرب غير مضر بنسل ، ولا تاكل في الحلب . ورواه مالك في موطنه عن يحيى بن سعيد به وهذا (١) في نسخة الأزهري : عبد الحميد بن زهير (٢) وفيها : عني يحيى (٣) وفيها : فيها (٤) فيها : نا .

القول وهو عدم أداء البذل يقول عطاء بن أبي رباح وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطية العوفي والحسن البصري (والثاني
نعم لأن مال اليتيم على الحظر ، وإنا أيسر الحاجة فيرد به كأي مال الغير المضطر عند الحاجة . وقد قال ابن أبي
الدنيا : حدثنا ابن خيثمة حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحق عن حارثة بن حارثة بن مضرب قال : قال عمر رضي الله
عنه أتى أنزلت نسي من هذا المال مرة وإلى اليتيم ، ان استخيت استخيت ، وان احتجت استخيت ، فإذا أيسرت قضيت .
(طريق أخرى) قال سعيد بن منصور : حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحق عن البراء قال : قال عمر رضي الله عنه : إنما
أنزلت نسي من مال الله بمنزلة إلى اليتيم ، ان احتجت أخذت منه ، فإذا أيسرت رددته . وإن استخيت استخيت إسناد صحيح
وروي البيهقي عن ابن عباس نحو ذلك وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ومن
كان قتيلاً فليأكل بالمعروف) يعني القرض قال وروي عن عبيدة وأبي الوائل وسعيد بن جبير في إحدى الروايات
ومجاهد والضحاك والسدي نحو ذلك وروي عن طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (فليأكل كل بالمعروف) قال
يا كل ثلاث أسابيع ، ثم قال حدثنا أحمد بن سنان حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس (ومن
كان قتيلاً فليأكل بالمعروف) قال يا كل من ماله يوت على نفسه حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم قال وروي عن مجاهد وميمون بن
مهران في إحدى الروايات والحاكم نحو ذلك . وقال عامر الشعبي لا يأكل منه إلا أن يضطر إليه كايضطر إلى البيت فإنا كل
منه قضاء . رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن وهب حدثنا نافع بن أبي نعيم القاري قال سألت يحيى بن سعيد الأنصاري وريعة
عن قول الله تعالى (ومن كان قتيلاً فليأكل كل بالمعروف) الآية . فقال ذلك في اليتيم إن كان قتيلاً أفق عليه بقدر قدره
ولم يكن للولي منه شيء ، وهذا بعيد من السياق لأنه قال (ومن كان غنيا فليستغف) يعني من الأولياء (ومن كان
قتيلاً) أي منهم (فليأكل كل بالمعروف) أي بالحق هي أحسن كفاية في الآية الأخرى (ولا تهربوا مال اليتيم إلا بالحق هي أحسن
حتى يبلغ أشده) أي لا تهربوا إلا للمصلحين فإن احتجبت إليه أكلتم منه بالمعروف . وقوله (فإذا دفعتم إليهم أموالهم)
يعني بعد بلوغهم الحلم وإتيانكم الرشد منهم فحينئذ سلوا إليهم أموالهم فإذا دفعتم إليهم أموالهم (فأعدهوا عليهم) وهذا
أمر من الله تعالى للأولياء أن يشهدوا في الأيتام إذا بلغوا الحلم وسلوا إليهم أموالهم ثلاثا يقع من بعضهم وجود وانكار
لما قبضه وتسليمه ثم قال (وكفى بالله حسيباً) أي وكفى بالله حاسباً وشاهداً ورتقياً على الأولياء في حال نظرم للأيتام وحال
تسليمهم لأموالهم هل هي كاملة موفرة أو مقصورة مبغوسة مروج حسابها مدلس أمورها ؟ الله عالم بذلك كله . ولهذا
ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « يا أيها الذين آمنوا أحبوا أحبكم ما أحب نفسي لأتأمر على اثنين
ولا تطين مال يتيمة »

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ
أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۚ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ
قَوْلًا مَّرْغُوبًا ۚ وَلْيَضْحَكُوا الَّذِينَ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذَرْبًا ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا
سَدِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۚ﴾

قال سعيد بن جبير وقادة كان للشركون يحصلون للمال للرجال الكبار ولا يورثون النساء ولا الأطفال حينئذ أنزل
الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) الآية أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستون في أصل الورثة
وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدل به إلى اللب من قرابة أو زوجية ، أو ولاء . فإنه لمحة كلمحة
النسب . وروي ابن مردويه عن طريق ابن هراسة عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال :
أنت أم كحة (١) إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء فأنازل الله تعالى

(١) في النسخة الأميركية : أم الحرة ، وهو غلط .

(الرجل نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) الآية وسأبني هذا الحديث عند آئين للبراث يساق آخر والله أعلم وقوله (وإذا حضر القسمة) الآية قبل المراد وإذا حضر قسمة البراث ذوو القربى عن ابن عباس (واليتامى والسالكين) فليخرج لهم من التركة نصيب وإن ذلك كان واجبا في ابتداء الإسلام وقيل يستحب واختلقوا هل هو منسوخ أم لا طي قولن فقال البخاري حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا عبد الله الأشجعي عن سفيان عن الثيباني عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال هي محكمة وليست بمنسوخة . تأمير سعيد عن ابن عباس . وقال ابن جرير حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين حدثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هي قائمة بعمل بها وقال الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية . قاله ابن أبي عمير وأما طي أهل البراث ما طاب به أنفسهم وهكذا روى عن ابن مسعود وأبي موسى وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبي العالبة والسعي والحسن ، وقال ابن سيرين وسعيد بن جبير ومكحول وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح والزهري ويحيى بن عمار إنها واجبة وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن إسحاق بن عمار عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين قال روى عبيدة وسية فأمر بشاة فذبحت فأطعم أسباب هذه الآية فقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي ، وقال مالك فيها يروى عنه في التفسير من جزء مجموع عن الزهري أن عروة أعطى من مال مصب حين قسمه له وقال الزهري هي محكمة . وقال مالك عن عبد الكريم عن مجاهد قال هي حق واجب ما طاب به أقصى

(ذكر من ذهب إلى أن ذلك أمر بالصيغة لم)

قال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن أساء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والقاسم بن محمد أخبراه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن وعاشة حية فلم يبع في المال مسكينا ولا ذاقربة إلا أعطاه من ميراث أبيه قالوا ولا (وإذا حضر القسمة أولو القربى) قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال ما أصاب ليس ذلك له إنما ذلك إلى الوصية وإنما هذه الآية في الوصية يريد لليت يوصي لهم . رواه ابن أبي حاتم

(ذكر من قال إن هذه الآية منسوخة بالسكينة)

قال سفيان الثوري عن محمد بن السائب السكي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (وإذا حضر القسمة) قال منسوخة : قال إسحاق بن مسلم السكي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال في هذه الآية (وإذا حضر القسمة أولو القربى) نسخها الآية التي بعدها (يوصيكم الله في أولادكم) وروى الوقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية (وإذا حضر القسمة أولو القربى) كان ذلك قبل أن تنزل القرآن فأنزله الله بذلك القرآن فأعطى كل ذي حق حقه فصلت الصدقة فيما ملى للثوبى وواهن ابن مردويه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والسالكين) نسخها آية للبراث فصل لكل إنسان نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر وحدثنا أسيد بن عاصم حدثنا سعيد بن عامر عن همام حدثنا قتادة عن سعيد بن السيب أنه قال إنها منسوخة قبل القرآن كان ماترك الرجل من ماله أعطى منه اليتيم والفقير والسكين وذو القربى إذا حضروا القسمة ثم نسخها للوارث فألحق الله بكل ذي حق حقه وصارت الوصية من ماله يوصي بها لذوي قرابته حيث شاء . وقال مالك عن الزهري عن سعيد بن السيب هي منسوخة نسخها للوارث والوصية . وهكذا روى عن عكرمة وأبي الشفاء والقاسم بن محمد وأبي صالح وأبي مالك وزيد بن أسلم والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وريمة بن أبي عبد الرحمن أنهم قالوا إنها منسوخة وهذا مذهب جمهور الفقهاء والأئمة الأربعة وأصحابهم ، وقد اختار ابن جرير ههنا قولاً غريباً جداً وحاصله أن معنى الآية عنده (وإذا حضر القسمة) أى وإذا حضر قسمة مال الوصية أولو قرابة لليت (فارزقوم منه وقولوا) لليتامى والسالكين إذا حضروا (قولا مبروفا) هذا معنى ما حاول به طول النبارة والتكرار وفيه نظر والله أعلم . وقال الوقي عن ابن عباس (وإذا حضر القسمة) هي قسمة البراث وهكذا قال غير واحد واللى طي هذا لا طي ما سلكه ابن جرير رحمه الله بل الذى أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين

لا يكون واليتامى والسالكين قسمة مال جزيل فإن أنفسهم تنوق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ وهم يالسون لاشيء بمطونه فأمر الله تعالى وهو الرؤوف الرحيم أن يرضعهم شيء من الوسط يكون برأهم وصدة عليهم ، وإحسانا إليهم وجبرا لكرهم . كما قال الله تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) وفي الدين يقولون المال خفية خفية أن يطلع عليهم الماويج وذو الفاقة كما أخبر به عن أصحاب الجنة (إذ أقسموا ليصرمنها مصحين) أي بلب . وقال (فاطلقوا وهم يتخافون) أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين (فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) فمن جحد حق الله عليه ما قبله فأعز ما يملكه ، ولهذا جاء في الحديث « ما خلطت الصدقة مالا إلا أنفدته » أي منها يكون سبب عني ذلك المال بالكيفية وقوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) الآية . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هذا في الرجل يحضر الموت ، فيسمعه رجل يوصي بوصية تضر بورثته فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتق الله ويوقه ويسدده للصواب . فينظر لورثته كما كان يجب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيقة ؛ وهكذا قال مجاهد وغير واحد وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما دخل على سعد بن أبي وقاص يومه قال : يا رسول الله إني ذو مال ولا يرثي إلا ابنة ، أنا صدق بئني مالي ، قال « لا » قال : فالشطر قال « لا » قال فالثالث قال « الثالث ، والثالث كثير » ثم قال رسول الله ﷺ « إنك أن تدر ورثتك أغنياء خير من أن تدرم عالة يتكففون الناس » وفي الصحيح عن ابن عباس قال لو أن الناس غصوا من الثالث إلى الرابع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الثالث ، والثالث كثير » قال الفقهاء إن كان ورثة لليت أغنياء استحب لليت أن يستوفي في وصيته الثالث وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص الثالث ؛ وقيل : للراد بالآية فليقتوا الله في مباشرة أموال اليتامى (ولا يأكل كلهم بأسرافا وبدارا) حكاه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس وهو قول حسن يتبادر بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامى ظلماً أي كما يجب أن تعامل ذريتك من بذلك ، فعامل الناس في ذرارهم إذا وليتهم ثم أعلمهم أن من أكل أموال اليتامى ظلماً فإنما يأكل في بطنه ناراً ولهذا قال (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً) أي إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة - وفي الصحيحين من حديث سلمان بن بلال عن ثور بن زيد عن سالم أي التيق عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع اللوچات - قيل : يا رسول الله وماهن ؟ قال - الشرك بالله ، والسحر ؛ وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ؛ وأكل الربا وأكل مال اليتيم ؛ والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الفاضلات المؤمنات » قال ابن أبي حاتم : حدثنا أي حدثنا عبيدة أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد الصمي حدثنا أبو هريرة البدي^(١) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ ما رأيت ليلة أسرى بك ؟ قال « انطلقني إلى خلق من خلق الله كثير . رجال كل رجل منهم له مشفر كسفر البعير ، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء آدم ، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في في أحدهم حتى يخرج من أسفله ولهم جواز وصراع قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » وقال السدي . يبت أكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن ساممه وأغفه وعبيد يعرفه كل من رآه بأكل مال اليتيم . وقال ابن مردويه : حدثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير حدثنا زياد بن المنذر عن نافع بن الحارث عن أبي بركة أن رسول الله ﷺ قال « يبت يوم القيامة القوم من قبورهم تتأجج أنفواهم ناراً » قيل يا رسول الله من هم ؟ قال « ألم تر أن الله قال (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) الآية » ، رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة عن عتبة بن مكرم وأخرجه ابن جبان في صحيحه عن أحمد بن علي بن الحنفية عن عتبة بن مكرم . قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن وصام حدثنا أبو عامر البدي حدثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن عثمان بن محمد عن الثوري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أخرج مال الضعيفين الرأفة واليتيم » أي أوصيك باجتنب المأثم وتخدم في سورة البقرة من طريق عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) الآية

انطلق من كان عنده يتم فزول طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل بفضل الشيء فيجس له حتى يأكله أو يشرب ، فاعتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فأذن الله (وسألتك عن التامى قل إصلاح لم خير) الآية فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي كَرِهَ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلِلَّأُولَىٰ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدْرُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلأُمِّهِ الشُّدْرُ مِنْ بَدَلٍ وَصِيَّةٌ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ فَمَا فَرَضَ مِنْ اللَّهِ إِنْ كَانَ عَلَيَا حَكِيمًا)

هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السورة هن آيات على الفرائض وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة في ذلك مما هو كالتفسير لذلك . ولذكر منها ما هو متعلق بتفسير ذلك . وأما تقرير للسائل ونسب الخلاف والأدلة ، والحجاج بين الأئمة ، فوضعه كتب^(١) الأحكام والله المستعان . وقد ورد الترغيب في تعلم الفرائض وهذه الفرائض الخاصة من أمم ذلك روى أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنس الأفرقي عن عبد الرحمن بن رافع التخشي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا (والثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل ، آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عالة) . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا الفرائض وعلومه الناس فانه نصف العلم ، وهو ينسى ، وهو أول شيء ينزع من أمتي » رواه ابن ماجه وفي إسناده ضعف . وقد روى من حديث ابن مسعود وأبي سعيد ، وفي كل منهما نظر . قال ابن عينة : إنما هي الفرائض نصف العلم لأنه يبتلى به الناس^(٢) كلهم وقال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال : أخبرني ابن السكندر عن جابر بن عبد الله قال : عاذني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ما شئنا فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا أعلم شيئا ، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رشح على فاقتت قلت : ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله . فترلت (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث حجاج ابن محمد الأعور عن ابن جريج به ، ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن السكندر عن جابر (حديث آخر عن جابر في سبب نزول الآية) قال أحمد : حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله هو ابن عمرو الرقي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما بمك في يوم أحد شهيدا ، وإن عھما أخذ مالهما فلم ينع لها مالا ، ولا ينكحان إلا ولهما مال قال : فقال « يقضي الله في ذلك » فترلت آية الليراث ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عھما فقال : « أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأما الثلث ، وما بقي فهو لك » وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل به ، قال الترمذي : ولا يعرف إلا من حديثه . والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة كإسائي ، فانه إنما كان له إذ ذاك أخوات ، ولم يكن له بنات ، وإنما كان يورث كلاله ولكن ذكرنا الحديث هنا تبعا لبخاري فانه ذكره ههنا ، والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول هذه الآية والله أعلم بقوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) أي يأمركم بالعدل فيهم ، فان أهل الجاهلية كانوا يحصلون جميع الليراث للذكور دون الإناث ، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الليراث ، وفاتوا بين السفن ، ففضل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاماة التجارة والتكسب وتحمل للشا قناصب أن يعطى نصف ما تأخذه الأنثى . وقد استنبط بعض الأكيا من قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم

(١) في نسخة الأزهر : كتاب الأحكام بين كتابه هو . (٢) وفيها : زائلة .

لذكر مثل حظ الأنثيين) أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، حيث أوصى الوالدين بأولادهم ! فعمل أنه أرحم بهم منهم كما جاء في الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من السبي فرق بينها وبين ولدها ، فبصت تدور على ولدها ، فلما وجده من السبي أخذته فألقته صدرها وأرضته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تدر على ذلك » . قالوا : لا يا رسول الله ! قال : فوالله الله أرحم بعباده من هذه بولدها » وقال البخاري هنا : حدثنا محمد بن يوسف عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال : كان للمال لولد ، وكانت الوصية للوالدين ؛ ففعل الله من ذلك ما أحب فجعل لذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث ، وجعل للزوجة الثمن والربع ، وللزوج النضر والربع - وقال العوفي عن ابن عباس قوله (يؤتيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وذلك أنه لما نزلت القرأن التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس أو يعضهم وقالوا : تعطى المرأة الربع أو الثمن ، وتعطى الابنة النصف ومطى الغلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقابل القوم ، ولا يجوز التقدمة ؛ استكنوا عن هذا الحديث لئلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسأه ؛ أو يقول لا يغير قتالوا ؛ يا رسول الله تعطى الجارية نصف ما ترك أبوها ؛ وليست تركب القرس ؛ ولا تقابل القوم ، ومطى الصبي لليراث وليس بشئ شيئا ؛ وكانوا يضلون ذلك في الجاهلية ؛ لا يسلطون لليراث إلا لمن قاتل القوم ؛ ويعطونه الأكبر فالأكبر . روى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضا قوله (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) قال بعض الناس : قوله فوق زادته وتغيره فإن كن نساء اثنتين كما في قوله (فاضربوا لوقى الأعناق) وهذا غير مسلم لا هنا ولا هناك . فإنه ليس في القرآن شيء زاد لا فائدة فيه . وهذا مجتمع ، ثم قوله (فلهن ثلثا ما ترك) لو كان الرادما لقوله قال فلهما ثلثا مارك ؛ وإنما استيدكون الثلثين للبتين من حكم الأنثيين في الآية الأخيرة ، فإنه تعالى حكم فيها للاختين بالثلثين . وإذا ورت الأختان الثلثين فلا ن يرث البنتان الثلثين بالطريق الأولى . وقد تقدم في حديث جابر أن النبي ﷺ حكم لانتى سعد بن الربيع بالثلثين فدل الكتاب والسنة على ذلك أيضا فإنه قال (وإن كانت واحدة فلها النصف) فلو كان للبتين النصف لنع عليه أيضا فلما حكم به واحدة على انفرادها دل على أن البتتين في حكم الثلاث والله أعلم وقوله تعالى (ولأبويه لكل واحد منهما السدس) إلى آخره ، الأبوان لها في الإرث أحوال (أحدها) أن يجتمعا مع الأولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس فإن لم يكن لميت إلا بنت واحدة ، فرض لها النصف ، وللأبوين لكل واحد منهما السدس ؛ وأخذ الأب السدس الآخر بالتصيب فيجمع له والحالة هذه بين الفرض والتصيب (الحال الثاني) أن يفرد الأبوان البيراث ، فيفرض لأم الثلث والحالة هذه أخذ الأب الباقي بالتصيب المحض ؛ فيكون قد أخذ نصف ما حصل للأم وهو الثلثان ، فلو كان معها زوج أو زوجة وأخذ الزوج النصف والزوجة الربع . ثم اختلف العلماء ما إذا تأخذ الأم بسدسك في ثلاثة أقوال : (أحدها) أنها تأخذ ثلث الباقي في المستثنين ؛ لأن الباقي كأنه جميع لليراث بالنسبة إليهما . وقد جعل لها الله نصف ما جعل للأب . فتأخذ ثلث الباقي وتأخذ الأب الباقي ثلثه ؛ هذا قول عمر وعثمان وأصح الروايتين عن علي ؛ وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور العلماء (والثاني) أنها تأخذ ثلث جميع المال لمعوم قوله (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) فإن الآية أعم من أن يكون معها زوج أو زوجة أو لا ؛ وهو قول ابن عباس . وروى عن علي ومعاذ بن جبل نحوه . وبه يقول شريح وداود الظاهري . واختاره أبو الحسين محمد بن عبد الله بن البان البصري في كتابه الإيجاز في علم القرض وهذا فينظر ، بل هو ضعيف ، لأن ظاهر الآية إنما هو إذا استبدأ بجميع التركة ، وأمأنا فيأخذ الزوج أو الزوجة القرض ويبقى الباقي كأنه جميع التركة فتأخذ ثلثه (والقول الثالث) أنها تأخذ ثلث جميع المال في مسئلة الزوجة خاصة ، فإنها تأخذ الربع وهو ثلاثة من اثني عشر ، وتأخذ الأم الثلث وهو أربعة ، فيبقى خمسة للأب وأمافي مسئلة الزوج فتأخذ ثلث الباقي ثلثا تأخذ أكثر من الأب لو أخلت ثلث المال ، فتكون الثلثة من ستة : للزوج النصف ثلاثة للأم ثلث الباقي بعد ذلك وهو سهم ، وللأب الباقي بسدسك وهو سهان . وعكس هذا عن ابن سيرين ، وهو مركب من القولين الأولين ، وهو ضعيف أيضا والصحيح الأول والله أعلم (والحال الثالث من أحوال الأبوين) وهو

اجتماعها مع الاخوة ، سواء كانوا من الأبوين أو من الأب أو من الأم ، قائم لارتبون مع الأب شيئا ، ولكم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس ، فيفرض لها مع وجودهم السدس فان لم يكن وارث سواها وسوى الأب أخذ الأب الباقي . وحكم الأخوين فيما ذكرناه حكم الاخوة عند الجمهور . وقد روى البيهقي من طريق شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه دخل على عثمان فقال : إن الأخوين ليردنان الأم عن الثلث قال الله تعالى (فان كان له إخوة) فالأخوان ليسا بلسان قومك إخوة ، فقال عثمان : لا أستطيع تغيير ما كان قبلي ، ومضى في الأمصار وتوارث به الناس . وفي صحة هذا الأثر نظر ، فان شعبة هذا نكسكم فيما لك بن أنس ، ولو كان هذا صحيحا عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخصاء به ، وللقول عنهم خلافه وقدرى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال : الاخوان تسمى إخوة ، وقد أفردت لهنه للسنة جزءا على حدة . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المقرئ حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة نحوه وقوله (فان كان له إخوة فلائمه السدس) أضربوا بالأم ولا يرتبون ، ولا يحجبها الأخ الواحد عن الثلث ويجبها ما فوق ذلك ، وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم عن الثلث أن إمامهم إلى إنكاسهم وقتلته عليهم دون أمهم ، وهذا كلام حسن . لكن روى عن ابن عباس بإسناد صحيح أنه كان يرى أن السدس الذي حجبوه عن أمهم يكون لهم . وهذا قول شاذ رواه ابن جرير في تفسيره فقال : حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال : السدس الذي حجبته الاخوة الأم لهم إنما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أبيهم ، ثم قال ابن جرير : وهذا قول مخالف لجميع الأمة . وقد حدثني يونس أخبرنا سفیان أخبرنا عمرو عن الحسن بن محمد عن ابن عباس أنه قال : السكالة من لاولده ولا والله .

وقوله (من بعد وصية يوصي بها أودن) أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية وذلك عند إيمان النظر يفهم من فحوى الآية الكريمة . وروى أحمد والترمذي وابن ماجه وأصحاب التفسير من حديث ابن إسحق عن الحارث بن عبيدة الأعور عن علي بن أبي طالب قال : إنكم تهرءون (من بعد وصية يوصي بها أودن) وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية ، وإن أعيان بني الأم يتوارثون دون بني السلات ، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه . ثم قال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديث الحارث (١) وقد نكسكم فيه بسن أهل العلم (قلت) لكن كان حافظا لفرأى مقتنيا بها وبالحساب فافقه أعلم

وقوله (أتأولكم وأبناؤكم لاتدرون أمهم أقرب لكم ضمنا) أي إنما فرضنا للأباء والأبناء وسواونا بين السكالي في أصل الليراث على خلاف ما كان عليه الأمر في الجاهلية ، وعلى خلاف ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من كون المال لأولاد (٢) وللأبوين الوصية كما ضمهم عن ابن عباس ، إنما نسخ الله ذلك إلى هذا ففرض لأولاد ولهن أولاد بمسهم ، لأن الانسان قد يأتيه النفع الدنيوي أو الأخرى أوها من أبيه مالا يأتيه من ابنه ، وقد يكون بالسكس ، ولذا قال (أتأولكم وأبناؤكم لاتدرون أمهم أقرب لكم ضمنا) أي إن النفع متنوع ومرجو من هنا كما هو متوقع ومرجو من الآخر فلها فرضنا لهذا وهذا ، وسأونا بين القسمين في أصل الليراث والله أعلم

وقوله (فريضة من الله) أي هذا الذي ذكرناه من تخصيص الليراث وإعطاء بسن الورثة أكثر من بسن هو فرض من الله حكم به وقضاه والله عليم حكيم الذي يضع الأشياء في حلالها ويسلها كما ما يستحقه بحسبه ، ولهذا قال (إن الله كان عليا حكيا)

(وَلَكُمْ يَصْطَفَى تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ إِن لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ زَكَاةٌ يُورَثُ كَلَّةٌ أَوْ أَمْرَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٍّ

وَأَحَدُ مَشْنَأِ السُّدُسِ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهَمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْسَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ
غَيْرِ مَضَارٍ وَصِيَّةٍ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ

يقول تعالى ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا متن عن غير ولد ، فإن كان لمن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد الوصية أو الدين . وقد تقدم أن الدين مقدم على الوصية ، وبعده الوصية ثم للبراث ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب . ثم قال (ولهن الربع مما تركنكم) إلى آخره وسواء في الربع أو الثمن الزوجة والزوجتان الاثنتان والثلاث والأربع يشتركن فيه وقوله (من بعد وصية) إلخ السلام عليهما تقدم وقوله تعالى (وإن كان رجل يورث كلالة) الكلالة مشتقة من الإكليل وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه لأسنوله ولا فروعه كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الكلالة فقال : أقول فيها برأى فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريان منه : الكلالة من لا ولد له ولا والد فلما ولي عمر قال : إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه . كلنا رواه ابن جرير وغيره . وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا محمد بن زيد^(١) عن سفیان عن سلمان الأحول عن طاوس قال سمعت ابن عباس يقول : كنت آخر الناس عهداً بسر قسمته يقول القول ما قلت وما قلت وقال : الكلالة من لا ولد له ولا والد . وهكذا قال على وابن مسعود وصح عن غير واحد عن ابن عباس وزيد بن ثابت وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم وقد حكى الإجماع عليه غير واحد وورد فيه حديث مرفوع قال أبو الحسن بن البان وقد روى عن ابن عباس ما يخالف ذلك وهو أنه من لا ولد له والصحيح عنه الأول ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد . وقوله تعالى (وله أتع وأخت) أي من أم كما هو في قراءة بعض السلف منهم سعد بن أبي وقاص وكذا فسرها أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه (فلسك واحدهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) وإخوة الأم خالفون بقية الورثة من وجود أحدها : أمهم يرثون مع من أدلوا به وهي الأم (والثاني) أن ذكورهم وإناتهم للبراث سواء (والثالث) لا يرثون إلا إن كان ميتهم يورث كلالة فلا يرثون مع أب ولا جد ولا ولد ولا ولد ابن (الرابع) أنهم لا يزدادون على الثلث وإن كثر ذكورهم وإناتهم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنا يونس عن الزهري قال : قضى عمر أن ميراث الأخوة من الأم بينهم للذكر مثل حظ الأنثى قال الزهري ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله ﷺ وهذه الآية هي التي قال الله تعالى فيها (فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) واختلف العلماء في الثلثة للشركة وهي زوج وأم أو جدة واثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الأبوين ، فلي قول الجمهور لزوج النصف ، وللأم أو الجدة السدس ، ولولد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو أخوة الأم ، وقد وقعت هذه للسلطة في زمان أمير المؤمنين عمر فأعطى الزوج النصف والأم السدس ، وجعل الثلث لأولاد الأم فقال له أولاد الأبوين : يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حسناً السننا من أم واحدة ؟ فترك بينهم وصح التشريك عن عثمان وهو إحدى الروايتين عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم ، وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح القاضي ومسروق وطلوس ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري وشريك : وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق بن راهويه وكان على بن أبي طالب لا يشرك بينهم ، بل يجعل الثلث لأولاد الأم ، ولأولاد الأبوين ، والحالة هذه لأنهم عصبة . وقال وكيع بن الجراح : لم يختلف عنه في ذلك . وهذا قول أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري . وهو المشهور عن ابن عباس . وهو مذهب الشعبي وابن أبي ليلى وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر بن الهذيل والإمام أحمد ويعني بن آدم ولعيسى بن حماد وأبي ثور وداود بن علي الظاهري ، واختاره أبو الحسن بن البان القرضي رحمه الله في كتابه الإيجاز .

(١) في نسخة الأثر : محمد بن عبد الله بن يزيد .

وقوله (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) أى تشكن وصيته على الدل لا على الإضرار والجور والحيف بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه ، أو يزيده على ما فرض الله من القرينة ، فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله حكمه وشريعته . ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو النضر الشافعي القرايبي حدثنا عمر بن النيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الإضرار في الوصية من الكبائر » وكذا رواه ابن جرير من طريق عمر بن النيرة هذا وهو أبو حفص بصري سكن البصرة ، قال ابن عساكر : ويصرف بمعنى للسالكين ، وروى عنه غير واحد من الأئمة ، وقال فيه أبو حاتم الرازي : هو شيخ ، وقال علي بن الندي : هو مجهول لأعرافه ، لكن رواه النسائي في سننه عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا « الإضرار في الوصية من الكبائر » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن عائذ بن جيب عن داود بن أبي هند ، ورواه ابن جرير من حديث جماعة من الحفاظ عن داود عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا ، وفي بعضها وقرأ ابن عباس (غير مضار) قال ابن جرير والصحيح اللوقوف ، ولهذا اختلف الأئمة في الإقرار بالوراث هل هو صحيح أم لا على قولين (أحدهما) لا يصح لأنه مظنة التهمة . وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » وهذا مذهب مالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة والقول القديم للشافعي رحمهم الله ، ذهب في الجديد إلى أنه يصح الإقرار . وهو مذهب طائوس وعطاء والحسن وعمر بن عبد العزيز وهو اختيار أبي عبد الله البخاري في صحيحه ، واحتج بأن رافع بن خديج أوصى أن لا تكشف القرابة عما أغلق عليه أباهما قال : وقال بعض الناس لا يجوز إقراره لسوء الظن بالورثة وقد قال النبي ﷺ « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وقال الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فلم يخص وراثا ولا غيره . انتهى ما ذكره . فحق كان الإقرار صحيحا مطابقا لما في نفس الأمر جرى فيه هذا الخلاف ومتى كان حيلة ووسيلة إلى زيادة بعض الورثة ونقصان بعضهم فهو حرام بالإجماع وينص هذه الآية الكريمة (غير مضار وصية من الله ، والله عليم خليم) ثم قال تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)

أى هذه القرائن والقواعد التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الليث واحتياجهم إليه وتقديم له عند عدمه على حدود الله فلا تمتدوها ولا تجاوزوها . ولهذا قال (ومن يطع الله ورسوله) أى فيها فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضها بحيلة ووسيلة بل تركهم على حكم الله وفريسته وقسمته (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) أى لكونه غير مأمك الله به وضاد الله في حكمه ، وهذا إما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به ، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم للعقوب - قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عديله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فيموت في وصيته فينجم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار سبعين سنة فيموت في وصيته فينجم له خير عمله فيدخل الجنة » قال ثم يقول أبو هريرة : اقرهوا إن شئتم (تلك حدود الله - إلى قوله - عذاب مهين) قال أبو داود في باب الإضرار في الوصية من سنته : حدثنا عبيد بن عبد الله أخبرنا عبد الصمد حدثنا نصر بن علي الحارثي ^(١) حدثنا الأشعث بن عبد الله بن جابر الحداني حدثني شهر بن حوشب أن أبا هريرة حدثه أن رسول الله ﷺ قال « إن الرجل ليعمل أو للراءة بطلاعة الله ستين سنة ثم يحضرها الموت فيضران في الوصية فتجب لها النار » وقال قرأ علي أبو هريرة من ههنا (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار - حتى بلغ - ذلك الفوز العظيم) وهكذا رواه الترمذي وابن

ماجه من حديث أمعت^(١) وأكل به ، وقال الترمذى حسن غريب ، وساق الإمام أحمد أم وأكل
 (وَأَلَّا لِي بِأَيِّتَيْنِ الْقَصِيصَةِ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْنِ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ
 حَتَّى يَتَوَفَّيْنِ الْقَوْتِ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَلَاؤُهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَسْلَمَا فَاعْرِضُوا
 عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تُوَّابًا رَحِيمًا)

كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه
 إلى أن تموت ، ولهذا قال (واللآتي يأتيان الفاحشة) يعني أفرنا (من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) فان شهدوا
 فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك : قال ابن
 عباس رضى الله عنه : كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم ؛ وكذا روى عن عكرمة
 ومعيد بن جبير والحسن وعطاء الخراساني وأبي صالح وقائدة وزيد بن أسلم والضمحاك أنها منسوخة وهو أمر متفق
 عليه - قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سميع بن قتادة عن الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن
 الصامت قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أمر عليه وكره له ذلك وتبرأ^(٢) وجهه فأفازل الله عز وجل عليه ذات
 يوم فلما سرى عنه قال « خذوا عني خذوا عني خذوا عني خذوا عني » فإذا نزل عليه الوحي أمر عليه وكره له ذلك وتبرأ^(٢) وجهه فأفازل الله عز وجل عليه ذات
 والبكر جلد مائة ثم نفي سنة « وقد زواه مسلم وأصحاب السنن من طرق عن قتادة عن الحسن بن حطان عن عبادة بن
 الصامت عن النبي ﷺ وقطعه « خذوا عني خذوا عني خذوا عني خذوا عني » فإذا نزل عليه الوحي أمر عليه وكره له ذلك وتبرأ^(٢) وجهه فأفازل الله عز وجل عليه ذات
 والتيب بالتيب جلد مائة والرجم : هذا حديث حسن صحيح . وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن مبارك
 ابن فضالة عن الحسن بن حطان عن عبد الله الرقاشي عن عبادة أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي عرف ذلك
 في وجهه ؛ فأنزلت (أو يجعل الله لهن سبيلا) فلما رفع الوحي قال رسول الله ﷺ « خذوا خذوا قد جعل الله لهن سبيلا »
 البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ؛ والتيب بالتيب جلد مائة ورجم بالحجارة . وقد روى الإمام أحمد أيضا هذا الحديث
 عن وكيع بن الجراح عن الحسن بن علي بن فضال عن فضال بن فضال عن فضال بن فضال عن فضال بن فضال عن فضال بن فضال
 « خذوا عني خذوا عني خذوا عني خذوا عني » فإذا نزل عليه الوحي أمر عليه وكره له ذلك وتبرأ^(٢) وجهه فأفازل الله عز وجل عليه ذات
 وكذا رواه أبو داود مطولا من حديث الفضل بن فضال عن فضال بن فضال عن فضال بن فضال عن فضال بن فضال عن فضال بن فضال
 (حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا عباس بن حمدان حدثنا أحمد بن

داود حدثنا عمرو بن عبد التفار حدثنا إسماعيل بن أبي خازم^(٣) عن الشعبي عن مسروق عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله
 ﷺ « البكران يجلدان وينفيان ، والتيبان يجلدان ويرجمان ، والشيطان يرجم » هذا حديث غريب من هذا
 الوجه - وروى الطبراني من طريق ابن لمعة عن أخيه عيسى بن لمعة عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت
 سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجس بسد سورة النساء » وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى القول
 بمقتضى هذا الحديث ، وهو الجمع بين الجلد والرجم في حق التيب الرأى ، وذهب الجمهور إلى أن التيب الرأى إنما
 يرمم فقط من غير جلد قالوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم معاذا والقامدية واليهوديين ، ولم يجلدهم قبل ذلك فدل
 على أن الرجم ليس بهتم ، بل هو منسوخ على قولهم والله أعلم . وقوله تعالى (والَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَلَاؤُهُمَا) أى
 والَّذَانِ يَمْلَأَنِ الْقَاحِشَةَ فَاكُودُهُمَا ، قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما : أى بالشتم والتصريح والضرب
 بالنعال ، وكان الحكم كذلك حتى نسخ الله بالجلد أو الرجم ، وقال عكرمة وعطاء والحسن وعبد الله بن كثير : نزلت
 في الرجل والمرأة إذا زنيا . وقال السدى : نزلت في التفتان من قيل أن يتزوجا . وقال مجاهد : نزلت في الرجلين إذا
 نضلا - لا يكتفى ، وكأنه يريد القواطع والله أعلم . وقد روى أهل السنن من حديث عمرو بن أبي محمد عن عكرمة عن

(١) في نسخة الأثر : ابن عبد الله بن جابر الهذلي (٢) وفيها : وترى . (٣) وفيها من الحسن . (٤) وفيها : خليد .

ابن عباس مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ « من رأى مومنا يعمل عمل قوم لوط فأتوا القاع والقصور به » . وقوله (فإن تاب وأصلح) أى أتلفا ونزعا عما كانا عليه وصلحت أعمالهما وحسنت (فأعرضوا عنها) أى لا تمنعوها بكلام قبيح بعد ذلك . لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له (إن الله كان توابا رحيمًا) وقد ثبت في الصحيحين « إذا زنت أمة أحدم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها » أى لا يبرها بما صنعت بعد الحد الذى هو كفارة لما صنعت

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

يقول سبحانه وقامى إنما قبل (١) الله التوبة عن عمل السوء بجهالة ثم يتوبون بعد (٢) معانة للالك قبض روحه قبل التفرغ . قال مجاهد وغير واحد . كل من عصى الله خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى يتزعج عن الذنب ، وقال قتادة عن إدريس العاصية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة رواه ابن جرير . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال : اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فقرأوا أن كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره . وقال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال : كل ما عمل بمصية الله فهو جاهل حين عمله . قال ابن جريج وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه . وقال أبو صالح عن ابن عباس من جهلته عمل السوء . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (ثم يتوبون من قريب) قال : ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت وقال النخاعة : ما كان دون الموت فهو قريب وقال قتادة والسدى : مادام في صمته ، وهو مروى عن ابن عباس . وقال الحسن البصري : (ثم يتوبون من قريب) ، ما لم يفرغ ، وقال عكرمة : الله تعالى كلها قريب (ذكر الأحاديث في ذلك) قال الامام أحمد حدثنا علي بن عيسى ، وعصام بن خالد ، قال حدثنا بن ثوبان عن أبيه ، عن مكحول ، عن جبرين بن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال « إن الله قبل توبة العبد ما لم يفرغ » رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان به ، وقال الترمذي حسن غريب . ووقع في سنن ابن ماجه : عن عبد الله بن عمرو وهو وم إمامه عبد الله ابن عمر بن الخطاب (حديث آخر) قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن معمر . حدثنا عبد الله بن الحسن الحارثي (٣) حدثنا يحيى ابن عبد الله البجلي ، حدثنا أيوب بن نهيك الحلبي سمعت عطاء بن أبي رباح قال : سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه أدنى من ذلك » وقبل موته يوم وساعة يعلم الله منه التوبة والإخلاص إليه إلا قبل منه (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن إبراهيم بن يميونة وأخبرني رجل من ملحان قال له أيوب قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه ، ومن تاب قبل موته يوم تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه . قلت إنما قال الله (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فقال إنما أمدتكم ما سمعت من رسول الله ﷺ . وهكذا رواه أبو داود الطيالسي . وأبو عمر الحوضي ، وأبو حاتم القدي عن شعبة (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا محمد بن مطرف ، عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن ابن السلمي قال : اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ فقال أحدهم سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله قبل توبة العبد قبل أن يموت يوم » فقال الآخر أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم ؟ قال : وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله قبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم » فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله قبل توبة العبد قبل أن يموت بضعوة » قال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول « إن الله يقبل توبة العبد مالم يرغز بنفسه » وقد رواه سعيد بن منصور عن الدراوردي ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الرحمن بن السلمي فذكر قريباً منه . (حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا عمران بن عبد الرحيم ، حدثنا عثمان بن الميثم ، حدثنا عوف عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله يقبل توبة عبده مالم يرغز » (أحاديث في ذلك مرسة) .

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال « إن الله يقبل توبة العبد مالم يرغز » هذا مرسل حسن عن الحسن البصري رحمه الله . وقد قال ابن جرير أيضاً رحمه الله : حدثنا ابن بشار . حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة عن الملاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله ﷺ قال « إن الله يقبل توبة العبد مالم يرغز » وحدثنا ابن بشار حدثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله ﷺ قال فذكر مثله . (حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار . حدثنا أبو داود حدثنا عمران عن قتادة قال : كنا عند أنس بن مالك وثم أبو قتادة فقال فحدث أبو قتادة قال : إن الله تعالى لما لبس إبليس سأله النظر فقال : وعزتك وجلالك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح . فقال الله عز وجل وعزتي لا أمتعه التوبة مادام فيه الروح . وقد ورد هذا في حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الميثم التماري كلاهما عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال إبليس يارب وعزتك لأزال أعينهم مادامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » فقد دلت ههنا الأحاديث على أن من تاب إلى الله عز وجل وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة ولهذا قال تعالى (فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله علياً حكيم) وأما متى وقع الإياس من الحياة وعابن للثك وخرجت^(١) الروح في الحلق وضاق بها الصدر وبلغت الحلقوم وغرقت النفس صاعدة في الصلصم فلا توبة مقبولة حيث ذلك حين مناس ولهذا قال (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) وهذا كما قال تعالى (فلما رأوا أناساً قالوا آتينا بالله وحده) الآيتين ، وكما حكى تعالى بدم توبة أهل الأرض إذا عابوا الشمس طالعة من مغربها في قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل . أو كسبت في إيمانها خيراً) الآية : وقوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) يعني أن الكفار إذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته ولا قبل منه فدية ولو بلاء الأرض . قال ابن عباس وأبو العالية والريبع بن أنس (ولا الذين يموتون وهم كفار) قالوا نزلت في أهل الشرك وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود قال حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان^(٢) حدثني أبي عن مكحول أن عمر بن نعيم حدثه أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله يقبل توبة عبده أو ينفر لبعده مالم يقع الحجاب » قبل وما وقوع الحجاب ؟ قال « يخرج النفس وهي مشركة » ولهذا قال الله تعالى (أولئك أعذبتنا لهم عذاباً أليماً) أي موجهاً شديداً مقياً

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْ تَرَوْا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَصْطَلُوهُنَّ لِيَذَّبَنَّهُنَّ بَيْعُ مَاءٍ آتَيْنَهُنَّ حَبْرًا إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَنَّ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا وَغَيْرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا » وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُبَيِّنُوا زَوْجَكُمْ مَكَانَ زَوْجِكُمْ وَأَنْتُمْ مُحِبُّوهُنَّ فَلَا تَأْخُذُوا بِهِنَّ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُنَّ بِهَيْئَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ مُحِبُّوهُنَّ ؟ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُنَّ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا » وَلَا تَسْكَنُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ قُبْحًا وَسَاءَ سَبِيلًا »

قال البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس قال الشيباني وذكره

(١) في نسخة الأخر : وخرجت (٢) وفيها : أن ثابت بن ثوبان قال .

أبو الحسن السوائي ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها) قال كانوا إذا مات الرجل كان أولاده أحق بامرأته إن شاء بسهم تزوجها وإن شاءوا زوجها وإن شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها) هكذا كره البخاري وأبو داود والنسائي وابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث أبي إسحق الشيباني وإسماعيل بن أبي سليمان عن عكرمة وعن أبي الحسن السوائي وإسماعيل بن عطاء كوفي في معنى كلامه عن ابن عباس بما تقدم . وقال أبو داود حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت اللوزي حدثني علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها ولا تتسلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين فاحشة مينة) وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيفضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها فأحكم الله تعالى عن ذلك أي نهى عن ذلك فخرده أبو داود وقدره عن غير واحد عن ابن عباس بنحو ذلك وروى وكيع عن سفيان عن علي بن نديعة عن مقيم عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا توفى عنها زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبا كان أحق بها فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها) وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها) قال كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حيمه ثوبه فمنها من الناس قلن كانت جميلة تزوجها وإن كانت دمية حبسها حتى تموت فيرثها : وروى العوفي عنه كان الرجل من أهل المدينة إذا مات حم أحدكم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها ولم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تقتدى منه بدية . فأزيل الله (يا أيها الذين آمنوا لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها) وقال زيد بن أسلم في الآية كان أهل يرب إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من ميراث ماله وكان يضلها حتى يرثها ، أو يزوجه من أراد ، وكان أهل تهامة يسهو الرجل صبة المرأة حتى يطلقها ويشرط عليها أن لا تنكح إلا من أراد حتى تقتدى منه يمس ما أعطها فقضى الله المؤمنين عن ذلك روى ابن أبي حاتم . وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد ابن إبراهيم ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا علي بن النضر . حدثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف عن أبيه قال قال أبو بوقيس بن الأسلت أراذله أنه يزوجه امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية فأزيل الله (لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها) ورواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل به ثم روى من طريق ابن جريج قال أخبرني عطاء أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل وترك امرأة حبسها أهلها على الصبي يكون فهم فنزلت (لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها) الآية . وقال ابن جريج قال مجاهد كان الرجل إذا توفى كان ابنه أحق بامرأته ينكحها إن شاء إذا لم يكن ابنها ، أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه . وقال ابن جريج قال عكرمة نزلت في كبيشة بنت من بن عامر بن الأوس توفى عنها أبو بوقيس بن الأسلت فحبس عليها ابنه فجاءت رسول الله ﷺ ، فقالت يا رسول الله : لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فأنكح . فأزيل الله هذه الآية . وقال السدي عن أبي مالك : كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبا . فإن كان له ابن صفي ، أو أخ حبسها حتى يشب أو تموت فيرثها فإن هي ائتمت فأتمت أهلها ولم يلق عليها ثوبا نجت فأزيل الله (لا يجل لكم أن ترقوا النساء كرها) وقال مجاهد في الآية : كان الرجل يكون في حجره البتية هو يلى أمرها فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيزوجها أو زوجها ابنه ، روى ابن أبي حاتم . ثم قال وروى عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح ، وأبي مجاز والضحاك والزهرى وعطاء الخراساني ، ومقابل بن حيان نحو ذلك . قلت : فالآية تم ما كان يفعله أهل الجاهلية وما ذكره مجاهد ، ومن واقفه . وكل ما كان فيه نوع من ذلك والله أعلم وقوله (ولا تتسلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) أي لا تتسلوهن في الشرعة لترك لكم ما أسدتكم أو بضه أو حفا من حقوقها عليكم ، أو عشا من ذلك على وجه القهر لها والاضرار . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تتسلوهن) يقول ولا تجهروهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبها ولعاطله مهر فيضرها لتفتدي به ، وكذا قال الضحاك وقادة وغير واحد . واختاره ابن جرير ، وقال ابن المبارك وعبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني سفيان بن الفضل عن ابن الساماني قال : نزلت هاتان الآيتان لإحداهما في أمر الجاهلية ، والأخرى

في أمر الاسلام . قال عبد الله بن المبارك يعني قوله (لا يحل لكم أن تترثوا النساء كرها) في الجاهلية (ولا تفضوهن) في الإسلام ، وقوله (إلا أن يأتين فاحشة معينة) قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والشعب ، والحسن البصري . وعمر بن سريين . وسعيد بن جبير ومجاهد . وعكرمة ، وعطاء الخراساني ، والضحاک وأبو قتادة ، وأبو صالح والسدي وزيد بن أسلم ، وسعيد بن أبي هلال ، يعني بذلك الزنا ، يعني إن ازنت فلك أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها وتضجرها حتى تتركك وتخالها كما قال تعالى في سورة البقرة (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقبها حدود الله) الآية : وقال ابن عباس وعكرمة والضحاک : الفاحشة اللينة النشوز والنسيان ، واختار ابن جرير أنه يعم ذلك كله الزنا والنسيان ، والنشوز وبذاء اللسان ، وغير ذلك . يعني أن هذا كله يبيح مضاجعتها حتى تبرأ منه حتى أو بضعه وغارقها . وهذا جيد والله أعلم ، وقد تقدم فيها رواه أبو داود منفردا به من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (لا يحل لكم أن تترثوا النساء كرها ولا تضوهن) لتذهبوا بعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين فاحشة معينة) قال وذلك إن الرجل كان يرث امرأة ذى قرابته فيفضلها حتى توت أوترد إليه صداقها فأحك الله عن ذلك أي نهى عن ذلك . قال عكرمة والحسن البصري : وهذا يقتضي أن يكون السياق كله كان في أمر الجاهلية ولكن نهى المسلمون عن فعله في الإسلام : وقال عبد الرحمن بن زيد كان الضل في قرش بمكة ينكح الرجل المرأة الشرقة فلعلها لاتوافقها فيفارقتها على أن لاتزوج إلا بإذنه يأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد فإذا جاء الحاطب فإن أعطته وأرضته أذن لها ولأعضلها . قال فهذا قوله (ولا تضوهن) لتذهبوا بعض ما آتيتموهن) الآية وقال مجاهد في قوله (ولا تضوهن) لتذهبوا بعض ما آتيتموهن) هو كالضل في سورة البقرة . وقوله تعالى (وعاشروهن بالمعروف) أي طيبوا أحوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وحيثما كن حسب قدرتك كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى (ولهن مثل عليهن بالمعروف) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله » وأناخيركم لأهلي » وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل المشرة دائم البشر ، يداعب أهله ، ويطلب بهم ويوسمهم بشفقة ، وشاحك نساءه حتى إن كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك قالت سألت رسول الله ﷺ فسبقت ذلك قبل أن أحل اللحم ، ثم سأبته بعد ما حلت اللحم فسبقتي فقال « هذه تلك » ويجمع (١) نساءه كل ليلة في بيت التي بيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم العشاء في بعض الأحيان ثم يتصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان ينام مع المرأة من نساءه في شمار واحد يضع عن كنفه الرءاء وينام بالازار ، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم . وقد قال الله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وأحكام عشرة النساء وما يتعلق بتفصيل ذلك موضعه كتب (٢) الأحكام والله الحمد

وقوله تعالى (فإن كرهتموهن نفوس أن تكرهوا شيئا ويمثل الله فيه خيرا كثيرا) أي نفوس أن يكون صبركم في إسكانهن (٣) مع الكراهة فيخير كثير لكم في الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس في هذه الآية هو أن يطفف عليها فيزق منها ولدا ويكون في ذلك الوه خير كثير ، وفي الحديث الصحيح « لا يفرق مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلعها مني آخر » وقوله تعالى (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيت إحداهن قطارا فلا تأخذوا منها شيئا مما أخذوه بها نأنا ولو كان قطارا من اللال ، وقد قدما في سورة آل عمران الكلام على القطار بما فيه كفاية عن إعادته هنا . وفي هذه الآية دلالة على جواز الاستدراك بالمال الجزيل وقد كان عمر بن الخطاب نهى عن كثرة الاستدراك ثم رجع عن ذلك كما قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال : نبئت عن أبي العضاء السلمي قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : ألا لا تاتلوا في صداق النساء ، فانها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كانت أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نساءه ولا أصدق امرأة من

(١) في لسعة الأزهر : ويجمع . (٢) وفيها : كتاب . (٣) وفيها : إسكانكم لهن .

بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية ، وإن كان الرجل لينتلي بصدقة امرأته حتى يكون لها عداوة في نفسه وحتى يقول كلفت إليك علق القربة ، ثم رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن محمد بن سيرين عن أبي العضاء واسمه هرم

ابن سيب البصري وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح (طريق أخرى عن عمر) قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خزيمة حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن عن خالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس ما أكثركم في صدق النساء . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعة درهم . فما دون ذلك . ولو كان الاكثر في ذلك هوى عند الله أو كرامة لم تسبقهم إليها . فلا عرفن ما زاد رجل في صدق امرأة على أربعة درهم . قال : ثم نزل . فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعة درهم ، قال : نعم فقالت أما سمعت ما أنزل الله في القرآن . قال : وأى ذلك . فقالت : أما سمعت الله يقول (وآتيتهم إحداهن قنطاراً) الآية قال : فقال اللهم غفر ، كل الناس أقره من عمر . ثم رجع فركب للبر فقال : أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب . قال أبو يعلى : وأظنه قال : فمن طابت نفسه فليعمل لسانه جديقوى

(طريقة أخرى) قال ابن المنذر . حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن قيس بن ربيع عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال عمر بن الخطاب لا تنالوا في مهور النساء . قالت امرأة : ليس ذلك لك يا عمر إن الله يقول : وآتيتهم إحداهن قنطاراً من ذهب (١) قال وكذلك هي في قرامة عبد الله بن مسعود . فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً فقال عمر : إن امرأة خاصمت عمر فضمته

(طريق أخرى عن عمر فيها انقطاع) قال الزبير بن بكار : حدثني حمى مصعب بن عبيد الله عن جدي قال : قال عمر بن الخطاب : لا تزيدوا في مهور النساء وإن كانت بفت ذى القصة - يعني يزيد بن الحصين الحارثي - فمن زاد ألفت الزيادة في بيت المال . فقالت امرأة من صفة النساء طوية . في أفتها فطس : ماذا لك قال : ولم . قالت : إن الله قال (وآتيتهم إحداهن قنطاراً) الآية فقال عمر : امرأة أصابت رجلاً خطأ ، ولهذا قال منكراً (وكيف تأخذونه وقد أفضى بهنكم إلى بعض) أى وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيت إليها وأفضت إليك قال ابن عباس ومجاهد والسدي وغير واحد : يعني بذلك الجماع - وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للتلاعنين بعد فراغهما من تلاعهما « الله يعلم أن أحداً كاذب . فهل منكم تائب » قالها ثلاثا فقال الرجل : يا رسول الله مالى - يعني ما أمدفها - قال « لا مال لك . إن كنت صدقت فهو بما استحلتت من فرجها . وإن كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها » . وفي سنن أبي داود وغيره عن نضرة بن أبي نضرة أنه تزوج امرأة بكرة في خدرها فلما هي حامل من الزنا تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له . فقضى لها بالصداق وفرق بينهما وأمر بجلدها وقال (والله عبد لك . والصداق في مقابلة البضع) ولهذا قال تعالى (وكيف تأخذونه وقد أفضى بهنكم إلى بعض) وقوله تعالى (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير . أن الراد بذلك القصد . وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس في قوله (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) قال إسماعيل بمرفوع أو تسريح بإحسان . قال ابن أبي حاتم : وروى عن عكرمة ومجاهد وأبي العالقة والحسن وتنادت ويهي في كثير والضحك والسدي نحو ذلك . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في الآية هو قوله « أخذتموهن بأمان الله » واستحلتن فروجهن بكلمة الله « فإن كلمة الله هي التمسك في الحطة قال : وكان فيما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به قال له « وجعلت أمتك لا يجوز لهم خبطة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى » رواه ابن أبي حاتم وفي صحيح مسلم عن جابر في خبطة حبة الوداع أن النبي ﷺ قال فيها « واستوصوا بالنساء خيراً فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتن فروجهن بكلمة الله »

وقوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) الآية ، يحرم الله تعالى زوجات الآباء تكريماً لهم ، وإعظاماً واحتراماً أن توطأ من بعده ، حتى إنها تحرم على الابن بمجرد القصد عليها ، وهذا أمر مجمع عليه . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا قيس بن الربيع حدثنا أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال لما توفي أبو قيس يعني ابن الأسلت - وكان من صالحى الأنصار - فخطب ابنه قيس امرأته فقالت : إنما أعدك ولداً وأنت من صالحى قومك . ولكنى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فقالت : إن أبائى قيس توفى فقال : « خيراً » ثم قالت : إن ابنه قيساً خطبني وهو من صالحى قومه . وإنما كنت أعده ولداً فما ترى فقال لها « ارجى إلى بيتك » قال فزلت (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) الآية : وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) قال : نزلت في أبي قيس بن الأسلت خلف على أم عبد الله ضمرة . وكانت تحت الأسلت أياه وفي الأسود بن خلف ، وكان خلف على ابن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار وكان عند أياه خلف ، وفي فاختة ابنة الأسود بن المطلب بن أسد كانت عند أمية بن خلف . فخلف عليها صفوان بن أمية . وقد زعم السهلي أن نكاح نساء الآباء كان معمولاً به في الجاهلية ، ولهذا قال (إلا ما قد سلف) كما قال (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) قال وقد فعل ذلك كنانة بن خزيمة تزوج بامرأته أياه فأولدها ابنه النضر بن كنانة قال : وقد قال صلى الله عليه وسلم « ولست من نكاح لا من سفاح » قال : فدل على أنه كان سابقاً لهم ذلك ، فأراد (٢) أنهم كانوا يبدونه نكاحاً . فقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله المزوي حدثنا فراد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يجرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين فأول الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) (وأن تجمعوا بين الأختين) وهكذا قال عطاء وقتادة ، ولكن فيما هله السهلي من قصة كنانة بن خزيمة نظر والله أعلم على كل تقدير فهو حرام في هذه الأمة ، مبشع غاية التبشع ، ولهذا قال تعالى (إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً) وقال (ولا تبرأوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وقال (ولا تبرأوا افترا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) فزاد هنا (ومقتاً) أي بضاً أي هو أمر كبير في نفسه ، ويؤدى إلى مقت لا ين أباه بعد أن يتزوج بامرأته ، فإن الغالب أن من تزوج بامرأة يفيض من كان زوجها قبله ، ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة لأنهن أمهات لكونهن (٣) زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهو كالأب : بل حقه أعظم من حق الآباء بالإجماع ، بل حبه مقدم على حب النفوس ملوات الله وسلامه عليه . وقال عطاء بن أبي رباح في قوله (ومقتاً) أي يمت الله عليه (وساء سبيلاً) أي ويش طريقاً لمن يسلكه من الناس ، فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه ، فيقتل ويصير ماله فينا لبيت المال . كأرواء الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن البراء بن عازب عن خاله أبي بردة - وفي رواية ابن عمر - وفي رواية عنه - أنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أياه من بعده أن يقتله ويأخذ ماله . وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال . مرنى عمي الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقده له النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : أي عم ابن بعثك النبي قال : بعثنى إلى رجل تزوج امرأة أياه فأمرني أن أضرب عنقه

(١) مسألة (وقد أجمع العلماء على تحريم من وطئ الأب بتزويج أو شبه أو شبهة واختلفوا فيمن باشرها بشهوة دون الجماع أو نظر إلى مالا يحل له النظر إليه منها لو كانت أجنبية . فمن الإمام أحمد رحمه الله أنها تحرم أيضاً بذلك وقد روى الحافظ ابن عساکر في ترجمة خديج الحمصي مولى معاوية قال اشترى لمعاوية جارية يضاه جميلة فأدخلها عليه مجردة وبهذه قضيب فجعل يهوى به إلى متاعها ويقول نعم للتاع لو كان له متاع اذهب بها إلى يزيد بن معاوية ثم قال لا ادع لي رمية بن عمرو الحرسى وكان قتها فلما دخل عليه قال إن هذه أتيت بها مجردة فرأيت منها ذاك وذلك وإن أردت أن أبعث بها إلى يزيد فقال لا تغفل يا أمير المؤمنين فاتها لا تصلح له ثم قال نعم ما رأيت ثم قال ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري فدعوته وكان آدم شديد الأمة . فقال دونك هذه يبيش بها ولما قال وكان عبد الله بن مسعدة هذا وهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فريته ثم أعفته ثم كان بعد ذلك مع معاوية على رضى الله عنه

(١) في نسخة الأثر : وأسأمره فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢) وفيها وإن أراد . (٣) وفيها : فكهن .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخُوتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْتُمْ وَأَخُوتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ وَأَبنَائُكُمْ الَّذِينَ فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلكُمْ بَيْنَ ذَلِكُمْ وَأَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ بَيْنِ الْأَخَوْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَتَاوَهُنَّ أَجُورُهُنَّ قَرِيبَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَّيْتُمْ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْفَرِيقَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

هذه الآية الكريمة هي آية تحريم الحرام من النسب وما يتبعه من الرضاع والحرام بالصهر كالإبن أبي حاتم حدثنا محمد بن نمان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن مغيان بن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : حرمت عليكم سبع نساء وسبع صهرا وقرأ (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) الآية وحدثنا أبو سعيد بن جبير بن سعيد حدثنا أبو أحمد حدثنا مغيان عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن عمار مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) فهن النسب . وقد استدل جمهور العلماء على تحريم الخلوة من ماء الزاني عليه بصوم قوله تعالى (وبناتكم) فانها بنت تدخل في الصوم كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وقد حكى عن الشافعي شيء في إباحتها لأنها ليست بنتا شرعية فكأنما تدخل في قوله تعالى (يومئذ الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) فانها لا تراث بالاجماع فكذلك لا تدخل في هذه الآية والله أعلم وقوله تعالى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) أي كما يحرم عليك أمك التي ولدتك ، كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك ، ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن حمزة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال « إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » وفي لفظ لاسلم « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » وقال بعض الفقهاء كل ما يحرم من النسب يحرم من الرضاعة إلا أربع صور ، وقال بعضهم : ست صور هي مذكورة في كتب الفروع والتحقيق أنه لا يستثنى شيء من ذلك ، لأنه يوجد مثل بضها في النسب ، وبضها إنما يحرم من جهة الصهر فلا يرد على الحديث شيء أصلا البتة ، والله الحمد وبه الثقة . ثم اختلف الأئمة في عدد الرضعات المحرمة ، فذهب ذاهبون إلى أنه يحرم مجرد الرضاع لمصوم هذه الآية . وهذا قول مالك ، وروى عن ابن عمر ، وأليه ذهب سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري . وقال آخرون : لا يحرم أقل من ثلاث رضعات لما ثبت في صحيح مسلم من طريق هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تحرم الصلة ولا المصتان » وقال قتادة عن أبي الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم الفضل قالت : قال رسول الله ﷺ « لا تحرم الرضعة والرضعتان ، والصلة والمصتان » وفي لفظ آخر « لا تحرم الإملجة ولا الاملاجات » رواه مسلم . وعمن ذهب إلى هذا القول الإمام أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وأبو عبيد وأبو ثور ، وهو مروى عن علي وعائشة وأم الفضل وابن الزبير وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير رحمهم الله . وقال آخرون : لا يحرم أقل من خمس رضعات لما ثبت في صحيح مسلم من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن « عشر رضعات معلومات يحرم من » ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفى النبي صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن وروى عبد الرزاق عن

معمّر عن الزهري عن عروة عن عائشة نحو ذلك . وفي حديث سهل بن يسير أن رسول الله ﷺ أمرها أن ترضع سلباً مولوداً إلى حذيفة خمس رضعات ، وكانت عائشة تأمر من يريد أن يدخل عليها أن يرضع خمس رضعات وبهذا قال الشافعي وأصحابه ، ثم لم يعلم أنه لا بد أن تكون الرضاعة في سن الصفر دون الحولين على قول الجمهور . وقد قلنا الكلام في هذه المسئلة في سورة البقرة عند قوله (رضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ثم اختلفوا هل يحرم لبن الفحل كما هو قول جمهور الأئمة الأربعة وغيرهم ، أو إنما يحرم الرضاع الآم فقط ، ولا ينتشر إلى ناحة الأب كما هو قول لبعض السلف على قولين تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير وقوله (وأما نسايتكم وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) أما أم المرأة فإنها يحرم بمجرد العقد على بنتها ، سواء دخل بها أو لم يدخل بها . وأما الربيبة وهي بنت المرأة فلا تحرم (١) حتى يدخل بها أمها فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها ، ولهذا قال (وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم في تزويجهن ، فهذا خاص بالربائب وحدهن ، وقد فهم بعضهم عود الضمير إلى الأمهات والربائب فقال : لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها لقوله (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) وقال ابن جرير : حدثنا ابن يشار حدثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن علي بن رضى الله تعالى عنه في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها يتزوج بأهلها قال : هي بمنزلة الربيبة : وحدثنا ابن يشار حدثنا يحيى عن قتادة عن سعيد بن السيب عن زيد بن ثابت قال : إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها . وفي رواية عن قتادة عن سعيد عن زيد بن ثابت أنه كان يقول : إذا ماتت فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها ، فإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل . وقال ابن المنذر : حدثنا إسحق بن عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرني أبو بكر بن حفص عن مسلم بن عويمر الأجدع أن بكر بن كنانة أخبره أن أباه أنكحه امرأة بالطائف قال : فلم أعلمها حتى توفي عمي عن أمها ، وأمها ذات مال كثير فقال أي : هل لك في أمها ؟ قال : فسألت ابن عباس وأخبرته ؟ قال : أنكح أمها ، قال : وسألت ابن عمر فقال : لا تنكحها . فأخبرت أي بما قال ، فكتب إلى معاوية فأخبره بما قال فكتب معاوية : إلى لا أهل ما حرم الله ، ولا أحرم ما أحل الله . وأنت وذلك والنساء سواها كثير . فلهذا ولم يأذن لي بالصراف إلى عن أمها فلم ينكحها . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن سهل بن الفضل عن رجل عن عبد الله بن الزبير قال : الربيبة والأم سواء لا بأس بها إذا لم يدخل بالمرأة ، وفي إسناده مبهم . وقال ابن جريج أخبرني عكرمة بن كليل (٢) أن مجاهداً قال (وأما نسايتكم وربائكم اللاتي في حجوركم) أراد بهما الدخول جميعاً ، فهذا القول كما ترى مروى عن علي بن زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ومجاهد وسعيد بن جبيرة وابن عباس ، وقد توقف فيه معاوية . وذهب إليه من الشافعية أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصايوني في تأهله الرافعي عن المبادئ . وقد روى عن ابن مسعود مثله ثم رجع عنه قال الطبراني : حدثنا إسحق بن إبراهيم الذي حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن أي فروة عن أي عمرو الشيباني عن ابن مسعود : أن رجلاً من بني كعب من فزارة تزوج امرأة فرأى أمها فأعجبته . فاستنقى ابن مسعود فأمره أن يغارقتها ثم يتزوج أمها فتزوجها وولدت له أولاداً ثم أتى ابن مسعود للدينه فقتل عن ذلك فأخبر أنها لا تحل له فلما رجع إلى الكوفة قال للرجل : إنها عليك حرام ففارقها . وجمهور العلماء على أن الربيبة لا تحرم بالعقد على الأم بخلاف الأم فإنها تحرم بمجرد العقد . قال ابن حاتم : حدثنا جعفر بن محمد حدثنا هرون بن عروة حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول إذا طلق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها أو ماتت لم تحل له أمها (وروى) أنه قال : إنها منهمة فكرها . ثم قال : وروى عن ابن مسعود وعمران بن حصين ومسروق وطاوس وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وابن سيرين وقاتة والزهري نحو ذلك . وهذا ملتبس الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة ، وجمهور الفقهاء قديماً وحديثاً وفيه الجدل والملة - قال ابن جريج والصواب قول من قال الأم من المملكات . لأن الله لم يشترط من الدخول كالشروط مع أمهات الربائب مع أن ذلك أيضاً

(١) في نسخة الأثر : بمجرد العقد . (٢) وفيها : خليل .

إجماع الحجة التي لا يجوز خلافها فيها جاءت به متفقة عليه . وقد روى بذلك أيضا عن النبي ﷺ خبر غريب وفي إسناده نظر ، وهو ما حدثني به ابن لثقي حدثنا حيان بن موسى حدثنا ابن المبارك أخبرنا لثقي بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها . دخل بالبت أولم يدخل فإذا تزوج بالأم فلم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج الابنة » ثم قال : وهذا الحرج وإن كان في إسناده ما يشك في إجماع الحجة على صحة القول به مستثنى عن الاستشهاد على صحته بشيء . وأما قوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم) فالجمهور على أن الريبة حرام سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره : قالوا وهذا الخطاب خرج مخرج القالب فلا يفهم له كقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم إلى البناء إن أردن تعصنا) وفي الصحيحين أن أم حبيبة قالت : يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان ، وفي لفظ لمسلم عزة بنت أبي سفيان قال « أو تحبين ذلك » ؟ قالت : نعم لست بك بخيلة ، وأحب من شاركني في خير أختي قال « فإن ذلك لا يحل لي » قالت : فانا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة قال « بنت أم سلمة » قالت نعم قال « إنها لو لم تكن ربيبة في حجري ما حلت لي ، إنها لبنت أختي من الرضاة ، أرضعتني وأبسلت ثوبتي فلا ترضن علي بتانكن ولا أخواتكن » وفي رواية البخاري « إن لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت لي » فجعل اللطاف في التحريم مجرد تزوجه أم سلمة وحكم بالتحريم بذلك ، وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة والجمهور الخلف والسلف . وقد قيل بأنه لا تحرم الريبة إلا إذا كانت في حجر الرجل فلذا لم تكن كذلك فلا تحرم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا هشام - يعني ابن يوسف - عن ابن جريج حدثني إبراهيم بن عبيد بن رافة أخبرني مالك بن أوس ابن الحدثان قال : كانت عندي امرأة توفيت وقد ولدت لي فوجدت عليها فلقني على بن أبي طالب فقال : مالك ؟ قلت : توفيت للمرأة فقال لي : لها ابنة ؟ قلت : نعم وهي بالطائف قال كانت في حجرك ؟ قلت : لا هي بالطائف قال : فانكحها قلت : فأين قول الله (وربائبكم اللاتي في حجوركم) ؟ قال : إنها لم تكن في حجرك إنما ذلك إذا كانت في حجره ، هذا إسناده قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب على شرط مسلم ، وهو قول غريب جداً ، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه . وحكاه أبو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله . واختاره ابن حزم ، وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الشافعي أنه عرض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله فاستشكله وتوقف في ذلك والله أعلم . وقال ابن التندر : حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا الأعمش عن أبي عبيدة قوله (اللاتي في حجوركم) قال : في بيوتكم وأما الريبة في ملك الخمين فقد قال الإمام مالك بن أنس عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب سئل عن المرأة وبنتها من ملك الخمين تو طأ أحدهما بعد الآخر فقيل عمر : ما أحب أن أحييها جميعاً يريد أن أطأها جميعاً بملك يميني ، وهذا منقطع وقال سديد بن داود في تفسيره : حدثنا أبو الأحوص عن طاوس عن طارق بن عبد الرحمن عن قيس قال : قلت لابن عباس أقيم الرجل على امرأة وابنتها لم يكن له ؟ فقال أحلتها آية وحرمتها آية ، ولم أكن لأفعله . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : لا خلاف بين العلماء أنه لا يحل لأحد أن يطأ امرأة وبنتها من ملك الخمين لأن الله حرم ذلك في النكاح قال (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) وملك الخمين عندكم تبع لنكاح إلا ما روى عن عمر وابن عباس وليس على ذلك أحد من أئمة الفتوى ولا من تبعهم . وروى هشام عن قتادة : بنت الريبة وبنت ابنتها لا تصلم وإن كانت أسفل يطون كثيرة ، وكذا قال قتادة عن أبي العالية ومعنى قوله (اللاتي دخلتم بهن) أي نكحوهن ، قاله ابن عباس وغير واحد وقال ابن جريج عن عطاء ، هو أن تهدي إليه فيكشف ويفتش ويجلس بين رجلها قلت : أرايت إن فعل ذلك في بيت أهلها . قال : هو سواء ، وحسبه قد حرم عليه ابنتها . وقال ابن جرير : وفي إجماع الجميع على (١) أن خلوة الرجل بامرأة لا تحرم ابنتها عليه إنما طلقها قبل مسيئها ومباشرتها وقبل النظر إلى فرجها بشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول إليها بالجماع وقوله تعالى (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) أي وحرمت عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم يحرم ذلك عن الأعداء الذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية كما قال تعالى (فلما قضى زيد مناوطاً زواجها فكيف يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) الآية وقال ابن جريج : سألت عطاء عن قوله (وحلائل أبنائكم الذين

من أصلا بكم) قال : كنا نحدث والله أعلم أن النبي ﷺ لما نكح امرأة زيد قال الشركون بمكة في ذلك فأنزل الله عز وجل (وحلائل الذين من أصلا بكم) ونزلت (وما جعل أديعائكم أبناءكم) ونزلت (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن أبي بكر القدي حدثنا خالد بن الحارث عن الأعمش عن الحسن بن محمد أن هؤلاء الآيات مبهمات (وحلائل أبناءكم) (وأمهات نسائكم) ثم قال : وروى عن طائفة وإبراهيم والزهري ومكحول نحو ذلك (قلت) معنى مبهمات أى عامة فى للدخول بها وغير للدخول فحرم بمجرد المقدع عليها وهذا متفق عليه ، فان قيل فمن أين تحرم امرأة ابنه من الرضاة كما هو قول الجمهور ومن الناس من يحكيه إجماعاً وليس من صلبه فالجواب من قوله ﷺ « يحرم من الرضاة ما يحرم من النسب » وقوله تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) الآية . أى وحرم عليكم الجمع بين الأختين مما فى التزوج وكذا فى ملكة الجين إلا ما كان منكم فى جاهليكم قد عفونا عنه وغفرناه . فدل على أنه لا مشنوية فيما يستقبل لأنه استثنى عما سلف كما قال (لا يدوقون فيه الموت إلا الموتة الأولى) فدل على أنهم لا يدوقون فيها الموت أبداً وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديماً وحديثاً على أنه يحرم الجمع بين الأختين فى النكاح ، ومن أسلم وتحت أختان خير فيمسك إحداها ويطلق الأخرى لا محالة . قال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي وهب الجشاني عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال : سألت وعندي امرأتان أختان فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أطلق إحداها . ثم رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن لهيعة وأخرجه أبو داود والترمذي أيضاً من حديث يزيد بن أبي حبيب كلاهما عن أبي وهب الجشاني قال الترمذي واسمه دلم بن الموشع عن الضحاك بن فيروز الديلمى عن أبيه به وفى لفظ للترمذي . قال النبي ﷺ « اختر أيتها شئت » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن وقد رواه ابن ماجه أيضاً بإسناد آخر فقال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد السلام ابن حرب عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي وهب الجشاني عن أبي خراش الرعني قال قمصت على رسول الله ﷺ وعندى أختان تزوجتهما فى الجاهلية فقال « إنا رجعت فطلق إحداها » قلت فيحتمل أن أباً خراش هذا هو الضحاك بن فيروز ويحتمل أن يكون غيره فيكون أبو وهب قد رواه عن اثنين عن فيروز الديلمى والله أعلم وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن يحيى بن محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن يحيى الحولاني حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا يحيى بن إسحق عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن زر بن حكيم عن كثير بن مرة عن الديلمى قال : قلت يا رسول الله إن غني أختين قال « طلق أيتها شئت » فالديلمى المذكور أولاً هو الضحاك بن فيروز الديلمى رضى الله عنه ، وكان من جملة الأمراء الذين الجين الذين ولوا قتل الأسود المنسى للتبى لعنه الله . وأما الجمع بين الأختين فى ملك الجين فحرام أيضاً للعموم الآية . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة وأعتب عن ابن مسعود أنه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين فكرهه فقال له بنى السائل يقول الله تعالى (إلا ما ملكتم أيمانكم) فقال له ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : ومير كما ملكتم عينك . وهذا هو المشهور والأئمة الأربعة وغيرهم وإن كان بعض السلف قد توقف فى ذلك . وقال الإمام مالك عن ابن شهاب عن قيس بن ذؤيب أن رجلاً سأل عتبان بن صفان عن الأختين فى ملك الجين هل يجمع بينهما فقال عتبان أحلتما آية وحرمتا آية وما كنت لأمنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فسأله عن ذلك فقال : لو كان لى من الأمر شيء ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجلسته نكالا . وقال مالك قال ابن شهاب أراء على بن أبي طالب قال . وبلغنى عن الزبير بن العوام مثل ذلك قال ابن عبد البر الفريرى رحمه الله فى كتاب الاستبصار إنما كى قيسه بن ذؤيب عن على بن أبي طالب لمحبته عبد الملك بن مروان وكانوا يستعملون ذكر على بن أبي طالب رضى الله عنه ثم قال أبو عمر حدثني خلف بن أحمد قرا عليه أن خلف بن مطرف حدثهم حدثنا أيوب بن سليمان وسعيد بن سليمان ومحمد بن عمر بن لاية قالوا حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا أبو عبد الرحمن القرئى عن موسى بن أيوب النافقى حدثني عمى نياس بن عامر قال سألت على بن أبي طالب فقلت إن لى أختين مما ملكتم يعني أختك إحداها سيرة تقولدت لى أولاداً ثم رغبت فى الأخرى فما أصنع . فقال على رضى الله عنه متفق الى كنت تطأ ثم تطأ الأخرى قلت فإن ناساً يقولون بل

تزوجها ثم طأ الأخرى ، فقال طأ رأيت إن طلقها زوجها أومات عنها أليس ترجع اليك ؟ لأن تمسها أسلمك . ثم أخذ على يدي فقال لي : إنه بجرم عليك ماملكتك بنتك ما عجرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحر المراهل العمد ، أو قال الالاربع وعجرم عليك من الرضاع ما عجرم عليك في كتاب الله من النسب ، ثم قال أبو عمر هذا الحديث (١) كحقه رجل ولم يصب من أصبي القرب والشرق إلى مكة غيره لما مات رحلته قلت : وقد روي عن علي بن نحو ما روي عن عثمان . وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن العباس حدثني محمد بن عبد الله بن المبارك الحرزمي حدثنا عبد الرحمن بن غزوان حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار عن عكرمة بن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب حرمتما آية وأهلتما آية - يعني الأختين قال ابن عباس حرمن علي قرايتنهن ولا يجرمن قرابة بضمهن من يمس يمسني الإمام ، وكانت الجاهلية يجرمون ما حرمون الامراء الأب والجمع بين الأختين ، فلما جاء الإسلام أنزل الله (ولا تتكلموا ما تكلمواكم من النساء إلا ما قد سلف) (وأن يجتمعوا بين الأختين إلا ما قبل سلف) يعني في النكاح ، ثم قال أبو عمر وروي الإمام أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن سفيان عن هشام بن ابن سيرين عن ابن مسعود قال : يجرم من الإمام ما يجرم من الحر المراهل إلا اللد وعن ابن مسعود (٢) والشعب بنحو ذلك قال أبو عمر . وقد روي مثل قول عثمان عن طائفة من السلف منهم ابن عباس ولكن اختلف عليهم ، ولم يلتفت إلى ذلك أحد من فقهاء الأمصار والحجاز والعراق ولا من أرواحها من للشرق ولا للنام وللغرب : إلا من عذ عن جماعتهم باتباع الظاهر ونفي القياس وقد ترك من يعمل ذلك ظاهرا ما اجتماعنا عليه ، وجماعة الفقهاء متفقون على أنه لا يجرم الجمع بين الأختين بملك البنتين في الوطء كما لا يجرم ذلك في النكاح . وقد أجمع المسلمون على أن معنى قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) إلى آخر الآية أن النكاح وملك البنتين في هؤلاء كلهن سواء ، وكذلك يجب أن يكون نظرا وقياسا الجمع بين الأختين وأمهات النساء والربائب . وكذلك هو عند جمهورهم وهم الحجة المصحوح بها من خلفاء وشد عنها . وقوله تعالى (والحصنات من النساء إلا ما ملكت أيانكم) أي وحرم عليكم من الأجنبية الحصنات وهن للزوجات إلا ما ملكت أيانكم يعني إلا ما ملككموهن بالسي فانه يصل لكم وطؤهن إذا استبرأوهن فإن الآية نزلت في ذلك . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان هو الثوري عن عثمان بن عتيق عن أبي الخليل عن أبي سعيد الحدرى قال : أصبنا سينا من سي أو طلس ولهن أزواج ففكرنا أن نفع عليهن ولهن أزواج فأنانا التي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (والحصنات من النساء إلا ما ملكت أيانكم) فاستعملنا فزوجهن وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن هشام ، ورواه النسائي من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ثلاثهم عن عثمان بن عتيق ورواه ابن ماجه (٣) من حديث أشعث بن سوار عن عثمان بن عتيق ، ورواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة كلاهما عن أبي الخليل صالح بن أبي جرم عن أبي سعيد الحدرى فذكره وهكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بن أبي الخليل عن أبي سعيد الحدرى به وروي من وجه آخر عن أبي الخليل عن أبي علقمة الحماسي عن أبي سعيد الحدرى قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عمير عن سعيد بن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة عن أبي سعيد الحدرى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سينا يوم أو طلس فلهن أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا وتأنوا من غشائهن قال : فنزلت هذه الآية في ذلك (والحصنات من النساء إلا ما ملكت أيانكم) وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة زاد مسلم وشعبة ورواه الترمذي من حديث همام بن يحيى ثلاثهم عن قتادة يسنده نحوه وقال الترمذي هذا حديث حسن ولا أعلم أن أحدا ذكر أبا علقمة في هذا الحديث إلا ما ذكر همام عن قتادة - كذا قال - وقد تابعه سعيد وشعبة والله أعلم وقد روي الطبراني من حديث الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في سينا بخير وذكر مثل حديث أبي سعيد وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن يبيع الأمة يكون طلاقا لها من زوجها أخذها بصوم هذه الآية وقال ابن جرير حدثنا ابن مني حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم أنه سئل عن الأمة باع ولها زوج ؟ قال كان عبدالله يقول : يبعها طلاقا ويتلو هذه الآية (والحصنات من النساء إلا ما ملكت أيانكم) وكذا رواه سفيان بن منصور ومغيرة والأعمش عن إبراهيم .

(١) هنا يسنده إلى أبي عمر وهو قوله (يعني السلف هذا الحديث رجل أنجسنا بها) (٢) في نسخة الأثر : ابن سيرين (٣) وفيها ابن جرير .

عن ابن مسعود قال يهما طلاقا وهو متقطع ، ورواه سفيان الثوري عن خليفه عن أبي قتابة عن ابن مسعود قال : إذا دامت الأمة ولما زوج قسيدها أحق بيضا . ورواه سعيد عن قتادة قال أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس قالوا : يهما طلاقا . وقال ابن جرير : حدثني يعقوب حدثنا ابن علي عن خليفه عن عكرمة عن ابن عباس قال طلاق الأمة ست (١) يهما طلاقا وعقمتها طلاقا ، وهبتها طلاقا ، وباعها طلاقا ، وطلاق زوجها طلاقا : وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن السيب قوله (والمحصنات من النساء) قال هذه ذوات الأزواج حرم الله نكاحهن إلا ما ملكت يمينك فيها طلاقا ، قال معمر . وقال الحسن مثل ذلك ، وهكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن في قوله (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيانكم) قال : إذا كان لها زوج فيها طلاقا ، وروى عوف عن الحسن بيع الأمة طلاقا ، وبها طلاقا ، فهذا قول هؤلاء من السلف وقد خالفهم الجمهور قديما وحديثا ، فأروا أن بيع الأمة ليس طلاقا لها لأن الشترى نائب عن البالغ ، والبالغ كان قد أخرج عن ملكه هذه النفقة وباعها مسلوقة عنها واعتدوا في ذلك على حديث برة الخرج في الصحيحين وغيرهما فإن عائشة أم المؤمنين اشترتها وأعتقتها ولم ينفسخ نكاحها من زوجها ميت ؟ بل خيرها رسول الله ﷺ بين الفسخ والباق ، فاختارت الفسخ ونصتها مشهورة فلو كان بيع الأمة طلاقا كما قال هؤلاء ما خيرها النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما خيرها دل على بقاء النكاح وأن للراد من الآية الليات فقط والله أعلم وقد قيل للراد قوله (والمحصنات من النساء) يعني الفانف حرام عليكم حتى تملكوا حصصهن بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربع ، حكاه ابن جرير عن أبي العالية وطاوس وغيرهما وقال عمر ومبيدة (والمحصنات من النساء) ماعدا الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيانكم .

وقوله تعالى (كتاب الله عليكم) أي هذا التحريم كتاب الله عليه بين الأربعة قالوا كتابه ، ولا تخبروا عن حدوده ، ولزموا شرعه وما فرضه . وقال عبيدة وعطاء والسدي في قوله (كتاب الله عليكم) بين الأربعة . وقال إبراهيم (كتاب الله عليكم) بين ما حرّم عليكم . وقوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم) أي ما عدان من ذكر من المحارم من لكم حلال قاله عطاء وغيره ، وقال عبيدة والسدي (وأحل لكم ما وراء ذلكم) ما دون الأربع . وهذا بعيد ، والصحيح قول عطاء كما تقدم . وقال قتادة (وأحل لكم ما وراء ذلكم) بين ما ملكت أغانكم وهذه الآية هي التي احتج بها من احتج على تحليل الجمع بين الأختين ، وقولهم قال : أمثلها آية وحرمها آية وقوله تعالى (أن يتنكحوا بأموالكم محسنين غير مسلمين) أي أخذوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع أو ألسراري ما شئت بالطريق الشرعي ، ولهذا قال (محسنين غير مسلمين) وقوله تعالى (لما استمتعتم بهن فأنوهن أجورهن فريضة) أي كانتنتمون بهن فأنوهن مهورهن فيمقابلة ذلك ، كما قال تعالى (وكيف تأخذونه وقباضى بضمك إلى بطن) وكقوله تعالى (وتأوتا النساء صدقاتهن نحلة) وكقوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن شيئا) وقد استدل بسوم هذه الآية على نكاح اللثة ولعلك أنه كان مشروعا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أيسر ثم نسخ ثم أيسر ثم نسخ ثم أيسر . وقال آخرون أكثر من ذلك . وقال آخرون : إنما أيسر مرة ثم نسخ وأيسر بعد ذلك . وقد روى عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحته للضرورة وهو رواية عن الإمام أحمد وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرءون (لما استمتعتم بهن) إلى أجل مسمى ^١ فأنوهن أجورهن فريضة) وقال مجاهد . نزلت في نكاح اللثة ، ولكن الجمهور على خلاف ذلك . والعمدة ثابت في الصحيحين عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح اللثة وعن لحوم الحر الأهلية يوم خير . ولهذا الحديث أفاضل مقررة هي في كتاب الأحكام وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني عن أبيه أنه غرام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقال وأياها الناس إن كنت أدنيت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد عرف ذلك في يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سيده ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئا ^٢ . وفي رواية لسم في حجة الوداع وله أفاضل موضعها كتاب الأحكام وقوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما أنتم به من بعد الفريضة) من عمل هذه الآية على نكاح اللثة إلى أجل

(١) قوله ست ، الممدود خمسة نظير الرواية . (٢) هذه القراءة على سبيل التضيير .

مسمى قال : لا جناح عليكم إذا اهضى الأجل أن تراضوا على زيادة به وزيادة للجبل قال السدي : إن شاء أراضها من بعد
الفرصة الأولى يعني الأجر الذي أعطاهما على تمتعها بما قبل انقضاء الأجل بينهما قال : أتمتع منك أيضا بكذا وكذا فإن
زاد قبل أن يستبرأ رحما يوم تقضى اللذة ، وهو قوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن بمن بعد الفريضة) قال السدي :
إذا اهضت للذة فليس له عليها سيل ، وهي منه بريئة وعليها أن تستبرأ ما في رحمها وليس بينهما ميراث فلا يرث
واحد منهما صاحبه ومن قال بهذا القول الأول جبل معناه كقولهم (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) الآية أي إذا فرضت
لها صدقا فأبرائك منه أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك ، وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى
حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال : زعم الحضرى أن رجلا كانوا يغرضون للهرم عسى أن يدرك أحدهم العسرة فقال
ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتن بمن بعد الفريضة يعني إن وضعت لك منه شيئا فهو لك سائق . واختار هذا القول
ابن جرير . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) والتماضي أن يوفيا
صدقاتهم بخيرها يعني في اللقاة أو الفراق . وقوله تعالى (إن الله كان عليا حكما) مناسب ذكر هذين الوصفين بدشعر
هذه الحرمات .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتْيِكُمْ
الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُ فَاكِهُمُوهُنَّ يَذْنُ أُولَئِكَ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْعَرُوفِ
مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُتَخَذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْسَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفِجْشَةٍ فَلْيَنْصِفْ لِيْنِ صَفْ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ
مِنْ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ اللَّهَ لَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يقول تعالى (ومن لم يجد منكم طولا) أي سعة وقدره (أن ينكح المحصنات المؤمنات) أي الحررات الطاهات المؤمنات .
وقال ابن وهب : أخبرني عبد الجبار عن ربيعة (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات) قال ربيعة : الطول المورى
يعني ينكح الأمة إذا كان هواه فيها رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، ثم أخذ يشنع على هذا القول ويرده (لما ملكتم إيمانكم
من فتيانكم المؤمنات) أي فتزوجوا من الإماء المؤمنات اللاتي يملكهن المؤمنين ولهذا قال (من فتيانكم المؤمنات) قال
ابن عباس وغيره . فليكن من إماء المؤمنين وكذا قال السدي ومقاتل بن حيان . ثم اعترض بقوله (والله أعلم بإيمانكم
بعضكم من بعض) أي هو العالم بحقائق الأمور وسرائرها وإنما لكم أيها الناس الظاهر من الأمور ثم قال (فانكحوهن
يذن أهلن) فدل على أن السيد هو ولي أمته لا تزوج إلى يادته ، وكذلك هو ولي عبده ليس له أن يتزوج بغير إذنه
كما جاء في الحديث « أما عبد تزوج بغير إذن مواله فهو عاهر » أي زان . فان كان مالك الأمة امرأة زوجها من زوج
المرأة بذاتها لما جاء في الحديث « لا تزوج المرأة المرأة . ولا المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » وقوله تعالى
(وآتوهن أجورهن بالعرف) أي وادفوا ما يورهن بالعرف أي عن طيب نفس منكم ولا يتخسوا منه شيئا استبانة
بين لكونهن إماء مملوكات وقوله تعالى (محصنات) أي عفائف عن الزنا لا يتماطين ولها قال (غير مسافحات) وهن
الزواني اللاتي لا يمنعن من أراذهن بالقاحشة . وقوله تعالى (ولا متخذات أخدان) قال ابن عباس . (السافحات) هن
الزواني المعلنات يعني الزواني اللاتي لا يمنعن أحدًا أراذهن بالقاحشة . وقال ابن عباس : ومتخذات أخدان يعني أخلاء
وكذا روى عن أبي هريرة ومجاهد والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني ويحيى بن أبي كثير ومقاتل بن حيان والسدي
قالوا أخلاء وقال الحسن البصري يعني الصديق . وقال الضحاك أيضا (ولا متخذات أخدان) ذات الخليل الواحد للقرعة
به نهى الله عن ذلك يعني تزويجها مادامت كذلك

وقوله تعالى (فإذا أحسن فإن آتين بفاحشة فليمن نصف ما على المحصنات من العذاب) اختلف القراء في أحسن

قرأه بعضهم بضم الهمزة وكسر الصاد مبنى للم اسم فاعله . وقرأه بفتح الهمزة والصاد فعل لازم ، ثم قيل : معنى القراءتين واحد ، واختلوا فيه على قولين (أحدهما) أن المراد بالإحصان هنا الإسلام ، وروى ذلك عن عبد الله بن مسعود وابن عمر وأبى الأسود بن زيد وزر بن حبيش وسعيد بن جبير وعطاء وإبراهيم النخعي والشعبي والسدي وروى نحوه الزهري عن عمر بن الخطاب وهو منقطع ، وهذا هو القول الذي نص عليه الشافعي في رواية الربيع قال : وإنما قلنا ذلك استئداء لا بالنسبة وإجماع أكثر أهل العلم . وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً مرفوعاً قال : حدثنا علي بن الحسين بن الجندب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله حدثنا أبي عن أبيه عن أبي حمزة عن جابر عن رجل عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ (فإذا أحسن) قال « إحصانها إسلامها وعفافها » وقال : المراد به هنا التزويج قال : وقال علي أجدوهن ، ثم قال ابن أبي حاتم : وهو حديث منكرو (قلت) وفي إسناده ضعف ، وفيه من لم يسم ، ومثله لا تقوم به حجة . وقال القاسم وسالم : إحصانها إسلامها وعفافها . وقيل المراد به هنا التزويج ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطاوس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم . وقوله أبو علي الطبري في كتابه الإيضاح عن الشافعي فيما رواه أبو الحكم بن عبد الحكم عنه . وقد روى ليث بن أبي سلم عن مجاهد أنه قال : إحصان الأمة أن يتكلمها الحر ، وإحصان البعد أن يتكلم الحر ، وكذا روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس رواهما ابن جرير في تفسيره . وذكره ابن أبي حاتم عن الشعبي والنخعي . وقيل : معنى القراءتين متباين . فمن قرأ أحسن بضم الهمزة فمراده التزويج ، ومن قرأ يتكلمها فمراده الإسلام . اختاره أبو جعفر بن جرير في تفسيره وقرره ونصره ؛ والأظهر والله أعلم أن المراد بالإحصان هنا التزويج ، لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى (ومن لم يستطع منكم طولاً أن يتكلم المحصنات المؤمنات فلما ملكت أيمانكم من فتيانكم المؤمنات) والله أعلم . والآية الكريمة سابقا في الفتيات المؤمنات فتبين أن المراد بقوله (فإذا أحسن) أي تزويج كما فسره ابن عباس وغيره ، وعلى كل من القولين إشكال على منذهب الجمهور ، وذلك أنهم يقولون : إن الأمة إذا زنت فعلها تخسون جلدة ، سواء كانت مسلمة أو كافرة ، مزوجة أو بكرا ، مع أن مفهوم الآية يقتضي أنه لا حد على غيرها المحصنة من زنا من الإمام . وقد اختلفت أجوبتهم عن ذلك ، فأما الجمهور فقالوا : لا شك إن المنطوق مقدم على المفهوم . وقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد على الاماء تقدمها على مفهوم الآية . فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه أنه خطب فقال : يا أيها الناس أقيموا الحد على إيمانكم من أحسن منهن ومن لم يحسن ، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت فأمرني أن أجلدتها ، فإذا هي حديثة عهد بنفاس فخشيت إن جلدتها أن أقتلها ، فذكرت ذلك للنبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنت اتركها حتى تهائل » وعند عبد الله بن أحمد عن غير أبيه « فإذا تماقت من شامها فاجلدتها خمسين » وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا زنت أمة أحدكم فتيين زناها فليجلدها الحد ولا يرب عليها . ثم إن زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يرب عليها ، ثم إن زنت الثالثة فتيين زناها فليجلسها ولو بجل من شعر » وللمسلم « إذا زنت ثلاثاً فليجلدها في الرابعة » وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة الخزرجي قال : أمرني عمر بن الخطاب في قبة من قريش فجلدنا من ولاة الامارة خمسين خمسين من الزنا (الجواب الثاني) جواب من ذهب إلى أن الأمة إذا زنت ولم تحسن فلا حد عليها ، وإنما تقرب تأديباً وهو المحكى عن ابن عباس رضي الله عنه . وإليه ذهب طاوس وسعيد بن جبير وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي الظاهري في رواية عنه . وعندهم مفهوم الآية . وهو من مفاهيم الشرط . وهو حجة عند أكثرهم تقدم على العموم عندهم وحديث أبي هريرة وزيد بن خالد أن رسول الله ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحسن قال « إن زنت فجدوها . ثم إن زنت فاجلدوها . ثم ييموها ولو بضمير » قال ابن شهاب : لا أدري بعد الثالثة أو الرابعة . أخرجاه في الصحيحين . وعند مسلم قال ابن شهاب : الضفير الجبل . قالوا . فلم يؤقت فيه عدد كآقت في المحصنة . وكأوقت في (١) في نسخة الأثر : من عبد الله بن عباس أن أبا رستم الخزرجي (٢) وفيها : ينظر .

القرآن بنصف ماعلى المصنات ، فوجب الجمع بين الآية والحديث بذلك والله أعلم - وأصرح من ذلك ما رواه سعيد ابن منصور عن سفيان عن مسعر عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أمة حد حتى تحصن - يعني تزوج - فلذا أحصت بزواج فعلها نصف ماعلى المصنات » وقد رواه ابن خزيمة عن عبد الله بن عمران المابدى عن سفيان به مرفوعا ، وقال : رفته خطأ إنما هو من قول ابن عباس وكذا رواه البيهقي من حديث عبد الله بن عمران وقال مثل ما قاله ابن خزيمة قالوا : وحديث على وعمر قضيا أعيان ، وحديث أبي هريرة عنه أجوبة (أحدها) أن ذلك محمول على الأمة للزوجة جما بينه وبين هذا الحديث (الثاني) أن لفظة الحد في قوله « فليقم عليها الحد » مقحمة من بعض الرواة بدليل الجواب الثالث ، وهو أن هذا من حديث صحابين لفظة الحد في رواية أبي هريرة قطع ، وما كان عن اثنين فهو أولى بالتقديم من رواية واحد ، وأيضا قد رواه النسائي بإسناد على شرط مسلم من حديث عباد بن نعيم عن عمه ، وكان قد شهد بدرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا زنت الأمة فاجلدوها ، ثم إن زنت فاجلدوها ، ثم إن زنت فبيعوها ولو بغيري » (الرابع) أنه لا يبعد أن بعض الرواة أطلق لفظ الحد في الحديث على الجلد ، لأنه لا كان الجلد يعتقد أنه حد . أو أنه أطلق لفظة الحد على التأديب . كما أطلق الحد على ضرب من زنى من الرضى بشكل نخل فيه مائة فمراح . وعلى جلد من زنى بأمة امرأته إذا أذنت له فيها مائة ، وإنما ذلك تمزيه وتأديب عندهم يراه كأحد وغيره من السلف . وإنما الحد الحقيقي هو جلد البكر مائة ، ورجم الثيب أو اللاتل أو اللاتل . وقد روى ابن ماجه وابن جرير في تفسيره : حدثنا ابن لثمي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة أنه سمع سعيد بن جبير يقول : لا تضرب الأمة إذا زنت مالم تزوج ، وهذا إسناد صحيح عنه ، ومنهذب غريب إن أراد أنها لا تضرب الأمة أصلا لاحدا ، وكأنه أخذ بمفهوم الآية ولم يلبثه الحديث ، وإن أراد أنها لا تضرب حددا ، ولا يبنى ضربها تأديبا ، فهو كقول ابن عباس رضى الله عنه ومن تبعه في ذلك والله أعلم . (الجواب الثالث) أن الآية دلت على أن الأمة المحصنة تعد نصف حد الحرة ، فأما قبل الإحصان فمضومات الكتاب والسنة شامة لها في جلد مائة كقوله تعالى (الزانية والزانية فاجلدوها كل واحد منهما مائة جلدة) وكحديث عبادة بن الصامت «خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله للزانية البكر البكر جلد مائة وتضرب عام ، والتيب بالتيب جلد مائة ورجمها بالحجارة » والحديث في صحيح مسلم وغير ذلك من الأحاديث . وهذا القول هو للجمهور عن داود بن علي الظاهري وهو في غاية الضعف لأن الله تعالى إذا كان أمر بجلد المحصنة من الإماء بنصف ماعلى الحرة من العذاب وهو خمسون جلدة فكيف يكون حكمها قبل الإحصان أشد منه بعد الإحصان وقاعدة الشريعة في ذلك عكس ما قال ، وهذا الشارع عليه السلام سأله أصحابه عن الأمة إذا زنت ولم تحصن فقال اجلدوها ولم يقل مائة ، فلو كان حكمها كما زعم داود لوجب بيان ذلك لهم لأنهم إنما سألوا عن ذلك لعدم بيان حكم جلد المائة بعد الإحصان في الإماء وإلا لما القائدة في قولهم ولم تحصن لعدم الفرق بينهما لو لم تكن الآية نزلت لكن لما علموا أحد الحكمين سألوا عن الآخر فينبئ لهم كما في الصحيحين أنهم لما سأله عن الصلاة عليه فذكرها لهم ثم قال (والسلام ما قد علمت) وفي لفظ لما أنزل الله قوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قالوا هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك وذ كرا الحديث وهكذا هذا السؤال . (الجواب الرابع) عن مفهوم الآية جواب أبي ثور وهو أغرب من قول داود من وجوه وذلك أنه يقول : فلما أحسن فإن عليهن نصف ماعلى المصنات للزوجات الرجم وهو لا ينصف فيجب أن ترجم الأمة للمصنة إذا زنت ، وأما قبل الإحصان فيجب جلد مائة خمسين فأخطأ في فهم الآية وخالف الجمهور في الحكم ، بل قد قال أبو عبد الله الشافعي رحمه الله ولم يختلف للمسلمون أن لا يجرم على ملك الزنا ؛ وذلك لأن الآية دلت على أن عليهن نصف ماعلى المصنات من العذاب والألف واللام في المصنات للمهد ومن اللجنات للذكورات في أول الآية (ومن لم يستلم منكم طولا أن ينكح المصنات المؤمنات) والرايين الحرائر فقط من غير تعرض للزواج بحرة وقوله (نصف ماعلى المصنات من العذاب) يدل على أن المراد من العذاب الذي يمكن تبعيضه وهو الجلد لا الرجم والله

أعلم ، وقد روى أحمد حديثاً في فرد مذهب أبي ثور من رواية الحسن بن سعيد عن أبيه أن صفية كانت قد زنت برجل من المحسن فولدت غلاماً فأدعاه الزاني فاختصا إلى عثان فرقصا إلى طين أبي طالب فقال طي أفضى فيهما بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراس ، وللماهر الحجر وجعلهما خمسين وخمسين وقيل بل للراد من القهوم التنبيه بالأعلى طي الأدنى أي أن الأماء على النصف من الحرائر في الحد وإن كن محسنات وليس عليهن رجم أصلاً لا قبل النكاح ولا بعده ، وإنما عليهن الجلد في الحالين بالنسبة قال ذلك صاحب الانصاح وذكر هذا عن الشافعي في رواه ابن عبدالحكم وقد ذكر البهقي في كتاب السنن والآثار عنه وهو بعيد من قسط الآية لأنما استغفنا تصنيف الحد من الآية لامن سواها فكيف يفهم منها التنصيف فيا عداها وقال بل أريد بأنها في حال الإحصان لا يرم الحسد عليها إلا الإمام ولا يجوز لسيدها إقامة الحد عليها والحالة هذه هو قول في مذهب أحمد رحمه الله ، فأما قبل الإحصان فله ذلك والحد في كلا الموضعين نصف حد المرأة وهذا أيضاً بعيد لأنه ليس في الآية ما يدل عليه ، ولولا هذه لم ندر ما حكم الإمام في التنصيف ولوجب دخولهن في عموم الآية في تكميل الحد مائة أو رجهن كما ثبت في الدليل عليه ، وقد تقدم عن طي أنه قال : أنها الناس أقيموا الحد على أرفأكم من أحسن منهم ومن لم يحسن ، وعموم الأحاديث المتقدمة ليس فيها تفصيل بين الزوجة وغيرها حديث أبي هريرة الذي احتج به الجمهور إذا زنت أمة أحدهم فتبين زناها فيجلدها الحد ولا يترتب عليها . ملخص الآية أنها إذا زنت أقوالاً ، أحدها تجلد خمسين قبل الإحصان وبعده ، وهل تنفي فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنها تنفي عنه . والثاني لا تنفي عنه مطلقاً ، والثالث أنها تنفي نصفه وهو نصف نفى المرأة وهذا الخلاف في مذهب الشافعي ، وأما أبو حنيفة فنسبته أن النبي تزيير ليس من تمام الحد ، وإنما هو رأى الإمام إنشاء فله وإن شاء تركه في حق الرجال والنساء ، وعند مالك أن النبي إنما هو على الرجال وأما النساء فلا لأن ذلك مغاير لصياتهن ومما ورد شيء من النبي في الرجال ولا النساء . فمحدث عبادة وحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيمن زنى ولم يحسن بثني عام وإقامة الحد عليه رواه البخاري وذلك مخصوص بالمتن وهو أن القصد من النبي الصون وذلك مفقود في نفى النساء والله أعلم والثاني أن الأمة إذا زنت تجلد خمسين بعد الإحصان وقضرب تأديباً غير محدود لئلا يحصور وقد تقدم ما رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها لا تضرب قبل الإحصان وإن أراد نفى فيكون مذهبها بالتأويل وإلا فهو كالتقول الثاني . القول الآخر أنها تجلد قبل الإحصان مائة وبعده خمسين كما هو المشهور عن داود وهو أضعف الأقوال أنها تجلد قبل الإحصان خمسين وترجم بعده وهو قول أبي ثور وهو ضعيف أيضاً والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقوله تعالى (ذلك لمن خشي العنت منكم) أي إنما يباح نكاح الإمام بالضرورة للتقدمة لمن يخاف على نفسه الوقوع في الزنا وشق عليه الصبر عن الجماع وعنت بسبب ذلك كله فله حيث دل أن يزوجه بالأمة وإن ترك تزوجها وجاهد نفسه في الكف عن الزنا فهو خير له لأنه إذا تزوجها جاء أولاده أرقاء لسيدها إلا أن يكون الزوج غريباً فلا تكون أولاده منها أرقاء في قول قديم للشافعي ولهذا قال (وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم) ومن هذه الآية الكريمة استدل جمهور العلماء في جواز نكاح الإمام على أنه لا بد من علم الطول لنكاح الحرائر ومن خوف العنت لما في نكاحهن من مفسدة رقى الأولاد ولما فيهن من الهداية في الصلوات عن الحرائر البهن وخالف الجمهور أبو حنيفة وأصحابه في اشتراط الأمرين فقالوا متى لم يكن الرجل مزوجاً بمرأة جاز له نكاح الأمة للؤمنة والسكينة أيضاً سواء كان واجداً لطول حرة أم لا وسواء خاف العنت أم لا وعندهم فيا ذهبوا إليه قوله تعالى (وللحسان من الدين أدوات) الكتاب من قبلكم) أي الصانف وهو يرم الحرائر والإماء وهذه الآية عامة وهذه أيضاً ظاهرة في الدلالة على ما قاله الجمهور والله أعلم

يُرِيدُ اللَّهُ رَبِّيكَ لَكُمْ مَرْبِدِيكُمْ سُنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّوْهَاتِ أَنْ تَبْسُتُوا مَتِيلاً عَظِيماً ۝ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخَفِّعَ عَنْكُمْ خَلْقَ الْإِنْسَانِ صِغِيلاً

خبر تعالى أنه يريد أن يبين لكم أيها المؤمنون ما أحل لكم وحرم عليكم بما تخدمكم في هذه السورة وغيرها (ويهدىكم سنن الذين من قبلك) يبيّن طرائقهم الحليّة وإتباع شرائعهم التي يحيا ويرضاها (ويتوب عليكم) أي من الآثم والحرام (والله عليم حكيم) أي في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله وقوله (ويرد الذين يبعثون الشهوات أن يحلوا ميلا عظيما) أي يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزنادقة أن يحلوا عن الحق إلى الباطل ميلا عظيما (يريد الله أن يخفف عنكم) أي في شرائعهم وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم ولهذا أبلغ الأماة شروطا كما قال مجاهد وغيره (وخلق الإنسان ضعيفا) فتناسب التخفيف لضعفه في نفسه ووضف عزمه وهمته وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن طاووس عن أبيه (وخلق الإنسان ضعيفا) أي في أمر النساء وقال وكيع يذهب عقله عندهن . وقال موسى الكليم عليه السلام لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء حين من عليهما جاسمن عند سدرة المنتهى فقال له ماذا فرض عليك فقال أمرني بخمسين صلاة في كل يوم وليلة فقال له ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمك لا تطيق ذلك فأتى قد بلوت الناس قبلك على ما هو أقل من ذلك فنجزوا وإن أمك أنصف أسماها وأبصارا وقولوا فرجع فوضع عشرا . ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك بقيت خمسا الحديث

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْعَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا • وَإِنْ يَقُولُ ذَلِكَ عَدُوًّا فَمَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَصْلِيهِ كَذًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا • إِنْ جَنَّبَيْتُمَا ذِكْرًا مَّا تَبْتَغُونَ عَنْهُ نُكْفَرْ عَنْكُمْ سِتَاتِكُمْ • وَلَنُدْخِلَنَّهُمْ مُّذَخَلًا كَرِيمًا •)

يبيّن تبارك وتعالى عبادة المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بباطل أي بأنواع الكسب التي هي غير شرعية كالأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أنه متعاطيها إنما يريد الحليّة على الربا حتى قال ابن جرير : حدثنا ابن لثمي حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول إن رضيت أخذه ولا رددت منه درهما قال هو الذي قال الله عز وجل فيه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب للصلى حدثنا ابن الفضل عن داود الأدي عن عامر عن عصة عن عبد الله في الآية قال إنها محكمة ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال للنسبون إن الله قد نهاهم أن يأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل أموالنا ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكيف للناس فأُنزل الله بعد ذلك (ليس على الأعمى حرج) الآية وكذا قال قتادة وقوله تعالى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) فرى تجارة بالبرع والنسب وهو استثناء منقطع كأنه يقول لا تتعاملوا لأسباب الحرمة في اكتساب الأموال لكن للتاجر للشرعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فاضواها وتسبوا بها في تحصيل الأموال كما قال تعالى (ولا تخنوا أنفسكم إلى حرم الله إلا بالحق) (وكقوله لا ينقضونها للوث إلا للوث الأولى). ومن هذه الآية الكريمة اتجّع الناس على أنه لا يصح البيع إلا بالقبول لأنه يدل على التراضي فصار بخلاف الماطاة فإنها قد لا تدل على الرضا ولابد وخالف الجمهور في ذلك مالك وأبو حنيفة وأحمد فأروا أن الأقوال كما تدل على التراضي فكذلك الأفعال تدل على بعض الحال قطعا فصحبوا بيع الماطاة مطلقا ومنهم من قال يصح في المحقرات وفيما يده الناس يما وهو احتياط لنظر من عتق للعبد والله أعلم وقال مجاهد (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) يما أو عطاء بغيره أحدا ورواه ابن جرير ثم قال وحدثنا وكيع حدثنا أبي عن القاسم عن سليمان الجعفي عن أبيه عن ميمون بن مهران قال: قال رسول الله ﷺ «البيع عن تراض، والحيار بعد الصفقة، ولا يحل لسلطان أن يشترى مسلما» هذا حديث مرسل. ومن تمام التراضي إثبات خيار المجلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» وفي لفظ البخاري «إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار

ما لم يضرقا » وذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث أحمد والشافعي وأصحابها وجهور السلف والخلف ، ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام بحسب ما يتبين فيه مال البيع ولو إلى سنة في القرية ونحوها كما هو المشهور عن مالك رحمه الله وصحوا بيع الماطلة مطلقا وهو قول في مذهب الشافعي ، ومنهم من قال يصح بيع الماطلة في المحقرات فما يده الناس يما وهو اختيار طائفة من الأصحاب كما هو متفق عليه وقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) أي بارتكاب محارم الله وتماطي معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل (إن الله كان بكم رحبا) أي فإيا أمركم به ونهاكم عنه . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال : لما بعته النبي صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال احتلت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفت إن اغتسلت أن أهلك تميمت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال : فلما قمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب » قال : قلت يا رسول الله إنى احتلت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفت إن اغتسلت أن أهلك فذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم) إن الله كان بكم رحبا (تميمت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وهكذا رواه أبو داود من حديث يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب وبورواه أيضا عن محمد بن أبي سلمة عن ابن وهب عن ابن لهيعة وعمر بن الحارث كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير الصرمي عن أبي تيسر مولى عمرو بن العاص عنه قد ذكر نحوه وهذا والله أعلم أشبه بالصواب . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البجلي حدثنا محمد بن صالح بن سهل البجلي حدثنا عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يوسف بن خالد حدثنا زياد بن سمد عن عكرمة عن ابن عباس أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فدعا فسأله عن ذلك فقال يا رسول الله خفت أن يقتلني البرد وقد قال الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) الآية فسكت عنه رسول الله ﷺ ، ثم أورد ابن مردويه عند هذه الآية الكريمة من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه مجذبة فمديته في يده يدها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً » وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وكذلك رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه وعن أبي قلابة ^(١) عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة » وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة . وفي الصحيحين من حديث الحسن بن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح فأخذ سكيناً نحر بها يده فارقاً النعم حتى مات ، قال الله عز وجل عبدي بادري بنفسه حرمت عليه الجنة » ولهذا قال تعالى (ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً) أي ومن يتماطي ما نهاه الله عنه متعدياً فيه ظالماً في تماطيه أي عالماً بتحريره متجاسراً على انتهاكه (فسوف نصليه ناراً) الآية وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد فليجدر منه كل عاقل ليبت عن أتقى السمع وهو شديد وقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية أي إذا اجتنبت كبائر الآثام التي نهيت عنها كفرنا عنكم سيئات الذنوب وأدخلناكم الجنة ولهذا قال (وندخلكم مدخلا كريماً) وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا خالد بن أيوب عن معاوية بن قرنة عن أنس رفته قال : لم ير مثل الذي بلغنا عن ربنا عز وجل ثم لم يخرج له عن كل أهل ومال أن تجاوز لنا مما دون الكبائر يقول الله (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم عن منيرة عن أبي مشر عن إبراهيم عن مربي عن النبي عن سلمان الفارسي قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم « أتندري ما يوم الجمعة » قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم قال « لكن أتدري ما يوم الجمعة لا يظهر الرجل فيجس طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضى الإمام صلاته إلا كانت كفارة له ^(١) (١) لسانة الأذهر : ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو مردق في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً .

ما بينا وبين الجنة القلعة ما اجتنبت للقتة» وقد روى البخاري من وجه آخر عن سلمان نحوه وقال أبو جعفر بن جرير حدثني الثني حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نعم المجرر أخبرني صبيب مولى الصواري أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد يقولان خطبنا رسول الله ﷺ يوما فقال «والله نفسي بيده» ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يكي لا تدري ماذا حلق عليه ثم رفع رأسه وفي وجهه البشري فكان أبا حنيفة من حمر الترم فقال : «ما من عبد يمسى الصلوات الحسنة ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويحسب الكبار السبع إلا قنعت له أبواب الجنة» ثم قيل له ادخل بسلام» وهكذا رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث الليث بن سعد به ورواه الحاكم أيضا وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه «تفسير هذه السبع» وذلك بما ثبت في الصحيحين من حديث سلمان بن هلال عن ثور بن زيد عن سالم أبي القيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اجتنبوا السبع للوقبات» قيل يا رسول الله وماهن؟ قال «الشرك بالله» وقيل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسحر، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (طريق أخرى عنه) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فهد بن عوف حدثنا أبو عروبة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الكبار سبع أولها الإشراف بالله» ثم قيل النفس يثير تحفا وأكل الربا وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر والفرار من الزحف ورمى المحصنات والافتلاب إلى الأعراب بعد الهجرة» فالسبع على هذه المعركة الكبار لا ينفى ما عداها إلا عند من يقول بفهم القلب وهو ضعيف عند عدم القرينة ولا سيما عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم القوم كما سنورده من الأحاديث المتضمنة من الكبار غير هذه السبع فمن ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال : حدثنا أحمد بن كامل القاضي إمامنا حدثنا أبو قتادة عبد الملك بن محمد حدثنا معاذ بن هاني حدثنا حرب بن شداد حدثنا يحيى بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن حمير عن أبيه يحيى بن حمير بن قنادة رضى الله عنه أنه حدثه وكانت له صيغة أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع «ألا إن أولياء الله للصالحين من يقيم الصلوات الحسنة التي كتب الله عليه، ويصوم رمضان ويحسب صومه يرى أنه عليه حق ويمسك زكاة ماله يحسبها ويحسب الكبار التي نهى الله عنها» ثم إن رجلا سأله فقال يا رسول الله ما الكبار؟ فقال «تسع» (١) الشرك بالله، وقتل نفس مؤمن بغير حق وفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وقذف المحصنة وعقوق الوالدين للسلبين واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا ثم لا يموت رجل لا يصل هؤلاء الكبار. ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في دار مصانها من ذهب» هكذا رواه الحاكم مطولا وقد أخرجه أبو داود والنسائي مختصرا من حديث معاذ بن هاني به وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطا ثم قال الحاكم رجاله كلهم يثق بهم في الصحيحين إلا عبد الحميد بن سنان (قلت) وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات. وقال البخاري في حديثه نظر وقد رواه ابن جرير عن سلمان بن ثابت الجعدي عن سالم بن سلام عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن عبيد بن حمير عن أبيه فذكره ولم يذكر في الإسناد عبد الحميد بن سنان واه أعلم (حديث آخر في معنى ما تقدم) قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن يونس حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن الوليد عن اللطيف عن عبد الله بن حنطب عن ابن عمر قال : صد النبي صلى الله عليه وسلم للنبي فقال «لا أقسم لأقسم» ثم نزل فقال : «أشربوا وأشربوا من صلى الصلوات الحسنة واجتنب الكبار السبع نودي من أبواب الجنة ادخل» قال عبد العزيز : لا أعلمه قال إلا «بسلام» وقال اللطيف : سمعت من سأل عبد الله بن عمر سمعت رسول الله ﷺ يذكرهن؟ قال : نعم «عقوق الوالدين، وإشراك بالله، وقتل النفس وقذف المحصنات» وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف، وأكل الربا» (حديث آخر في معناه) قال أبو جعفر بن جرير في التفسير حدثنا بشوب حدثنا ابن علي حدثنا يزيد بن عرقاق عن طيبة بن مياس قال : كنت مع التجندات (٢) فأصبت ذنوبا لا أراها إلا

(١) قوله: تسع الخ : مكنيا في النسخ وحرو المدد (٢) يان في الأثر وفي نسخة الأثر : التجندات، وفي ابن جرير : المدائن.

من الكبار فقلت ابن عمر قتلته : إلى أصبحت ذنوباً لا أراها إلا من الكبار قال : ما هي ؟ قلت : أصبحت كذا وكذا قال : ليس من الكبار قلت : وأصبت كذا وكذا قال ليس من الكبار قال شيء لم يسمه طيبة ؟ قال هي نعم (١) وسأعنه عليك « الإشراف بالله » وقتل النفس بغير حقها ، والقرار من الزحف وقذف الحصنة وأكل الربا وأكل مال اليتيم ظلماً ، وإلحاد في المسجد الحرام والذي يستسخر ، وبكاء الوالدين من الحوق « قال يزيد وقال طيبة لما رأى ابن عمر فرقى قال : أخاف النار أن تدخلها ؟ قلت : نعم قال : ونحب أن تدخل الجنة ؟ قلت : نعم قال أحيى والهاك ؟ قلت : عندي أحيى قال فوالله لن تأت أنت لما الكلام ، وأطعمتها الطعام لتدخل الجنة ما اجتبت للوجبات (طريق أخرى) قال ابن جرير : حدثنا سليمان (٢) بن ثابت الجعدي الواسطي أنا سلمة (٣) بن سالم حدثنا أيوب بن عتبة عن طيبة بن علي الهدي قال : أتيت ابن عمر في ظل أراك يوم عرفة وهو يصب للماء على رأسه ووجهه قلت : أخبرني عن الكبار ؟ قال : هي تسع قلت : ما هي ؟ قال : « الإشراف بالله وقذف الحصنة » قال قلت : مثل قتل النفس (٤) قال نعم ورغماً « وقتل النفس المؤمنة والقرار من الزحف ، والسحر وأكل الربا . وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين للسلبين وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا » هكذا رواه من هذين الطريقين موقوفاً وقد رواه علي بن الجعد عن أيوب بن عتبة عن طيبة بن علي قال : أتيت ابن عمر عتبة عرفة ، وهو تحت ظل أراك وهو يصب للماء على رأسه فسأته عن الكبار ! فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هن سبع » قال قلت : وما هن قال « الإشراف بالله وقذف الحصنة » قال قلت : قبل اسم قال : نعم ورغماً « وقتل النفس المؤمنة ، والقرار من الزحف والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين وإلحاد بالبيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا » وهكذا رواه الحسن ابن موسى الأشيب عن أيوب بن عتبة الجاني وفيه ضعف والله أعلم . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا زكريا ابن عدي حدثنا بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان أن أبا رهم السلمي حدثهم عن أبي أيوب قال : قال رسول الله ﷺ « من عبد الله لا يشرك به شيئاً ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، واجتنب الكبار فله الجنة - أو دخل الجنة » فسأله رجل ما الكبار ؟ فقال « الشرك بالله ، وقتل نفس مسلمة ، والقرار من الزحف » ورواه أحمد أيضاً ، والشافعي وغيره عن بقية (حديث آخر) روى ابن مردويه في تفسيره من طريق سليمان بن داود الجاني - وهو ضعيف - عن الزهري عن الحافظ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده قال : كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن كتاباً فيه القرائن والسنن والديات ، وبث به مع عمرو بن حزم قال : وكان في الكتاب « إذا كبر الكبار عند الله يوم القيامة : إشرافك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والقرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمي الحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم » . (حديث آخر فيه ذكر شهادة الزور) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عبد الله (٥) بن أبي بكر قال سمعت أنس بن مالك قال : ذكر رسول الله ﷺ الكبار أو سئل عن الكبار فقال « الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين » وقال : ألا أنبئكم بأكبر الكبار ؟ قلنا بلى قال « الإشراف بالله ، وقول الزور - أو شهادة الزور - » أخرجه من حديث شعبة به . وقد رواه ابن مردويه من طريقين آخرين غيرين عن أنس بنحوه . (حديث آخر) أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر بن بكر عن أبيه قال : قال النبي ﷺ « ألا أنبئكم بأكبر الكبار » قلنا بلى يا رسول الله قال « الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين - » وكان مكاناً فجلس فقال « أو شهادة الزور ، ألا وقول الزور » لما زال بكرهما حتى قلنا لبيته سكت . (حديث آخر فيه ذكر قتل الولد) وهو ثابت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قلت : يا رسول الله أي الذنوب أعظم ؟ وفي رواية أكبر ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قلت : ثم أي قال « أن تقتل ولداً خشية أن يطعمكم » قلت ثم أي قال « أن تزاني حليلة جارك » ثم قرأ (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - إلى قوله - إيماناً) . (حديث آخر فيه ذكر شرب الخمر) قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب حدثني ابن (٦) سحر أن رجلاً حدثه عن عمارة بن حزم أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص وهو بالحجر بمكة ، وسأله رجل عن الحجر فقال والله إن عطفاً عند الله الشيع مثل يكذب في هذا

(١) تسع إلى هكذا في التسع وحرر العدد . (٢) في نسخة الأثر : سلم ، وفي ابن جرير سلم . (٣) في ابن جرير سلم . (٤) تسع إلى هكذا في التسع وحرر العدد . (٥) وفيها : عمد . (٦) وفيها أبو .

للقام على رسول الله ﷺ فذهب فأسأله ثم رجع فقال : سأله عن الحجر فقال « هي أكبر الكباير ، وأم القواحيش من شرب الحجر ترك الصلاة . ووقع على أمه وخاله وعخته » غريب من هذا الوجه (طريق أخرى) رواها الحافظ أبو بكر ابن مردويه من حديث عبد العزيز بن محمد الراوردي عن داود بن صالح عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن أب بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وأتأسا من أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين جلسوا بعد وفاة رسول الله ﷺ فذكروا أعظم الكباير فلم يكن عندهم ما يتنون إليه فأرسلوا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أسأله عن ذلك فأخبرني أن أعظم الكباير شرب الحجر ، فأنتيتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك ، فوثبوا إليه حتى أتوا في داره فأخبرهم أنهم تحدثوا عند رسول الله ﷺ أن ملكا من بني إسرائيل أخذ رجلا فغيره بين أن يشرب خمرأ ، أو يقتل نفسا ، أو يزن أو يأكل لحم خنزير أو يقتله ، فاختر شرب الحجر . وإنه لما شربها لم ينتفع من شره أرادته منه ، وإن رسول الله ﷺ قال لنا غيبا « ما من أحد يشرب خمرأ إلا لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، ولا يموت أحد في ثمانته نهائش إلا حرم الله عليه الجنة ، فان مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية » هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا ، وداود بن صالح هذا هو القادر الذي مولى الأنصار قال الإمام أحمد : لا يرى به بأسا . وذكره ابن حبان في الثقات ، ولم أر أحدا جرحه . (حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو في ذكر البين النعوس . قال الإمام أحمد : حديثنا عن جعفر حدثنا شعبة عن فراس عن النبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أكبر الكباير الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين ، أو قتل النفس - شعبة . الشاك - والبين النعوس » ورواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وزاد البخاري وشيئا كلاما عن فراس به . (حديث آخر في البين النعوس) قال ابن أبي حاتم : حديثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعيد عن محمد بن يزيد بن مهاجر بن فضال التيمي عن أبي أمامة الأنصاري عن عبد الله بن أنيس الجهمي عن رسول الله ﷺ قال « أكبر الكباير الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين ، والبين النعوس ، وما حلف حالف بالله بين صبر فأدخل فيها مثل جناح البوضة إلا كانت وكنت في قلبه إلى يوم القيامة » وهكذا رواه أحمد في مسنده وعبد بن حميد في تفسيره كلاما عن يونس بن محمد اللؤب عن الليث بن سعد به ، وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد به وقال : حسن غريب وأبو أمامة الأنصاري هذا هو بن ثعلبة ولا يعرف اسمه ، وقد روى عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج اللؤي : وقد رواه عبد الرحمن بن إسحق للذي عن محمد بن زيد عن عبد الله بن أنيس الجهمي عن عبد الله بن أنيس فزاد عبد الله بن أنيس الجهمي عن أبي أمامة (قلت) هكنا وقع في تفسير ابن مردويه وصحاح ابن حبان من طريق عبد الرحمن بن إسحق كما ذكره شيخنا فسم الله في أجله (حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو في التسبب إلى شتم الوالدين . قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن سعد بن إبراهيم عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو رفته سفيان إلى النبي ﷺ ، ووقفه مسعر على عبد الله بن عمرو قال « من الكباير أن يشتم الرجل والده » قالوا وكيف يشتم الرجل والده ؟ قال « يسب الرجل أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » أخرجه البخاري عن أحمد بن يونس عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عمه حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من أكبر الكباير أن يلعن الرجل والده به » قالوا وكيف يلعن الرجل والده ؟ قال « يسب الرجل أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان وشعبة . ويزيد ابن الهادي ثلاثهم عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عمه حميد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سلمة حدثنا زهير بن محمد عن الملايين عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من أكبر الكباير عرض الرجل للسل ، والسبتان بالسبة » هكذا روى هذا الحديث ، وقد أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه عن جعفر بن مسافر عن عمرو بن أبي سلمة عن زهير بن محمد عن الملايين عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « من أكبر الكباير استطالة الرجل في عرض رجل مسلم فيسرق ، ومن الكباير السبتان بالسبة » وكذا رواه

ابن مردويه من طريق عبد الله بن العلاء بن زيد عن الملاعن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكر مثله (حديث آخر في الجمع بين الصلاتين من غير عدد) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن حنن عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « من جمع بين صلاتين من غير عدد فقد أتى بأبواب الكبائر » وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن أبي سلمة عني بن خلف عن المعتمر بن سليمان به ، ثم قال حنن هو أبو طي الرحى ، وهو حسين بن قيس ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ضعه أحمد وغيره . وروى ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا إسماعيل بن علي عن خالد الحذاء عن حميد بن هلال عن أبي قتادة يعني الصدوي قال : قرئ علينا كتاب عمر : من الكبائر جمع بين الصلاتين - يعني بينه وبين غيره - والقرار من الخوف ، والتهبة ، وهذا إسناد صحيح . والنرض أنه إذا كان الوعيد في جمع بين الصلاتين كالظهر والعصر ، تقديم أو تأخير ، وكذا القرب والعشاء كالجمع بسبب شرعي فمن قطعه بغير شيء من تلك الأسباب يكون مرتكباً كبيرة ، فإظنك بترك الصلاة بالكيفية ، ولهذا روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » وفي السنن مرفوعاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر » وقال « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » وقال « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » (حديث آخر) فيه اليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي حاتم النخيل حدثنا أبي حدثنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان متكئاً فدخل عليه رجل فقال : ما الكبائر فقال « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله عز وجل ، والأمن من مكر الله ، وهذا أكبر الكبائر » وقد رواه الزبair عن عبد الله بن إسحق الطائري عن أبي حاتم النخيل عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً قال : يا رسول الله ما الكبائر ؟ قال « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله عز وجل » وفي إسناده نظر ، والأشبه أن يكون موقوفاً . وقد روى عن ابن مسعود ذلك . وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا مطرف عن وبة بن عبد الرحمن عن أبي الطفيل قال : قال ابن مسعود : أكبر الكبائر الاشرار بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ، وكذا رواه من حديث الأعمش وأبي إسحق عن وبرة عن أبي الطفيل عن عبد الله به ، ثم رواه من طريق عتقة عن أبي الطفيل عن ابن مسعود ، وهو صحيح إليه بلا شك (حديث آخر) فيه سوء الظن بالله قال ابن مردويه حدثنا محمد بن إبراهيم بن بشار حدثنا أبو حاتم بكر بن عبدان حدثنا محمد بن مهاجر حدثنا أبو حذيفة البخاري عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر أنه قال : أكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل حديث غريب جداً (حديث آخر) فيه التهرب بعد الهجرة قد تقدم من رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً قال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رعد بن حمر بن خالد الحارثي حدثنا ابن لهيعة عن زياد بن أبي حبيب عن محمد بن سهل ابن سهل ابن أبي خثيمة عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقول « الكبائر سبع ألا تسألوني عنها ؟ الاشرار بالله ، وقتل النفس والقرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، والتهرب بعد الهجرة » ، وفي إسناده نظر ورفعه غلط فاحش والصواب ما رواه ابن جرير حدثنا نعيم بن النضر حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحق عن محمد بن سهل بن أبي خثيمة عن أبيه قال : إني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة على رضى الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول يا أيها الناس الكبائر سبع فأصاح الناس فأعابها ثلاث مرات ثم قال : لم ألتألوني عنها ؟ قالوا يا أمير المؤمنين ما هي ؟ قال : الاشرار بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والقرار يوم الزحف ، والتهرب بعد الهجرة . فقلت لأبي يا أبا التهرب بعد الهجرة كيف لحق ههنا ، قال يا بني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى إذا وقع سهمه في النرم . ووجب عليه الجهاد خلق ذلك من عتقه فرج أعرايا كما كان

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم حدثنا أبو معاوية يعني ستان عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة ابن قيس الأشجعي قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع « ألا أيها الذين أربعوا لاهتركوا بالله شيئاً ، ولا تهنأوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا » قال فما أنا بأشجع عليهم من شيء إذ سمعتين من رسول الله ﷺ

وسلم . ثم رواه أحمد أيضا والنسائي وابن مردويه من حديث منصور بإسناده مثله
(حديث آخر) تقدم من رواية عمر بن القيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال
« الإضرار بالوعدة من الكبائر » والصحيح ما رواه غيره عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال ابن أبي حاتم هو
صحيح عن ابن عباس من قوله (حديث آخر في ذلك) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا
عبد بن جواد عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة أن أناسا من أصحاب النبي ﷺ ذكروا الكبائر وهو مكتوب
فقالوا : الشرك بالله ، وأكل مال اليتيم ، والقرار من الزحف وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور .
والنفل . والسحر . وأكل الربا . قال رسول الله ﷺ « فأتين يحملون الدين يشترون بهده الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا إلى
آخر الآية ، في إسناده ضعف وهو حسن » (ذكر أقوال السلف في ذلك)

قد تقدم ما روي عن عمر وعلى في ضمن الأحاديث المذكورة ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا
ابن علية عن ابن عون عن الحسن أن أناسا سألوا عبد الله بن عمرو بمصر فقالوا لاري أشياء من كتاب الله عز وجل أمر أن
يصل بها لاصلح بها فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك فقدم وقدموا معه فلقي عمر رضي الله عنه فقال متى قدمت ؟
فقال : منذ كذا وكذا قال : لا بد من ذلك ؟ قال : فلا أدري كيف ردعلي . فقال يا أمير المؤمنين إن أناسا لقوني بمصر
فقالوا إناري أشياء من كتاب الله أمر أن يصلح بها فلا يصلح بها فأجروا أن يلقوا في ذلك . قال : فاجمعلهم قال فجمعهم له
قال ابن عون أظنه قال في يوم فأخذ أذانهم رجلا فقال أنشدك بالله وعني الإسلام عليك أقرأت القرآن كله قال نعم
قال فهل أحصيته في نفسك ؟ فقال اللهم لا قال ولو قال نعم لحصمه . قال فهل أحصيته في بصرك ؟ فهل أحصيته في
لغظك ؟ هل أحصيته في أذنك ؟ ثم تلبسهم حتى أتى على آخرهم فقال ، ثم كنت عمرامه أنكفونوه أن يقيم الناس على كتاب
الله قد علمنا أن ستكون لتاسيات قال وتلا (إن تحبوا كتاب ما تهون عنه نكسر عنكم سيئاتكم) الآية . ثم قال
هل علم أهل المدينة . أو قال : هل علم أحد بما قدمت قالوا لا ، قال لعلوا لوعظت بهم بإسناد صحيح ومتن حسن
وإن كان من رواية الحسن عن عمر وفيها انقطاع إلا أن مثل هذا اشتهر فكفي شره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد
ابن سنان حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا علي بن صالح عن عثمان بن القيرة عن مالك بن جرير^(١) عن علي رضي الله عنه
قال : الكبائر الإشراف بالله ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة والقرار من الزحف والتعرب بعد
المجرة والسحر وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، وفراق الجماعة ، ونكث الصفة . وتهم من ابن مسعود أنه قال
أكبر الكبائر الإشراف بالله ، والياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله عز وجل
وروي ابن جرير من حديث الأصم عن أبي الضحى عن مسروق والأعمش عن إبراهيم عن علقمة كلاهما عن ابن
مسعود قال : الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها ومنه حديث سفیان الثوري وشعبة عن حاصم بن
أبي النجود عن زبدين جيب عن ابن مسعود قال أكبر الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها ثم تلا (إن تحبوا
كتاب ما تهون عنه) الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا النضر بن شاذان حدثنا علي بن عبيد حدثنا صالح بن حي عن ابن
بريدة عن أبيه قال : أكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضول لاء بدلاري ومنع طروق الفصل إلا يجعل
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يمنع فضل لاء لئب به الكفار » وفيما عن النبي ﷺ
أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالقلاة يتمه ابن السبيل »
وذكر تمام الحديث وفي مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدهم فروقا « من منع فضل لاء
وقضل الكفار منه الله فيه يوم القيامة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد بن شيبة الواسطي حدثنا أبو أحمد
عن سفیان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت ما أخذني النساء من الكبائر قال ابن أبي حاتم يعني
قوله تعالى (على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن) الآية وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية

حدثنا زياد بن عرق عن معاوية بن قررة قال أتيت أنس بن مالك فكان فيا يحدثنا قال لم أسمع الله الذي أتانا عن ربنا ثم لم يخرج له عن كل شيء ، وما لم سمكت هنية ثم قال (١) والله لا كلفنا من ذلك انه تجاوز لنا عمادون الكبائر وتلا (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) الآية .

(أقوال ابن عباس في ذلك)

روى ابن جرير من حديث الثعلبي عن سليمان بن أبيه عن طاوس قال ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا هي سبع فقال : هي أكثر من سبع وسبع قال فلا أدري كم قالها من مرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن طاوس قال قلت لأبي عباس ما السبع الكبائر قال هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن ليث عن طاوس قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال أرأيت الكبائر السبع التي ذكرهن الله ما هن قال هن إلى السبعين أدنى منها إلى سبع ، وقال عبد الرزاق أنا معمر بن طاوس عن أبيه قال قيل لأبي عباس الكبائر سبع ؟ قال هن إلى السبعين أقرب ؟ وكذا قال أبو المالكة الرياحي رحمه الله . وقال ابن جرير حدثنا الثعلبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير أن رجلا قال لأبي عباس كم الكبائر سبع ؟ قال هن إلى سبعائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كيرة مع استنفار ؟ ولا سفيرة مع إصرار ، وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شبل به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار وأغضب أولئنه أو عذاب رواء ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب اللوملي حدثنا ابن فضيل حدثنا شبيب عن عكرمة عن ابن عباس قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار كيرة وكذا قال (٢) سيد بن جبير والحسن البصري وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علي أخبرنا أبو يونس عن محمد بن سيرين قال نبئت أن ابن عباس كان يقول كل ما نهى الله عنه كيرة وقد ذكرت الطرفة قال هي النظرة وقال أيضا حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا أبو يوسف حدثنا عبد الله بن معدان عن أبي الوليد قال سألت ابن عباس عن الكبائر قال كل شيء عصى الله به فهو كيرة (أقوال التابعين)

قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علي عن ابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن الكبائر فقال : الإشراك بالله . وقتل النفس التي حرم الله بشير حقها . والفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا والبهتان . قال ويقولون أعراية بدهجرة قال ابن عون قتل محمد فالسحر ؟ قال إن البهتان يجمع شر كثيرا وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد الحارثي حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن أبي إسحق عن عبيد بن حمير قال الكبائر سبع ليس منها كيرة إلا وفيها آية من كتاب الله الإشراك بالله فمن (ومن يشرك بالله فكأما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح) الآية (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا) الآية (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (والذين يرمون المحصنات العافلات المؤمنات) والفرار من الزحف (يا أيها الذين آمنوا إذا قضيت الدين كفروا زحفا) الآية والتعرب بدهجرة (إن الذين ارتدوا على أديارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) وقتل المؤمن (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) الآية وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا في حديث أبي إسحق عن عبيد بن حمير بنحوه وقال ابن جرير : حدثنا الثعلبي ؟ حدثنا أبو حذيفة ؟ حدثنا شبل عن ابن أبي نجيع عن عطاء يعني ابن أبي رباح قال الكبائر سبع : قتل النفس وأكل مال اليتيم وأكل الربا ورمي المحصنة وشهادة الزور وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منيرة قال كان يقال شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكبائر قتل وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة وهو رواية عن مالك بن أنس رحمه الله وقال محمد بن سيرين ما أظن أحدا يفضأ أبأ بكر وعمر وهو يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا يونس أنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عيسى قال زبد بن أسلم في قوله عز وجل (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) من الكبائر : الشرك بالله والكفر بآيات الله ورسوله

(١) في نسخة الأزهر : وإنا سنلحق ربنا أهون من ذلك لتجاوز إلح . (٢) وفيها : كل ما وعده عليه النار كيرة .

والسحر وقتل الأولاد ، ومن دعى له ولدا أو صاحبة — ومثل ذلك من الأعمال والقول الذى لا يصلح معه عمل .
وأما كل ذنب يصلح معه دين ، وقيل معه عمل فإن الله يفر السيئات بالسنات قال ابن جرير حدثنا بشر بن معاذ ،
حدثنا يزيد حدثنا سعيد ، عن قتادة (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) الآية إننا وعد الله للتفرد من اجتناب الكبائر وذكر
لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا الكبائر ، وسددوا ، وأبشروا » وقد روى ابن مردويه من طرق عن
أنس وعن جابر مرفوعا « شفاعتى لأهل الكبائر من أمى » ولكن فى إسنادهم جميع طرقه ضعف لإمامنا عبد الرزاق
أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتى لأهل الكبائر من أمى » فإنه إسناد
صحيح على شرط الشيخين وقد رواه أبو عيسى الترمذى منفردا به من هذا الوجه عن عباس المنبرى عن عبد الرزاق ثم
قال هذا حديث حسن صحيح ، وفى الصحيح شاهد لمنه وهو قوله بشر بن معاذ بد ذكر الشفاعة « أترونها للؤمنين
الذين ؟ لا ولكنها للظالمين للثاوتين » وقد اختلف علماء الأصول والقروع فى حد الكبيرة فمن قائل هى ما عليه
حد فى الشرع ومنهم من قالى ما عليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة وقيل غير ذلك . قال أبو القاسم عبد الكريم
ابن محمد الرافى فى كتابه الشرح الكبير المشهور فى كتاب الشهادات منه ثم اختلف المصنفون فى الله عنهم فمن بعدهم فى الكبائر
وفى الفرق بينها وبين الصغائر وبعض الأسحاب فى تفسير الكبيرة وجوه أحدها أنها للصية للوجبة لحد (والثانى) أنها
الصية التى يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة وهذا أكثر ما يوجد لهم وإلى الأول أميل لكن الثانى أوفق
لما ذكره عند تفسير الكبائر (والثالث) قال إمام الحرمين فى الإرشاد وغيره كل جريمة تنهى بقية أكثر مراتبها
بالدين ورقة الآية فيها مطلة للعذلة (والرابع) ذكر القاضى أبو سعيد الهروى أن الكبيرة كل فعل نص الكتاب
على تحريمه وكل مصيبة توجب فى جنسها حدا من قتل أو غيره وترك كل فريضة مأمور بها على الفور والكذب
فى الشهادة والرواية واليمين هذا ما ذكره على سبيل الضبط ثم قال وفصل القاضى الروافى قال الكبائر سبع : قتل النفس بغير
الحق والزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، والسرقة ، وأخذ ثلث غصبا ، واقتداف وزاد فى الشامل على السبع المذكورة
شهادة الزور أضاف إليها صاحب العدة أكل الربا ، والانفطار فى رمضان بلا عذر ، واليمين الفاجرة ، وقطع الرحم
وعقوق الوالدين ، والقرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ، والخيانة فى الكيل والوزن ، وتقديم الصلاة على وقتها ،
وتأخيرها عن وقتها بلا عذر ، وضرب المسلم بلا حق ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمداً ، وسب أصحابه ،
وكتان الشهادة بلا عذر ، وأخذ الرشوة ، والقيادة بين الرجال والنساء ، والحماية عند السلطان ، ومنع الزكاة ، وترك
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ، ونسيان القرآن بعد تلميه ، وإحراق الحيوان بالنار ، وامتناع المرأة من
زوجها بلا سبب ، والياس من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ويقال الواقعة فى أهل العلم ومحنة القرآن وما يمتنع من الكبائر
— الظاهر ، وأكل لحم الخنزير واليتيم الاذن ضرورة — ثم قال الرافى وللتوقف بحال فى بعض هذه الحاصل قلت : وقد صنف
الناس فى الكبائر مصنفات منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الهلبى الذى بلغ نحو من سبعين كبيرة وإذا قيل إن الكبيرة
ما توعد عليها الشارع بالنار بخصوصها قال ابن عباس وغيره وما يتبع ذلك اجتمع منه شيء كثير وإذا قيل كل ما نهى الله
عنه فكبير جداً والله أعلم .

﴿ وَلَا تَعْمَلُوا مَّا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لَّيْسَ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا
اَكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْتَأْذِنُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة يارسول الله يفرو الرجال ولا تنزو ولنا نصف
البراث فانزل الله (ولا تاتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض) ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر عن سفيان عن ابن أبى نجیح
عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت قلت يارسول الله قد كره وقال غريب ورواه بعضهم عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد أن أم سلمة

قالت يا رسول الله فذكره ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث الثوري عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله: لا تقاتل فنتشهد ولا تطع للبراءات فنزلت الآية ثم أنزل الله (أَيُّ لَا أُشِيرُ عَمَلُ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذِكْرِ أَوَانِي) الآية ثم قال ابن أبي حاتم وكذا يروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجیح بهذا اللفظ وروى يحيى القطان ووكيع بن الجراح عن الثوري عن ابن أبي نجیح عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله وروى عن مقاتل بن حيان وخفيف نحو ذلك وروى ابن جرير من حديث ابن جريج عن عكرمة ومجاهد أنهما قالاً أنزلت في أم سلمة وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكة قال نزلت هذه الآية في قول النساء ليقنا الرجال فنجاهد كما يجاهدون ونزوه في سبيل الله عز وجل وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية، محدثي أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي، حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي حاتم عن أبي القتيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية قال أتمت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله لذكر مثل حظ الأنثيين وشهادة امرأتين برجل ونحو في العمل هكذا إن فعلت امرأة حسنة كتب لها نصف حسنة فأنزل الله هذه الآية (وَلَا تَتَّبِعُوا) الآية فأنعذلي مني وأنا صنعته وقال السدي في الآية إن رجالاً قالوا إنا نريد أن يكون لنا من الأجر الضعف على أجر النساء كالنساء قالوا لا في السهام سهان وقالت النساء إنا نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الشهداء فأنزل الله لا نستطيع أن نقاتل ولو كتب علينا القتال لقاتلنا فأبى الله ذلك ولكن قال لهم سالوني من فضلي قال ليس بمرض الدنيا وقد روي عن قتادة نحو ذلك . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال ولا يتنق الرجل فيقول ليت لو أن لي مال فلان وأهله نهى الله عن ذلك ولكن يسأل الله من فضله. وقال الحسن ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك نحو هذا وهو الظاهر من الآية ولا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح «لأحد الألفين رجل أتاه الله ما لا تسطع على هلكته في الحق فيقول رجل لو أن لي مثل ما فلان لمسلت مثله نهى في الأجر سواء» فإن هذا شيء غير ما نهت عنه الآية وذلك أن الحديث حصص على نعمي مثل نعمة هذا والآية نهت عن نعمي عين نعمة هذا يقول (وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ) أي في الأمور الدنيوية وكذا الدينية لحديث أم سلمة وابن عباس وهكذا قال عطاء بن أبي رباح نزلت في النبي عن تميمي ما فلان وفي تميمي النساء أن يكن رجالاً فيفزون رواد ابن جرير ثم قال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) أي كل له جزاء على عمله بحسب إن خيراً فخير، وإن شراً فشر هذا قول ابن جرير وقيل للرجال بذلك للبراءات أي كل يرث بحسبه. ورواه الوابلي عن ابن عباس ثم أُرشدني إلى ما يصلحهم فقال (واسألوا الله من فضله) لا تتنقنا ما فضلنا به بعضكم على بعض فإن هذا أمر عتوم أي أن اتقي لا يجدي شيئاً ولكن سالوني من فضلي أعطاكم فاني كريم وهاب وقد روى الترمذي وابن مردويه من حديث حماد بن واقد سمعت إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «سألو الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل» وإن أفضل العبادة انتظار الفرج» ثم قال الترمذي كذا رواه حماد بن واقد وليس بالحافظ ورواه أبو نعيم عن إسرائيل عن حكم بن جبير عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي نعيم أنه يروي أن يكون أصح وكذا رواه ابن مردويه من حديث وكيع عن إسرائيل ثم رواه من حديث قيس بن الربيع عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سألو الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل» وإن أحب عباد الله إلى الله أهدى يحب الفرج» ثم قال (إن الله كان بكل شيء علماً) أي هو أعلم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها وبمن يستحق الفقر فيفقره وعلم بمن يستحق الآخرة فيقيضه لأعمالها وبمن يستحق الخذلان فيخذله عن تعلمي الخير وأسبابه ولهذا قال (إن الله كان بكل شيء علماً)

﴿وَلِكُلِّ جَزَاءً مِثْلُ مَا تَرَكَ أَولَادَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَثَبِّتُوا نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو صالح وقاتدة وزيد بن أسلم والسدي والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم

في قوله (ولكل جعلنا موالى) أى ورثة وعن ابن عباس فى رواية أى عصابة قال ابن جرير والعرب تسمى ابن العمولى
كما قال الفضل ابن عباس مولا بنى عمنا مهلا موالينا * لا يظهرون بيتنا ما كان مدفوتا
قال ويسمى بقوله مما ترك الوالدان والأقربون من تركه والديه وأقربيه من الليرات فثأيل الكلام ولكلكن أياها الناس
جعلنا عصابة يرونه مما ترك والده وأقربوه من ميراثهم له وقوله تعالى (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) أى
والذين تحالفتم بالأيمان بالموثقة أتم وهم فآتوهم نصيبهم من الليرات كما وعدتموهم فى الأيمان للظنة إن الله شاهد بينكم
فى تلك اليهود والمعاديات وقد كان هذا فى ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك وأمروا أن يوفوا من عاهدوا ولا يفسوا بعد
نزول هذه الآية معاهدة . قال البخارى حدثنا الصلت بن محمد حدثنا أبو أمامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولكل جعلنا موالى) قال ورثة (والذين عقدت أيمانكم) كان المهاجرون لما قدموا
للمدينة يرث للمهاجرى الأنصارى دون ذوى رحم للأخوة التى آخى النبي ﷺ بينهم فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى)
نسخت ثم قال (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) من النصر والرفاة والنصيحة وقد ذهب لليراث ويوصى
له ثم قال البخارى سمع أبو أمامة إدريس وسمع إدريس عن طلحة قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا
أبو أمامة حدثنا إدريس الأودى أخبرنى طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (والذين عقدت
أيمانكم) الآية قال كان المهاجرون حين قدموا للمدينة يرث للمهاجرى الأنصارى دون ذوى رحم للأخوة التى آخى
رسول الله ﷺ بينهم فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى) مما ترك الوالدان والأقربون) نسخت ثم قال والذين عقدت
أيمانكم فآتوهم نصيبهم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصلاح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء
عن ابن عباس قال (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) فكان الرجل قبل الإسلام يعاهد الرجل ويقول
وترثنى وأرثك وكان الأحياء يتحالفون فقال رسول الله ﷺ « كل حلف فى الجاهلية أو عقد أدركه الإسلام
فلا يزيده الإسلام إلا شدة ولا عقد ولا حلف فى الإسلام » فنسختها هذه الآية (وأولوا الأرحام بعضهم أولى
بعض فى كتاب الله) ثم قال وروى عن سعيد بن جبير وعطاء والحسن وابن السبب وأبى صلح وسليان بن يسار
والشمس وعكرمة والسدى والضحاك وقادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا هم الحلفاء وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله
ابن محمد حدثنا ابن نمير وأبو أمامة عن زكريا عن سعيد بن إبراهيم قال : قال رسول الله ﷺ « لا حلف فى الإسلام
وأما حلف كان فى الجاهلية لم يزه الإسلام إلا شدة » وهكذا رواه مسلم ورواه النسائى من حديث إسحق بن
يوسف الأزرق عن زكريا عن سعيد بن إبراهيم عن ثعلبة عن جبير بن مطعم عن أبيه به وقال ابن جرير حدثنا
أبو كريب حدثنا وكيع عن شريك عن سفيان عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا
أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدم عن إسرائيل عن يونس عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن عكرمة عن
ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لا حلف فى الإسلام وكل حلف كان فى الجاهلية فلم يزه الإسلام إلا شدة
وما يسرى أن لى حمر النعم وأبى قضت الحلف الذى كان فى دار الندوة » هذا لفظ ابن جرير وقال ابن جرير أيضا
حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عميرة عن عبد الرحمن بن إسحق عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن
ابن عوف أن رسول الله ﷺ قال « شهدت حلف الطيبين وأنا غلام مع حموق فشا أحب أن لى حمر النعم وأنا
أنكته » قال الزهرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يصب الإسلام حلفا إلا زاده شدة » قال « ولا حلف
فى الإسلام » وقد ألف النبي صلى الله عليه وسلم بين قریش والأنصار وهكذا رواه الإمام أحمد عن بشر بن الفضل عن
عبد الرحمن بن إسحق عن الزهرى بنامه وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشام أخبرنى مغيرة عن أبيه عن شعبة بن
التوام عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي ﷺ عن الحلف قال فقال « ما كان من حلف فى الجاهلية فتسكوا به
ولا حلف فى الإسلام » وهكذا رواه أحمد عن هشام وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن أبى عبد الله عن ابن
جبان حدثه عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا حلف فى الإسلام وما كان من حلف فى الجاهلية لم

يزده الاسلام إلاعدة» وحدثنا كريب حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح قام خطيباً في الناس فقال «يا أيها الناس ما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام إلاعدة ولا حلف في الاسلام» ثم رواه من حديث حسين بن علي وعبد الرحمن بن الحارث عن عمرو بن شعيب به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن نمير وأبو أسامة عن زكريا عن سعد عن إبراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله ﷺ «لا حلف في الاسلام وأما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام إلا شدة» وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله ورواه أبو داود عن عثمان عن محمد بن أبي شيبة عن محمد بن بشر وابن نمير وأبي أسامة ثلاثهم عن زكريا وهو ابن أبي زائدة بإسناده مثله ورواه ابن جرير من حديث محمد بن بشر به ورواه النسائي من حديث إسحق بن يوسف الأزرق عن زكريا عن سعد بن إبراهيم عن نافع ابن جبير بن مطعم عن أبيه به وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن أبيه عن شعبة بن التمام عن قيس ابن عاصم أنه سأل النبي ﷺ عن الحلف فقال «ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الاسلام» وكذا رواه شعبة عن مغيرة وهو ابن مقسم عن أبيه به وقال محمد بن إسحق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع مع ابن أختها موسى بن سعد وكان يقرأ في حجر أبي بكر فقرأت عليها (والذين عاهدت أيمانكم) فقالت لا ولكن (والذين عقدت أيمانكم) قالت إنما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أتى أن يسلم فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم حين حل على الاسلام بالسيف أمر الله أن يورثه نصيبه رواء ابن أبي حاتم وهذا قول غريب ، والصحيح الأول وأن هذا كان في ابتداء الاسلام يتوارثون بالحلف ثم نسخ وبقي تأثير الحلف بعد ذلك وإن كانوا قد أمروا أن يوفوا بالعهود والمقود والحلف الذي كانوا قد تعاهدوه قبل ذلك وتقدم في حديث جبير بن مطعم وغيره من الصحابة لا حلف في الاسلام وأما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام إلا شدة وهذا نص في الرد على من ذهب إلى التوارث بالحلف اليوم كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ورواية عن أحمد بن حنبل والصحيح قول الجمهور ومالك والثمامي وأحمد في الشهور عنه ولهذا قال تعالى (ولكل جعلنا مولى ما ترك الوالدان والأقربون) أي وريثة من قرابته من أبويه وأقربيه وم يرثونه دون سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «ألقوا القرائض بأهلها فما بقي فآلؤا رجل ذكر» أي اقسوا للبراث على أصحاب القرائض الذين ذكروا الله في آتيني القرائض فما بقي بعد ذلك فاعطوه للمصيبة وقوله (والذين عقدت أيمانكم) أي قبل نزول هذه الآية فآتوكم نصيبهم أي من البراث فأما حلف عقد بعد ذلك فلا تأثير له وقد قيل إن هذه الآية نسخت الحلف في المستقبل وحكم الحلف لماضي أيضاً فلا توارث به كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة حدثنا إدريس الأودي أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فآتوكم نصيبهم قال من النصرة والنصيحة والرفادة ويوصيه وقد ذهب للبراث ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة وكذا روى عن مجاهد وأبي مالك نحو ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (والذين عاهدت أيمانكم) قال كان الرجل يهادد الرجل أيمامات يورثه الآخر فأنزل الله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أولائكم معروفًا) يقول إلا أن توصوا لهم بوصية فهي لهم جائزة من ثلث المال وهذا هو المعروف وهكذا نص غير واحد من السلف أنها منسوخة بقوله (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أولائكم معروفًا) وقال سعيد بن جبير فآتوكم نصيبهم أي من البراث قال وعاهد أبو بكر مولى يورثه رواه ابن جرير وقال الزهري عن ابن السيب نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجلاً غير أبنائهم يورثونهم فأنزل الله فيهم فجعل لهم نصيباً في الوصية ورد البراث إلى الوالي في ذي الرحم والعصبة وأبى أن يكون للمدعين ميراث من إصنام وتبتاعهم ولكن جعل لهم نصيباً من الوصية رواه ابن جرير وقد اختار ابن جرير أن الراد بقوله فآتوكم نصيبهم ، أي من النصرة والنصيحة والموتة لا أن الراد فآتوكم نصيبهم من البراث حتى تكون الآية منسوخة ولا أن ذلك كان حكماً

ثم نسخ بل إنما دلت الآية على الوفاء بالخلف المقود على النصرة والنصيحة فقط فهي محكمة لا منسوخة وهذا الذي قاله فيه نظر فإن من الخلف ما كان على الناصرة والمناوئة ومنه ما كان على الارث كما حكاه غير واحد من السلف وكما قال ابن عباس كان المهاجري يرث الأنصار دون قراباته وذوي رحمه حتى نسخ ذلك فكيف يقولون إن هذه الآية محكمة غير منسوخة والله أعلم

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا آخَفَوْا مِنْ أَمْرِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلنِّسَاءِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَحَافُتُونَ نَشُوزَهُنَّ قَتْلُوهُنَّ وَأُجْرُوهُنَّ فِي الْأَصْنَاجِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتُمُ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

يقول تعالى (الرجال قوامون على النساء) أى الرجل قيم على المرأة أى هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومودها إذا عوجت (بما فضل الله بعضهم على بعض) أى لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النوبة مختصة بالرجال وكذلك تلك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم (لن يخلع قوم ولوا أمرهم امرأة) - رواه البخارى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه وكذا منصب القضاء وغير ذلك (وبما آخفوا من أمورها) أى من المهور والنفقات والكف الذى أوجبا الله عليهم لمن فى كتابه سنة ينيه صلى الله عليه وسلم فالرجل أفضل من للمرأة على نفسه وله الفضل عليها والافضل فاسب أن يكون قيا عليها كما قال الله تعالى (وللرجال عليهن درجة) الآية وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس (الرجال قوامون على النساء) يعنى أمراء عليهن أى تطيعه قيا أمرها الله به من طاعته وطاعته أن تكون حسنة لأهلها حافظة لسانه ، وكذا قال مقاتل والسنى والضحاك وقال الحسن البصرى جاءت امرأة إلى النبی صلى الله عليه وسلم تشكو أن زوجها لطمها فقال رسول الله ﷺ « القصص » فأنزله الله عز وجل (الرجال قوامون على النساء) الآية فرجعت بغير قصاص ورواه ابن جريج وابن أبى حاتم عن طريق عنه وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسنى أورد ذلك كله ابن جرير وقد أسنده ابن مردويه من وجه آخر فقال حدثنا أحمد بن على النسائي ، حدثنا محمد بن هبة الله الهاشمي ، حدثنا محمد بن محمد الأعشى حدثنا موسى بن إسماعيل ابن موسى بن جعفر بن محمد ، قال حدثنا أبى عن جدى ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن على قال أن رسول الله ﷺ رجلا من الأنصار بامرأة له فقالت يا رسول الله إن زوجها فلان بن فلان الأنصارى وإنه ضربها فأثر فى وجهها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس به ذلك » فأنزله الله تعالى (الرجال قوامون على النساء) أى فى الأدب فقال رسول الله ﷺ « أردت أمرا وأراد الله غيره » وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جريج والسنى أورد ذلك كله ابن جرير وقال الشيبى فى هذه الآية (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما آخفوا من أمورها) قال الصادق الذى أعطاهما ألا ترى أنه لو قدنفها لاعتبا ولو قدنفه جلدت وقوله تعالى (فالصالحات) أى من النساء (قانتات) قال ابن عباس وغير واحد يعنى المعطيات لأزواجهن (حافظات للنسب) وقال السنى وغيره أى تحفظ زوجها فى غيبته فى نفسها وماله وقوله (بما حفظ الله) أى المحفوظ من حفظه الله قال ابن جرير حدثني الحسن ، حدثنا أبو صالح حدثنا أبو مشر ، حدثنا سعيد بن أبى سعيد القبري عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك » وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » قالهم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (الرجال قوامون على النساء) إلى آخرها ورواه ابن أبى حاتم عن يونس بن حبيب عن أبى داود الطيالسي عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ذئب عن سعيد القبري بمثله سواء وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن أبى جعفر أن ابن قارظ أخبره أن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ « إذا نسلت المرأة خمسا، وصامت شهرا، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها قيل لها ادخل الجنة من أى الأبواب شئت » فخر به أحمد من طريق عبد الله بن قارظ عن

عبد الرحمن بن عوف وقوله تعالى (واللّٰق يخافون نشوزهن) أي والنساء اللاتي يتخوفون أن ينشزن على أزواجهن والنشوز هو الارتضاع فالمرأة الناشز هي الزمعة على زوجها التاركة لأمره للمرضة عنه للبخسة له ففي ظهر له منها أمارات النشوز فليظنها وليخوفها عتاب الله في عصيانه فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها واطاعته وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والافضل وقد قال رسول الله ﷺ « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها لللائكة حتى تصبح » ورواه مسلم ولفظه « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها لللائكة حتى تصبح » ولهذا قال تعالى (واللّٰق يخافون نشوزهن ففظوهن) وقوله (واهجروهن في النضاج) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المجر هو أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره وكذا قال غير واحد وزاد آخرون منهم السدي والضحاك وعكرمة وابن عباس في رواية ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها وقال علي بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس يعظها فإن هي قبلت والاهجرها في النضاج ولا يكلمها من غير أن يرد نكاحها وذلك عليها شديد وقال مجاهد والشعبي وإبراهيم ومحمد بن كعب ومقسم وقتادة : المجر هو أن لا يضاجعها وقد قال أبو داود حدثنا موسى ابن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي يزيد عن أبي مرة الرقاشي عن عمه أن النبي ﷺ قال « فإن خفتم نشوزهن فاهجروهن في النضاج » قال حماد يعني النكاح وفي السنن والسند من معاوية بن حيدة القشيري أنه قال : يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه قال « أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تضجع ولا تهجر إلا في البيت » وقوله واضربوهن أي إذا لم يرتعن بالموعظة ولا بالمهجران فليكن أن تضربوهن ضرباً غير مبرح كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع «واضروا الله في النساء فانهن عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » وكذا قال ابن عباس وغير واحد ضرباً غير مبرح قال الحسن البصري يعني غير مؤثر قال الفقهاء هو أن لا يكسر فيها عضا ولا يؤثر فيها شيئا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يهجرها في النضاج فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح ولا تكسر لها عظاماً فإن أقبلت وإلا فقد أحل الله لك منها القذف وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عمر عن إياس ابن عبد الله بن أبي ذئاب قال : قال النبي ﷺ « لا تضربوا إماء الله » فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال حدثت النساء على أزواجهن ففرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضربهن فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولئك بخياركم » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود يعني أبداود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن داود الأودي عن عبد الرحمن السلمي عن الأعمش بن قيس قال ضغت عمر رضي الله عنه فتناول امرأته ففرضها فقال يا أعمش اجفظ عني ثلاثا فخطفتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسأل الرجل فيها ضرباً امرأته ، ولا تم إلا على وتر ونسئ الثالثة وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن مهيدي عن أبي عوانة عن داود الأودي عن بقوله تعالى (فان أطعتم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها بما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها ولا هجرانها وقوله (إن الله كان عليا كبيرا) تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب فإن الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

ذكر الحال الأول وهو إذا كان الثفور والنشوز من الزوجة ثم ذكر الحال الثاني وهو إذا كان الثفور من الزوجين فقال تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابغوا حكما من أهله وحكما من أهلها) وقال الفقهاء إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم

إلى جنبه نظر في أمرها ونزع الظلم منها من الظلم فإن خاتم أمرها وطالت خصوصتها بستانها كم تقة من أهل المرأة وتقة من قوم الرجل ليجمعا فينظر في أمرها ونزعاً ما فيه الصلحة بما يريانه من التفريق أو التوفيق وتشوف الشارع إلى التوفيق . ولهذا قال تعالى (إن يريدوا إصلاحي يوفى الله بينهما) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله عز وجل أن ييسروا رجلاً صالحاً من أهل الرجل ورجلته من أهل المرأة فينظران أيهما السوء فإن كان الرجل هو السوء حببوا عنه امرأته وقصروا على النفقة وإن كانت المرأة هي السوء قصروا على زوجها ومنعوا النفقة فإن اجتمع رأيهما على أن يفراقا أو يجمعا فأمرها جائز فإن رأيا أن يجمعا فرضى أحد الزوجين وكراه الآخر ثم مات أحدهما فإن الذي رضى يرث الذي لم يرث ولا يرث الكاره الراضى رواء ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن ابن عباس قالت بشت أنا ومعاوية حكيم ، قال معمر بلقي أن عتبان بشهما وقال لها إن رأيت أن يجمعا سمعتي وإن رأيت أن يفراقا ففراقا ، وقال أنبأنا ابن جرير حديثي ابن أبي مليكة أن عقيلاً بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فقالت : نصير إلى واشقي عليك فكان إذا دخل عليها قالت ابن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فقال علي يسارك في النار إذا دخلت فشدت عليها ثيابها فاجتعت عتبان فذكرت ذلك ففحصها فأرسل ابن عباس ومعاوية فقال ابن عباس لأفرق بينهما فقال معاوية ما كنت لأفرق بين شخصين من بني عبد مناف فأتياها فوجداهما قد اعقبا عليهما أيوبهما فارجعا ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال شهدت علياً وجاءته امرأة وزوجها مع كل واحد منهما ثلثمائة ألف درهم فخرج هؤلاء حكماً وهؤلاء حكماً فقال علي للحكيم أتدريان ما عليكما ؟ إن عليكما أن رأيت أن يجمعا سمعتي فقالت المرأة رضيت بكتاب الله وعلي وقال الزوج أما الفرقة فلا فقال لي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله عز وجل لك وعليك رواء ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن يعقوب عن ابن علي عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي مثله ورواه من وجه آخر عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي بن أبي حاتم الملاء على أن الحكيم لها الجمع والتفرقة حتى قال إبراهيم النخعي إن شاء الحكيم أن يفراقا بينهما بطاعة أو بظلمة أو بظلمة أو ثلاث فلما وهو رواية عن مالك . وقال الحكم البصري الحكيم يحكم في الجمع والفرقة والتفرقة وكذا قال قتادة وزيد بن أسلم وبه قال أحمد بن حنبل وأبو ثور وداد ، وما أخذهم قوله تعالى (إن يريدوا إصلاحي يوفى الله بينهما) ولينذكر التفريق وأما إذا كانا وكيلين من جهة الزوجين فإنه ينفذ حكمهما في الجمع والتفرقة بلا خلاف وقد اختلف الأئمة في الحكيم هلها منصوبان من جهة الحاكم فيحكمان وإن لم يرث الزوجان أوهما وكيلان من جهة الزوجين على قولين والجمهور على الأول لقوله تعالى (فابشروا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) فبها حكيم ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه وهذا ظاهر الآية والجديد من مذهب الشافعي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه الثاني منها قول علي رضي الله عنه للزوج حين قال أما الفرقة قال : كذبت حتى ترضى بما أقرت به قالوا فلو كانا حكيمين لما انفقر إلى إقرار الزوج والله أعلم . قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر وأجمع الملاء على أن الحكيم إذا اختلف قولها فلا عبرة بقول الآخر وأجموا على أن قولها نافذ في الجمع وإن لم يوكلمها الزوجان واختلفوا هل ينفذ قولها في التفرقة ثم حكى عن الجمهور أنه ينفذ قولها فيها أيضا من غير توكيل

﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

يأمر بتبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه هو الخالق الرزاق المنعم للفضل على خلقه في جميع الآيات والحالات فهو المستحق منهم أن يوجدوه ولا يشركوا به شيئاً من خلقه كما قال النبي ﷺ لماذ بن جبل « أتدري ما حق الله على العباد؟ » قال الله ورسوله أعلم قال : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ، ثم قال « أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟

أن لا يذهبهم » ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدین فإن أنسبحانه جلهما سببا لخروجك من العلم إلى الوجود وكثيرا ما يقرن أنسبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدین كقوله (أن أشكر لى ولواللهيك) وقوله (وقضربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدین إحسانا) ثم عطف على الإحسان اليهما الإحسان إلى القربات من الرجال والنساء كجاءه في الحديث « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم صدقة وصلة » ثم قال تعالى (واليتامى) وذلك لأنهم قد قلدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فأمر الله بالإحسان اليهم والحنو عليهم ثم قال (وللساكين) وهم المهاجرين من ذوى الحاجات الذين لا يجدون من يقوم بكفالتهم فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تم به كفالتهم وتزول به ضرورتهم ، وسيأتى الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة وقوله (والجار ذى القربى والجار الجنب) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والجار ذى القربى يعنى الذى بينك وبينه قرابة والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة وكذا روى عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حیان وقادة وقال أبو إسحق عن نوف البكالى في قوله (والجار ذى القربى يعنى الجار للسلم والجار الجنب يعنى اليهودى والنصرانى رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وقال جابر الجعفى عن الشعبي عن على وابن مسعود والجار ذى القربى يعنى المرأة وقال مجاهد أيضا في قوله (والجار الجنب يعنى الرقيق فى السفر وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار فلذلك ذكر منها ما تيسر وبالله للستمان : (الحديث الأول) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن محمد بن زيد أنه سمع محمدا يحدث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « ما زال جبريل يوصى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » أخرجه فى الصحيحين من حديث محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر .

(الحديث الثانى) قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن داود بن حابور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما زال جبريل يوصى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وروى أبو داود والترمذى نحوه من حديث سفيان بن عيينة عن بشر بن أبى إسرائيل زادا الترمذى وداود بن حابور كلاهما عن مجاهد ثم قال الترمذى حسن غريب من هذا الوجه وقدرى عن مجاهد وعائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (الحديث الثالث) قال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن يزيد أخبرنا حيوة أخبرنا شريح بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الجبلى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » ورواه الترمذى عن أحمد بن محمد بن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح . وقال حسن غريب (الحديث الرابع) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن أبيه عن عباد بن رفاعة عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يشبع الرجل دون جاره » فترده به أحمد (الحديث الخامس) قال الإمام أحمد حدثنا على بن عبد الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعد الأنصارى سمعت أبا ظبية الكلاعى سمعت القداد بن الأسود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « ما تقولون فى الزنا » قالوا حرام حرمه الله ورسوله وهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يزنى الرجل بشر نسوة أسير عليه من أن يزنى حليمة تجاره » قال « ما تقولون فى السرقة » قالوا حرامها فى السرقة فحرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يسرق الرجل من عشرة قايات أسير عليه من أن يسرق من جاره » فترده به أحمد وله شاهد فى الصحيحين من حديث ابن مسعود : قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لندا وهو خلقك » قلت ثم أى ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت ثم أى ؟ قال « أن تزانى حليمة تجارك » . (الحديث السادس) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبي العالقة عن رجل من الأنصار قال خرجت من أهلى أريد النبي صلى الله عليه وسلم فلذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فلظننت أن لها حاجة قال الأنصارى لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت أرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام فلما انصرف قلت يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرى لك من طول القيام قال « وقد رأيته ؟ » قلت نعم قال « أتدري من هو ؟ » قلت لا قال « ذلك جبريل ما زال يوصى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ثم قال « أما إنك لو سلت عليه لرد عليك السلام » . (الحديث السابع) قال عبد بن حميد فى مسنده حدثنا على بن عبيد حدثنا أبو بكر يعنى للذى عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من العوالى ورسول الله

صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصلان حيث يسبى على الجنائز فلما انصرف قال الرجل يا رسول الله من هذا الرجل الذي رأيت يسبى معك؟ قال « وقد رأيته؟ » قال نعم قال « قد رأيت خيراً كثيراً . هذا جبريل مازال يوصي بالجار حتى رأيت أنه سيورته » فترد بمن هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله . (الحديث الثامن) قال أبو بكر البزار حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع البخاري (١) حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك أخبرني عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « والجيران ثلاثة ، جاره لحق واحد ، وهو أدنى الجيران حقاً . وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقاً . فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشترك لارحم له . له حق الجوار . وأما الجار الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم » قال البزار لا نعلم أحداً روى عن عبد الرحمن بن الفضل إلا ابن أبي فديك . (الحديث التاسع) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي عمران عن ع طلحة بن عبد الله عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت : إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال « إلى أقربهما منك » ورواه البخاري من حديث شعبة . (الحديث العاشر) روى الطبراني وأبو نعيم عن عبد الرحمن بن زياد قال : قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم توساً فقبل الناس يتسبحون بوضوئه فقال « ما يملكك على ذلك » قالوا حب الله ورسوله قال « سره » أن يحب الله ورسوله فليصدق الحديث إذا حدث ولؤد الأمانة إذا اتّمن (٢) » (الحديث الحادي عشر) قال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لحيعة قال : قال رسول الله ﷺ « إن أول خمسين يوم إقامته جاران » (٣) وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال الثوري عن جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود قال : هي المرأة وقال ابن أبي حاتم وروى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وإبراهيم النخعي والحسن وسعيد بن جبير في إحدى الروايات نحو ذلك وقال ابن عباس وجماعة هو الضيف وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقادة هو الرقيق في السفر وقال سعيد بن جبير هو الرقيق الصالح وقال زيد بن أسلم هو جلسك في الخضر ورفيقك في السفر وأما ابن السليل فمن ابن عباس وجماعة هو الضيف وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل هو الذي يمر عليك بمجاز في السفر وهذا أظهر وإن كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق فهما سواء وسيأتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة وبالله الثقة وعليه التكلان . وقوله تعالى (وما ملكك أيمانكم) وصية بالآراء لأن الرقيق ضيف الحيلة أسير في أيدي الناس فلهذا ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت بقول « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » فقبل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا بقية ، حدثنا مجير بن سعد عن خالد بن معدان عن اللقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة . وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة . وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة . وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » ورواه النسائي من حديث بقية وإسناده صحيح وله الحمد

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال فقهرمان له هل أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال : لا قال فانطلق فأعطهم فان رسول الله ﷺ قال « كفي بالمرء إيماناً أن يعبس بمن ملك قوتهم » رواه مسلم ، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « للمساكين طعامه وكسوته ولا يكلفن من العمل إلا ما يطيق » ورواه مسلم أيضاً عنه أن ضاعن التي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليأكله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكتنين فانه لى حره وعلاجه » أخرجه ولفظه البخاري ومسلم « فليقدمه معه قليلاً كل فإن كان الطعام مشغوا قليلاً فليضع في يده أكلة أو أكتنين » وعن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه بما يأكل وليلبسه بما يلبس ولا تكلموهم ما ينههم فإن كلفتموهم فأعينوهم » أخرجه . وقوله تعالى (إن الله لا يحب من كان مختلاً في فئور) أي مختلاً في نفسه ، معجباً متكبراً فخوراً على الناس يرى أنه خير منهم فهو في شمه كبير ، وهو عند الله حقير ، وعند الناس بشيش . قال مجاهد في قوله (إن الله لا يحب من كان مختلاً) يعني متكبراً (فخوراً) يعني يمد ما أعطى وهو لا يشكر الله تعالى يعني يفض على الناس بما أعطاه الله من نعمه ، وهو قليل الشكر

(١) في نسخة الأثر . البخاري (٢) هذا الحديث ليس فيه شاهد سبق ولله سقط بعده لفظ إذا اتّمن وليحسن الجوار (٣) الحديث ناقص كما هو ظاهر .

لهم القبايح ولهذا قال تعالى (ومن يكن الشيطان له قرناً فساء قرناً) ولهذا قال الشاعر :

عن اللزء لانسأل وسل عن قرينه • فكل قرين بالقران يقتدى

ثم قال تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأغفوا عما رزقهم الله) الآية أى وأى شيء يضرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الحيدة وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله رجاء موعوده في النار الآخرة لمن محسن عمله وأتقوا بما رزقهم الله في الوجوه التي يحبا الله ويرضاها ، وقوله (وكان الله بهم عليا) أى وهو عليهم بنبأهم الصالحة والفاسدة وعليهم بمن يستحق التوفيق منهم فيوقفه ويبلغه رشده ويقيضه لعمل صالح يرضى به عنه وبمن يستحق الخذلان والطرده عن جنابه الأعظم الإلهي الذي من طرده عن يابه قد خاب وخسر في الدنيا والآخرة عياداً بالله من ذلك

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَّصْغِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا • فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا • يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُلَ أَنْ تَرَوْهُمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾

يقول تعالى غيراً إنه لا يظلم أحداً من خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيهما له ويضاعفها له إن كانت حسنة كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط) الآية وقال تعالى غيراً عن لقمان أنه قال (يا بني إنما إنك مثقال حبة من خردل فتكن في صفة أو في السموات أوفى الأرض يا ربك) الآية وقال تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وفي الصحيحين من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل فيه «يقول الله عز وجل ارجعوا فن وجدتم في قلبي مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه من النار» - وفي لفظ أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار» «فيخرجون خلقاً كثيراً» ثم يقول أبو سعيد أقرءوا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عيسى بن يونس عن هرون بن عنترة عن عبد الله بن السائب عن زاذان قال : قال عبد الله بن مسعود يؤتى بالعيد أو الأمانة يوم القيامة فينادى مناد يهتف رءوس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فتخرج المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) فيغفر الله من حقه ما يشاء ولا ينظر من حقوق الناس شيئاً فينصب للناس فيقول اتقوا إلى الناس حقوقهم فيقول يارب نيت الدنيا من أين أوتيتهم حقوقهم فيقول خذوا من أعمالهم الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظنة فإن كان ولياً له فضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ علينا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) وإن كان عبداً شقياً قال الملك رب نيت حسناته وبقي طالوبون كثير فيقول خذوا من سيئاتهم فأشفيهم ما هم في سيئاتهم ثم صكوا له سكا إلى النار ورواه ابن جرير من وجه آخر عن زاذان بن نحوه ولبعض هذا الأمر شاهد في الحديث الصحيح وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا فضيل بن يعنى ابن مرزوق عن عطية العوفي ، حدثني عبد الله بن عمر قال نزلت هذه الآية في الأعراب (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قال رجل لنا للمهاجرين يا أباعد الرحمن قال ما هو أفضل من ذلك (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لده أجر عظيم) وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار عن سيد بن جبير في قوله (وإن تك حسنة يضاعفها) فأما للشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبداً وقد يستدل به بالحديث الصحيح أن النباس قال يارسول الله إن عمك أبا طالب كان محوطك ونصرك فهل تشته به ؟ قال «نعم هو في ضحاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» وقد يكون هذا خاصاً بأبي طالب من دون الكفار بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا عمران ، حدثنا قتادة عن أس أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيقطع بها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة » وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك في قوله (ويؤمنن لده أجرًا عظيمًا) يعني الجنة نسأل الله رضاه والجنة . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سليمان يعني ابن الصنع عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال بلغني عن أبي هريرة أنه قال بلغني أن الله تعالى يعطي العبد المؤمن بالجنة الواحدة ألف ألف حسنة قال قضى أبي انطلقت حاجاً أو متصلاً فقلت بلغني أنك حديث أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجزي العبد بالجنة ألف ألف حسنة » قلت وعجم ما أحداً أكثر مني بحالة أبي هريرة وما سمعت هذا الحديث منه فتحملت أريد أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجاً فانطلقت إلى الحج في طلب هذا الحديث فقلت يا أبا هريرة ما حديث سمعت أهل البصرة يأتونه عنك قال ما هو ؟ قلت : زعموا أنك تقول : إن الله يضاعف الحسنات ألف ألف حسنة قال يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) ويقول (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) والله يثيب على من يصدق ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنات ألف ألف حسنة » قال وهذا حديث غريب وعلى بن زيد بن جهمان عنده منكروا وأحمد أيضاً فقال حدثنا يزيد ، حدثنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عثمان الهذلي قال أئمت أبا هريرة قلت له بلغني أنك تقول إن الحسنات تضاعف ألف ألف حسنة قال وما أعجبك من ذلك قال فوالله لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنات ألف ألف حسنة » ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر قال حدثنا أبو خالد وسليمان بن خالد للؤدب ، حدثنا محمد الرافعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان الهذلي قال لم يكن أحد أكثر بحالة مني لأبي هريرة قد سبق لي حاجاً وقدمت بيده فإذا أهل البصرة يأتونه عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنات ألف ألف حسنة » قلت وعجم ما كان أحد أكثر بحالة مني لأبي هريرة وما سمعت منه هذا الحديث فهمت أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجاً فانطلقت إلى الحج أن أقاده في هذا الحديث ورواه ابن أبي حاتم من طريق أخرى قال حدثنا بهر بن مسلم ، حدثنا الربيع بن روع ، حدثنا محمد بن خالد الهذلي عن زياد الجصاص عن أبي عثمان قال قلت يا أبا هريرة سمعت إخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يجزي بالجنة ألف ألف حسنة » فقال أبو هريرة والله بل سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يجزي بالجنة ألف ألف حسنة » ثم تلا هذه الآية (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) وقوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) يقول تعالى غيراً عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل أمة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام كما قال تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) الآية وقال تعالى (ويوم نبئت في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم) الآية وقال البخاري حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ على » قلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ « قال نعم إن أحب أن أسمعن من غيري » فقرأت سورة النساء حتى آتيت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فقال « حسبك الآن » فإذا عيانه تفرغان ورواه هو ومسلم أيضاً من حديث الأعمش به . وقد روى من طرق متعددة عن ابن مسعود فهو مقطوع به عنه ورواه أحمد من طريق أبي حيان وأبي رزين عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الصلت بن مسعود الجحدري ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا يونس بن محمد بن فضالة الأنصاري عن أبيه قال وكان أبي ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في بني ظفر فجلس على الصخرة التي في بني ظفر اليوم ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً قرأ حتى أتى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب لحياه وجباه فقال يارب هذا شهدت على من تأتينا أظهرهم فكيف بمن أماره . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله الزهري ، حدثنا سفيان عن المسعودي

عن جعفر بن عمرو بن حرب عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود في هذه الآية قال : قال رسول الله ﷺ : « شهد عليهم مادت فيهم فلذا توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم » . وأما ما ذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة حيث قال : باب ما جاء في شهادة النبي ﷺ على أمته قال أنا ابن للبارك أنا رجل من الأصابع عن النّهار بن عمرو أنه سمع سعيد بن السيب يقول ليس من يوم إلا يمرض فيه على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية فيمرضهم بأصابعهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهداء) فإنه أثر وفيه إقطاع فإن فيه رجلا مبهما لم يسم وهو من كلام سعيد بن السيب لم يرضه وقد قبله القرطبي فقال بعد إيراده قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة قال ولا تمارض فإنه يحتمل أن يخص نبينا بما يمرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . وقوله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكونون الله حديثا) أي لو انشقت وبلغتهم بما يرون من أهوال اللوقف وما يحل بهم من الحزى والفضيحة والتوبيخ كقوله (يوم ينظر الله ما قدمت يداك) الآية وقوله (ولا يكونون الله حديثا) إخبار عنهم بأنهم يتفرون بجميع ما فعلوه ولا يكونون منه شيئا وقال ابن جرير حديثنا كما حدثنا عمرو بن مطرف عن النّهار بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له سمعت الله عز وجل يقول يني إخبارا عن المشركين يوم القيامة إنهم قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) وقال في الآية الأخرى (ولا يكونون الله حديثا) فقال ابن عباس ما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فأنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا أمالوا فلنجحد فقالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) فسمعت الله على أنفوسهم وتكلمت أيديهم وأرجلهم (ولا يكونون الله حديثا) وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن النّهار بن عمرو عن سعيد بن جبير قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال : أشياخ تخلف على في القرآن قال ما هو أشياخ في القرآن ؟ قال ليس هو بالشك ولكن اختلاف قال فهات ما اختلف عليك من ذلك ، قال أسمع الله يقول (ثم لم تكن تحتملهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال (ولا يكونون الله حديثا) فقد كنتما . فقال ابن عباس أما قوله (ثم لم تكن تحتملهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) فأنهم لما رأوا يوم القيامة أن لا يضر إلا أهل الإسلام وبغفر الله عنهم ولا يشاطمهم ذنب أن يفرغوا ولا يفرسركوا جحد للمشركين فقالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) رجاء أن يفرغهم فسمعت الله على أنفوسهم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فسمعت ذلك (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكونون الله حديثا) وقال جوير عن الضحاك إن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال يا ابن عباس قول الله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكونون الله حديثا) وقوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فقال له ابن عباس إني أحسبك قلت من عند أصحابك ، قلت ألقى على ابن عباس مثله بالقرآن فلذا رجحت إليهم فأخبرهم أن الله تعالى يجمع الناس يوم القيامة في جميع واحد فيقول للمشركين إن الله لا يقبل من أحد شيئا إلا باليمن وحده فيقولون تعالوا نجحد فيسألهم فيقولون (والله ربنا ما كنا مشركين) قال فيسمعت الله على أنفوسهم ويستنطق جوارحهم وتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين . فسمعت ذلك يسمعون لو أن الأرض سويت بهم (ولا يكونون الله حديثا) رواه ابن جرير

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْمَرًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْمَاءِ أَوْ لَسْتُمْ عَلَىٰ النَّسَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴾

ينى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر الذي لا يدري معه الصلح ما يقول وعن قربان حالها التي هي للساجد للجنب إلا أن يكون مجتازا من باب إلى باب من غير مكث فوعد كان هذا قبل تحريم الحجر كاد عليه الحديث الذي ذكرناه في سورة البقرة عند قوله تعالى (يسألونك عن الحجر والبئر) الآية . فإن رسول الله ﷺ تلاها على عمر فقال

« اللهم بين لنا في الحرج يا شافيا » فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال « اللهم بين لنا في الحرج يا شافيا » فكانوا لا يشربون الحرج في أوقات الصلوات حتى نزلت (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) إلى قوله تعالى (فهل أتم متبون) فقال عمر : اتينا اثنتينا . وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحق عن عمر بن شريح عن عمر بن الخطاب في قصة تحريم الحرج فذكر الحديث وفيه . فنزلت الآية التي في النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فكان منادى رسول الله ﷺ إذا قامت الصلاة ينادى أن لا يقربن الصلاة سكران لفظ أبي داود . وذكر ابن أبي شيبة في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة أخبرني ممالك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : نزلت في أربع آيات صنع رجس من الأنصار طعاما فدعا أناسا من المهاجرين وأناسا من الأنصار فأكلنا وشربنا حتى سكرنا ثم افتخرنا فرفع رجل على يمينه ففرزها أنف سعد فكان سعد مغرور الأنف وذلك قبل تحريم الحرج فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى) الآية والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ورواه أهل السنن إلا ابن ماجه من طرق عن ممالك به (سبب آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الشنكليش حدثنا أبو جعفر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الحرج فأخلفت الحرج منا وحضرت الصلاة فقدموا فلانا قال ققرأ : قل يا أيها الكافرون ما أعيد ما تميدون ونحن نريد ما تميدون فأقرض الله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) هكذا رواه ابن أبي حاتم وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبد الرحمن الشنكليش به وقال حسن صحيح وقد رواه ابن جرير عن محمد بن بشر عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن علي أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الحرج ففصل بهم عبد الرحمن ققرأ (قل أيها الكافرون) فخطب فيها فنزلت (لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى) وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث الثوري به ، رواه ابن جرير بأضعاف ابن حميد عن جرير عن عطاء بن أبي عبد الرحمن السلمي قال : كان علي بن قهرم من أصحاب النبي ﷺ في بيت عبد الرحمن بن عوف فطمعوا فأتاهم فحرم فشربوا منها وذلك قبل أن يحرم الحرج فحضرت الصلاة فقدموا عليها ققرأ بهم (قل يا أيها الكافرون) فلم يقرأها كما ينبغي فأقرض الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى) ثم قال حدثني الثوري ، حدثنا الحجاج بن للؤلأ ، حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن حبيب وهو أبو عبد الرحمن السلمي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشربا فقدموا ققرأ من أصحاب النبي ﷺ فصل بهم للثوب ققرأ قل يا أيها الكافرون أعيد ما تميدون ، وأتم طابدون ما أعيد وأنابا بدماعيدتم لكم دينكم ولي دين فأقرض الله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) وقال الموق عن ابن عباس في الآية إن رجلا كانوا يأتونهم سكارى قبل أن يحرم الحرج فقال الله (لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى) الآية : رواه ابن جرير قال . وكذا قال أبو زرير ومجاهد وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ثم نسخ بتحريم الحرج وقال الضحاك في الآية لم يمن بها سكر الحرج وإنما عني بها سكر النوم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال ابن جرير والصواب أن المراد سكر الشراب قال ولم توجه النبي إلى السكرات التي لا يبهج الحطاب لأن ذلك في حكم الجنون وإنما خوطب بالنهي التمل الذي يبهج التكليف وهذا حاصل ما قاله وقد ذكره غير واحد من الأصوليين وهو أن الخطاب يتوجه إلى من يفهم الكلام دون السكران الذي لا يدري ما يقال له فإن الفهم شرط التكليف وقد يجهل أن يكون المراد التبرص بالنهي عن السكر بالكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في الحصة الأوقات من الليل والنهار فلا يتمكن شارب الحرج من أداء الصلاة في أوقاتها دائما والله أعلم ، وعلى هذا فيكون كونه تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أمروا الله حق قاته ولا تومنن إلا وأتم مسلمون) وهو الأمر لهم بالتأهب للوقت على الإسلام والدوام على الطاعة لأجل ذلك وقوله (حتى تعلموا ما تقولون) هذا أحسن ما يقال في حد السكران أنه الذي لا يدري ما يقول فان الحضور فيه تخطيط في القراءة وعلم تدبره وخشوعه فيها وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ

عليه وسلم « إذا نسي أحدكم وهو يصلي فليصرف وليتم حتى يعلم ما يقول » انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم فرواه هو والنسائي من حديث أبي هريرة عن أنس بن مالك الحديث « قلله يذهب يستغفر فيسب نفسه » وقوله (ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تقبلوا) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك أخبرنا أبو جعفر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس في قوله (ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تقبلوا) قال لا تدخلوا المسجد وأنت جنب إلا عابري سبيل قال ثم قال وروى عن عبد الله بن مسعود وأنس وأبي عبيدة وسعيد بن السيب والضحاك وعطاء ومجاهد وسروق وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وأبي مالك وعمرو بن دينار والحكم بن عتبة وعكرمة والحسن البصري ومحيي بن سعيد الأنصاري وابن شهاب وقادة نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنا الثوري ، حدثنا أبو صالح ، حدثني الليث ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن قول الله عز وجل (ولا جنبا إلا عابري سبيل) إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فكانت تصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم فيردون للاء ولا يجدون مراً إلا في المسجد فأنزل الله (ولا جنبا إلا عابري سبيل) ويشهد لصحة ما قاله يزيد بن أبي حبيب رحمه الله ما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال « سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر » وهذا قاله في آخر حياته صلى الله عليه وسلم علما منه أن أبا بكر رضى الله عنه سبى الأمر بعده ويحتاج إلى الدخول في المسجد كثيراً للأموال المهمة فيها يصلح للمسلمين فأمر بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا بابه رضى الله عنه ومن روى إلا باب طى كما وقع في بعض السنن فهو خطأ والصواب ما ثبت في الصحيح . ومن هذه الآية احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد ويجوز له المرور وكذا الحائض والنفساء أيضاً في معناه إلا أن بعضهم قال يحرم مرورها لاحتلال التلويث ومنهم من قال إن أمنت كل واحدة منهما التلويث في حال المرور جاز لها المرور وإلا فلا . وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ « ناوليني الحمرة من المسجد » قلت إني حائض فقال « إن حبستك ليست في يدك » وله عن أبي هريرة مثله وفيه دلالة على جواز مرور الحائض في المسجد والنفساء في معناه والله أعلم . وروى أبو داود من حديث أثلت بن خليفة العامري عن جيرة بنت دجاجة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى لا أحل للمسلم الحائض ولا جنب » قال أبو مسلم الخطابي . ضعف هذا الحديث جماعة وقالوا أثلت مجهول لكن رواه ابن ماجه من حديث أبي الخطاب الهجري عن عبد الجواد الأهلي عن جيرة عن أم سلمة عن النبي ﷺ به قال أبو ذرعة الرازي يقول جيرة عن أم سلمة والصحيح جيرة عن عائشة ، فأما ما رواه أبو عيسى الترمذي من حديث سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « يا طى لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك » فإنه حديث ضعيف لا يثبت فإن سالما هذا متروك وشيخه عطية ضعيف والله أعلم . (حديث آخر) في معنى الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا النضر بن شاذان ، حدثنا عبد الله بن موسى أخبرني إسحق بن أبي ليلى عن الثمال عن زر بن حبیش عن طى (ولا جنبا إلا عابري سبيل) قال لا يقرب الصلاة إلا أن يكون مسافرا تصيبه الجنابة فلا يجد للاء فيصلي حتى يجد للاء ، ثم رواه من وجه آخر عن الثمال بن عمرو عن زر عن طى بن أبي طالب فذكره ، قال وزوى عن ابن عباس في إحدى الروايات وسعيد بن جبير والضحاك نحو ذلك . وقد روى ابن جرير من حديث وكيع عن ابن أبي ليلى عن عباد بن عبد الله أو عن زر بن حبیش عن طى فذكره ، ورواه من طريق العوفي وأبي مجاز عن ابن عباس فذكره ، ورواه عن سعيد ابن جبیر وعن مجاهد والحسن بن مسلم والحكم بن عتبة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن مثل ذلك ، وروى من طريق ابن جرير عن عبد الله بن كثير قال كنا نسمع أنه في السفر . ويشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي قتادة عن عمر بن محمد بن عبد الله عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « الصبيد الطيب طهور للسلم وإن لم تجد للاء عشر حجج فإذا وجدت للاء فأمسه بجزءك فإن ذلك خير لك » ثم قال ابن جرير بعد حكايته القولين والأولى قول من قال (ولا جنبا إلا عابري سبيل) أى إلا عتازي طريق فقه وذلك أنه قد بين حكم

السافر إذا عدم الماء وهو جنب في قوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر) إلى آخره فكان معلوما بذلك أن
(ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تتقلوا) لو كان معنيا به السافر لم يكن لأعادة ذكره في قوله (وإن كنتم مرضى أو
على سفر) معنى مفهوم وقد مضى حكم ذكره قبل ذلك ، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية يا أيها الذين آمنوا
لا تضربوا للمسجد الصلاة مسلمين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تضربوها أيضاً جنباً حتى تتقلوا إلا عابري
سبيل قال والتأبير السبيل المجاز مرا وقطعا يقال منه عبرت بهذا الطريق فأنا أعبره عبراً وعبروا ومنه يقال عبر
فلان التهر إذا قطعه وجاوزوه ومنه قيل لثقة القوة على الأسفار هي عبر الأسفار لقوتها على قطع الأسفار وهذا الذي
أصره هو قول الجمهور وهو الظاهر من الآية وكأنه تعالى نهى عن تعاطي الصلاة على هيئة ناقصة تتأخر مقصودها
وعن الدخول إلى عليها على هيئة ناقصة وهي الجنباء للبعدة للصلاة ولها أيضاً والله أعلم . وقوله (حتى تتقلوا)
دليل لما ذهب إليه الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي أنه يجرى على الجنب للكس في المسجد حتى يغتسل أو يقيم
إن عدم الماء أو لم يقدر على استعماله بطريقه ، وقبح الإمام أحمد إلى أنه متى توضع الجنب جاز له الكس في المسجد
لما روى هو وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح أن الصحابة كانوا يصفون ذلك . قال سعيد بن منصور في سننه
حدثنا عبد العزيز بن محمد عن البراء بن رباح عن ربيعة بن رباح عن ربيعة بن رباح عن ربيعة بن رباح عن ربيعة بن رباح
أصحاب رسول الله ﷺ يجلسون في المسجد مجنون إذا توضعوا وضوء الصلاة . وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم والله أعلم
وقوله (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا غصياً
أو طيناً) أما الرض لليبس التيمم فهو الذي يخاف منه استعمال الماء فوات عضو أو طيناً أو غيره ، ومن العلماء من جوز
التيمم بمجرد المرض لعموم الآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو يوسف قال حدثنا ابن إسحاق حدثنا قيس بن
حفص ^(١) عن مجاهد في قوله (وإن كنتم مرضى) قال نزلت في رجل من الأنصار كان مرضاً فلم يستطع أن يقوم فتيماً ولم
يكن له خادم فبأنه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فأذن الله هذه الآية لهذا مرسل والسر معروف ولا فرق فيه
بين الطويل والقصير وقوله (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط هو المكان الطين من الأرض كنى بذلك عن التلويط
وهو الحدث الأسمر وأما قوله (أو لامستم النساء) قرئتم ولأستم واختلف القسرون والأئمة في معنى ذلك على قولين
(أحدهما) أن ذلك كتاب من الجائع لقوله (وإن طلقتموهن من قبل أن تكون هن) وقد فرستم لمن فريضة نصف ما فرستم
وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تكون هن) فلو كنتم عليهن من عدة فلتدونها
قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله
(أو لامستم النساء) قال : الجائع . وروى عن علي بن أبي بن كعب وأما جملهم طائوس والحسن وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير والشمس
وتقادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال ابن جرير حدثني حميد بن مسعدة ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا شعبة عن أبي بشر عن
سعيد بن جبير قال ذكروا الحسن فقال ناس من اللواتي ليس بالجائع وقال ناس من العرب الحسن الجائع قال فقالت ابن عباس قلت
له إن ناس من اللواتي والعرب اختلفوا في الحسن قالت اللواتي ليس بالجائع وقالت العرب : الجائع قال : فمن أي الفريقين كنت ؟
قلت كنت من اللواتي ، قال غلب فريق اللواتي . إن الحسن واللس والبشارة : الجائع ولكن الله يكتي ما شاء بما شاء ثم رواه عن
ابن بشار عن غندر عن شعبة بن عوف ، ثم رواه عن غير وجه عن سعيد بن جبير نحوه ومثله قال حدثني يعقوب حدثنا هشام قال
أبو بشر أخبرنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الحسن واللس والبشارة : الجائع ولكن الله يكتي ما شاء : حدثنا عبد الجليل
ابن بيان أنبأنا إسحق الأزرق عن سفيان عن عامر الأحول عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال : اللامسة : الجائع ولكن
الله كريم يكتي ما يشاء وقد صح من غير وجه عن عبد الله بن عباس أنه قال ذلك ثم رواه ابن جرير عن بعض من حكاه
ابن أبي حاتم عنهم ثم قال ابن جرير وقال آخرون عن الله تعالى بذلك كل من لم يسجد أو غيرها من أعضاء الإنسان وأوجب
الوضوء على كل من مس بشيء من جسده شيئاً من جسده مضياً إليه ثم قال حدثنا ابن يونس حدثنا عبد الله بن الحسن حدثنا سفيان

(١) في نسخة الأثر : خبيب .

عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ ما دون الجاه وقد روى من طرق متعددة عن ابن مسعود أنه روى من حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ من لم يمسك يده وفيه الوضوء. وروى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: يتوضأ الرجل من الباشرة ومن اللبس يده ومن القبلة وكان يقول في هذه الآية (أولا مستم النساء) هو التيمم وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عمر عن نافع أن ابن عمر كان يتوضأ من قبل المرأة ويرى فيها الوضوء ويقول هي من اللباس. وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً من طريق شعبة عن طارق عن طارق عن عبد الله قال: اللبس ما دون الجاه ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وعبيدة وأبي عثمان النهدي وأبي عبيدة يني ابن عبد الله بن مسعود عامر الشعبي وثابت بن الحليج وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم نحو ذلك (قلت) وروى مالك عن الزهري عن سلم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه كان يقول: قبل الرجل أمرأته وجسه يده من اللباسه قبل أمرأته أوجسها يده فليده الوضوء وروى الحافظ أبو الحسن الدارقطني في سننه عن عمر بن الخطاب نحو ذلك، ولكن روي عنه من وجه آخر أنه كان يقبل أمرأته ثم يصلي ولا يتوضأ قال أوبق عنه مختلفة فيعمل ما قاله في الوضوء إن صح عنه على الاستحباب والله أعلم. والقول بوجوب الوضوء من اللبس هو قول الشافعي وأصحابه ومالك والشعور عن أحمد بن حنبل قال ناصروه قد قرئ في هذه الآية لا مسم ولمسم واللبس يطلق في الشرع على الجلب باليد قال تعالى (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم) أي جسوه وقال أبو بكر بن أبي عمير له بالرجوع عن الأقرار «لعلك قبلت أولست» وفي الحديث الصحيح «واليدانها اللبس» وقالت عائشة رضي الله عنها: قلت يوم لا رسول الله ﷺ يطوف علينا فيقبل ويلمس ومنه ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ نهي عن مسح اللباس وهو يرجع إلى الجلب باليد على كلا التفسيرين قالوا: ويطلق في اللغة على الجلب على الإطلاق قال الشاعر • ولست كل كفة أطلب التني •

وأسأنا أيضاً بالحديث الذي رواه أحمد، حدثنا عبد الله بن مهدي وأبو سعيد قال حدثنا زائدة عن عبد الملك ابن عمير قال أبو سعيد حدثنا عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ قال إن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال يا رسول الله ما تقول في رجل لقي امرأة لا يعرفها وليس يأتي الرجل من أمرأته شيئاً إلا أتاه منها غير أنه لم يجامعها قال فأذن الله عز وجل هذه الآية (ثم الصلاة طرقي النهار ولفامن الليل) قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «توضأ ثم صل» قال معاذ فقلت يا رسول الله أله خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال «بل للمؤمنين عامة» ورواه الترمذي من حديث زائدة به وقال ليس يتصل ورواه النسائي من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلًا قالوا: فأمره بالوضوء لأنه لم يمس المرأة ولم يجامعها: وأجيب بأنه منقطع بين أبي ليلى ومعاذ فإنه لم يلقه ثم يحتل أنه إنما أمره بالوضوء والصلاة المكتوبة كما تقدم في حديث الصديق «ما من عبد يذهب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر الله له» الحديث وهو مذکور في سورة آل عمران عند قوله (ذكروا الله فاستخروا لنورهم) الآية ثم قال ابن جرير وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عن الله بقوله (أو لامستم النساء) الجماع دون غيره من معاني اللبس لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ ثم قال حدثني بذلك إسماعيل بن موسى السدي قال أخبرنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم قبل ثم يصلي ولا يتوضأ ثم قال حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الأعمش عن حبيب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ، قلت من هي إلا أنت فضحك وهكذا رواه أبو داود الترمذي وابن ماجه عن جماعة من مشايخهم عن وكيع به ثم قال أبو داود روى عن الثوري أنه قال ما حدثنا حبيب إلا عن عروة للزني. وقال يحيى القطان لرجل أحك عن أن هذا الحديث غيب لا شيء وقال الترمذي سمعت البخاري يضيف هذا الحديث وقال حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة وتدفع في رواية ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلى بن محمد الطائفي عن وكيع عن الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن عروة بن الزبير عن عائشة، وأبلغ من ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث هشام بن عروة عن

أيه عن عائشة وهذا نص في كونه عروة بن الزبير وشهد قوله من هي إلا أنت فضحكت لكن روى أبو داود عن إبراهيم بن مخلد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي روق الحمداي الطالقاني عن عبد الرحمن بن مفراء عن الأعشى قال حدثنا أصحاب لنا عن عروة اللزني عن عائشة فذكره والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو زيد عن عمر بن أنيس عن هشام بن عباد حدثنا مسدد^(١) بن علي عن ليث عن عطاء عن عائشة وعن أبي روق عن إبراهيم التيمي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ ينالني القبة بعد الوضوء ثم لا يسد الوضوء وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي روق الحمداي عن إبراهيم التيمي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قبل ثم صلى ولم يتوضأ رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى القطان زاد أبو داود وابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري به . ثم قال أبو داود والنسائي لم يسمع إبراهيم التيمي من عائشة ثم قال ابن جرير أيضا حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا يزيد عن سنان عن عبد الرحمن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو سائمه لا يفطر ولا يحدث وضوءا . وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا جهم بن غياث عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان قبل ثم صلى ولم يتوضأ وقد رواه الإمام أحمد عن محمد بن فضيل عن حجاج ابن أروطة عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم به وقوله تعالى (فلن لم نجدوا ماء فقيموا صعيدا طيبا) استنبط كثير من الفقهاء من هذه الآية أنه لا يجوز التيمم لعلم الماء إلا بعد طلب الماء فلي طلبه فلم يجده جازله حيث التيمم وقد ذكروا كيفية الطلب في كتب الفروع كما هو مقرر في موضعه كما في الصحيحين من حديث عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا معتزلا لم يصل مع القوم فقال « يا فلان ما منك أن تصل مع القوم أليس رجل مسلم » قال بلى يا رسول الله ولكن أسألتني جناية وما ماء قال : « عليك بالصعيد فإنه يكفيك » ولهذا قال تعالى (فلن لم نجدوا ماء فقيموا صعيدا طيبا) فالتيمم في اللغة هو القصد تقول العرب تيممك الله بحفظه أي قصدك ومنه قول امرئ القيس شعرا

ولما رأيت أن اللينة وردها • وأن الحصى من تحت أقدامها داني

تيممت العين التي عند ضارب • يعني عليها النية عزمها طامى

والصعيد قيل هو كل ما صد طى وجه الأرض فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات وهو قول مالك وقيل ما كان من جنس التراب كالرمل والزرنيخ والنورة وهذا مذهب أبي حنيفة وقيل هو التراب فقط وهو قول الشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهما واحتجوا بقوله تعالى (فتصبح صعيدا زلقا) أي ترابا أملس طيبا وبما ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس ثلاث جملت صفونا كصفوف الملائكة . وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء » وفي لفظ « وجعل ترابها لنا طهورا إذا لم نجد الماء » قالوا فنقص الطهوية بالتراب في مقام الامتنان ، فهو كان غيره يقوم مقامه فذكره معه ، والطيب هنا قيل الحلال وقيل البلى ليس ينسجى كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي قلابة عن عمرو بن نجدة عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصعيد الطيب طهور للمسلم إن لم يجد الماء عشر حجج فإذا وجده فليسه بسترته فإن ذلك خير له » وقال الترمذي حسن صحيح وصححه ابن حبان أيضا ورواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن أبي هريرة وصححه الحافظ أبو الحسن القطان وقال ابن عباس أطيب الصعيد تراب الحارث رواه ابن أبي حاتم ورواه ابن مردويه في تفسيره وقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) التيمم بدل عن الوضوء في التطهير به لا أنه بدل منه في جميع أعضائه ، بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط بالإجماع ولكن اختلف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال أحدها وهو مذهب الشافعي في الجديد أنه يجب أن مسح الوجه واليدين إلى الرقبتين بضريرتين لأن لفظ اليدين يصدق إطلاقها على ما يبلغ للتكبير وعلى ما يبلغ الرقبتين كما في آية الوضوء ويطلق ويراد بهما ما يبلغ السكتين كما في آية السرة (فاطموا أيديهما) قالوا وحمل ما أطلقه هنا على ما تقدم في آية الوضوء أولى لجامع الطهوية ،

(١) في نسخة الأثر : مبتدل بن علي .

وذكر بعضهم مارواه الهارطقي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « التيمم ضربتان ، ضربة للوجه ، وضربة لليدن إلى الرقبتين » ولكن لا يصح لأن في إسناده ضعفا لا يثبت الحديث به ، وروى أبو داود عن ابن عمر في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده على الخائط ومسح بها وجهه ، ثم ضرب ضربة أخرى لمسح بها ذراعيه ولكن في إسناده محمد بن ثابت البدي قد ضعفه بعض الحفاظ ورواه غيره من الثقات فوقوه على فضل ابن عمر قال البخاري وأبو زرعة وابن عدى هو الصحيح وهو الصواب ، وقال البيهقي رفع هذا الحديث منكروا واحتج الشافعي بما رواه عن إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن عبد الرحمن بن معاوية عن الأعرج عن ابن الصمة أن رسول الله ﷺ تيمم مسح وجهه وذراعيه . وقال ابن جرير حدثني موسى بن سهل الرمي حدثنا نعم ابن حماد حدثنا خارجة بن مصعب عن عبد الله بن عطاء عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي جهم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فسلط عليه فلم يرد على السلام حتى فرغ ، ثم قام إلى الخائط فغضب يديه عليه مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضررتين وهو قول الشافعي في القديم . والثالث أنه يكفي مسح الوجه والكفين بضربة واحدة . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن الحكم عن ذر عن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه أن رجلا أتى عمر فقال : إني أجنب فلم أجد ماء ، فقال عمر لاصصل قال عمار أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمكنت في التراب فسلطت فلا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال « إنما كان يكتيك وضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده الأرض ثم قنع بها ومسح بها وجهه وكفيه » قال أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا قتادة عن عروة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن عمار أن رسول الله ﷺ قال « في التيمم ضربة للوجه والكفين » . (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد عن سليمان الأحمر حدثنا شقيق قال : كنت قاعدا مع عبد الله وأبى موسى فقال أبو موسى لعبد الله : لو أن رجلا لم يجد الماء لم يصل ؟ فقال عبد الله ألا تذكر ما قال عمار لعمر ألا تذكر إذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياك في إبل فأما بئني جئنا فتمرغت في التراب فلما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « إنما كان يكتيك أن يقول هكذا وضرب بكفيه إلى الأرض ثم مسح كفيه جميعا ومسح وجهه مسحة واحدة بضربة واحدة » قال عبد الله لاجرم ما رأيت عمر تقع بذلك قال : فقال له أبو موسى فكيف بهذه الآية في سورة النساء (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) قال لما درى عبد الله ما يقول وقال : لو رخصنا لم في التيمم لأوشك أعدم إذا برد الماء على جلده أن يتيمم : وقال في الثالثة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد استدلل بذلك الشافعي على أنه لا بد في التيمم أن يكون ثراب طاهر له غبار يعلق بالوجه واليدين منه شيء كما روى الشافعي بإسناده الثمام عن ابن الصمة أنه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول فسلط عليه فلم يرد عليه حتى قام إلى جدار فحتم بلسا كانت معه فغضب يده عليه مسح بها وجهه وذراعيه . وقوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي في الدين الذي شرعه لكم (ولكن يريد ليطهركم) فلهمنا أبلغ التيمم إذا لم يجدوا الماء أن تعدلوا إلى التيمم بالصعيد والتيمم نعمة عليكم لعلكم تشكرون ولهمنا كانت هذه الأمة خصوصية بشروعية التيمم دون سائر الأمم كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت حسنا لم يظن أحد قبلي ، نهبت بالرعب مسيرة شهر ؟ وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل » وفي لفظ « فتمسه مسجده وطهوره ، وأجلت لي التيمم ولم تجعل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وكان يبعث النبي إلى قومه ويمش إلى الناس كافة » وتقدم في حديث حذيفة عند مسلم « فقلنا على الناس ثلاث ، جعلت صفونا كصفوف الكهنة ؟ وجعلت لنا الأرض مسجدا وترتها طهورا إذا لم نجد الماء » وقال ثمالى في هذه الآية الكريمة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا) أي ومن عفوه عنكم وغفرانه لكم أن شرع

لكم التيمم وأباح لكم فعل الصلاة به إذا تقدمت للماء توسعة عليكم ورخصة لكم ، وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تنزيه الصلاة أن تفعل على هيئة نافلة من سكر حتى يسيل السكف ويقطل مايقول ، أو جناية حتى يقتل ، أو حدث حتى يتوشأ إلا أن يكون مريضاً أو عاهداً للماء ، فإن الله عز وجل قد أرحم في التيمم والحالة هذه رحمة بعباده ورأفة بهم ، وتوسعة عليهم والله الحمد والمنة

(ذكر سبب نزول مشروعية التيمم) وإنما ذكرنا ذلك ههنا لأن هذه الآية التي في النساء متقدمة النزول على آية اللائمة ويانه أن هذه نزلت قبل تحريم الخمر ، والخمر إنما حرم بمأخذ يسير في محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم لبنى النضير ، وأما اللائمة فلأنها من آخر منازل ولا سباً صدرها فتاسب أن يذكر السبب هنا وبالله الثقة . قال أحمد حدثنا ابن نخير عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها استعارت من أسباء قلائد فهلكت فبعث رسول الله ﷺ رجلاً في طلبها فوجدوها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصولها بغير وضوء فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأُنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن الحضير عائشة جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً (طريق أخرى) قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقدي فأقام رسول الله ﷺ علي عليه وسلم على الخلاء وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فضأني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يلمن بيده في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رأس رسول الله ﷺ على فخذي فقام رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم على غير ماء حين أصبح فأُنزل الله آية التيمم فتييموا فقال أسيد بن الحضير ما بي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت فبئنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا القعد تحته وقد رواه البخاري أيضاً عن قتبية عن إسماعيل ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح قال ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ عرس بذات الجيش ومعه زوجته عائشة فاقطع عقد لها من جرن ظفار فحبس الناس ابتداء عقدها ذلك حتى أماء الفجر وليس مع الناس ماء فأُنزل الله على رسوله رخصة التطهير بالصعيد الطيب فقام المسلمون مع رسول الله ﷺ فضربو بأيديهم إلى الأرض ثم رفعوا أيديهم ولم ينفضوا من التراب عينا لمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى النكأ ، ومن يطون أيديهم إلى الأباط . وقد روى ابن جرير : حدثنا أبو كريب بإسناده إلى ابن أبي القظان قال كنا مع رسول الله ﷺ فهلك عقد لعائشة فأقام رسول الله ﷺ حتى أماء الفجر فتبسط أبو بكر على عائشة فنزلت عليه رخصة للمسح بالصعيد الطيب فدخل أبو بكر فقال لها : إنك لباركة نزلت بك رخصة فضرينا بأيدينا ضربة لوجوهنا ، وضربة لأيدينا إلى النكأ والأباط (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا الليث حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا العباس بن أبي سرة (١) حدثني الحسين بن زريق (٢) للحكم بن أبي مالك بن كعب بن سعد وعاصي مائة وسبعة عشر سنة عن أبيه عن الأسلمع بن شريك قال كنت أرافق رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فأصابني جناية في ليلة باردة وأراد رسول الله ﷺ الرحلة ففكرت أن أرحل ناقة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وأنا جنب وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض فأمرت رجلاً من الأنصار فرحله ، ثم رصفت أحجاراً فأسخت بها ماء واغتسلت . ثم لحقت رسول الله ﷺ وأصحابه فقال « يا أسلمع مالي أرى رحلتك قد تقيرت » قلت يا رسول الله لم أرحلها ، رحلها رجل من الأنصار قال « ولم ؟ » قلت إني أصابني جناية فخشيت أن تقع على نفسي فأمرت أن أرحلها ورصفت أحجاراً فأسخت بها ماء واغتسلت به ، فأُنزل الله تعالى (لا تضربوا الصلاة وأتموا

(١) في نسخة الأخرى : سوية . (٢) وفيها ابن زريق ، وفي نسخة ابن زريق (٣) حكنا في النسخ والصواب وسبع عشرة كالأصلي

سكاري حتى تملوا ما تقولون) إلى قوله (إن الله كان عفوا غفورا) وقد روى من وجه آخر عنه

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُشْكِرُونَ الضَّلَّةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مَن الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنشَغَرَ مُشْجَعٌ ذُرْعَانَا لِيَا لَيْسَتَنَّهُمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعَ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّمْنَهُمُ اللَّهُ يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

خير تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله للتأنيب إلى يوم إلى القيامة - أنهم يشكرون الضلالة بالهدى ورضون مما أنزل الله على رسوله ويشكرون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشكروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا (ويريدون أن تضلوا السبيل) أى يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون وتكون ما أتم عليه من الهدى والعلم النافع (والله أعلم بأعدائكم) أى هو أعلم بهم وعلمكم منهم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) أى كفى به وليا لن لجأ إليه ونصيرا لمن استصره . ثم قال تعالى (من الذين هادوا) من في هذا ليلان الجنس كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) وقوله (يحرفون الكلم عن مواضعه) أى يتأولونه على غير تأويله ، ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل قصدنا منهم افتراء (ويقولون سمنا) أى سمنا ما قلناه يا محمد ولا نطيعك فيه هكذا فسرهم مجاهد وابن زيد وهو المراد وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم وأنهم يتولون عن كتاب الله بسد ما علقوه وهم يسلون ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة وقولهم (واسمع غير مسمع) أى اسمع ما تقول لا سمعت رواء الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد والحسن : واسمع غير مقبول منك قال ابن جرير والأول أصح وهو كما قال وهذا استهزاء منهم واستهزاء عليهم لعنة الله (ورأينا بالأسبهم وطعنا في الدين) أى يوهمون أنهم يقولون رأينا سمك يقولهم رأينا وإنما يريدون الرعونة بسهم النبي وقد تهمد الكلام على هذا عند قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا) ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهره ليا بالأسبهم وطعنا في الدين ينى بسهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمنا وأطعنا واسمع وانظرونا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) أى قلوبهم مطرودة عن الخير مبددة منه فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم وقد تهمد الكلام على قوله تعالى (قليلا ما يؤمنون) وللقصود أنهم لا يؤمنون إيمانا نفعيا

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِنَا نَزَّلْنَا صَدَقًا لَّنَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّلْعَنَ وُجُوهًا فَتَرَدَّهَا عَلَى أُدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ الْكِتَابِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴾

يقول تعالى آمنا أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على رسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات ومنه دالهم إن لم يفعلوا بقوله (من قبل أن نلعن ووجوها فتزدعاجي أدبارها) قال بعضهم معناه من قبل أن نلعن ووجوها فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل إصاارهم من رؤسهم ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نلعن ووجوها فلا تبقى لها سمما ولا بصرا ولا أظفار ومع ذلك ردها إلى ناحية الأدبار . وقال العوفي عن ابن عباس في الآية وهي (من قبل أن نلعن ووجوها) وطمسها أن تسمى (فتزدعاجي أدبارها) يقول نجعل وجوههم من قبل أهنتهم فيشوشون القهقري ونجعل لأحدهم عينين من قناه ، وكذا قال قتادة وعطية العوفي وهذا أبلغ

في القوية والنكال وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحبة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون وعشون القهقري على أدبارهم وهذا كما قال بعضهم في قوله (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً يهتدون إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من أيديهم سداً) الآية أي هنا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى قال مجاهد : من قبل أن نطمس وجوهاً يقول عن صراط الحق قتردها على أدبارها أي في الضلال قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس والحسن نحو هذا قال السدي قتردها على أدبارها فنمنعنا عن الحق قال ترجمها كثفارا ونردهم قرده قال أبو زيد فردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز . وقد ذكر أن كعب الأبحار أسلم حين سمع هذه الآية . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن عيسى بن الثيرة قال تذاكرنا عند إبراهيم أسلم كعب قال أسلم كعب زمان عمر أقبل وهو يريد بيت المقدس فر على المدينة فخرج إليه عمر فقال يا كعب أسلم فقال ألتئم تخولون في كتابكم (مثل الذين حملوا التوراة - إلى - أسفاراً) وأنا قد حملت التوراة قال فتركه عمر ثم خرج حتى انتهى إلى حمص فسمع رجلاً من أهلها حزينا وهو يقول (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً قتردها على أدبارها) الآية قال كعب يا رب أسألت مخافة أن تصيبه هذه الآية ثم رجع فأتى أهله في اليمن ثم جاء بهم مسلمين وكذا رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر من وجه آخر قال : حدثنا أبي حدثنا ابن نفل حدثنا عمرو بن واقد عن يونس ابن حليس عن أبي إدريس طائفة الله الخولاني قال كان أبو مسلم الجلبلي معهم كعب وكان يلومه في إبطائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبه إليه ينظر أهو هو قال كعب فركبت حتى أتيت المدينة فلما قال قرأ القرآن يقول (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً قتردها على أدبارها) فبادرت للنساء فاعتسلت وإلى لأص وجهي مخافة أن أطمس ثم أسألت وقوله (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) يعني الذين اعتدوا في سيئهم الجيلة على الاصطياد وقد مسخوها قرده وخنازير وسبأ بسط قصتهم في سورة الأعراف وقوله (وكان أمر الله مفصولاً) أي إذا أمر بأمر فانه لا يخالف ولا ينافي . ثم أخبر تعالى أنه لا يفر أن يشرك بأي لا يفر لمبدقيه وهو مشرك به ويفر مادون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء أي من عباده وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما ييسر (الحديث الأول) قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن يزيد ابن أبي موسى عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الديوانين عند الله ثلاثة ، ديوان لا يسأ الله به شيئاً ، وديوان لا يترك الله منه شيئاً ، وديوان لا يفره الله فأما الديوان الذي لا يفره الله فالشرك بالله ، قال الله عز وجل (إن الله لا يفر أن يشرك به) الآية وقال (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) وأما الديوان الذي لا يسأ الله به شيئاً فظلم المبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله لا يفر ذلك وشجاء ان شاء ، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم المباد بعضهم بسا القصاص لا محالة » فترد به أحمد (الحديث الثاني) قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن مالك حدثنا زائدة بن أبي الزناد القرني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال «الظلم ثلاثة ، ظلم لا يفره الله ، وظلم لا يترك الله منه شيئاً ، فأما الظلم الذي لا يفره الله فالشرك وقال (إن الشرك لظلم عظيم) وأما الظلم الذي يفره الله فظلم المباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذي لا يتركه ظلم المباد بعضهم بسا حتى يدين بعضهم من بعض » (الحديث الثالث) قال الإمام أحمد : حدثنا صفوان ابن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي إدريس قال سمعت معاوية يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «كل ذنب عصى الله أن يفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» ورواه النسائي عن محمد بن متى عن صفوان بن عيسى به

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنا ابن تميم أن أبا ذر حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله يقول : يا عبيدي ما عبدتني ورجوتني فاني غافرك على ما كان منك ، يا عبيدي إنك إن قيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيت بكبراً مفرغاً » فترد به أحمد من هذا

الوجه (الحديث الخامس) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا حسين بن بريدة أن يحيى بن عمر حدثه أن أبا الأسود البجلي حدثه أن أبا ذر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ثلاثا ، ثم قال في الرابعة على رغبة أنى ذر » قال فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول : وإن زنى وإن سرق ثلاثا ، وكان أبو ذر يحدث بهذا يسوقه . وأن زنى أنى ذر . أخرجه من حديث حسين بن بريدة (طريق أخرى) لحدثني ذر قال أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد فقال « يا أبا ذر » قلت ليك يا رسول الله قال « ما أحب أن لي أحدا ذاك عندي ذهب أسى ثالثة وعندى منه دينار إلا ديناراً أرسده يميني لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا » فحنا عن يمينه وعن يساره وبين يديه قال ثم مشينا فقال « يا أبا ذر كما أتيتك » قال فالتفت لهما وقال « حتى توارى عني » قال فسمعت لهما قلت لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له قال فسمعت أن أئبمه ، قال فذكرت قوله لا يبرح حتى أتيتك فانتظرته حتى جاء فذكرت له الذي سمعت فقال « ذاك جبريل أتاني فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » قلت وإن زنى وإن سرق ، قال « وإن زنى وإن سرق » أخرجه في الصحيحين من حديث الأعمش به ، وقد رواه البخاري ومسلم أيضا كلاهما عن قتيبة عن جرير بن عبد الحميد عن عبد العزيز بن رفيع عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان قال فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد ، قال فجلست أمشي في ظل القمر فالتفت فرأيت فقال « من هذا » قلت أبو ذر جعلني الله فداك قال « يا أبا ذر تعال » قال فمشيت معه ساعة فقال « ان الكثرين هم القاتلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فجعل يشه عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وحمل فيه خيرا » قال فمشيت معه ساعة فقال لي « اجلس هنا » فأجلس في قاع حوله حجارة فقال لي « اجلس هنا حتى أرجع إليك » قال فالتفت في الحجرة حتى لأراه فلبث عني حتى إذا طال اللبث ثم أتى سمته وهو مقبل وهو يقول « وإن زنى وإن سرق » قال فلما جاء لم أسبر حتى قلت يأي الله جعلني الله فداك من تسلم في جانب الحجرة فأتى سمعت أحدا يرجع إليك قال « ذاك جبريل عرض لي من جانب الحجرة فقال يشرك أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل وإن سرق وإن زنى قال نعم قلت وإن سرق وإن زنى قال نعم قلت وإن سرق وإن زنى قال نعم وإن شرب الخمر » (الحديث السادس) قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا عبد الله بن موسى عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما للوجبتان قال « من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار » فخر به من هذا الوجه وذكر تمام الحديث (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن عمرو بن خالد الحراني حدثنا منصور بن إسحاق الثقفى حدثنا موسى بن عبيدة الترمذي أخبرني عبد الله بن عبيدة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « مامن نفس توت لا تشرك بالله شيئا إلا ولدت لها المنفرة إن شاء الله عليها وإن شاء غفر لها (إن الله لا ينظر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) » ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تزال المنفرة على العبد ما لم يقع الحجاب » قيل يأي الله وما الحجاب قال « الإشراف بالله - قال - مامن نفس تلقى الله لا تشرك به شيئا إلا ولدت لها المنفرة من الله تعالى إن شاء أن يذهبها وإن شاء أن يغفر لها » ثم قرأ نبي الله (إن الله لا ينظر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (الحديث السابع) قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا عن عطية عن أبي سعيد الحدرى قال : قال رسول الله ﷺ « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » فخر به من هذا الوجه (الحديث الثامن) قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن أبي ليلى حدثنا أبو بوبقيل عن

عبد الله بن ناسر من بني سبيع قال سمعت أباهم قاص أهل الشام يقول سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم إليهم فقال لهم إن ربكم عز وجل خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة حفوا بسيف حساب وبين الخبيثة عنده لقمى فقال له بعض أصحابه يا رسول الله أشجأ ذلك ربك ؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال « إن ربى زادنى مع كل ألف سبعين ألفا والخبيثة عنده » قال أبو بورك « يا أبا أيوب وما تظن خبيثة رسول الله ﷺ » فأكله الناس بأنواهم فقالوا : وما أنت وخبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أيوب : دعوا الرجل عنكم أخبركم عن خبيثة رسول الله ﷺ كما أظن ، بل كالتيقن إن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه دخل الجنة » (الحديث التاسع) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا مؤمل بن الفضل الحارثي حدثنا عيسى بن يونس ح وأخبرناهم ابن القاسم الحارثي فيما كتب إلى حدثنا عيسى بن يونس نفسه عن واصل بن السائب الرقاشي عن أبي سورة ابن أخى أبي أيوب الأنصاري عن أبي أيوب قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن لى ابن أع لى يتقى عن الحرم قال « وما دينه » قال يسلم ويوحى الله تعالى قال « استوهب منه دينه ، فإن أبى فاطمه منه » فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « وجدته شجاعا على دينه » قال : فنزلت (إن الله لا يغير أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . (الحديث العاشر) قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عمرو بن الضحاك حدثنا أبو حدثنا أبوهم الهناى حدثنا ثابت عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما نركت حاجة ولا ذا حاجة إلا قد أمتيت ، قال « أليس تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » ثلاث مرات قال نعم ، قال « فإن ذلك يأتي على ذلك كله » . (الحديث الحادى عشر) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا عكرمة ابن عمار عن مضمم بن جوش الجبلى قال : قال لى أبو هريرة يا عمار لا تقولن لرجل لا يغير الله لك ، أو لا يهلك الجنة أبدا . قلت يا أبا هريرة إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب ، قال لا تقلها فلى سمعت رسول الله ﷺ يقول « كان فى بنى إسرائيل رجلان أحدهما يجتهد فى العبادة وكان الآخر مسرفا على نفسه وكانا متآخين وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب فيقول يا هذا أقصر ، فيقول خلى ورنى أبشت على ريقا إلى أن رآه يوما على ذنب استعظمه فقال له وعك أقصر قال خلى ورنى أبشت على ريقا ، فقال والله لا يغير الله لك أو لا يهلك الجنة أبدا ، قال فبعت الله الهما ملكا قبض أرواحهما واجتمعا عنده فقال للذنب اذهب اذهب فدخل الجنة برحمة وقال للآخر أكنت علما ، أكنت على مافى بدى قادرا اذهبوا به إلى النار قال والله نفسى أبي القاسم يدمه إنه لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته » ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار حدثني مضمم بن جوش به (الحديث الثانى عشر) قال الطبرانى حدثنا أبو الشيخ عن محمد بن الحسن بن عجلان الأصفهاني حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله عز وجل : من علم أنى ذوقته على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالى ما لم يشرك به شيئا » . (الحديث الثالث عشر) قال الحافظ أبو بكر البرزلى والحافظ أبو يعلى حدثنا هبة هو ابن خالد حدثنا سهل بن أبي حازم عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من وعده الله على عمل ثواب فهو منجزه له ، ومن توعد على عمل عقاب فهو فيه بالخيار » خرده به وقال ابن أبى حاتم حدثنا بحر بن نصر الخولاني حدثنا خالد بنى ابن عبد الرحمن الحارثاني حدثنا الهيثم بن حماد عن سلام بن أبي مطيع عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر قال كنا أصحاب النبي ﷺ لانسك في قاتل النفس وأكل مال اليتيم وقاذف للصنات وشاهد الزور حتى نزلت هذه الآية (إن الله لا يغير أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأمسك أصحاب النبي ﷺ عن الشهادة ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن حماد وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا عبد الله بن أبي عبد الرحمن المقرئ حدثنا عبد الله بن عاصم حدثنا صالح بن الربيع حدثنا أبو هريرة عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كنا لانسك فيمن أوجب الله النار فى الكتاب حتى نزلت علينا هذه الآية (إن الله لا يغير أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

عنك صاحبك» ثم قال «إن كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل أحسبه كذبا ولا يزكي على أحد» وقال الإمام أحمد حدثنا مسعر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند قال : قال عمر بن الخطاب : من قال أنا مؤمن فهو كافر ؛ ومن قال هو عالم فهو جاهل ، ومن قال هو في الجنة فهو في النار ، ورواه ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة عن طلحة بن عبيد الله ابن كرز عن عمر أنه قال : إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب الله برأيه ، فمن قال إنه مؤمن فهو كافر ، ومن قال هو عالم فهو جاهل ، ومن قال هو في الجنة فهو في النار . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة حدثنا حجاج أن أبانا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن معبد الجهني قال : كان معاوية قما كان يحدث عن النبي ﷺ قال وكان قما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يحدث بهن عن النبي ﷺ يقول « من رد الله به خيرا يقبضه في الدين وإن هذا المال حلو خضر ، فمن يأخذه بحقه يسارك له فيه ، ولما كنتم والتمسح فانه الدبع » وروى ابن ماجه منه « إذا كروا التماسح فانه الدبع » عن أبي بكر بن أبي شيبة عن غندر عن شعبة به ، ومعبد هذا هو ابن عبد الله بن عويم البصري القدرى ، وقال ابن جرير حدثنا يحيى بن إبراهيم للسعودي حدثني أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله بن مسعود : إن الرجل ليفد دينه ثم يرجع وماله منه شيء ، يبقى الرجل ليس علك له ضرا ولا نفعا فيقول له : إنك والله كيت وكيت فقلعه أن يرجع ولم يحط من حاجته شيء . وقد أسخطا الله ، ثم قرأ « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » الآية ، وسيأتى الكلام على ذلك مطولا عند قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولهذا قال تعالى (بل الله يزكي من يشاء) أى للرجوع إلى ذلك إلى الله عز وجل لأنه أعلم بحقائق الأمور وغوا مضيا ، ثم قال تعالى (ولا يظنون قبلا) أى ولا يترك لأحد من الأجر ما يوازن مقدار النقيض قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وغير واحد من السلف هو ما يكون في شئ التوبة . وعن ابن عباس أيضا هو ما نزلت بين أصابعك وكلا القولين متقارب وقوله (انظر كيف يفترون على الله الكذب) أى في تزكيتهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وقولهم (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) وقولهم (لن نؤمن النار إلا بالآيات معدودات) وانكلمهم على أعمال آلهم الصالحة وقد حكم الله أن أعمال الآباء لا تجزى عن الأبناء شيئا في قوله (تلك أمثلة خلقت لئلا تكسب ولكم ما كسبت) الآية ثم قال (وكفى به إغا مينا) أى وكفى يسعيهم هذا كذبا وافتراء ظاهرا وقوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) أما الجبت فقال محمد بن إسحق عن حسان بن قائد عن عمر بن الخطاب أنه قال الجبت السحر ؛ والطاغوت الشيطان وهكذا روى عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن والضحاك والسدي وعن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن وعطية : الجبت الشيطان ، وزاد ابن عباس بالجبتية وعن ابن عباس أيضا : الجبت الشرك . وعنه الجبت الأسماء وعن الشعبي الجبت الكاهن ، وعن ابن عباس الجبت حي بن أخطب . وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف وقال السلامة أبو نصر بن إسحاق بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك . وفي الحديث « الطيرة والعيافة والطرق من الجبت » قال وليس هذا من محض العربية لاجتماع الهم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذوقى ، وهذا الحديث الذى ذكره ، ورواه الإمام أحمد في مسنده فقال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف بن حيان ابن الملا حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه وهو قبيصة بن عمارق أنه سمع النبي ﷺ قال « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت » وقال عوف : العيافة زجر الطير والطرق الحط يحط في الأرض والجبت قال الحسن رنة الشيطان وهكذا رواه أبو داود في سننه والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عوف الأعرابي به . وقد تقدم الكلام على الطاغوت في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إسحق بن الصيف حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله أنه سئل عن الطواغيت فقال : هم كهان تنزل عليهم الشياطين وقال مجاهد : الطاغوت الشيطان في صورة إنسان يتحاكون إليه وهو صاحب أمرهم وقال الإمام مالك : هو كل ما يعبد من دون الله عز وجل

وقوله (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أى يفضلون الكفار على المسلمين يعلمهم ، وقلة دينهم ، وكفرهم بكتاب الله الذى بأيديهم . وقد روى ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة قال جاءه بن حنى أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد فقالوا ما أنتم وما محمد فقالوا نحن نصل الأرحام . ويشر الكوماء ، ونسقى للاء على اللبن ، ونشك الماء ، ونسقى الحبيص ومحمد صنوبر قطع أرحامنا وإتيه سراق الحبيص من غفار فنحن خير أم هو ؟ فقالوا أنتم خير وأهدى سبيلا فأ نزل الله (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا) الآية وقد روى هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش : ألا ترى هذا الصنوبر للنبى من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحبيص وأهل السداة ، وأهل السقاية قال أنتم خير قاله فزلت (إن شئتكم هو الأثر) ونزل (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب - إلى نصيبا) وقال ابن إسحق حدثني محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الدين حزبوا الأحزاب من قريش وضفان وبني قريظة حتى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبى الحقيق وأبو عامر وروح بن عامر وهودة بن قيس . فأما وروح وأبو عامر وهودة فن بنى وائل وكان سائرهم من بنى النضير فقالوا أديبكم على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأول فأسألهم أديبكم خير أم دين محمد ؟ فسألهم فقالوا أديبكم خير من دينه وأنتم أهدى منه . وعمن أتبعه فأ نزل الله عز وجل (ألم تر إلى الذين أتوا من الكتاب) إلى قوله عز وجل (وأتيناهم ملكا عظيما) وهذا لن لم وأخبار بأنهم لا ناصر لهم فى الدنيا ولا فى الآخرة لأنهم إنما ذهبوا يستصرون بالمشرىكين وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم وقد أجابوهم وجاءوا معهم يوم الأحزاب حتى حفر النبي ﷺ وأصعابا حول المدينة الخندق فكفى الله شرهم (ورد الله الذين كفروا بظنهم لم ينالوا خيرا وكفى الله للؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا)

(أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ قَبِيرًا • أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ قَدْ آتَيْنَاهُمُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُم مَّلَكًا قَاطِبًا • فَيَنهَمُ مِنْهُنَّ مَن يَدُورُ فِيهِمْ مِّنْ صَدِّعَهُ وَكَفَى بِهِمْ سَعِيرًا)

يقول تعالى أم لهم نصيب من الملك وهذا استنهام إنكارى أى ليس لهم نصيب من الملك ثم وصفهم بالبخل فقال فإذا لا يؤتون الناس قبيرا أى لأنهم لو كان لهم نصيب فى الملك والتصرف لما أعطوا أحدا من الناس ولا سوا محمدآ صلى الله عليه وسلم شيئا ولا ما يلا القبر وهو النقطتان فى النواة فى قول ابن عباس والأكثرين . وهذه الآية كقولها تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا أمسكتم خشية الإغراق) أى خوف أن يذهب ما بأيديكم مع أنه لا يتصور نفاذه وإنما هو من غلبكم وشيكم ولهذا قال تعالى (وكان الإنسان تقورا) أى غيلا ثم قال (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) يعنى بذلك حسدكم التى صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من النبوة العظيمة ، ومنهم من تصديقهم بإياه حسدكم له لكونه من العرب وليس من بنى إسرائيل . وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا يحيى الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن السدى عن عطاء عن ابن عباس فى قوله (أم يحسدون الناس) الآية قال ابن عباس نحن الناس دون الناس قال الله تعالى (قد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما) أى قد جعلنا فى أسباط بنى إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزلنا عليهم الكتب وحكموا فهم بالسنة وهى الحكمة وجعلنا منهم للوك ومع هذا فمن آمن به أى بهذا الإيتاء وهذا الإنعام ومنهم من صد عنه أى كفر به وأعرض عنه وسعى فى صد الناس عنه ، وهو منهم ومن جنسهم أى من بنى إسرائيل فقد اختلفوا عليهم فكيف بك

يا محمد ولست من بني إسرائيل ؟ وقال مجاهد : فهم من آمن به أي بمحمد ﷺ ومنهم من صد عنه فالكفرة منهم أشد تكذيبا لك ، وأبعد عما جئهم به من الهدى ، والحق للبين ولهذا قال متوعدا لهم (وكفى بجهنم سعيرا) أي وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم وعما لقهم كتب الله ورسله

(**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضَيَّتْ جُودُهُمْ بِدَلَّتْهُمْ جُودًا غَيْرَهَا لَبِذَوْقُوا أَلَمَ ذَابٍ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا شَاوِعُونَ**)

غير تعالى عما يصاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله ، قال (إن الذين كفروا بآياتنا) الآية ، أي ندخلهم ناراً دخولا يحيط بجميع أجزائهم وأجزاءهم . ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالمهم فقال (كلما تضيئت جودهم بدلتهم جودا غيرها لينفوقوا الصلاب) قال الأعشى عن ابن عمر : إذا احترقت جودهم بدلوا جودا غيرها أيضا أمثال القراطيس رواء ابن أبي حاتم ، وقال يحيى بن زيد الحضرمي أنه بلغه في الآية : قال يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدتين لون من الصلاب رواء ابن أبي حاتم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطائفي حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن هشام عن الحسن قوله (كلما تضيئت جودهم) الآية قال : تضيئهم في اليوم سبعين ألف مرة قال حسين وزاد فيه فضيل عن هشام عن الحسن (كلما تضيئت جودهم) قيل لهم : عودوا فنادوا . وقال أيضا ذكر عن هشام بن عمار حدثنا سعيد بن يحيى (يعني السمداني) ^(١) حدثنا نافع مولى يوسف السلي البصري عن نافع عن ابن عمر قال : قرأ رجل عند عمر هذه الآية (كلما تضيئت جودهم بدلتهم جودا غيرها) فقال عمر : أعدها على ، فأعدها ، فقال نافع بن جيل : عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رواء ابن مردويه عن محمد بن أحمد بن إبراهيم عن عبيد بن محمد الروزي عن هشام بن عمار به ، ورواه من وجه آخر بلفظ آخر فقال : حدثنا محمد بن إسحق عن عمران حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث حدثنا شيان بن فروخ حدثنا نافع أبوهرم حدثنا نافع عن ابن عمر قال : تلا رجل عند عمر هذه الآية (كلما تضيئت جودهم) الآية قال فقال عمر : أعدها على وثم كتب فقال يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هذه الآية قرأتها قبل الإسلام قال فقال : هاتها يا كعب فان جئت بها كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتك وإلا لم تنظر إليها ، فقال لي قرأتها قبل الإسلام كلما تضيئت جودهم بدلتهم جودا غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الزبيدي بن أنس : مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعا وستة سبعون ذراعا وبطنه لو وضع فيه جبل لو سعه فإذا أكلت النار جودهم بدلوا جودا غيرها . وقد ورد في الحديث ما هو أبلغ من هذا ، قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو يحيى الطويل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « يظلم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعا ، وإن خرسه مثل أحد » خرد به أحمد من هذا الوجه ، وقيل المراد بقوله (كلما تضيئت جودهم) أي سرايلهم . حكاه ابن جرير وهو ضعيف لأنه خلاف الظاهر . وقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار متخلفين فيها أبدا) هذا أخبر عن مآل السعداء في جنات عدن التي تجري فيها الأنهار في جميع فجاجها ، وعالمها وأرجائها حيث شاموا ، وأين أرادوا وهم خالدون فيها أبدا لا يحولون ولا يزولون ولا ييغون عنها حولا وقوله (لهم فيها أزواج مطهرة) أي من الحيض والنفس والأذى والأخلاق الرذيلة ، والصفات الناقصة كما قال ابن عباس : مطهرة من الأقذار والأذى . وكذا قال عطاء والحسن والضحاك والنضى وأبو صالح وعطية والسدي وقال مجاهد : مطهرة من البول والحيض والتخام والبراق والتي والولم وقال قتادة : مطهرة من الأذى وللآثم ولا

حيض ولا كلف . وقوله (وندخلهم ظلالاً ظليلاً) أي ظلالاً عتيماً كثيراً غزيراً طيباً أنيقاً ، قال ابن جرير : حدثنا ابن بشر حدثنا عبد الرحمن وحدثنا ابن التي حدثنا ابن جعفر قال حدثنا شعبة قال : سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها - شجرة الخلد »

« **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَعْلَمُوا بِالَّذِي إِنْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ يَصْطَلِكُمْ بِهِ إِنْ اللَّهَ كَانَ تَعْلَمُكُمْ بِصِيرًا** »

يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها . وفي حديث الحسن عن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » رواه الإمام أحمد وأهل السنن وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصدقات والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه البعاد ، ومن حقوق البعاد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما ياتمون به من غير اطلاع بينة على ذلك فأمر الله عز وجل بأدائها لمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « تؤدون الحقوق إلى أهلها حتى يقص لشاة الجاهل من القرآن » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال : إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة يؤتى بالرجل يوم القيامة وإن كان قد قتل في سبيل الله يقال أد أمانتك فيقول قاتى أودبها وقد ذهبت الدنيا ؟ فتشمل له الأمانة في قبر جهنم فيهبى إليها فيحملها على عاتقه قال فتزل عن عاتقه فيهبى على أثرها أيد الأبدن . قال زاذان فأثبت البراء فحدثته فقال صدق أخى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وقال سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن رجل عن ابن عباس في الآية قال : هي مبيعة لغير والفاجر ، وقال محمد بن الحنفية هي عامة (١) لغير والفاجر وقال أبو المالكة : الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا حص بن غياث عن الأعمش عن أبي الضمعي عن مسروق قال : قال أبي بن كعب من الأمانات أن المرأة اتعنت على فرجها ، وقال الربيع بن أنس هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قال : قال يدخل فيه وعظ السلطان النساء يعني يوم العيد وقد ذكر كثير من التفسير أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الله دار ابن قصي بن كلاب القرشي البصري حبيب الكعبة للمنظمة وهو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم ، أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وقصصه هو وخاله بن الوليد وعمرو بن العاص وأما عمه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فكان مع لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافراً وإنما نهنا في هذا النسب لأن كثيراً من التفسيرين قد يشبه عليه هذا بهنا ، وسبب نزولها فيه لما أخذ من رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه : وقال محمد بن إسحق في غزوة الفتح حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أبي نورة عن صفية بنت شيبه أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة وأطمأن الناس خرج حتى جاء إلى البيت فطاف به سباً على راحته يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فتفتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عیدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استنكس له الناس في المسجد قال ابن إسحق فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداً البيت وسقاية الحاج » وذكر بقية الحديث في خطبة النبي ﷺ يومئذ إلى أن قال ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله أجمع لنا الحجابة مع السقاية بسلى الله عليك فقال

رسول الله ﷺ « أين عثان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال له « هاك مفتاحك يا عثان ، اليوم يوم وفاء وبر » قال ابن جرير حدثني القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج في الآية قال نزلت في عثان بن طلحة قبض منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) الآية فعدا عثان إليه فدفع إليه المفتاح قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فدهأ أبي وأبى ما سمعته يتلوها قبل ذلك : حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الزبيدي بن خالد عن الزهري قال دفعه إليه وقال : أعينوه : وروى ابن مردويه عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قال لما فتح رسول الله ﷺ مكة جمع عثان ابن طلحة فلما أتماه قال « أرنى للفتح » فاتاه به ؛ فلبس يده إليه قام إليه لباس قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمع لي مع السقاية فكشف عثان يده . فقال رسول الله ﷺ « أرنى للفتح يا عثان » فبسط يده عطيه ، فقال لباس مثل كفة الأولى فكشف عثان يده . فقال رسول الله ﷺ « يا عثان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته » فقال هاك بأمانة الله قال : قدام رسول الله ﷺ وفتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم عليه الصلاة والسلام معه قداح يستقسم بها ؛ فقال رسول الله ﷺ « ما للمشركين قائلهم الله ، وما شأن إبراهيم وشأن القداح » ثم دعا بغضه فيها ماء ، فأخذ ماء فمسه فيه ، ثم غمس به تلك التماثيل وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة فأنزله في حائط الكعبة ، ثم قال « يا أيها الناس هذه القبلة » : قال : ثم خرج رسول الله ﷺ فطاف بالبيت شوطا أو شوطين ثم نزل عليه جبريل فبا ذكر لنا برد للفتح ، ثم قال رسول الله ﷺ (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) حتى فرغ من الآية ، وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك وسواء كانت نزلت في ذلك أولا فكهما عام ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية هي للبر والفاجر أي أمر لكل أحد ، وقوله (وإن أحكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أمرته تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ، ولهذا قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب إن هذه الآية : إنما نزلت في الأمراء يعني الحكام بين الناس وفي الحديث « إن الله مع الحاكم مالم يجز فلذا جار وكله إلى نفسه » وفي الأثر « عدل يوم كعبادة أربعين سنة » وقوله (إن الله نما يعظكم به) أي يأمركم به من أداء الأمانات ، والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشامة ، وقوله تعالى (إن الله كان سميعا بصيرا) أي سمعا لأقوالكم ، بصيرا بأفعالكم كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا عبد الله بن أبي حاتم عن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال : رأيت رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية (سمعا بصيرا) يقول بكل شيء بصير وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى القزويني أبانا للقرى يعني أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد حدثنا حملة يعني ابن عمران التميمي للصري حدثني أبو يونس سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) إلى قوله (إن الله نما يعظكم به) إن الله كان سميعا بصيرا) وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها ووضع أصبعه ، وقال أبو زرعة وصفه لنا للقرى ووضع أبو زرعة إبهامه اليمنى على عينه اليمنى والتي تليها على الأذن اليمنى وأرانا فقال هكذا وهكذا . رواه أبو داود وابن جبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن للقرى يسانده نحوه . وأبو يونس هذا مولى أبي هريرة واسمه سليم بن جبير

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن علي بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ سمع رسول الله ﷺ فيسيرة وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث حجاج بن محمد الأعور به وقال الترمذي حديث حسن

غريب ولا نعرفه إلا من حديث ابن جريج ، وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء قال : فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا بلى ، قال فاجمعو لي حطباً ، ثم دعا بنار فأضرمها فيه ، ثم قال : عزمتم عليكم لتدخلوها ، قال : فقال لهم شاب منهم إنا فررت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تميلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، قال فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال لهم « لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً ، إنا الطاعة في المروءة » أخرجه الصحيحين من حديث الأعمش به . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثنا نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السمع والطاعة طي للره للسم فيا أحبوا كره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وأخرجه من حديث يحيى القطان . وعن عباد بن الصامت قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا وعصرتنا وبسرنا وأثرة علينا . وأن لا تنازع الأمر أهله قال « إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم فيه من الله برهان » . أخرجه في الحديث الآخر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اسمعوا وأطيعوا . وإن أمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زينة » رواه البخاري وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجذوع الأطراف رواه مسلم . وعن أم الحصين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول « ولو استعمل عليكم عبد يهودكم يكذب الله اسمعوا له وأطيعوا » رواه مسلم وفي لفظ له « عبداً حبشياً مجذوعاً » وقال ابن جرير حدثني طرب بن مسلم الطوسي حدثنا ابن أبي ذئب حدثني عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « سليلكم ولادة يهدي فليكن البر يرموا القاجر بفجوره ، فاسمعوا له وأطيعوا لكل ما وافق الحق ، واصلوا رءوسهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فللكم وعليهم » وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لاني يهدي ويسكون خلفاء فيكثرون » قالوا يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال « أو فوا بيعة الأول فالأول وأعلمهم ختمهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم » أخرجه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من رأى من أميره شئاً فكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يقاتر في الجماعة شيراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » أخرجه وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لاجحة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم . وروى مسلم أيضاً عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دخلت للسجد فلما عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس حوله مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقلنا منزلاً فنامنا فصرحنا ، ومننا من يتفضل ، ومننا من هو في جحره » إذ نادى منادى رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ قال : إنه لم يكن نبي من قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يمله لهم ، وينذرهم شر ما يمله لهم ، وإن هذه الأمة جلست عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء ، وأمور تنكرونها ، وتجيء فتن يرفق بضواحيها الفتنة فيقول المؤمن هله مهلكتي ، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هله فمن أحب أن يرحح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى اليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وعمره فأؤده فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ، قال فدنوت منه قلت . أتستبذل الله ؟ أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه يديه وقال : سمعت أذنائي ، ووعاه قلبي ، قلت له : هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، وقتل بضابضنا والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تخفوا أعينكم إن الله كان بكم رحماً) قال فسكت

ساعة ثم قال . أطعه في طاعة الله ، واعمسه في مصية الله . والأحاديث في هذا كثيرة . وقال ابن جرير حدثنا محمد ابن الحسين حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا أسباط عن السدي في قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) قال يث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليا خالد بن الوليد وفيها عمار بن ياسر فصاروا قبل القوم الذين يريدون قتلهم فلبثوا قريبا منهم عرسوا وأنهم ذو الصيتين فأخبرهم فأصبحوا وقد هربوا غير رجل أمر أهلهم فجمعوا متاعهم ، ثم أقبل يمشي في ظلة الليل حتى أتى عسكر خالد فسال عن عمار بن ياسر فأتاه فقال : يا أبا اليقظان إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله وإن قومي لما سمعوا بكم هربوا وإني بقيت فهل إسلامي نافي غداً وإلا هربت ؟ قال عمار بل هو ينفك فأتهم فأتهم ، فلما أصبحوا أظفر خالد فلم يجد أحداً غير الرجل فأخذه وأخذ ماله فبلغ عمارا الخبر فأتى خالد فقال : خل عن الرجل فإنه قد أسلم وإنه في أمان مني ، فقال خالد : وفيما أنت غير ؟ فاستأجرت وارتما إلى النبي ﷺ فأجاز أمان عمار ونهأه أن يجير الثانية على أمير فاستأجرت عند رسول الله ﷺ فقال خالد لرسوله الله : أتجرك هذا الصبي الأجنبي يسبني ، فقال رسول الله ﷺ : يا خالد لا تسب عماراً فإنه من سب عماراً يسبه الله ، ومن يئس عماراً يئسه الله ، ومن يلعن عماراً لعنه الله ، فنضب عمار قمام فثبته خالد فأخذ بثوبه فاعتذر إليه فرضى عنه فأئزله الله عز وجل قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن طريق عن السدي مرسلا ، ورواه ابن مردويه عن رواية الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وأولى الأمر منكم) يعني أهل البيت والدين ، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية (وأولى الأمر منكم) يعني العلماء والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولى الأمر من الأمراء والعلماء كما تقدم وقال تعالى (لولا ينهمم الرابضون والأجبار عن قوهم الإثم وأكلهم السحت) وقال تعالى (فاسألوا أهل الله أن يبين لكم ما كنتم لا تعلمون) وفي الحديث الصحيح للنفق على سخته عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصا أميري فقد عصاني » فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ، ولهذا قال تعالى (أطيعوا الله) أي اتبعوا كتابه (وأطيعوا الرسول) أي خذوا بيته (وأولى الأمر منكم) أي فيما أمروكم به من طاعة الله لافي مصية الله ، فانه لا طاعة لخلق في مصية الله كما تقدم في الحديث الصحيح « إنما الطاعة في المصروف » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا عامر حدثنا قتادة عن ابن جريح عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال « لا طاعة في مصية الله » . وقوله (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) قال مجاهد وغير واحد من السلف أي إلى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شئ تنازع الناس فيه من أمور الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله) فالحكم به الكتاب والسنة وشهادته بالصفة فهو الحق ، وماذا بدالحق إلا الضلال ولهذا قال تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي ردوا الخصومات والمجالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتصا كوا إليها فهاشجر بينهم (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فدل على أن من لم يتساكم في عمل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليها في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر وقوله (ذلك خير) أي إتساكم إلى كتاب الله وسنة رسوله . والرجوع إليها فصل النزاع خيرا (وأحسن تأويلا) أي وأحسن عاقبة ومالاً كما قاله السدي وغير واحد . وقال مجاهد : وأحسن جزاء وهو قريب

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَصَحَّاهُ كَمَا إِلَى الْغُلُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا • وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَاءَلُوا إِلَىٰ مَا أُنزِلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَفَقِّهِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا • فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ نُصِيبَةً مَّا قَدَسَتْ

أَيُّدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ بِخَلْقُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْضَنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١﴾

هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود خصما، فحصل اليهودي يقول بيني وبينك عهد، وذلك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف وقيل في جماعة من الناقضين ممن أظهر الإسلام أرادوا أن يتحاكوا إلى حكم الجاهلية. وقيل غير ذلك والآية أهم من ذلك كله فإنها ذممة لمن عدل عن الكتاب والسنة. وتحاكوا إلى ما سواهما من الباطل وهو الرد بالطاغوت هنا ولهذا قال (يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت) إلى آخرها. وقوله (وصدونك صدودا) أي يرضون عنك إعراسا كاستكبرين عن ذلك كما قال تعالى عن الشركين (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا) وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) الآية

ثم قال تعالى في دم الناقضين (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) أي فكيف بهم إذا ساقهم للقادر إليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا إليك في ذلك (ثم جاءوك بحلقون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) أي يستنرون إليك وبحلقون ما أردنا بنهايتي إلى غيرك، وتحاكنا إلى أعدائك إلا الإحسان والتوفيق أي اللطافة والمصانة لا اعتقادنا من صحة تلك الحكومة كما أخبرنا تعالى عنهم في قوله (فقرئ الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نحشى إلى قوله - فيصحبوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وقد قال الطبراني حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحلو حدثنا أبو العنان حدثنا صفوان بن عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أبو برة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهودي يتنافرون فيه فتنازع إليه ناس من الشركين فأنزل الله عز وجل (لم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك - إلى قوله - إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا)

ثم قال تعالى (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) هذا الضرب من الناس هم الناقضون والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزيهن على ذلك فانه لا تخفى عليه خافية فاكشف به يا محمد فيهم فانه عالم بظواهرهم وبواطنهم. ولهذا قاله (فأعرض عنهم) أي لا تمنهم على ما في قلوبهم (وعظم) أي وانهم عما في قلوبهم من التفات وسرائر الشر (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) أي والصحيح فيها بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا يُلَاحِظُ إِلَهُهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُوا إِلَهُهُمْ فَلَا وَرَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُصْعَقَكُمُ فِيهَا شَجَرٌ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتُمْ وَيُسَلَّوْنَ سَلًّا﴾

يقول تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليلطع) أي فرض طاعة على من أرسله إليهم وقوله (يلذ الله) قال مجاهد أي لا يلطع أحد إلا يلذقني لا يلطع إلا من وقته لذلك كقوله (ولقد صدقكم الله عندما إذ دعوهم بإذنه) أي عن أمره وقدره ومشيئته وتسلطه إياكم عليهم، وقوله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية، يرشد تعالى الصاة وللمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فانهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال (لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ (١)

في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن النبي قال : كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (ولو أنهم إذ ظنلوا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) وقد جئتك مستغفرا فإني مستغفرا بك إلى ربي . ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبن القاع والأكم
ضى القساء قبر أنت ساكنه * فيه الطاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فقلتني عني فرأيت النبي ^{عليه السلام} في النوم فقال : « يا عيسى الحق الأعرابي فبشره إن الله قد غفر له »

وقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيها شجر بينهم) يشتم تعالى نفسه الكريمة للقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الاتياده بألفاظنا وظواهرها ولهذا قال (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلووا تسليًا) أي إذا حكموك بطيوعكم في بواطعهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به ويتفادون له في الظاهر والباطن فيسلون لذلك تسليًا كليًا من غير مماناة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن جعفر حدثنا معمر بن الزهري عن عروة قال : خاصم الزبير رجلا في شراج الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اسق يا الزبير ثم أرسل الماء إلى جارك » فقال الأنصاري : يا رسول الله أن كان ابن عمك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يا زبير ثم اجلس للماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك » فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري وكان أشار عليهما صلى الله عليه وسلم بأمرهما فيه سمة ، قال الزبير : فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية . هكذا رواه البخاري ههنا أعني في كتاب التفسير في صحيحه من حديث معمر ، وفي كتاب التبرج من حديث ابن جريج ومعمر أيضا ، وفي كتاب الصلح من حديث شعيب بن أبي حمزة ثلاثهم عن الزهري عن عروة فذكره وصورته صورة الأرسال وهو متصل في المتن وقد رواه الإمام أحمد من هذا الوجه فصرح بالأرسال فقال حدثنا أبو الجمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن الزبير كان يحدث أنه كان بخاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة كانا يسقيان بها كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير « اسق ثم أرسل إلى جارك » فضرب الأنصاري وقال : يا رسول الله أن كان ابن عمك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يا زبير ثم اجلس للماء حتى يرجع إلى الجدر » فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سمة له وللأنصاري فلما أحفظه الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم ثم قال : قال عروة فقال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلووا تسليًا) هكذا رواه الإمام أحمد وهو متقطع بين عروة وبين أبيه الزبير فإنه لم يسمع منه ، والذي قطع به أنه سمع من أخيه عبد الله فإن أبا عبد الله بن الحسن بن أبي حاتم رواه كذلك في تفسيره فقال حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني الليث ويونس عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج في الحرة كانا يسقيان به كلاهما التخل فقال الأنصاري : سرح للماء يمر فأنى عليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك » فضرب الأنصاري وقال يا رسول الله أن كان ابن عمك ؟ فتلون وجه رسوله الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « اسق يا زبير ثم اجلس للماء حتى يرجع إلى الجدر » واستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه السمة ولا نصارى فلما أحفظ

الأَنْصَارِيَّ رسول الله ﷺ استوعى لازير حقه في صريح الحكم فقال الزير : ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلو تسلياً) وهكذا رواه الناس من حديث ابن وهب به ورواه أحمد والجامعة كلهم من حديث الليث به وجعله أصحاب الأطراف في مسند عبد الله ابن الزير وكذا ساقه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن الزير والله أعلم . والجب كل العجب من الحاكم أبي عبد الله النيسابوري فإنه روى هذا الحديث من طريق ابن أخي ابن شهاب عن حماد بن عروة عن عبد الله بن الزير فذكره ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فإني لا أعلم أحداً قام بهذا الإسناد عن الزهري بذكر عبد الله بن الزير غير ابن أخيه وهو عنه ضعيف ، وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي أبو ذخير حدثنا أحمد بن حازم حدثنا الفضل بن دكين حدثنا ابن عينة عن عمرو بن دينار عن سلمة بن آل أبي سلمة قال : خاصم الزير رجلاً إلى النبي ﷺ قضى للزير فقال الرجل : إنما قضى له لأنه ابن عمته فنزلت (فلا وربك لا يؤمنون) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو حنيفة حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله (فلا وربك لا يؤمنون) قال نزلت في الزير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء فقضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقي الأعلى ثم الأسفل هذا مرسل ولكن فيه فائدة تسمية الأنصاري (ذكر سبب آخر غريب جداً) قال ابن أبي حاتم . حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن لحيعة عن أبي الأسود قال : اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما ، فقال للقضي عليه : ردنا إلى عمر بن الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » انطلقا إليه فلما أميا إليه فقال الرجل : يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله ﷺ على هذا . فقال ردنا إلى عمر بن الخطاب فردنا إليك فقال أكره ذلك قال نعم فقال عمر - كانكما حتى أخرج إليكما فاقضى بينكما . فخرج إليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدير الآخر فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي ولو لا أني أعجزت لقتني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كنت أظن أن يجترى عمر على قتل مؤمن » فأئزل الله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) الآية فهذا حديثه ذلك الرجل ويرى عمر من قتله فكره الله أن يسئل ذلك بعد ، فأئزل (ولو أنا كتبنا عليهم أن اتولوا أهلكم) الآية ، وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن لحيعة عن أبي الأسود به وهو أثر غريب مرسل ، وابن لحيعة ضعيف والله أعلم . (طريق أخرى) قال الحافظ أبو إسحق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دهم في تفسيره حدثنا عيب بن شبيب حدثنا أبو بلتعة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي أن رجلاً اختصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للمحق على المبطل ، فقال للقضي عليه لا أرضى ، فقال صاحبه فأعز يد قال : أن نذهب إلى أبي بكر الصديق فذهبا إليه ، فقال الذي قضى له : قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قضى لي فقال أبو بكر : أتأبى على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى صاحبه أن يرضى ، فقال نأتى عمر بن الخطاب ، فقال للقضي له : قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قضى لي عليه فأبى أن يرضى ، فسأله عمر بن الخطاب فقال كذلك ، فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سقه فضرب رأس الذي أبى أن يرضى فقتله ، فأئزل الله (فلا وربك لا يؤمنون) الآية

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَهْلَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَكَّرُوا إِلَّا لَقِيلَ لَهُمْ وَمَنْ يَكْفُلُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ يُوعَدُونَ يَدُ كَسَّانٍ خَيْرٌ لَّهُمْ وَأَشَدُّ تَنكِيبًا . وَإِذَا لَا تَجِدُهُمْ مِنْ دُونِنَا أَجْرًا عَظِيمًا . وَلَهْدِيهِمْ سِيرَتُنَا مُسْتَنِيًّا . وَمَنْ يَطْعَمْهُ اللَّهُ فَكَوْنَتِ مَعَهُ الذِّكْرُ أَتَمُّ أَتَمُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الَّذِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾

غير تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبوه من التناهي لما ضلوا لأن طبعهم الرديئة مجبولة على مخالفة

الأمر وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون ، ولهذا قال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
أنفسكم) الآية ، قال ابن جرير حدثني الثوري حدثني إسحق حدثنا الأزهر عن إسماعيل عن أبي إسحق السبيعي قال : لما نزلت
(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) الآية قال رجل . لو أمرنا قتلنا والحمد لله الذي علانا ذلك التي صلى الله
عليه وسلم فقال « إن من أمي رجلا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي » ورواه ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن
مزيار حدثنا روح حدثنا هشام عن الحسن بن سنان عن الأعمش قال : لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم)
الآية . قال أناس من أصحاب النبي ﷺ لو فعل ربنا قتلنا ، بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قال « للإيمان
أثبت في قلوب أهل من الجبال الرواسي » وقال السدي اختار ثابت بن قيس بن حنظل ورجل من اليهود قال يهودي
والله لقد كتب الله علينا القتل قتلنا أنفسنا قال ثابت والله لو كتب علينا (أن اقتلوا أنفسكم) لقتلنا فأنزل الله هذه الآية ورواه
ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا حمود بن غيلان حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب بن ثابت عن عمه عامر بن عبد الله بن
الزبير قال لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لو نزلت لكان ابن أبي عمير منهم » وحدثنا أبي حدثنا أبو النجاشي حدثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان
ابن عمرو عن شريح بن عبيد قال : لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
أنفسكم) الآية أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى عبد الله بن رواحة فقال « لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من
أولئك القليل » يعني ابن رواحة ولهذا قال تعالى (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) أي ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به وتركوا
ما ينهون عنه (لكان خيرا لهم) أي من مخالفة الأمر وإرتكاب النهي (وأعدت شيئا) قال السدي . أي وأعدت تصديقا
(وإذا لا تبتئس من هذا) أي من عندنا (أجرأ عظيما) يعني الجنة (ولدينا هم صراط مستقيما) أي في الدنيا والآخرة ثم
قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا) أي من عمل بما أمره الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله فإن الله عز وجل يسكنه دار
كرامته ويجهه مراقبا للآتياء ثم لمن يقدم في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين
صلحت سرائرهم وعلايتهم ثم أتى عليهم تعالى فقال (وحسن أولئك رفيقا) وقال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله بن
حوشب حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من نبي يرض
إلا خير بين الدنيا والآخرة » وكان في شكواه التي قبض فيها أخذته جحة شديدة فسمته يقول « مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » فعلمت أنه خير وكذا رواه مسلم من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم
به وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الآخر « اللهم الرفيق الأعلى » ثلاثا ثم قضى عليه أفضل الصلاة والتسليم

﴿ ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة ﴾

قال ابن جرير حدثنا ابن حديد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي القتيبة عن سعيد بن جبير قال جاد رجل من
الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عزوز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا فلان مالي أراك عزوزا »
فقال يا بني الله شيء فكرت فيه فقال ما هو ؟ قال نحن نقدر عليك ونزوح تنظر إلى وجهك ونجاسك وغدا ترفع مع
النبيين فلا تصل إليك فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئا فاتاه جبريل بهذه الآية (ومن يطع الله والرسول فأولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية فبعت النبي ﷺ بئسره . وقد روى هذا الأمر مرسل عن مسروق
وعن عكرمة وعامر الشعبي وقادة وعن الربيع بن أنس وهو من أحسننا سندا قال ابن جرير حدثنا الثوري حدثنا ابن
أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله (ومن يطع الله والرسول) الآية قال ابن أصحاب النبي ﷺ قالوا قد علمنا أن النبي
ﷺ له فضل على من آمن به في درجات الجنة ممن اتبعه وصدقه وكيف لم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم
بعضا . فأنزل الله . في ذلك يعني هذه الآية فقال يونس بن مولى له « إن الأعلى ينحدرون إلى من هو أسفل منهم
فيجسمون في رياض فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويشنون عليه وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما

يصدقون به فهم فيروضة يجيرون ويتضمنون فيه» . وقد روى مرفوعاً من وجه آخر قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مسلم ، حدثنا إسحاق بن أحمد بن أسيد حدثنا عبد الله بن عمران ، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت جاء رجل إلى النبي ﷺ قال يا رسول الله : إنك لأحب إليّ من نفسي ، وأحب إليّ من أهلي ، وأحب إليّ من ولدي وإنّي لأكون في البيت فأذرك كما أفر فأصبر حتى أتيتك فأناظر اليك ، وإنّذا كنت مولى وموكل عرفتك إنك إذ دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فليرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) وهكذا وما لم يحفظ أبو عبد الله القدسي في كتابه في فقهه الجنة من طريق الطبراني عن أحمد بن عمرو ابن مسلم الحلال بن عبد الله بن عمران المادي به ثم قال لا أرى يستأنده بأما والله أعلم . وقال ابن مردويه أيضاً حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا العباس بن الفضل الأساطفي . حدثنا أبو بكر بن فامة عن ابن عباس البصري حدثنا خالد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن عامر الشعبي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ قال يا رسول الله إنّي لأحبك حتى إنّ لأذكرك في اللّيل فيشقي ذلك علي وأحب أن أكون معك في المرحلة فلم يرده عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فأنزله الله عن وجل هذه الآية وقدره ابن جرير عن ابن حمدين جرير عن عطاء بن الشعبي مرسلاً ثبت في صحيح مسلم من حديث هقل بن زياد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال : كنت أبيت عند النبي ﷺ فأنيت به يومئذ هو حجة قالوا « حل » قلت يا رسول الله أسألك عن أهلك فقال « وأخبر ذلك » قلت : هو ذاك قال « فأعني على نفسك بكثرة السجود » . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق ، أخبرنا ابن أبي ليحة عن عبد الله بن أبي جعفر عن عيسى بن طلحة عن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل إلى النبي ﷺ قال : يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، وصليت الخس ، وأديت زكاة مالي . وصمت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا - ونصب أصبعه - مالم يبق والديه » . فتدبر به أحمد قال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم . حدثنا ابن أبي ليحة عن زياد بن قائل عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً إن شاء الله » . وروى الترمذي من طريق سفيان الثوري عن أبي حمزة عن الحسن البصري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » ثم قال هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأبو حمزة اسم عبد الله بن جابر شيخ بصري وأعظم من هذا كله إشارة ما ثبت في الصحيح وللإسناد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال « للره مع من أحب » قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث . وفي رواية عن أنس أنه قال : إنّي لأحب رسول الله ﷺ . وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن الله يشي بهم وإن لم أعمل كعملهم قال الإمام مالك بن أنس عن سفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة ليتراءون أهل القرف من فوقهم كما تراءون الكوكب البدرى النابى من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يليها غيرهم ، قال « بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا للرسلين » أخرجهما في الصحيحين من حديث مالك وألفظ مسلم ورواه الإمام أحمد ، حدثنا قزارة أخبرني غليص عن هلال بن أبي ابن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون - الكوكب البدرى النابى من الأفق الطالع في غمامة البرجات » قالوا يا رسول الله أولئك النبيون . قال « بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا للرسلين » قال الحافظ النجاشي هذا الحديث على شرط البخارى والله أعلم وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن حماد الواسطي حدثنا علي بن عفيف بن سالم عن أيوب عن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال أتى رجل من الحبشة إلى رسول الله

ﷺ يسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يا رسول الله فضلت علينا بالصور والألوان والتبوة ، ثم قال : أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إلى لكائن معك في الجنة ، قال رسول الله ﷺ « نعم والذى شفى يده إنه ليضئ بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله ومجده كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأهله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفذ ذلك كله إلا أن يتضمه الله برحمته » ونزلت هذه الآيات (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا - إلى قوله - فيها وملكا كبيرا) فقالوا لجنس : وإن عيسى لريان ماترى عينك في الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم » فاستبكى حتى فاضت نفسه ، قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه في حفرة يديه ، فيه غرابة ونكارة وسنده ضعيف ولهذا قال تعالى (ذلك الفضل من الله) أى من عند الله (برحمته) وهو الذى أهلهم لذلك بأعمالهم (وكفى بالله علما) أى هو علم بما يستحق الهداية والتوفيق

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَرَوْا ثُبَاتٍ أَوْ تَرَوْا جِيحًا • وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْطَلُنَّ فَإِنْ فَتَىٰكُمْ مَّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنُفِئْتُ عَلَىٰ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ شَهِيدًا • وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِسْكُمْ كُفْرًا مِّنْهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا • فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُتْلَلْ أَوْ يَغْلَبْ فَسُوفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم وهذا يستلزم التأهب لهم بأعداد الأسلحة والعدد وتكبير العدد بالنفير في سبيل الله (ثبات) أى جماعة بد جماعة وفرقة بدفرقة وسرية بد سرية والثبات جمع ثبة وقد تجمع الثبة على ثبين ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (فاتروا ثبات) أى عصابا أى سرايا متفرقين (أو اتروا جيحيا) أى كلكم ، وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والسدى وقادة والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وخضيف الجزرى ، وقوله تعالى (وإن منكم لمن ليطلن) قال مجاهد وغير واحد نزلت في المنافقين ، وقال مقاتل بن حيان : (ليطلن) أى ليتخلفن عن الجهاد ، ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه ويضل غيره عن الجهاد كما كان عبدالله بن أبى بن سؤل قبحه الله يفعل يأخر عن الجهاد ويشيط الناس عن الخروج فيه . وهذا قول ابن جريج وابن جرير ؛ ولهذا قال تعالى إخبارا عن المنافق أنه يقول إنا تأخر عن الجهاد (فإن أصابكم مصيبة) أى قتل وشهادة وغلب العدو لكم لا فى ذلك من الحكمة (قال قد أنعم الله على لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ شَهِيدًا) أى إذا لم أحضر معهم وقعة القتال يدن ذلك من نعم الله عليه ، ولم يدبر ما فاتته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل (ولئن أصابكم فضل من الله) أى نصر وظفر وغنيمة (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أى كأنه ليس من أهل دينكم (ياليتي كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) أى بأن يضربلى بهم معهم فأحصل عليه . وهو أكبر قصده وغاية مراده . ثم قال تعالى (فليقتل) أى للؤمن المنافق (في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى يبيعون دينهم بمرض قليل من الدنيا وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم ، ثم قال تعالى (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أى كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل أو غلب فله عند الله ثوبة عظيمة وأجر جزيل كما ثبت في الصحيحين وتكمل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَذَلِكُمُ الَّذِينَ أَلْحَقَ الشَّيْطَانُ فِي كَيْدِهِ الشَّيْطَانُ كَانَ ضَعِيفًا﴾

يعرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعى في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان للثرب من من المقام بها ، ولهذا قال تعالى (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية) بنى مكة كقوله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوة من فرقتك التي اخرجتك) ثم وصفها بقوله (الظالم اهلها واجعل لنا من لذك وليا واجعل لنا من لذك نصيرا) أى سخر لنا من عندك وليا وناصرا . قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سليمان بن محمد حدثنا سليمان بن محمد حدثنا عبيد الله بن عباس قال . كنت أنا وأبى من المستضعفين . حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أبيه عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس قال (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال كنت أنا وأبى عن عبد الله بن عباس قال تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أى المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه ، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان ، ثم هيج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَقْنُونَ تَمَنَّى الْإِنسَانُ أَنْ يَبَدِّلَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ لَآتَوْا أَجْرًا قَرِيبًا قُلْ مَنْ مَتَّعَ الْإِنْسَانَ قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تَطْلُمُونَ فِيهَا أَهْيًا أَيَسَاءَ تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قُلْ مَتَّعْتُكُمْ بِمَتْنٍ قَلِيلٍ وَإِنْ تَصْبِرُوا سَاعَةً يُقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نَصَبْتُمْ سِجَّةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَكُلُوا لَوْلَا الْقَوْمُ لَا يَكْفُرُونَ لَقَدْ جَاءَهُمْ هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ فَمُبْتَلًى قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

كان المؤمنين في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النسيب وكانوا مأمورين بمواصلة القتال مع أعدائهم ، وكانوا مأمورين بالصدق والنفوس للشركين والصبر إلى حين وكانوا يشترقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشقوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك منسباً لأسباب كثيرة منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم ، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض فليكن الأمر بالقتال فيه ابتداءً كما قال فلها لم يؤمر بالجهاد إلا بالبلدية لما صارت لهم دار ومنعة وأمن ، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفاً عظيماً (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) أى لولا أخرت فرسه إلى مدة أخرى فإن فيك سفك الدماء ، ويتم الأولاد ، وتأييد النساء ، وهذه الآية كقوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فلما أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) الآيات : قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن عبد العزيز عن أبي زرعة وعلى بن ربيعة قال : حدثنا علي بن الحسن بن الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة

عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يا نبي الله: كنا في عزة ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أدلة قال «إني أمرت بالغو فلا تخافوا القوم» فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا فأنزل الله (لم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية ورواه النسائي والحاكم وابن مردويه من حديث طي بن الحسن ابن شقيق به وقال أسباط عن السدي لم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة، فسألوا الله أن يرض عنهم القاتل فلما فرض عليهم القتال (إنما فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) وهو اللوث قال الله تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) وقال مجاهد: إن هذه الآية نزلت في اليهود رواء ابن جرير وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أي آخرة التقي خير من دنياه (ولا تظلمون شيئاً) أي من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء، وهذه تسلي لهم عن الدنيا وترغيب لهم في الآخرة وتحريض لهم على الجهاد. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن هشام قال: قرأ الحسن (قل متاع الدنيا قليل) قال: رحم الله عبداً صحباً على حسب ذلك وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم اتعبه. وقال ابن معين كان أبو مسهر ينشد:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له * من الله في حمار اللقاص نصيب
فلئن تصبب الدنيا رجالاً فلها * متاع قليل والزوال قريب

وقوله تعالى (أيا تكونوا يدرككم اللوث ولو كنتم في بروج مشيدة) أي أتم صائرون إلى اللوث لإبعاله ولا ينجمونه أحد منكم كما قال تعالى (كل من عليها فان) الآية، وقال تعالى (كل شئ ذائقة للوثة) وقال تعالى (وما جئناكم بشر من قبلك الخلد) والمقصود أن كل أحد سائر إلى اللوث لإبعاله، ولا ينجمه من ذلك شئ سواء جاهد أو لم يجاهد فإنه أبعاله محتوماً، ومقاماً مقسوماً كما قال خالد بن الوليد حين جاءه اللوث على فراشه فندشده كذا وكذا موقفاً، ومانعاً من أعضاء إلا وفيه جرح من طعنه أو رمية بها أن أموت على فراشي فلا تاتى أعين الجبناء وقوله (ولو كنتم في بروج مشيدة) أي حصينة منيعة عالية رقيقة، وقيل هي بروج في السماء قاله السدي وهو ضعيف والصحيح أنها المنعة أي لا يخفى حذرنا ونحس من اللوث كما قال زهير بن أبي سلمى ومن هاب أسباب اللثايا ينلته * ولو رام أسباب السماء يسلم

ثم قيل المشيدة هي المشيدة كقالب وقصر مشيد، وقيل بل بينهما فرق وهو أن المشيدة بالتشديد هي المطولة، وبالتخفيف هي للزينة بالشيد وهو الجس. وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم هنا حكاية مطولة من مجاهد أنه ذكر أن امرأة فيمن كان قبلنا أخذها الطلق فأمرت أجيرها أن يأتيها بنار فخرج فلذا هو برجل واقف على الباب فثابتاً ولدت المرأة فقال جارية فقال أماناً سترني بمائة رجل ثم يتزوجها أجيرها ويكون موتها بالتمكيوت. قال فكر رجلاً فبجس بطن الجارية بتسكين فشقته ثم ذهب هارباً وظن أنها قد ماتت فضاظلت أمها بطنها فبرقت وعشبت وترعرت ونشأت أحسن امرأة يلدتها فذهب ذاك الأجير ما ذهب ودخل البعور فالتقى أموالاً جزية ثم رجع إلى بلده وأراد التزوج فقال لبعور أريد أن أتزوج بأحسن امرأة بهذه البلدة فقالت ليس هنا أحسن من فلاة فقال اخطفها على فنهب إليها فأجابته فدخل بها فاجتبت إعجاباً بشديداً فسأته عن أمره ومن أين مقدمة فأخبرها خبره وما كان من أمره في الجارية فقالت أنا هي وأمره مكان السكين فتعقق ذلك فقال لئن كنت إياها فلقد أخبرني بالثنتين لا بينهما (أحدهما) أنك قد تزيت بمائة رجل فقالت لقد كان شئ من ذلك ولكن لا أدري ما عدهم فقال هم مائة (والثاني) أنك تموتين بالتمكيوت فاختلما قصراً منيماها فقال لرجل من ذلك فانيما هو ما فلذا بالتمكيوت في السقف فأراها إياها فقالت أهنه التي تحنرها على والله لا يقتلها إلا أنا فأنزلوها من السقف فصدت إليها فوطئتها بإيهام رجلها فقتلتها فطار من معها شئ فوقع بين ظفرها ولسانها واسودت رجلها فكان في ذلك أجلاً فماتت وتذكر هنا قصة صاحب الحضر وهو الساطرون لما احتال عليه سابور حتى حصره فيه وقتل من فيه بعد محاصرة ستين وقالت العرب في ذلك أشعرا منها: وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج * له نجى إليه والحاوور

شاده مرمرًا وجله كل * سا فلطير في ذراه وكور * لم تبه أيدي اللون فباد * حلاك عنه فباه مهجور

ولما دخل على عثمان جمل يقول : اللهم اجمع أمة محمد ثم تخطى يقول الشاعر :

أرى لوت لا يلقى عزيزاً ولم يدع • لعاد ملائفاً في البلاد ومربها

بيت أهل الحصن والحصن منلق • وبأى الجبال في شاربها معا

قال ابن هشام وكان كسرى ساور ذوالاً كثاف قتل الساطرون ملك الحضرم وقال ابن هشام إن الذي قتل صاحب الحضرم ساور بن أرشيد بن بريك أول ملوك بني سلسان وأخذ ملوك الطوائف وورث ذلك إلى الأبد كسرة نأما ساور ذوالاً كثاف فهو من بعد ذلك بزمان طويل والله أعلم. ذكره السهيلي قال ابن هشام قصصه ستين وذلك لأنه كان أغار على بلاد ساور في غيبته وهو في العراق وأشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت إلى ساور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت والؤلؤ فلست إليه أن تزوجني إن تحت لك باب الحصن فقال نعم : فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت إلا سكران فأخذت مغابيح باب الحصن من تحت رأسه فبعت بهامع مولى لها فتفتحت الباب وقال لهم على طلسم كان في الحصن لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء فتضرب جلاها ببعض جارية بكرزقاء ثم ترسل فإذا وقت على سور الحصن سقط ذلك فتفتحت الباب فدخل ذلك فدخل ساور فقتل ساطرون واستباح الحصن وخربه وسار بهامع وتزوجها فبنيها على فراشها إلى أن جعلت تملأ لا تنام فدخلها بالشمع فتفتش فراشها فوجد فيه مورة آسن فقال لها ساور هذا الذي أسهرك فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت كان يفرش لي إلى ديباج ويلبسون الحرير ، ويطعمونني اللع ويسقيونني الخمر قال الطبري كان يطعمني اللع والزبد ، وشهدا بكفر النحل ، وسفوا المحرود ذكر أنه كان يرى مخصاتها قال فكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟ أنت إلى بلدك أسرع ثم أمر بها فربطت قرونها أسما بذيئ فرس فركن الفرس حتى قتلها وفيه يقول عدى بن زيد العبادي أياها المشهورة السائرة أياها الشامت للغير بالده • رأ أنت للبرأ الوفور

أم لديك العهد الوثيق من الأ • أم بل أنت جاهل مغرور • من رأيت النون خلد أم من ذاعليه من أن يضام خضير • أين كسرى كسرى ملوك أنوش • وإن أم أين قبله ساور وبنو الأصفر الكرام ملوك ال • روم لم يبق منهم مذكور • وأخو الحضرم إذ بهاء وإذ دج • نجى إليه والحايور • شاده ممرراً وجلله كل • ما فلطير في ذراه وكور لم يبه ريب النون فباد ال • ملك عنه قبا به مجبور • وتذ كروب الخورنق إذ شر رف يوما وللهدى شكير • سره ماله وكثرة مائه • لك والبحر معرماً والسدير فارعوى قلبه وقال فما غر • طه حتى إلى اللعات يصير • ثم أضحوا كأنهم ورق جف قالوت به السبا والديور • ثم بعد القلاح ولللك والأ • ة وإرتهم هناك القبور

وقوله (وإن تصبهم حسنة) أي خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك هذا معنى قول ابن عباس وأبي العالية والسدي (يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة) أي قحط وجذب وقص في الثمار والزروع أوموت أولاد أو تبتاع أو غير ذلك كما يقول أبو العالية والسدي (يقولوا هذه من عندك) أي من قبلك وبسبب اتباعك واتقانا بدينك كما قال تعالى في قوم فرعون (فلما جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه) وإن تصبهم سيئة يطروا بن موسى ومن معه) وكما قال تعالى (ومن الناس من يبد الله على حرف) الآية وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر ولهذا إذا أسألهم شر إنعاستونه إلى اتباعهم فلي صلى الله عليه وسلم وقال السدي وإن تصبهم حسنة قالوا والحسنة الحسب تتجج مواشهم وخيولهم ومغن حاتم وتلد نساقم القنان قالوا (هذه من عند الله) وإن تصبهم سيئة) والسيئة الجذب والضرر في أموالهم تتألموا بمحمد ﷺ وقالوا (هذه من عندك) يقولون بتركنا ديننا واتباعنا محمداً أسأبنا هذا البلاه فأنزله الله عز وجل (قل كل من عند الله) قوله : قل كل من عند الله أي الجميع قضاء الله وقدره وهو نافذ في البر والتاجر والمؤمن والكافر قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : قل كل من عند الله أي الحسنة والسيئة وكذا قال الحسن البصري ثم قال تعالى منسكراً على هؤلاء القائلين هذه للقالة السائرة عن شك ورب ، وقلة فهم وعلم وكثرة جهل وظلم (فالهؤلاء القوم

لا يكادون يفقهون حديثاً) ذكر حديث غريب يتعلق بقوله تعالى (قل كل من عند الله) قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا السكن بن سعيد حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا إسماعيل بن حماد عن مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فأتى أبو بكر وعمر في قتيبن من الناس وقد أرغضت أوصاتهما فجلس أبو بكر قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم وجلس عمر قريباً من أبي بكر فقال رسول الله ﷺ « لم أرغضت أوصاتكما » فقال رجل يا رسول الله قال أبو بكر الحسنات من الله والسيئات من أئمتنا ، فقال رسول الله ﷺ « لما قلت يا عمر » فقال : قلت الحسنات والسيئات من الله قال رسول الله ﷺ « إن أول من تكلم فيه جبريل وميكائيل فقال ميكائيل مقاتلك يا أبا بكر . وقال جبريل مقاتلك يا عمر » فقال « فيخلف أهل السماء وإن يختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض فتعاجلوا إلى إسرائيل قضى بينهم إن الحسنات والسيئات من الله . ثم أتى على أبي بكر . وعمر فقال « احفظا قضائي بينكما ، لو أراد الله أن لا يصي لما خلق إبليس » قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية هذا حديث موضوع غثلق بائق أهل المعرفة . ثم قال تعالى عذاباً لرسوله ﷺ وللمراد جنس الإنسان ليحصل الجواب (ما أصابك من حسنة فمن الله) أي من فضل الله ومنه ولطفه ورحمته (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي فمن قبلك ، ومن عملك أنت كما قال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويسفع عن كثير) قال السدي والحسن البصري وابن جريج وابن زيد (فمن نفسك) أي بذنبك وقال قتادة في الآية (فمن نفسك) عقوبة لك يا ابن آدم بذنبك . قالوا ذكرنا أن النبي ﷺ قال « لا يصيب رجلاً خدش عود ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يفوقه أكثر » وهذا الذي أرسله قتادة قد روي متصل في الصحيح « والذي قضى بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ، ولا نصب حق الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بهامن خطايه » وقال أبو صالح « (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي بذنبك وأنا الذي قدرتها عليك رواه ابن جرير ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن حمار حدثنا سهل بن بكر حدثنا الأسود بن شيبان حدثني عتبة بن واصل ابن أخي مطرف عن مطرف بن عبيد الله قال : ما نرى من القدر أماتكم فيكم الآية التي في سورة النساء (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) أي من نفسك والله ما وكلوا إلى القدر وقد أمروا وأليه سيرون ؛ وهذا كلام متين قوي في الرد على القدرية والجبرية أيضاً . وليسطه موضع آخر . وقوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) أي تبليهم شرائع الله وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه (وكفى بالله شهيداً) أي على أنه أرسلك وهو شهيد أيضاً بينك وبينهم ، وعالم بما تبليهم إياه وما يردون عليك من الحق كفرأ وعناداً

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا • وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَالَّذِي يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله » ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ، ومن عصى الأمير فقد عصاني وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن الأعمش به . وقوله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفِظاً) أي ما عليك منه إن عليك إلا البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا وكان لك من الأجر نظير ما حصل له ، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء كما جاء في الحديث « من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا

نفسه « وقوله (وقولون طاعة) غير تعالى عن الناقين بأنهم يظهرون الواقة والطاعة (إذا برزوا من عندك) أي خرجوا وتواروا عنك (بیت طاعة منهم غير الذي تقول) أي استروا والبالغا بينهم بغير ما أظهروا لك قال تعالى (والله يكتب ما يتنون) أي يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظه الكاتبين الذين هم موكلون بالباد ، والحق في هذا التهديد أنه تعالى غير بأنه عالم بما يسمرونه ويسرونه فيما بينهم وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وعصائه وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والواقة ، وسيجزئهم على ذلك كما قال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) الآية ، وقوله (فأعرض عنهم) أي اصفح عنهم واحمل عليهم ولا تؤاخذهم ، ولا تكشف أمورهم للناس ، ولا تخف منهم أيضا (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا) أي كفى به ولياً وتاصراً ومعيناً لمن توكل عليه وأتاب إليه

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَّانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ آتُوفٍ أَدَّاعُوا بِهِ وَكَوَّذُوهُ إِلَى الْرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يَسْتَبْطِنُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

يقول تعالى أمرهم بتدبر القرآن ونالها لم عن الاعراض عنه وعن فهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ، ومخيراً لم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ، ولا تناقض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ، ولهذا قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن على قلب اقتضاه) ثم قال (ولو كان من عند غير الله) أي لو كان مقشلاً مختلفاً ، كما يقوله من يقول من جهة للمشركين وللناقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلاف ، أي اضطراباً وتضاداً كثيراً ، أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى مخيراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا (آتينا به كل من عند ربنا) أي حكمه ومشابهه حق ، فلماذا ردوا للتشابه إلى الحكم فاهتدوا ، والذين في قلوبهم زيغ قلوبهم ردوا الحكم إلى التشابه فقروا ، ولهذا منح تعالى الراسخين وذم الزائعين ، قال الإمام أحمد : حدثنا أنس بن عياض حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو حازم حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قد جلست أنا وأخي جلساً أحب أن لي به نحر النمل أقبلت أنا وأخي وإذا مشيختم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب من أبوابه فكرهنا أن نشرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتباروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مضجاً حتى احمر وجهه يرمهم بالقراب ويقول : « مهلاً يا قوم بهذا أهلكتم الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضرهم الكتب بعضها يعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً ، إنما نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرقت منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى طالع » وهكذا رواه أيضاً عن أبي معاوية عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر فكأنما يبقا في وجهه حب الزمان من الغضب فقال لهم « ما لكم تفترون كتاب الله بعضه يعض بعض هذا هلك من كان قبلكم » قال فما غبغت نفسي يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أشعده ما غبغت نفسي بذلك المجلس إلى لم أشعده ورواه ابن ماجه من حديث داود بن أبي هند بن نعيم . وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا محمد بن زيد عن أبي عمران الجوني قال : كتب إلى عبد الله بن رباح يحدث عن عبد الله بن عمرو قال : هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأتانا لجلس إذ اختلف اثنان في آية فارتفعت أصواتهما فقال « إنما هلكت الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب » ورواه مسلم والنسائي من حديث محمد بن زيد ، وقوله (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو آتوفٍ أَدَّاعُوا بِهِ) (إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحقيقها فيجرب بها ويفسها ويضمرها ، وقد لا يكون لها صفة . وقد قال مسلم في مقدمة صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن حفص حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع) وكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه عن محمد بن الحسين بن

اشكاف عن علي بن حفص عن شعبة مستندا ، ورواه مسلم أيضا من حديث معاذ بن هشام الضبري وعبد الرحمن بن مهيدي وأخرجه أبو داود أيضا من حديث حفص بن عمرو النخعي ثلاثتهم عن شعبة عن حبيب عن حفص بن عاصم به مرسل وفي الصحيحين عن الثوري بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال أي الذي يكثر من الحديث مما يقول الناس من غير تثبت ، ولا تدمير ، ولا تبين وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بش مطية الرجل زعموا » وفي الصحيح « من حدث يحدث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ولنذكر هنا حديث عمر بن الخطاب التثقي على صحته حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فجهاد من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك فلم يصبر حتى استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فاستنهمه أطلقت نساءه ؟ فقال « لا » فقلت الله أكبر وذكر الحديث بطوله . وعند مسلم قلت : أطلقتين فقال « لا » فقلت على باب المسجد فتأديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه ونزلت هذه الآية (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لمعه الله الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ومعنى يستنبطونه أي يستخرجونه من معادته يقال استنبط الرجل العين إذا خفرها واستخرجها من قورها وقوله (لا تبتم الشيطان إلا قليلا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني للمؤمنين وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (لا تبتم الشيطان إلا قليلا) يعني كلهم واستشهد من نصر هذا القول يقول الطرماح بن حكيم في مدح يزيد بن المهلب أتم نعمتي كثير النوادي • قليل اللثاب والقادحة

يعني لا مثالبه ولا قادهقية

﴿ قَتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفَلْ إِلَّا نَفْسَكَ وَخَرَسَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسْمَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسْمَاءَ تَنْكِيلًا ۖ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا وَفَى شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِمَّا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُتَّقِنًا ۖ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَيُؤَاخِطُكُمْ بِأَحْسَنِ مَا فِي أَرْبَابِهِمْ فَإِنْ كَانُوا مِنْكُمْ فَاقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۚ وَإِنْ كَانُوا مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِ بِكُمُ إِلَهُ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۚ ﴾

يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يياشر القتال بنفسه ومن نكل عنه فلا عليه منه ولهذا قال (لا تكلف إلا نفسك) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عمرو بن نبيس حدثنا حكام حدثنا الجراح الكندي عن أبي إسحق قال سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى المائة من العدو فيقاتل فيكون ممن قال الله فيه (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال : قد قال الله تعالى لئيبه فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين) ورواه الإمام أحمد عن سلمان بن داود عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحق قال : قلت للبراء بن عازب عن أبي إسحق عن أبيه أنه قال : لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين) وقال (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) إنما ذلك في النفقة وكذا زواجه من مردويه من طريق أبي بكر بن عياش وعلى بن صالح عن أبي إسحق عن البراء بهتم قال ابن مردويه حدثنا سلمان بن أحمد حدثنا أحمد بن الزهر المصكري حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الحرثي حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحق عن البراء قال : لما نزلت على النبي ﷺ (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين) الآية قال لأصحابه « قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا » حديث غريب وقوله (وحرص المؤمنين) أي على القتال ورضهم فيه وشجعهم عليه كما قال لم ﷺ يوم بدر وهو يسوي الصفوف « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك ، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، حافظ حقا على أن الله يبدخه

الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » قالوا يا رسول الله أفلا ينشر الناس بذلك ؟ فقال « إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ؛ فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ؛ وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تخرج أنهار الجنة » وروى من حديث عبادة ومعاذ وأبي السرداء نحو ذلك . وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال يا أبا سعيد من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولا ونبياً وجبت له الجنة » قال فضيب لها أبو سعيد فقال : أعدتها على رسول الله فعلتم ثم قال : رسول الله ﷺ « وأخرى يرفع الله العبد بها مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » قال وماهى يا رسول الله ؟ قال « الجهاد في سبيل الله » رواه مسلم . وقوله (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أى بتحريرك إياهم على القتال تنبئهم على منازعة الأعداء . ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله . ومقاومتهم ومما يرتبهم . وقوله تعالى (والله أعد بأساً وأشد تنكيلاً) أى هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلا يبشركم بئس) الآية . وقوله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أى من يسمى في أمر فيقرب عليه خير كان له نصيب من ذلك (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذى ترتب على سعيه ونيتته كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « اغفواوا أجروا » ويقضى الله على لسان نبيه ملاءمة . وقال مجاهد بن جبر : نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض . وقال الحسن البصري قال الله تعالى (من يشفع) ولم يقل من يشفع ، وقوله (وكان الله على كل شئ مقتباً) قال ابن عباس وعطاء وعطية وقائدة ومطر الوراق (مقتباً) أى حفيظاً . وقال مجاهد شهيداً . وفي رواية عنه حسياً . وقال سعيد بن جبير والسدي وابن زيد قديراً ، وقال عبد الله بن كثير : لقيت للواظب . وقال الضحاك : لقيت الرزاق وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا عبد الرحمن بن مطرف حدثنا عيسى بن يونس عن إسحاق بن عبد الله بن رباح عن رجل عن عبد الله بن رباح عن رجل عن قول الله تعالى (وكان الله على كل شئ مقتباً) قال مقتب لى لكل إنسان بقدر عمله . وقوله (وإذا حيئتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى إذا سلم عليكم السلم فردوا عليه أفضل مما سلم ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم فالزيادة مندوبة ، والمثلثة مفروضة . قال ابن جرير حدثنا موسى بن سهل الرملى حدثنا عبد الله بن السرى الأنطاكي حدثنا هشام بن لاحق عن عاصم الأحول عن أبي عثمان الهذلي عن سلمان الفارسي قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله فقال « وعليك السلام ورحمة الله » ثم جاء آخر فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ؟ فقال له رسول الله ﷺ « وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » ثم جاء آخر فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال له « وعليك » فقال له الرجل : يابني الله بأبي أنت وأمي أمالك فلان وفلان فسلمنا عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت على . فقال « إنك لم تدع لنا شيئاً قال الله تعالى (وإذا حيئتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فردناها عليك » وهكذا رواه ابن أبي حاتم معلقاً فقال : ذكر عن أحمد بن الحسن والترمذي حدثنا عبد الله بن أبي أبو محمد الأنطاكي قال أبو الحسن وكان رجلاً صالحاً حدثنا هشام بن لاحق قد كرر إسناداه مثله ، ورواه أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الباقي بن قانع حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو حنبل حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان قد كرر مثله ولم يره في السند والله أعلم . وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فلو شئتم أكثر من ذلك لزيد رسول الله ﷺ ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان بن عيينة عن ابن عمر بن الخطاب عن عوف عن أبي رجاء الطماردي عن عمران بن حصين أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام عليكم يا رسول الله فرد عليه ثم جلس فقال « عشر » ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه ثم جلس فقال « عشرون » ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه . ثم جلس فقال « ثلاثون » وكذا رواه أبو داود عن محمد بن كثير ، وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديثه . ثم قال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه . وفي الباب عن أبي سعيد وعلى وسهل بن خنيف وقال البزار : قد روى هذا عن النبي ﷺ من وجوه هذا أحسن إسناداً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن حرب الواسطي حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن سالم عن عكرمة عن ابن عباس قال لعن ستم عليك من خلق الله فارد عليه وإن كان مجوسيا ذلك بأن الله يقول فغوا بأحسن منها أو ردوها وقال قتادة فغوا بأحسن منها يعني للمسلمين أو ردوها يعني لأهل الأمة وهذا التنزيل فيه نظر كما تقدم في الحديث من أن المراد أن يرد بأحسن عما جاء به لأن بلغ السلم غاية مشرع في السلام رد عليه مثل ما قال فأما أهل السنة فلا يبدون بالسلام ولا يردون بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال إذا سلم عليكم اليهود فلما يقول أحدهم السلام عليكم قتل عليكم في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتهم في طريق فاضطروهم إلى أضيته» وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن البصري قال السلام تطوع والرد فريضة وهذا الذي قاله هو قول العلماء قاطبة أن الرد واجب على من سلم عليه فيأثم إن لم يفعل لأنه خالف أمر الله في قوله فغوا بأحسن منها أو ردوها وقد جاء في الحديث الذي رواه ^(١) [أبو داود بسنده إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»] وقوله الله لا إله إلا هو إخبار بتوحيده ونفردية الألوهية لجميع الخلق وتضمن قضا قوله (ليجسمكم إلى يوم القيامة لا رب فيه) وهذه الآية موطنه لقسمة قوله الله لا إله إلا هو خبر وقسم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى (ومن أصدق من الله حديثاً) أي لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره وعنده وعنده فلا إله إلا هو ولا رب سواه

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُؤْمِنِينَ فَتْنًا يَا كَسِبُوا أَنْ تُرِيدُوا أَنْ تَهْذُوا مِنْ أَصْلِ اللَّهِ وَتَكْفُرُوا بِآيَاتِهِ خَتَّى يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَضُودُكُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِيْلًا وَلَا نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْإِيمَانَ مِنْكُمْ وَيُخَيِّمُونَ أَوْ جَاهِدُكُمْ حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَوَدَّ اللَّهُ لَسَلْطَنِهِمْ عَلَيْكُمْ فَفَقَتَلُوكُمْ فَإِنْ امْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقُرْآنَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝ سَتَجِدُونَ عَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا وَيَأْمُنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يُعْتَزَلْ لَكُمْ وَبَقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَبَكْتُوا أَيْدِيَهُمْ فَضُودُكُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَضُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَبَلْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا مُبِينًا﴾

يقول تعالى منكرنا على المؤمنين في اختلافهم في المناققين على قولين : واختلف في سبب ذلك فقال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا شعبة قال عدى بن ثابت أخبرني عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم فرقتين فرقة تقول قتلهم وفرقة تقول لا ، هم المؤمنون فأنزل الله (فما لكم في المناققين فتنة) فقال رسول الله ﷺ «إنما طيبة وإنها تبقى الحث كما بنى الكبر حيث الحديث» أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة وقد ذكر محمد بن إسحق بن يسار في قصة أحد أن عبد الله بن أبي بن سلول رجع يومئذ بثلاث الجيش رجع بثلاثة وبقى النبي ﷺ في سببالة وقال العوفي عن ابن عباس نزلت في قوم كانوا بمكة قد تسكروا بالإسلام وكانوا يظهرون للشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقتلوا إن قينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس وإن المؤمنين لا أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فتنة من المؤمنين أركبوا إلى الجبناء فقتلهم فانهم يظهرون

(١) هنا يشار بالأصل ، وما بين القوسين ثابت في بعض النسخ فليراجع لفظ الحديث في الترغيب والترهيب للشاطب النذري .

عليكم عدوكم وقالت فئة أخرى من المؤمنين سبحان الله أو كما قالوا اقتتلون قوما قد تكلموا به مثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم نستحل دماءهم وأموالهم فكانوا كذلك فتبين والرسول عندهم لا ينهي واحدا من الفريقين عن شيء فنزلت (فألم لكم في المنافقين فئتين) رواه ابن أبي حاتم وقد روى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم قريب من هذا وقال زيد بن أسلم عن ابن سعد بن معاذ أنها نزلت في تناول الأوس والخزرج في شأن عبد الله بن أبي حنيفة استند منه رسول الله ﷺ على الثبر في قضية الألف وهذا غريب وقيل غير ذلك وقوله تعالى (والله أركمهم بما كسبوا) أي ردمهم وأوقهم في الخطأ قال ابن عباس (أركمهم) أي أوقهم وقال قتادة أهلكتهم وقال السدي أضلهم وقوله (بما كسبوا) أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل (أريدون أن يهدوا من أضل الله ممن يضل الله فلن نجد له سبيلا) أي لا طريق له إلى الهدى ولا مخلص له إليه وقوله (ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء) أي هم يودون لكم الضلالة لتستروا أثم وإياهم فيها وما ذاك إلا لشدت عداوتهم وبغضهم لكم ولهذا قال (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا) أي تركوا الهجرة قاله العوفي عن ابن عباس وقال السدي أظهروا كفرهم (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) أي لا تتوالوهم ولا تستصروا بهم على أعداء الله ما داموا كذلك ثم استثنى الله من هؤلاء فقال (إلا الذين يسلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي إلا الذين يلجأوا ويخبروا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد فاجلوا حكمهم كحكمهم وهذا قول السدي وابن زيد وابن جرير وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جعدان عن الحسن أن سراقه بن مالك اللدلي حدثهم قالما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حوله قال سراقه بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدليخ فأتيتهم فقلت أنشدكم النعمة فقالوا صه فقال النبي ﷺ «دعوه» ما تريد» قال بلغني أنك تريد أن تبتدئ إلى قومي وأنا أريد أن تودعهم فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام وإن لم يسلموا تخشع قلوب قومك عليهم فاخذ رسول الله ﷺ بيد خالد بن الوليد فقال «أذهب معه فاقبل ما يريد» فصالحهم خالد على أن لا يمينوا على رسول الله ﷺ وإن أسلمت قريش أسلموا معهم فأنزل الله (ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) ورواه ابن مردويه من طريق حماد بن سلمة وقال فأنزل الله (إلا الذين يسلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم وهذا أنسب لسياق الكلام وفي صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم ومن أحب أن يدخل في صلح محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعهدهم. وقد روى عن ابن عباس أنه قال نسختها قوله (فلذا أنسلخ الأظهر الحرم فاقاتوا للمشركين حيث وجدتموهم) الآية وقوله (أوجاءكم حصرت صدورهم) الآية هؤلاء قوم آخرون من المشركين من الأمر بقتلهم وهم الذين يغيثون إلى المصاف وهم حصرة صدورهم أي شقية صدورهم مبغضين أن يقاتلوك، ولا يكون عليهم أيضا أن يقاتلوا قومهم منكبل بهم لا لكم ولا عليكم (ولو شاء الله لسطهم عليكم فقتلواكم) أي من لطفه بهم أن كفهم عنكم (فإن اعتزلوكم فألقوا إليكم السلم) أي السالة (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أي فليس لكم أن تقاتلوهم مادامت حلهم كذلك وهؤلاء كالجاعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين فحضروا القتال وهم كارهون كاللباس ونحوه ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره وقوله (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) الآية هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن يقدمهم ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك فإن هؤلاء قوم منافقون يظهرون لئبي ﷺ ولأصحابه الإسلام ليأمنوا بذلك عندهم على مათهم وأموالهم وذرائعهم ويسألون الكفار في الباطن فيعبدون معهم ما يعبدون ليأمنوا بذلك عندهم وهم في الباطن مع أولئك كما قال تعالى (وإذا خلا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) الآية وقال ههنا (كلا ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها) أي انهكموا فيها وقال السدي الفتنة ههنا الشرك. وحكى ابن جرير عن مجاهد أنها نزلت في قوم من أهل مكة كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون رياء ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا فأمر بقتلهم إن لم يعتزلوا واصلحوا ولهذا قال تعالى (فإن

لم يتزلوا ولم يلقوا إليكم السلم) للهادنة والصلح (ويكفوا أيديهم) أي عن القتال (فخضوهم) أسراء (واقبلوهم حيث تقتضوهم) أي أين يستمومهم (وأولكم) - لعلنا لكم عليهم سلطاناً ميبناً (أي بينا واضحا

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَبْغِيكُمْ وَيَبْغِيكُمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَتَنْ لَمْ يَجِدْ قَضِيًّا شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)

يقول تعالى ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « لا يخل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إلا إحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والشيء الزانى والتارك لدينه المفارق للجماعة » ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من أحاد الرعية أن يقتله وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه وقوله (إلا خطأ) قالوا هو استثناء منقطع كقول الشاعر :

من البيض لم تظنن بيدياً ولم تظن * على الأرض إلا ربط بردمرحل

ولهذا شواهد كثيرة واختلف في سبب نزول هذه فقال مجاهد وغير واحد نزلت في عياض بن أبي ربيعة أخى أبي جهل لأنه وهى أمه بنت مخزومة وذلك أنه قتل رجلاً يذب مع أخيه على الإسلام وهو الحارث بن زيد التامى فاضمر له عياض السوء فأسلم ذلك الرجل وهاجر وعياض لا يشعر فلما كان يوم الفتح رآه فظن أنه على دينه فحمل عليه فقتله فأنزله الله هذه الآية قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : نزلت فى أبى العرداء لأنه قتل رجلاً وقد قال كلمة الإيمان حين رفع عليه السيف فأهوى به إليه فقال كفته فلما ذكر ذلك لنبى صلى الله عليه وسلم قال إنما قالها متعوضاً فقال له هل شققت عن قلبه وهذه القصة فى الصحيح لغير أبى العرداء وقوله (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقية مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله) هذان واجبان فى قتل الخطأ أحدهما الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأ ومن شرطها أن تكون عتق رقية مؤمنة فلا تجزئ الكفارة ؛ وحكى ابن جرير عن ابن عباس والشعبي وإبراهيم النخعي والحسن البصرى أنهم قالوا لا تجزئ الصغير حتى يكون قاصداً للإيمان وروى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال فى مصحف أبى فتحير رقية مؤمنة لا تجزئ فيها صبى واختار ابن جرير أنه إن كان مولوداً بين أبوين مسلمين أجزأ وإلا فلا والذى عليه الجمهور أنه متى كان مسلماً صح عتقه عن الكفارة سواء كان صغيراً أو كبيراً قال الإمام أحمد بن حنبل أن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن رجل من الأنصار أنه جاء بأسموداء فقال يا رسول الله إن على عتق رقية مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها فقال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنتهدين أن لا إله إلا الله » قالت نعم . قال : « أنتهدين أبى رسول الله » ؟ قالت نعم قال « أنتهدين بالبت بعد الموت » قالت نعم قال « أعتقتها » وهذا الإسناد صحيح وجهالة الصحابي لا قسره . وفى موطأ مالك ومسنند الشافعى وأحمد وصحيح مسلم وسنن أبى داود والنسائى من طريق هلال بن أبى ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم أنه لما جاء بتلك الجارية السوداء قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أين الله » قالت فى السماء قال « من أنا » قالت رسول الله ﷺ قال « أعتقتها » فأتها مؤمنة » وقوله (ودية مسلمة إلى أهله) هو الواجب الثانى فيما بين القاتل وأهل القتل عوضاً لهم عما قتلهم من قتلهم وهذه الدية إنما تجب أخماساً كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث المجاج بن أرطاة عن زيد بن جبير عن خشف

ابن مالك عن ابن مسعود قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دية الخطأ عشرين بنت غناض وعشرين بنى غناض ذكورا وعشرين بنت لبون وعشرين جذعة وعشرين حقة . فلفق النسائي قال الترمذي لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وقد روى عن عبد الله موقوفا كما روى عن علي وطائفة وقيل يجب أربعة وهذه الدية إنما يجب على عاقلة القاتل لا على ماله قال الشافعي رحمه الله لم أعلم خالفنا أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة وهو أكثر من حديث الحامصة . وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في غير ما حديث فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال أقتلت امرأة من هذيل فرمت إحداها الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقضى أن دية جنيها غرة عبد أو أمة وقضى بدية المرأة على عاقلتها وهذا يقتضى أن حكم عمدا لخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية لكن هذا يجب فيه الدية اثلاثا لشبهة العمد وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فنداهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلفنا فجاؤا يقولون سبأنا سبأنا فبذل خالد يقتلهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع بديده وقال « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » وبعث عليا فودى قتلاهم وما أنف من أموالهم حتى مبلغا الكلب وهذا الحديث يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال وقوله (إلا أن يصدقوا) أي يجب فيه الدية مسلة إلى أهله إلا أن يصدقوا بها فلا يجب وقوله (فإن كان من قوم عدولكم وهو مؤمن بتحرير رقبة مؤمنة) أي إذا كان القاتل مؤمنا ولكن أوليائه من الكفار أهل حرب فلا يدفع لهم وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لأخيه وقوله (وإن كان من قوم يبنكم وبينهم ميثاق) الآية أي فإن كان القاتل أوليائه أهل فمة أو هدنة فلهم دية تحيلهم فإن كان مؤمنا فدية كاملة وكذا إن كان كافرا أيضا عند طائفة من العلماء وقيل يجب في الكافر نصف دية المسلم وقيل ثلثا كما هو مفصل في كتاب الأحكام . ويجب أيضا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أي لا إظهار بينهما بل يسرد صومهما إلى آخرها فإن أفطر من غير عذر من مرض أو حياء أو شاس استأنف واخلفوا في السفر هل يقطع أم لا هل قولين وقوله (توبتم الله) وكان الله عليهما حكما) أي هذه توبة القاتل خطأ إذا لم يجد التوبة صام شهرين متتابعين واخلفوا فمن لم يستطيع الصيام هل يجب عليه إطعام ستين مسكنا كما في كفارة الظهار على قولين أحدهما نعم كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار وإنما لم يذكرها لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير فلا ياسب أن يذكر فيه الإطعام لما فيه من التسهيل والترخيص . والقول الثاني لا يسلط إلى الطعام لأنه لو كان واجبا لما أخر ياته عن وقت الحاجة (وكان الله عليا حكما) قد تقدم تخميره غير مرة . ثم لما بين تعالى حكم القاتل الخطأ شرع في بيان حكم القاتل الممد فقال (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) الآية وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يتناون النفس التي حرم الله إلا بالحق) الآية وقال تعالى (قل تمالوا أنتم ما حرم ربكم عليكم أن لا تكفروا به عينا) الآية ، والآيات والأحاديث في تحريم القاتل كثيرة جدا فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في السماء » وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود من رواية عمرو بن الوليد ابن عبدة للصري عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال المؤمن معنقا صالحا ما لم يصب دما حراما فلذا أصاب دما حراما بلغ (١) » وفي حديث آخر « لولا الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم » وفي الحديث الآخر « لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكرمهم الله في النار » وفي الحديث الآخر « من أمان على قتل للمسلم ولو بشرط كله جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله » وقد كان ابن عباس يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا . وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا الثوري بن النعمان قال سمعت ابن جبير قال اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت إلى ابن عباس فسأته عنها فقال نزلت هذه الآية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) هي آخر ما نزل وما نسخها شيء وكذا رواه هو أيضا ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة به ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي عن سفيان الثوري عن عوفية بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه

(١) معنقا : أي سمرقا في سببه ، و « بلغ » بالتخفيف والتشديد أي اطلع من الأعيان والرومن .

(جاء) فقال مانسختها شيء. وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا ابن عون حدثنا شعبة عن سعيد بن جبير قال: قال عبد الرحمن بن أبي سئال ابن عباس عن قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) الآية قال لم ينسخها شيء. وقال في هذه الآية (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) إلى آخرها قال نزلت في أهل الشرك. وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور حدثني سعيد بن جبير أوحىني الحكم عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) قال: إن الرجل إذا عافى الإسلام وشرائع الإسلام ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ولا توبة له. فذكرت ذلك لجاهد فقال لا إن ندم. حدثنا ابن حميد وابن وكيع قال حدثنا جرير عن عبي الجباري عن سالم بن أبي الجعد قال قال عند ابن عباس بعدما كف بصره فات رجل فناداه يا عبد الله بن عباس ماترى في رجل قتل مؤمنا متعمدا؟ فقال جزاؤه جهنم خالدا فيها ونفسه عليه ولونه وأعدله عدلا عظيما. قال أترأت إن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: شككت أمه وأتاني التوبة والهدى؟ والى نفس يده قد صمت نبيكم ﷺ يقول «شككت أمه أقاتل مؤمنا متعمدا جاد يوم القيامة أخذه يمينه أو يماله تشعب أوداجه من قبل عرش الرحمن بزم قاله بجاهه ويده الأخرى رأسه يقول يارب سل هذا فم قتلى». وأبى الذي نفس عبد الله يده لقد أنزلت هذه الآية فينا نسخنا من آية حق قبض نبيكم ﷺ وما نزل بعدها من يرهان. وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت يحيى بن الجيزي يحدث عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس أن رجلا أتى إليه فقال أترأت رجلا قتل رجلا عمدا؟ قال جزاؤه جهنم خالدا فيها الأيقال لقد نزلت من آخر منازل مانسختها شيء قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أترأت إن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال وأتى له بالتوبة وقد صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «شككت أمه رجل قتل رجلا متعمدا يحرم يوم القيامة أخذنا قاله يمينه أو يسارمه أو أخذنا رأسه يمينه أو بجاهه تشعب أوداجه دما من قبل العرش يقول يارب سل عبدك فم قتلى». وقد رواه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن الصبح عن سفيان بن عيينة عن عمار الشامي وعبي الجباري وثابت الحمالي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس فذكره. وقدرى هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة ونحن ذهب إلى أنه لا توبة من السلفاء الذين ثبت وأبوهريرة وعبد الله بن عمر وأبو سفيان بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقادة والفضلكم بن مزاحم قاله ابن أبي حاتم وفي الباب أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن مرويه الحافظ في تفسيره حدثنا علي بن أحمد حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي (ح) حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إبراهيم بن فهد قال حدثنا عبيد بن زياد حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن الأعمش عن أبي عمرو بن شريحيل يسأله عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال «يحرم للقتول متعمدا بجاهه يوم القيامة أخذنا رأسه يده الأخرى فيقول يارب سل هذا فم قتلى؟ قال فيقول قتلته لتكون الزكاة فيقول قاتلها قال ويحرم آخر متعمدا بجاهه فيقول يارب سل هذا فم قتلى؟ قال فيقول قتلته لتكون الزكاة فلان قال قاتلها ليست له يؤاخذ قال فيؤى في النار سبعين خريفاً». وقد رواه النسائي عن إبراهيم بن اليسر العوفي عن عمرو بن عامر عن معتمر بن سليمان به (حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أنس عن أبي إندريس قال سمعت معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «كل ذنب عصى الله أن يضره إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا» وكذا رواه النسائي عن محمد بن لثقي عن صفوان بن عيسى به. وقال ابن مرويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا سمويه حدثنا عبد الأعلى بن مسهر حدثنا صدقة بن خلف حدثنا خالد بن وهقان حدثنا ابن زكريا قال: سمعت أم الدرداء تقول سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل ذنب عصى الله أن يضره إلا من مات مشركا، أو من قتل مؤمنا متعمدا» وهذا غريب جدا من هذا الوجه. والحفوظ حديث معاوية للشمس قاله أعلم. ثم روى ابن مرويه من طريق قتيبة بن الوليد عن نافع بن يزيد حدثني ابن جبير الأنصاري عن داود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قتل مؤمنا متعمدا فقد كفر بالله عن رجل». وهذا حديث منكرا أيضا فاستند تكلم فيه جدا. قال الإمام أحمد حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حماد

قال : أتاني أبو العالية أنا وصاحب لي فقال لنا : هلمّا فأتنا أحب سناني ، وأوعى للحديث مني فانطلق بنا إلى بشر ابن حاصم فقال له أبو العالية حدث هؤلاء حديثك فقال : حدثنا عتبة بن مالك الأبي قال : بث رسول الله ﷺ سرية فآطرت على قوم فقدم القوم رجلاً فاتبعه رجل من السرية شاهراً سيفه . فقال الهادي من القوم إلى مسلم فلم ينظر فيها قال ، قال : فضر به فتلفته فبني الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيموتوا شهيداً ، فبلغ القاتل ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إذ قال القاتل . والله ما قال الذي قال إلا تمودا من القتل ، قال فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعن قومه من الناس وأخذ في خطبته ، ثم قال أيضاً يا رسول الله ما قال الذي قال إلا تمودا من القتل فأعرض عنه وعن قومه من الناس وأخذ في خطبته ثم لم يصبر حتى قال الثالث والله يا رسول الله ما قال الذي قال إلا تمودا من القتل ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف للسادة في وجهه فقال « إن الله أبي على من قتل مؤمناً ثلاثاً ورواه النسائي من حديث سليمان بن التيمرية والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلقها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل ، فإن تاب وأناب ، وخشع وخضع وعمل عملاً صالحاً بدل الله سيئاته حسنات ، وعوض القتل من ظلامته وأرضاه عن ظلامته قال الله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - إلى قوله إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) الآية وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على الشركين وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر ، وحتاج حمله إلى دليل والله أعلم . وقال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وفسق ونسك وغير ذلك كل من تاب أي من أي ذلك تاب الله عليه ، قال الله تعالى (إن الله لا يفرق بين شركه به ويفتر مادون ذلك لمن يشاء) فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها لتقوية الرجاء والله أعلم . وثبت في الصحيحين خبر الإسرا إلى الذي قتل مائة نفس ، ثم سأل حلالاً هل لي من توبة فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم أرشده إلى بلد يبعد الله فيه فهاجر إليه فبقيت في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة كما ذكرناه غير مرة ، وإذا كان هذا في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأحرى لأن الله وضع عنا الآثام والأغلل التي كانت عليهم ، وبث نبينا بالحنيفية السمحة . فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية . فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف هذا جزاءه إن جازاه ، وقد رواه ابن مردويه بإسناده مرفوعاً من طريق محمد بن جامع الطائري عن العلاء بن ريمون النخعي عن حجاج الأسود عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً ولكن لا يسع ، ومعنى هذه الصيغة أن هذا جزاءه إن جازى عليه ، وكذلك وعيد على ذنب لكن قد يكون كذلك معارض من أعمال سالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه على قول أصحاب الموازنة والاحتياط وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد والله أعلم بالصواب ويتقدير دخول القاتل في النار ، أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له ، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له سالحاً ينحو به فليس بمجند فيها أبداً ، بل الخلود هو للكسب الطويل وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان » وأما حديث معاوية « كل ذنب عسى الله أن يفره إلا الرجل يموت كافراً ، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » فسي للترجي فلما اتفق الترجي في هاتين الصورتين لا تنفي وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل لما ذكرناه من الآية وأما من مات كافراً فالنفس أن الله لا يفره له البتة ، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فانه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة ، ولكن لا بد من ردها إليهم ولا فرق بين القتل والمسرقة منه ، وللصواب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين ، فإن الإجماع منقاد على أنها لا تسقط بالتوبة ، ولكنه لا بد من ردها إليهم في صحالتهم وبغنائهم لتلزم ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة ، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع الجزاء ، إذ قد يكون لقاتل أعمال سالحة تصرف إلى القتل أو بعضها ، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة أو يموت الله للقتل بما يشاء من فضله من قصور اللجنة ونسيها ، ورفع درجته فيها ونحو ذلك والله أعلم ، ثم قاتل السعد الأحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة فأما في

الدنيا ففسلط أولياء القتل عليه ، قال الله تعالى (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) الآية ثم هم مخبرون بين أن يقتلوا ، أو ينفوا ، أو يأخذوا دية منظلة أئمتنا - ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة كما هو مقرر في كتاب الأحكام واختلف الأئمة هل يجب عليه كفارة عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام على أحد القولين كما تقدم في كفارة الخطأ على قولين فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون نعم يجب عليه لأنه إذا وجبت عليه الكفارة في الخطأ فلا بد أن يجب عليه في المدد أولى فطردوا هذا في كفارة الجبن القموس واعتدروا بقضاء الصلاة للتركة عمدا كما أجمعوا على ذلك في الخطأ . وقال أصحابه الإمام أحمد وآخرون : قتل المدد أعظم من أن يكفر فلا كفارة فيه وكذا الجبن القموس ولا سبيل لهم إلى الفرق بين هاتين الصورتين وبين الصلاة للتركة عمدا فانهم يقولون يوجب قضائها إذا تركت عمدا وقد احتج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل المدد بما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عامر بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك عن إبراهيم بن أبي عبل عن الترمذي عن عيسى عن واثلة بن الأسقع قال قال النبي ﷺ شر من بني سليم فقالوا إن صاحبنا قد أوجب قال « فليقتل رقبة يفدى الله بكل عضو منها عضوا منه من النار » وقال أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحق حدثنا ضمرة بن ربيعة عن إبراهيم بن أبي عبل عن الترمذي عن أبي عبل عن الترمذي عن واثلة بن الأسقع قال : أئمتنا واثلة بن الأسقع الذي قتلنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أئمتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار » وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبل به ولقظ أبي داود عن الترمذي عن أبي عبل عن واثلة بن الأسقع قال : حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فذهب فقال : إن أحدكم يقرأ ومعضه معلق في بيته فيزيد ويتقص ، قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ، قال أئمتنا رسول الله ﷺ في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتال فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَكِيمٌ كَذَلِكَ كُذِّبَ مَنْ قَبُلَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمْلِكُونَ خَيْرًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن أبي بكر وخلف بن الوليد وحسين بن محمد قالوا حدثنا إسرائيل عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ يرعى غنما له فسلم عليهم فقالوا لا يسلم علينا إلا ليعتد منا فمدوا إليه فتقوه وأتوا بشتمه النبي ﷺ فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا) إلى آخرها . ورواه الترمذي في التفسير عن عبيد بن حميد عن عبد العزيز بن أبي رزمة عن إسرائيل به ثم قال هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن أسامة بن زيد ورواه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل به ثم قال هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن جرير من حديث عبيد الله بن موسى وعبد الرحمن بن سليمان كلاهما عن إسرائيل به . وقال في بعض كتبه غير التفسير وقد رواه من طريق عبد الرحمن فقط وهذا خبر عندنا صحيح سند وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين مقبلا لعل منها أنه لا يعرف له مخرج عن ممالك إلا من هذا الوجه ، ومنها أن عكرمة في روايته عندهم نظر ، ومنا أن الذي نزل فيه هذه الآية عندهم مختلف فيه فقال بعضهم نزل في عمل ابن جاشع وقال بعضهم أسامة بن زيد وقيل : غير ذلك قلت وهذا كلام غريب وهو مردود من وجوه أحدها أنه ثابت عن ممالك حدث به عنه غير واحد من الأئمة الكبار الثاني أن عكرمة صحيح به في الصحيح الثالث أنه مروى عن غيره هذا الوجه عن ابن عباس كما قال البخاري حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) قال : قال ابن عباس كان رجل في غنيمة له فلقه المسلمون فقال السلام

عليكم قتلوه وأخذوا غنيمة فأنزله الله في ذلك (ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناً) قال ابن عباس عرض الله الدنيا تلك الفتيحة فقرأ ابن عباس (السلام) وقال سعيد بن منصور حدثنا منصور عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال لحق السلون رجلاً في غيمة له فقال السلام عليكم قتلوه وأخذوا غنيمة فنزلت (ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناً) وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق سفيان ابن عيينة به وقد (١) في ترجمة : أن أخاه فراراً هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر أبيه بإسلامهم وإسلام قومهم فلقية سرية رسول الله ﷺ في عماية الليل وكان قد قال لهم إنه مسلم فلم يقبلوا منه قتلوه فقال أبوه فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ألف دينار ودية أخرى وسيرني فنزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) الآية : وأما قصة عزم بن جثامة فقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يعقوب حدثني أبي عن محمد بن إسحق حدثنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حذرد رضى الله عنه قال بشنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الخثري وعلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا بين إضم وبنينا عامر بن الأصبغ الأعرجي على قموه له معه متبع له ووطب من لبن فلما مر بنا سلم علينا فأسكننا عنه وحمل عليه علم بن جثامة فقتله لئلا كان بينه وبينه ، وأخذ بيده ومتيحه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله - إلى قوله تعالى - خيرا) ففرد به أحمد . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن أبي إسحق عن نافع عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن جثامة مبشراً فلقهم عامر بن الأصبغ فحيام بحية الإسلام وكانت بينهم إحنة في الجاهلية فرماه علم بسم فقتله ففأخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكلم فيه عينة والأقرع فقال الأقرع يارسول الله سر اليوم وغرغداً فقال عينة لا والله حتى تدوق نساؤه من الشك ماذا لك نسائي ففأخبر علم في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاغفر الله لك » فقام وهو يتلقى دمعه يبرديه فما مضت له ساعة حتى مات ودفنه فلفظته الأرض ففأخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فقال « إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يظلمكم » ثم طرحوه بين صدف جبل وألقوا عليه الحجارة فنزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيئوا) الآية . وقال البخاري قال حبيب بن أبي حمزة عن سعيد بن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « للمقداد » إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه قتلته فكذلك كنت تخفي إيمانك بكم من قبل » هكذا ذكره البخاري معلقاً مختصراً وقد روى مطولاً موسولاً . قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن علي البغدادي حدثنا جعفر بن سلمة حدثنا أبو بكر بن علي بن مقدم حدثنا حبيب بن أبي حمزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد بن الأسود فلما أتوا القوم وجدهم قد قهقروا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأهوى إليه المقداد فقتله فقال له رجل من أصحابه أكلت رجلاً شهيداً أن لا إله إلا الله ؟ والله لأذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا يارسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله للتداد فقال (ادعوا إلى المقداد . بالمقداد أكلت رجلاً يقول لا إله إلا الله فكيف لك بلا إله إلا الله غداً) قال فأنزله الله (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيئوا ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناً تبتنوا عرض الحياة الدنيا ففند الله مقامكم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتيئوا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد « كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته وكذلك كنت تخفي إيمانك بكم قبل » . وقوله (ففند الله مقامكم كثيرة) أي خير مما رغبت فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حكمكم على قتل مثل هذا الذي أتى إليكم السلام ، وأظهر لكم الإيمان فتخافتم عنه واتهمتموه بالصفانة والفتنة لتبتنوا عرض الحياة الدنيا فما عند الله من الرزق الحلال خير لكم من مال هذا وقوله (كذلك كنتم من قبل فمن

الله عليكم) أتى قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسر إيمانيه وغنيه من قومه كما تقدم في الحديث للرفع آقا
وكما قال تعالى (واذكروا إذ أتتم قليل مستضعفون في الأرض) الآية وهذا مذهب سعيد بن جبير لما رواه الثوري عن
حيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير في قوله (كذلك كنتم من قبل) تخفون إيمانكم في الشركين ورواه عبد الرزاق
عن ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن سعيد بن جبير في قوله (كذلك كنتم من قبل) تستخفون بإيمانكم كما استخفى
هذا الراعي بإيمانه. وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم وذكر عن قيس بن سالم عن سعيد بن جبير قوله (كذلك
كنتم من قبل) لم تكونوا مؤمنين (فمن الله عليكم) أي تاب عليكم فحلف أسامة لا يقتل رجلا يقول لا إله إلا الله بعد
ذلك الرجل وما لقي من رسول الله ﷺ فيه ، وقوله (فتبينوا) تأكيد لما تقدم وقوله (إن الله كان بما تعملون خبيراً)
قال سعيد بن جبير هذا تهديد ووعيد

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ
اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْخَائِفِينَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى
الْقَائِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَتٌ مِنْهُ وَمُفَرَّةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

قال البخاري حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن أبي إسحق عن البراء قال لما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين)
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فكتبها فجاءه ابن أم مكتوم فشكا ضراره فأنزل الله (غير أُولِي الضَّرَرِّ) حدثنا
محمد بن يوسف عن إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال لما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) قال النبي ﷺ
ادع فلانا فجاءه ومعه الدواة والورق والكف فقال اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل
الله) وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم فقال يارسول الله أنا ضرير فنزلت مكاتبا (لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير أُولِي الضَّرَرِّ والمجاهدون في سبيل الله) قال البخاري أيضا حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثني إبراهيم بن سعد
عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد قال فأنزلت حتى
جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى على (لا يستوي القاعدون من المؤمنين
والمجاهدون في سبيل الله) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يبلها على قال يارسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان
أعمى فأنزل الله على رسوله ﷺ وكان فضله على فخذى فتقلت على حتى خفت أن ترض فخذى ثم سرى عنه فأنزل الله
(غير أُولِي الضَّرَرِّ) فردد به البخاري دون مسلم وقد روى من وجه آخر عند الإمام أحمد عن زيد قال حدثنا سليمان بن
داود أنبأنا عبد الرحمن عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال : قال زيد بن ثابت إن قاعد إلى جنب النبي ﷺ إذا وحى
إليه وغشيته السكينة قال فرغ فخذى على فخذى حين غشيته السكينة قال زيد فلا والله ما وجدت شيئا أقبل من فخذ رسول الله
ﷺ ثم سرى عنه فقال اكتب بإزدي فأخلفت كفتا فقال اكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون)
إلى قوله (أجر عظيم) فكتبت ذلك في كنف قدام حين سمعها ابن أم مكتوم وكان رجلا أعمى فقام حين مع فضيلة
المجاهدين وقال يارسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد ومن هو أعمى وأشباه ذلك قال زيد فوالله ما مضى كلامه أو ما هو
إلا أن قضى كلامه - غشيت النبي ﷺ السكينة فوقت فخذى على فخذى فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ثم
سرى عنه فقال اقرأ قرأت عليه (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) فقال النبي ﷺ (غير أُولِي الضَّرَرِّ)
قال زيد فألقها فوالله كأنني أنظر إلى ملحقها عند صبح كان في الكنف ورواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن
عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه به نحوه . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر أنبأنا
الزهري عن قيس بن ذؤيب عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال اكتب (لا يستوي القاعدون
من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاءه عبد الله ابن أم مكتوم فقال يارسول الله إلى أحب الجهاد في سبيل الله ولكنني

من الزمانة ما قد ترى ، فذهب بصري قال زيد فقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى حتى خشيت أن ترضها ثم سرى عنه ثم قال « وأكتب (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير ألى الضرر والمجاهدون في سبيل الله) » رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني عبد الكريم هو ابن مالك الجريري أن مقبلا مولى عبد الله بن الحارث أخبره أن ابن عباس أخيه (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) عن بدر والحارثون إلى بدر اتفرد به البخاري دون مسلم وقد رواه الترمذي من طريق حجاج عن ابن جريج عن عبد الكريم عن مقسم عن ابن عباس قال (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير ألى الضرر) عن بدر والحارثون إلى بدر . ولما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أحميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير ألى الضرر) وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة فهو لأ القاعدون غير ألى الضرر (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه) على القاعدين من المؤمنين غير ألى الضرر . هذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . قوله (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) كان مطلقاً فلما نزل بوضي سريع (غيراً ألى الضرر) صار ذلك عرجاً لى الأعداء للبيعة ترك الجهاد من المعنى والرج والرض عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأشسهم . ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين قال ابن عباس : غير ألى الضرر وكذا ينبغي أن يكون كما ثبت في صحيح البخاري من طريق زهير بن معاوية عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وإن بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه قالوا وهم بالمدينة يا رسول الله ؟ نعم حبسهم الممر » وهكذا رواه أحمد عن محمد بن عدى عن حميد عن أنس به وعلقه البخاري عجزوما ورواه أبو داود عن حماد بن سلمة عن حيد عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه عن النبي ﷺ قال « قد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير ولا أفقتم من تقفة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه » قالوا وكيف يكونون معنا في يا رسول الله ؟ قال « نعم حبسهم الممر » لفظ أبي داود وفي هذا المعنى قال الشاعر ياراحل إلى البيت العتيق لقد * سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحاً
إنا أننا على عذر وعن قدر * ومن أقام على عذر فقد راحا

وقوله (وكلا وعد الله الحسن) أى الجنة والجزاء الجزيل . وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض على الكفاية . قال تعالى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) ثم أخبر سبحانه بما فضلهم به من الدرجات ، في غرف الجنان العاليات ، ومغفرة الذنوب والآلات ، وأحوال الرحمة والبركات ، إحساناً منه وكرماً ولهذا قال (درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً)

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من رمى بسهم فله أجره درجة » فقال رجل يا رسول الله وما الدرجة ؟ فقال « أما إنها ليست بسنة أمك . ما بين الدرجتين مائة عام »

﴿ إِن الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْكَ مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَتَبَدَّلُونَ سَبِيلًا * قَالُوا لَيْكَ حَسْبُ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا غَفُورًا * وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيو وغيره قالوا : حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال : قطع على أهل المدينة سبث فاكثبت فيه تلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاه عن ذلك أعذلتني قال : أخبرني ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع الشركيين يكتون سوادهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم يرمي به فيسب أحدهم فيقتله أو يضرب عنقه فيقتل ، فأنزله الله (إن الدين توفاهم للملائكة ظلال أنفسهم) رواه الألبان عن أبي الأسود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا محمد بن شريك السكي حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام . فأخرجهم الشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم قال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فزلت (إن الدين توفاهم للملائكة ظلال أنفسهم) الآية قال فكتب إلى من يق من المسلمين بهذه الآية لا عدلهم (١) قال فخرجوا فلقهم الشركيون فأعطوهم التنية فنزلت هذه الآية (ومن الناس من يقول آمنا بالله) الآية قال عكرمة : نزلت هذه الآية في شباب من قريش كانوا اتكلموا بالإسلام بمكة منهم بن أبي أمية بن خلف وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو منصور بن الحجاج والحارث بن زمة قال الضحاك نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وخرجوا مع الشركيين يوم بدر فأصيبوا فبعض أصيب ، فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني الشركيين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع ، ونص هذه الآية حيث يقول تعالى (إن الدين توفاهم للملائكة ظلال أنفسهم) أي بترك الهجرة (قالوا فمكتم) أي لم مكتم ها هنا وتركهم الهجرة (قالوا كاستضعفين في الأرض) أي لا تهدر على الخروج من البلد ، ولا الذهاب في الأرض (قالوا إنك أن أرض الله واسعة) الآية : وقال أبو داود حدثنا محمد بن داود ابن سفيان حدثني يحيى بن حسان أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعد بن مرة بن يزيد حدثني حبيب بن سليمان عن أبي سليمان بن مرة عن مرة بن حبيب ، أما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جامع الشرك وسكر معه فإنه من الله) وقال السدي : لما أسير العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس : اقد نسك وابن أخيك قال يا رسول الله أنزل إلى قبلك ، ونشهد بك ، قال (يا عباس إنك خاصمت فضمتهم ثم تاعليه هذه الآية) (إنك أن أرض الله واسعة) الآية رواه ابن أبي حاتم ، وقوله (إلا المستضعفين) إلى آخر الآية ، هذا عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة وذلك أنهم لا يجدون على التخلص من أيدي الشركيين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) قال مجاهد وعكرمة والسدي يعني طريقا ، وقوله تعالى (فأولئك عسى الله أن يفو عنهم) أي يتجاوز من الله عنهم ترك الهجرة وعسى من الله موجبة (وكان الله غفورا رحيما) قال البخاري : حدثنا أبو نعيم حدثنا عيسى بن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : بينا رسول الله ﷺ يصلي الصلوة إذ قال سمع الله من حمدة ثم قال قبل أن يسجد « اللهم أنج عياش ابن أبي ريمه ، اللهم أنج سلمة بن هشام ، اللهم أنج الوليد بن الوليد ، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدو طاعتك على مضر ، اللهم اجعلهم من كنى يوسف » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو داود حدثنا أبو معمر المقرئ حدثني عبد الوارث حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رفع يده بعد ما سلم وهو مستقبل القبلة فقال « اللهم خلص الوليد بن الوليد ، وعياش بن أبي ريمه ، وسلمة بن هشام ، وضعة للمسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا من أيدي الكفار » وقال ابن جرير حدثنا الثوري حدثنا حجاج حدثنا حماد عن علي بن زيد عن عبد الله وأبراهيم بن عبد الله القرشي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو في صلاة الظهر « اللهم خلص الوليد وسلمة بن هشام ، وعياش ابن أبي ريمه ، وضعة للمسلمين من أيدي الشركيين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » ولهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه كما تقدم وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يقول كنت أنا وأخي من المستضعفين من النساء والرجال ، وقال البخاري : أنبأنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب بن أبي مليكة عن ابن عباس (إلا المستضعفين) قال كنت أنا وأخي ممن عثر الله عز وجل ، وقوله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعما كثيرا وسعة وهذا تحريض على الهجرة وترغيب في مفارقة الشركيين وأن المؤمن حينما ذهب وجد

(١) قوله : فكتب إلى من يق من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم الخ كنا في التسخ وعذر

عنه مندوحة ومولجاً يتحصن فيه ، وللراغم مصدر تقول العرب راغم فلان قومه مراغماً ومراغمة ، قال النابتة ابن جعدة :
كلود يلاذ بأركانه • عزيز للراغم والهرب

وقال ابن عباس : للراغم التحول من أرض إلى أرض . وكذا روى عن النجاشي والريص بن أنس والثوري ، وقال مجاهد : مراغماً كثيراً يعني متزحزحاً عما يكره ، وقال سفيان بن عيينة مراغماً كثيراً يعني يروجوا والظاهر والله أعلم أنه اللغ الذي يتخلص به ويراعى به الأعداء ، قوله (وسعة) يعني الرزق قاله غير واحد منهم قتادة حيث قال في قوله (يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) أي من السلالة إلى المدى ، ومن القلة إلى الكثرة ، وقوله (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) أي ومن يخرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له عند الله ثواب من هاجر كما ثبت في الصحيحين وغيرها من الصحاح والسائد والسكن من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن أبي وقاص الكوفي عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يزوجهها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . وهذا عام في الهجرة وفي جميع الأعمال . ومنه الحديث الثابت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أتاه كل بذلك العابد الثلاثة ثم سأل عالماً هل له من توبة . فقال له ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ أأرشدني إلى أن يتحول من بلده إلى بلد أخرى يبد الله فيه . فلما ارتحل من بلده مهاجراً إلى البلد الأخرى أدركه الموت في أثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقال هؤلاء إنه جاء تائباً ، وقال هؤلاء إنه لم يصل بعد ، فأمروا أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها ، فأمر الله هذه أن تهترب من هذه . وهذه أن تبعد فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشير قبضته ملائكة الرحمة ، وفي رواية أنه لما جاءه الموت نام بصدرة إلى الأرض التي هاجر إليها . قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن إسحق عن محمد بن إبراهيم عن محمد بن عبد الله بن عتيك عن أبيه عبد الله بن عتيك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خرج من بيته مهاجداً في سبيل الله ، ثم قال وأين المهاجدون في سبيل الله فصر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله وأوفدته دابة فمات فقد وقع أجره على الله ، أو مات خنق أنه قد وقع أجره على الله » يعني بخنق أنه على فراشه ، والله إنما لكلمة ما سمعها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ . ومن قتل قصاصاً فقد استوجب الجنة : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن خثيمة الخزاعي حدثني عبد الرحمن بن النضر عن عبد الله عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير بن العوام قال : هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة فتهتبه حية في الطريق فمات فزلت فيه (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً) قال الزبير فكنت أتوقه وأتظر قدومه وأنا بأرض الحبشة فما أحزنني شيء حزني وفاته حين بلغتني لأنه قل أحد من هاجر من قريش إلا ومعه بعض أهله ، أو ذوى رحمه . ولم يكن معي أحد من بني أسد من عبد العزى ولا أرجو غيره وهذا الأمر غريب جداً ، فإن هذه القصة مكية ونزول هذه الآية مدني ، فلمه أراد أنها تم حكمه مع غيره وإن لم يكن ذلك سبب النزول والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا سليمان بن داود مولى عبد الله بن جعفر حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الرحمن بن سليمان حدثنا أمثت هو ابن سوار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) الآية : وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجا أنبأنا إسرائيل عن سالم عن سعيد بن جبير عن ضمرة بن العيص الرزقي الذي كان مصاب البصر وكان بمكة فلما زلت (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) قتلني فلفني ، وإني لأدعوه لتجزي يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتبتم فزلت هذه الآية (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه

الوث) الآية . وقال الطبراني حدثنا الحسن بن عروبة البصري حدثنا حيوة بن شريح الحمصي حدثنا بقة بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن أبيه حدثنا مكحول عن عبد الرحمن بن غنم الأسعري أنبأنا أبو مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله قال من انتدب خارجا في سبيل ، فلما ابتلاه وجهي ، وتصديق وعدى ، ولما بنا برسل فهو في ضان على الله ، إما أن يوثقه بالجيش فيدخله الجنة ، وإما أن يرجع في ضان الله ، وإن طالب عبدا فنضه حتى يرده إلى أهله مع ماله من أجر ، أو غنمة . ونال من فضل الله فأت ، أو قتل ، أو رقصته فرسه ، أو بيعة أو لمغتنمة أو مات على فراشه بأى خشف شاء الله فهو شهيد » وروى أبو داود من حديث بقة من فضل الله إلى آخره ، وزاد به قوله فهو شهيد وإنه الجنة ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن زياد حدثنا أبو معاوية حدثنا محمد بن إسحق عن محمد بن أبي حمزة عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خرج حاجا فأت كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ، ومن خرج مستمرا فأت كتب له أجر المستمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازيا في سبيل الله فأت كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة » وهذا حديث غريب من هذا الوجه

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾

يقول تعالى (وإذا ضربتم في الأرض) أى سافرت في البلاد كما قال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) الآية . وقوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أى تخففوا فيها إما من كتبها بأن تجعل الرابعة ثنائية كما فهمه الجمهور من هذه الآية ، واستدلوا بها على قصر الصلاة في السفر على اختلافهم في ذلك فمن قائل لابد أن يكون سفر طاعة من جهاد ، أو حج ، أو عمرة ، أو طلب علم ، أو زيارة ، أو غير ذلك كما هو مروى عن ابن عمر وعطاء ويحيى عن مالك في رواية عنه نحوه لظاهر قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ومن قائل لا يشترط سفر القربة . بل لابد أن يكون مباحا لقوله (فإن اضطرر في محبة غير متجانف لإثم) الآية ، كما أباح له تناول اللبنة مع الاضطرار بشرط أن لا يكون حاصبا بسفره وهذا قول الشافعي وأحمد وغيرهما من الأئمة ، وقد قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم قال : جاور رجل فقال يارسول الله إني رجل تاجر أختلف إلى البحرين فأمره أن يصلي ركعتين فهذا مرسل . ومن قائل يكفي مطلق السفر سواء كان مباحا أو محظورا حتى لو خرج قطع الطريق وإخافة السبيل ترخص لوجود مطلق السفر وهذا قول أبي حنيفة والثوري وداود لمعوم الآية وخالفهم الجمهور ، وأما قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فقد يكون هذا خرج عرج الغالب حال نزول هذه الآية ، فإن في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم ضوفة ، بل ما كانوا ينهضون إلا إلى غزوهم ، أو في سرية خاصة . وسائر الأحيان حرب للإسلام وأهله ، وللتطويق إذا خرج عرج الغالب أو على حادثة فلا مفهوم له كقوله تعالى (ولا تتركوها قياتكم على البناء إن أردن تحصنا) وكقوله تعالى (وربما يكم اللان في حجوركم من نسائك) الآية وقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس حدثنا ابن جريج عن أبي حمزة عن عبدالله بن ربيعة عن يلى بن أمية قال : سألت عمر بن الخطاب قلت له قوله (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقد أمن الناس ، فقال لي عمر رضي الله عنه : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال « صدقة تصدق الله بها عليكم فأتوا صدقه » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي حمزة به . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح : وقال علي بن اللذين هذا حديث حسن صحيح من حديث عمر ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ورجاله معروفون : وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك بن مغول عن أبي حنيفة الخلاء قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان قلت أين قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ونحن آمنون ،

قال : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى حدثنا علي بن محمد بن سعيد
حدثنا مناجب حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن أبي الوداك قال : سألت ابن عمر عن ركعتين في السفر قال : هي
رخصة نزلت من السماء فأنهت فرددوها . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا ابن عون عن ابن سيرين
عن ابن عباس قال : صلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة وللدنية ونحن آمنون لا نخاف بينهما ركعتين
ركعتين . وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد الحذاء عن عبد الله بن عون به . قال أبو عمر بن عبد البر
وهكذا رواه أبو يوب وهشام وزيد بن إبراهيم التستري عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثله قلت وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتبية عن هشيم عن منصور عن زاذان عن محمد بن سيرين عن
ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا رب العالمين فصل ركعتين ثم قال الترمذي
صحيح ؛ وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يحيى بن أبي إسحق قال سمعت أنسا يقول خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصل ركعتين ركعتين حتى رجعا إلى المدينة ، قلت : أقم
بمكة شيئا قال : أقمنا بها عشرة . وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن يحيى بن أبي إسحق الحضرمي به وقال الإمام
أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن حارثة بن وهب الخزازي قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم
الظهر والعصر بمكة أكثر ما كان الناس وآمنه ركعتين . ورواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن أبي إسحق
السبيعي عنه به ، ولفظ البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبو إسحق سمعت حارثة بن وهب قال صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم آمن ما كان بمكة ركعتين . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عبيد الله أخبرني تابع عن
عبد الله بن عمر قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين وأبي بكر وعمر وعثمان صدرا من إمارته ثم أمها
وكذا رواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به وقال البخاري حدثنا قتبية حدثنا عبد الواحد عن الأصمعي حدثنا
إبراهيم سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة أربع ركعات قبل ذلك لم يدله
ابن مسعود رضي الله عنه فاسترجع ، ثم قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ركعتين وصليت مع أبي بكر
بمكة ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمكة ركعتين ، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متبعتان ورواه
البخاري أيضا من حديث الثوري عن الأصمعي به وأخرجه مسلم من طرق عنه منها عن قتبية كما تقدم . فهذه الأحاديث دالة
صريحة على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف ولهذا قال من قال من العلماء إن للراد من القصر ههنا إنما هو قصر
الكيفية لا الكمية وهو قول مجاهد والضحك والسدى كما سيأتي بيانه واعتضدوا أيضا بما رواه الإمام مالك عن صالح بن
كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر فأقرت
صلاة السفر ؛ وزيد في صلاة الحضر وقد روى هذا الحديث البخاري عن عبد الله بن يوسف التميمي ومسلم عن يحيى بن
يحيى وأبو داود عن القتيبي والنسائي عن قتبية أربعتهم مالك به قالوا فلذا كان أصل الصلاة في السفر هي التين فكيف
يكون للراد بالقصر ههنا قصر الكمية لأن ما هو الأصل لا يقال فيه (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وأصرح
من ذلك دلالة على هذا ما رواه الإمام أحمد : حدثنا وكيع وسفيان وعبد الرحمن عن زيد الباهلي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى
عن عمر رضي الله عنه قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الأضحية ركعتان ، وصلاة القطر ركعتان وصلاة الجماعة
ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم . وهكذا رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق
عن زيد الباهلي به وهذا الإسناد في شرطه مسلم . وقد حكى مسلم في مقدمة كتابه بيعا ابن أبي ليلى عن عمر ، وقد جاءه مصرحا
به في هذا الحديث وفي غيره وهو الصواب إن شاء الله وإن كان يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي قد قالوا إنه لم يسمع منه
وعلى هذا أيضا يقال قد وقع في بعض طرق أبي يعلى الوصل من طريق الثوري عن زيد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن التقة
عن عمر فقد ذكره ، وعند ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد عن أبي الجعد عن زيد بن عبد الرحمن عن كعب بن جعرة عن عمر
فأله أعلم . وقد روى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي عوانة الوضاح ابن عبد الله البشكري

زاد مسلم والنسائي وأبو بن هانئ كلاهما عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعة وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ، فكما يصلي في الحضر قبلها وبسبها فكذلك يصلي في السفر . ورواه ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد عن طائوس عنه فهذا ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولا ينافي ما تقدم عن عائشة رضي الله عنها لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان ولكن زيد في صلاة الحضر ، فلما استقر ذلك صح أن يقال إن فرض صلاة الحضر أربع كما قاله ابن عباس والله أعلم لكن اتفق حديث ابن عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان وأنهامة غير مقصورة كما هو مصرح به في حديث عمر رضي الله عنه ، وإذا كان كذلك فيكون المراد بقوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تحضروا من الصلاة) قصر الكيفية كما في صلاة الخوف ، ولهذا قال (إن ختم أن يشتكم الذين كفروا) الآية ، ولهذا قال بسبها (وإذا كنتم فيهم فأقمتم لهم الصلاة) الآية ، فينبى القعود من القصر هنا وذكر صفته وكيفيته ولهذا لما عقد البخارى كتاب صلاة الخوف صدره بقوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تحضروا من الصلاة) إلى قوله (إن أن أعد للكافرين عذابا مهينا) وهكذا قال جوير بن الأثر في قوله (فليس عليكم جناح أن تحضروا من الصلاة) قال : ذاك عند القتال يصلي الرجل الركبتين تكريهين حيث كان وجهه ، وقال أسباط عن السدى في قوله (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تحضروا من الصلاة إن ختم) الآية ، إن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر فهي تمام التقصير لا على (إلا أن يخاف من الذين كفروا أن يقتلوه عن الصلاة) بالتقصير ركعة ، وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد (فليس عليكم جناح أن تحضروا من الصلاة) يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يسفان وللشركون بسجنان فتوافقوا فبلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الظهر أربع ركعات يركعهم ، وسجودهم ، وقيلهم ما جئنا ، فهم بهم للشركون أن يثيروا على أمتهم وأهلهم . روى ذلك ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن مجاهد والسدى وعن جابر بن عمرو اختار ذلك أيضا فانه قال بعد ما حكاه من الأنوال في ذلك وهو الصواب . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا عن أبي فديك حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن أمية بن عبد الله بن خلف بن أسيد أنه قال لعبد الله بن عمر : إن أجبت في كتاب الله قصر صلاة الخوف ولا تجد قصر صلاة السفر ، فقال عبد الله : إنا وجدنا نينا ﷺ يصلي عملا عملنا به فقد صمى صلاة الخوف مقصورة وحمل الآية عليها لا على قصر صلاة السفر ، وأقره ابن عمر على ذلك واحتج على قصر الصلاة في السفر بفعل الشارع لا بنص القرآن ، وأصرح من هذا ما رواه ابن جرير أيضا . حدثنا أحمد بن الوليد القرشي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك الحلبي قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان تمام غير قصر إنما القصر في صلاة الخافة فقلت وما صلاة الخافة؟ فقال يصلي الإمام بطائفة ركعة ثم يجي هؤلاء إلى مكان هؤلاء ويحيى هؤلاء إلى مكان هؤلاء فيصلي بهم ركعة فيكون للامام ركعتان ولكل طائفة ركعة ركعة .

(وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَدْفَعُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ لَقَرَّبْنَا إِلَيْكُمْ حِذْرَهُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا)

صلاة الخوف أنواع كثيرة فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة وتارة يكون في غير صوبها ، والصلاة تارة تكون رباعية وتارة تكون ثلاثية كالغريب ، وتارة تكون ثنائية كالصح وصلاة السفر ، ثم تارة يصلون جماعة وتارة يلتزم الحرب فلا يقدر على الجماعة ، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ورجلا وركبانا : ولهم أن يمشوا والحالة هذه

ويضربوا الضرب للتتابع في متن الصلاة . ومن العلماء من قال : يصلون والحالة هذه ركعة واحدة لحديث ابن عباس التميمي قال أحمد بن حنبل ، قال الثوري في الحواشي ، وبه قال عطاء وجابر والحسن ومجاهد والحكم وقادة وحماد واليه ذهب طائوس والضحاك ، وقد حكى أبو عاصم الباقى عن محمد بن نصر للروزي أنه يرى رد الصبح إلى ركعة في الخوف واليه ذهب ابن حزم أيضاً ، وقال إسحق بن راهويه : أما عند السائفة فيجزئك ركعة واحدة تؤم بها إمام . فإن لم تقدر فسجدة واحدة لأنها ذكر الله ، وقال آخرون يكفي تكبيرة واحدة . فلهذا أراد ركعة واحدة كما قاله الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه ، وبه قال جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وكعب وغير واحد من الصحابة والسدى ورواه ابن جرير ولكن الذين حكوه إنما حكوه على ظاهره في الأجزاء بتكبيرة واحدة كما هو مذهب إسحق بن راهويه واليه ذهب الأمير عبد الوهاب بن بخت للسك حتى قال : فإن لم تقدر على التكبيرة فلا يتركها في نفسه يعني بالنية . رواه معبد بن منصور في مسنده عن إسماعيل بن عياش عن شبيب بن دينار عنه قاله أعلم . ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة عند القتال والتأخر في آخر النبي ﷺ يوم الأحزاب الظاهر والصريح فصلهما بعد الغروب ، ثم صلى بعدها للغرب ثم المشاء ، وكما قال بعدها يوم بني قريظة حين جهز بهم الجيش لايصلين أحد منهم العصر إلا في بني قريظة فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق ، فقال منهم قائلون : لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تصلي السور ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها فصلاوا الصلاة لوقتها في الطريق ، وآخر آخرون منهم صلاة العصر فصلوها في بني قريظة بعد الغروب ولم ينف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من الفريقين ، وقد تكلمنا على هذا في كتاب السيرة وبيننا أن الذين صلاوا العصر لوقتها أقرب إلى إصابة الحق في نفس الأمر وإن كان الآخرون مندوبين أيضاً ، والحجة ههنا في عذرهم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والبادرة إلى حصار التاكئين لهدم من الطائفة للملحونة اليهود . وأما الجمهور فقالوا هذا كله منسوخ بصلاة الخوف فانها لم تكن نزلت بعد ، فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك ، وهذا آيين في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الثاقفي رحمه الله وأهل السنن ، ولكن بشكل عليه ما حكاه البخاري في صحيحه حيث قال ﴿ باب الصلاة عند مناهضة الحصون وقضاء العدو ﴾ قال الأوزاعي إن كان تيباً التبع ولم يقدروا على الصلاة صلاوا إمام كل امرئ لنفسه ، فإن لم يقدروا على الإمام آخروا الصلاة حتى يكشف القتال أو يأمنوا فيصلاوا ركعتين ، فإن لم يقدروا صلاوا ركعة وسجدة ، فإن لم يقدروا فلا يجزيهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا ، وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك : حضرت عند مناهضة حصن قسرت عند إضاءة النجر واشتد اشتغال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح لنا ، قال أنس : وما يسرى بتلك الصلاة الدنيا وما فيها انتهى ما ذكره ثم أتبعه بمحدث تأخير الصلاة يوم الأحزاب ، ثم محدث أمره إمام أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة وكأنه كالتحذير لذلك والله أعلم . ولئن جنح إلى ذلك أنه أن يجتنب يصنع أبي موسى وأصحابه يوم فتح قسرت فانه يشتهر غالباً ؟ ولكن كان ذلك في إمارة عمر بن الخطاب ولهم قبل أنه أنكر عليهم ولأحد من الصحابة والله أعلم ، قال هؤلاء وقد كانت صلاة الخوف مشروعة في الحندق لأن غزوة ذات الرقاع كانت قبل الحندق في قول جمهور علماء السير والمغازي ، وعن نص على ذلك محمد بن إسحق وموسى بن عقبة والواقدي ومحمد بن سعد كاتبه وخليفة بن الحياض وغيرهم . وقال البخاري وغيره كانت ذات الرقاع بعد الحندق لحديث أبي موسى وما قدم إلا في خير والله أعلم . والسبب كل السبب أن المزي وأبا يوسف القاضي وإبراهيم بن إسماعيل بن علي ذهبوا إلى أن صلاة الخوف منسوخة بتأخيرها عليه الصلاة والسلام الصلاة يوم الحندق وهذا غريب جداً وقد ثبت الأحاديث بعد الحندق بصلاة الخوف ، وحمل تأخير الصلاة يومئذ على ما قاله مكحول والأوزاعي أقوى وأقرب والله أعلم . قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) أي إذا صليت بهم إماماً في صلاة الخوف وهذه حالة غير الأولى ، فإن تلك قصرها إلى ركعة كما دل عليه الحديث - فرادى ورجالا وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، ثم ذكر حال الاجتماع والالتزام بإمام واحد وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة حيث اغتضت أمثال كثيرة لأجل الجماعة فلو أنها واجبة ماساغ ذلك وأما

من استدلت بهذه الآية على أن صلاة الحوف منسوخة بعد النبي ﷺ لقوله (وإذا كنت فيهم) فيمده ثبوت هذه الصفة فإنه استدلال ضعيف ويرد عليه مثل قول ماضي الزكاة الذين احتجوا بقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) قالوا فنحن لا ندفع زكاتها بعده ﷺ إلى أحد ، بل نخرجها نحن بأيدينا على من نراه ، ولا ندفعها إلا إلى من صلاته أي دعاؤه سكن لنا ، ومع هذا رد عليهم الصحابة وأبو عليهم هذا الاستدلال وأجروهم على أداء الزكاة وقاتلوا من منعها منهم ؟ ولقد ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة أولا قبل ذكر صفاتها . قال ابن جرير حدثني ابن لثقي حدثني إسحق حدثنا عبد الله بن هاشم أن أبا سيف عن أبي روي عن أبي أيوب عن علي رضي الله عنه قال : سألت قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي ؟ فأذن الله عز وجل (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تنصروا من الصلابة) ثم أقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل الظهر ، فقال المشركون لقد أمكنكم عهد وأصحابه من ظهورهم فلا شدتم عليهم . فقال قائل منهم إن لهم أخرى مثلها في غيرها قال فأذن الله عز وجل بين الصلاتين (إن كنتم أن فتشتم الدين كفروا) الآيتين فنزلت صلاة الحوف وهذا سياق غريب جدا ، ولكن لبعثه شاهد من رواية أبي عيسى الزرقى وإسمه زيد بن الصامت رضي الله عنه عند الإمام أحمد وأهل السنن فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن أبي عيسى الزرقى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خائف بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر فقالوا لقد كانوا على حال لو أمكننا غرهم ، ثم قالوا يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال فعصرت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح قال : فصفنا خلفه صفين قال : ثم ركع فركعنا جميعا ، ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد النبي ﷺ بالصلاة الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم ركع فركعوا جميعا ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم والصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا . ثم سلم عليهم . ثم انصرف قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بسفان . ومرة بأرض بني سليم . ثم روه أحمد عن غندر عن شعبه عن منصور بن وهب ، وهكذا روه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائي من حديث شعبه وعبد العزيز بن عبد الصمد كلهم عن منصور بن وهب ؟ وهذا إسناد صحيح وله شواهد كثيرة ، فمن ذلك ما رواه البخاري حيث قال : حدثنا حيوة بن شريح حدثنا محمد بن حرب عن الزبدي عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن حبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام النبي ﷺ وقام الناس معه ، فكبر وكبروا معه ، وركع وركع ناس منهم . ثم سجد وسجدوا معه ثم قام لثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم وأمت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم في الصلاة ، ولكن يحرس بعضهم بعضا . وقال ابن جرير حدثنا ابن شاذان حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن سليمان بن قيس الليثي أنه سأل جابر بن عبد الله عن إحصاء الصلاة أي يوم أنزل أو أي يوم هو ، فقال جابر : أطلقنا نلتقي عيرا قريش آتية من الشام حتى إذا كنا بنخلة جاء رجل من القوم إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد هل تخافني ، قال لا ، قال فمن يملك مني ، قال الله يملكني ، قال : فسل السيف ثم تهدد وأوعده ، ثم نهدي بالتحلف وأخذ السلاح ثم نودي بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ بطائفة من القوم وطائفة أخرى يحرسهم : فصل بالذين يلوته ركعتين ، ثم تأخر الذين يلوته على أعقابهم فقاموا في مصاف أصحابهم ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين ، والآخرين يحرسونهم ثم سلم فكانت آتية صلى الله عليه وسلم أربع ركعات والقدم ركعتين ركعتين ، فيومئذ أنزل الله في إحصاء الصلاة وأمر المؤمنين بأخذ السلاح . ورواه الإمام أحمد قال : حدثنا شريح حدثنا أبو عوانة عن أبي هريرة عن سليمان بن قيس الليثي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ عارب خصه . فجا ، رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالسيف قال : من يملك مني ؟ قال الله ﴿ فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « ومن عنكم مني » قال : كن خير أخذ قال « أشهد أن لا إله إلا الله وأن رسول الله » قال لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ففعل سبيله ، قال جشك من عند خير الناس ، فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فكان الناس طائفتين ، طائفة بإزاء العدو ، وطائفة صوامع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل بالطائفة الذين معه ركعتين وانصرفوا فكانوا مكان الطائفة الذين كانوا بإزاء العدو ثم انصرف الذين كانوا بإزاء العدو فصلاوا مع رسول الله ﷺ ركعتين فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين نفرد به من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو قطن عمرو بن الميثم حدثنا السعدي عن يزيد القعير قال سألت جابر بن عبد الله عن الركعتين في السفر أقصرهما فقال : إن ركعتان في السفر تمام إنا القصر واحد عند القتال بيننا نحن مع رسول الله ﷺ في قتال إذ أقيمت الصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف بطائفة وطائفة وجهها قبل العدو فصل بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم الذين خلفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحوذا وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله ﷺ فصل بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس وسلم ، وسلم الذين خلفه ، وسلم أولئك فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، وللقوم ركعة ركعة ، ثم قرأ ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ﴾ الآية وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن يزيد القعير عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف فقام صف بين يديه وصف خلفه فصل بالذين خلفه ركعة وسجدتين ، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا في مقام أصحابهم ، وجاء أولئك حتى قاموا في مقام هؤلاء فصل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدتين ثم سلم ، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين ولم ركعة . ورواه النسائي من حديث شعبة . ولهذا الحديث طرق عن جابر وهو في صحيح مسلم من وجه آخر بلفظ آخر ، وقد رواه عن جابر جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والسايد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الله بن المبارك أنبأنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ﴾ قال هي صلاة الخوف . صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مقبلة على العدو ، وأقبلت الطائفة الأخرى التي كانت مقبلة على العدو فصل بهم رسول الله ﷺ ركعة أخرى ثم سلم بهم ، ثم قامت كل طائفة منهم فصلت ركعة ركعة . وهذا الحديث رواه الجماعة في كتبهم من طريق معمر به ، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن الجماعة من الصحابة ، وقد أجاد الحفاظ أبو بكر بن مردويه في سرد طرقه وألفاظه ، وكذا ابن جرير ولنجرحه في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة ، وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية وهو أحد قولى الشافعى وبطل عليه قول الله تعالى ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أنى من مطر أو كنتم مرضى أن تضيقوا ألسنتكم وخذاوا حذركم ﴾ أى بحيث تكونون على أهبة إذا احتجبت إليها ليستموا بلا كلفة (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا)

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا وَتَقَرَّبُوا وَحَلِّ جُنُوبَكُمْ فَإِذَا طُمَأْنِنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْثُوتًا ۖ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمَنُونَ فَلَهُمْ يَأْمَنُونَ كَمَا تَأْمَنُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقب صلاة الخوف وإن كان مشروعا مرغبا فيه أيضا بعد غيرها ولكن هاهنا أكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها ، ومن الرخصة في العهاب فيها والاياب وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها كما قال تعالى في الأصغر الحرم (فلا تظلموا فيه أنفسكم) وإن كان هنا منهيا عنه في غيرها ، ولكن فيها أكد لشدة حرمتها

وعظمها ، ولهذا قال تعالى (فإنما قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) أى فى سائر أحوالكم ، ثم قال تعالى (فإنما أهدأتكم فاقموا الصلاة) أى فإنما أمتن وذهب الخوف ، وحصلت الطمأنينة (فاقموا الصلاة) أى فاقموا وأقموها كما أمرتم بحدودها ، وخشوعها ، وركوعها ، وسجودها ، وجميع شعونها ، وقوله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال ابن عباس أى مفروضا ، وقال أيضا إن الصلاة وقفا كوقت الحج ، وكذا روى عن مجاهد وسالم بن عبد الله وطى بن الحسين وعبد بن طى ، والحسن ومقاتل والسدى وعطية العوفى ، قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال ابن مسعود : إن الصلاة وقفا كوقت الحج ، وقال زيد بن أسلم (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال منبجا كما مضى نهم جاء نهم ، أى كما مضى وقت جاء وقت وقوله تعالى (ولا تنهوا فى ابتداء القوم) أى لا تفسخوا فى طلب عدوكم ، بل جدوا فيهم ، وقاتلوا ، واقتلوا لهم كل مرصد (إن تكونوا تأمنون فإنهم يأمنون كما تأمنون) أى كما يسيكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى (إن يمسك فرح فقد مس القوم فرح مثله) ثم قال تعالى (وخرجون من الله ملا يرجون) أى أتم وإياهم سواء فبا يسيكم ، وإياهم والجراح والآلام ، ولكن أتم ترجون من الله للثوية والنصر والتأييد كما وعدكم بإياه فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهو وعد حق ، وخبر صدق ، وهم لا يرجون شيئا من ذلك فأتهم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه ، وفى إقامة كلمة الله وإعلاها (وكان الله عليا حكيما) أى هو أعلم وأحكم بما يقدره وخضيه وينفذه ويعضيه من أحكامه الكونية والشريعة وهو المأمود على كل حال

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْعَدَاوَيْنِ خَصِيصًا * وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُهَيِّبُ مَن كَانَ حَقًّا أَيْنَمَا أَتَوْا * يَسْتَفْهِقُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَفْهِقُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَكْتُمُونَ خَبِيرًا * هَآأَنَسُمْ هُؤَلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾

يقول تعالى مخاطبا لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) أى هو حق من الله وهو يتضمن الحق فى خبره وطلبه ، وقوله (لتحكم بين الناس بما أراك الله) احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان صلى الله عليه وسلم له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية وبما ثبت فى الصحيحين عن هشام بن عروة عن أبيه عن زيد بن ثابت أم سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جلبة خصم يباب حجرته فخرج إليهم فقال « ألا إنما أنا بشر وإنا أقتضى بنحو مما أسمع ولعل أحدكم أن يكون الحزن بحجته من بعض فأقتضى له ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يلزها » وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة قالت : جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موارث بينهما قد درست ليس عندهما بيعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر ، ولعل بينكم من ينطق بغيركم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنا أقتضى بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها انتظاما فى عتقه يوم القيامة » فبكى الرجلان وقال كل منهما : حق لأخى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إذا قلنا فاذنبا فأقتضا ، ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما ، ثم ليطل كل منك صاحبه » وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به وزاد « إني إنما أقتضى بينكما برأى فيما لم ينزل على فيه » وقد روى ابن مردويه من طريق العوفى عن ابن عباس أن قرأ من الأنصار غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته

فسرقت درع لأحدهم فأظن بها رجل من الأنصار فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال : إن طلعة ابن أريق سرق درعي ، فلما رأى السارق ذلك حمد الله فأتاها في بيت رجل برىء وقال لفرز من عشيرته إن غنيت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده ، فانطلقوا إلى بني الله ﷺ ليلا قالوا : يا بني الله إن صاحبنا برىء وإن صاحب الدرع فلان وقد أخطأ بذلك علما فأعذر صاحبنا على ردوس الناس وجادل عنه ، فانه إن لم يصمه الله بك يهلك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على ردوس الناس فأنزل الله (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لنحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيا ، واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيا ، ولا تجادل عن الذين يخاتون أنفسهم) الآية ثم قال تعالى للذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) الآية . يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين ثم قال عز وجل (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه) الآية يعني الذين أتوا رسول الله ﷺ مستخفين بالكذب ، ثم قال (ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) يعني السارق والذين جادلوا عن السارق وهذا سياق غريب وقد ذكر مجاهد وعكرمة وثقافة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في سارق بني أريق على اختلاف سياقاتهم وهي متقاربة ، وقد روى هذه القصة محمد بن إسحق مطوية فقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية من جامعه وابن جرير في تفسيره حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي عبيد أبو مسلم الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أريق يشربون ويشربون ، وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينهض لبعض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا ، فلذا صم أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الرجل الحديث أو كما قال الرجل ، وقالوا ابن أريق قالها ، قالوا وكانوا أهل بيت حاجة وثقة في الجاهلية والإسلام وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة الحر والشعر وكان الرجل إذا كان له يسار قدمت ضافطة من الشام من الهرمك اتباع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأما النبال فلأنما طعامهم الحر والشعر قدمت ضافطة من الشام فاتباع حمى رفاعة بن زيد حملا من الهرمك فجعله في مشربة له ، وفي للشربة سلاح ودرع وسيف فعدى عليه من تحت البيت فقتبت للشربة وأخذ الطعام والسلاح . فلما أصبح أتاني حمى رفاعة فقال : يا ابن أخي انه قد عدى علينا في ليلتنا هذه فقتبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا ، قال فتحصننا في الدار وسألنا قتيلا لنا قد رأينا بني أريق يستوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامك قال : وكان بنو أريق قالوا - ونحن نسأل في الدار - والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجلا منا له سلاح وإسلام فلما سمع لبيد اختط سيفه وقال : أنا أسرق والله ليخالفنكم هذا السيف ، أو لتيبن هذه السرقة ، قالوا : إليك عنا أيها الرجل لما أتت صاحبنا فأسألنا في الدار حتى لم نملك أنهم أصحابها ، فقال لي حمى يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال قتادة فأثبت رسول الله ﷺ قتل : إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى حمى رفاعة بن زيد فنفخوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه . ففردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه ، فقال النبي ﷺ « سأم في ذلك » فلما سمع بذلك بنو أريق أتوا رجلا منهم يقال له أسيد بن عروة فكلموه في ذلك ، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا يارسول الله : إن قتادة بن النعمان ومعه حمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصالح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا أثبت ، قال قتادة : فأثبت التي صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال « عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصالح ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا بينة » قال فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأتاني حمى رفاعة فقال : يا ابن أخي ما صنعت . فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الله للستعان ، فلم تلبث أن نزل القرآن (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لنحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين

(خسبا) يعني بنى أريق (واستغفر الله) أى بما قلت لقنادة (إن الله كان غفورا رحيما) ، ولا تجادل عن الدين يخناون أنفسهم - إلى قوله - (رحيما) أى لو استغفروا الله لغفر لهم (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه - إلى قوله - إثما مينا) قوله للبيد (ولو لا فضل الله عليك ورحمته - إلى قوله - فسوف تؤثبه أجرا عظيما) فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فردّه إلى رفاعه ، فقال قنادة لما أتيت عمى بالسلاح وكان شيئا قد عمى أو عشى الشك من أنى عيسى في الجاهلية وكنت أرى إسلامه مدخولا فلما أثبتته بالسلاح قال : يا ابن أخى هـ في سبيل الله ففرت أن إسلامه كان صحيحا ، فلما نزل القرآن لحق بشيعة بالفرس كنز قل على سلافة بنت سعد بن سمية ، فأنزل الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فله ما تولى ونفسه جهنم وساءت مصيرا ، إن الله لا يغير أن يشرك به ويضفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) فلما نزل على سلافة بنت سعد هجاءها حسان بن ثابت بأبيات من شعر فأخذت رحله فوضعتها على رأسها ثم خرجت به فرمت في الأبطح ، ثم قالت : أهديت لى شعر حسان كنت تأتيني به غير : فقط التزمى هذا حديث غريب لا نعلم أحدا استند فيه محمد بن سلمة الحراني ، ورواه يونس بن بكير وغير واحد عن محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قنادة مرسل ما يذكره فيه عن أبيه عن جده ، ورواه ابن أبي حاتم عن هاشم بن القاسم الحراني عن محمد بن سلمة به يعضه ورواه ابن النضر في تفسيره ، حدثنا محمد بن إسماعيل يعني الصائغ حدثنا أحمد بن أبي شبيب الحراني حدثنا محمد بن سلمة فذكره بطوله ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في تفسيره عن محمد بن عيسى بن أيوب والحسن بن يعقوب كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شبيب الحراني عن محمد بن سلمة به ، ثم قال في آخره : قال محمد بن سلمة سمعت هذا الحديث يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وإسحق بن إسرائيل وقد روى هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله التيسابوري في كتابه للستدرك عن ابن عباس الأصم عن أحمد بن عبد الجبار الطاطري عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحق بمناه أنهمته وفيه الشعر ثم قال : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقوله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) الآية ، هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بعبادتهم من الناس ثلاثين كروا عليهم ويعلمون الله بها لأنه مطلع على سرائرهم وعام على خائرم ولهذا قال (وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله جاعلهم عبيدا) تهديد لهم ووعيد ، ثم قال تعالى (ها أتم هؤلاء جادتم عن في الحياة الدنيا) الآية . أى هب أن هؤلاء اتصروا في الدنيا بما أبدوه أو أبدى لهم عند الحكماء الذين يحكمون بالظاهر وهم متعبدون بذلك فإذا يكون منهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ يوم القيامة في ترويح دعواهم : أى لأحد يومئذ يكون لهم وكلاء ، ولهذا قال (أهم يكون عليهم وكلاء)

(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا • وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ • وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا • وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَهَا يَريها قَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا • وَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ تَهْتِطُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْا وَنَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَشْهُمُ وَمَا يَصْرِفُكَ • مِنْ قَوْلِهِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ • وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا •)

يجز تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنب كان . قال تعالى (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية . أخبر الله عباده بفوق وحلمه وكرمه ، وسعة رحمته ، ومغفرته ، فمن أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا (ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال . رواه ابن جرير وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد بن مني حدثنا محمد بن أبي

عدي حدثنا شعبة عن حاصم عن أبي وائل قال : قال عبدالله : كان بنو إسرائيل إذا أساب أحدهم ذنباً أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بايه ، وإذا أساب الولد منه شيئاً قرضه بالقرض ، فقال رجل : لقد آتى الله بنى إسرائيل خيراً ، فقال عبد الله رضى الله عنه ما آتاكم الله خير مما آتاكم جل لواء لكم ظهوراً ، وقال تعالى (والذين إذا ضلوا فأحشة أو طلبوا أفسهم ذكروا الله فاستغفروا لنوبهم) وقال (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحباً) وقال أيضاً حدثني يعقوب حدثنا هشيم عن ابن عون عن حبيب بن أبي ثابت قال : جاءت امرأة إلى عبد الله بن مغفل فسألته عن امرأة فجرت فجلت ، قلنا ولدت ثلث ولدها ، قال عبد الله بن مغفل : لها النار فانصرفت وهي تبكي فدمعها ثم قال ما أرى أمرك إلا أحد أمرين (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحباً) قال شعبة عن أبيه مضت وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن عثمان بن القيرة قال : سمعت علي بن ربيعة من بني أسد يحدث عن أساء أو ابن أساء من بني فزارة قال : قال علي رضى الله عنه : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعني الله فيه بما جاء أن ينفعني منه . وحدثني أبو بكر وصديق أبو بكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله الذنب لا يغفره » قرأ هاتين الآيتين (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية (والذين إذا ضلوا فأحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية . وقد تكلمنا على هذا الحديث وعزيته إلى من رواه من أصحاب السنن ، وذكرنا ما في سند من مقال في مسند أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد فهم بعض ذلك في سورة قال عمران أيضاً وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن علي فقال حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا إبراهيم بن إسحق الحراني حدثنا داود بن مهران الديلمي حدثنا عمر بن يزيد عن عبد خير عن علي قال سمعت أبا بكر هو الصديق يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد أذنب قوماً فأحسن الوضوء ، ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلا كان حقاً على أن يفرقه ، لأن الله يقول (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية ، ثم رواه من طريق أبيان بن أبي عياش عن أبي إسحق السبيعي عن الحارث عن علي عن الصديق بنحوه وهذا إسناد لا يصح ، وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن حاتم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا موسى بن مروان الرقي حدثنا بشر بن إسماعيل الحلبي عن تميم بن ملحان بن نجيع حدثني كعب بن دعلج الأزدي قال سمعت أبا الهرداء يحدث قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلسنا حوله وكانت له حاجة قام إليها وأراد الرجوع ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما عليه وإنه قال ترك نعليه قال أبو الهرداء فأخذ ركوة من ماء فامتنعت ففسي ساعة ثم رجع ولم يقض حاجته فقال « انه أناني أت من ربي فقال : انه (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحباً) فأردت أن أجبر أصحابي » قال أبو الهرداء وكانت قد شقت على الناس الآية التي قبلها (من يعمل سوءاً يجزيه) قلت يا رسول الله ، وإن زنى وإن سرق ثم استغفر ربه غفر له ؟ قال « نعم » ثم قلت الثانية قال « نعم » قلت الثالثة قال « نعم وإن زنى وإن سرق ثم استغفر الله غفر الله له على رغم أنف أبي الهرداء » قال قرأت أبا الهرداء يشرب أنف نفسه بأسمه . هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه بهذا السياق وفي إسناده ضعف . وقوله (ومن يكسب إثمًا فانه يكسبه على نفسه) الآية كقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الآية ، يعني أنه لا يبنى أحد عن أحد وإنما على كل نفس ما حملت لا يحمل عنها غيرها ، ولهذا قال تعالى (وكان الله عليا حكيمًا) أي من علمه وحكمته ، وعمله ورحمته كان ذلك ، ثم قال (ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به يريثاً) الآية يعني كآتهم بنو أريق بسنيهم القبيح ذلك الرجل الصالح وهو لبيد بن سهل كما تقدم في الحديث ، أو زيد بن السميعين اليهودي على ما قاله الآخرون وقد كان يريثهم الظلمة الخونة كما أطلع الله على ذلك رسوله ﷺ ، ثم هذا التفرع وهذا التوسيع عام فيهم وفي غيرهم ممن أصف بصفتهم فارتكب مثل خطيئتهم فليعلم مثل عقوبتهم ، وقوله (ولو لا فضل الله عليك ورحمته لمعت طائفة منهم أن يشاؤك وما يشاؤهم إلا أنفسهم وما يشرونك من شيء) وقال الإمام ابن أبي حاتم أنبأنا هاشم ابن القاسم الحراني فيما كتب إلى حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحق عن حاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان وذكر قصة بني أريق فأقول الله (لمعت طائفة منهم أن يشاؤك وما يشاؤهم إلا أنفسهم

وما يضرونك من شيء) يعني أسيد بن عروة وأصحابه يعني بذلك لما أتوا على بني أريق ولاموا قاعة بن النعمان في كونه اتهمهم وهم صلحاء برآء ولم يكن الأمر كما أنهوا إلى رسول الله ﷺ ، ولهذا أنزل الله فصل القضية وجلاها رسول الله ﷺ ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال وعصمته له ؛ وما أنزل عليه من الكتاب وهو القرآن والحكمة ؛ وهي السنة (وعلمك ما لم تكن تعلم) أي قبل نزول ذلك عليك كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب) إلى آخر السورة ؛ وقال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) ولهذا قال (وكان فضل الله عليك عظيما)

(لَاخِرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا • وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

يقول تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني كلام الناس (إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) أي إلا نجوى من قال ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث حدثنا محمد بن يزيد بن حنبل قال : دخلنا على سفيان الثوري فوجدناه قد دخل علينا سعيد بن حسان فقال له الثوري الحديث الذي كنت حدثني عن أم صالح رددته على فقال : حدثني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ «كلام ابن آدم كله عليه لا إلا ذكر الله عز وجل ؛ أو أمر بمعروف ؛ أو نهى عن منكر» فقال سفيان أو ما سمعت الله في كتابه يقول (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) فهو هذا بيته ؛ أو ما سمعت الله يقول (يوم يقوم الروح ولللائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) فهو هذا بيته ؛ أو ما سمعت الله يقول في كتابه (والصبر إن الإنسان لفي خسر) الخ فهو هذا بيته ؛ وقد روى هذا الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن حنبل عن سعيد بن حسان به ؛ ولم يذكر أقوال الثوري إلى آخرها ؛ ثم قال الترمذي حديث غريب لا يعرف إلا من حديث ابن حنبل . قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا صالح ابن كيسان حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أن حبيد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليس الكتاب الذي يصلح بين الناس فيمنى خيرا ؛ أو يقول خيرا ؛ وقالت لم أسمعه يرضى من شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث : في الحرب والإصلاح بين الناس ؛ وحديث الرجل امرأته ؛ وحديث المرأة زوجها قال : وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول الله ﷺ وقد رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن الزهري به نحوه قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن محمد عن سالم بن أبي الجعد عن أم البرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم أفضل من درجة الصيام ؛ والصلاة ؛ والصدقة» قالوا بلى يا رسول الله قال «إصلاح ذات البين» قال : «وفساد ذات البين هي الحالقة» ورواه أبو داود والترمذي من حديث أبي معاوية وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر حدثنا أبي عن حميد عن أنس أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب «ألا أدلك على تجارة» قال بلى يا رسول الله قال «تسمى في إصلاح بين الناس إذا تخلصوا وخاربت بينهم إذا تابعدوا» ثم قال البرزاني وعبد الرحمن بن عبد الله العمري بنين وقد حدثت بأحاديث لاتباع عليها ولهذا قال (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله) أي عخلصا في ذلك محققا ثواب ذلك عند الله عز وجل (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أي ثوابا جزيلا كثيرا وإسعا وقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي

بناءً بها الرسول صلى الله عليه وسلم صار في شق والشرع في شق وذلك عن عمد منه بسب ما ظهر له الحق وبين له
واضح له وقوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) هذا ملازم للصحة الأولى ولكن قد تكون مخالفة لقص الشارع وقد
تكون لما اجتمعت عليه الأمة الحميدة فيما علم اتفاهم عليه تحقيقاً فانه قد ضمنت لهم الصحة في اجتماعهم من الحلق
تتبعوا لهم وتعطوا لثبوتهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك قد ذكرنا منها طرقاً سالماً في كتب أحاديث
الأصول ومن العلماء من ادعى تواتر معناها والذي عول عليه الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون الاجماع حجة
تحرم مخالفتها هذه الآية الكريمة بعد التروى والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها وإن كان بعضهم قد
استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك ولهذا تواعد تعالى على ذلك بقوله (توبه ما تولى ونصه جهنم وساءت مصيراً)
أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له كما قال تعالى (فاعرف ومن
يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقوله (ونلهم
في ظلماتهم سمهون) وجعل النار مصيرة في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة
كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الآية وقال تعالى (وراى الجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها
ولم يجدوا عنها مصرفاً)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيُغَيِّرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾
إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا • لَمَنَّهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا
مُعْرِضًا • وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيَّتُمْ وَلَا مَرَّتُمْ فَلْيَبْتَئِكُنْ • إِذَا نَأَى الْأَنْفُ وَلَا مَرَّتُمْ فَلْيَبْتَئِكُنْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ
يَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا • يَدْعُهُمْ وَيُجْتَنِبُهُمْ وَمَا يَدْعُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا •
أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا • وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا •

قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة وهي قوله (إن الله لا يغير أن يشرك به) ويغير ما دون ذلك الآية وذكرنا
ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة وقد روى الترمذي حديثاً ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة عن
أبيه عن علي بن رضى الله عنه أنه قال ما في القرآن آية أحب إلى من هذه الآية (إن الله لا يغير أن يشرك به) الآية ثم قال
هذا حسن غريب وقوله (ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) أي قد سلك غير الطريق الحق وضلّ عن الهدى
وبعد عن الصواب وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة وفاتته سعادة الدنيا والآخرة وقوله (إن يدعو من دونه
إلا إنانا) قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا محمود بن غيلان أنبأنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسن بن واقد عن الربيع بن
أنس عن أبي العالبة عن أبي بن كعب (إن يدعو من دونه إلا إنانا) قال مع كل صن جنية وحدتنا أي حدثنا محمد
ابن سلمة الباهلي عن عبد العزيز بن محمد عن هشام بن أبي عروة عن أبيه عن عائشة (إن يدعو من دونه إلا إنانا)
قالت أو أنا وروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومجاهد وأبي مالك والسدي ومقاتل بن حمزة وقال
ابن جرير عن الضحاك في الآية قال للشركون للالهة بنات الله وإنما نبدنهم ليقربونا إلى الله زلفى قال فأتواهم من أرباب
وسورهم جوارى فحكموا وقتلوا وقالوا هؤلاء بنات الله الذي نبدنهن للالهة وهذا التفسير شيء
يقول الله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) الآيات وقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الذين هم عباد الرحمن إنانا) الآية
وقال (وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا) الآيتين وقال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس (إن يدعو من دونه

إلا إنا) قال يني موتى وقال مبارك يني ابن فضالة عن الحسن إن يدعو من دونه إلا إنا قال الحسن الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح إما خشبة ياسة وإما حجر يابس ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهو غريب وقوله (وإن يدعو إلا شيطاناً مرئياً) أى هو الذى أمرهم بذلك وحسنه وزينه لهم وهم إنما يبدون إبليس في نفس الأمر كما قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تبتدوا الشيطان) الآية . وقال تعالى إخباراً عن الثلاثة أنهم يقولون يوم القيامة عن الشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا (بل كانوا يبدون الجبن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله (لنه الله) أى طرده وأبعد من رحمته ، وأخرجه من جواره وقال (لأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً) أى ميئاً مقدراً معلوماً قال قتادة من كل ألف تسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة (ولأنهم) أى عن الحق (ولأنهم) أى أزين لهم ترك التوبة ، وأعدم الأمانى ، وأكرمهم بالتسوية والتأخير ، وأغرم من أنفسهم قوله (ولأمرهم فليستكن آذان الأنعام) قال قتادة السدى وغيرهما يني تشقيها وجعلها صمة ، وعلامة للبعرة والسابة والوصلة (ولأمرهم فليزين خلق الله) قال ابن عباس يني بذلك خصى الدواب : وكذا روى عن ابن عمر وأنس وسعيد بن السيب وعكرمة وأبي عياض وقاتة وأبي صالح والثوري ، وقد ورد في حديث النبي عن ذلك ، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري يني بذلك الوشم وفي صحيح مسلم انتهى عن الوشم في الوجه ، وفي لفظ ، لمن الله من فعل ذلك ، وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : لمن الله الواشيات وللستويات ، والنامصات وللمتصمات ، وللتفجبات للحسن للثبرات خلق الله عز وجل ، ثم قال : ألا ألين من لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله عز وجل يني قوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال ابن عباس في روايته ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي والحسن وقاتة والحكم والسدى والضحك وعطاء الخراساني في قوله (ولأمرهم فليزين خلق الله) يني دين الله عز وجل وهذا كقولهم (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) على قول من جعل ذلك أمراً أى لا بدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم كاتبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه كانوا لهيمة يهيمه جماء هل يجدون بها من جنداء» وفي صحيح مسلم عن عياض ابن حماد قال : قال رسول الله ﷺ «قال الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وحرمتهم عليهم ما أحللت لهم» ثم قال تعالى (ومن يشد الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً) أى فقد خسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لقاتها . وقوله تعالى (يهدم ويهدم وما يهدم الشيطان إلا غروراً) وهذا إخبار عن الواقع فإن الشيطان يبدأ ولياء وعينهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة وقد كذب واقرى في ذلك ، ولهذا قال الله تعالى (وما يهدم الشيطان إلا غروراً) كما قال تعالى خبراً عن إبليس يوم اللعاب (وقال الشيطان لما نضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان - إلى قوله - وإن الظالمين لهم عذاب أليم) وقوله (أولئك) أى المستحسنون له فيها وعدمهم ومنهم (ما واهم جهنم) أى مصرهم وماكلمهم يوم القيامة (ولا يجدون عنها محيصاً) أى ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف ، ولا خلاص ، ولا مناص ، ثم ذكر تعالى حال السعداء والأقياء وما لهم من الكرامة التامة فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى صدقت قلوبهم وحملت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات ، وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أى يصرفونها حيث شاموا وأين شاموا (خالدين فيها أبداً) أى بلا زوال ولا انتقال (وعد الله حقاً) أى هذا وعد من الله ووعد الله معلوم حقيقة أنه واقع لا محالة ، ولهذا أكد المصدر الدال على تحقيق الخبر وهو قوله حقاً ، ثم قال تعالى (ومن أصدق من الله قيلاً) أى لا أحد أصدق منه قولاً أى خبراً لا إله إلا هو ولا رب سواه وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبته «إن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار»

(لَيْسَ بَأْتَا يُسَكَّمُ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَمَسُّهُ سُبْحَانِيْ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا

نَصِيرًا * وَمَنْ يَمْسَلْ مِنْ أَصْلَابِهِمْ ذَكَرَ أَوْ انْتَفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَالُوا لَكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَطْلُونَ قَبْرًا * وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ فِيهِ وَهُوَ تَحْسِنُ وَأَتَمَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَتِيفًا وَأَتَمَّ اللَّهُ لَكُمْ خَلِيلًا * وَهُوَ مَا فِي السُّورَةِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا

قال قتادة ذكر لنا أن للسليمان وأهل الكتاب افتخروا ، قال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فمنع أولى بالله منكم ، وقال للسليمان نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضى على الكتب التي كانت قبله فأئزله الله (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزيه) (ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) الآية . ثم أفلح الله حجة للسليمان على من ناوهم من أهل الأديان . وكذا روى عن السدي ومسروق والضحك وأبي صالح وغيرهم وكذا روى العوفي عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال في هذه الآية خاصم أهل الأديان ، قال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب ، ونبينا خير الأنبياء ، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك ، وقال أهل الإسلام : لادين إلا الإسلام ، وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن تؤمن بكتابكم ونصل بكتابنا تقضى الله بينهم وقال (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزيه) الآية ، وخير بين الأديان قال (ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) إلى قوله (وأتخذ الله إبراهيم خليلًا) وقال مجاهد : قالت العرب لن نبش ولن نعلم ؟ وقالت اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصاري) وقالوا (لن نمسنا النار إلا أيمانًا معدودات) والحق في هذه الآية أن الذين ليس بالتحمل ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب وسدته الأعمال وليس كل من ادعى شيئًا حصل له بمجرد دعواه ، ولا كل من قال إنه هو على الحق مع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان ، ولهذا قال تعالى (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزيه) أي ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني ، بل البرية بطلاعة الله سبحانه وتعالى ما شرعه على السنة المرسل الكرام ، ولهذا قال بعده (من يعمل سوءا يجزيه) كقوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وقد روى أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا إسماعيل عن أبي بكر بن أبي زهير قال : أخبرني أن أبا بكر رضى الله عنه قال : يا رسول الله كيف القلاح بعد هذه الآية (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزيه) فكل سوء عملناه جزاؤه ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض ألست تنصب ؟ ألست تحزن ألست تصيبك اللأواء » قال بلى قال « فهو مما تجزون به » ورواه سعيد بن منصور عن خلف بن خليفة عن إسماعيل بن أبي خالد ^(١) ورواه الحاكم من طريق سفيان الثوري عن إسماعيل به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد عن ابن عمر قال سمعت أبا بكر يقول : قال رسول الله ﷺ « من يعمل سوءا يجزيه في الدنيا » وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن هشام بن جهمية حدثنا يحيى بن أبي طالب ؟ حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد قال : قال عبد الله بن عمر انظروا المكان الذي فيه عبد الله بن الزبير مصلوبا فلان عليه قال فسما القلام هذا عبد الله بن عمر ينظر إلى ابن الزبير فقال ينظر الله لك ثلاثا أما والله ما علمتنا إلا صواما قواما وصلا للرحم أما والله إنى لأرجو مع مساوي ما أصبت أن لا يذنبك الله بعدها قال ثم انتفت إلى فقال سمعت أبا بكر الصديق يقول : قد رسول الله ﷺ « من يعمل سوءا في الدنيا يجزيه » ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن الفضل بن سهل عن عبد الوهاب بن عطاء به مختصرا وقال في مسنده ابن الزبير حدثنا إبراهيم بن المستر العروقي حدثنا عبد الرحمن بن سلم بن حيان حدثني أبي عن جدي حيان بن بسطام قال بسطام قال كنت مع ابن عمر فربد الله بن الزبير وهو مصلوب قال رحمة الله عليك أبا خبيب سمعت أباك يحيى الزبير يقول : قال رسول الله ﷺ

(١) في نسخة الأزهر زيادة : ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي بلى عن أبي خنيسة عن يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد .

(٢) وفيها : أحد بن هفيم .

« من يعمل سوياً يجزيه في الدنيا والآخرة » ثم قال لا تعلمه يروى عن الزبير إلا من هذا الوجه ؛ وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا محمد بن سعد الموقى ؛ حدثنا روح بن عباد ؛ حدثنا موسى بن عبيدة ؛ حدثني موسى بن السباع قال سمعت ابن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق قال كنت عند النبي ﷺ فزلت هذه الآية (من يعمل سوياً يجزيه ولا يجد له من دون الله ولياً نصيراً) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر ألا أتراك آية أنزلت على » قلت بلى يا رسول الله قال فأقرأها فلما أعلم أني قد وجدت اختصاصاً في ظهري حتى غطيت لها فقال رسول الله ﷺ « مالك يا أبا بكر » قلت بلى أنت وأخي يا رسول الله وأيتا لم يعمل سوء وإنما يجزون بكل سوء عملناه فقال رسول الله ﷺ « أما أنت يا أبا بكر وأصحابك للؤمنون فانكم تجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب ، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة » وكذا رواه الترمذي عن يحيى بن موسى وعبد بن حميد عن روح بن عباد ؛ ثم قال وموسى بن حنيفة يصفى موسى ابن سباع مجهول وقال ابن جرير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء بن أبي رباح قال لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر جاءت قاصمة الظهر فقال رسول الله ﷺ « إنما هي للسياط في الدنيا » . (طريق أخرى عن الصديق) قال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إسحق العسكري ، حدثنا محمد بن عامر السعدي ، حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا فضيل ابن عياض عن سليمان بن مهران عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال قال أبو بكر الصديق يا رسول الله انما الله هذه الآية (من يعمل سوياً يجزيه) قال رسول الله ﷺ « للصاب والأمرض والأحران في الدنيا جزاء » . (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثني عبد الله بن أبي زياد وأحمد بن منصور قالاً أنبأنا زيد بن الحباب ، حدثنا عبد الملك بن الحسن الحارثي ، حدثنا محمد بن زيد بن منقذ عن عائشة عن أبي بكر قال لما نزلت (من يعمل سوياً يجزيه) قال أبو بكر يا رسول الله كل ما نامل نؤاخذ به ؟ قال « يا أبا بكر ليس يصيبك كذا وكذا فهو كفارة » (حديث آخر) قال سعيد بن منصور أنبأنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سواد حدثه أن يزيد بن أبي زحيدة عن عبيد بن عمر عن عائشة أن رجلاً تلا هذه الآية (من يعمل سوياً يجزيه) فقال إنما لنجزى بكل ما عملناه هلكتنا إذا نزل ذلك رسول الله ﷺ فقال « نعم يجزي به المؤمن في الدنيا في نفسه في جسده فيما يؤذي » (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا في حديثنا في حديثنا سلمة ابن بشير ، حدثنا هشيم عن أبي عامر عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله إنني لأعلم أشد آية في القرآن فقال « ما هي يا عائشة » قلت من يعمل سوياً يجزيه فقال « هو ما يصيب البطل المؤمن حتى النكبة ينكبها » ورواه ابن جرير من حديث هشيم به ورواه أبو داود من حديث أبي عامر صالح بن رستم الخزاز به . (طريق أخرى) قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن أبي بن زيد عن ابنه أنها سألت عائشة عن هذه الآية (من يعمل سوياً يجزيه به) فقالت ما سألت أحد عن هذه الآية منسألت عن رسول الله ﷺ سألت رسول الله ﷺ فقال « يا عائشة هذه ما يبعث الله ليعذب بها عبداً عما يصيبه من الحزن والنكبة والشوكة حتى يبضعها في كففين لها فيجدها في جيبه حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كأن الذهب خرج من الكبر » (طريق أخرى) قال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا أبو القاسم حدثنا شريح بن يونس ؛ حدثنا أبو معاوية عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن يزيد ابن المهاجر عن عائشة قالت سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (من يعمل سوياً يجزيه) قال « إن المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في القبيض عند الموت » وقال الإمام أحمد حدثنا حسين عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت قلت يا رسول الله إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه . (حديث آخر) قال سعيد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمر بن عبد الرحمن بن عيصم مع محمد بن قيس بن خزيمة عن أنس بن مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت (من يعمل سوياً يجزيه) شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله ﷺ « سدوا وقاربوا فإن في كل ما يصاب به للسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها » وهكذا رواه أحمد عن سفيان بن عيينة ومسلم والترمذي والنسائي عن حديث سفيان بن عيينة به ورواه ابن جرير (١) من حديث روح ومعمر كلاهما عن إبراهيم بن يزيد عن عبد الله بن إبراهيم سمعت أبا هريرة يقول : لما نزلت (١) في نسخة الأثر - ابن مردويه .

هذه الآية (ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزه) بكينا وحزنا وقلنا يارسول الله ما أقت هذه الآية من شئ قال « أما والله شئ يده إننا لكما أنزلت ولكن أجروا وقاربوا وسددوا فإنه لا يصيب أحدا منكم مصيبة في الدنيا إلا كفر الله بها من خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قلعه » وقال عطاء بن يسار عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا سقم ولا حزن حتى ألهم بهما إلا كفر الله من سيئاته » أخرجه . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد بن إسحق حدثنا زبيب بن بكب بن عجرة عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال رأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ماننا بها قال كفارات قال أي وإن قلت قال حتى الشوكة فافوتها قالت فدعا أبي على نفسه أنه لا يفارقه الوعك حتى يموت في أن لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة فيأمنه إنسان حتى وجد حرمه حتى مات رضي الله عنه ثم رده أحمد

(حديث آخر) روى ابن مردويه من طريق حسين بن واقد عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قيل يارسول الله (من يعمل سوءاً يجزه) قال « نعم ومن يعمل حسنة يجزيها عشرة » فهلك من غلب واحدته عشرة قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن (من يعمل سوءاً يجزه) قال الكافي ثم قرأ (وهل نجازي إلا الكفور) وهكذا روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قسرا السوء بهن بالشرك أيضا وقوله (ولا يجله من دون الله وليا ولا نصيرا) قال يزن بن أبي طلحة عن ابن عباس إلا أن يتوب فيتوب الله عليه ورواه ابن أبي حاتم والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال لا يقتصر من الأحاديث وهذا اختيار ابن جرير والله أعلم وقوله (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية لما ذكر الجزاء على النيات وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من البعد إما في الدنيا وهو الأجوفه ، وإما في الآخرة والياد بالله من ذلك ؟ ونسأل العافية في الدنيا والآخرة . والصنع والعفو والمساحة شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذكراتهم وإناتهم بشرط الإيمان ، وأنه سيخلصهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار القبر وهو النقرة التي في ظهر نواة النخلة . وقد تقدم الكلام على القتل وهو الحيط الذي في فمق النواة . وهذا القبر ومخاف نوات النخلة والقطمير وهو اللقافة التي على نواة النخلة ، والثلاثة في القرآن . ثم قال تعالى (ومن أجسن دينا بمن أسلم وجهه لله) أي أخلص العمل لربه عز وجل فصل إيماناً واحتساباً (وهو محسن) أي أتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق . وهذا إن الشرطان لا يصح عملهما بل بدونهما أي يكون خالسا صوابا والخالص أن يكون لله . والصواب أن يكون متابعا للشرعة فيصح ظاهره بالتابعة ، وباطنه بالاخلاص في قد عمل أحد هذين الشرطين فقد فحق قد الاخلاص كان مناقضا وهم الذين يراءون الناس ومن قد قلنا بانه كان خالسا جهلا ومتى جمعا كان عمل المؤمنين الذين يقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم الآية . ولهذا قال تعالى (واتبع ملة إبراهيم حنيفاً) وهم عهد وأتباعه إلى يوم القيامة . كما قال تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) الآية وقال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من للشركين) والحنيف هو المائل عن الشرك قصدا أي تاركاً له عن بصيرة وقبول على الحق بكتيابه لا يصده عنه صداد . ولا يرد عنه شراده وقوله (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) وهذا من باب الترفيح في اتباعه ، لأنه إمام يقتدى به حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له فإنه انتهى إلى درجة الحق التي هي أرفع مقامات الهبة . وماذا لك إلا أكثر طاعته لربه كما وصفه به في قوله (وإبراهيم الذي وفى) قال كثير من علماء السلف أي قام بجميع ما أمر به وفي كل مقام من مقامات العبادة فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير ولا كبير عن صغير وقال تعالى (وإننا على إبراهيم ربه بكلمات فآمنهم) الآية وقال تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتة حنيفاً ولم يك من الشركين) الآية والآية بعدها وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمون قال انعمنا لما قمس النبي صلى الله عليه وسلم الصبح قرأ (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) فقال رجل من القوم قد قدرت عين أم إبراهيم وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم أنها سماه خليل من أجل أنه أصاب أهل حاجته يجذب فارتحل إلى خليل له من

أهل الموصل وقال بعضهم من أهل مصر لبيتار طعنا لأهله من قبله فلم يصب عنده حاجته فلما قرب من أهله بمغازة ذات رمل فقال لوملائ غراري من هذا الرمل فلا يشتم أهل برجوعى اليهم بغير مرة وليظنوا أننا أيهم بما يحبون فضل ذلك فتحول مالى الترائر من الرمل دقيقا فلما سار الى منزله نام وقام أهله فقتلوا الترائر فوجدوا دقيقا فضجوا منه وخبروا فاستيقظ فأنهم عن الدقيق الذى منخروا فقالوا من الدقيق الذى جثته به من عند خليلك فقال نعم هو من عند خليلي الله فساء الله بذلك خيليا وفي صفة هذا ووقوعه نظر وغاية أن يكون خبرا إسرائيليا لا يصدق ولا يكذب وإنما مى خليل الله لشدة محبته له عز وجل لما قلناه به من الطاعة التي يحبها ويرضاها ولهذا ثبت في الصحيحين من رواية أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال « أما بعد أيها الناس فلو كنتم متخذين من أهل الأرض خيليا لأخذت أبا بكر بن أبي قحافة خيليا ولكن صاحبكم خليل الله » وجاء من طريق جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا » وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مسلم حدثنا إسحاق بن أحمد بن أسيد حدثنا إبراهيم بن إسحاق الجوزجاني بمكة حدثنا عبد الله الحنفى حدثنا زمة أبو صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتظفرونه فخرج حتى إذا ادنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول يجب إن الله اتخذ من خلقه خليلًا فأبراهيم خليله وقال آخر ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليمًا وقال آخر فعيسى روح الله وكلمته وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : « قد سمعت كلامكم وتبصرتكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كلمه وعيسى روحه وكلمته وآدم اصطفاه الله وهو كذلك وكذلك عهد ﷺ قال ألا وإنى حبيب الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول منحرك حلقة الجنة فيفتح الله ويدخلني ومعى قراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شواهد في الصحيح وغيرها وقال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال أتصحبون من أن تكون الحلة لإبراهيم والسلام لموسى والرؤية لحمد صلات الله وسلامه عليهم أجمعين رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط البخارى ولم يخرجناه وكذا روى عن أنس بن مالك وغير واحد من الصحابة والتابعين والأئمة من السلف والخلف وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبد الله القزوينى حدثنا محمد بن عيسى بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو بن عثمان بن أبي قيس عن عاصم عن أبي راشد عن عبيد بن عمير قال كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوما يلتمس أحدا يضيفه فوجد أحدا يضيفه فخرج إلى داره فوجد فيها رجلا قائما فقال يا عبيد الله ما أدخلك دارى بغير إذننى قال دخلتها بأذنىها ، قال ومن أنت قال أنا مالك الموت أرسلنى ربى إلى عبد من عباده أبقره بأن الله قد اتخذني خليلًا قال من هو فوالله إن أخبرتنى به ثم كان بأقصى البلاد لأتبعه ثم لا أبرح له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم قال فمى اتخذنى ربى خليلًا قال انك تعطى الناس ولا تسألهم وحدثنا أبو حدثنا محمود بن خالد السلى حدثنا الوليد بن إسحق بن يسار قال لما اتخذ الله إبراهيم خليلًا أتى في قلبه الرجل حتى ان خفقان قلبه لسمع من بيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وهكذا جاء في صفة رسول الله ﷺ أنه كان يسمع لصدرة أزيز كأزيز المرجل إذا اشتد غلباها من البكاء وقوله (والله مالى السموات وما فى الأرض) أى الجميع ملكه وعبيده وخلقوه وهو المتصرف فى جميع ذلك لأراد الملقى ولا نمقب للملك ولا يسأل عما يملك لظلمته وقدرته وعمله وحكمته ولطقه ورحمته وقوله (وكان الله بكل شىء محيطاً) أى علمه نائذ فى جميع ذلك لا تخفى عليه خافية من عباده ولا يمزب عن علمه مقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أسفر من ذلك ولا أكبر ولا تخفى عليه ذرة مما تراهى للناظرين وما توارى .

﴿ وَبَسِّمُوتُوكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفَتِّحُكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَبْقَىٰ عَلَيْكُمْ فِي النِّسَاءِ إِلَّا لِي لَا تَأْخُذَ بِنِزَائِنَ

مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضَفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿٦٠﴾

قال البخارى حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها (ويستوفونك في النساء قل الله يفتيك فبهن - إلى قوله - وترغبون أن تنكحوهن) قالت عائشة هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته في المال حتى في العلق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجه رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعزلها فنزلت هذه الآية ، وكذلك رواه مسلم عن أبي كريب وعن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن أبي أسامة وقال ابن أبي حاتم قرأت على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير قالت عائشة : ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فبهن فأنزل الله (ويستوفونك في النساء قل الله يفتيك وما يتلى عليكم في الكتاب) الآية ، قالت : والذي ذكر الله أنه يتلى عليه في الكتاب . الآية الأولى التي قال الله (وإن ختمت أن لا تمشطوا في اليتامى لأنكحوا ما طاب لكم من النساء) وهذا الإسناد عن عائشة قالت : وقول الله عز وجل (وترغبون أن تنكحوهن) رغبة أحدهم عن يئيمته التي تكون في حجره حتى تكون قليلة المال والجمال فهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن وأصله ثابت في الصحيحين من طريق يونس بن يزيد الأيلي ، والقصد أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها فتارة يرغب في أن يزوجه فأمره الله أن يهرها أسوة أمثالهم من النساء ، فإن لم يفعل فليدل إلى غيرها من النساء وقد وسع الله عز وجل ، وهذا المسمى في الآية الأولى التي في أول السورة ، وتارة لا يكون له فيها رغبة لمسامتها عنده أو في هوس الأمر فتاه الله عز وجل أن يضلها عن الأزواج خشية أن يشركوه في ماله الذي بينه وبينها كما قال جل بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وهي قوله (في يتامى النساء) الآية . كان الرجل في الجاهلية يكون عنده اليتيمة فيلقى عليها ثوبه فإذا فعل ذلك لم يفسد أمد أن يزوجه أبداً ، فإن كانت جميلة وهو يزوجه وأكل ماله وإن كانت حميمة عنها الرجال أبداً حتى تموت فإذا مات ورثها فصرم الله ذلك ونهى عنه . وقال في قوله (وللمستضعفين من الولدان) كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات وذلك قوله (لا تؤتوهن ما كتب لهن) نهى الله عن ذلك وبين لكل ذي سهم سهمه فقال (للذكر مثل حظ الأنثيين) صغيراً أو كبيراً ، وكذا قال سعيد بن جبير وغيره قال سعيد بن جبير في قوله (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) كما إذا كانت ذات جمال ومال نكحها واستأثرت بها كذلك إذا لم تكن ذات مال ولا جمال فأنكحها واستأثر بها وقوله (وما تفعلوا من خير فإن الله كان به علياً) نهيها على فعل الخيرات واستئلال الأولاد وأن الله عز وجل عالم بجميع ذلك وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه .

﴿ وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ أَنْ تَبْلُغَا نَشُورًا أَوْ إِفْرَاسًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَلَنْ تُعْطِيَهُمُ أَنْ تَدُلُّوهُمَا بَيْنَ السَّاءِ وَلَا حَرَجٌ مِّنْهُمُ أَنْ يُفْعَلُوا كُلُّ الْأَمَلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَمْلُوقَةِ وَإِنْ تَصِلُوا إِلَهَا فَمَا لَكُمُ أَنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَإِنْ يَفْرَقَا مِمَّنْ بَيْنَ اللَّهِ كَلَامٌ سَنِيَّةٍ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبراً ومشرعاً من حال الزوجين تارة في حال تصور الرجل عن المرأة وتارة في حال انفراقهما ، وتارة في حال فرقة لها فالله الأولي ما إذا خافت المرأة من زوجها أن يضر عنها أو يمرض عنها فلها أن تسقط عنه حقها أو بعنه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من حقوقها عليه وله أن يقبل ذلك منها لئلا يخرج عنها في بدلها ذلك له ولا

عليه في قبوله منها ولهذا قال تعالى (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) ثم قال (والصلح خير) أي من القراق وقوله (وأحضرت الأنفس الشح) أي الصلح عند الشاحة خير من القراق ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة عزم رسول الله ﷺ على قرائتها فصالحته على أن يسكنها ويترك يومها لمائة قبل ذلك منها وأبقاها على ذلك (ذكر الرواية بذلك) قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : خشيت سودة أن يطلتها رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومى لمائة ففعل ونزلت هذه الآية (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرافا فلا جناح عليهما) الآية . قال ابن عباس فما اسطلحا عليه من شيء فهو جائز ورواه الترمذي عن محمد بن الثني عن أبي داود الطيالسي به وقال حسن غريب ، قال الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ توفي عن تسع نسوة وكان يقسم لثمان . وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لمائة فكان النبي ﷺ يقسم لها يوم سودة . وفي صحيح البخاري من حديث الزهري عن عروة عن عائشة نحوه ، وقال سعيد بن منصور أن أبا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عروة قال أنزل الله في سودة وأشباها (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرافا) وذلك أن سودة كانت امرأة قد أسنت فقررت أن يفارقها رسول الله ﷺ وضعت بمكاتها منه وعرفت من حب رسول الله ﷺ عائشة ومنزلها منه ، فوهبت يومها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمائة قبل ذلك رسول الله ﷺ قال البيهقي وقد رواه أحمد بن يونس عن الحسن بن أبي الزناد موسولا وهذه الطريقة رواها الحاكم في مستدركه فقال حدثنا أبو بكر بن إسحاق القتيبي أخبرنا الحسن بن علي بن زياد حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت له يا ابن أخي : كان رسول الله ﷺ لا يفضل بضئا على بعض في مكته عندنا وكان قل يوم إلا هو يطوف علينا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وقررت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومى هذا لمائة ، قبل ذلك رسول الله ﷺ قالت عائشة ، في ذلك أنزل الله (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرافا) وكذلك رواه أبو داود عن أحمد بن يونس به ، والحاكم في مستدركه ، ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه ابن مردويه من طريق أبي بلال الأشعري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد به نحوه ومن رواية عبد العزيز عن محمد الدراوردي عن هشام بن عروة بنحوه مختصرا والله أعلم : وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن البصولي في أول معجمه حدثنا محمد بن يحيى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا القاسم بن أبي برة قال يمشي النبي ﷺ إلى سودة بنت زمعة بطلاقها ، فلما أن أنماها جلست له على طريق عائشة فلما رآته قالت له : أنشدك بالله أنزل عليك كلامه واسطفاك على خلقه لا راجعتي فإن قد كبرت ولا حاجة لي في الرجال لكن أريد أن أبث مع لسالك يوم القيامة فراجعتها فقالت فإني جلست يومى وليلى لحبة رسول الله ﷺ وهذا غريب مرسل . وقال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أن أبا ناهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرافا) قال الرجل تكون عنده المرأة المسنة ليس بمسكتك منها يريد أن يفارقها فتقول : أجبك من شأني في حل فنزلت هذه الآية . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرافا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) قالت هذا في المرأة تكون عند الرجل فله لا يكون بمسكتك منها ولا يكون لها ولد ويكون لها محبة فتقول : لا تطلقني وأنت في حل من شأني . حدثني الثني حدثنا حجاج ابن مهنا حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عائشة في قوله (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرافا) قالت هو الرجل يكون له المرأة إن أحدهما قد كبرت والأخرى دميعة وهو لا يستكر منها فتقول . لا تطلقني وأنت في حل من شأني وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير وجه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم وشاهدنا الحديث ولله قال ابن جرير حدثنا ابن حمزة وابن وكيع قال حدثنا جرير عن أشعث عن ابن سيرين قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب

فسأله عن آية فكرهه فضربه بالبرية ، فسأله آخر عن هذه الآية (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراساً) ثم قال مثل هذا فاسألوا ، ثم قال : هذه المرأة تكون عند الرجل فتخلو من سنها فيتزوج للزنا فالتأنيب يلتبس ولها ما اصطاحا عليه من شيء فهو جائز . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين المسنجان حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص عن سبائك بن حرب عن خالف بن عرعرة قال : جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فسأله عن قول الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراساً فلا جناح عليهما) قال علي : يكون الرجل عند المرأة فتنبو عيناها عنها من حلماتها ، أو كبرها ، أو سوء خلقها ، أو قنذها فتكرهه فراقه ، فإن وضعت له من مهرها شيئاً حل له ، وإن جملته من أيامها فلا حرج . وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن حماد بن سلمة وأبي الأحوص ، ورواه ابن جرير من طريق إسرائيل أربعتهم عن سبائك به . وكذا فسره ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد بن جبر والشعبي وسعيد بن جبير وعطاء وعطية العوفي ومنكحول والحسن والحكم بن عتبة وقائدة وغير واحد من السلف والأئمة والأعلام في ذلك خلافاً أن المراد بهذه الآية هذا والله أعلم وقال القاضي أنبأنا ابن عيينة عن الزهري عن ابن السيب أن بنت محمد بن مسلم كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمراً إما كبراً أو غيره فأراد طلاقها فالتفت إلى أبيها فأنزل الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراساً) الآية وقدره الحاكم في مستدركه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن السيب وسليمان بن يسار بأطول من هذا السياق وقال الحافظ أبو بكر الباق حدثنا سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني أنبأنا علي بن محمد بن عيسى أنبأنا أبو الجان أخيراً شبيب بن أبي حمزة عن الزهري أخبرني سعيد بن السيب وسليمان بن يسار أن السنة في هاتين الآيتين اللتين ذكر الله فيما نشوز الرجل وإعراسه عن امرأته في قوله (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراساً) إلى تمام الآيتين أن المرأة إذا نشز عن امرأته وآثر عليها فإن من الحق أن يعرض عليها أن يطلقها أو تستقر عنده على ما كانت من أمة أو تفرق من ماله ونفسه صلح له ذلك وكان صلحها عليه كذلك ذكر سعيد بن السيب وسليمان الصالح الذي قال الله عز وجل (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير) وقد ذكر لي أن رافع بن خديج الأنصاري كان من أصحاب النبي ﷺ كانت عنده امرأة حق إذا كبرت تزوج عليها فتاة شابة وآثر عليها الشابة ففاسدته الطلاق فطلقها فطلقته ثم أمهلها حتى إذا كادت تحمل راجعاً ثم فارقها فآثر عليها الشابة ففاسدته الطلاق فقال لها ما شئت إني أقيم لك تطلقك واحدة فإن شئت استقرت على ما تريد من الأثرة وإن شئت فارتدت فقالت لا بل استقر على الأثرة فأمسكها على ذلك فكان ذلك صلحها ولم ير رافع عليه إثم حين رضيت أن تستقر عنده على الأثرة فيما أكرهه عليها وهكذا رواه بتمامه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي الجان عن شبيب عن الزهري عن سعيد بن السيب وسليمان بن يسار فذكره بطوله والله أعلم وقوله (والصلح خير) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني التخيير أن يغير الزوج لها بين الإقامة والفرق خير من تمادي الزوج على أمرها غيرها عليها والظاهر من الآية أن صلحها على ترك بعض حقها للزوج وقبول الزوج ذلك خير من المفاصلة بالكية كما أمسك النبي ﷺ سودة بنت زمعة لئلا تترك يومها لثأته رضى الله عنها ولم يفارقها بل تركها من جملة نسائه وفعله ذلك لتتأني به أتمته في مشروعية ذلك وجوازه فهو أفضل في حقه عليه الصلاة والسلام ولما كان الوفاق أحب إلى الله من الفرق قال (والصلح خير) بل الطلاق يفيض إليه سبحانه وتعالى ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه جميعاً عن كثير بن عبيد عن محمد بن خالد عن معروف بن واصل عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبيض الحلال إلى الله الطلاق » ثم رواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن معروف بن محارب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله مرسلًا وقوله (وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) وإن تتحسبوا مشقة السب على ما تكرهون منهم وتخشعوا لمن أسوة أمثالهم فارت الله عالم بذلك وسيجزىكم على ذلك أوفر الجزاء . وقوله تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدوا بين النساء ولو حرصتم » أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه فإنه وإن وقع القسم السوري ليلة وليلة فلا بد من التفاوت

في الحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة قال نزلت هذه الآية (ولن تستطيعوا أن تصلوا بين النساء ولو حرصتم) في عائشة ، يعني أن النبي ﷺ كان يحبا أكثر من غيرها كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه فيعدل ثم يقول « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » يعني القلب هذا لفظ أبي داود وهذا إسناد صحيح لكن قال الترمذي رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابة مرسل قال وهذا أصح وقوله (فلا تصلوا كل الليل) أي فإذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالقوا في الليل بالسكينة (فتدروها كالملقة) أي تفتق هذه الأخرى ملقة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن والضحاك والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان معناه لاذت زوج ولا مطلقة وقال أبو داود الطيالسي أنبأنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نبيك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداها جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط » وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث همام بن يحيى عن قتادة به وقال الترمذي إنما أسنده همام ورواه هشام المستوأي عن قتادة قال كان يقال ولا يعرف هذا الحديث مرفوعا إلا من حديث همام وقوله (وإن تصلوا وتفقوا فإن الله كان غفورا رحيما) أي وإن أصلحتن في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون وانتهيتن الله في جميع الأحوال غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض ثم قال تعالى (وإن يفرقا بين الله فلا من سعة وكان الله واسعا حكيما) وهذه هي الحالة الثالثة وهي حالة الفراق وقد أخبر الله تعالى أنهما إذا فرقا فإن الله يشيه عنها ويضيق عنها بأن يوسعها الله من هو خير له منها ويوسعها عنه من هو خير لهما منه (وكان الله واسعا حكيما) أي واسع الفضل عظيم اللين حكيم في جميع أفعاله وأقداره وشرعه

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفِيْرًا حَمِيْدًا ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَوْ يُبَدِّلْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَبَيِّنَاتٍ بَآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيْرًا ۚ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا﴾

خبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه الحاكم فيما ولدها قال (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم) أي وصيناكم بما وصيناكم به من تقوى الله عز وجل بعبادته وحده لا شريك له ثم قال (وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض) الآية كما قال تعالى إخبارا عن موسى أنه قال قوموه (إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لنفى حميد) وقال (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد) أي غنى عن عباده (حميد) أي محمود في جميع ما يمدحه وشرعه وقوله (ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا) أي هو القام على كل نفس بما كسبت الرقيب الشهيد على كل شيء وقوله (إن يشأ يذهبكم أو يبدلكم بغيركم إذا عسى الله) (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قال بعض السلف ما أمرون العباد على الله إذا أضعوا أمره وقال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) أي هو قادر على إذهابكم وتبديلكم بغيركم إذا عسى الله (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قال بعض السلف ما أمرون العباد على الله إذا أضعوا أمره وقال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) أي هو عليه بمتنع وقوله (من كان يريد ثواب الدنيا فمن الله ثواب الدنيا والآخرة) أي يامن ليس له همه إلا الدنيا اعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة وإذا سأله من هذه وهذه أعطاك وأعناك وأتيناك كما قال تعالى (فمن الناس من يقول

ربنا آتانا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق • ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • أولئك لم يسيب عما كسبوا (الآية وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) الآية وقال تعالى (من كان يريد العاجلة جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد - إلى قوله - انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) الآية وقد زعم ابن جرير أن اللحن في هذه الآية (من كان يريد ثواب الدنيا) أي من اللناقين الذين أظهروا الإيمان لأجل ذلك (فسد الله ثواب الدنيا) وهو ما حصل لهم من اللناج وغيره ما عسى للمسلمين وقوله (والآخرة) أي وعند الله ثواب الآخرة وهو ما ادخره لهم من العقوبة في نار جهنم جعلها كقولهم (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - إلى قوله - وباطل ما كانوا يصمون) ولا شك أن هذه الآية معناها ظاهر وأما تفسيره الآية الأولى بهذا فغير نظر فإن قوله (فسد الله ثواب الدنيا والآخرة) ظاهر في حصول الحر في الدنيا والآخرة أي يبد هذا وهذا فلا يقتصرن قاصر الجملة على السعي للدنيا فقط بل تشكك منه سامة إلى نيل الطالب المالية في الدنيا والآخرة فإن مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الضر والنفع وهو الله الذي لا إله إلا هو الذي قد قسم السعادة والشقاوة بين الناس في الدنيا والآخرة ، وعمل بينهم فجاءه منهم فمن يستحق هذا ومن يستحق هذا . ولهذا قال (وكان الله حكيما بصيرا)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّوا أَوْ نَسُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل فلا يبدلوا عنه عينا ولا هملا ولا يأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وأن يكونوا متوازنين متساويين متعاضدين متصارعين فيه وقوله (شهداء لله) كما قال (وأقيموا الشهادة لله) أي أدوها ابتغاء وجه الله فيجئ ذلك تكون صحيحة عادلة حقا خالية من التحريف والتبديل والكتبان ولهذا قال (ولو على أنفسكم) أي أشهد الحق ولو عاد ضررها عليك وإذا سئلت عن الأمر قتل الحق فيه ولو عادت مضرت عليك فإن القسط يجعل من أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه وقوله (أو الوالدين والأقربين) أي وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراهم فيها بل أشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم فإن الحق حاكم على كل أحد وقوله (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) أي لا ترعاه لثناه ولا تشفق عليه لفقره الله يتولاهما بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما وقوله (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي فلا يحملنكم الهوى والصنعية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشئونكم بل ازموا العدل على أي حال كان كما قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ومن هذا قول عبد الله بن رواحة لما بعث النبي ﷺ يخرس على أهل خير محارم وزرورهم فأرادوا أن يرشوه ليفرق بهم فقال : والله لقد جئكم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم أبغض إلي من أعدائكم من القرظة والحنازير وما يحملني حبي لإياه ، وبغض لسكم على أن لا أعدل فيكم فقالوا بهذا قلتم السموات والأرض وسائر الحديث مسندا في سورة المائدة إن شاء الله تعالى وقوله (وإن تلوا أو نتمشوا) قال مجاهد وغير واحد من السلف تلوا أي تحرفوا الشهادة وتبروها وإلى هو التحريف وتعمد الكذب قال تعالى (وإن منهم لفرقا بل يوقنوا أنهم ألتهم بالكتاب) الآية والاعراض هو كتمان الشهادة وتركها قال تعالى (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسئلهما) ولهذا تودعهم الله بقوله (فإن الله كان بما تعملون خيرا) أي وسيجازيكم بذلك

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ

بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستنصر بها وأقرتوم على ذلك فقد شاركتموم في الذي هم فيه فلعلنا قال تعالى (إنكم إنما قلتم) في التائب كجاء في الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مالته يدار عليها الخمر » والذي أحيل عليه في هذه الآية من التي في ذلك هو قوله تعالى في سورة الأنعام وهي مكبة (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم) الآية قال مقاتل بن حيان نسخت هذه الآية التي في سورة الأنعام يعني نسخ قوله (إنكم إنما قلتم) - قوله - وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون) وقوله (إن الله جامع للنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) أي كما أضر كرم في الكفر كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبداً ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الحميم والسيلين لا الزلال

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَكُمُ فَإِنْ كَانَ كُفْرُكُمْ فَتَنَ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَحْذِرْ عَلَيْنَاكُمْ وَنَسَمَكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاهْلُ بِكُمْ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)

غير تعالى عن النافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر سوء يعني ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملتهم (فإن كان لكفر من الله) أي نصر وتأييد وظفر وغشمة (قالوا ألم تكن معكم) أي يهوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة (وإن كان للكافرين نصيب) أي إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان كواقع يوم أحد فإن الرسل يتولى ثم يكون لها العاقبة (قالوا ألم نستحذركم عليكم ونغمكم من المؤمنين) أي ساعدناكم في الباطن وما ألوانهم خيالاتهم ولا حتى اتصرتهم عليهم وقال السدي نستحذو عليكم قلب عليكم كقوله (استحذو عليهم الشيطان) وهذا أيضا تود منهم إليهم فلمهم كان يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحطوا عندهم ويأمنوا كيدهم وما ذلك إلا لضعف إيمانهم وقلة إيمانهم قال تعالى (فأله يحكم بينكم يوم القيامة) أي بما يملكه منكم أيها النافقون من البواطن الرديئة فلا تقروا بجرمان الأحكام الشرعية عليكم ظاهراً في الحياة الدنيا لما له في ذلك من الحكمة في يوم القيامة لا تنضمكم ظواهركم بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويحصل ما في الصدور وقوله (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) قال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن الأعمش عن زر عن سبيع الكندي قال جاء رجل إلى بن أبي طالب فقال كيف هذه الآية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) فقال علي رضي الله عنه أدته فأله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً قال ذلك يوم القيامة وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي يعني يوم القيامة وقال السدي سبيلاً أي حجة ويحتمل أن يكون المعنى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً أي في الدنيا بأن يسلطوا عليهم استبداد استتصال بالكلية وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (إننا لننصر رسلاًنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) الآية وعلى هذا يكون ردنا على النافقين فيما ألوه ورجعوا وانتظروا من زوال دولة المؤمنين وفيما سلطوهم من مصافهم الكافرين خوفاً على أنفسهم منهم إندام ظهروا على المؤمنين فاستأسلهم كما قال تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيه) إلى قوله - نادمين) وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أمس قول العلماء وهو لئن من بيع العبد المسلم الكافرين لما في سعة إتياعه من التسليطه عليه والأذلال ومن قال منهم بالصحة بأمره يزل الله ملكه عنه في الحال قوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاعُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مَذْذَبَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَهُ سَبِيلًا)

قد تقدم في أول سورة البقرة قوله تعالى (مخادعون الله والله دين آمنوا) وقالهنا (إن لناقين مخادعون الله وهو خادعهم) ولا شك أن الله لا يبالغ فإنه العالم بالسرائر والضاير ولكن لناقين لجهلهم وثقة عنهم وعلمهم يشقون أن أمرهم كما راجع عند الناس وجرت عليهم أحكام التسمية ظاهراً فكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة وأن أمرهم يرجع عنده كما أخبر تعالى عنهم أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسداد ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده كما قال تعالى (يوم ينهيه الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم) الآية وقوله (وهو خادعهم) أي هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويغفلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك يوم القيامة كما قال تعالى (يوم يقول لناقون ولناقناك الذين آمنوا انظرونا تفتبس من نوركم - إلى قوله - وبش الصبر) وقد ورد في الحديث « من سمع مع الله به ومن رآه رآه الله به » وفي الحديث الآخر « إن الله يأمر بالهدى إلى الجنة فيأمر بديناس ويعد به إلى النار » عياداً بالله من ذلك وقوله (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) الآية هذه صفة لناقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لا ينة لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يقبلون معناها كما روى ابن مردويه عن طريق عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم إليها طلق الوجه ، عظيم الرغبة شديد الفرح ، فإنه ينال الله وإن الله سبحانه ينفقه ويعجبه إذا دنا ثم يتلو هذه الآية ، (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) وروى من غير هذا الوجه عن ابن عباس نحوه قوله تعالى (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) هذه صفة ظواهرهم كما قال (ولا يؤتون الصلاة إلا وهم كسالى) ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم القاسدة فقال (يرامون الناس) أي لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة . ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يرون فيها غالباً مكساة المشاء في وقت التمة وصلاة الصبح في وقت التلى كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « أقبل الصلاة على لناقين صلاة العشاء وصلاة الصبح ولو يملكون ما فيها لأتوها ولو جأوا وقد هممت أن أمر بالصلاة فقام ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي رجال ومعهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » وفي رواية « والذي نفسي بيده لو علم أحدكم أنه يجد عرفاً ممينا أو مرماتين حستين لشهد الصلاة ولولا ما في البيوت من النساء والبقرة لحرق عليهم بيوتهم بالنار » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن إبراهيم بن أبي بكر اللقدي ، حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو تلك استبانة استبان بها ربه عز وجل » وقوله (ولا يذكرون الله إلا قليلاً) أي في صلاتهم لا يخشون ولا يدرون ما يقولون بل هم في صلاتهم ساهون لاهون وعما يراد بهم من الخسر معروضون وقد روى الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « تلك صلاة لناق تلك صلاة لناق تلك صلاة لناق : يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث إسماعيل بن جعفر للذى عن الصلاة ابن عبد الرحمن به وقال الترمذى حسن صحيح وقوله (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعنى لناقين عيرين بين الإيمان والكفر فلام مع للؤمنين ظاهراً وباطناً ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يتربى الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى أولئك (كلا أضاء لهم مشاويهم وإذا أظلم عليهم قاموا) الآية : وقال مجاهد (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء) يعنى أصحاب محمد ﷺ (ولا إلى هؤلاء) يعنى اليهود وقال ابن جرير حدثنا محمد بن الثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « مثل لناق كمثل الشاة المائرة^(١) بين التمنين تمر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة ولا تدرى أيهما

(١) المائرة بالمرزة من طارت الشاة بين الصلوتين إذا ترددت بينهما لا تدرى أيهما ينزى عليها

تبع « ثم قد رواه عن محمد بن القاسم مرة أخرى عن عبد الوهاب فوقف به علي بن عمر ولم يرضه قال حدثنا به عبد الوهاب مرتين كذلك قلت وقد رواه الإمام أحمد عن إسحق بن يوسف بن عبيد الله به مرفوعا وكذا رواه إسماعيل بن عياش وعلي بن حاصم عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وكذا رواه عثمان بن محمد بن أبي شيبة عن عبيد الله به مرفوعا ورواه حماد بن سلمة عن عبيد الله أو عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مرفوعا . ورواه أيضا سحر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بثله وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا الهذلي بن بلال عن ابن أبي عبيد أنه جلس ذات يوم بحكة وعبد الله بن عمر معه فقال ابن أبي عبيد قال أبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الرضين من اللحم إن أمت هؤلاء نطحتا وإن أمت هؤلاء نطحتا » فقال له ابن عمر كذبت فأنتي اليوم علي أبي خيرا أو مرفوعا فقال ابن عمر ما أظن صاحبكم إلا كما تقولون ولكني شاهدي الله إذ قال كالشاة بين التمنين ، فقال هو سواء فقال هكذا سمعته . قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا السعدي عن ابن جعفر محمد بن علي قال سينا عبيد بن عمر يقص وعنده عبد الله بن عمر فقال عبيد ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المنافق كالشاة بين رضين إذا أمت هؤلاء نطحتا وإذا أمت هؤلاء نطحتا » فقال ابن عمر ليس كذلك إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كساة بين غنمين » قال فاختلف الشيخ وغضب فلما رأى ذلك ابن عمر قال أما إني لو لم أسمعه لم أرد ذلك عليك . (طريقة أخرى عن ابن عمر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عثمان بن ماذويه عن يضر بن زودي قال سمعت عبيد بن عمر وهو غصص يقول قال رسول الله ﷺ « مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين التمنين » فقال ابن عمر : وليكم لا تكذبوا على رسول الله ﷺ ، إنما قال رسول الله ﷺ « مثل المنافق كمثل الشاة المائرة بين التمنين » ورواه أحمد أيضا من طرق عن عبيد بن عمر عن ابن عمر ، ورواه ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : مثل المؤمن وللنافق والكافر مثل ثلاثة نفر اتوا إلى واد فوقع أحدهم قمبر ، ثم وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي وليك أين تنهب إلى الملكة ارجع عودك على بدناك ، وناداه الذي عبر هلم إلى النجاة ، فبسل ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة ، قال فجهدهم سيل فأغرقه ، فوالذي عبر هو المؤمن ، والذي غرق للنافق (مذبحين بين ذلك لا إلى هؤلاء هؤلاء) والذي مكث الكافر وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن قتادة (مذبحين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يقول ليسوا بمؤمنين غلصين ، ولا مشركين مصرحين بالكفر ، قال وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يضرب مثلا للمؤمن وللنافق والكافر كمثل رهط ثلاثة دفنوا إلى نهر فوقع للمؤمن قطع ، ثم وقع للنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر أن هلم إلى فإني أخشى عليك ، وناداه المؤمن أن هلم إلى فان عندى وعندى يحظى (١) له ما عنده ، لما زال للنافق يتردد بينهما حتى أتى أذى (٢) ففرقه وإن للنافق لم يزل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك قال وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « مثل المنافق كمثل ثاغبة بين غنمين رأيت غنا على نشر فأتها وباشتها فلم تعرف ، ثم رأيت غنا على نشر فأتها فاشمتها فلم تعرف » ولها قال تعالى (ومن يضل الله فلا حول له) ولنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هدى لهم ، ولا مقد لهم مما هم فيه ، فانه تعالى لا يعقب لحكمه ولا يسل عما يفعل وهم يسئلون

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يَجْعَلُوا إِلَهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مِثْلَنَا * إِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ فِي الدِّينِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا

(١) في نسخة ابن جرير : وعصى بالصاد (٢) وفيه آي عليه لاه .

وَأَعْتَصِمُوا بِآلِهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَا تَكُونُوا عَلَيْهِمْ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ وَآبَتُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝

بني الله تعالى عباده للمؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعني مصاحبهم ومصادقهم ومناصبتهم وإسراير اللوة إليهم ، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم ، كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن فعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تقوا منهم عقاباً) أي يحذركم عقوبته في ارتكابكم نهيته ، ولهذا قال ههنا (أنريدون أن نجعلوا الله عليكم سلطاناً مبیناً) أي حجة عليكم في عقوبته إلّاكم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا حفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قوله (سلطاناً مبیناً) قال كل سلطان في القرآن حجة وهذا إسناد صحيح ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي والنضر بن عري ، ثم أخبر تعالى (إن للناققين في الدرك الأسفل من النار) أي يوم القيامة جزاء على كفرهم الفيلظ . قال الهادي عن ابن عباس (في الدرك الأسفل من النار) أي في أسفل النار ، وقال غيره النار دركات كأن الجنة درجات ، وقال سفيان الثوري عن عاصم عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة (إن للناققين في الدرك الأسفل من النار) قال في توابيت ترجع عليهم . كذا رواه ابن جرير عن ابن وكيع عن يحيى بن عمار عن سفيان الثوري به ، ورواه ابن أبي حاتم عن النضر بن شاذان عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة (إن للناققين في الدرك الأسفل من النار) قال الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم فتوقد من نهمهم ومن فوهم ، قال ابن جرير حدثنا ابن يشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن عبد الله بن أبي مسعود (إن للناققين في الدرك الأسفل من النار) قال في توابيت من نار تطبق عليهم أي مغلقة مغلقة ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن وكيع عن سفيان عن سلمة عن خيثمة عن ابن مسعود (إن للناققين في الدرك الأسفل من النار) قال في توابيت من حديد مبهمة عليهم ، ومعنى قوله مبهمة أي مغلقة مغلقة لا يتدلى لسان قطعها ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو أسامة حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود سئل عن الناققين فقال : يملكون في توابيت من نار تطبق عليهم في أسفل درك من النار (ولن تجد لهم نصيراً) أي يتقدمهم مما هم فيه ويخرجهم من ألبم العذاب ، ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا تاب عليه وقبل ندمه إذا أخلص في بؤيته وأصلح عمله ، واعتصم بربه في جميع أمره فقال تعالى (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) أي بدلو الرياء بالإخلاص فيفهم العمل الصالح وإن قل ، قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أي عمران عن عمران بن عمرو بن مرة عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال « أخلص دينك بكلك القابل من العمل » (فأولئك مع المؤمنين) أي في زميرهم يوم القيامة (وسوف يؤت الله للمؤمنين أجراً عظيماً) ثم قال تعالى عذراً عما سواه وأنه إنما يسلط البعاد بدونهم فقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن جكرتم وآتمتم) أي أصلحت العمل وآتمتم بالله ورسوله (وكان الله شاكراً علياً) أي من شكر شكر له . ومن آمن قلبه به علمه وجزاءه على ذلك أوفر الجزاء

﴿ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالشُّرَةِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ شَمِيمًا عَلِيمًا ۝ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَسْأَلُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝﴾

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً فإنه قد أرحس له يدعو على من ظلمه وذلك قوله (إلا من ظلم) وإن صبر فهو خير له وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا

سفيان عن حبيب عن عطاء عن عائشة قال سرق لها شيء فجلت تدعو عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تسبني عنه » وقال الحسن البصري لا يبيع عليه وليقل اللهم اغفر له واستخرج حتى منه وفي رواية عنه قال قد أرحس له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يبتدئ عليه وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية هو الرجل يشتكم فتنشتمه ولكن إن اقترى عليك فلا تخر عليه قوله (وإن اتصم بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) وقال أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن الملاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللبائن ما قالا قبل البادي منهما مالم يمتد للظلم » وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن الصباح عن مجاهد في قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) قال صاف رجل رجلا فلم يؤد إليه حق ضيافته فلما خرج أخبر الناس فقال صفت فلانا فلم يؤد إلى حق ضيافتي قال فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم حتى يؤدى الآخر إليه حق ضيافته وقال ابن إسحق عن ابن أبي نجیح عن مجاهد (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) قال : قال هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج فيقول أساء ضيافتي ولم يحسن وفي رواية هو الضيف المحول رحله فانه يجهر لصاحبه بالسوء من القول وكذا روى عن غير واحد عن مجاهد نحوه هذا وقد روى الجماعة سوى النسائي والترمذي من طريق الليث بن سعد والترمذي من حديث ابن لهيعة كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد الله عن عقبة بن عامر قال: قلنا يا رسول الله إنك تمضنا فنزل قوم فلا يقرئونا لما ترى في ذلك ؟ « قال إنا نزلتم قوم فأمرنا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم وإن لم يملأوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم » وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا الجودي يحدث عن سعيد بن المهاجر عن القدام بن أبي كريمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أما مسلم ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فإن حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقري ليلته من زرعه وماله » فخر به أحمد من هذا الوجه وقال أحمد أيضا حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن منصور عن الشعبي عن القدام بن أبي كريمة مع رسول الله ﷺ يقول « ليلة الضيف واجبة على كل مسلم فإن أصبح غنائه محروما كان ديننا عليه فإن شاء اقتضاه وإن شاء تركه » ثم رواه أيضا عن غندر عن شعبة - وعن زياد بن عبد الله البكائي عن وكيع وأبي نعيم عن سفيان الثوري ثلاثهم عن منصور به ، وكذا رواه أبو داود من حديث أبي عوانة عن منصور به . ومن هذه الأحاديث وأمثالها ذهب أحمد وغيره إلى وجوب الضيافة ومن هذا القليل الحديث الذي رواه الحفاظ أبو بكر البزار : حدثنا محروم بن علي ، حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : إن لي جاريا يؤذيني فقال له : « أخرج متاعك فضعه على الطريق » فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق فسل من مر به قال : مالك ؟ قال جاري يؤذيني فيقول اللهم العنه اللهم أخزه قال : فقال الرجل ارجع إلى منزلك والله لا أؤذيك أبدا ، وقد رواه أبو داود في كتاب الأدب عن أبي توبة الربيع عن نافع عن سليمان ابن حيان أبي خاله الأحمر عن محمد بن عجلان به ثم قال البزار : لا تلهي يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد ورواه أبو جحيفة وهب بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ويوسف بن عبد الله بن سلام عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله (إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تنفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا) أي إن تظهروا أيها الناس خيرا أو أنصتتموه أو عفوتهم عن أساء إليكم فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه فإن من صفاته تعالى أن يوفق عباده مع قدرته على عقابهم ولهذا قال : (فإن الله كان عفوا قديرا) ولهذا ورد في الأثر أن حملة العرش يسبحون الله فيقول بعضهم سبحانك على حلك بعدعلك ويقول بعضهم سبحانك على عفوك بعدقدرتك ، وفي الحديث الصحيح « ما قص مال من صدقة ولا زاد الله عبدا ينفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه »

﴿ إِنَّا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا

مُهِينًا هَؤُلَاءِ زَيْنَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَعْرِفُوا بَيْنَ أَحَدِهِمْ أَوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به ورسله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان فكانوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشبهى والمادة وما ألقوا عليه آدابهم لاعتد دليل قادم إلى ذلك فإنه لا دليل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصية فالهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى وعهد عليهما الصلاة والسلام والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بآخمتهم وأشرفهم محمد ﷺ والسامرة لا يؤمنون بنبيهم يوشع خليفة موسى بن عمران ، والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبيهم لم قاله زرادشت ثم كفروا بشعره فرغ من بين أظهرهم والله أعلم ، والقصد أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي يشهد الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشبهى بين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً إنما هو عن غرض وهوى وعصية ولهذا قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسله) فوصفهم بأنهم كفار بالله ورسله (ويريدون أن يخربوا بين ذلك سيلا) أى طريقاً ومسلكاً ثم أخبر تعالى عنهم فقال (أولئك هم الكافرون حقاً) أى كفرهم حقيقى لا محالة بمن ادعوا الإيمان به لأنه ليس شرعياً إذ لو كانوا مؤمنين به لكان رسول الله لآمنوا بنظيره وبعين هو أوضح دليلاً وأقوى برهاناً منه أو نظروا حق النظر في نبوته وقوله (وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً) أى كما استهانوا بمن كفروا به إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا بالاضروية بهم إليه وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته كما كان ينفع كثير من أخبار اليهود في زمان رسول الله ﷺ حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة وخافوه وكذبوه وصادوه وقاتلوه فسلط الله عليهم الدال الذي يؤى الوصول بالدال الأخرى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بنصب من الله) في الدنيا والآخرة وقوله (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعنى بذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله كما قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون كل آمن بالله) الآية ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والسماء الجليل فقال (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) على ما آمنوا بالله ورسله (وكان الله غفورا رحيماً) أى لنهونهم أحياناً كان لبعضهم ذنوب

(يَسْتَكْبِرُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَمَقَّوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۖ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِ هَيْبَتِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا كَمَا دُخِلْنَا لَهُمْ لَا تَمْدُوا فِي السَّبْتِ وَاتَّخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)

وقال محمد بن كعب القرظى والسدى وقادة : سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة قال ابن جرير : سألوه أن ينزل عليهم صفحاً من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان بصدقه فيما جاءهم به وهذا إنما قالوه على سبيل التمثيل والصداد والكفر والإلحاد كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك كما هو مذکور في سورة سبحان (وقالوا لنؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) الآيات ولهذا قال تعالى (فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرَةً فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) أى بطغيانهم وبهم . وعوهم وعنادهم وهذا مفسر في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وإذا قلتم يا موسى لنؤمن لك حتى ترى الله جهرَةً فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) ثم يشتمكم من بعد موتكم لملككم تشكرون) وقوله تعالى (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أى من بعد ما رأوا من الآيات

الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام في بلاد مصر وما كان من إهلاك عدوهم فرعون وجميع جنوده إلى اليم فما جاوزوه إلا يسيرا حتى أتوا على قوم يسكنون على أسنام لم يقتلوا لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) الآيتين ثم ذكر تعالى قصة اتخاذ الجبل مبسوطة في سورة الأعراف وفي سورة طه بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله عز وجل ثم لما رجع وكان ما كان جعل الله توحيته من الذي صنعوه واجتدعوه أن يقتل من لم يبد الجبل منهم من عبده فجعل يقتل بعضهم بعضا، ثم أحيام الله عز وجل وقال الله تعالى (فصنونا عن ذلك وآتيناه موسى سلطانا مبينا) ثم قال (ورفضنا قومهم الطور بميثاقهم) وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة وظهر منهم إباء عما جاهد به موسى عليه السلام رفع الله على رؤسهم جبلا، ثم أئزموا فالتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤسهم خشية أن يسقط عليهم كما قال تعالى (وإذ تلقينا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم قوة) الآية (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) أي فدخلوا ما أمروا به من القول والقمل فاتهم أمروا أن يدخلوا باب بيت القدس سجدا وهم يقولون حطة. أي اللهم حط عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكولنا عنه حتى نهيا في التيه أربعين سنة فدخلوا يرحفون على أسنامهم وهم يقولون حطفة في شجرة (وقلنا لهم لا تمدا في السبت) أي وصيانتهم بحفظ السبت والتمسك به حرم الله عليهم ما دام مشرعوها لم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي شديد الصلابة وعصوا وتحيلوا على ارتكاب ما حرم الله عز وجل، كما هو مبسوط في سورة الأعراف عند قوله. (واستلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الآيات وسألت حديث صنوان بن عسال في سورة سبحان عند قوله. (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) وفيه: وعليكم خاصة يهود أن لا تمدا في السبت.

﴿ قِيمًا قَضَيْهِمْ مِثْقَلَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِنَائِي اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهِنْتُكَ عَذِيْبًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسِبًا ﴾

وهذا من الذنوب التي ارتكبوها بما أوجب لهم وطردهم وإبادهم عن الهدى وهو هضمه للوائق والعهود التي أخذت عليهم، وكفرهم بآيات الله، أي حججه وبراهينه، وللمعجزات التي شاهدوها على يد الأنبياء عليهم السلام، قوله: (وقتلهم الأنبياء بغير حق) وذلك لكثرة إجرامهم واجترامهم على أنبياء الله فاتهم قتلوا جماعة من الأنبياء عليهم السلام وقولهم (قلوبنا غلظ) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقادة وغير واحد أي في غطاء وهذا كقول الشركين (وقالوا قلوبنا في أكنة مانعونا إلى) الآية وقيل معناه أنهم ادعوا أن قلوبهم غلظ لعل أي أوهى لعل قد حوته وحسنته، ورواه السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقد تقدم نظيره في سورة البقرة قال الله تعالى (بل طبع الله عليها بكفرهم) فبلى القول الأول كأنهم يفتخرون إليه بأن قلوبهم لا تقي ما يقول الأنبياء فغلظوا في أكنة قال الله بل هي مطبوع عليها بكفرهم وعلى القول الثاني عكس عليهم ما ادعوه من كل وجه وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة (فلا يؤمنون إلا قليلا) أي تمردت قلوبهم على الكفر والعتيان. وقلة الإيمان (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتان عظيم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يسي أنهم رموها بالزنا وكذلك قال السدي وجوبه وروى محمد بن إسحق وغير واحد وهو ظاهر من الآية أنهم رموها وبهائم العظام فجعلوها زانية وقد حملت بولها من ذلك زاد بعضهم وحى حاضن فسلمها لملائكة الله للتبابة إلى يوم القيامة وقولهم (إننا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) أي هذا الذي يدعى نفسه هذا النسب

قتلناه وهذا منهم من باب التهم والاستهزاء كقول الشركين (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه أنه لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات البهرات التي كان يرى بها الأكه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ويصور من الطين طائرا ثم ينفخ فيه فيكون طائرا يشاهد طيراته بإذن الله عز وجل إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها أجراءها على يديه ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في آذائه بكل ما أمكنهم حتى جعل بني اقه عيسى عليه السلام لا يسكنهم في بلدة بل يكثر السباحة هو وأمه عليهما السلام ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان وكان رجلا مشركا من عبدة الكواكب وكان يقال لأهل ملته اليونان وأنها إليه أن في بيت المقدس رجلا يفتق الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فضمت لذلك من هذا وكتب إلى نائبه بالقدس أن يختلط على هذا المذكور وأن يصليه ويضع الشوك على رأسه ويكف آذائه عن الناس فلما وصل الكتاب امتثل وإلى بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر قرا وكان ذلك يوم الجمعة بعد المصرب ليلة السبت فحصره هناك . فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه أيكم يلقي عليه شئيه وهو رفيق في الجنة فانتدب لذلك شاب منهم فكأته استصره عن ذلك فأعادهما ثانية وثالثة وكل ذلك لا يتدب إلا ذلك الشاب فقال : أنت هو وألقي الله عليه شئيه عيسى حتى كآته هو وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من التوم فرفع إلى السماء وهو كذلك كما قال الله تعالى (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافقك إلى) الآية فلما رفع خرج أولئك التفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلمهم ماعدا من كان في البيت مع المسيح فأنهم شاهدوا رصفه . وأما الباقون فانهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصوب هو المسيح بن مريم حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك الصلوب وبكت ويقال إنه خاطبها والله أعلم ، وهذا كله من امتحان الله عباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة . وقد أوضح الله الأمر وجلا به بينه وأظهره في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم التؤيد للمعجزات والبينات والدلائل الواضحات فقال تعالى وهو أصدق القائلين ورب الملقين الطلع على السرائر والفضائل الذي يعلم السر في السموات والأرض العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون (وما قتالوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي ادعوا أنه قتله من اليهود ومن سلمه إليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ولهذا قال : (وما قتالوه شيئا) أي وما قتالوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين (بل رصفه الله إليه وكان الله عزيزا) أي منيع الجانب لا يرام جنباه ولا يضاف من لاذيابه (حكيا) أي في جميع ما يقدره ورضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة والحكمة الدائمة والسلطان العظيم والأمر القديم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن النلهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحوارين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال إن منكم من يكفر في اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي قال : ثم قال أيكم يلقي عليه شئيه فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له : اجلس ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال : اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا قتال : هو أنت ذاك فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه قتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به واقتروا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم سعد إلى السماء وهؤلاء اليهودية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رصفه الله إليه وهؤلاء التسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رصفه الله إليه وهؤلاء السلون فتظاهرت الكافراتان

على السلة فقتلوا فلهزل الإسلام طامساً حتى يموت الله محمداً ﷺ وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه وكذا ذكره غير واحد من السلف أنه قال لهم أيكم يأتي عليه شئ فيقتل مكانى وهو رفيق في الجنة

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن هرون بن عترة عن وهب بن منه قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحوارين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليه صرهم الله عز وجل كلهم على صورة عيسى فقتلوا لهم سحرتموا ليرزن لنا عيسى أو لقتلناكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من يشري نفسه منكم اليوم الجنة فقال رجل منهم أنا فخرج إليهم وقال أنا عيسى وقد صورته الله على صورة عيسى فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شئ لهم فقتلوا أنهم قد قتلوا عيسى وظلت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ، وروى الله عيسى من يومه ذلك وهذا سياق غريب جداً

قال ابن جرير : وقدرى عن وهب نحوه هذا القول وهو ما حدثني لثني حدثنا إسحاق حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن مقبل أنه سمع وهباً يقول إن عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من اللوت وشق عليه فلما الحوارين وصنع لهم طعاماً فقال احضروني الليلة فلان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاءم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بشبابه فضاظفوا ذلك وتكاهروه فقال ألا من رد لي الليلة شيئاً مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم فليكن لكم في أسوة فانكم ترون أني خيركم فلا يضالكم بضكم على بعض وليلد بضكم شئ لم يصنع كما بدلت شئ لكم وأما حاجتي الليلة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فصل يوقفهم ويقول سبحانه الله أنه تصبرون لي ليلة واحدة تصبوني فيها فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسمر فنكسر السمر وما نطق الليلة سماً وما نريد دماء إلا جيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتفرق النعم ، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه . ثم قال الحق ليكرن في أحدكم قبل أن يصيح اليك ثلاث مرات وليبني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى . فخرجوا وضرقوا وكانت اليهود تطلبه وأخذوا ضمون أحد الحوارين وقالوا : هذا من أصحابه فوجد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه . ثم أخذوا آخرون فوجد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه فلما أصبح أتى أحد الحوارين إلى اليهود فقال : ما تجدون في إن دلتكم على المسيح ؟ فوصلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شئ عليهم قبل ذلك فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يودونه ويقولون له أنت كنت نحي اللوت وتنهى الشيطان وتبرئ المجنون أفلا تتجنى شمسك من هذا الحبل ؟ ويصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الحشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفضه الله إليه وصلبوا ما شئ لهم فكش سباً ثم إن أمه وللرأة التي كان يدلوها عيسى عليه السلام فأبرأها الله من الجنون جاءت بتكبان حيث للصلوب فجاءها عيسى فقال : ما بتكبان ؟ فقاتنا عليك فقال إني قد رفضني الله إليه ولم يسنني إلا خير وإن هذا شئ لهم فأمرى الحوارين يلقون إلى مكان كنا وكذا فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وقتلوا الذي كان باعه ودل عليه اليهود فسأل عنه أصحابه فقال : إنه ندم على ما صنع فاشتق وقتل نفسه فقال : لوتاب لئاب الله عليه . ثم سأله عن غلام تبهم فقال له يحيى قال هو معكم فانتلقوا فإنه يصيحب كل إنسان يحدث بلمة قومه فلينزلهم وليدعهم ، سياق غريب جداً

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحق قال : كان اسم ملك يبرئ إسرائيل الذي يموت إلى عيسى ليقتله رجلاً منهم يقال له داود فلما أجمعوا لذلك منه لم يظلع عبد من عبد الله بالوث فيها ذكر لي فقلته ولم يجزع منه جزع ولم يدع الله في صرفة عنه دعاه حتى إنه يقول فيها يزعمون اللهم إن كنت سارفا هذه الكأس عن أحد من خلقك فأصرفها عني وحتى إن جلن من كرب ذلك ليخصد دما فدخل للدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه ليقتلوه هو وأصحابه وهم ثلاثة عشر يبس على السلام فلما أيقن أنهم داخلون عليه قال لأصحابه من الحوارين وكانوا اثني عشر

رجلا (١) قراطوس، ويعقوبس، ويلاونخس أخو يعقوب، وأنندراس، وفلبس، وابن ليماء، ومتنا، وطوماس، ويعقوب بن حلقايا، وناداسيس، وتانيا، وليودس ركريا يوطا : قال ابن حنيد قال سلمة قال ابن إسحق وكان فيما ذكر لي رجل اسمه سرجس ، وكانوا ثلاثة عشر رجلا سوى عيسى عليه السلام جحدته النصارى وذلك أنه هو الذي شبه لليهود مكان عيسى قال فلا أدري هو من هؤلاء الاثني عشر أو كان ثالث عشر فجحدوه حين أقروا لليهود بصلب عيسى وكفروا بهاجاه به محمد عليه السلام من الخبر عنه فإن كانوا ثلاثة عشر فلانهم دخلوا اللد حين دخلوا وهم بميسى أربعة عشر وإن كانوا اثني عشر فلانهم دخلوا اللد وهم ثلاثة عشر قال ابن إسحق وحدثني رجل كان نصرانيا فأسلم أن عيسى حين جاء من الله إلى رافك إلى ، قال يا معشر الخواريين أياكم يحب أن يكون رفيق في الجنة حتى يشبه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكاني فقال : سرجس أنا يا ربوع الله قال : فاجلس في مجلسي فجلس فيه ، ورفع عيسى عليه السلام فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه فكان هو الذي صلبوه وشبه لهم به وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معاوية قد رأوه فأنصوا عدتهم فلما دخلوا عليهم ليأخذوه وجدوا عيسى وأصحابه فيما يرون وقعدوا رجلا من السدة فهو الذي اختلوا فيه وكانوا لا يعرفون عيسى حتى جاءوا ليودس ركريا يوطا ثلاثين درهما على أن يذلهم عليه ويعرفهم إياه فقال لهم إذا دخلتم عليه فاني سأقبله وهو الذي أقبل فخذوه فلما دخلوا وقد رفع عيسى ورأى سرجس في صورة عيسى فلم يشك أنه هو فأكب عليه قبله فأخذوه فصلبوه . ثم أن ليودس ركريا يوطا ندم على ما صنع فاختنق بجبل حتى قتل نفسه وهو ملعون في النصارى وقد كان أحد الممدودين من أصحابه وبعض النصارى يزعم أنه ليودس ركريا يوطا وهو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول إني لست بصاحبكم أنا الذي دلفتم عليه وأعلم أي ذلك كان . وقال ابن جرير عن مجاهد صلبوا رجلا شبه بميسى ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء حيا واختار ابن جرير أن شبه بميسى ألقى على جميع أصحابه

وقوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) قال ابن جرير اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) يعني قبل موت عيسى بوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل قتل النجال قصير اللال كلها واحدة ، وهي ملة الإسلام الخفيفة دين إبراهيم عليه السلام . (ذكر من قال ذلك) : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال قبل موت عيسى بن مريم عليه السلام وقال العوفي عن ابن عباس مثل ذلك وقال أبو مالك في قوله (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : ذلك عند نزول عيسى وقبل موت عيسى بن مريم عليه السلام لا يبق أحد من أهل الكتاب إلا آمن به وقال الضحاك عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) يعني اليهود خاصة وقال الحسن البصري يعني النجاشي وأصحابه رواها ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا أبو رجاء عن الحسن (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال قبل موت عيسى وآله إلى على الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجسمون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن عثمان الاقح حدثنا جويرية بن بشير قال سمعت رجلا قال للحسن يا أبا سعيد قول الله عز وجل (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال قبل موت عيسى إن الله رفع إليه عيسى وهو باعته قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والقاجر . وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن يزيد بن أسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان قال ابن جرير وقال آخرون يعني بذلك (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به) بميسى قبل موت الكتاب ذكركم كان بوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم يخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بميسى حدثني الثقي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله (إلا ليؤمنن به قبل موته) كل صاحب كتاب يؤمن بميسى قبل موته قبل موت صاحب الكتاب . وقال ابن عباس لو ضربت عنقه لم يخرج نفسه حتى يؤمن بميسى حدثنا ابن حنيد حدثنا أبو نؤيلة يحيى

(١) للمولود من الكلب البرقاقة للمولود عليها نعمة مكننا : سمان للقط بلس ، وأنندراس ، ويعقوب بن زبيد ، وويحنا ، وفلبس ، ورتولاس ، وتوما ، ومي الشار ، ويعقوب بن حناني ، ولباس الملقب بتداس ، وسمان القناري ، ويهوذا الاسخريوطي ، اه

ابن واضح حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال : لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى
عبد الله ورسوله ولو عجل عليه بالسلاح حدثني إسحق بن إبراهيم وحبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن يثير عن خفيف
عن سيد بن جبير عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال هي في قراءة أبي قبل موتهم
ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى قبل لأن عيسى أرايت إن خر من فوق بيت قال : يتكلم به في الموي قيل
أرايت إن ضربت جنتي أحدم قال : يلجج بها لسانه وكذا روى سفيان الثوري عن خفيف عن عكرمة عن ابن عباس
(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام وإن ضرب بالسيف
تسكلمه قال وإن هوى تسكلم به وهو يهودي وكذا روى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي هرون الثنوي عن عكرمة
عن ابن عباس فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس وكذا صح عن مجاهد وعكرمة وعبد بن سيرين وبه قول الضحاك
وجوير وقال السدي وحكاه عن ابن عباس ونقل قراءة أبي بن كعب قبل موتهم وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن فرات
الفرزاني عن الحسن بن قوه (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال لا يموت أحدهم حتى يؤمن بعيسى قبل أن يموت وهذا محتمل
أن يكون مراد الحسن ما تقدم عنه ومحتمل أن يكون مراده ما أراهد هؤلاء قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك
وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتاب (ذكر من قال ذلك) حدثني ابن أبي
حدثنا الحجاج بن المنهال حدثنا حماد عن حميد قال : قال عكرمة لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد
ﷺ قوله (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) ثم قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال بالصحة اتقول
الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام
ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه للتقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود
من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه
لهم قتلوا الشبه وهم لا يبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باقى حتى وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث
التواترة التي سنوردها إن شاء الله قريبا فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها
من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل
الكتاب حينئذ ولا يخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)
أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن واقفهم من النصارى أنه قتل وصلب (ويوم القيامة يكون عليهم
شهادة) أي بأعمالهم التي شاهدناها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض . فاما من فسر هذه الآية بأن للنبي
أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند احتضاره
ينجلى له ما كان جاهلا به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيمانا تاما له إذا كان قد شاهد ذلك كما قال تعالى في أول
هذه السورة (وليست التوبة للذين يسلمون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) الآية وقال تعالى
(فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيتين وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث
قال : ولو كان المراد بهذه الآية هذا المكان كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم أو باليسع عن كفر بهما يكون على دينهما
وحينئذ لا يرضى أقرأوه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصالح أن يؤمن بمحمد موه فهذا ليس بمجد إذ لا يلزم من إيمانه
في حالة لا يسمع إيمانه أنه يسير بذلك مسلما ألا ترى قول ابن عباس : ولو تدرى من عاقب أو ضرب بالسيف أو اقترس سبع فانه
لا بد أن يؤمن بعيسى بالإيمان به في هذا الحال ليس ينافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما تضمنه والله أعلم ومن تأمل هذا
جيда وأمن النظر أفضح ما أعوه الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها الذي ذكرنا من تقرير وجود
عيسى عليه السلام وبقائه حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكتب هؤلاء هؤلاء من اليهود والنصارى
الذين تابوا أفعالهم في تصادقت وتماكست وتماقت وخلت عن الحق فقول هؤلاء اليهود وأقر هؤلاء النصارى
تقصه اليهود بما رموه به وأمه من الظالم وأطراه النصارى حيث ادعوا فيه ما ليس فيه فرغوه في مقابلة أولئك عن مقام

النبوة إلى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوا كبيرا وتقدس لإله لا إله إلا هو
﴿ ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم إلى الأرض من السماء في آخر الزمان
قبل يوم القيامة وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴾

قال البخاري رحمه الله في كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه للثعلبي بالقبول : نزول عيسى بن مريم عليه السلام، حدثنا
إسحاق بن إبراهيم حدثنا يعقوب بن إبراهيم عن أبي صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول
الله ﷺ «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويضيئ للملأ حتى لا يقبله أحد حتى تكون الساعة خيرا لمن الله بياومانيها » ثم يقول أبو هريرة أقرءوا إن شئتم (وإن
من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) وكذا رواه مسلم عن الحسن الخوافي
وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به وأخرجه البخاري ومسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري به وأخرجه من
طريق الليث عن الزهري به ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي
هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل السجالات ويقتل الخنزير ويكسر الصليب
ويضع الجزية ويضيئ للملأ وتكون الساعة واحدة لله رب العالمين » قال أبو هريرة أقرءوا إن شئتم (وإن من أهل
الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) موت عيسى بن مريم ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (طريق أخرى) عن أبي هريرة
قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن حنظلة بن عطي الأسدي عن أبي هريرة أن رسول الله
ﷺ قال « ليلن عيسى بن مريم فيج الرواح بالبح أو العمرة أو لثنتينهما جميعاً » وكذا رواه مسلم منفرداً به
من حديث سفيان بن عيينة والليث بن سعد ويونس بن يزيد ثلاثهم عن الزهري به وقال أحمد حدثنا يزيد حدثنا
سفيان هو ابن حسين عن الزهري عن حنظلة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ينزل عيسى بن مريم فيقتل
الخنزير ويصحر الصليب ويجمع له الصلاة ويمطر الملأ حتى لا يقبل ويضع الحراج وينزل الرواح فيصحر منها أو يمتلئ
أو يجمعهما » قال وتلا أبو هريرة (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) الآية فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال
يؤمنن به قبل موت عيسى فلا أدري هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه
عن أبي موسى محمد بن الليث عن يزيد بن هريرة عن سفيان بن حسين عن الزهري به (طريق أخرى) قال البخاري حدثنا
أبو بكر حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال : قال رسول الله
ﷺ « كيف يك إذا نزل فيكم المسيح بن مريم وإيمانكم منكم » تابعه عقيل والأوزاعي وهكذا رواه الإمام أحمد
عن عبد الرزاق عن معمر عن عثمان بن عمر عن ابن أبي ذئب كلاهما عن الزهري به وأخرجه مسلم من رواية يونس
والأوزاعي وابن أبي ذئب به . (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن أبيان قتادة عن عبد الرحمن
عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإنا أولى الناس ببيسى بن مريم لأنه
لم يكن فيه نبي وبينه وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحجرة والياض عليه ثوبان بمصر كأن رأسه
يقطر وإن لمسه بلل : فيقتل الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله في زمانه الملأ كلها
إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه للسبح السجالات ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترجع الأنود مع الإبل والتمار مع البقر
والغناب مع الفم ولعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يوفى وصلى عليه المسلمون » وكذا رواه
أبو داود عن هدية بن خالد عن حماد بن يحيى ورواه ابن جرير ولم يورد عند هذه الآية سواء عن بشر بن معاذ عن يزيد بن هريرة
عن سعيد بن أبي هريرة كلاهما عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم وهو مولى أمير بن صاحب السقاية عن أبي هريرة عن النبي
ﷺ فذكر نحوه وقال يقاتل الناس على الإسلام وقد روى البخاري عن أبي الجان عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة
عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس ببيسى بن مريم والأنبياء أولاد علات ليس

بين وبينه نبي » ثم رواه محمد بن سنان عن قليب بن سليمان عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي عمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أنا أولى الناس بمسيح بن مريم في الدنيا والآخرة الأنياء إخوة لعلات أمهاتهم شقي ودينهم واحد » وقال إبراهيم بن طهان عن موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن بشار عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ . (حديث آخر) قال رسول الله ﷺ في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا يعلى بن منصور حدثنا سليمان بن بلال حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو يدا بق فيخرج إليهم جيش من الدين من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا قاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا . فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلث ثم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يقتلون أبدا فيفتحون قسطنطينية فينضمون اليهم فيقسمون القتلى قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسح قد خلعكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جادوا الشام خرج فينا هم يمدون للقتال يسعون الصوف إذ أقيمت الصلاة فيقول عيسى بن مريم فيؤمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب للحم في الماء فلو تركه للذاب حتى يهلك ولكن الله يفتله أي يده فيرجعهم حمة في حربته » . (حديث آخر) قال أحمد حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن غفارة عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال « لقيت ليلة أسرى بني إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتناكروا أمر فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبت فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلى ربي عز وجل أن السجال يخرج ومعي قضيتان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فهلكن الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن نحى كافرا فتنازل فأنه قال فهلكن الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فند ذلك يخرج بأجوح ومأجوح وهم من كل حذب يسلمون فيطنون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يبرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس يشكونهم فأدعوا الله عليهم فهلكنهم وعييتهم حتى تجوى الأرض من ثل رحيم ويزل الله للطر فيجترف أجسادهم حتى يقدمهم في البحر فبقا عبادي إلى ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل للملأ يدرى أهلها متى تضاجعهم بولادها ليلا أو نهارا » رواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب به نحوه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة قال أتي أبا عبد الله بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه فلما حضرت الجمعة أمرنا فأغتسلنا ثم أتينا بطيب فطيننا ثم جئنا للمسجد فجلسنا إلى رجل فحدثنا عن السجال ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا إليه فجلسنا فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر يملئها البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام ففرع الناس ثلاث فزعات فيخرج السجال في أعراض الناس فيهزم من قبل للشرق فأول مصر يرده للبحر الذي يملئها البحرين فيصير أهلها ثلاث فرق فرقة تقول نعم لشاهم تظفر ماهو وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالبحر الذي يليهم ومع السجال سبعون ألفا عليهم التيجان وأكثر من مئة اليهود والنساء ويحاذي المسلمون إلى عقبه أتيق فيمشون سراهم فيصا ب سرحهم فيشتد ذلك عليهم ويصيبهم جماعة شديدة وجهد شديد حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فيناهم كذلك إذ نادى مناد من الشجر يا أيها الناس أنا كم التوت « فلاما » يقول بعضهم لبعض إن هذا الصوت رجل شيعان ويزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم يا روح الله تخدم صل فيقول هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض فيقتد أميرهم فيصل حتى إذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فيلبس نحو السجال فإذا رآه السجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين يديه فيقتله ويهزم أصحابه فليس يومئذ شيء يورى منهم أحدا حتى إن الشجرة تقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الحجر يا مؤمن هذا كافر » ثم ربه أحد من هذا الوجه . (حديث آخر) قال أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه في سننه حدثنا علي بن محمد حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن إسماعيل بن رافع عن أبي رافع عن أبي زرعة الشيباني يعني ابن أبي عمير عن أبي أمامة الباهلي قال خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبتي حديثا حدثنا عن السجال

وحسنه فكان من قوله أن قال « لم تكن قنّة في الأرض منذ ذاب الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من قنّة الدجال وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا عالة فإن يخرج وأنا بين ظهرائكم فأنا حجيح كل مسلم وإن يخرج من بدي فكل حجيح نفسه وإن الله خليق على كل مبلغ وإنه يخرج من خلّة بين الشام والعراق فيميت بينا ويميت شمالاً ، ألا يا عباد الله : أيها الناس فانيبوا وإني سأفنه لكم مئة لم يصنفها إلهي قبلي : إنه سيبدأ يقول أنا نبى فلا نبى بعدى ، ثم يئى يقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أبغور وإن ربكم عز وجل ليس بأغور ، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب : وغير كاتب ، وإن من قنّته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستث بالله وليقرأ فوائع الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على إبراهيم ، وإن من قنّته أن يقول الأعراي أرايت إن بعث لك أمك وأهلك أتشهد أنى ربك ؟ يقول نعم ، فيمثل له شيطان في صورة أبيه وأمه فيقولان يابى أبى أمه فانه ربك ، وإن من قنّته أن يسلط على نفس واحدة فينشرها بالمنار حتى تلقى شقين ثم يقول انظر إلى عبدي هذا فإني أبشئ أن ثم يزعم أن له ربا غيرى ، فيمنه الله يقول له الحيث من ربك يقول ربى الله ، وأنت عدو الله الدجال ، والله ما كنت بعد أحد بصيرة بك منى اليوم » قال أبو حسن الطنّافى حدثنا المهارى حدثنا عبيد الله بن الوليد الرصافى عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « ذلك الرجل أرفع أمى درجة في الجنة » قال : قال أبو سعيد والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله

ثم قال المهارى : رجعا إلى حديث أبي رافع قال وإن من قنّته : أن يأمر السماء أن تمطر فتعطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنب وإن من قنّته أن يمر بالبحر فيكبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت ، وإن من قنّته أن يمر بالبحر فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتعطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنب حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأمدّه ضرره وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطه وظهر عليه إلا مكة والمدنية فانه لا يأبهما من شئ من حاجبها الاقيته لللائكة بالسيف سلطنة حتى ينزل عند الطرب الأحمر عند منقطع السبعة قترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منائق ولا مناقاة إلا خرج اليه فينقى الحب منها كما ينقى الكبرج الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص . فقالت أم شريك بنت أبي الصكر يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال « هم قليل وجلهم يومئذ بيت المقدس وإمامهم رجل صالح فيينا إمامهم قد قدم صلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فرجع ذلك الإمام بمضى القهقرى ليقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يده بين كفيه ثم يقول : قدم فصل فاتها لك أقيمت فيصلى بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى افتحوا الباب فيفتح ووراء الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف على وتاج فلذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا فيقول عيسى إنى فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب له الشرق فيقتله وهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودى إلا ألقى الله ذلك شيء لا حرج ولا حرج ولا حائط ولا دابة إلا الترقدة فاتها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله للسم : هذا يهودى تنال اتقه . قال رسول الله ﷺ « وإن أيامه أربعون سنة ، السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمضى » قليل له كيف فصل يابى الله فى تلك الأيام القصار ؟ قال « تشرقون الصلاة كما تشرقون في هذه الأيام الطوال ثم سواء » قال رسول الله ﷺ « فيكون عيسى بن مريم فى أمى حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويدبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسمى على شاة ولا بئر وترفع الشحاه والتباغض وتزحمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها ، ويكون الدب فى النعم كأنه كلبها وتلا الأرض من السلم كما تلا الأنام من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يبد إلا الله وتضع الحرب أوزاها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض لها نور القصة وتنبئ بأنها كهد آدم حتى يجتمع النفرطى القطف من العنب فيشبههم ويجمع النفر على الرمانة فتشبههم ، ويكون

أثور بكذا وكذا من اللال ويكون القرس بالرهيمات « قبل يارسلو الله وما يرخص القرس ؟ قال : « لا تركب
لحرب أبداً » قيل له فما ينقذ الثور ؟ قال يحرق الأرض كلها وإن قبل خروج السجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس
فيها جوع شديد ويأمر الله السماء في السنة الأولى أن تعبس ثلث مطرها ويأمر الأرض تعبس ثلث نباتها ، ثم يأمر الله
السماء في السنة الثانية تعبس ثلث مطرها ويأمر الأرض تعبس ثلث نباتها ثم يأمر الله عز وجل السماء في السنة الثالثة
تعبس مطرها كله فلاقط قطرة ويأمر الأرض أن تعبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف الاهلك
إلا ما شاء الله « قيل فإيمشي الناس في ذلك الزمان قال « التهلل والتكبير والتسبيح والتحميد ويمرئ ذلك عليهم يمرئ
الطعام » . قال ابن ماجه سمعت أبا الحسن الطنابغى يقول سمعت عبدالرحمن المحاربي يقول ينبغي أن يدفع هذا الحديث
إلى اللؤدب حتى يمله الصبيان في الكتاب هذا حديث غريب جدا من هذا الوجه ولبعده شواهد من أحاديث أخر
من ذلك ما رواه مسلم وحديث نافع وسالم عن عبد الله بن عمر وقال : قال رسول الله ﷺ « ثلثان اليهود
فقتلتهم محقق يقول الحجر بإسلم هذا يهودي قتال فآفته « وله من طريق سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقابل للمسلمون اليهود فيقتلهم للشكون حتى يخفي اليهودي
من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر بإسلم هذا يهودي خفي قتال فآفته - الا التورقة فانه من شجر
اليهود « ولنذكر حديث التواس بن سمعان ههنا لشبهه بهذا الحديث . قال مسكن في صحيحه حدثنا أبو خزيمة زهير بن حرب
حدثنا الوليد بن مسلم حدثني عبدالرحمن بن يزيد بن جابر حدثني جابر بن يحيى الطائي قال سمعت حديث عبد الرحمن بن جابر عن
أبي بصير بن قنبر الحضرمي أنه سمع التواس بن سمعان الكلبي (ج) . وحدثنا محمد بن مهران الرازي حدثنا الوليد بن مسلم
حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن قنبر عن التواس
ابن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ السجال ذات غداة ففرض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما
رحنا إليه عرف ذلك في وجوهنا فقال « ما شأنكم » قلنا يارسول الله ذكرت السجال غداة ففرضت فيه ورفعت حتى
ظنناه في طائفة النخل قال (غير السجال أخوف عليكم إن خرج وأنا فيكم فأنما حبيجه دونكم وإن خرج ولست فيكم
فأمر حبيج نفسه والله خليف على كل مسلم . إنه شاب قطط عنه طائفة كآني إيشه بيد العزى بن قطن من أدركه
منكم فليقرأ عليه نوافع سورة الكهف ، إنه خارج من خبة بين الشام والعراق فأتى بيننا وعات شالاً بإبعاد الله
فأبتوا « قلنا : يارسول الله فما له في الأرض ؟ قال « أرى يوم كسنة ويوم كسهر ويوم كجمعة وسائر أيامه
كأيامكم » قلنا يارسول الله وذلك اليوم الذي كسنة أتكتبنا فيه صلاة يوم ؟ قال « لا . أقدروا له قدره » قلنا يارسول الله
وما أسراعه في الأرض ؟ قال « كالتيت استدبرته الريح فيأتي على قوم فيدعوم فيؤمنون به ويستحيون له فيأمر السماء
تقطر والأرض تفتت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغ ضروعا وأمد خواصر ثم يأتي الهوم فيدعوم
فيردون عليهم قوله فينصرقنهم فيصجون محللين ليس بأيديهم شيء من أموالهم وعبر بالخرقة فيقول لها أخرجي كنوزك
فتجبه كنوزها كيما يسب النحل ثم يدعوم رجلا ثلثا شيا فيضربه بالسيف يقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل
ويتهلل وجهه وضحك فيبناهو كذلك أذهب الله للسبح ابن مريم عليه السلام فينزل عند الليرة البيضاء شرق دمشق بين
مهرودتين واضمأ كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه تطر وإذا رفعه تحدر منه كحان اللؤلؤ ، ولا يحمل لكافر بعد
رفع نفسه إلا متوضعه يتنهي حيث ينهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه يابله فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله
منه فيمسح عن وجوههم ويحدهم بدرجاتهم في لجنة فيبناه هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى أني قد أخرجت عبادا
لي لا يبدان لأحد فتألم فحز عبادي إلى الطور ويصت الله بأجوج ومأجوج وهم من كل خدب يسألون فيمر أولهم على
بحيرة طرية فيصيرون ما فيها ويرأخهم فيقولون لقد كان بهذه مرتعاه . وعرض بني الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس
الثور لأحدهم خير من ما قد دنار لأحدكم اليوم فيرغبني الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم التنف في راقهم فيصحبون فرسي (١)
كوت نفس واحدة . ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأ زهمهم وتنتهم

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وير فينسل الأرض حتى يتركها كالقوة (١) ثم قال للأرض أخرجي ثمرك وردي ببركتك فيومثد تأكل العصابة من الرمان وبرتالون بفتحها ، ويبارك الله في الرسل حتى إن القمح من الإبل فكفي الثمام (٢) من فيناهم كذلك إذ بث الله رعا طيبة فأخذهم تحت أططهم فيقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم ويقي شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحجر فليعلم تقوم الساعة » ورواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وسند كره أيضا من طريق أحمد عند قوله تعالى في سورة الأنبياء (حتى إذا قضيت مأجوج ومأجوج) الآية (حديث آخر) قال مسلم في صحيحه أيضا حدثنا عبد الله بن معاذ العبدي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن الثمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم ابن عروة بن مسعود الثقفي يقول سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال سبحانه الله أو لا إله إلا الله أكلته نعوها لقد سمعت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت أنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما : محرق البيت ويكون ويكون ثم قال : قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين لآدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله رعا باردة من قبل الشام فلا يقي طي وجه الأرض أحد في قلبه مقالذ من خير أولي أعان - الا فسته حتى لو أن أحدكم دخل في كبجل لسلخته عليه حتى يقبضه » قال سمعنا من رسول الله ﷺ « فيقي شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فينتشل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبن فيقولون فأتأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ، ثم ينفع في الصور فلا يسمعه أحد إلا أمني ليتأورق لينا ، قالوا أول من يسمعه رجل يلوط حوض إليه قال فيصق ويصق الناس ثم يرسل الله ﷻ وأول الناس ينزل الله مطرا كأنه الظل أو قال الظل ثمان الشاك - فتبث منه أجساد الناس - ثم ينفضه أخرى إذا هم قيام ينظرون . ثم قال أما الناس هلوا إلى ربكم (وقومهم إنهم مسئولون) ثم قال أخر جوابك النار فيقال من كم فيقال من كل ألسنة سماعة وتسع وتسعين قال فذلك يوما يجعل الولدان شيا ذلك يوم يكشف عن ساق » ثم رواه مسلم والنسائي في تفسيره جميعا عن محمد بن بشر عن غندر عن شعبة عن ثمان بن سالم به (حديث آخر) قال الإمام أحمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله بن ثلبة الأنصاري عن عبد الله بن زيد الأنصاري عن مجمع بن جارية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقتل ابن مريم المسيح الدجال بياب أسألى جانبك » ورواه أحمد أيضا عن سفيان ابن عيينة من حديث الثابت والأوزاعي ثلاثهم عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله بن ثلبة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عده مجمع بن جارية عن رسول الله ﷺ قال « يقتل ابن مريم الدجال بياب له » وكذا رواه الترمذي عن قتبية عن الثابت وقال هذا حديث صحيح قال في الباب عن عمران بن حصين وثاقب بن عينة وأبي بزة وحذيفة بن أسيد وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر وأبي أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو ومرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو ابن عوف وحذيفة بن الجان رضي الله عنهم . ومرواه برواية هولا مائة ذكر الدجال وقتل عيسى بن مريم عليه السلام فأما أحاديث ذكر الدجال قط فكتيرة جدا وهي أكثر من أن تحصى لا تشاها وكثرة روايتها في الصحاح والحسان والسائد وغير ذلك (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الفخاري قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن تنذاكر الساعة فقال « لا تقوم الساعة حتى تروا عشرين آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والخابية ، وخروج مأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى بن مريم والدجال ، وثلاثة خسوف خسف بالشرق وخسف بالقرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وتخرج من قبر عدن تسوق أو تشر - الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث فرات القزازي به ورواه مسلم أيضا من رواية عبد العزيز بن ربيع عن أبي الطفيل عن أبي هريرة عن حذيفة بن أسيد الفخاري موقوفا وأعلم أنه هذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي أمامة والنواس بن ثمان وعبد الله

(١) الزفة بالفتح للآفة (٢) الرسل بالفتح كالتصريح العظيم الجمع إرسال والتممة بالكسر والفتح لغة وهي ذات اللين والتمام الجماعة .

ابن عمرو بن العاص وجمع بن جارية وأنى شرعة وحذيفة بن أسيد رضى الله عنهم وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانته أنه بالشام بل يمشق عند الليرة الشرقية وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح وقد ثبت في هذه الأوصاف في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة منارة لجامع الأموي يقاض من حجارة منجوة عوضاً عن الليرة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصراني عليهم لائن الله التتابة إلى يوم القيامة وكان أكثر عمارتها من أموالهم وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقتل إلا الإسلام كاقدم في الصحيحين وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك وتحرير وتيسير وتسوية له في ذلك في ذلك الزمان حيث تنزاع عليهم وترفع شبههم من أنفسهم ولهذا كانهم يدخلون في دين الإسلام متابعين لميسى عليه السلام وعلى يديه ولهذا قال تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) الآية وهذه الآية كقولها (وإنه لم يسأله) (وقريء) (لعل) بالتحريك أى إمارة ودليل على اقتراب الساعة وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح النجاشي فيقتله الله على يديه كما ثبت في الصحيح أن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء ويثبت الله في يده ما أجور وما أجور فيلهم الله تعالى يركه دعاه وقد قال تعالى (حق إذا قمتم يا جوج وما جوج وهم من كل حذب ينسلون واقترب الوعد الحق) الآية

(صفة عيسى عليه السلام)

قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة « فلذا رأيتموه فاعرفوه : رجل مريو إلى الحرة والياض ، عليه ثوبان عسمران كان رأسه قطر وان لم يصبه بلل » وفي حديث التواب بن معان « فينزل عند الليرة البيضاء شرق دمشق بين مهرودين واضماً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأ رأسه قطر وإذا رضع تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ، ولا يخل لكافر أن يجد ربح شبه إلا مات وتسه يتهى حيث انتهى طرفه » وروى البخاري ومسلم من طريق الزهري عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليلة أسرى نبي تقيت موسى » قال فنته فلذا رجل أحسبه قال مضطرب رجس الرأس كأنه من رجال شتوة » قال « ولقيت عيسى » فنته النبي ﷺ قال « ربه أحر كأنه خرج من دجاس » يعني الحما « ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده » الحديث وروى البخاري من حديث مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت موسى وعيسى وإبراهيم فأما عيسى فأحر جعد عريض الصدر وأما موسى فأدم جسم سبط كأنه من رجال الزط » وله ومسلم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ذكر النبي ﷺ يوماً بيث ظهر أن الناس للشيخ السج قال « إن الله ليس بأعور إلا إن للشيخ السج أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ولمسلم عنه مرفوعاً ، « وأراني الله عند الكعبة في المنام وإذا رجل آدم كأحسن ما عرى من آدم الرجل تضرب لته بين منكب رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضماً يديه على خنكي رجلين وهو يطوف بالكعبة قلت من هذا ؟ قالوا هو المسيح ابن مريم ثم رأيت وراءه ، رجلاً جعداً قططاً أعور العين اليمنى كأنه من رأيت ابن قطن واضماً يديه على منكب رجل يطوف بالكعبة قلت من هذا قالوا للشيخ السج « تابعه عبيد الله عن نافع ثم رواه البخاري عن أحمد بن محمد السكي عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال لا والله ما قال النبي ﷺ ليس أحر ولكن قال « بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينادي بين رجلين ينظف رأسه ماء أو يهراق رأسه ماء قلت من هذا ؟ قالوا السج وأقرب فذهبت ألتفت فإذا رجل أحر جسم جدار رأس أعور عنه اليمنى كأن عينه عنبة طافية قلت من هذا ؟ قالوا السج وأقرب الناس به شها ابن قطن » قال الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ، هذه كلها ألقاظ البخاري رحمه الله وقد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنتم ثم يوفى ويسلى عليه للسبلون وفي حديث عبد الله بن عمر عند مسلم أنه يمكث سبع سنين فيحتمل والله أعلم أن يكون المراد ببله في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته قبل نزوله فاعرفوه وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة أنهم على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم أنه رفع ولما له وخمسون

سنة فشاذ غريب جيد وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة عيسى بن مريم من تاريخه عن بعض السلف أنه يدين مع النبي ﷺ في حجرته فله أعلم وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) قال قتادة يشهد عليهم أنه قد بلنهم الرسالة من الله وأثر يهودية الله عز وجل وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة (وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت الناس - إلى قوله - العزيز الحكيم)

(فَيُظَلَّمُ مِنَ الَّذِينَ حَادَوْا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أَرْحَامُهُمْ وَبَدَّيْنَاهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا • وَأَخْذَيْنَاهُمُ الزُّبُرَ وَتَوَقَّدَ خُبْرُهُمْ وَأَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا • لَكِنَّ الزَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتَضِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا)

غير تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم كما قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد القرني حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو قال قرأ ابن عباس : طيبات كانت أحلت لهم، وهذا التحريم قد يكون تحديرا بمعنى أنه تعالى فيضهم لأن تأولوا في كتابهم وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالا لهم فحرموها على أنفسهم تشديدا منهم على أنفسهم وتقشيقا وتطهرا ، ومحمّل أن يكون شرعا بمعنى أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالا لهم قبل ذلك كما قال تعالى (كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن نزل التوراة) وقد بقينا الكلام على هذه الآيات وأن المراد أن الجميع من الأطعمة كانت حلالا لهم من قبل أن نزل التوراة ما عدا ما كان حراما لإسرائيل على نفسه من لحوم الأبل والبقر والغنم حرمنا عليهم شعومها إلا ما حملت ظهورها أو الحواشي (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شعومها إلا ما حملت ظهورها أو الحواشي أو ما اختلط بعظم ذلك جزئناهم بينهم ولنا لصادقون) أي إنما حرمنا عليهم ذلك لأنهم يستحقون ذلك بسبب بينهم وبنياتهم وهماقتهم رسولهم واختلافهم عليه ولهذا قال (فَيُظَلَّمُ مِنَ الَّذِينَ حَادَوْا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أَرْحَامُهُمْ وَبَدَّيْنَاهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) أي صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق وهذه سببة لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه ولهذا كانوا أعداء الرسل وقتلوا خلقا من الأنبياء وكذبوا عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وقوله (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) أي أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنّف من الشبهوا كلوا أموال الناس بالباطل قال تعالى (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) ثم قال تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) أي الثابتون في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع. وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران (والمؤمنون) عطف على الراسخين وخبره (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) قال ابن عباس أنزلت في عبد الله بن سلام وقيل بن سبيح^(١) وأسدي بن سبيح وأسدي بن عبيد الله بن دخوان في الإسلام وصدقوا بما أرسل الله به محمدا ﷺ وقوله (والمقيمين الصلاة) هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة وكذا هو في مصحف أبي بن كعب وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن مسعود . والمقيمون الصلاة ، قال والصحيح قراءة الجميع رد على من زعم أن ذلك من غلط الكتاب ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم هو منصوب على الملح كما جاء في قوله (ولولون بهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) قال وهذا سائق في كلام العرب كما قال الشاعر :

لا يمدن قوى الذين همو • أسد المدة وآفة الجزر • النازلين بكل مترك • والطينون معاقد الأزر .
وقال آخرون هو عطف على قوله (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) بين والمقيم الصلاة وكأنه يقول وإقامة الصلاة أي يفترون بوجودها وكتابتها عليهم أو أن المراد بالمقيم الصلاة للملأمة وهذا اختيار ابن جرير بين (١) في نسخة الأيمرية : تحرف في هذا الاسم واعتد في تصحيحه على ما في الإصابة وغيرها وسببه ينتج السين الهملة وسكون الياء التثنية .

يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وباللأسك وفي هذا نظر والله أعلم . وقوله (وللمؤمنون الزكوة) يحتل أن يكون للراذكة الأموال ويحتل زكاة النفوس ويحتل الأمرين والله أعلم (وللمؤمنون بالله واليوم الآخر) أي يصدقون بأنه لا إله إلا الله ويؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرها وشرها . وقوله (أولئك) هو الخبر مما تقدم سنقتهم أجراً عظيماً) يعني الجنة

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ وَنُوحًا وَدَاوُدَ زَبُورًا * وَرَسُولًا قَدْ قُصِّصَتْهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَوَعَدْنَا لَمُؤْمِنِيكَ أَنْ تَقْبَلَهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * وَوَعَدْنَا مُوسَى إِذْ ذَرَيْنَا نُونًا لَنَلْقَاهُ عَلَى نُجَا * وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)

قال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال لسان وعدي بن زيد ياجد ما علم أن الله أنزل على من شاء بعد موسى فأنزل الله في ذلك من قولها (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) إلى آخر الآيات وقال ابن جرير حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال أنزل الله (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) إلى قوله (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) قال فلما تلاها عليهم يعني على اليهود وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة جحدوا كل ما أنزل الله وقالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، ولا موسى ولا عيسى ولا على نبي من شيء قال فعل جوده وقال ولا على أحد فأنزل الله عز وجل (وما قدرنا الله الحق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر فإن هذه الآية التي في سورة الأنعام مكية وهذه الآية التي في سورة النساء مدنية وهي رد عليهم لما سألوها النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء قال الله تعالى (فقد سألوها موسى أكبر من ذلك) ثم ذكر فضائلهم ومعانيهم وما كانوا عليه ومعانيهم عليه الآن من الكذب والافتراء ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين فقال (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) إلى قوله (وَأَوْحَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) والزبور اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام عند قصصهم من سورة الأنبياء إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وقوله (ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً ما نقصهم عليك) أي من قبل هذه الآية يعني في السور الكمية وغيرها وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن وهم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهرون ويونس ودود وسليمان وإيليا واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكنيا ذوالكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله (ورسلاً ما نقصهم عليك) أي خلقا آخرين لم يذكر في القرآن وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين وللشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل وذلك فيما رواه ابن مردويه رحمه الله في تفسيره حيث قال حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن زيد قال حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى التميمي حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً » قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال « ثلاثمائة وستون » قلت يا رسول الله من خلقه الله بيده ثم نفع فيمن روحه ثم سواه قبلاً ؟ ثم قال « يا ابن آدم أريمتك سر يا نبي آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أباذر ، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى ،

وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك » وقد روى هذا الحديث بطلوه الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه الأنواع والتقايم وقد وسمه بالصحة وخالفه أبو الفرج بن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات واتهم به إبراهيم بن هشام هذا ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث والله أعلم وقد روى هذا الحديث من وجه آخر عن صفوان آخر قتال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو الليثية حدثنا معان بن رفاعه عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال قلت يا بني أكرم الله الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من ذلك ثلثائة وخمسة عشر جا غفيرا » معان بن رفاعه السلمي ضعيف وعلى بن يزيد ضعيف والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا موسى بن عبيدة الرضبي عن زيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس » وهذا أيضا إسناد ضعيف فيه الرضبي ضعيف وشيخه الرقاشي أضف منه والله أعلم . وقال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت البدي حدثنا معاد بن خالد الأنصاري عن زيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يمين خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت أنا » وقد روينا عن أنس من وجه آخر فأخبرنا الحافظ أبو عبد الله السلمي أخبرنا أبو الفضل بن عساكر أنبأنا الإمام أبو بكر بن القاسم بن أبي عبد الصفار أخبرنا عمه أبي عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصغار أخبرنا الشريف أبو السنانك هبة الله بن أبي الصهباة محمد بن حيدر القرشي حدثنا الإمام الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني قال أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الأسماعيلي حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن محمد بن النضر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يث على أرض ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل » وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده لا بأس به رجاله كلهم معروفون إلا أحمد بن محمد بن طارق هذا فاني لا أعرفه بمداة ولا جرح والله أعلم . وحديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عليهم السلام قال محمد بن الحسين الأجرى حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن القزافي إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى القساني حدثنا أبي عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فقلت يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة قال « الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل » قال قلت يا رسول الله فأى الأعمال أفضل ؟ قال « إيمان بالله وجهاد في سبيله » قلت يا رسول الله فأى المؤمنين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقا » قلت يا رسول الله فأى المسلمين أسلم ؟ قال « من سلم الناس من لسانه ويده » قلت يا رسول الله فأى الهجرة أفضل ؟ قال « من هجر السيئات » قلت يا رسول الله أى الصلاة أفضل ؟ قال « طول القنوت » قلت يا رسول الله فأى الصيام أفضل قال : « فرض مجزئ » وعند الله أضما في كثيرة » قلت يا رسول الله فأى الجهاد أفضل قال « من عقر جواده وأهريق دمه » قلت يا رسول الله فأى الرقاب أفضل ؟ قال « أغلاها عتقا وأضفها عند أهلها » قلت يا رسول الله فأى الصدقة أفضل ؟ قال « جهدين مقل وسر إلى قبر » قلت يا رسول الله فأى آية ما أنزل عليك أعظم ؟ قال « آية الكرسي » ثم قال يا أبازر « وما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلة » قال : قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً » قال قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال « ثلثائة وثلاثة عشر جرح غير كثير طيب » قلت فمن كان أولهم ؟ قال « آدم » قلت أي مرسل : قال « نعم خلقه الله بيده وفتح فيه من روجه وسواه قبلا » ثم قال « يا أبازر أربعة سريانون آدم وشيث وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بقلم ونوح وأربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيك يا أبازر ، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول الرسل آدم وآخرهم محمد » قال قلت يا رسول الله كم كتاب أنزله الله ؟ قال « مائة كتاب وأربعة كتب » أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان » قال قلت يا رسول الله ما كانت صفة إبراهيم ؟ قال « كانت كلها بأبواب الملك للسلطان للبلد للزور »

إني لم أبتك لتجتمع الدنيا بسبها على بسى ولكنى بشتك لترد عن دعوة المظالم فإني لأردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمال وعلى الماقل أن يكون له ساعت ، ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفكر في صنع الله ، وساعة يغلو فيها لحاجته من الطعام والشرب ، وعلى الماقل أن لا يكون شاعنا إلا ثلاث : تزود لماد أو مرمة لمأش ، أو لقمة في غير محرم ، وعلى الماقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً لسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يمينه » قال قلت يا رسول الله فما كانت صف موسى ؟ قال « كانت عبداً كلياً ، محبباً لمن أقرن بالوث من هو يفرح ، صعبت لمن أقرن بالقدر فهو منسوب ، وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها ، وعجبت لمن أقرن بالحساب غداً ثم هو لا يسل » قال قلت يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدي إبراهيم وموسى وما أنزل الله عليك ؟ قال « ثم اقرأ يا أبا ذر » قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى » إن هذا في الصف الأولى * صحف إبراهيم وموسى * قال قلت يا رسول الله فأوصني قال « أوصيك بتقوى الله فانه رأس أمرك » قال قلت يا رسول الله زدني قال « عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فانه ذكر لك في السبأ ونور لك في الأرض » قال قلت يا رسول الله زدني قال « إياك وكثرة الضحك فانه يبيت القلب ويلهب بنور الوجه » قلت يا رسول الله زدني قال « عليك بالجهاد فانه رهبانية أمي » قلت زدني قال « عليك بالصمت إلا من خير فانه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك » قلت زدني قال « وانظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فانه أجدر لك أن لا تزدري نعمة الله عليك » قلت زدني قال « أحب المساكين وجالسهم فانه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك » قلت زدني قال « صل قرباتك وإن قطعوك ، قلت زدني قال « قل الحق وإن كان مرا » قلت زدني قال « لا تخف في الله لومة لائم » قلت زدني قال « يردك عن الناس ما تعرف من خشك ولا تجده عليهم فاحب وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجده عليهم فاحب » ثم ضرب يده صدرى فقال « يا أبا ذر لا عقل كالندير ولا ورع كالنكف ولا حسب كحسن الخلق » وروى الإمام أحمد عن أبي التيرة عن معاذ بن رفاعه عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الصلاة والصيام والصدقة وفضل آية الكرسي ولا حول ولا قوة إلا بالله وأفضل الشهداء وأفضل الرقاب وثبوت آدم وأنه مكلم وعدد الأنبياء والرسلين كنحو ما تقدم . وقال عبد الله بن الإمام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حديثي عبد المتالي بن عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا جعفر عن أبي الوداك قال : قال أبو سعيد هل هو الخوارج بالرجال قال : قلت لا ، فقال : قال رسول الله ﷺ « إني خاتم ألف نبي أو أكثر وما يثني على يتبع إلا وقد حذر أمته منه وإني قد بين لي فيه ما لم يكن وإنه أعور ، وإن ركبكم ليس بأعور ، وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كائناً تخافه في حائط مجصص وعينه اليسرى كائناً كوكب دري معهم من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها لواء وصورة النار سوداء تدخن » وقد روته في الجزء الذي فيه رواية أبي يعل الوصلي عن يحيى بن معين حدثنا مروان بن معاوية حدثنا جعفر عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إني خاتم ألف ألف نبي أو أكثر ما يثني الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الرجال » وذكر تمام الحديث هذا لفظه بزيادة ألف وقد تكون متقدمة والله أعلم . وساق رواية الإمام أحمد أثبت وأولى بالصحة ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم وقد روى هذا الحديث من طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا جعفر عن الشعبي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « إني خاتم ألف نبي أو أكثر وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال وإني قد بين لي ما لم يكن لأحد منهم وإنه أعور ، وإن ركبكم ليس بأعور قوله (وكل الله موسى تكلياً) وهذا تشريف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ولهذا يقال له السلام وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان اللالكى حدثنا مسيح بن حاتم حدثنا عبد الجبار بن عبد الله قال جاء رجل إلى أبي بكر بن عباس فقال سمعت رجلاً يقرأ (وكل الله موسى ^(١) تكلياً) فقال أبو بكر ما قرأ هذا إلا كافر قرأت على الأعشى وقرأ الأعشى على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ

أبو عبد الرحمن السلمي على بن أبي طالب وقرأ على بن أبي طالب على رسول الله ﷺ (وكلم الله موسى تكليماً) وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ كذلك لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه وكان هذا من للفتنة الذين يتكبرون أن يكون الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحداً من خلقه كما روي عنه عن بعض للفتنة أنه قرأ على بعض الشايع (وكلم الله موسى تكليماً) فقال له يا ابن الخناء كيف تصنع بقوله تعالى (ولما جاء موسى ليقاتلهم وكلمه ربه) يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن الحسين بن بهرام حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا هاني بن يحيى عن الحسن بن أبي جعفر عن قتادة عن يحيى ابن وثاب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لما كلم الله موسى كان يصير ديب الخمل على الصفا في الليلة الظلماء» وهذا حديث غريب وإسناده لا يصح وإذا صح موقوفاً كان جيداً وقد روى الحاكم في مستدركه وابن مردويه من حديث حميد بن قيس الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «كان على موسى يوم كلمه ربه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف وعلان من جلد خمار غريزي» وقال ابن مردويه بإسناده عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثين يوماً وصايا كلها فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامحة من كلام الرب عز وجل، وهذا أيضاً إسناده ضعيف فإن جوير أضعف والضحاك لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما. فأما الآخر الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنه قال: لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير السلام الذي كلمه يوم ناداه فقال له موسى يارب هذا كلامك الذي كلمني به قال: لا يا موسى إنما كلمتك بقوة عشر آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا يا موسى صف لنا كلام الرحمن قال لا أستطيع قائلوا فصفه لنا قال ألم تسمعوا إلى صوت الصواعق فانه قريب منه وليس به وهذا إسناده ضعيف فإن الفضل الرقاشي هذا ضعيف مرة. وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن جزء بن جابر الحمصي عن كعب قال إن الله لما كلم موسى كلمه بالألسنة كلها سوى (١) كلامه فقال له موسى يارب هذا كلامك قال لا ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له قال يارب فهل من خلقك شيء يشبه كلامك قال لا وأشد خلقي شياً بكلامي أشد ما تسمعون من الصواعق فهذا موقوف على كعب الأجر وهو يحيى عن الكتب للخدمة للشمسة على أخبار بني إسرائيل وفيها التثنية والسمين وقوله (رسلاً مبشرين ومنذرين) أي يبشرون من أطاع الله وأطيع رضوانه بالخيرات وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالمقاب والمذاب وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وكان الله عزيراً حكماً أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالفتنة والندارة، وبين ما يحجبهم رضاهما يكرهه وأباه لئلا يبقى لمتنر عنده كما قال تعالى (ولولا أنا أهلكتهم بطلب من قبله لقاتلوا ربنا لولا أرسلناك رسولاً فتنح أنفك من قبل أن نزل ونخزي) وكذا قوله (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الآية. وقد تبين في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «لا أحد أغبر من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه اللذ من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بث النبيين مبشرين ومنذرين» وفي لفظ آخر «من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه»

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنه من ربك والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً) إن الذين كفروا وصعدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً. إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغير لهم ولا لينبئهم طريقاً. إلا طريق جهنم خاليتين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً. بئس ما يظنون أن الله جاءكم الرسول

(١) في رواية ابن جرير: بالألسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى.

بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَلَايمُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَسْكُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠﴾

لما تضمن قوله تعالى (إنا أوحينا إليك) الى آخر السياق أثبت نبوته صلى الله عليه وسلم والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب قال الله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) أى وإن كفر به من كفر به من كذبه وخالفك الله يشهد لك بأنك رسوله الذى أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ولهذا قال (أنزله بمله) أى فيهضله الذى أراد أن يطلع البعاد عليه من النيات والمهدى والفرقان ، وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه وبأبه ، وما فيه من العلم بالتيوب من الماضى والمستقبل ، وما فيه من ذكر صفاته تعالى القدسة التى لا يعلوها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يملئه الله به ، كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقال (ولا يحيطون به علما) وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا الحسن ابن سهل الجعفى وعبد الله بن المبارك قال حدثنا عمران بن عينة حدثنا عطاء بن السائب قال أقرأت أبا عبد الرحمن السلى القرآن . وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال قد أخذت علم الله فليس أحد اليوم أفضل منك إلا يملئ ثم يقرأ قوله (أنزله بمله وللملائكة يشهدون وكفى بالله شهيذاً) قوله (وللملائكة يشهدون) أى يصدق ما جادك وأوحى إليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى بذلك (وكفى بالله شهيذاً) قال محمد بن إسحق عن محمد بن أبى عمير عن عكرمة . أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخل على رسول الله ﷺ جماعة من اليهود فقال لهم «إني لأعلم والله أنكم لتعلمون أنى رسول الله» فقالوا ما نعلم ذلك . فأنزل الله عز وجل (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بمله) الآية

وقوله (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله فقد ضلوا ضلالا مبينا) أى كفروا فى أنفسهم فلم يتوبوا الحق وسعوا فى صد الناس عن اتباعه والاعتداء به قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبدوا منه بسدا عظيما شامسا ثم أخبر تعالى عن حكمه فى الكافرين بآياته وكتابه ورسوله ، الظالمين لأنفسهم بذلك وبالصد عن سبيله وارتكاب ما أمه وأتاهك حماره بأنه لا ينظرهم (ولا يهديهم طريقا) أى سيلا الى الخير (إلا طريق جهنم) وهذا استثناء مطلق (خالين فيها أبدا) الآية ثم قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم) أى قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق والبيان الشافى من الله عز وجل فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكم ثم قال (وإن تَسْكُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَالِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى فهو غنى عنكم وعن إيمانكم ، ولا يتضرر بكفرانكم كما قال تعالى (وقال موسى إن تكفروا أتم فى الأرض جميعا فإن الله لئن شئ حليم) وقال ههنا (وكان الله عليا) أى بمن يستحق منكم الهداية فبهديه ، وبمن يستحق التوبة فيغويه (حكيا) أى فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَابًا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَلَايمُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَى خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١١﴾﴾

ينبى تعالى أهل الكتاب عن التلو والاطراء وهذا كثير فى النصارى فاتهم تجاوزوا الحد فى عيسى حتى رفعوه فوق الميزة التى أعطاه الله إياها فتجاوزوه من حين النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدهون كما عبدهوه . نبل قد غلوا فى اتباعه وأشياعه بمن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم الصمة واتبعوه فى كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا ، أو ضلالا أو رشادا ، أو صحيحا أو كذبا ، ولهذا قال الله تعالى (اتخذوا أجبهم ورجالهم أربابا من دون الله) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم قال زعم الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن جرير أن

رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ثم رواه هو وعلى بن اللديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري كذلك ، ولفظه « إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقال علي بن اللديني هذا حديث صحيح مسند ، وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة عن الزهري به ولفظه « فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا قال رسول الله ﷺ « أيها الناس عليكم بقلوبكم ولا يستهويكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عز وجل » ثم رد به من هذا الوجه . وقوله تعالى (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أي لا تستهوا عليه وتنجسوا له صاحبة وولداً تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً وتزه وتقدس وتوحد في سؤده وكبريائه وعظمته فلا إله إلا هو ولا رب سواه ولهذا قال (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلته أقفاها إلى مريم وروح منه) أي إنما هو عبد من عباد الله خلق من خلقه ، قال له كن فكان ، ورسوله من رسله وكلته أقفاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذنه عز وجل ، فكان عيسى بإذنه عز وجل ، وكانت تلك النطفة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة قراح الأب والأم والجبج مخلوق لله عز وجل ولهذا قيل لميسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشىء عن الكلمة التي قال له بها كن فكان ، والروح التي أرسل بها جبريل . قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل : وأمه مديقة كانا بأكلان الطعام) وقال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (واتى أحسن فرجها فنفضنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحسن فرجها) إلى آخر السورة ، وقال تعالى (إنبارا عن المسيح (إن هو إلا عبد أنصنا عليه) الآية وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وكلته أقفاها إلى مريم وروح منه) هو كقولهم (كن فيكون) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذبن يحيى يقول في قول الله (وكلته أقفاها إلى مريم وروح منه) قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله (أقفاها إلى مريم) أي أعلمها بها كما زعمه في قوله (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) أي بملك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا راحة من ربك) بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى المريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام . وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد حدثنا الأزاعي حدثني عمير بن هاني حدثنا جنداء بن أبي أمية عن عباد بن الصامت عن النبي ﷺ قال « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته أقفاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » وقال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هاني عن جنداء زاد « من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر به ، ومن وجه آخر عن الأزاعي به بقوله في الآية والحديث « وروح منه » كقوله (وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً منه) أي من خلقه ومن عنده وليست من التبعية كما تقول النصارى عليهم لعائن الله المتابعة بل هي لأبداء الثابتة كما في الآية الأخرى ، وقد قال مجاهد في قوله (وروح منه) أي ورسوله منه وقال غيره ومجبة منه ، والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله (هذه ناقة الله) وفي قوله (وطهر بيتي للطائفين) وكما روى في الحديث الصحيح « فأدخل على ربي في داره » أضافها إليه إضافة تحريف وهذا كلف من قبيل واحد ونقط واحد وقوله (فآمنوا بالله ورسوله) أي فصدقوا بأن الله واحد أحد لا أول له ولا صاحبة ، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله ولهذا قال تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين ، تعالى الله عن

ذلك علوا كبيرا وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وكما قال في آخر السورة للذكورة (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم آئت قلت لناس اتخذوني الآيات وقال في أولها (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) الآية والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم سابط ، ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فتنهم من يشقه لهما ، ومنهم من يشقه شركا ومنهم من يشقه ولداً ومطوائف كثيرة لم آراء مختلفة ، وأقوال غير مؤتلفة . ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال لو اجتمع عشرة من النصارى لا فترتوا عن أحد عشر قولاً . ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بقوله (١) الأسكندرية في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم وإنما هي الحياة الحفيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني للدينة المشهورة وأنهم اختلفوا عليه اختلافاً لا ينضب ولا ينحصر فكانوا أزيد من الذين أسقفاً فكانوا أحزاباً كثيرة كل خمسين منهم على مقالة ، وعشرون على مقالة ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأخص . فلما رأى منهم صباة قد زادوا على الثلاثة ثمانية عشر نفر وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفاً ذاهية وعق ما عداها من الأقوال وانتظم دست أولئك الثلاثة والثانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتباً وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقونها الولدان من الصغار لينشئوها ويمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم للكنائس . ثم إنهم اجتمعوا مجماً ثانياً فحدث فيهم اليقينية ثم مجماً ثالثاً فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق ثبتت الأقسام الثلاثة في المسيح واختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والنسوت على زعمهم هل أحداً أو ما أحداً أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يهكم بالفرقة الأخرى ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى (اتبعوا خيراً لكم) أي يكن خيراً لكم (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد) أي تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً (له ما في السموات وما في الأرض وكل شيء فيكم يكون لمنهم صاحبة ملكه وخلقه وجميع ما فيها عبيده وهم تحت تدبيره وقصره وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون لمنهم صاحبة وولده كما قال في الآية الأخرى (يدع السموات والأرض أن يكون له ولد) الآية وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إدا — إلى قوله — فرما)

﴿ كُنْ يَسْتَكْفِرُ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَيْدًا لَهُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْقَرُوبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ فَيَمُوتُ عَنْهُمْ إِلَهُ جَمِيعًا ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قوله (لن يستكف) لن يستكبر . وقال قتادة : لن يختم (المسيح أن يكون عيد الله ولا للملائكة القربون) وقد استدلل بعض من ذهب إلى تفضيل للملائكة على البشر بهذه الآية حيث قال (ولا للملائكة القربون) وليس له في ذلك دلالة لأنه إنما عطف للملائكة على المسيح لأن الاستكفاف هو الامتناع والملائكة أقدر على ذلك من المسيح فلهذا قال (ولا للملائكة القربون) ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل . وقيل إنما ذكروا لأنهم اتخذوا آلهة مع الله كما اتخذ للمسيح فأخبر تعالى أنهم عبيد من عباده وخلق من خلقه كما قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) الآيات ولهذا قال (ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فيسحرم إليه جima) أي فيجسم إلى يوم القيامة وفصل بينهم بحكمة العدل الذي لا يبور فيه ولا يحيف . ولهذا قال (فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله) أي يعطيهم من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسعة رحمته وامتنانه ، وقد روى ابن مردويه عن طريق بقية عن إسماعيل (١) كذا في الفسخين للكية والأزهرية ، وفي الأميرية : قيل الأسكندرية . وفي تحريف (٢) كذا في جميع النسخ .

ابن عبد الله الكندي عن الأعمش عن سفيان عن عبد الله مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ (فيوفهم أجورهم فيزيدهم من فضله) أجورهم قال وأدخلهم الجنة) (ويزيدهم من فضله) قال « الشفاعة فيمن وجبت له النار بمن منعه إليهم اللعروف في دنياه » وهذا إسناد لا يثبت. وإناروى عن ابن مسعود موقوفاً فهو جيد (وأما الذين استكفوا واستكبروا) أي امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك (فيضربهم عذاباً إلهياً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) كقولهم (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين حقيرين ذليلين كما كانوا متمنين مستكبرين

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَظَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

يقول تعالى مخاطباً جميع الناس وعبراً بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم ، وهو الدليل القاطع للعلو والحجة للزلة للشبه ولهذا قال (وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) أي ضياء واضحاً على الحق ، قال ابن جرير وغيره وهو القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) أي جموعاً بين مقامى العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم وقال ابن جرير : آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن . رواه ابن جرير (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) أي يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثواباً ومضاعفة ورفها في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم (ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً) أي طريقاً واضحاً قاصداً قواماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة فهم في الدنيا على منال الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والمعاملات ، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم للفضى إلى روضات الجنات . وفي حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « القرآن صراط الله المستقيم ، وحبل الله المتين » وقد تقدم الحديث بتمامه في أول التفسير وفي الحمد للته .

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَّةِ إِنِ أَمَرْتُ هَٰذَا لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا النِّسْلَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَصَلُّوا ۖ وَآلَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

قال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال : سمعت البراء قال آخر سورة نزلت يستفتونك

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله قال دخل على رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أقدر أن أفعل قال فوضأ ثم صب على أوقال صبوا عليه فمقلت فقلت إنه لا يرثي إلا كلاله فكيف للرجال ؟ فأنزل الله آية القرائض أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة ، ورواه الجماعة من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر به وفي بعض الألفاظ قُتِلَت آية للرجال (يستفتونك قل الله يفتيك في الكلاله) الآية . وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان وقال أبو الثوري قال يني جابر نزلت في (يستفتونك قل الله يفتيك في الكلاله) وكان معنى الكلام والله أعلم يستفتونك عن الكلاله (قل الله يفتيك) فيها فدل للذكور على التروك . وقد تنه - الكلام على الكلاله واشتقاقها وأنها مأخوذة من الاكليل الذى يحيط بالرأس من جوانبه ولهذا فسرها أكثر العلماء . بمن يموت وليس له ولد ولا والد) ومن الناس من يقول الكلاله من لا ولد له كادت عليه هذه الآية (إن أمرؤ هلك ليس له ولد) وقد أشكل حكم الكلاله على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : ثلاث وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد (١) كذا في النسخة السكية للقاء على نسخة للؤل وفي الأمانة ونسخة الأزهر ولا ولد وله ومي غلط فلما .

إليها فمن عهدا انتهى إليه - الجد والكلالة وباب من أبواب الريا^(١) . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة قال : قال عمر بن الخطاب ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سأله عن الكلالة حتى طعن بصبه في صدرى وقال « بكفك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء » هكذا رواه غصصرا وأخرجه مسلم مطولا أكثر من هذا . (طريق أخرى) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك بنى ابن منقول يقول سمعت الفضل بن عمرو عن إبراهيم عن عمر قال سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال « بكفك آية الصيف » فقال لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عنها أحب إلى من أن يكون لى حمر النعم وهذا إسناد جيد إلا أن فيه اخطا ما بين إبراهيم وبين عمر فانه لم يدركه . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الكلالة فقال « بكفك آية الصيف » وهذا إسناد جيد رواه أبو داود والترمذى من حديث أبي بكر بن عياش به ، وكان المراد بآية الصيف أنها نزلت فى فصل الصيف والله أعلم ، ولا أرشده التى ﷺ إلى تفهيمها فإن لها كفاية نبي أن يسأل النبي ﷺ عن معناها ولهذا قال فلان أكون سألت رسول الله ﷺ عنها أحب إلى من أن يكون لى حمر النعم . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير حدثنا الشيباني عن عمرو بن مرة عن سعيد بن السيب قال سألت عمر بن الخطاب النبي ﷺ عن الكلالة فقال « أليس قد بين الله ذلك » فنزلت (يستفتونك) الآية قال قتادة وذكر لنا أن أبا بكر الصديق قال فى خطبته ألا إن الآية التى نزلت فى أول سورة النساء فى شأن القرأى أنزلها الله فى الولد ، والوالد ، والآية الثانية أنزلها فى الزوج والزوجة والأخوة من الأم ، والآية التى ختم بها سورة النساء أنزلها فى الأخوة والأخوات من الأب والأم ، والآية التى ختم بها سورة الأشغال أنزلها فى أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ما يحرت الرحم من العصبه رواه ابن جرير (ذكر الكلام على معناها)

وبالله التمسكان وعليه التكلان . قوله تعالى (إن امرؤ هلك) أى مات قال الله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) كل شيء ، أى ولا يبق إلا الله عز وجل كاقال (كل من عليها فان ويحق وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقوله (ليس له ولد) تسلك به من ذهب إلى أنه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد بل يكتفى فى وجود الكلالة انتفاء الوالد وهو رواية عن عمر بن الخطاب رواها ابن جرير عنه بإسناد صحيح إليه ولكن الذى يرجع إليه هو قول الجمهور وقضاء الصديق أنه الذى لا ولد له ولا والد ، ويدل على ذلك قوله (وله أخت فلها نصف ما ترك) ولو كان معها أب لم تترك شيئا لأنه يحجبها بالأجماع فدل على أنه من أولاده بنس التركان ولولا والد بالنس عند التأمل أيضا لأن الأخت لا يرث لها النصف مع الوالد بل ليس لها ميراث بالكلية . وقال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن مكحول وعطية وحزمة وراشد عن زيد بن ثابت أنه سئل عن زوج وأخت لأب وأم فأعطى الزوج النصف والأخت النصف ، فسلك فى ذلك فقال حضرت رسول الله ﷺ حتى بذلك . نضر به أحمد من هذا الوجه وقد قل ابن جرير وغيره عن ابن عباس وابن عمر أنهم كانوا يقولان فى التى ترك بنتا وأختا إنه لا شيء للأخت لقوله (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) قال فاذا ترك بنتا فقد ترك ولدا فلا شيء للأخت ، وخالفهما الجمهور فقالوا فى هذه المسئلة لبنت النصف بالفرض وللأخت النصف الآخر بالتصيب بدليل غير هذه الآية وهذه الآية نعت أن يرث لها فى هذه الصورة وأما ورثاتها بالتصيب فلما رواه البخارى من طريق سليمان عن إبراهيم عن الأسود قال قلت فىنا معاذ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ النصف للبنت والنصف للأخت ثم قال سليمان قتني فىنا ولم يذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى صحيح البخارى أيضا عن هزيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى الأشعرى عن ابنة وابنة ابن وأخت قال لابنة النصف وللأخت النصف وأنت ابن مسعود فقتنا بى ، فسأل ابن مسعود فأخبره بقوله أبو موسى فقال : قد

(١) هو ما نزل آخر سورة البقرة من آيات الرأ ولدت بعد آية آل عمران (ولا تأكلوا الرأ أثمانا مضاعة) فقول الرأ بها واحد على القاعدة هو فى الأخيرة أم؟ استشكل عمر رضى الله عنه والجمهور على الثانى واستشكله قبلت الجد والكلالة أشير وأظهر .

ضلت إذا وما أنا من المهتدين ، أفضى فيها بما قضى النبي ﷺ النصف البنت ولبنت الابن السدس تسكة الثلثين وما بقي فلاخت ، فأثينا أباموسي فأخبرناه بقوله ابن مسعود قال لاسألوني مادام هذا الخبر فيكم . وقوله (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) أي والأخ يرث جميع مالها إذا ماتت كلاله وليس لها ولد أي ولا والد لأنها لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئاً فإن فرض أن معه له فرض صرف إليه فرضه كزوج أو أخ من أم وصرف الباقي إلى الأخ لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألقوا القرائض بأهلها فما أثبت القرائض فلا ولي رجل ذكر » وقوله (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أي فإن كان ابن يموت كلاله أختان فرض لهما الثلثان وكذا ما زاد على الأختين في حكمهما ومن هنا أخذ الجماعة حكم البنتين كما استفيد حكم الأخوات من البنت في قوله (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن الثلثان مما ترك) وقوله (وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) هذا حكم العصباء من البنين والبنين والبنين والأخوة إذا اجتمع ذكورهم وإناثهم أعطى الله كمثل حظ الأنثيين وقوله (بين الله لكم) أي يفرض لكم فرائضه ، ومعد لكم حدوده ، ويوضح لكم شرائعه وقوله (أن تضلوا) أي لئلا تضلوا عن الحق بمذاهبهم (والله بكل شيء عليم) أي هو عالم بمواقب الأمور ومصالحها ومآقيها من الخير لبعاده وما يستحق كل واحد من القربات بحسب قربه من التوفى . وقد قال أبو جبر بن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن حنبل أن أبا ابن عون عن محمد بن سيرين قال كانوا في سير ورأس راحة حذيفة عند ردف راحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس راحة عمر عند ردف راحة حذيفة قال ونزلت (يستفتونك قل الله يفتيك في الكلاله) فلماها رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة فلماها حذيفة عمر فلما كان بذلك سأل عمر عنها حذيفة قال : والله أنك لأحق أن كنت ظننت أنه قاتنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتفتيها كما قاتنها رسول الله ﷺ . والله لأزيدك عليها شيئاً أبداً . قال فكان عمر يقول اللهم ان كنت يتيها له فاتها لم يمين لي كذا رواه ابن جرير ورواه أيضاً عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين كذلك بنحوه وهو منقطع بين ابن سيرين وحذيفة وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البرزالي فيمنعه حدثنا يوسف بن حماد الذي محمد بن مرزوق فلا حدثنا عبد الأمل بن عبد الأمل حدثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن أبيه قال نزلت آية الكلاله على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسيره فوقف النبي صلى الله عليه وسلم وإذا هو بحذيفة وإذا رأس حذيفة عند ردف راحة النبي ﷺ فلماها إياه فنظر حذيفة فإذا عمر رضي الله عنه فلماها إياه فلما كان في خلافة عمر فنظر عمر في الكلاله فبدا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة لقد قاتنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتفتيها كما قاتني رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أني لصادق والله لا أزيدك على ذلك شيئاً أبداً . ثم قال البرزالي وهذا الحديث لا تملك أحداً رواه الإحذيفة ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة إلا هذا الطريق . ولا رواه عن هشام إلا عبد الأمل وكذا رواه ابن مردويه عن حديث عبد الأمل . وقال عثمان ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن الشيباني عن عمرو بن مرة عن سعيد بن السيب أن عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تورث الكلاله ؟ قال فأول رسول الله ﷺ (يستفتونك) الآية قال فكان عمر لم يغم فقال لحصة إذا رأيت من رسول الله ﷺ طيب نفس فليسه عنها فأتته طيب نفس فسأته عنها فقال « أبوك ذكرك هلما أرى أبوك يسلمها » قال فكان عمر يقول ما أراي أهلها . وقد قال رسول الله ﷺ ما قال . رواه ابن مردويه ثم رواه من طريق ابن حنبل وعن عمر بن طلاس أن عمر أمر حصة أن تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلاله فأعلمها عليها في كنف فقال « من أباك بهذا أمهر ؟ ما أراه يقيمها وما تكتفي آية الصنيع » الآية الصنيع التي للنساء (وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة) فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت الآية التي هي خاتمة النساء فأتى عمر الكنف كذا قال في هذا الحديث وهو مسلم . وقال ابن جرير حدثنا أبو بكر بن جندب عن الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال أخذ عمر كنفنا وجمع أصحاب رسول الله ﷺ ثم قال لأنصين في الكلاله قضاء تحدث به النساء في خنورهن فخرجت حينئذ حية من البيت فصرخوا فقالوا لئلا والله عز وجل أن يرمي هذا الأمر لأعمه . وهذا إسناد صحيح الحاكم وقال

أبو عبد الله التيسابوري حدثنا علي بن محمد بن عتبة الشيباني بالكوفة حدثنا المهدي بن خالد حدثنا أبو نعم حدثنا ابن عينة عن عمرو بن دينار سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن زكاة يحدث عن عمر بن الخطاب قال لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث أحب إلي من حمر التمر : من الخليفة بسده ؟ وعن قوم قالوا قر بالزكاة في أموالنا ولا تؤذيها إليك أيجل فتألم ؟ وعن الكلالة . ثم قال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ثم روى هذا الإسناد عن سفيان بن عيينة عن عمر بن مرة عن عمر قال : ثلاث لأن يكون النبي ﷺ بينهن لنا أحب إلى من الدنيا وما فيها الخلانة والكلالة والرأب ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وهذا الإسناد إلى سفيان بن عيينة قال سمعت سلمان الأحول يحدث عن طاوس قال سمعت ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بصر فسمعت يقول القول ما قلت ، قلت وما قلت ؟ قال قلت الكلالة من لا ولد له . ثم قال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . وهكذا رواه ابن مردويه من طريق زمة بن صالح عن عمرو بن دينار وسليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بصر بن الخطاب قال اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ما قلت ، قال وذكر أن عمر شارك بين الأخوة للام والأب وبين الأخوة للام في الثلث إذا اجتمعوا وخالفه أبو بكر رضى الله عنهما . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا محمد بن حميد العمري عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن عمر كتب في الجدة والكلالة كتابا فسكت يستخير الله يقول اللهم إن علمت فيه خيرا فأضمه حتى إذا طعن دعا بكتاب فمحن ولم يدر أحد ما كتب فيه فقال إني كنت كتبت كتابا في الجدة والكلالة وكنت أستخير الله فيه فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه . قال ابن جرير وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال إني لأستحي أن أخالف فيه أبابكر وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول هو ماعدا الولد والوالد . وهذا الذي قاله الصديق عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة في قديم الزمان وحديثه وهو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وقول علماء الأئصار قاطبة وهو الذي يدل عليه القرءان كما أرشدنا الله أنه قد بين ذلك ووضحه في قوله (بين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم) والله أعلم

تم الجزء الأول ، وفيه الجزء الثاني : وأوله

سورة المائدة

فهرس المسائل المهمة

كما بالجزء الأول من تفسير ابن كثير

صفحة	صفحة
١٠٤ رفع الطور فوقهم	٢ خطبة الكتاب
١٠٥ اعتداء أصحاب السبت	٧ مقدمة تذكر قبل القاعة
١٠٧ أمر بني إسرائيل ببيع البقرة	٨ تفسير سورة القاعة
١٠٨ ذكر بسط قصة البقرة	٩ ذكر ما ورد في فضل القاعة
١١٣ قسوة قلوبهم بعد ظهور الآيات	١١ تفسير الاستقامة وأحكامها
١٣٣ قصة هاروت وماروت	١٦ الكلام على البسطة
١٤٢ الكلام على السحر	١٧ فصل في فضلها
١٤٥ أنواع السحر	٢٢ ذكر أقوال السلف في الحمد
١٤٨ نبه الله المؤمنين عن التشبه بالكافرين	٣١ تفسير سورة البقرة
١٤٩ تفسير قوله تعالى (ما ننسخ من آية) الخ	٣٣ ذكر ما ورد في فضلها مع آل حمراء
١٥٦ تفسير قوله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) الخ	٣٤ » » في فضل السبع الطوال
١٥٧ تفسير قوله تعالى (وله للشرق والغرب) الخ	٣٩ الكلام على أنواع السور
١٦٢ تفسير قوله تعالى (إنا أرسلناك بالحق بشيراً) الخ	٤٠ الكلام على قوله تعالى الذين يؤمنون بالتيب
١٦٤ تفسير قوله تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه) الخ	٤٤ » » » وقيمون الصلاة
١٦٨ تفسير قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم موطئاً) الخ	٤٤ » » على الإيمان بالكاتب
١٧٦ قصة أم إسماعيل عليها السلام	٤٤ » » على المؤمنين الذين سبق ذكرهم
١٧٧ بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت	٤٥ سفة الكافرين
١٨٠ ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم	٤٧ » » الثناقتين
١٨٤ دعاء سيدنا إبراهيم لأهل الحرم	٥٧ الأمر بعبادة الله والتذكير بنسبه
١٨٥ وصية سيدنا إبراهيم لبنيه	٦٧ خلق السموات والأرضين
١٨٦ وصية سيدنا يعقوب لبنيه	٦٩ كلام الله عز وجل للملائكة
١٨٧ الأمر بالإيمان بالله وكتبته ورسله	٧٢ تعليم الله الأسماء لأدم
١٨٩ فضيل الأمة المحمدية على سائر الأمم	٧٥ سجود للملائكة لأدم
١٩٢ الأمر باستقبال الكعبة في الصلاة	٧٨ سكن آدم وزوجه الجنة
١٩٤ الأمر بالمساقعة إلى الحيرات	٨٤ الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة
	٨٨ تذكر بني إسرائيل بنسب الله عليهم
	٩٣ نعت بني إسرائيل على سيدنا موسى
	١٠٠ استمعاء موسى لقومه
	١٠٢ ضرب الله والمكة على بني إسرائيل

صفحة	صفحة
٢٩٠ الكلام على قوة تعالى (فأثروا من حيث أمركم الله)	١٩٧ فضل الصابرين
٢٩٥ التي من الأركان من الحلف بالله	١٩٨ السبي بين الضفا والروية
٢٩٩ عدة للعلقة	٢٠٠ وعيد من كتم العلم
٢٧١ عدد الطلاق الشرعي	٢٠١ الآيات الدالة على وحدانيته تعالى
٢٧٧ التي عن تعدى حدود الله	٢٠٣ الأمر بالأكل من الغلال
٢٨٢ مدة الرضاة	٢٠٤ الأمر بشكر الإله
٢٨٤ عدة التوقى عنها زوجها	٢٠٤ تحريم للينة والذم ولعم الحزير وما أهله
٢٩٠ الأمر بالمحافظة على الصلوات	لغير الله
٣٠٢ نصرة للؤمنين مع قتلهم على الكافرين مع كثرتهم	٢٠٧ صفات المؤمنين الأبرار للتعين
٣٠٣ فضيل سيدنا محمد على سائر الرسل	٢٠٩ الأمر بالقصاص
٣٠٤ فضل آية الكرسي	٢١١ الأمر بالوصية
٣٠٩ الكلام على الكرسي	٢١٣ فرض الصيام
٣١٣ قصة إبراهيم عليه السلام مع القردة	٢١٩ فضل شهر رمضان
٣١٤ قصة عزير عليه السلام	٢٢٤ يحرم أكل أموال الناس بالباطل
٣١٥ إحياء الولي لسيدنا إبراهيم	٢٢٥ الكلام على الأهل
٣١٦ فضل الاتفاق في سبيل الله	٢٢٦ الجهاد في سبيل الله
٣٢٠ الحث على الاتفاق	٢٢٨ الأمر بالاتفاق في سبيل الله
٣٢٦ التي عن أكل الربا	٢٢٩ الأمر بالحج والعمرة
٣٣٣ الأمر بكتابة الدين	٢٣٥ أشهر الحج
٣٣٧ الأمر بأداء الأمانة وعدم كتمان الشهادة	٢٤٢ الأمر بالافاضة
٣٤٠ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله	٢٤٣ الأمر بذكر الله بعد قضاء التماسك
٣٤٣ تفسير سورة آل عمران	٢٤٤ الأمر بذكر الله في الأيام للمذودات وللصومات
٣٤٤ الكلام على قوله تعالى (هو الذي يصوركم) الخ	٢٤٥ الأمر بقوى الله عز وجل
٣٤٤ الكلام على الحكم والتشام	٢٤٧ الأمر بالله يقول في الإسلام
٣٥١ ما أهدى الله لمتقين	٢٤٩ فضل المؤمنين
٣٥٢ سعة للتعين	٢٥١ الاتفاق على الوادين والأقرين
٣٥٣ تفسير قوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام)	٢٥٢ الأمر بقتال الكفار
٣٥٨ من ادعى محمد الله فليسمع رسوله ﷺ	٢٥٢ تحريم القتال في أشهر الحرم
٣٥٨ ذكر من اسقط الله من عباده	٢٥٥ تفسير قوله تعالى (يستأذنك عن الحرب) الخ
٣٦٠ معاذ ذكر عليه السلام	٢٥٥ الأمر بإصلاح شأن اليتامى
٣٦٣ بشارة السيدة مريم بميسى عليه السلام	٢٥٧ تحريم نكاح للشركاء وانكاح للشركين
	٢٥٨ الأمر باعتزال النساء في أيام الحيض
	٢٥٨ الكلام على قوله تعالى (تساو كهرث لكم)

صفحة	صفحة
٥٠٦ سبب مشروعية التيمم	٣٦٤ مسجرات سيدنا عيسى عليه السلام
٥٠٧ أمر أهل الكتاب بالإيمان بالقرآن	٣٦٥ أنصار سيدنا عيسى عليه السلام
٥٠٧ جواز مغفرة جميع الذنوب ما عدا الإثم بالله	٣٦٦ رفع سيدنا عيسى عليه السلام
٥١٣ ذكر نعم الله على آل إبراهيم	٣٦٧ مثل عيسى كمثل آدم عليه السلام
٥١٥ أمر الحاكم بإقامة العدل بين الناس	٣٧٧ أولى الناس بإبراهيم المؤمنون
٥١٦ الأمر بطاعة الله والرسول وأولى الأمر	٣٧٧ أخذ العهد على الأنبياء قبل محمد ﷺ
٥١٦ الأمر بالرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول عند التنازع	٣٧٨ لا يقبل الله ديناً غير الإسلام
٥١٩ لا يكون الرجل مؤمناً حتى يرضى بما حكم به رسول الله	٣٨١ الأمر بالاحسان من أجبت به إلى التفق
٥٢١ منزلة من يطع الله والرسول	٣٨٣ الكعبة هي أول بيت وضع للناس
٥٣٠ كيفية ود السلام	٣٨٧ الأمر بالتكلم بالكتاب والسنة
٥٣٠ من أركان الإيمان : الإيمان باليت	٣٨٩ الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٥٣١ وعيد من كل مؤمناً متمسدا	٣٩٩ نصر الله للمؤمنين في غزوة بدر
٥٤٤ مشروعية قصر الصلاة في السفر	٤١٩ امتنان الله على المؤمنين برسالة الرسول
٥٤٦ مشروعية صلاة الخوف	٤٢٥ حياة الشهداء
٥٤٩ الأمر بذكر الله عقب الصلاة	٤٣٢ التضرع من البطل والوحيد عليه
٥٥٢ الحث على التوبة	٤٣٦ مساعدة الله لأهل العلم ببيانه وعدم كتابه عن خلق الله
٥٥٧ نفل الإسلام مع الصلح الصالح	٤٣٧ الآيات الدالة على عظمة الله سبحانه وتعالى
٥٥٩ لا يقبل الله عملاً إلا إيماناً خلا من الرياء والبدعة	٤٤٩ جواز نكاح الرجل أربع من النساء مع القدرة والعدل بينهما
٥٦٥ الأمر بتأدية الشهادة بالمحق ولو على النفس	٤٥٤ وعيد من أكل مال البغي
٥٦٦ من لم يزل للسكر فليزل عنه	٤٥٧ تفسير آية الليراث
٥٦٧ بعض صفات الثقاتين	٤٦٣ الحث على التوبة
٥٧٢ كفر من فرق بين الله ورسوله في الإيمان	٤٦٩ بيان من حرم على الرجل نكاحين
٥٧٤ ما قبل السج وبما سلب بل رفع إلى السماء حيا	٤٩١ فضيل الرجال على النساء
٥٧٨ ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى	٤٩٣ الأمر بعبادة الله وحده والإحسان إلى الوالدين
٥٨٣ سفة عيسى عليه السلام	٤٩٧ التكلم على قومه تعالى (فكيف لنا جئنا من كل أمة بشهيد) الآية
	٤٩٩ مشروعية التيمم عند فقد الماء

